بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحمدلله ربّ العالمين، والصّلاة و السّلام على خير الخلق والمرسلين سيّدنا محمّد (ص) أفصحِ العرب وأبلغهم، وبعدُ:

يتناول هذا البحث بالدّراسة التغييرَ النحويّ الجائز، وما يتركه من أثر في المعنى. و البحثُ ذو أهميّة جليّة؛ لأنه يتناول القواعدَ الفَرعية المشهورة، والمجمعَ عليها من ناحية الاستعمال والقياس والتوليد عليها، ويؤلِّف بين أبواب النحو المختلفة؛ لأنه يختار من كلّ باب القاعدة الجائزة المشهورة، ويوضِّح دلالتها. فمفهومُ الجواز النحويّ يشكّل الرّابط الوثيق بين فصول البحث وموضوعاته، و تأتي أهميّته الأخرى من ربط القاعدة الجائزة بالمعنى؛ لأن النحو هدفُه المعنى، فالمتكلم يركّب العبارات، وينتحي سمْتَ العرب من أجله[١]، فهو الغاية الأساسيّة للكلام، والقواعدُ النحوية عامّة، والجائزة خاصّة انعكاسٌ له[٢]، وبظهوره تتحقّق بلاغة الكلام[٣]، وتكاد كلُّ المؤلَّفات اللغوية والنحوية والبلاغية تتحدّث عنه، ككتاب الشِّعر للفارسيّ[٤]، والخصائص لابن جنّي[٥]، ودلائل الإعجاز للجرجاني[٦]،ونظام الجملة لمصطفى جطل[٧]، والأصول لتمّام حسان[٨]، والمعنى في البلاغة العربية لحسن طبل[٩]، و ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية لعبد الفتّاح

(1) ينظر: ابن جني، الخصائص، تح:عبد الحكيم محمد، المكتبة التوفيقية،١٤١٨هـ،٢٦٧/١.
والجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تح:محمود محمد شاكر، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٦٥م،٣٧٠-٣٧١.
وإلياس، منى، القياس في النحو، ط١، دارالفكر، دمشق،١٤٠٥هـ -١٩٨٥م،١٢٠. والسكاكي، مفتاح العلوم، بلا تاريخ،٤١.
وطبل، حسن، المعنى في البلاغة العربية، ط١، دارالفكرالعربي، القاهرة،١٤١٨هـ- ١٩٩٨م،٦٣،٣٦.
ومجاهد، عبدالكريم، الدّلالة اللغوية عند العرب، دارالضّياء، عمّان، بلاتاريخ،١٩٤.

(2)ينظر: الجاسم، محمود الحسن، تعدّدالأوجه في التحليل النحوي، ط١، دارالنمير، دمشق،٢٠٠٧م،١٥٤،٨٢.

(3) ينظر: الجرجاني، محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح:عبدالقادر حسين، دارنهضة مصر، القاهرة ، بلاتاريخ،١٤.

(4) ينظر: الفارسي، أبوعلي، كتاب الشعر، تح:محمد محمود الطّناحي، ط١، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج١/ ١٤،٥٢.

(5) ينظر: الخصائص، ج٩٨/٣.

(6) ينظر: دلائل الإعجاز،٨٢-٨٣.

(7) ينظر: جطل،مصطفى،نظام الجملة عنداللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب،١٩٧٨- ١٩٧٩م،ج٩/١.

(8)ينظر: حسّان،تمّام،الأصول،عالم الكتب،القاهرة،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،٣١٠- ٣١٣، ٣٢٩.

(9) ينظر: طبل، حسن، المعنى في البلاغة العربية، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ٨٥.

البجّة[١]، والجملة العربية والمعنى[٢]، و الإعراب وأثره في ضبط المعنى لمنيرة بنت سليمان العلولا[٣]، ومعاني النحو لفاضل السّامرّائي[٤]، ويسبقها كثير من كتب النحاة المتقدّمين الذين أصّلوا النحو، أو صنّفوه، ككتاب سيبويه، والمقتضب للمبرّد، والأصول لابن السَّرَّاج، وكتب معاني القرآن، فكلُّ هذه الكتب تبدأ الباب النحويّ بمعناه النحويّ، ثمّ: "تفصّل الشروط التي ينبغي أن تتحقّق حتّى يتشكّل هذا المعنى"[٥]، فالتوصّل إلى المعنى غاية كلّ تحليل نحويّ وصرفيّ[٦]، فالتأثير الرئيسيّ للغة إنّما يأتي من المعنى الذي يفصح عن أفكار المتكلم وخوالجه وأحاسيسه ومشاعره وكلّ ما يتّصل به، وقيمة المعنى كبيرة في اللغة لدرجة أنّ اللغة لا وجود لها من دونه، فهو الذي يحدّد طبيعتها الحقيقيّة[٧]. وقد كان الفضل للنحاة في دراسة البلاغة النّاجمة عن بروز المعنى وتأثيره[٨].

إنّ الأسباب المتقدّمة أكسبت البحث أهميّته، وكانت المسوِّغ للربط بين الجواز النحوي و المعنى، يُضاف إليها أن المعنى مختلَف في تعريفه والمقصود به بسبب مناهج البحث[٩]؛ و لأنه نقطة أساسيّة في الدّراسات اللغوية المعاصرة، بل هو أساسها كما ذهب فيرث[١٠]؛ و لأن المعاني تختلف باختلاف مقامات الكلام ومناسباته، وهذا الاختلاف يستدعي درجات متفاوتة من التعبير فما يقال في موضع التهنئة لا يقال في موضع التعزية، وما يقال في موضع الشّكر يخالف ما يقال في موضع الشِّكاية[١١]، وهذا قد يستدعي أنماطاً تعبيرية منحرفة ومغيَّرة عن الأنماط الأصليّة، ولاسيَّما إذا كثُر المتكلِّمون في مقام واحد؛ ولأن النحو في أغلب حالاته يقوم على المعنى[١٢]، وقد تضافرت في

([1]) ينظر: البجّة، عبدالفتاح، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ط١، دار الفكر، عمّان،١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٢١٥ -٢١٦.
([2]) ينظر: السّامرائي، صالح فاضل، الجملة العربية والمعنى، ط١، دار الفكر، عمّان، الأردن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٧.
([3]) ينظر: العلولا، منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى دراسة نحوية قرآنية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٣م، ١٤٤- ١٤٥.
([4]) ينظر: السّامرّائي، صالح فاضل، معاني النحو، ط٣، دار الفكر، عمّان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج٥/١.
([5]) تعدّد الأوجه في التحليل النحوي، ١٥٥.
([6]) ينظر: ياقوت، محمود سليمان، علم الجمال اللغوي، دارالمعرفة الجامعية، طنطا، ١٩٩٥م، ج٩٤/١، ج٤٦٩/٢.
([7]) ينظر: سليمان، أحمد عطيّة، الدلالة اللغوية والاجتماعية للعبارة، مكتبة الشرق، عُمَان، ١٩٩٥م،٢.
([8]) ينظر: حسين، عبدالقادر، أثر النحاة في البحث البلاغي، ط٢، دار قطريّ بن الفجاءة، الدّوحة، ١٩٨٦م، ٧.
([9]) ينظر: أولمان، ستيفن، دورالكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، ط١٢، دارغريب، القاهرة، ١٩٩٧م،٧٦،٨٠.
([10]) ينظر: دورالكلمة في اللغة،٦.
([11]) ينظر: الجويني، مصطفى الصّاوي، المعاني علم الأسلوب، دارالمعرفة الجامعيّة، الإسكندريّة، ١٩٩٣م،١٣.
([12]) ينظر: الجاسم، محمود الحسن، القاعدة النحوية (تحليل ونقد) ط١، دارالفكر، دمشق،١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ١٣١.

الذّهن مجموعةٌ من الأسئلة التي صارت مسوِّغات للبحث، وسعى للإجابة عنهـا، وهـي: لماذا كانت القاعدة الجائزة؟ وهل تختلف المعاني بين استخدام واجب وآخر جـائز؟ وهـل للتغيير النحوي الجائز علاقة بالاقتصاد اللغوي؟ وهل للتغيير النحوي الجائز أثر في تغيير العلاقات النحوية الداخلية في التركيب؟ وهل له علاقة بالتأويل؟ وهـل هـو دليـل رقـيٍّ وتطورٍ للغة العربية؟ وهل قام على الاختيار المطلق أم علـى الاختيـار المقيَّـد؟ وهـل استخدامه في التركيب والتعبير إرادة المبدع وقصده؟ وهـل القاعـدة الجـائزة المطَّـردة مازالت مطَّردة في بعض النماذج الشِّعرية في العصر الحديث، وما مدى هـذا الاطِّـراد ودورانُه؟ وما هي معانيه وإيحاءاته ودلالاته؟ وهل هذه النماذج الشِّعرية تقليد مـن حيـث الشّكل دون المعنى،أم تقليد شكليٌّ معنويٌّ، يُضاف إليه التعبيرُ عن تجارب خاصّة؟ وهـل القاعدة الجائزة خلف القاعدة الواجبة من حيث الترتيب أم هي مقدَّمة عليهـا إذا اقتـضى المعنى ذلك؟.

ولمّا كان الكلام الفعليّ في موقف لغويّ أحسن طريق يوصل المتكلّم إلـى كيفيّـة أداء اللغة[١]، وكان النِّتاج الأدبيُّ بثّاً لغوياً هدفُه الإقناع والإمتاع[٢]، وهـو المجـالُ الممتـاز للدِّراسة الأسلوبيّة[٣]، قصدْتُ إلى دراسة، وتتبُّع أثر التغيير الجائز في المعنى فـي آثـار شعريّة حديثة، هي في الأساس مواقف لغويّة صدرت عن أصحابها في مقام تجارب ذاتيّة أو اجتماعيّة أو لغويّة أو في ظروف نفسيّة ذاتيّة أو عاطفيّة أو اجتماعيّة. يضاف إلى ذلك أن الشعر تتعدّد تفسيراته، و تختلف درجات فهمه بحسب القرّاء المختلفين في الانطباعات و الخبرات و الثقافة [٤]، فلغة الشعر تأخذ في نظرها القواعد النحوية المتعارَف عليهـا و الانحرافات عنها في شروط القواعد المضبوطة، وهذا يُغني البحـث، ويُكـسبه الحيويـة والمتعة والفائدة. وقد اخترْتُ دواوين خمسة من الشعراء في العـصر الحـديث؛ لتكـون ميداناً للتطبيق القائم على الوصف والتحليل، وهم: محمود سامي البارودي، وأبـو القاسـم

([1]) ينظر: دور الكلمة في اللغة، ٢٥.
([2]) ينظر: ابن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩م، ١٧٨.
([3]) المرجع السابق، ٣٠٠.
([4]) ينظر: عيد،رجاء، البحث الأسلوبي (تراث ومعاصرة) ، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م، ١٧٢.

الشّابّي، وإيليّا أبو ماضي، وبدر الدين الحامد، وبدر شاكر السّيّاب، وقد قام اختيارهم على أساس شاعريّتهم التي لا تُنكَر، وتوزعهم على الأقاليم الجغرافية، فالبارودي من وادي النيل[١]، والشابّي من المغرب العربي [٢]، وأبو ماضي من المهجر[٣]، وبدر الدين الحامد من بلاد الشام[٤]، و السيّاب من بلاد الرّافدين [٥]، يُضاف إلى ذلك توزعهم على المذاهب الأدبية بين الاتباعيّة و الإبداعيّة والواقعيّة، فمنهم من التزم نظام القصيدة القديمة، ومنهم من تأرجَح بين الشكلين القديم و الجديد للقصيدة العربية، أي بين نظام الشطرين وشعر التفعيلة، وهذا يعطي البحث تنوّعاً وغِنىً وجدّة في الدّراسة.

وليس البحثُ جديداً في جانبه النظريّ، وإنّما في جانبه التطبيقيّ، وطريقة عرضه المادّة المدروسة، ومن الأبحاث السابقة في الجواز النحوي[٦]:

١- الجواز النحوي ودلالة الإعراب على المعنى لعبد القادر بلقاسم الطّلحي (جامعة قاريونس) في ليبيا.

٢- الجواز في النحو العربي لمحمد علي عبد الله، وهو رسالة ماجستير في جامعة دمشق عام (١٩٩٤م).

٣- الجواز وعدمه في أحكام النحويين من سيبويه حتّى منتصف القرن الرّابع الهجريّ لـ(حمده عبدالله صباح أبو شهاب)، وهي رسالة ماجستير في جامعة اليرموك الأردنية عام (١٩٩٤م).

٤- وجوه الجواز النحوي وعلاقتها بسياق الحال لـ(علا محمد مسلم ضهير)، وهي رسالة ماجستير في الجامعة الأردنية عام(٢٠٠١م).

---

(1) ينظر: الزّركلي، خيرالدين، الأعلام، ط٣، بيروت، بلا تاريخ، ج٨/٤٧.
والبارودي، محمود سامي، الديوان، تح:علي الجارم و محمد شفيق معروف، ٥-٣٧.
(2) ينظر: الشابّي، أبوالقاسم، الديوان، تقديم: عزّالدين إسماعيل، دارالعودة، بيروت، ٢٠٠٦م، ٩٧-١٢٥.
(3) ينظر: أبوماضي، إيليّا، الديوان، تصدير: سامي الدّهان، الدراسة: زهيرميرزا، تقديم: جبران خليل جبران، دار العودة بيروت، ٢٠٠٤م،١-٧٦.
(4) ينظر: الحامد، بدرالدين، الديوان، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٥م، ٥-٨.
(5) ينظر: السّيّاب، بدر شاكر، الديوان، تح: ناجي علّوش، ط٣، دارالحريّة، بغداد، ٢٠٠٠م، ٥ – ٣٤ ،٣٧٦ - ٤٠٥.
(6) أخذت هذه الأبحاث من شبكة الأنترنت على موقع (غوغل).

٥- الجواز النحوي في مجمع البيان في تفسير القرآن لأبي الفضل بن الحسن بن الفضل الطّبرسيّ لـ (حبيب عبدالله عبد النبي)، وهي رسالة ماجستير في جامعة البصرة عام (٢٠٠٥م). وأُورد عناوين الأبحاث التي تناولت الشعراء الخمسة بالدّراسة في موضوعات مختلفة، وذلك في حدود المعرفة التي توفّرت لي، وهي:

١- الجملة الشرطية في شعر البارودي لـ (فتح الله سليمان) ١٩٨٢م.

٢- الأسلوبية (مدخل نظري ودراسة تطبيقية) لـ (فتح الله سليمان) ١٩٩٠م، والتطبيق على شعر البارودي.

٣- أوراق البارودي لـ (محمد رفعت زنجير).[١]

٤- محمود سامي البارودي لـ (عمر الدسوقي).

٥- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي لـ (عبّاس محمود العقّاد).

٦- التشبيه في مختارات البارودي (دراسة تحليلية) لـ (محمد رفعت زنجير).

٧- التقديم و التأخير في شعر بدر الدين الحامد (دراسة بلاغية تحليلية).

٨- إيليّا أبو ماضي والحركة الأدبيّة في المهجر لـ (نجده فتحي صفوة) بغداد - ١٩٤٥م.

٩- بين شاعرين مجدّدين لـ (عبد المجيد عابدين) مصر - ١٩٥٢م.

١٠- بدر الدين الحامد (حياته وشعره)، وهو رسالة ماجستير لـ(عبد الرحمن العتل)عام ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.

١١- بدر شاكر السيّاب (دراسة في حياته وشعره) لـ (إحسان عبّاس).

١٢- الموضوعيّة البنيويّة (دراسة في شعر السيّاب) لـ (عبد الكريم الحسن).

---

(1) أخذت هذه الأبحاث من شبكة الأنترنت على موقع غوغل.

١٢- بدر شاكر السيّاب رائد الشعر الحديث لـــ (عبد الجبّار داوود المصري).

١٣- الشعر العربي المعاصر(قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة) لـــ (عزّالدّين إسماعيل).

١٤- بدر شاكر السيّاب (حياته وشعره) لـــ (عيسى بلاطة).

أمّا منهج البحث في الدّراسة، فقد سار على الشكل الآتي:

١- وصفتُ قواعد التغيير النحوي الجائز المطّرد كما جاءت في كتب النحاة المتقدّمين و المتأخرين و المعاصرين، وشفعتُها بشواهدهم، و بيَّنْتُ موضع التغيير ومعناه كما أشــاروا إليه، ثمّ ذكرت المعاني التي تقف وراءه كما جاءت في كتب البلاغة المتقدّمة و المتــأخِّرة و المعاصرة ثمّ أيّدْتُ الوصفين النظريين النحوي و البلاغــي بدراســة تطبيقيــة تحليليّــة تعليلية، فأتيتُ بشواهد من دواوين الشعراء الخمسة أظهرْتُ موضــع التغييــر فيهــا، ثــمّ الأغراض و المعاني و التأويلات و الإيحاءات المحتمَلة له.

٢- إن كان للتغيير دور في تغيير العلاقات السِّياقيّة بين عناصر التركيب، وضَّحْتُ ذلك.

٣- أكثرْتُ في الحواشي ذكر المصادر و المراجع التي أحلْتُ إليها؛ للدلالة علــى شــهرة التغيير الجائز و اطِّراده والإجماع عليه.

٤- حرصتُ في اختيار الشواهد من دواوين الشعراء على التنوّع بينهم جميعاً، و رتّبْتُهــا بحسب وفاتهم، بَدءاً من الأقدم البارودي (ت١٩٠٤م)، فالشابّي (١٩٣٤م)، فــأبو ماضـــي (١٩٥٧م)، فالحامد (١٩٦١م)، فالسّيّاب(١٩٦٤م).

٥- إذا كانت طبيعة الاستشهاد تقتضي مخالفة هذا الترتيب لعدم ورود التغيير عند أحدهم، فعلْتُ ذلك.

٦- تقيَّدْتُ في عرض الشواهد الشّعرية ودراستها بالترتيب النظريّ لمواضع التغيير.

٧- سار البحث في منهجه في خطّ المستويات النحوية والبلاغية والدلالية، فتناول شكل التعبير الجديد الذي أجازته القاعدة النحوية، ثمّ بيّن معناه ودلالته الجديدة، فاعتمد علم النحو الوصفيّ والتوليديّ.

٨- ضبطْتُ الآيات القرآنيّة والشواهد الشّعرية؛ لتحقيق سلامة قراءتها، وإبعادها عن التأويل من قبل القارىء.

٩- عُدْتُ إلى الدّواوين الشّعريّة للأبيات التي استشهد بها النحاة والبلاغيّون؛ للتأكّد من نسبتها إلى أصحابها.

١٠- ذكرت في الحواشي معاني بعض المفردات الصّعبة؛ كي يتّضح المعنى، ويُفهَم المقصود.

١١- حاولْتُ المزج بين الدّرس اللغوي القديم والحديث لوجود صلة بينهما، فكلاهما يصف التركيب، ويحلّله، ويُبيِّن طريقةَ بنائه، والمعاني التي تقف وراءه، ولعلّ الفرقَ بينهما في استخدام المصطلحات التي تعبّر عن التغيير، ولمّا وجدْتُ الدّرس اللغوي الحديث، ولاسيّما ما تُرجِم منه عن اللغات الأجنبية يستخدم مصطلحات كثيرة؛ للتعبير عن التغيير النحوي الذي يخرج عن الأصل، فضّلْتُ أن أستخدم في هذا البحث مصطلحات الدّرس اللغوي القديم؛ لأنه لاخلاف عليها، فهي ناضجة و مستقرّة كالزّيادة والحذف والتحويل٠٠٠وهذا يسهّل تناول الفكرة، ويزيد وضوحها.

١٢- دعمْتُ البحث بعد الفصل الرابع بشواهد ذات صلة بالتغيير النحوي الجائز من دواوين الشعراء الخمسة، وميَّزْتُ موضع التغيير باللون الأسود الغامق دون تحليل أو تعليق؛ لإثراء البحث وتوفير فرصة اطّلاع القارىء عليها، وهذا أسهل وأنفع من الإحالة إلى الحواشي السّفلية.

وقد أخرجْتُ من البحث الضرورةَ الشعرية؛ لأنّها تكون في الشعر دون النثر، ولا تطّرد فيه، ولا يجوز التوليد والقياس عليها، وهذا لا يتناسب مع رؤية البحث وهدفه، كما

استبعدْت الشّاذّ الذي يقتصر على النثر دون الشِّعر؛ لأنّه لا ينسجم مع عنوان البحث؛ ولأنه يقتصر على نوع من الكلام دون أن يطّرد فيه، كما استبعدْتُ القراءة القرآنية الشاذّة؛ للأسباب ذاتها.

ويقع البحث في تمهيد وأربعة فصول، فقد وضّحْتُ في التمهيد المقصودَ بالتغيير النحوي الجائز، ثمّ عرّفْتُ الأسلوبيةَ، وبيّنْتُ المجال الذي تدرسه؛ لأنتهي إلى تحديد العلاقة بين التغيير النحوي الجائز والأسلوبيةِ؛ لِبيان أن البحث ذو صلة بالأسلوبية الحديثة، وإن لم يستخدم مصطلحاتها.

وتناولْتُ في الفصل الأوّل الذي عنوانه (الرّتبة وترْك المطابقة) التغيير الجائز الذي يطرأ على رتبة العناصر النحوية في التركيب، وهي الرتبة غير المحفوظة من ناحية الشكل، فعرضْت المادّة النظريّة النحويّة، فالمادّةَ النظريّة البلاغيّة، فالشواهدَ الشعريّةَ من دواوين الشعراء الخمسة ذات الصّلة بموضوع البحث، ثمّ عرضْتُ المادّة النظريّة النحويّة لِظواهر تَرْك المطابقة بين العناصر النحوية المتلازمة، فالمادّة النظريّة البلاغيّة، فالشواهدَ الشِّعريّة من دواوين الشعراء الخمسة. هذه الشواهد التي بيّنْتُ موضع التغيير فيها ومعانيها و إيحاءاتها ودلالاتها.

أمّا الفصل الثاني، فعنوانُه (الزّيادة والحذف)، فتناولتُ فيه الزّيادة أوّلاً، فوصفْتُ قواعدها الجائزة المشهورة المطَّردة في كتب النّحاة ثمّ في كتب البلاغة والمعاني، وشفعْتُها بالشواهد الشّعرية. وتناولتُ الحذفَ بعد الزيادة، فدرسْت حذف الاسم والفعل والجملة مقدّماً المادّة النظرية النحويّة والبلاغيّة على المادّة الشعريّة المدروسة بالوصف والتحليل بالطريقة ذاتها.

أمّا الفصل الثالث، فعنوانه (التحويل)، وقصدتُ به التغييرَ الذي يكون عن طريق التحويل كتحويل الجملة الاسمية إلى فعليّة، ولم يختلف عرض البحث فيه عن سابِقَيْه، فبدأته بالمادّة النظرية النحوية فالبلاغية، فالمادّة المدروسة من دواوين الشعراء الخمسة.

أمّا الفصل الرابع، فعنوانُه (التعبير عن المعنى بغير لفظه، و ظواهر أخرى للتغيير) فعرضتُ أوّلاً المادّة النظرية النحوية فالبلاغية ذات الصّلة بالتعبير عن المعنى بغير لفظه، فالمادّة الشعريّة المدروسة، فالمادّة النظريّة لظواهر التغيير الأخرى، ومنها التنازع، وتنكير ما حقُّه التعريف ، فالمادَّة الشعريّة المدروسة.

وألحقْتُ بالبحث مجموعةً من الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء الخمسة، وأظهرْتُ موضع التغيير الجائز باللون الأسود الغامق دون تحليل.

وتأتي الخاتمة في نهاية البحث مُجْمِلةً أبرز نتائج البحث، وبعض مقترحاته، وتليها فهارس الآيات القرآنية، فالشواهد الشعرية.

فالشكر الجزيل والامتنان العميق للدكتور ظافر يوسف الذي أسعدني وأكرمني بالإشراف على هذا البحث، وعاملني معاملة الأخ والصّديق، وشجّعني على المضيّ قدُماً فيه، وتحمّل أسئلتي واستفساراتي على الرّغم من أعماله الكثيرة، فهو نعم المشرفُ الذي لم يبخل عليّ بالرّأي، ولا بالمراجع، ولا بالعبارات اللطيفة التي كانت تزيد همّتي، وتبعث فيّ القوّة على تحمّل عناء البحث.

فهذا هو عمل العبد المقصِّر، فإن كنتُ قد أصبْتُ، فهذا من توفيق الله تعالى وإكرامه لي، وإن كنت قد قصّرْتُ، أو أخطأْتُ، فهذه حالة العبدِ الذي لا يسلمُ من الزّلل والخطأ و التقصير. فعسى الله تعالى يكرمني، ويجعله في دفتر حسناتي.

تمهيد:

لا بدَّ في بداية البحث من توضيح المقصود بعنوانه؛ لتحديد مجاله؛ كي يسير في طريق واضح بعيداً عن اللّبس والغموض والتأويلات.

فقد جاء في لسان العرب أنّ الجوازَ صكُّ المسافر(١)، والماء الذي يُسقاه المالُ من الماشية والحرث(٢)، وجاء في القاموس المحيط: "جازَ الموضعَ جَوْزاً وجَؤُوزاً ومَجازاً، وجاز به، وجاوزه جَوازاً: سار فيه، وخلّفه"(٣)، والجوازُ في المعجم الوسيط ماكان مقبولاً ونافذاً و ماضياً على الصِّحة، والماءُ الذي يُعطى للمسافر، وجَوازُ السّفر(٤)، والجَوازُ في المنجد ما كان غير ممنوع، وممكناً وسائغاً ومُباحاً، فهو الإمكانُ، وصكُّ المسافر، والإذنُ و التّرخيص(٥).

والملاحَظُ أنَّ المعنى الجامع لكلمات الجواز في المعجمات اللغوية المتقدِّمة، هو الإمكانُ، وعدمُ المنع، والإذنُ والترخيص.

الجَواز في الفكر النحوي:

تعدّد مفهوم الجواز في مستويات اللغة، وورد بصور متنوّعة، فمنه القراءة القرآنية الشاذّة المخالفة لإجماع القُرّاء السبعة أو العشرة، نحو قراءة أبي طالوت عن أبيه:"وما

([1]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط، ونديم مرعشلي، ط٦، دارلسان العرب، بيروت، ١٣٨٩هـ-١٩٧٠م، مادة (جوز)، ج١/٥٣٢.
([2]) م.ن: مادة (جوز)، ج١/٥٣٣.
([3]) الشّيرازي، الفيروزأبادي، القاموس المحيط، تص:مصطفى عتّاني، ط٢، المطبعة الحسينيّة المصريّة، ١٣٤٤هـ ،مادة (جوز) ج٢/١٧٠.
([4]) ينظر:مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، إشراف:عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة النُّوري، دمشق،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، مادة (جاز)، ج١/١٥٢.
([5]) ينظر: المنجد في اللغة، ط٢٠، المطبعة الكاثوليكيّة، دارالمشرق، بيروت،١٩٦٩ م، مادة (جاز)،١٠٩ -١١٠.

يُخادَعون" بدل "وما يُخادِعون"[١]، وقراءة زهير الفَرْقَبي:"لاريبٌ"[٢] بدل"لاريبَ"[٣] وقراءة الحسن البصريّ: "الحيَّ القيُّومَ" بدل:"الحيُّ القيُّومُ"[٤] وقراءة الأعمش:"نزَلَ عليكَ الكتابُ"[٥] بدل:"نَزَّلَ عليكَ الكِتابَ"[٦] ونحو:"ويَجْعَلَ اللهُ" بدل "ويجعَلُ اللهُ"[٧]على اعتبار الواو حاليّة[٨]، وهذا ليس ميداناً للبحث.

ومنه الضرورة الشعرية التي تقتصر على الشعر دون النّثر، كصرف ما لا ينصرف[٩]، نحو صرف (قوَاطِناً) في قول العجَّاج[١٠]:

قَواطِناً مَكَّةَ من وُرْقِ الحِمَى

والجزم بـــ (إذا) الشرطية، نحو قول الفرزدق[١١]:

تَرْفَعُ لِي خِنْدِفٌ واللهُ يَرْفَعُ لِي   ناراً إذا خَبَتْ نيرانُهُمْ تَقِدِ

فجزم المضارع (تَقِدِ) جواباً لـــ (إذا) الشرطية[١٢]، و هذا ليس ميداناً للبحث.

ومنه الشّاذُّ الذي انفرد عن بابه النحوي في النّثر دون الشّعر، ولم يجز القياس عليه، نحو ورود خبر(عسى) اسماً صريحاً في نحو قولهم: "عسى الغُوَيْرُ أَبْؤساً"[١٣] ونحو نداء

([1]) البقرة:٩.
([2]) ينظر: ابن خالويه، المختصر في شواذّ القرآن، نشر: برجشتراسّر، المطبعة المدنيّة، مصر، ١٩٣٤م،٢.
([3]) البقرة:٢.
([4]) آل عمران:٢.
([5]) ينظر: المختصر في شواذّ القرآن، ١٩.
([6]) آل عمران:٣.
([7]) النساء:١٩.
([8]) ينظر: العكبريّ، أبو البقاء، إعراب القراءات الشّواذّ، تح:محمّد السّيّد أحمد عزّوز، ط١،عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ج٣٧٧/١
([9]) ينظر: سيبويه، الكتاب، تح:عبد السلام هارون، ط١، دارالجيل، بيروت، ١٩٦٦م، ج٢٦/١.
([10]) العجّاج، الديوان، غير موجود في الديوان، الكتاب،ج٢٦/١.
([11]) الفرزدق، الديوان، تح:عبدالله الصّاوي، ط١،المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٤هـ -١٩٣٦م، ج٢١٦/١.
([12]) ينظر: المبرّد، أبو العباس، المقتضب، تح:محمد عبدالخالق عضيمة، ط٢، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج٥٥/٢، و ينظر: الدُّجنّي، عبد الفتّاح، ظاهرة الشّذوذ في النحو العربيّ، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٤م ١٥٢.
([13]) ينظر: الخصائص، ج٩٩/١-١٠٠، و ينظر: حسين، محمد الخضر،القياس في اللغة العربية،المكتبة السّلفية، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ٤١-٤٢.

المعرَّف بـــ (ال) في مثل: (ياالله، اغفرْ لنا) فهذا يُحْفَظ، ولا يجوز القياس عليه، فلا يجوز (يا الرّجلُ)[١]وهذا ليس ميداناً للبحث.

ويخرج من البحث ما جاء على لغة قبيلة، أو ماكان لبعض العرب دون غيرهم ممّـــا لا يصحّ القياس عليه.

فالجواز النحوي الذي يدرسه البحثُ، هو: "أحدُ الأحكام التي تَعتري وجوهَ الكلام، وطرقَ الانتحاء بها، وهو قَسيمُ الشُّذوذ، والامتناع، والاضطرار.

ومفهومُ الجواز إباحةُ النحويّ، أو الصّرفيّ، أو اللُّغوي بعامّة دون وجوب أو امتنـــاع، وهذا يقتضي ثنائية الوجوه أو تعدّدها في المسألة الواحدة خلاف الوجوب الـــذي يقتـــضي حصر المسألة في وجه واحد لا يتعدّاه. ومن أمثلة الجـــواز مـــا فـــي الفعـــل المـــضارع المعطوف على جواب الشرط من إمكان جزمه أو نصبه أو رفعه دون أن يمنع أيّاً من هذه الوجوهِ، وجهٌ آخر منها.

والجوازُ النحوي في عمومه كأيّ حكم من الأحكام مـــن حيـــثُ الإجمـــاعُ عليـــه، أو مخالفتُه"[٢].

إذاً، فهو الجواز النحوي الذي اطّرد في الاستعمال، وأقرّه النحـــاة، وجـــاز القيـــاس والتوليد عليه، وهو العربيّ الكثير، أو الجيِّد كتقديم المفعول به على الفاعل، نحو (ضـــربَ زيداً عبدُالله)[٣]، وتركِ المطابقة بين المتعاطفين في سياق النفي، نحو (ليس زيدٌ بجبانٍ ولا بخيلاً)[٤]، وزيادةِ الباء في المبتدأ(حسبُ)، نحو(حسبُكَ هذا، و بحسبِكَ هـــذا)[٥]، وتنـــازعِ

([1]) ينظر: ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، ١٦٤.
([2]) اللبدي، محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط٢، دارالفرقان، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،٥٩-٦٠.
([3]) ينظر: الكتاب، ج٣٤/١.
([4]) المصدر السابق: ج٦٦/١.
([5]) المصدر السابق: ج٦٧/١.

عاملين على معمول واحد، نحو (ضربني و ضربْتُ قومَكَ)[١]، وحذفِ الفعل بعـد أدوات التحضيض، نحو (ألا زيداً، و هلا زيداً)[٢].

فهو الجواز الذي يقوم على الدليل والقرينة[٣]، ويحتاج إلى التعليل؛ لأنه خروج مشروع على الأصل، وما جاء على الأصل لا يُعلَّل[٤]. وهو أحدُ أنماط ترشيد استعمال المباني النحوية[٥]، وهو التغيير المطّرِد عن الأصل، والذي خضع للاعتبارات الآتية:

١- الفائدة أو أمن اللّبس.

٢-الخضوع لقواعد معيّنة يَتمُّ هذا العدول، ويطَّرد في ضوئها.

٣-الإطار العامُّ لصناعة النحو كما يبدو من قواعد التوجيه. ويقتضي العدول أو التغيير عن الأصل أن يُسنَد بالتفسير والتعليل[٦].

ويرى البلاغيّون: "أنّ الصورة النحوية الصّحيحة، هي "الأصل" أو "مقتضى الظاهر"، أمّا الصورة البلاغية، فهي تجاوز للأصل، أو خروج على مقتضى الظاهر"[٧]. فالجواز النحوي في عُرْف البلاغة أحدُ أشكال الصورة البلاغية التي تركت الأصل، أو خرجت على ظاهر التعبير، أي القاعدة الأصل.

فالجواز النحوي الذي يدرسه البحث، هو التغيير عن الأصل المستعمل، وليس التغيير عن الأصل المفترض؛ لذلك لا يُعَدُّ الاستثناء النّاقص المنفيّ وأمثاله ميداناً للبحث.

ويتّضح ممّا سبق عرضُه، أنّ التغيير النحوي الجائز الذي يدرسه البحث، هو الذي اطّرد في الاستعمال، وأقرّه النحاة، وأجازوا القياس والتوليد عليه في ضوء قواعد

---

(1) المصدر السابق: ج١/٧٩-٨٠.
(2) المصدر السابق: ج١/٩٨.
(3) ينظر: القياس في اللغة العربية، ٨٨.
(4) ينظر:عبدالغني، أحمدعبدالعظيم، المصطلح النحوي، دارالثقافة، القاهرة،١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ١٤٣.
(5) ينظر: الأصول،٣٢٤ -٣٢٥.
(6) المصدر السابق: ١٣٠-١٣١.
(7) المعنى في البلاغة العربية،٩٠.

مضبوطة معلَّلة، بعيداً عن اللّبس، وهو ما قام على الدّليل والقرينة لِتحقيـق معنـى لا يحقّقه الأصل المستعمل.

والذي يتراءى لي أنّ العلاقة قائمة بين موضـوع البحـث والأسـلوبية الحديثـة، فالأسلوبية: "علمٌ ألسنيٌّ حديث يدرس القول، ومنه الأدبيَّ من زاوية تعبيريّته اللغويـة، أي يدرس المظهر الإفصاحيّ لظاهرة الخطاب اللغوي في الألفاظ والتراكيب النحوية، و صور البيان الـشعرية، والبنيـة التـي تـصير إليهـا، والفعـل الكلامـي الـذي وراءها٠٠٠ومن هنا بالتالي تُعرَّف الأسلوبية أيضاً بأنّها: دراسة طريقة التعبير عـن الفكر من خلال اللغة"(١)، والأسلوبية :"طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة فـي اختيـار الألفاظ، وتأليف الكلام، أو هي طريقة خلق الفكرة و توليدها، وإبرازها في الـصورة اللفظية المناسبة"(٢)، و الأسلوبية: "تعني الوصول إلى وصف وتقيـيم علمـيّ محـدَّد لجماليّات التعبير في مجال الدراسات الأدبية واللغوية على نحـو خـاص، ولا تكـاد تتعدّاها إلى غيرها من المجالات"(٣) و"الأسلوبية لا تتعامل مع كلّ تعبير، بل مع لـون معيَّن منه، وصل إلى درجة معيَّنة من الأداء الأدبيّ"(٤).

فالدراسة الأسلوبية تركّز على الظاهرة اللغوية وأسـس الجمـال فيهـا(٥)، وتتبـع خطوات الدراسة اللغوية(٦)، وتبدأ دراسة النّصّ الأدبيّ من ناحيته اللغوية؛ لاستكشاف جوانبه الأخرى(٧)، فالجانب اللغويُّ في النصّ الأدبيّ، هو مجال الأسلوبية(٨)، فالدّارس اللّغوي: "يدرس الأصوات والمفردات والتراكيب، و تدرس الأسلوبية العلاقـات بـين العناصر السابقة؛ للوقوف على القيم الفنية والجمالية من خلال التوجّه الخاصّ للظاهرة اللّغويّة"(٩)، فالمحلِّل الأسلوبيّ يفسّر صور التراكيب التي اختارهـا المـتكلم؛ لِيحقّـق

(1) ينظر: النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ٢٩٦.
(2) الخفاجي، عبد المنعم، وآخران، الأسلوبية و البيان العربي، ط١، الدارالمصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ٤٢.
(3) درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث، دارغريب، القاهرة، ١٩٩٨م، ٢٠.
(4) المصدر السابق:٢٠.
(5) ينظر: الجويني، مصطفى الصّاوي، المعاني علم الأسلوب، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندريّة،١٩٩٣م،٢٤٣.
(6) ينظر: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ١٩.
(7)المرجع السابق: ٣٨.
(8) ينظر: البحث الأسلوبي (تراث ومعاصرة)، ٣٣.
(9) البحث الأسلوبي، ٥٤.

الدرجة العليا من الاتّصال و الإيصال[١]، فهو يدرس في النّصّ المدروس كلَّ ما يتّصل بالمستوى اللغويّ، مفرداته، تراكيبه، ديباجته، سبكه، ثمّ ينتقل إلى المستوى الدّلالي، وعلى الخصوص البلاغيّ ..."[٢].

وتدرس الأسلوبية القواعد التحويلية التي نتجت عن القواعد الأصل الباطنيّة، أي تُسمِّي التركيب المحوّل تركيباً ظاهريّاً، نحو (كتبت بالقلم البنتُ)، والتركيبَ الأصل المحوّل عنه تركيباً باطنيّاً، نحو (كتبت البنتُ بالقلم)[٣]، وهي تدرس العلاقات التركيبية التي تخلقها الأدوات النحوية المتآلفة[٤]، وترصد حجم الجملة وطولها وترتيب عناصرها، والأدوات النحوية التي استعان بها المتكلم[٥].

والجواز النحوي الذي يدرسه البحثُ، ظاهرةٌ لغويّة محوّلة عن الأصل، ومغيَّرَة عنه تغييراً مشروعاً، ولا تتشكّل قيمته إلّا في التركيب. وإذا كان البحث يرصد هذه الظاهرة النحوية التركيبية، ويحلّلها، ويفسّرها، ويعلّلها، ويقف على المعاني، والإيحاءات و الدلالات التي تقف وراءها، ويدرسها في نصوص شعريّة، ويُزاوج بين الدراستين النحوية والبلاغية اللتين هما أحد أشكال الدراسة الأسلوبية- فإنّه ليس بعيداً في طبيعته وطريقته ومنهجه وروحه عن الأسلوبية الحديثة. ولاسيّما إذاعلمنا أنّ الأسلوبية، هذا العلم الجديد الذي أصبح الوريث الشّرعيّ لعلم البلاغة القديم، يقوم على: "دراسة النّصّ الأدبيّ على ثلاثة مسستويات لغويّة، هي التركيب والدّلالة والصوت، أي إنّه يدرس النّص على كافة مستوياته التعبيرية من أدناها وأبسطها إلى أبعدها وأعقدها، وهو يدرس دلالات الكلمات والجمل وطريقة تركيبها، كما يدرس المعنى الكلّي للنص..."[٦] وعلمنا أن الجواز النحوي في نظر الأسلوبية انزياح عمّا هو مألوف، والانزياح الأسلوبيّ الذي أحد أشكاله الجوازُ النحويُّ، هو: "استعمالُ

---

(1) المرجع السابق: ١١٥.
(2) النقد والأسلوبية: ١٧٣.
(3) ينظر: الخولي، محمد علي، دراسات لغوية، ط ١٩٩٨م، دار الفلاح، عمّان، ١٩٩٨م، ٥١،٥٤،٦٩.
(4) ينظر: عبدالمطلب، محمد، البلاغة و الأسلوبية، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م، ٤٨.
(5) المرجع السابق: ٢٠٦.
(6) سليمان،فتح الله، الأسلوبية (مدخل نظري و دراسة تطبيقيّة)، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م، ٦.

المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج بها عمّا هو معتادٌ ومألوف، بحيث يؤدّي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذبٍ وأسرٍ"[١].

وثمّة سببٌ جوهريٌّ أبعدني عن استخدام المصطلحات الأسلوبية الحديثة، وهو كثرة المصطلحات الدّالّة على معنى كلمة التغيير، فجاوزت الأربعين مصطلحاً، منها التجاوز والخطأ، والكسر، والانتهاك، والفضيحة، والشّذوذ[٢]، والجنون[٣]، والاختراع[٤]، والعدول[٥]، والتغيير[٦]، والانحراف، والتحريف[٧]، والخروج[٨]، واللحن[٩]. وقد اعتمدت المصطلحات النحوية العربية التي نضجت، واستقرّت، ونالت الإجماع والقبول، وهذا يدفع عن البحث الاضطرابَ، ويكسبه الوضوح والاستقرار.

---

(1) ويس، أحمد محمد، الانزياح في التراث النقديّ والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م، ٥.
(2) ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٥ م،٢٩وما بعدها.
(3) ينظر: فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصريّ، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت،٢٠٠٤ م،٨٢
(4) ينظر: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي: ٣٥.
(5) المرجع السابق: ٣٧.
(6) المرجع السابق: ٤٠.
(7) المرجع السابق: ٤٣.
(8) المرجع السابق: ٤٦.
(9) المرجع السابق: ٤٨.

الفصل الأوّل: الرتبة وترك المطابقة.

أ- الرتبة.

ب- ترك المطابقة.

أ– الرتبة.

تمهيد:

يتناول هذا الفصل أثر التغيير النحوي الجائز في المعنى في ظاهرتين من الظواهر النحوية العامة للتركيب، وهما الرتبة أو التقديم والتأخير، وتركُ المطابقة، ويبدأ بالرتبة. فالرتبة في اللغة هي المنزلة والمكانة، وفي الاصطلاح هي الترتيب الإعرابي لعناصر التركيب النحوي[١].

وقد أجاز النحاة والبلاغيون على حدٍّ سواء تغييرَ رتبة بعض العناصر النحوية بالتقديم و التأخير بحسب ما يقتضيه المعنى؛ لأنّ فوائده كثيرة، ومحاسنَه وفيرة، وغايتَه بعيدة، فهو ما يزال يكشف للمتكلم معاني بديعةً تُطرِب سامعه، وتجذبه إليه، وتربطه بالكلام المُلقَى على أسماعه ، وتُوصله إلى لطائفَ رقيقةٍ تأخذ بتلابيب عقله، وشغاف قلبه، فيرتاح سمعُ مخاطَبِه، وتهدأ نفسه، وقد تثور، وتنفعل، وقد يحرِّكها الشوقُ، ويعصف بها الحنين، وقد يُطرِق متأمِّلاً، ومستحسِناً ما أُلقِي عليه من الكلام شعراً كان أم نثراً، فإذا تمعَّن في الكلام، و تأمّل العبارة، وبحث في السبب، علِم أنّ ذلك سببُه تصرُّف المنشىء في الخطاب المُلقَى، في تغيير ترتيب عناصر التركيب عن الأصل الذي هُوَ لها في علم النحو، ولولا

---

(1) ينظر: معجم مصطلحات النحوالعربي، ٢٢٨-٢٢٩ .

تحويلُ اللفظِ عن مكانـــه الأصليّ الذي هُوَ لهُ، لَمَا تحقّقت هذه البلاغةُ، ولَمَـــا تولَّـــد هـــذا المعنى الجديدُ الّذي أيقظ الأذهان، وشـــدّ الأسماع، ولفت الانتبـــاه، وحـــرّك الأحاســـيس والمشاعر(١) .

والتقديم والتأخير أحدُ أساليب البلاغة، وسُلَّمٌ من سلالمها، وطريقٌ لطيف من طرقها، و مَرْقَىً من مراقيها إلى الفصاحة، وقد أجازه العرب والنحاةُ و البلاغيون، وطرقوا أبوابـــه، و فتحوها أمامهم، وأمام كلِّ متكلِّم باللغة العربية دلالةً على تمكُّنهم في الفصاحة، وتفنُّـــنهم في الوصول إليها بطرائقَ مختلفةٍ؛ ولاعتقادهم أنّ وَقْعَ الكلامِ في القلوب يكـــون أحـــسنَ، وتأثيرَهُ في العقول والنفوس أقوى، ومذاقَهُ أعذبُ عن طريق هذا التصرُّفِ(٢). وهـــو فـــنٌّ رفيعٌ يحتاج إلى بصيرة وفَهْمٍ ودراية وعناية بقواعد اللغة والمعنى المقصود، فليس لمتكلم أن يدَّعيه ادِّعاءً، أو يتملّقَهُ تملُّقاً، فهو من اختصاص أهل البصر بالتعبير الّذين وُهِبوا حظّاً وافراً من معرفة مواقع الكلام(٣). وهو قسمان، الأوّلُ تقديمُ المعمولِ على عاملـــه، نحـــوُ تقديم المفعول به على الفعل والخبر على المبتدأ، والثاني تقديمُ بعـــض المعمـــولات علـــى بعضها، نحوُ تقديم المفعول به على الفاعل، والظرف أو الجارّ والمجرور على المفعـــول به، أو على الفاعل(٤).

ويقسّمه آخرون إلى قسمين آخرين، الأوّلُ تقديمٌ على نيّة التأخير؛ لأنّ المتقدِّمَ والمتأخِّر يحافظ كلٌّ واحدٍ منهما على مكانته الإعرابية، فتظلُّ العلاقاتُ النحويّة بينهما كما هي قبـــل التغيير، نحوُ تقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول به على الفاعل، والثاني تقديمٌ ليست له نيّةُ التأخير؛ لأنّ المتقدِّمَ يَفقِد حكمَه الإعرابي الأصليّ، ويكون له إعرابٌ جديد فرضـــهُ عليـــه التغييرُ، نحوُ تقديم الفاعل على الفعل، فيترك الفاعليّة إلى الابتدائيّة(٥).

---

(1) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٠٦.
(2) ينظر: الزركشي، بدرالدّين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصريّة، بيروت ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، ج١٤٩/٣.
(3) ينظر: السامرائي، صالح فاضل، التعبيرالقرآني، ط١، دارالفجر، بغداد، العراق، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٥٨-٥٩ .
(4) ينظر: المرجع السابق: ٥٥.
(5) ينظر: أبوالفتوح، محمد حسين، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م، ٢٤٧.

ويتناول البحثُ التقديمَ والتأخير الذي أجازته القاعدة النحوية لا ما أوجبتــه، ولا يكــون تغييرُ الرتبةِ للعناصر النحوية اعتباطيّاً، فهو عمل مقصودٌ واعٍ يقتضيه غرضٌ بلاغيٌّ، أو داعٍ من دواعيها، و يكون في ضوء شروطٍ محدَّدة[١].

- شروطه وأغراضه:

الأصلُ في الكلام والتركيب أن يُوضَع كلُّ عنصر نحويٍّ في موضعه الأصل الذي هُــوَ له، فالمبتدأُ رتبتُــه قبل الخبر، ورتبةُ المفعول به الذي يتعدّى إليه الفعلُ بنفسه قبل رتبــة المفعول به الذي يتعدّى إليه بوساطة حرف الجرّ، ورتبةُ الفاعل قبل المفعول بــه، ورتبــةُ المفعول الثاني بعد الأوّل، فإذا وضع المتكلمُ العنصــــرَ النحويَّ في موضعه الــذي هُــوَ له، جرى على الأصل ، وإذا غيَّر الترتيبَ، دخل في باب التقديم والتأخير ما لم يكن ذلــك مُخِلاً بالمعنى، فإذا أصاب المعنى ضررٌ من تغيير الرتبة النحويّة للعنصر النحويّ، امتنــع على المتكلم وُلُوجُ هذا الباب، نحوُ قولك: (جاء رجلٌ من القرية) فهذا يحتمل أنّ مجيئه بدأ من القرية دون أن يكون من أهلها، ويحتمل أنّه من أهلها، و أنّ مجيئه بدأ منهــا. ومــن شروط استخدامه أن يُؤمَنَ اللبــــسُ، نحوُ: (ضربَ عيسى موسى) فعدَمُ أَمْنِ اللبس فــي مثل هذا التركيب لعدم وُضوح الحركة الإعرابية فــي آخر كلمتي (عيسى وموسى) يمنــع الإفادة من التقديم والتأخير[٢]. ويمتنع التقديم والتأخير إذا كان فيــه مخالفةٌ صريحةٌ لقاعدة نحويّة مقرَّرةٍ بناءً على ما استُنْبِط من كلام العرب الفصحاء، فلا يجوز تقــديم الــصلة أو جزء منها على الموصول الاسميّ أو الحرفيّ أو المصدريّ، ولا يجوز تقــديم التــابع أو شيء ممّا يتّصل به على المتبوع، ولا يجوز تقديم المضاف إليه ولا ما اتّصل بــه علــى المضاف، وغير ذلك من القواعد النحويّة المقرَّرّة[٣]. وكذلك إذا كان في الكــلام قــصرٌ، نحو(ما زيدٌ إلّا قائمٌ) فقد قصــــــرتَ الموصوف (زيدٌ) على صفة القيام دون غيرها مــن دون أن تمنع أحداً مشاركته في هذه الصفة، ولو قدَّمْتَ، فقلْت: (ما قائمٌ إلّــا زيــدٌ) قلبْــتَ

---

(1) ينظر: عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١٤٥،١٥٤.

(2) ينظر: السامرائي، صالح فاضل، الجملة العربية والمعنى تأليفها وأقسامها، ط٢، دار الفكر، عمّان، الأردن، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ٥٥-٥٦.

(3) ينظر:الجملة العربية و المعنى تأليفها وأقسامها، ٥٧-٦٥.

المعنى، فقصرْتَ صفة القيام على (زيد) من دون أنْ تُشركَ غيره فيهـــا[١]. ففـــي قولـــك الأوّل القيامُ لزيد ولغيره، وفي قولك الثاني القيامُ لزيد دون الآخرين.

فالتقديم والتأخير غرضُهُ المعنى، وهو معنىً جديد يُريده المتكلم، وهذا المعنى الجديـــد ليس محصوراً أو مقصوراً على معانٍ عدَّةٍ تُذكَرُ من دون التوسُّع فيها، فالغرضُ العامُّ له، هو الاهتمام بالمتقدِّم لأهميّتـــه، و يندرج تحته تحقيقُ التناسب؛ مراعاةً للفاصلة ولمـــشاكلة رؤوس الآي، نحوُ قولـــه تعـــالى:﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[٢] فقدَّم (إيّاه) على (تعبدون) للغرض المذكور، ومنه تعظـــيمُ المقـــدَّم والاهتمـــام بـــه، والدّلالةُ على أنّه أهمُّ من المؤخَّر، وهذا من عادة العرب الفصحاء، نحوُ قولـــه تعـــالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٣] فبدأ بالصلاة؛ لأنّها أهمّ، وقوله تعالى:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[٤]، وقوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[٥] فقـــدّم العبـــادة علـــى الاســـتعانة للاهتمام بها، ومنه لفتُ الخاطر إليه، وعقدُ الهمّة به وإرادةُ التبكيت والتعجيب مـــن حـــال المذكور، نحوُ تقديم المفعول الثاني على المفعول الأوّل في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ ﴾[٦] وقدّمه؛ لأنّه قصد توبيخهم ونفيَ كلِّ شريكٍ لله، وهذا أبلغ في حـــصوله، ومنـــه الاختصاص، نحوُ تقديم المفعول والخبر والظرف والجارّ والمجرور ونحوِها على الفعـــل العامل فيها، نحو قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ۝ ﴾[٧] أيْ نخصُّك بالعبادة، فلا نعبـــد غيـــرك[٨]. وقد يكون الغرضُ التشويقَ إلى المتأخِّـــر إذا كان المتقدِّمُ مُشعِراً بغرابته، نحوُ: (مـــشرقةٌ الشمسُ في الليل) عند رؤية فتاةٍ جميلة، أو تعجيلَ المســـرَّة للتفاؤل، نحوُ: (ناجحٌ محمـــدٌ) أو المساءةِ للتطيُّر، نحو: (راسبٌ محمدٌ) أو للإنكار والتعجُّب، كقوله تعـــالى:﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ٥٦.
(2) فصّلت، ٣٧.
(3) البقرة، ٤٣.
(4) التغابن، ١٢.
(5) الفاتحة، ٥
(6) الأنعام، ١٠٠.
(7) الفاتحة، ٥.
(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج٣/١٤٩-١٥١، ١٧٤.

أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[١] أو تقوية الحكم وتقريره، نحوُ قولك عن شخص كريم: (هو يعطي الجزيل) فأنت لا تريد أنّ غيره لا يعطي الجزيل، ولا تريد التعريض بغيره، ولكنك تقرّر في ذهن السامع وقوعَ الفعل من الفاعل، وتقوّيه عنده[٢]. وقد يكون غرضه العامُّ الاختصاصَ، وهذا لا يمنع أن يكون للافتخار والتباهي، نحو قولهم: (تميميٌّ أنا) بتقديم الخبر على المبتدأ، فالغرضُ من تركيب هذه الجملة، ليس الإخبارَ على أنّه من تميم، بل الافتخارُ بالانتساب إليها[٣]، أو للمدح والثناء أو الترحّم أو التعظيم أو التحقير أو غير ذلك من الأغراض، كقوله تعالى:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ ﴾[٤] فقدّم (نوحاً) للمدح والثناء؛ لأنّه هدى نوحاً وغيره، ونحو قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[٥] قدّم اليتيم و السائل للترحم عليهما أكثر؛ إذ لا يجوز قهرُهما و لا قهْرُ غيرهما[٦].

والخلاصة أنّ التغيير في رتبة العناصر النحوية بالتقديم والتأخير يجري في سياق يقتضيه المعنى الذي تُركَّب الألفاظُ من أجله في جملة، ويكون في ضوء القواعد النحوية المقرّرة بشكل واعٍ ومقصود من قبل المتكلم؛ لأنّ تأليف الجملة على الترتيب المعهود في علم النحو لا يؤدّي المعنى الذي يدور في ذهنه.

وليس للباحث- وهو يدرس هذه الظاهرة - أن يكتفي بالقول: إنّه قدّم هذه الكلمة وأخَّر تلك للعناية والاهتمام بها دون أن يوضِّحَ أسباب ذلك وأغراضه، فعليه أن يوضّح الفرق بين الاستخدام المعهود الذي هو الأصل، و بين الاستخدام الجديد الذي هو الفرع، و إلاّ كانت الدراسة ضرْباً من العبث ونوعاً من تعميم الأحكام التي لا تضع النّقاط على الحروف، وهو بذلك يساوي بين العبارات المختلفة ذات المعاني المتعدّدة المختلفة، ويُدخل

---

(1) مريم، ٤٦.
(2) ينظر:علم المعاني، ١٤٥-١٥٤.
(3) ينظر: السامرّائي، فاضل، معاني النحو، ط٣، دارالفكر، عمّان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١٣٩-١٤١.
(4) الأنعام، ٨٤.
(5) الضحى،٩-١٠.
(6) ينظر، ٥٥-٥٨.

الجملة أو النّص في دائرة الغموض والإبهام، وقد يزيده تعقيداً بدل أن يجلـوَه توضـيحاً، وبذلك يضيع التمايزُ بين الأساليب ، فلا نعرف الأسلوبَ العالي الرفيـع مـن الأسـلوب المهلهل الضّعيف؛ لأنّه بمقدور أيِّ شخصٍ أن يقول: إنّ عنايتي بهذه اللفظة هنا أكبر دون البصر بما يستحقُّه المقام، و ما يقتضيه السياق، وما يتطلبه المعنى[١].

١ – تقديم الخبر أو ما أصله الخبر:

الأصلُ أن يتقدّم المبتدأ أو ما أصله المبتدأ، ويتأخّر الخبر أو ما أصله الخبر، ويجـوز تغيير هذا الترتيب، فيتقدّم الخبر أو ما في حكمه، و يتأخّر المبتدأ أو ما في حكمـه، نحـو قولك: (منطلقٌ زيدٌ، وغلامٌ لك عبدُ الله، وظريفان أخواك، وحِـسانٌ قومُـكَ)[٢] فقـدّمْتَ الأخبار (منطلقٌ وغلامٌ وظريفان وحِسانٌ) والأصل فيها التأخير، وذلك من بـاب الجـواز الذي أباحته القاعدةُ النحويّة و الاستعمال اللغويُّ. وهذا التقديم والتأخير لا يكون اعتباطياً، فهو يتحقّقُ، و يجوز إذا كان الخبر اسماً نحو (قائمٌ زيدٌ، و تميميٌّ أنا) ونحو قوله تعـالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[٣] فقدّم الخبر (سواءٌ)على المبتدأ (أأنذرتهم) وهو مصدرٌ مؤوّل، أو شبهَ جملة، نحوُ قولك: (خلفَكَ زيدٌ)[٤]، أو كان جملةً اسميّة، نحـوُ (أبوه قائمٌ زيدٌ) والأصل (زيدٌ أبوه قائمٌ)[٥] أمّا إذا كان الخبرُ جملةً فعليّة، فقد امتنع؛ لأنـه يُوقِع في اللبس[٦]، ويجوز ذلك إذا كان المبتدأ معرفةً، و الخبرُ نكرةً، أو كانـا معـرفتين، وكان في الكلام ما يدفع الالتباس بينهما، نحوُ قولـك: (المنطلـقُ زيـدٌ) وأصـلُه (زيـدٌ المنطلقُ)، وقول أبي تمّام[٧]:

---

(1) ينظر: التعبير القرآني، ٥٨-٥٩.
(2) ينظر: المقتضب، ج٤/١٢٧، وابن السرّاج، أبوبكرالأصول في النحو، تح: عبد الجليل الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ج٤/٥٩، والعكبري، أبوالبقاءالمتّبَع في شرح اللمع، تح: عبد الحميد محمود الزّوّي، ط١، جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٤م،ج١/٢٣٧-٢٣٨، و ابن عصفورالإشبيليّ، شرح جمل الزجّاجي، تح: صاحب أبو جناح، ط١، مطبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان،١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج١/٣٦٠، و الغلاييني، مصططفى، جامع الدروس العربية، ط١٠، المطبعة العصريّة، بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ج٢/٢٧٠-٢٧١.
(3) يس،١٠.
(4) ينظر: المتبع في شرح اللمع، ج١/٢٣٧.
(5) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصّل، المجلس الأعلى للأزهر، عالم الكتب، بيروت، مطبعة المتنبي، القاهرة، بلا تاريخ، ج١/٩٢-٩٣.
(6) ينظر: الأصول في النحو، ج٤/٥٩.
(7) أبو تمّام، الديوان، شرح التبريزي، تح: محمد عبده عزّام، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م، ج٣/١٢٣.

لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعَابُهُ وأرْيُ الجَنَى اشْتارَتْهُ أَيْدٍ عَواسِلُ[١]

فــ (لعابُ) خبرٌ مقدَّم، و(لعابُه) مبتدأ مؤخَّر، وكلاهما معرفة[٢]، وجاز هذا التغييرُ بينهما؛ لأنّ اللّبس مأمون، والمعنى يتطلَّب ذلك، فهو يريد المبالغة، فقلب التشبيهَ، والأصلُ أن يشبِّه لعابَه بلعاب الأفاعي القاتلات، ولو فعل ذلك، لجَاء بالعبارة على ترتيبها الأصليّ النمطيّ، لكنَّه قصد التأثيرَ في السامع، والمبالغةَ في إظهار خطر الممدوح محمَّدِ بنِ عبد الملك الزّيّات، فغيَّر في مواضع العناصر النحويّة، فجاءت العبارةُ على ما هي عليه في البيت الشعريِّ، فأراد معنىً جديداً لا يظهر، ولا يتشكَّل عن طريق الترتيب النمطيِّ، وقولِ الفرزدق[٣]:

بَنُونَا بَنُو أَبْنَائِنَا و بَنَاتُنا بَنُوهُنَّ أبْناءُ الرِّجالِ الأَبَاعِدِ

فقدّم الخبر (بنونا) وأخّر المبتدأ (بنو)؛ لأنّ اللبس مأمونٌ، وكلاهما معرفةٌ، والأصل (بنو أبنائنا بنونا) فهو يريد أن يفيد أنّ منزلة أبناء الأبناء في المحبّة والعطف والحنان عند الأجداد بمنزلة الأبناء، أمّا أبناءُ البنات، فليس أمرُهمْ كذلك؛ لأنّ آباءَهم غُرباء. ولمّا كان المعنى واضحاً، قدّم وأخّر؛ ليكون ذلك الإخبارُ أبلغَ وآكَدَ وأقوى في النفس.

فإذا كان المبتدأ والخبر معرفتين، وقدّمْتَ الخبر، وأخَّرت المبتدأ، وقلْتَ: (المنطلقُ زيدٌ) فإنّ من تحدِّثه يكون في هذه الحالة على علم بحدث الانطلاق، لكنّه يجهل القائم به، و يكون الحدَثُ في الغالب أمامك وأمامه، و الفرقُ بينكما أنّك تعرف الحدث والقائم به، و مخاطبَك يعلم الحدث، ويجهل القائم به، ولو جئْتَ بالعبارة على ترتيبها الأصليِّ، وقلتَ: (زيدٌ المنطلقُ) عُرِفَ أنّ من تحدّثه خالي الذّهن، لا يعرف حدثَ الانطلاق، ولا مَنْ قام به، وهذه العبارةُ تُستخدَمُ إذا كان الحدثُ قد وقع، وانقضى[٤].

(1) يشبِّهُ مداد الممدوح بلعاب الأفاعي، ويُشبّهُ نفعَه بالعسل المتجمّع في الشُّورة (موضع العسل).
(2) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٨٦، وشرح المفصّل، ج٩٩/١.
(3) الديوان، ٢١٧.
(4) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٨٦.

ويجوز تقديمُ الخبر على المبتدأ سواءٌ أكان المبتدأ اسماً ظاهراً، نحوُ (قائمٌ زيدٌ) أم ضميراً منفصلاً، نحوُ (تميميٌّ أنا) أم مصدراً مؤوّلاً، نحوُ قوله تعالى: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[(١)]فكلٌّ ذلك أصلُهُ (زيدٌ قائمٌ، وأنا تميميٌّ، وأأنذرتهم أم لم تنذرهم سواءٌ عليهم)[(٢)].

ولابدَّ أن يكون هذا التغيير لمواضع العنصر النحويّ الخبرِ، وقرينه المبتدأ بالتقديم و التأخير لمعنىً قصده المتكلمُ، فهو ليس قائماً على الهوى والمزاج، وإلّا صار ضرباً من العبث الذي لا فائدة فيه، فإذا أراد المتكلمُ أن يقصر المبتدأ على الخبر، قدَّم الثاني على الأوّل، نحوُ (تميميٌّ أنا، وعربيٌّ أنا، ومسلمٌ أنا) وهو قد فعل ذلك؛ لأنّ مخاطَبَهُ متردِّدٌ في قبول الخبر؛ لأنّه يشكُّ فيه، فيريد المتكلمُ إقناعَه بمضمونِ الخبر، وانتسابِه إلى تميم دون غيرها، وإلى العربية والإسلام، وإثباتَه في ذهنه، فالمخاطَبُ في هذه الحالة ليس خاليَ الذّهنِ، ومن هنا احتاج المتكلم إلى هذا التغيير في رتبة العناصر النحويّة في الجملة الاسميّة[(٢)]. وقد يرغب المتكلم أن يُخصِّص الخبرَ بالمبتدأ، وينفيَه عن غيره، فيُقدِّم الخبر، و يُؤخِّر المبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ ﴾[(٤)] ويكون هذا إذا كان المتكلم متردِّداً في قبول الخبر، ويشكُّ في مضمونه، فلو جاء بالجملة على ترتيبها الأصليّ، وقال :"دينُكم لكم وديني لي" وقال: "الملكُ له والحمدُ له" احتمل هذا أنّ غيره يشركه في دينه، وأنّ الملك والحمد له من غير أن يمنع مانعٌ من أن يكون لغيره أيضاً، أمّا التقديم والتأخير، فقد نفى ذلك، ونقل الجملة من المعنى الاحتمالي المتعدِّد الدّلالات إلى المعنى القطعيِّ، فتقديمُ الخبر (له) في سورة التغابن حصر الملكيّةَ في الله تعالى، وخصّصها به، ونفاها عن غيره، وكذلك الحمدُ يكون له دون سواه[(٥)]. ويلجأ المتكلمُ إلى تقديم الخبر، وإلى تأخير المبتدأ، إذا أراد أن يُنبِّه المخاطَب

(1) يس، ١٠.
(2) ينظر: مفتاح العلوم، ١٥٨، والدّراية لقرَّاء النهاية، حاشية مفتاح العلوم، ١٤٢.
(3) الكافرون، ٦.
(4) التغابن، ١.
(5) ينظر: مفتاح العلوم: ١١٨، والجرجاني، محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبدالقادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ٧٨، و العاكوب، عيسى، المفصّل في علوم البلاغة، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ٢٠٤، ومعاني النحو: ج١/١٣٩-١٤٥.

من أوّل الأمر على أنّه خبرٌ للمبتدأ لا صفةٌ له، نحوُ قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[(١)] فقدّم الخبرَ شبهَ الجملةِ (لكم) وأخّر المبتدأ (مستقرٌّ)؛ ليدفع الالتباس بين معنَيَيْ الخبرية والوصفية، ويدفع الاحتمال عن إرادة المعنيين، وقول حسّان بن ثابت في مـــــدح الرسول (ص)[(٢)]:

لهُ هِمَمٌ لا مُنتهَى لِكِبَارِها　　　وهِمَّتُهُ الصُّغرى أَجَلُّ من الدَّهْرِ

فالغرضُ من تقديم الخبر (له) وتأخيرِ المبتدأ (هممٌ) الإفادةُ والتنبيهُ من أوّل الأمر أنّه خبر للمبتدأ (همـــمٌ) وليس صفةً[(٣)]، وهو بذلك يُبْعِدُ من الذهن التشتُّتَ، ويحصرُه فـــي معنـــىً واحد،و يحصر العلاقة بين هذيـــن العنصرين في الإسناديّة، ويُزيل احتمالَ التبعيّة.

ولعلَّ المتكلم أراد أن يُشوِّق السامعَ إلى المبتدأ، فيؤخِّره، ويقدّم خبـــره، ويُـــضمِّنه مـــا يُشوِّقُ

السامع إلـــى المبتدأ، ويرغِّبه في انتظاره وسماعه لِغَرابتـــه[(٤)] نحـــوُ قـــول أبـــي العـــلاء المعرّي[(٥)]:

وكالنّار الحياةُ فمِنْ رَمَادٍ　　　أواخرُها، وأوَّلُها دُخَانُ

فقدّم الخبرين (كالنّار ومن رماد) وأخَّر المبتدأين (الحياةُ وأواخرُها)؛ ليُشوّق السامع إلى المبتدأين؛ لغرابة الخبرين المسندِ إليهما، فمن المثير للعجب والغرابة والدّهـــشة أن تكـــون الحياة محرِقةً كالنار، ويكون آخرها هباءً منثوراً، وبقايا لا تثبتُ، وتتطايرُ، وتتفرَّقُ لِأوْهَى سببٍ كما هو حالُ الرّماد الذي تخلِّفه النّارُ.

(1) البقرة،٣٦.
(2) ابن ثابت، حسّان، الديوان، غير موجود في الديوان. علم المعاني: ١٥٢-١٥٤، و المفصل في علوم البلاغة، ٢٠٥.
(3) ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٨، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٠٥.
(4) ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٨، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٠٥.
(5) المعري، أبوالعلاء، الديوان، تح: شاكر شقير اللبناني، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٢.

وقد يكون الغرضُ منه التفاؤلَ بالخبر، إذا كان سماعُه يسُرُّ، ويُفرِحُ، نحوُ (ناجحٌ محمدٌ) فقدَّمْتَ الخبر (ناجحٌ)؛ لأنّ سماعه يسرُّ مَنْ تخاطبه[1]، أو التشاؤمَ منه، والتّطيّرَ به، أو المساءةَ بالمخاطَب والنكايةَ به إذا كان ينتظر خبراً سيِّئاً لا يريد وقوعَه، وأنت تريد النكاية به، فتقدِّم الخبر؛ لتزيد الإساءةَ إليه وقهرَه نحوُ (راسبٌ أنت، ومهزومٌ جيشُكم أمام جيشنا)[2].

ويجوز تقديمُ الخبر إذا قصد المتكلم الافتخارَ لا مجرَّدَ الإخبار، نحوُ (تميميٌّ أنا) فأنت لا تخبر عن انتسابك إلى تميم، وإنّما تفتخر بالانتساب إليها، ولولا تقديمُ الخبر (تميميٌّ) لَمَا أفدْتَ هذا المعنى[3]. وقد يكون تقديمُ الخبر ذا أغراض بلاغيّة متعدّدة، نحوُ قولك: (تميميٌّ أنا) تريد به دفع الشكِّ من ذهن مَنْ تخاطبه، وتفيده أنّك من هذه القبيلة دون سواها، وتريد الافتخار بانتسابك إليها، فأفدْتَ معاني القصر، والتخصيص والافتخار، والسِّياقُ هو الذي يُوضِّح ذلك، ويُعيِّنه، أو ينفيه.[4]

والأصلُ عدمُ تقديم خبر الأحرف المشبهة بالفعل على أسمائها، و أجازوا تقديمه إذا كان شبهَ جملة ظرفاً أو جارّاً ومجروراً، نحو (إنّ خلفك عمراً، و إنّ في الدار زيداً) ومنعوا تقديمه إذا كان اسماً؛ لأنّ الأحرف المشبهة بالفعل غيرُ متصرِّفةٍ، فليست لها قوّةُ الأفعال، وأجازوا تقديمه إذا كان شبه جملة؛ لأنّهم توسّعوا في الظروف والجارّ والمجرور

---

(1) ينظر: المفصل في علوم البلاغة، ٢٠٥.
(2) ينظر: المرجع السابق، ٢٠٦، و معاني النحو، ج١/١٣٩-١٤٥.
(3) ينظر: معاني النحو، ج١/١٣٩-١٤٥.
(4) *يجب تقديم المبتدأ في الحالات الآتية:١- إذا كان اسماً له صدر الكلام كأسماء الشرط و الاستفهام و (ما) التعجبية و (كم) الخبرية.
٢- إذا كان مشبَّهاً بالشرط كالأسماء الموصولة.
٣- إذا أُضيف إلى اسم له صدر الكلام، نحو (غلامُ مَنْ مجتهدٌ).
٤- إذا اقترن بلام الابتداء، نحو قوله تعالى: "لعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك".
٥- إذا كان المبتدأ والخبرنكرتين أو معرفتين،واللبس غير مأمون، نحو (أخوك عليٌّ).
٦-إذا كان المبتدأ محصوراً في الخبر، نحو (ما محمد إلاّ رسولٌ) حصر محمداً في صفة الرسالة.
*يجب تقديم الخبر على المبتدأ في الحالات الآتية:
١- إذا كان المبتدأ نكرة غير مفيدة والخبر شبه جملة. ٢- إذا كان الخبر اسم استفهام، نحو(كيف حالك؟) أو مضافاً إلى اسم استفهام نحو (ابنُ مَنْ أنت؟).٣- إذا كان الخبر شبه جملة، وفي المبتدأ ضمير يعود إليه. ٤- إذا كان الخبر محصوراً في المبتدأ، نحو قوله تعالى: "ما خالقٌ إلاّ الله" حصر صفة الخلق في الله تعالى.
*ينظر: جامع الدروس العربية، ج٢/٢٧٠-٢٧٢.

لكثرة الاستعمال؛ و لأنّ الحرف المشبه بالفعل لا يعمل في شبه الجملة[١]، قال ابن السرّاج:"ومن ذلك (إنّ وأخواتها) لا يجوز أن تُقدِّم عليهنّ ما عملن فيه، ولا يجوز أن تفرِّق بينهنّ وبين ما عملن فيه بفعل، ولا تقدّم أخبارهنّ على أسمائهنّ إلّا أن تكون الأخبار ظروفاً، فإذا كان الخبر ظرفاً، قلْتَ: إنّ في الدّار زيداً، وإنّ خلفك عمراً، والظروفُ يُتَّسَع فيهنّ خاصّةً، ولكنْ لا يجوز أن تُقدّم الظرف على (إنّ)"[٢].

وليس للمتكلم أن يقدّم خبرَ الحرف المشبه بالفعل عليه سواءٌ أكان اسماً أم شبه جملة؛ لأنه غير متصرِّفٍ، وعدمُ التصرف منعه قوَّةَ الفعل، وتقديمُهُ إذا كان شبهَ جملة على الاسم، لابدّ أن يكون لمعنىً يقصده المتكلمُ، فالقاعدةُ النحوية لم تجزْ تقديمَه في هذه الحالة لمجرَّد تغيير ترتيب العناصر النحوية في الجملة، وإنّما أباحته؛ لِتُمَكِّن المتكلمَ من معنىً يريده، ولا يمكنه الوصولُ إليه إذا جاء بالجملة الاسمية على ترتيبها المعهود، ويُمكِنُ أن يكونَ هذا المعنى أحدَ تلك المعاني التي ذُكِرتْ في تقديم الخبر على المبتدأ كالحصر والتخصيص و الافتخار والتشاؤم والتفاؤل، وغيرها من المعاني التي تخطر في ذهن المتكلم، وتجول في نفسه لحظةَ تأليف الكلامِ.

والأصلُ أن يليَ الفعلَ النّاقصَ اسمُه، ثمّ يجيء الخبرُ بعده[٣]، وتجيز القاعدةُ النحوية مخالفةَ هذا الترتيبِ الأصلِ وتغييرَه بالتقديم و التأخير، وتبديلَ مواضعِ العناصر النحوية فيه من دون تغيير العلاقات النحوية النمطية الشكلية بين المفردات التي تتركّب منها الجملةُ، فيجوز (كان أخاك عبدُ الله، و كان منطلقاً عبدُ الله، و ليس منطلقاً زيدٌ)[٤] والأصلُ (كان عبدُ الله أخاك، و كان عبدُ الله منطلقاً، و ليس زيدٌ منطلقاً) و يجوز ذلك سواءٌ أكان الخبرُ اسماً، نحوُ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] بتقديم الخبر (حقّاً) على

([1]) ينظر: المقتضب، ج١٠٩/٤، الأصول في النحو: ج٢٣١/٢. وينظر: المتبع في شرح اللمع، ج٢٧٨/١-٢٧٩، و شرح المفصل، ج١٠٣/١، و الأندلسي، أبو حيّان، ارتشاف الضّرَب من لسان العرب، تح: رمضان عبد التوّاب و رجب عثمان محمد، ط١، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٤١٨ هـ-١٩٩٨م، ج١٢٤٤/٣.

(2) الأصول في النحو، ج٢٣١/٢.

(3) ينظر: جامع الدروس العربية، ج٢٨٢/٢-٢٨٣، و معاني النحو، ج٢٢٤/١-٢٢٥.

(4) ينظر: الكتاب، ج٤٥/١، والمقتضب، ج٨٧/٤، والأصول، ج٨٦/١، و الزمخشري، محمود بن عمر، المفصّل في علم العربية، تح: سعيد محمود عقيّل، ط١، دارالجيل، بيروت،١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣م، ٣٤٧- ٣٤٨، و شرح المفصل، ج١١٢/٧-١١٣.

(5) الروم: ٤٧.

الاسم (نصرُ) أمْ شبهَ جملةٍ، نحوُ (كان خلفك زيدٌ، وليس في الدار عمروٌ)، وسواءٌ أكـان الخبر نكرةً، نحوُ قول الشاعر[١]:

لا طِيْبَ لِلْعَيْشِ ما دامتْ مُنَغَّصَةً   لَذَّاتُهُ بادِّكار الشَّيبِ والهَرَمِ

بتقديم الخبر (منغصةً) على الاسم (لذّاتُه)، أم كان معرفةً، نحو قولــه تعــالى:﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[٢] بتقديم الخبر (البرَّ) على الاسم (أن تولُّوا وجوهكم)، وسواءٌ أكان الاســم معرفة، نحو قوله تعالى: "وكــان حقّاً علينا نصرُ المؤمنين" أم مصدراً مؤوّلاً، نحو قولــه تعالى: "و ليس البرَّ أن تولّوا وجوهكم" أم نكرة، نحو قول الشاعر[٣]:

سَلِي إنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عنّا وعنْهم   فَلَيْسَ سَواءً عالمٌ وجَهُولُ

بتقديم الخبر (سواءً) على الاسم (عالمٌ).

ومنعوا تقديمَ الخبر إذا كان جملة فعلية[٤]. وإنّما أجازوا تقديم الخبر على الاسم في باب الفعل الناقص؛ لأنّه يشبه الفعلَ الحقيقيّ؛ ولأنّ خبره المنـصوب يـشبه مفعـولَ الفعـل الحقيقيّ، فحُمِل عليه في التقديم[٥] قال سيبويه: "وإن شئت قلـت: كـان أخـاك عبـدُ الله، فقدّمت، و أخّرتَ، كما فعلْتَ في (ضرب)؛ لأنّه فعلٌ مثلُه، و حال التقديم و التـأخير فيـه كحاله، إلّا أنّ

الفاعل و المفعول فيه لشيء واحد"[٦].

ويجوز تقديمُ خبر (كاد) و أخواتها على اسمها، فيتوسّط بينها وبين الاسم، نحو قولـك: (يكاد ينقضي الوقتُ، وطفق ينصرفون الناسُ)[٧] ويجوز كذلك تقديمُ خبـر (مـا) النافيـة

(1) مجهول. ينظر: شرح ابن عقيل، ج١/٢٧٤،و شرح الأشموني، ج١/٣٤٩.
(2) البقرة، ١٧٧.
(3)السّموْءَل، الديوان، تح: عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م، ١٤.
(4) ينظر:الأصول في النحو،ج١/٨٦.
(5) ينظر: الكتاب، ج١/٤٥-٤٧، و شرح المفصل، ج٧/٩٧.
(6) الكتاب، ج١/٤٥.
(7) ينظر: جامع الدروس العربية، ج٢/٢٩١.

العاملة عمل (ليس) على اسمها، وهذا التقديمُ والتأخيرُ يُفقِدُها عملَها، و يبقي لهـا معنـى النّفي فحسبُ، نحو (ما مسيءٌ مَنْ أعتَبَ)[١] والظنُّ أنّ تقديمه في باب (كاد) و(ما) النافيـة يدور في فلك معاني تقديمه في باب (كان) وأخواتها.

ويجوز تقديمُ الخبر على الأفعال الناقصة، ما عدا المبدوءة بـ (ما) النافيـة، أو (مـا) المصدريّة نحو (قائماً كان زيدٌ، وصاحيةً كانت السماءُ، و غزيراً أمسى المطـرُ) وإنّمـا أجازوا تقديمَه؛ لأنّ الفعل الناقص يُشْبِهُ الفعلَ الحقيقي، وخبره يشبه مفعولَـه، ومنعـوه إذا كان مسبوقاً بالنفي أو بالمصدرية؛ لأنّ التقديم يخرجه من حيّز النّفي والمـصدريّة، وهـذا غيرُ المقصود، فيضرُّ تقديمُه بالمعنى الأساسيّ[٢]. واختلفوا في تقديمه على (لـيس)؛ لأنّ تقديمه يخرجه من حيّز النفي، ولأن (ليس) فعل جامدٌ، ليست له قوّةُ الفعـل المتـصرف، وأجازه بعضُهم مستدِلّين بقوله تعـالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[٣] فـدلّ تقـديم معمول خبرها (يومَ) عليها على جواز ذلك[٤].

ويمتنع التقديمُ إذا كان الفعل مسبوقاً بأداة لا يجوز الفصلُ بينها وبين الفعـل كـأدوات الشرط أو أحرف النصب أو الجزم أو لام الابتداء؛ لأن ذلك يؤدّي إلى خرق قاعدة نحوية مقرَّرة، والخروج عليها خروجاً سافراً، فلا يجوز التقديم في نحو (يعجبني أنْ قائماً يكـونَ زيدٌ) لأنّ الخبر يفصل بين الحرف الناصب و منصوبه، وهذا لا تجيزه القاعدة، ولا يجوز (إنْ قائماً كان زيدٌ أكرمتُه) لأن الخبر يفصل بين أداة الشرط وفعل الشرط، وهذا لا تجيزه القاعدة، ولا يجوز (لَقائماً يكونَنَّ زيدٌ) لأن الخبر يفصل بين لام الابتداء والمضارع المؤكَّد به[٥]. فالتقديم الذي أجازته القاعدةُ النحوية في هذا الباب ينبغي ألّا يتعارض مـع قاعـدة نحوية أخرى مقرَّرَة؛ لأن التعارضَ يكون بين أصل وفَرْع، و الأصل أولى، ومـن هنـا امتنع تغيير التقديم والتأخير. ولا يذهبَنَّ الظَّنُّ أن التغيير النحويّ في هذا البـاب بالتقـديم

---

(1) المرجع السابق، ج٢/٢٩٦.
(2) ينظر: المفصل ،٣٤٧-٣٤٨، و المتبع في شرح اللمع، ج١/٢٦٣، و شرح المفصل، ج٧/١١٢-١١٣، و شرح جمل الزجاجي، ج١/٣٩٧، و الأنصاري، ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد عزّ الدين السعيدي، ط١، دارإحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ١٣٩.
(3) هود، ٨.
(4) ينظر: شرح المفصل، ج٧/١١٢-١١٣، و المتبع في شرح اللمع، ج١/٢٦٣.
(5) ينظر: المتبع في شرح اللمع، ج١/٣٩٧.

والتأخير، وإعادةِ توزيع العناصر النحويـــــة يكون لتغيير ترتيـــب الجملـــة أو التركيـــب فحسب، بل يكون لمعنىً يقصده المتكلم الذي يَعِي تماماً أنّ التركيب النمطـــيّ المعهـــود لا يحقِّق له غرضَه، ولا يشكِّل المعنى الذي يريده، وهو إذا أراد معنىً، و لم يُؤلِّف العبـــارة المناسبة التي تؤدِّيه، كان جهدُه سُدىً؛ لأنه ألَّف خطاباً عاجزاً عن حمل المعنى الذي شُكِّل من أجله، ويكون بذلك التغييرُ النحويُّ في هذا الباب الطريقَ إلى المعنى.

فإذا كان المتلقّي خاليَ الذهن من الخبر لا يعلمه، ولا يعرف وقوعه، ويجهـــل فاعلـــه، أورد المتكلمُ العبارةَ بترتيبها الطبيعيّ، فقال: (كان محمدٌ قائماً) وإذا قلـــت: (كـــان قائمـــاً محمدٌ) فقدّمت الخبرَ (قائماً) وأخّرتَ الاسمَ (محمدٌ) أفدْت عنايتك بالخبر واهتمامَـــك بـــه؛ لعلمك أنّ مَنْ تحدّثه ينتظره، و يترقّبه، و يتشوّق إليه؛ لأنه أولى من الاسم، و يكون هـــذا إذا كان الاسمُ (محمدٌ) مريضاً على سبيل المثال لا يستطيع القيام والوقوف، فتعجِّل بالخبر قبله لأغراض التفاؤل والاستبشار وتعجيل المسرّة، ومثلُه (كان نائماً خالدٌ) إذا كـــان قبـــل الخبر في حالة لا يستطيع النوم فيها.

أمّا إذا قدّمْت الخبر على الفعل الناقص، فقلت: (قائماً كان محمدٌ) كنتَ قـــد خصـــصْتَ الاسمَ (محمدٌ) بصفة القيام دون صفة أخرى، فأثبتَّ له هذه الصفةَ، ونفيتَ عنـــه الـــصّفات الأخرى؛ لأن مَنْ تحدّثه كان يظنُّ أنّ (محمدٌ) في حالة قعود أو غيرها(1)، فـــصحّحْتَ لـــه بتقديم الخبر وَهْمَهُ، وأزلْتَ شكَّهُ، ونقلْتَه مـــن الشكِّ إلى اليقين، ومن التخمين إلى الانقيـــاد و التسليم، ونقلت الجملةَ من الدّلالة الاحتمالية إلى الدلالة القطعية، يُضاف إلى ذلـــك كـــلُّ الأغراض التي يجوز تقديمُ الخبر على المبتدأ من أجلها.

ويدخل في هذا الباب تقديمُ معمول الخبر، إذْ أجازوا تقديمه على المبتدأ ســـواءٌ أكـــان الخبرُ جملةً فعلية، نحوُ (زيداً عمروٌ يضربُ) فـــ (زيـــداً) معمـــول لـــ (يـــضرب) و (يضرب) خبر للمبتدأ (عمروٌ) أم اسماً مـــشتقّاً نكـــرةً نحـــو (زيـــداً عمـــروٌ ضـــاربٌ)؛ لأنّ(ضارِبٌ) محمول على الفعل (يضرب) في المعنى والدلالة والزمن، ومنعوه إذا كـــان

---

(1) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٨٧-١٨٩، و معاني النحو، ج١/٢٢٤-٢٢٥، ٢٢٩.

الخبر معرَّفاً بـــ (ال) لأنّ المعمول يكون جزءاً من الصلة، ويمتنع أن يتقـــدّم شـــيءٌ مـــن جملة الصلة على الموصول [1].

ويجوز كذلك تقديم معمول خبر الحرف المشبه بالفعل إذا كان شبه جملة على اســـمه و خبره، نحو (إنَّ في الدار زيداً قائمٌ) فقدّم الجارّ والمجرور (في الدار) وهو معمولُ الخبـــرِ (قائمٌ) عليه وعلى اسمه (زيداً) ونحو (إنَّ اليومَ زيداً منطلقٌ) فـــالظرفُ (اليـــومَ) معمـــولٌ للخبر (منطلقٌ) فقُدِّم عليه و لى الاسم (زيداً)[2]، ومنه قول الشاعر[3]:

فلا تَلْحَنِي فيها فإنّ بِحُبِّها   أخاكَ مُصابُ الْقَلْبِ جَمٌّ بَلابِلُهْ

فقدّم الجارّ والمجرور (بحبّها) وهو معمول الخبر (مُصابُ) عليه وعلى الاسم (أخاك).

ويجوز تقديمُ معمول الخبر على الخبر نفسه سواءٌ أكان شبهَ جملة أم غير ذلـــك، فمـــن تقديم المعمول الظرف، نحو (إنك عندنا مقيمٌ) و من تقديم المعمولِ الجارِّ والمجرورِ، نحوُ (إنّك في المدرسة تتعلّم) ومن تقديم المعمولِ المفعولِ، نحو (إنّ سعيداً درسَه يكتب)[4].

ويجوز تقديمُ معمول خبر الفعل الناقص إذا كان شبهَ جملةٍ عليه وعلـــى الاســـم معـــاً؛ لاتِّساع العرب فيهما، نحو (كان في الدار زيدٌ قائماً، وكان يومَ الجمعة زيدٌ خارجاً) بتقـــديم الجارّ والمجرور (في الدار) وهو معمول الخبر (قائماً) عليه وعلى الاسم (زيـــدٌ) وبتقـــديم الظّرف (اليومَ) وهو معمول الخبر (خارجاً) عليه وعلى الاسم (زيدٌ)[5].

ويجوزُ تقديمُ المعمولِ شبهِ الجملة على الفعل الناقص مع عامله الخبرِ، نحوُ (في الدار قائماً كان زيدٌ) بتقديم الخبر (قائماً) ومعمولِه شبهِ الجملة (في الدار) على الفعـــل النـــاقص (كان)[6].

---

(1) ينظر: المقتضب، ج٤/١٦٤.
(2) المرجع السابق، ج٤/١٠٩، وارتشاف الضرَب، ج٣/١٢٤٤.
(3) غير معروف، و هو من الشواهد الخمسين التي لم يعرف قائلها في كتاب سيبويه، ج٢/١٣٣، و شرح الأشموني، ج١/٧٥.
(4) ينظر: جامع الدروس العربية، ج٢/٣٠٦.
(5) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ج١/٣٩٩، و أوضح المسالك، ١٣٩-١٤٠.
(6) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ج١/٤٠٠.

وأجاز ابن السرّاج والفارسيّ وابن عصفور تقدُّمَ معمول الخبر إذا كان شبهَ جملة على الاسم شريطة أن يتقدّم عاملُه الخبرُ معه، نحو (كان طعامَكَ آكلاً زيدٌ) بتقديم المفعول به (طعامَك) على الاسم (زيدٌ) لأن عاملَه الخبرَ تقدّم معه[١]، والظّاهرُ من قوله تعالى: ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾[٣] أنه يجوز تقديمُ معمول الخبر على الفعل الناقص، وإن لم يكن شبهَ جملة، فالمفعولُ به (أنفسَهم) معمولٌ للخبر (يظلمون) وقد تقدّم على (كان) الناقصة، والمفعولُ به (إيّاكم) معمول للخبر (يعبدون) وقد تقدّم عليه[٤]، والرّأيُ أنه جائز لوروده في القرآن الكريم الذي هو أوّل مصادر الاحتجاج في اللغة العربية، وهو الكلام العربيُّ الفصيح الذي لا لبس فيه، ولا شكَّ.

ويجوز تقديم معمول خبر (ما) النافيةِ العاملةِ عَمَلَ (ليس) على الخبر فقط، فيتوسّطُ بينه وبين الاسم دون أن يبطل تقدّمُه عَمَلَ (ما) النافية سواءٌ أكان ظرفاً أم جارّاً ومجروراً أم غيرهما نحو (ما أنا أمرَك عاصياً)[٥] بتقديم المفعول به (أمرَك) على عامله (عاصياً). وقد كثر في دواوين الشعراء الخمسة تقدّمُ الخبر أو ما أصله الخبرُ على المبتدأ أو ما أصلُه المبتدأُ، ومن ذلك قولُ البارودي[٦]:

قليلٌ مَنْ يَدومُ على الْوِدادِ   فلا تحفَلْ بقُرْبٍ أو بِعادِ

فالتعبيرُ النمطيُّ هو (مَنْ يدوم على الوداد قليلٌ) لكنّه غيّر رتبة الخبر (قليلٌ) فقدّمه على المبتدأ (مَنْ) وهذا جائز، وذلك لأنّه قصد زيادة الاهتمام به، فهو أهمُّ من المبتدأ، وهو من باب توكيد قلّة الذين يدومون على المحبّة والوداد، و يحافظون عليهما، فلو جاء بالعبارة نمطيّةً دونما تقديم أو تأخير، لمَا لفت الأنظار، وشدّ الأسماعَ إلى هذا المعنى الذي أراد ترسيخَه في الأذهان، فتقديمُ الخبر(قليلٌ)كأنّما يوحي أن الشاعر قد توصّل إلى هذه الحقيقة

(1) ينظر: أوضح المسالك، ١٤٠.
(2) الأعراف، ١٧٧.
(3) سبأ،٤٠.
(4) ينظر: جامع الدروس العربية، ج٢٨٣/٢.
(5) المرجع السابق، ج٢٦٩/٢.
(6) الديوان،ج٢٤٧/١.

بعد تجربة ومعاناة، وتقديمُ الخبر يوحي أنّ الشاعر يظنُّ أنّ مَنْ يوجِّه إليه هــذه العبــارة يشكُّ فيما يقول، أو يظنُّ خلاف ما يعتقده الشاعر، فأراد بهذا التقديم للخبر (قليلٌ) أن يزيل قناعة المخاطَب، ويفرضَ عليه قناعتَه، لاسيَّما أنه يقدِّم بهذه العبارة الاسمية معنىً متــردِّداً بين الناس في كلِّ مكان وزمان، وقوله يفتخر بنفسه(١):

زُرْقٌ حوافرُهُ، سُودٌ نواظرُهُ   خُضْرٌ جحافلُهُ، في خَلْقِهِ مَيَلُ

والأصل أن يقول: (حوافره زُرقٌ، ونواظره سودٌ، وجحافله خضرٌ) لكنّــه عــدلَ عــن التعبير النمطيّ؛ لأنه لَمَسَ فيه عائقاً أمام المعنى الذي يريده، فإيرادُ الأخبار (زرقٌ و سودٌ و خضرٌ) في أماكنها الطبيعية في التركيب يجعلها للشاعر و لغيره، و هو لا يريد ذلك، و إنّما يريد أن اتَّصاف الحوافر بالزُّرقة، والنواظر بالسّواد، والجحافل بالخــضرة لــه دون غيره، فتقديمُ الأخبار في هذه المواضع الثلاثة ثبَّتَ بهِ الشاعرُ نسبتها إليه، وقصرها عليه، ونفاها عن غيره، و هذا على سبيل الادِّعاء والمبالغة، فأدّى معنيين بعبارة واحدة، وهمــا الإثباتُ والنفي، وغدتِ العباراتُ ذاتَ دلالات قطعيّة بعيدة عــن الاحتماليّــة، فلمّــا كــان الشاعر في موضع الفخر بنفسه، أراد أن يسير المعنى الذي هو اتِّصافُ حوافره بالزرقــة، ونواظرِه بالسواد، وجحافلِه بالخضرة في اتّجاه واحد لا يدعُ للمتلقِّي خَياراً في أن يتوجّــه، أو أن يُخمِّن غيره، ولاسيّما إذا كان المتلقي يشكُّ في ذلك. وكأنّ الجمل الاســمية الــثلاث التي أوردها الشاعر في البيت السابق، والتي قدّم فيها الأخبارعلى المبتدآت ردٌّ على مَــنْ أنكر عليه ذلك، أوردٌّ على توقّعٍ من الشاعر أنه لابدّ من أن ينكر عليه أحدٌ ذلــك. و قــال أبو ماضي(٢):

قد سألْتُ البحرَ يوماً هل أنا يا بحرُ منكَــــا

هل صحيحٌ ما رَوَاهُ بعضُهمْ عنّي وعَنْكَا؟

---

(1) الديوان،ج١٥٩/٣.
(2) الديوان،١٥٧.

والأصل (هل ما رواه بعضُهم عنيّ وعنْكا صحيحٌ؟) لكنّه عَدَل عن التعبيــر النمطــي للجملة الاسمية، فأورد الخبرَ (صحيحٌ) قبل المبتدأ(ما) وهو تقديمٌ على نية التأخير، فغيّــر موضعَ الخبر ليكون أبلغ في نفيه؛ لأنّ التركيب تصدّره استفهامٌ بـــ (هلْ) والقصدُ منه نفيُ وقوع الخبر، فلو جاء الخبر (صحيحٌ) في موضعه النحويّ الذي هو لـــه فـــي التركيـــب، لاحتمل المعنى صحّةَ ما قاله بعضُهم عن البحر وعن الشاعر، وما نسبوه إليهما، ولمّا لـــم يكنْ ذلك في اعتقاد الشاعر ورأيه صحيحاً، أراد أن ينفيه نفياً قاطعاً ليس فيـــه أيُّ مجـــالٍ للشكّ والتخمين، فقدّم الخبر (صحيحٌ) ليبالغ في نفي صحّة ماحُكِي عنه وعن البحر. و قال بدر شاكر السيّاب(١):

يا ربِّ عَطْشَى نَحْنُ هاتِ المطرا

رَوِّ العَطاشَى منه، رَوِّ الشَّجَـــــرْ

فقدّم الخبرَ (عطشى) على المبتدأ (نحن) والأصل (نحن عطشى) من دون أن يلغي علاقـــة الإسناد القائمة بينهما، و قد قوّى بهذا التقديم للخبر علاقةَ الإسناد بينه وبين المبتدأ (نحن)، فالخبر (عطشى) يوضّح حالةً مؤلمة يعيشها المبتدأ (نحن) وهذه الحالةُ حلُّها بنزول المطر الذي يستدعي بالضرورة مناجاةَ الله تعالى، والتوسُّلَ إليه، فأعقبَ النداءَ (يـــا ربّ) الخبـــرَ (عطشى) لتسليط الضوء على حالة المبتدأ (نحن) لجلْب مزيدٍ من الاستعطاف والرحمة، و لإظهار مزيد من ألم الجماعة، وللتعجيل بفهْم حالتها بغيةَ التفاعل معها وإغاثتهـــا. فتقـــديم الخبر (عطشى) أوحى أن العطش بلغ بالمبتدأ (نحن) درجةً فاقت صبرَه، ولو أورده فـــي مكانه الطبيعي من التعبير، لأوْهَمَ أن حالة العطش التي تعـــاني منهـــا الجماعـــةُ طبيعيّـــةٌ مألوفة، وهذا ما لا يريده الشاعر. وقال السيّاب(٢):

أَقْوَى من الأسوار هذا الجوادْ

"أقوى جَوادُ الحُلُمِ الْأَشْهَبُ"

---

(1) الديوان،٢١٠.
(2) الديوان، ٢٣١.

لأنّ الحديدَ المُغْتَذِيَ بالحِدادْ
و انْخَذَلَ الموكــــــــبُ
جَيْكورُ ماضيكِ عـــــادْ.

أراد الشاعر أنْ يبيِّنَ قوّةَ جواد الحلم الذي عاد به إلى قريته جيكور، فشكّل جملة اســمية، جعل فيها (الجوادُ) مبتدأً، و(أقوى) – التي تبــيّن قــوّة الجــواد – خبــراً، والأصــلُ أن يقول:(هذا الجوادُ أَقْوَى من الأسوار) وهذا تركيبٌ نمطيٌّ رُتِّبَتْ فيــه العناصــرُ النّحويــة ترتيباً معهوداً، و هو تركيب يُلقَى على متلقٍّ لا يشكُّ في اتّصاف الجواد بــالقوّة، كمــا أن إيراد الخبر (أقوى) في مكانه الطبيعيّ لا يُظهِر أنّ قوّة الجواد غيــرُ عاديّــة، فالترتيــبُ النمطيّ الطبيعيّ يؤدّي معنىً اعتيادياً مألوفاً، وهذا عكسُ ما يريده السيّاب، فلمّــا رأى أنّ الترتيبَ النمطيّ لعنصري المبتدأ والخبر لا يفي بغرضه، ولا يؤدّي المعنى الذي يقــصد، قدّم الخبر (أقوى) على المبتدأ (الجوادُ) ونسب بذلك صفة القوّة إلى الجواد، وقصرها عليه دون غيره من الجياد على سبيل المبالغة والادّعاء. يُضاف إلى ذلك أنــه قــصد تــشويق المتلقي لمعرفة المبتدأ الذي له هذه القوة الخارقة التي لا تقف أمامها الأسوار، فلمّا قــال: (أقوى من الأسوار) توهّم أنّ سائلاً سأله: (مَنْ أقوى من الأسوار؟) فأجابه: (هذا الجوادُ).
وقال البارودي[١]:

لَكَ الجَمَالُ التِّمُّ دونَ الْوَرَى   ولَيْسَ لِلْبَدْرِ سِوَى رَوْنَقِ

فالمبتدأ (الجمالُ) حقّه النحويّ أن يكون قبل الخبر (لك) لأن الأصل (الجمالُ لــك) ولمّــا رأى البارودي أن إيراد الخبر في مكانه الطبيعي من التركيب لا يحصر صفةَ الجمال فيه، و لا يقصرها عليه، ولا يخصّه بها، وهو يريد كلَّ ذلك، قصد إلى تقديم الخبر (لك) علــى المبتدأ (الجمالُ) فلو قال: (الجمالُ لكَ) أفاد أن الجمال له ولغيره، وقد يكون له وحدَه، إلّــا أن هذا المعنى لا يكون واضحاً، فيغدو التركيبُ ذا معنىً احتماليّ، له اتّجاهان، ولَمّــا أراد

(1) الديوان،٣١١/٢.

أن يسير المعنى في اتّجاه واحد، قدّم الخبر (لكَ) على المبتدأ (الجمالُ). وقـال إيليّـا أبـو ماضي(١):

في قلبه نارُ الخليلِ، و إنَّما   في وَجْنَتَيْهِ أَدْمُعُ الخَنْسَاءِ

أراد الشاعر أن يصوّر معاناةَ الفقير، فشكّل جملتين اسميّتين، هما: (في قلبه نارُ الخليل، و في وجنتيه أدمعُ الخنساء) وفي كلتيهما قدّم الخبر على المبتدأ، فالمبتدأ (نارُ الخليل) حقُّـه أن يكون قبل الخبر (في قلبه) و كذلك المبتدأ (أدمعُ الخنساء) حقُّه أن يكون قبل الخبر (في وجنتيه) إلّا أن إيرادَ كلٍّ من الخبر والمبتدأ في مكانيهما بالترتيب النحوي المعهود يظلُّ به التركيبُ غُفلاً وعُطلاً من المعنى الذي قصده أبو ماضي، فالحالةُ التـي يعيـشها الفقيـرُ غريبةٌ غيرُ معتادة، فهو يشعر باحتراق قلبه، والدموعُ لا تكاد تنقطع من عينيه، فلـو أورد الخبرين (في قلبه، وفي وجنتيه) في مكانيهما الطبيعي بعد المبتدأ، لأوهَمَ أنّ حرقـة قلـب الفقير ممّا يعانيه عاديّةٌ، وأنّ بكاءَه كبكاء كلِّ الناس، وهذا التـصويرُ لا يجلـب الانتبـاه نحوه، ولا يحرِّك مشاعر المتلقّي نحوَ الفقير. يُضاف إلى ذلـك غرابـةُ المبتـدأين (نـارُ الخليل، وأدمعُ الخنساء) ففي تأخيرهما تشويقٌ للسامع إلى معرفتهما، فإذا عرفهما، قـرّتْ عينُه بهما، واستلذّ مسمعُه بسماعهما؛ لِمَا يجدُ من غرابة الإسناد، ودهشةِ الموقـف الـذي يعيشه الفقير، فكما أن المرءَ يستعظم النار التي أُلقِي فيها إبراهيمُ عليه السلام، ويـستعظم مصيبة الخنساء، ويعجب من بكائها غيرِ المنقطع، كذلك يستشعر هذه العواطفَ فـي هـذا الموقف، وكـلُّ ذلك سبيلُه تغييرُ ترتيبِ المبتدأ والخبر في التركيب. وقـال بـدر الـدين الحامد(٢):

لي المنابرُ أعلُوها فيغمُرُنـي   وَحْيٌ من الله فوقَ الشِّعْرِ والنَّغَمِ

فالشاعر في مقام الفخر بشعره وشاعريّته دون غيرهما، فجاء بالجملة الاسـميّة (لـي المنابرُ) ليُعبّر عن هذا المعنى، فقدّم الخبر (لي) على المبتدأ (المنابرُ) وإن كان الأصلُ أن

---

(1) الديوان،٨٨.
(2) الديوان،ج٢/٦١٠.

يبدأ تركيبه بالمبتدأ (المنابرُ) ويوليه الخبرَ (لي) لكنّه آثر طريقةً أخرى في التعبير بتغيير الرتبة دون إلغاء العلاقة الإسناديّة بين المبتدأ والخبر، وغرضُه أن يدَّعيَ اتّصافَهُ بالشاعريّة دون غيره، ويبالغَ في نسبة هذه الصفة إليه، وينفيها عن الآخرين، فهو يزعم أنّ اعتلاء منابر الشّعر مقصورةٌ عليه، و هو مختصٌّ بذلك لا غيرُه، فغدا تركيبُه (لي المنابرُ) ذا دلالة

قطعيّة ليس للمتلقّي إلّا أن يسلِّم بها. وقال أبو القاسم الشّابّيّ(1):

عَذْبةٌ أنتِ كالطُّفُولةِ كالأَحْلامِ كاللَّحْنِ كالصَّباحِ الْجَدِيدِ

والأصل (أنتِ عذبةٌ كالطفولة...) فالشاعر يشبّه مَنْ يتغزّل بها بالطفولة والأحلام و اللحن والصباح، والجامعُ بينها وبين ما شُبِّهتْ به صفةُ العُذوبةِ التي جعلها الشاعرُ خبراً في جملته الاسمية (عذبةٌ أنتِ كالطفولة...) فقدّم الخبر (عذبةٌ) على المبتدأ (أنتِ) ليزيد التشبيه بين طرفي التركيب قوّةً، وليفيد اتّصافَ مَنْ يتغزّل بها بهذه الصفة على وجه الكثرة، وربّما يدّعي أنّ صفة العذوبة ملازِمةٌ لها، ومقصورة عليها، وكأنَّه أمام مخاطَب يُنكر عليه هذا المعنى، وهذه النسبةَ القائمة بين المبتدأ (أنتِ) والخبر (عذبةٌ) فأراد بتقديم الخبر أن يؤكِّد معنى صفة العذوبة التي نسبها إلى المبتدأ (أنتِ) وقد يكون أراد أن يتلذّذ بذكر الخبر أوّلاً، و يُطرب المتلقّي بسماعه، لأنه ممّا يُستحَبُّ في النساء وجودُه. وقال أبو ماضي(2):

حَجَرٌ أغْبَرٌ أنا وحقيرٌ لا جَمَالاً لا حِكْمَةً لا مَضَاءَ

والأصل (أنا حجرٌ أغبرُ) فعدلَ عنه، وغيّر ترتيب الخبر (حجرٌ) والمبتدأ (أنا) فخرج من التركيب النمطي إلى تركيب جديد حلّ فيه كلٌّ من المبتدأ والخبر محلّ الآخر في ظاهر اللفظ مع الحفاظ على الرتبة الأصلية لكلٍّ منهما. وهذا العدولُ والتغييرُ بتقديم الخبر (حجرٌ) على المبتدأ (أنا) سببُه المعنى، فالشاعر يتحدَّث على لسان حجر قد استنطقَه،

(1) الديوان، ٢٧١.
(2) الديوان، ١٠٠.

وشخّصهُ، و جعله يحتقر نفسه، ويستصغرها، ولمّا أراد الإمعـانَ فـي هـذين المعنيـين والمبالغةَ فيهما، قدّم الخبر؛ لأنه ظنّ أن التعبير المعهود النمطيّ ليس الطريقةَ المُثلى التي تجلو المعنى الذي يقصد. وقال أبو ماضي [١] :

لا رُخَامٌ أَنَا، فأُنْحَتَ تِمْثا   لاً و لا صَخْرَةٌ تَكُونُ بِنَاءَ

فالعلاقةُ القائمة بين المبتدأ (أنا) و الخبر (رخامٌ) علاقةُ نفي، أيْ انقطاعُ صلةٍ، فالشاعر يتحدّث على لسان الحجر الذي ينفي اتّصافَه بالرُّخام، فلو أورد الخبر (رخامٌ) في موضعه النحويّ بعد المبتدأ، وقال: (أنا رخامٌ) كان نفيُهُ نمطيّاً لا يُقنع مَنْ يخاطبـه بانتفـاء هـذه الصفةِ عنه، فالمقامُ يحتاج إلى توكيد انتفاء العلاقة بين المبتدأ (أنا) والخبر (رخامٌ) وهـذا التوكيدُ سبيلُه تعبيرٌ جديد تقدّم فيه الخبرُ (رخامٌ) وتأخَّر المبتدأ (أنا) وبذلك جاء النفيُ على سبيل القطع ودفْعِ الاحتمالات. وقال البارودي[٢]:

فإنْ كانَ عِصْيَانَاً قِيَامِي فإنَّني   أَرَدْتُ بِعِصْيَاني إِطَاعَةَ خَالِقِي

والأصلُ أن يقول: (فإن كان قيامي عصياناً) لكنه قدّم خبر (كان)وهو (عـصياناً) علـى اسمه (قيامي) وبذلك خرج على رتبة الجملة، وذلك لمعنىً أراده، فهو في مقام النفي عـن نفسه تهمةَ العصيان المنسوبة إليه، والتي نُفِي بسببها، وهو لا يرى ثورتَه عـصياناً، بـل طاعةً لله تعالى؛ ولذلك ليس المهمُّ قيامَه، بل المهمُّ تفسيرُ معنى قيامه، فلمّا فُسِّر عـصياناً، كان ذلك غريباً ومستعجباً؛ لأنه لم يُفسَّر في الاتّجاه الصحيح، فنُقِـل مـن الطاعـة إلـى العصيان، فلمّا قدّم الخبرَ (عصياناً) وجعله في موضع الاسم بعد (كان) الناقصة مباشـرة، نفى عن قيامه صفةَ العصيان، وشكّك في العلاقة القائمة بين قيامه ووَصْـفِهِ بالعـصيان، لاسيّما أنه أورد ذلك في سياق الشرط بـ (إنْ) التي هي للشكّ، وهذا معنىً لا نجـده فـي التعبير الطبيعي (فإن كان قيامي عصياناً) لأنه يحتمل أن الشاعر يقبل بأن يكـون قيامُـه

---

(1) الديوان،١٠٠.
(2) الديوان،ج٣٥٩/٢.

عصياناً. فتقديمُ الخبرِ في هذا الموضع جعل الشاعر في موضع دفــاع، وإلّــا احتمــل أنْ يكون في موضع تسليم. وقال أبو ماضي(١):

قد كان طَيْشَاً هُيامي فيكِ بل نَزَقا　　　و كان حبُّكِ ضَعْفاً منكِ بل خَوَرا

فقدّم الخبرَ (طيشاً) وأخّر الاسمَ (هيامي) وإن كان حقُّ الخبر أن يأتي بعد الاســم فــي باب (كان) وأخواتها، وهذا التقديمُ غرضُه إفادةُ معنى التوكيد، وقَصْرُ الاسم (هيامي) على الخبر (طيشاً) فالشاعرُ يوضِّح حقيقة هيامه ببائعة الورود، وهو بذلك يزيل معنىً ما ظنّــه ثابتاً في نفسها وذهنها، أو أراد أن يخرج نفسَه من فكرة ألمّتْ به. فقــد أكّــد أبوماضــي بتقديمه الخبر (طيشاً) أنّ هيامه بالفتاة لا يتعدّى هذه الصفة،فصارت الدلالةُ قطعيّةً بعــد أن كانت احتماليّة، فلو قال: (قدكان هيامي طيشاً) لاحتمل اتّصافَ هيامه بها بالطيش وبغيره، وهو بذلك نفى، وأثبتَ بجملة واحدة. وقال بدر الدين الحامد(٢):

ومِنَ الْعَارِ أنْ يَكُونَ مُهاناً　　　وَطَنُ المرءِ و هْوَ في الْأَحْيَاءِ

والأصلُ (أن يكون وطنُ المرء مهاناً٠٠٠) فغيَّرَ توزيعَ العناصر النحوية في التركيب، فجعل الخبر (مهاناً) قبل الاسم (وطنُ) فقدّمه؛ ليزيد في إنكاره، فالشاعر يريــد أن يثبــتَ معنى أنَّ حياةَ الإنسان في وطن له مُهانٍ عارٌ عليه، ويريد توكيد هذا المعنى، فكان تقــديمُ الخبر (مُهاناً) سبيلَه إلى ذلك. وقال السيّاب(٣):

غَرِيْبَاً كُنْتُ حتّى حين أحلُمُ لسْتُ في جَيْكُورْ

و لا بغدادَ أَمْشي في صَحَارَى قَلْبي الْمَسْعُــورْ

يصوِّر الشاعر غربته في لندن، ويريد أن يخرج منها، فلا يستطيع ذلك حتّى في الحلــم و الخيال، فأراد أن يعبّر عن هذا الشعور الذي لا يفارقه، فشكّل عبارتَه (غريباً كنتُ) فقدّم الخبر (غريباً) على (كان) واسمها التاءِ المتحرّكة، وفي هذا التقديم توكيدٌ لغربته وشــعوره

---

(1) الديوان، ٣٦٩.
(2) الديوان، ج١/١٩١.
(3) الديوان، ٣٢٣.

بالوحدة والوحشة، فقد قَصَرَ بتقديم الخبر(غريباً) على (كان) حياتَه في لنـــدن علـــى هـــذا الشعور دون سواه، وكأنّ أحداً ما قد أنكر عليه ذلك، أو أراد أن يوهمه غير ذلك. فتقـــديمُ الخبر يُظهِر ارتباطَ الشاعرِ الوثيقَ بقريته جيكور، وبوطنـــه العـــراق، ويـــصوّر الـــشوقَ والحنين غيرَ المعتادين إلى جيكور والعراق . وهذه معـــانٍ ومـــشاعر وحـــالات يعجـــز التركيبُ النمطيُّ عن أدائها وتوضيحها. وقال السياب(١):

ينادي دون صوتٍ

"آهِ يا أمّي عرفتُ الجوعَ و الآلامَ والرُّعبا

ولم أعرِفْ من الدّنيا سوى أيّامِ أعيادِ

فتحتُ العينَ فيها من رُقادِي لم أجدْ ثَوْبَاً

جديداً أو نقوداً لامعاتٍ تَمْلأُ الجَيْبَا

لأن أبي فقيراً كان"

يا لكِ ثورةً تتأكَّلُ القَلْبَا

يصوّر الشاعرُ بؤسَه ومعاناته وشقاءه في بلده العراق منذ ولادته، ويعزو كلّ ذلك إلـــى فقر أبيه، فيشكّل تركيبه (لأن أبي فقيراً كان) الذي يفسِّر، ويبيِّن سببَ شقائه، فيقدّم الخبـــر (فقيراً) لأنه الأهمُّ، فهو محور كلّ حالات الحرمان التي عانى منها الشاعرُ، وتقديمُه يؤكِّد إلقاءَ مسؤوليّة ما عانى منه الشاعرُ، وما يعانيه على فقر أبيه دون الأسباب الأخرى. ولـــو جاء بالتعبير الطبيعيّ (كان أبي فقيراً) لَتشتَّتَ انتباهُ المتلقّي، وخمَّن أسباباً أخرى غير مـــا ذكرها الشاعر. وقال البارودي(٢):

(1) الديوان،٣٢٧.
(2) الديوان، ج١/٢١٥.

فمَنْ لقلبي بِظَبْيٍ وادٍ   بيْنَ وَشِيجِ الرِّمَاحِ يَعْدُو [١]

صَارَ بِحُكْمِ الْهَوَى مَلِيكِي   ومَا لِحُكْمِ الْهَوَى مَرَدُّ

والأصلُ (صار مليكي بحكم الهوى) لكنه عدَلَ عنه إلى تعبير جديد، قدّم فيه (بحكم الهوى) وهو خبر (صار) على الاسم (مليكي) لأنه محور التركيب، وفيه جلاءُ المعنى، و وضوحُ السبب الذي يريد الشاعر توضيحه، فحبيبتُه التي شبّهها بالظبي تحوّلتْ إلى شيء امتلكه الشاعر، فغدتْ حبيبتَه ليس طوعاً منها أو اختياراً من الشاعر، أو لأيِّ سببٍ آخر، فقد صارت مليكتَه؛ لأن الهوى قد حكم عليها بذلك. فالعلاقةُ الإسناديةُ القائمة بين الاسم (مليكي) والخبرِ (بحكم الهوى) خاصّةٌ ضيِّقةٌ تحتاج إلى قصر وتخصيص ودفْعٍ للاحتمالات الأخرى التي قد يذهب الذِّهنُ إليها إذا جاء التعبيرُ معهوداً. والسَّبيلُ إلى ذلك تعبيرٌ جديد تتغيّر فيه رتبةُ المبتدأ والخبر من دون إلغاءٍ لأيِّ علاقة نحوية في التركيب، بل إن تقديم الخبر (بحكم الهوى) قوّى، وأكّد العلاقاتِ النّحوية القائمة بين عناصر التركيب، فوثّق، وأكّد صلتَه بالاسم (مليكي). وقَصْرُ الاسم (مليكي)على الخبر (بحكم الهوى)في هذا السياق و المقام يزيد اطمئنانَ الشاعر؛ لأنه يضمن له خضوعَ حبيبته، وكأن حكم الهوى الذي قادها له، صار حارساً أميناً على علاقة الحبّ القائمة بينهما. وهذه معانٍ لا يؤدّيها التعبير النمطيّ (صار مليكي بحكم الهوى) وقال بدر الدين الحامد[٢]:

وصَارَ يَأْساً نَيْلُ الْأَمَانِي   حتّى طَلَبْنَا سُكْنى التُّرَابِ

فالشاعر يعبِّرُ عن حالة يأس يعيشها، وقد تحوّل إليها، فلمّا كان يأسُه شديداً، مبالَغاً فيه، قدّم (يأساً) وهو خبر (صار) على اسمه (نيلُ). وبتقديمه قطعَ الآمالَ، وجعل نيلَ الأماني مستحيلاً، وليس للمتلقّي أن يعتقد، وهو يسمع هذا التركيبَ، أنّ الشاعر لديه أدنى أملٍ في تحقيق شيءٍ يتمنّاه. وقال أبو القاسم الشابّي[٣]:

([1]) وشيجُ الرماح: الرماح المشتبكة، و يريد أنّ محبوبته في مَنَعَة من قومها.
(2) الديوان، ج١/٢١٥.
(3) الديوان، ج٢/٦٠١.

نَسَبي في غَرَامِهِ   نَسَباً صارَ مُعْرِقا

والأصل (صار نسباً معرقاً) وهذا تعبير نمطيٌّ يُستخدَم مع متلقٍّ خـالي الـذِّهن مـن مضمون ما يلقيه الشاعر، ولا يشكُّ فيما يقول. ويبدو أنّ الشاعر، وهو يتغـزّل بمحبوبتـه توقّع أن ينكر عليه أحدٌ العلاقةَ التي أقامها بين الاسم (نسبي) والخبر (نسباً) ولاسيّما أنـه تحوّل إلى هذه الحالة؛ ولذلك قدّم الخبرَ (نسباً) على الفعل الناقص (صار) توكيداً أن حالته مع محبوبته قد صارت إلى هذه الحال، وليس للمتلقّي أن ينكرها، بل عليه أن يقبل بـذلك، و يسلِّم، وهذا يُثبتُ صدق الشاعر في حبّه، ويؤكِّد شدّة تعلُّقه بمحبوبته، واتّحاده بها اتّحاداً معنويّاً. وهذه معانٍ لا يؤدّيها التعبير النمطيُّ (صار نسبي نسباً معرقاً في غرامه). وربّمـا أراد أن يظهر سروره، ويتلذّذ بذكر الخبر أوّلاً؛ لأنّ عاطفته نحو محبوبته قد وصلت إلـى هذه الحالة. وقال أبو ماضي(١):

تَجَلَّيْتَ فاسْوَدَّتْ وُجُوهٌ و أَسْفَرَتْ   وُجُوهٌ،و أَمْسَى غَانِمَاً كُلُّ غَارِمِ

يتحدّث الشاعر عن الدستور العثماني الذي أصبح بصدوره كلُّ غارمٍ مظلـومٍ غانمـاً، فقدّم (غانماً) وهو خبر (أمسى) على (كلُّ) وهو اسم (أمسى) وذلك؛ لأنـه المعنـى الـذي ينبغي التركيز عليه، فهو الحالة التي صار إليها الاسمُ بعد صُدور الدستور، وهو النتيجـةُ المبهِجَة التي أفرحَتِ الشاعرَ، فأراد بتقديم الخبر(غانماً) وإيلائه الفعل الناقص (أمسى) بدل الاسم أن يعجِّل فرحتَه ومسرّتَه، ويُظهِر تفاؤلَه بالحالة الجديدة، فالخبر (غانمـاً) صـورةٌ مضيئة جاءت بعد صورة مظلمة عانى منها الناسُ أشدَّ المعاناة؛ لذا من الأنـسب لنفـوس المستمعين أن يتقدم الخبر الذي يوضِّح، ويعبِّر عن الحالة الجديدة التـي صـاروا إليهـا، والشاعرُ واحدٌ منهم. يُضافُ إلى ذلك أن تقديم الخبر في هذا المقام دفاعٌ من الشاعر عـن الدستور، وتأييدٌ له، و دعوةٌ للتمسُّك به؛ لأنه غنيمةٌ لكلّ غارمٍ مظلـوم. وهـذه معـانٍ لا

(1) الديوان، ٥١٨.

يؤدّيها التعبير الطبيعيّ (أمسى كلُّ غارم غانماً) لأنه لا يجعل الدلالة قطعيّة، ويفتح باب الاحتمالات أمام المتلقّي. وقال البارودي[١]:

فليستْ بعارٍ صَبْوَةُ المَرْءِ ذِي الحِجَا   إذا سَلِمَتْ أَخْلاقُهُ مِنْ أَذَى الخَبْلِ[٢]

ينفي الشاعرُ أن يكون وقوعُ صاحب العقل في الحبّ عاراً، وأداتُه في هذا النفي (ليس) الناقصة التي قدّم خبرها (بعارٍ) على اسمها (صبوةُ) ففضّل تعبيراً جديداً غيَّرَ فيه ترتيبَ العناصر النحوية؛ لأنه أقوى في نفي العار عن صاحب الصبوة العاقل، فالعلاقةُ بين الاسم (صبوةُ) والخبر (عارٍ) علاقةٌ سلبيّة منفيّة، فلو أورد التعبير طبيعيّاً دون تقديم وتأخير، وقال: (فليست صبوةُ ذي الحجا بعارٍ) افتقد نفيُه القوّةَ التي اكتسبها من تقديم الخبر، وكأن الشاعر أمام منكرٍ هذه الحقيقة، فأراد أن يثبت المعنى بتعبير ليس للمتلقّي المنكرِ أن يردّه، أو يشكّ

فيه، أو يحمله على معنىً آخر؛ ولذلك قدّم الخبر (بعارٍ). وقال بدر الدّين الحامد[٣]:

يا فَرنسا ارْجِعِي فنَحْنُ وُقوفٌ   لَيْسَ هَيِّناً أن تَطْلُعِي ونَغِيبَا

ليس هيِّناً أنْ يُصبِحَ الْحُرُّ عَبْداً   في قُيودِ الأَذَى حَرِيباً سَلِيبَا

والأصل (ليس أن تطلعي ونغيب هيِّناً، وليس أن يصبح الحرُّ عبداً هيِّناً) لأن الاسمَ حقُّه بعد الفعل الناقص، والخبرَ حقُّه بعد الاسم، لكنه قدّم الخبر (هيِّناً) على الاسمين (أن تطلعي، وأن يصبح الحرُّ عبداً) وهما مصدران مؤوَّلان؛ ليكون نفْيُ الهوان عنهما آكَدَ. وقال البارودي[٤]:

فَعلامَ البكاءُ في إثْرِ دارٍ   بالرّزايا فِنَاؤُها مَشْحُونُ

---

(1) الديوان، ج٣/٧٧.
(2) الصَّبْوَةُ: الحنين إلى المحبوب، والحِجا: العقل والفِطنة، والخَبْلُ: الفساد.
(3) الديوان، ج١/١٠٥.
(4) الديوان، ج٤/١٢٢.

والأصلُ (فناؤُها مشحونٌ بالرزايا) فالجارّ والمجرور (بالرزايا) متعلّقان بالخبر المشتقّ (مشحون) وحقٌّ العامل أن يأتي قبل المعمول في التركيب، ولكنــه لــم يلتــزم الترتيــب الأصل، فقدّم الجارّ والمجرور (بالرزايا) على عامله الخبــر (مــشحونُ) وعلــى المبتــدأ (فناؤُها) معاً ليقصر الخبر على هذه الحالة، فليس للمتلقّي، وهو يقــرأ هــذه العبــارة، أو يسمعها، أن يخمِّن أن الدنيا مشحونة بغير الرزايا، وأن فناءها يكون بغيرها، وهذا التقــديمُ جعل دلالةَ التركيب قطعيّةً، والمعنى يسير في اتّجاه واحد، وسلب المتلقّي حريّــة اختيــار المعنى الذي قد يحصِّله، ولاسيّما إذا كان يشكّ في الحقيقة التي يدّعيها الشاعرُ. وقال أبــو ماضي(١):

و فوقَنا الأغْصَانُ مَعْقُودَةٌ ذَوَائِبٌ طَالَ تَدَلِّيها

فقدّم الظرفَ(فوقَ)على عامله الخبر المشتقّ (معقودةٌ) وعلى المبتدأ (الأغصانُ) لِيُفيد انعقادَ الأغصان فوقه وفوق محبوبته في الغابة التي التقيا فيها، وليؤكِّد هذا المعنى غيَّرَ ترتيــبَ العناصر النحوية وتوزيعها في التركيب، فقدّم الظرف (فوقنا) على عامله الخبر (معقودةٌ).

وقال أبو القاسم الشابّي(٢):

مِنْ لَظَى جَمْرِ خَدِّهِ كَبِدِي قَدْ تَحَرَّقَا

والأصل (كبدي قد تحرّقا من لظى···) فغيّر الترتيب، وقدّم الجارّ والمجــرور (مــن لظى) على عامله (قد تحرّقا) وهو خبر للمبتدأ (كبدي) وغرضُه التركيــزُ علــى الجــارّ والمجرور (من لظى) لأنه موضع الاهتمام، فهو يعلِّل سبب تحرُّقِ كبد الشاعر، ولمّا كــان غريباً أن يحترق كبدُ الشاعر من نار غير عاديّة، وهي جمرةُ خدّ المحبوب وحرارته، كان من الأنسب تقديمُ السبب، وهو الجارّ والمجرور (من لظى···) قبل عامله الخبر، وقبــل

(1) الديوان، ٦٤٩.
(2) الديوان، ١٢٨.

المبتدأ (كبدي) فالشاعر يعبِّر عن معنىً غير مألوف، ولا معتاد لدى المتلقّي؛ لذلك يحتاج إلى تعبير جديد يناسب المعنى، ويفجأ المتلقّي و يؤثِّر فيه أكثرَ. وقال البارودي(١):

لَيْتَ الشَّبابَ لَنَا يَعُودُ بِطِيبِهِ   ومِنَ السَّفاهِ طِلابُ عُمْرٍ قد مضَى

فقدّم الجارّ والمجرور (لنا) على عامله الخبر (يعود) وهو جملةٌ فعليّة، وجاء هذا التقديمُ في سياق التمنّي بـ (ليت) وقد أراد به أن يقصر عودةَ الشباب الطيِّبِ على المجرور (نا) دون غيره، وتقديمُهُ يجعل التمنّي بعودة الشباب إلى المجرور أقوى وآكدَ، ويُظْهِر رغبتَه الشديدة في حصول ذلك. وقال أبو ماضي(٢):

ما الْعُمْرُ؟ إنْ هُوَ كَالإناءِ و إنَّني   بالطَّيِّبِ الْغَالي مَلأْتُ إِنَائي

والأصلُ أن يذكر الجارّ والمجرور (بالطَّيِّب) بعد عامله (ملأتُ) وهو خبر للحرف المشبه بالفعل (إنّ) لكنّه عدل عن الأصل، وغيَّرَ بنيةَ التّركيب، فجاء بالجارّ والمجرور (بالطّيّب) قبل عاملِه الخبرِ (ملأتُ) متوسِّطاً بينه وبين الاسم ياءِ المتكلم؛ لتزداد عنايةُ المتلقي و اهتمامُه به كما ازدادتْ عناية الشاعر، فقد ملأَ الشاعرُ إناءه بالطَّيِّب، وهذا معنىً جديد لم يألفْه المتلقّي، ولم يعتدْ سماعَه، فقد اعتاد أن يُملَأ الإناءُ بالسائل؛ ولذا كان من الأنسب أن يتقدّم الجارّ والمجرور على عامله الخبر (ملأتُ). وتقديمُه يزيد توكيدَ اتّصافِ الاسمِ ياءِ المتكلم بخبره (ملأْتُ) الذي جاءتْ أهميّتُه وطرافتُه من معموله (بالطَّيِّب). وهذا التغييرُ ليس له أثرٌ في تغيير العلاقات النحويّة الداخليّة الشكليّة بين عناصر التركيب. وقال بدر الدين الحامد(٣):

يا جِيْرَةَ الْوَادِي يَكَادُ مِنَ الْأَسَى   يَدْمَى الْفُؤَادُ إذَا نَظَمْتُ قَصِيدَا

فحقُّ الجارّ والمجرور (من الأسى) أن يُذكَر بعد الفعل (يدمى) لأنه العامل فيه، والفعل (يدمى) مع فاعله (الفؤادُ) خبرٌ للفعل الناقص (يكاد) فقدّم الشاعرُ الجارّ والمجرور (من

(1) الديوان، ج٣٣/١.
(2) الديوان، ٩٣.
(3) الديوان، ج١٢٨/١.

الأسى) على عامله الخبر (يدمى الفؤادُ) لأنه سببُه، فقدّم بذلك السببَ على المسبَّب، و حصر وقوع الفعل (يدمى) من الفاعل (الفؤادُ) في سبب واحد لا يتعدّاه، وهو الأسى، وليس للمتلقّي بعد هذا التقديم أن يخمّن سبباً آخر، فنفى الأسبابَ الأخرى، وأثبتَ سبباً واحداً. و قال السيّاب(١):

وقَلْبٌ دَائِمُ الْهَيَمَانِ أَضْحَى   لِفَرْطِ الشَّوْقِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

فقدّم الجارّ والمجرور (لفرط) على عامله (يلتهبُ) وهو خبر للفعل الناقص (أضحى) و هو من باب تقديم العِلَّة على المعلول؛ كي تتركَّز الأنظارُ عليه دون سواه، فالدلالةُ صارت قطعيّةً بعد أن كانت احتماليّة في التركيب النمطي (أضحى يلتهبُ التهاباً لفرط الشوق) و المتلقي ليس له خَيارٌ سوى قبول هذا السببِ الذي قدّمه الشاعرُ لالتهاب قلبِه.

٢- تقديم المفعول به:

الأصل ُفي الجملة التي تحتوي مفعولاً به أن يُؤتَى بالفعل فالفاعل فالمفعول به(٢). و تجوز مخالفةُ هذا الترتيب، فيتقدّم المفعولُ به على الفاعل، نحو (ضرب عبدَ الله زيدٌ) و الأصلُ (ضرب زيدٌ عبدَ الله) وتغييرُ الرتبة للمفعول به بتقديمه على الفاعل لا يسلبهما الوظيفة النحوية الشكليّة والمعنويّة التي لهما، فيحافظ الفاعلُ على معنى الفاعليّة، والمفعولُ به على معنى المفعوليّة، فلا تتغيّرُ علاقتا الإسناد والتعدية في الجملة، وهو عربيٌّ جيّد و كثير(٣)، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾(٤) بتقديم المفعول به (آلَ) على الفاعل (النُّذُرُ)، وقول جرير(٥):

جَاءَ الخِلافةَ أو كانَتْ لَهُ قَدَراً   كَمَا أَتَى ربَّهُ مُوسَى على قَدَرِ

---

(1) الديوان، ٤٦٧.
(2) ينظر: جامع الدروس العربية، ج٦/٣، ومعاني النحو، ج٧٤/٢.
(3) ينظر: الكتاب، ج٣٤/١، والمقتضب، ج٩٥/٣-٩٦، والأصول في النحو، ج١٧٤/١، وشرح جمل الزجاجي، ج١٦٤/١، و شرح المفصل: ج٩٩/١، وأوضح المسالك، ٢٦٩.
(4) القمر، ٤١.
(5) جرير، الديوان، تح: محمد إسماعيل الصاوي، دار الأندلس، بيروت،١٣٥٣ هـ، ٢٧٥.

بتقديم المفعول به (ربَّه) على الفاعل (موسى).

ويجوز تقديمُ المفعول الثاني على نائب الفاعل كجواز تقديم المفعول به على الفاعل، نحوُ (كُسِي الثوبَ زيدٌ) وأصلُه (كُسِي زيدٌ الثوبَ) وجاز هذا التقديمُ قياساً على (ضرب عبدَ الله زيدٌ)[١]. ويجوز في هذا السياق تقديمُ المفعول الثاني على المفعول الأوّل، والأصلُ أن يُؤتَى بالمفعول الأوّل، فالثاني؛ لأنه في الأصل مبتدأٌ في باب (ظنّ) وفاعلٌ في المعنى في باب (أعطى) فيجوز (ظننْتُ زيداً أخاك، وأعطيْتُ درهماً زيداً) وأنت تريد (ظننْتُ أخاك زيداً، و أعطيْتُ زيداً درهماً)[٢].

ويجوز تقديمُ المفعول به على فعله المتصرِّف إذا كان مجرَّداً من العوامل، نحوُ (خالداً أعانَ محمدٌ) بتقديم المفعول به (خالداً) على فعله المتصرِّف المجرَّد من العوامل (أعان) و نحوُ قوله تعالى:﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[٣] بتقديم المفعول به (فريقاً) على فعله (كذّب) أو كان مسبوقاً بـ (قد) نحوُ (زيداً قد ضربْتُ، وزيداً قد أضربُ) أو مسبوقاً بـ (لن) نحو (زيداً لن أضربَ، وأمّا زيداً فلن أضرب) أو مسبوقاً بلام الأمر، نحوُ(زيداً لِيضربْ خالدٌ) قياساً على جواز تقديم معمول فعل الأمر عليه، أو مسبوقاً بـ (لم ولمّا)الجازمتين، نحوُ (زيداً

لم يضربْ عمروٌ، وزيداً لمّا يضربْ عمروٌ)[٤].

ويجوز تقديمُ المفعول الأول أو الثاني أو كليهما على فعل الظنّ، نحوُ (محمداً ظننْتُ قائماً) بتقديم المفعول الأوّل (محمداً) و (قائماً ظننْتُ محمداً) بتقديم المفعول الثاني (قائماً)

(1) ينظر: الكتاب، ج٤٢/١.
(2) ينظر: المقتضب، ج٩٥/٣-٩٦، والأصول في النحو، ج٢٤٦/٢، وجامع الدروس العربية، ج١٠/٣.
(3) البقرة، ٨٧.
(4) ينظر: الأصول في النحو، ج١٧٤/١، وارتشاف الضرَب، ج١٨٧٥/٤،١٦٤٥، ج٢٣٦٤/٥، وأوضح المسالك،٢٧٣، و جامع الدروس العربية، ج٦/٣.

و (محمداً قائماً ظننْتُ) بتقديم المفعولين[١]. ويجوز تقديمُ المفعول به على فعل القول المتضمِّن معنى الظنّ؛ ليكون فاصلاً بينه وبين الاستفهام[٢]، نحوُ قول الكُميت[٣]:

أجُهّالاً تقولُ بَنِي لُؤَيٍّ   لَعَمْرُ أَبِيكَ أمْ مُتَجَاهِلِينا

بتقديم المفعول به الثاني (جهّالاً) على الفعل (تقول) المتضمِّنِ معنى الظنِّ، والأصلُ (أتقولُ بني لؤيٍّ جُهّالاً).

ويجوز تقديمُ المفعول به في الحالات السابقة إذا كان اللبسُ مأموناً، والمعنى مفهوماً واضحاً، وليس في الكلام ثمّة ما يمنعُ تقديمه، وكان في الكلام دليلٌ لفظيٌّ أو معنويٌّ، فمن الدليل اللفظيّ دلالةُ حركة الإعراب عليه، نحوُ (ضرب زيداً عمرٌو) ففتحةُ (زيداً) دلالةٌ على مفعوليّته، وضمّةُ (عمرٌو) على فاعليّته، ومن الدليل المعنويّ، نحوُ (أكل كمّثرى موسى) فـ (كُمّثرى) مفعولٌ به، و(موسى) فاعلٌ؛ لأنه من غير المعقول من جهة المعنى والمنطق أن يكون العكسُ[٤].

ولا يُعدَل عن التعبير الطبيعيّ، ولا يكون تغييرُ مكان المفعول به في الجملة إلّا لغرض يقصدُه المتكلم، ومعنىً يريد إظهاره؛ لأنه يرى أن إيراد العبارة بترتيبها المعهود لا يحقِّقُ له غرضَه، وهو في اللغة عموماً يدور حول الاهتمام والعناية، قال سيبويه: "فإن قدّمْتَ المفعولَ، وأخّرْت الفاعلَ، جرى اللفظُ فيه كما جرى في الأوّل، وذلك قولُك: (ضرب زيداً عبدُ الله) لأنك إنّما أردْتَ به مؤخَّراً ما أردْت به مقدَّماً، ولم تُردْ أن تشغل الفعل بأوّلَ منه، وإنْ كان مؤخَّراً في اللفظ، فمن ثمّ كان حدُّ اللفظِ فيه مقدَّماً، وهو عربيٌّ جيِّدٌ كثير، كأنهم إنّما يقدِّمون الذي بيانُه أهمُّ، وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعاً يهمّانهم و يعنيانهم"[٥]. وموطنُ الاهتمام بالمفعول به وغرضُه يختلف بحسب المقام والسياق، فإذا كان المخاطَبُ خالي الذهن، ألْقى إليه المتكلمُ العبارةَ بترتيبها الطبيعيّ دون تقديم المفعول

---

(1) ينظر: معاني النحو، ج٢/٣٠.
(2) ينظر: الكتاب، ج١/١٢٣، و جامع الدروس العربية، ج٣/١١.
(3) الكميت، الديوان، تح: داوود سلّوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م، ج٣/٣٩.
(4) ينظر: الكتاب، ج١/١٢٣، وجامع الدروس، ج٣/١١.
(5) الكتاب، ج١/٣٤.

به، فقال: (أكرمَ خالدٌ سعيداً) أمّا إذا كانت غايةُ كلٍّ من المتكلم والمخاطَب متوجِّهــةً إلــى المفعول به؛ لأن أهميّته تفوقُ أهميّة الفاعل، فيتقدّمُ المفعولُ به على الفاعل، نحــوُ (أعــان خالداً محمدٌ) بتقديم المفعول به (خالداً) على الفاعل (محمدٌ) لأنه مدارُ العناية والاهتمام من المتكلم والمخاطَب اللذين يترقّبان حصول الإعانة لخالد دون أن يعنيهما الفاعــلُ، ومثلُــه قوله تعالى يُواسي المسلمين بعــد معركــة أحــد:﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾[١] فقدّم المفعول به (القومَ) على الفاعل (قرحٌ) لأنه يهمُّ المسلمين ويعنيهم، فلــيس المهمُّ بالنسبة للمسلمين وقوعُ القرح على أيٍّ كان، بل المهمُّ مَنْ أصاب، وهــم الأعــداءُ، وهذا يواسيهم، وكــذلك قولُــه تعــالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٢] بتقديم المفعول به (الذين كفروا) علــى الفاعــل (الملائكةُ) لأن السياق على الذين كفروا، و تغليظ عقوبة الكفر، وبيان عاقبة الكافرين[٣].

فالمتكلم لايهجر الترتيب الطبيعيّ للتركيب النحوي إلى تركيب جديد تُبيحُه لــه القاعــدةُ النحويةُ إلّا لمعنى مقصود، فهو يقدّم المفعولَ به على فعله إذا قــصد بــه التعجُّــبَ؛ لأن صدور الفعل من فاعل معيَّن ووقوعَهُ على المفعول به لم يكن متوقَّعاً، نحوُ (ديناراً أعطى خالدٌ) إذا كان فعل الإعطاء للدينار ليس معهوداً من خالد، كأن يكون أكبرَ من أن يعطيــه خالدٌ أو أقلَّ، وقد يريد المتكلم مدحَ المفعول به والثناءَ عليه، فيقدِّمه على فعله، نحو قولــه تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾[٤]فقدّم المفعــول به (نوحاً) على الفعل (هدينا) لأنه أراد مدحَه والثّناءَ عليه وإظهارَ منزلتــه، وقــد يقدّمــه للعناية و الاهتمام به، كقوله تعالى:﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[٥] بتقديم المفعول به (ثيابَ) على فعلــه (طهِّرْ) أو للحذر منه، نحو قوله تعالى:﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[٦] بتقديم المفعول به (الرجزَ) على

---

(1) آل عمران، ١٤٠.
(2) الأنفال، ٥٠.
(3) ينظر: معاني النحو، ج٢/٤٧-٥١.
(4) الأنعام، ٨٤.
(5) المدّثر، ٤.
(6) المدّثر، ٥.

فعله (اهجرْ) أو للتوجيه والإرشاد، كقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[1] أو للتخصيص والقصر إذا كان المخاطَب يظنُّ أن الفعل من الفاعل يمكن أن يقع على كلِّ مفعول، نحوُ قولك: (خالداً أعان محمدٌ) إذا كان من تحدّثه يظنّ أن فعل الإعانة من محمد وقع لخالد ولغيره، فقدّمْتَ المفعول به (خالداً) لتفيده أن فعل الإعانة من محمد لخالد دون غيره، وبذلك نقلتَ الجملةَ من الدّلالة الاحتمالية إلى الدّلالة القطعية، ومثلُه (محمداً أكرمْ) إذا أردْتَ أن تخصَّ محمداً بالإكرام دون سواه. وقد يتقدم المفعول به لغرض التقرير ودفع الخطأ، نحو (زيداً عرفْتُ) لمَنِ اعتقد أنك عرفت إنساناً غيرَ زيدٍ، فقدمْتَ المفعولَ به (زيداً) لإزالة خطئه، وتقريرِ الصَّحيحِ في ذهنه[2]، فالعبارةُ الواحدة يختلف معناها بحسب ترتيب عناصرها النحوية، فإذا كان مخاطَبُك خالي الذهن من الخبر ومضمون الجملة، أوردْتَها له بترتيبها الطبيعي، فقلتَ: (أطعمَ محمدٌ خالداً خبزاً) وإذا كان مخاطبُك يعلم وقوعَ الفعل في نحو العبارة السابقة، ويعلم مفعوليه، ويشكّ في الفاعل، قدّمْت الفاعلَ على الفعل لِتُقرِّر الفاعلَ في ذهنه، فقلتَ: (خالدٌ أطعمَ محمداً خبزاً) و إذا كان يعلم وقوعَ الفعل، وفاعلَه، وأن الإطعام من الفاعل (خالدٌ) للمفعول به (محمداً) لكنه يجهل نوعَ المطعوم، قدّمْتَ المفعول الثاني على الفعل، فقلت: (خبزاً أطعم خالدٌ محمداً) و كأنّك تجيب على سؤال مقدّر: (ماذا أطعم خالدٌ محمداً؟) وإذا كان يعلم وقوعَ الفعل وفاعلَه و مفعولَه الثاني، ولا يعلم على مَنْ وقع الفعلُ، أيْ لا يعرف إطعامَ الخبز من خالد إلى مَنْ توجّه، ووقع، قدَّمتَ المفعول الأول على الفعل فقلت: (محمداً أطعم خالدٌ خبزاً) وكأنك تجيبه عن سؤال مقدَّر: (مَنْ أطعم خالدٌ خبزاً؟) وإذا كان المخاطب يعلم وقوعَ فعلِ الإطعام وفاعلَه (خالدٌ) ويجهل المفعولين، أيْ نوعَ المطعومِ و المطعَم، قدّمتَ المفعولين، وقلت: (محمداً خبزاً أطعم خالدٌ) وهذا في التقدير جوابٌ عن سؤالين، هما: (مَنْ أطعم خالدٌ؟ و ماذا أطعمه؟) و إذا كان المخاطبُ يعلم وقوعَ فعل الإطعام ونوعَ المطعوم، ويجهل الفاعلَ المُطْعِمَ والمفعولَ به المطعَمَ، قدّمتهما، وقلت: (خالدٌ خبزاً أطعم محمداً) لأنه يريد معرفتهما، وهذا

---

(1) الضحى، ٩.
(2) ينظر: معاني النحو، ج٢/٥١ ، ٧٤-٧٧.

جواب عن سؤالين مقدَّرَين، هما: (مَنْ أطعم محمداً؟ وماذا أطعمه؟) وإذا كان المخاطب يعلم وقوع فعل الإطعام، ويجهل فاعلَه المطعِم ومفعوليه المطعَم ونوع المطعوم، قدّمْت كلَّ ذلك على الفعل، فقلت: (خالدٌ محمداً خبزاً أطعم) وهذا جواب عن ثلاثة أسئلة مقدَّرَة، هي: (مَنِ المطعِمُ؟ و مَنِ المطعَمُ؟ وماذا أطعمه؟) أمّا إذا قلت: (أطعم محمداً خبزاً خالدٌ) بتقديم المفعولين على الفاعل، فقد أفدْتَ أن سامعك يعلم أنه ليس من شأن (خالدٌ) أن يطعم (محمداً) وإذا قلت: (أطعم خبزاً خالدٌ محمداً) أفدْتَ أن سامعك يعلم أنه من عادة (خالد) أن يطعم (محمداً) إلّا أنّه ليس من عادته أن يطعمه خبزاً، فقدّمت المفعول الثاني على الفاعل؛ لِتشدَّ الانتباهَ إليه مستغرِباً لأنّ محمداً لا يحتاج إلى الخبز، وإنّما يحتاج إلى غيره(١).

والنتيجةُ أن تغيير الصياغة يتبعه تغييرٌ في المعنى العامّ الذي يتّجه إلى التخصيص و التحديد، وأنه يستحيل ويمتنع عقلاً أن يكون لجملتين مختلفتين في التركيب وفي ترتيب العناصر النحوية وتوزيعها دلالةٌ واحدة(٢). ويظهر دور المخاطب في تشكيل الجملة، و العلاقةِ الوثيقةِ بينه وبين المتكلم، فالمبدِعُ لا يشكِّل خطابه دون أن يأخذ في تصوّره حالةَ مَنْ يخاطبه، بل يراعي حالتَه كلَّ المراعاة؛ لأنه يعلم أن كلامه يبقى بلا قيمة إذا لم يفهمْه المخاطَبُ، ولم يُلَبِّ حاجتَه.

والأمرُ ذاتُه في السؤال، فإذا شكّ المخاطب في الفاعل، قُدِّم على الفعل، وإذا شكّ في المفعول به، قُدِّم على الفعل، نحو (أزيداً ضربت؟) إذا علمت أنه ضرب شخصاً ما، لكنك تشكّ أن يقع الضربُ منه على (زيد) وقد تريد إنكار وقوع الفعل من الفاعل على مفعول معيَّن بعينه، فتقدّمه، نحو قولك: (أزيداً ضربت؟) فأنت لا تنكر وقوع الضرب من الفاعل، لكنك تنكر وقوعه على المفعول به (زيداً) ولهذا المعنى قدّمته، وأوليْته همزةَ الاستفهام، و كذلك الأمرُ في بقيّة المعاني والأغراض التي يخرج إليها الاستفهام(٣). فإيلاءُ الفعل همزةَ الاستفهام يفيد الشكّ في وقوع الفعل من الفاعل أو نفيَه أو إنكارَه أو التعجُّبَ

---

(1) ينظر: الجملة العربية والمعنى، ٥٦-٥٨، ومعاني النحو، ج٢/٣٠.
(2) ينظر: البلاغة والأسلوبية، ٢٦٥.
(3) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح:ياسين الأيوبيّ، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م ،١٥٨، و الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ١٠٤، و مفتاح العلوم، ١٧٠.

منه على وجه الإطلاق، أمّا إذا أوليْتَها المفعولَ به، فقد أفدْتَ أنك تشكّ في وقوع الفعل من الفاعل على المفعول المتقدِّم على وجه التخصيص والتحديد والحصْر، والشّأنُ ذاتُهُ في بقيّة الأغراض و المعاني.

وإذا أراد المتكلمُ أن ينفي وقوع الفعل من الفاعل على مفعول معيَّن، جاء بالمفعول بــه قبل الفعل بينه وبين أداة النفي، نحوُ (ما زيداً ضربْتُ) فأنت تنفي وقوع الضربِ منك على المفعول (زيداً) ولا تنفي وقوعَه على غيره، فالنفيُ ليس على سبيل الإطلاق، وهذا يختلف في معناه عن (ما ضربتُ زيداً) لأنك تنفي ضرْبَك زيــداً مــن دون أن تثبــت، أو تنفــي ضربَك غيرَه، وأبقيت المعنى على الغموض والاحتمال، أمّا بتقديم المفعول به على الفعل، فقد نفيتَ، وأثبتَّ بآنٍ واحد فأدَّيْتَ معنيَيْن بعبارة واحدة، و نقلــت الجملــة مــن الدلالــة الاحتماليّة إلى الدلالة القطعيّة.(١)وقد كثُرَتْ في دواوين الشّعراء الخمسةِ المواضعُ التي قُدِّمَ فيها المفعولُ به على الفاعل، وعليه وعلى الفعل معاً. قال البارودي(٢):

واخْتَبِرْني تَجِدْ صَدِيقاً حَميماً لم تُغيِّرْ وِدادَهُ الأهْواءُ

والأصلُ أن يأتي بالفاعل (الأهواءُ) بعد الفعل المنفيّ (لم تغيّــر) لكنــه تــركَ الأصــلَ المعهود، وعدلَ إلى تعبير جديد قدّم فيه المفعول به (ودادَه) على الفاعل (الأهــواءُ) مــع الحفاظ على الرتبة المعنويّة لكلّ منهما، ودون تغيير لأيِّ علاقة نحويّــة فــي التركيــب. فالشاعرُ في مقام ينفي فيه أن تُغيِّرَ الأهواءُ ودادَهُ ومحبّته لصديقه، فلمّا أراد توكيــدَ هــذا النفيِ، قدّم المفعولَ به. وتقديمُه دلالةٌ على ثبات الشاعر وإخلاصِه لصديقه، ودفعٌ لتــأثير الأهواء على وداده، وقد استغنى بهذا التقديمِ عن استخدام أدوات التوكيد اللفظيّــة، ونفــى وقــوعَ فعل التغيير من الأهواء على وداده لصديقه نفْياً قطعيّاً دون أن يدعَ مجالاً للشكّ و

(1) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٢٤-١٢٧، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٣٣، و معاني النحو، ج٢/٧٤-٧٧، ج٤/١٩٠-١٩١.
*للاستزادة في أغراض تقديم المفعول به ينظر: مفتاح العلوم، ١٢٥، و الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٨٥-٨٧، و الدِّراية لِقرَّاء النّهاية، ١٤٤، و علم المعاني، ١٥٥، والمفصّل في علوم البلاغة، ٢٢٠-٢٢١.
(2) الديوان: ج١/٢٨.

الاحتمال. وهذا أدعى للاطمئنان وإزالة الشكّ عن المتلقّي الذي كان يظنّ غير ذلك، وهذه معانٍ لا يؤدّيها التعبير الطبيعيّ (لم تغيّر الأهواءُ ودادَهُ). وقال أبو ماضي[١]:

ذَبَحَتْ أفراحَهم في لَمْحَةٍ   قوّةٌ تَجْني ولا تَعْتَذِرُ

والأصل (ذبحَتْ قوّةٌ أفراحَهم...) فقدّم المفعولَ به (أفراحَهم) على الفاعل (قــوّةٌ)لأن اللبسَ مأمون، والمعنى العامّ مفهومٌ، و ليس في التركيب ما يمنع تقديمــه. والغايــةُ مــن تقديمه لفْتُ الأنظار إلى العلاقة العجيبة بين المفعول بــه المتقــدّم، والفاعــل المتــأخّر، فالمفعول به (أفراحَ) شيءٌ معنويّ، وكذلك الفاعل (قوّة) وفعْلُ الذّبحِ يقــع علــى الأشــياء المادّيّة كالإنسان و الحيوان، فلمّا أوقعه الشاعرُ على شيء معنويٍّ لا يقع عليه في الأصل، وجعل الفاعل معنويّاً، وهو (قوّةٌ) وقصد به الموتَ الذي أصاب (نُدرة حدّاد) أحدَ شــعراء المهجر، كان الأنسبَ للتعبير عن هذا المعنى الجديدِ الطريفِ تعبيــرٌ جديــدٌ تتغيّــرُ فيــه مواضعُ العناصر النحوية في التركيب. وقال أبو ماضي[٢]:

قَدْ صَانَ بُرْدَتَهَا الْحَيَا   ءُ وصَانَني شَرَفِي وخَيْرِي

والأصل (قد صان الحَياءُ بردتَها) لكنه قدّم المفعول به (بردتها) على الفاعل (الحيــاءُ) مع الحفاظ على الرتبة المعنوية، والوظيفة النحوية لكلّ منهمــا دون أن تتغيّــر علاقتُهمــا بالفعل (صان) فالشاعر يُكنِّي عن طهارة محبوبته، فلمّا لمس أن أحداً ما يشكّ فــي ذلــك، رأى أنه من الأنسب أن يؤكِّد طهارَتها، وملازمةَ صفة الحَياءِ لها، فكان تقدُّمُ المفعولِ بــه (بردتَها) سبيلَه إلى هذا التوكيد. والتوكيدُ معنىً جديدٌ اكتسبه التركيبُ من تقــديمِ المفعــول به. وكأنَّ الشاعر في موضع دفاع عن طهارة محبوبته، أو توهّم أنه سيكون كذلك؛ لأنــه توقّع أنْ لابدّ أن ينكر عليه أحدٌ ذلك، فاستبق الأحداث التي تخيّلها. وقال الشابي[٣]:

وطَارَدَتْ نفسَكَ المآسي   وفَرَّ مِنْ قَلْبِكَ السَّلامْ

---

(1) الديوان، ٢٨٦.
(2) الديوان، ٣١٥.
(3) الديوان، ٢١٤.

غيّر الشاعرُ الرتبة الشكليّةَ لكلّ من الفاعل (المآسي) والمفعول به (نفسَك) وهو يـــصوِّر حالةَ عازف أعمى، فأورد المفعولَ به (نفسَك) قبل الفاعل (المآسي). فقد آلَمَـــهُ أن يكـــون الأعمى في مطاردة، ولمّا كانت هذه المطاردةُ لنفس الأعمى لا لجسده، ومن قِبَل مطـــاردٍ غيرِ مألوف ولا مرئيٍّ، احتاج إلى تعبير جديد يحمل هذا المعنى الجديد، ويقوّيه، ويجلـــب الأنظار، ويشدُّ الأسماع، ويحرّك المشاعرَ والعواطف أكثرَ نحو المفعول به. وهذا التعبيـــرُ قولُه: (وطاردَتْ نفسَك المآسي) الذي حلَّ فيه المفعول به (نفسك) محلَّ الفاعل (المآســـي). وقال بدر الدين الحامد(١):

نحن قومٌ مَنْ جاءَنا بوِدادٍ عَنْ صَفاءٍ يدَ الودادِ نُرَاعِي

والأصل (نراعي يدَ الوداد) لأن رتبة المفعول به بعد الفعل، فقدّم المفعول به (يدَ) على الفعل (نراعي) ليدفعَ خطأً أو وهماً من المتلقي يفيد أن الشاعر وقومَه لا يرعَون الـــوداد و المحبّة. وتقديمُه يقوّي وقوعَ فعل المراعاة عليه من قبل الفاعل (نحن) ويزيد ارتباطَه به و ملازَمتَه له، فكأنه لا يفارقه، ويدلّ على أن إيقاع فعل المراعاة من الفاعل (نحـــن) علـــى المفعول به (يدَ الوداد) حالةٌ مستمرَّةٌ لا طارئةٌ، وهو أصلٌ ثابتٌ فيهم، وعادةٌ من عاداتهم. و قال أبو ماضي(٢):

أقانوناً قُيُودُهُمْ تُسَمَّى إذا قد أنَّثَ الرَّجُلَ اللِّئامُ

فقدَّم المفعول الثاني (قانوناً) على الفعل (تُسمَّى) لأن الغرضَ من تشكيل الجملـــة هـــو إيقاع معنى الإنكار بهمزة الاستفهام على المفعول به (قانوناً) ولو أنه جاء بالتعبير طبيعيّـــاً دون تقديم للمفعول به (قانوناً) على الفعل (تُسمَّى) لَمَا ظهر هذا المعنى. وسببُ إنكارِه من الشاعر أنه قانونٌ صاغَتْهُ القيودُ، فهو شيءٌ غيرُ معهود. وقال السيّاب(٣):

ومجنونٌ يَهِيمُ بألْفِ لَيْلَى فلا وَصْلاً ينالُ و لا اقْتِرَابَا

---

(1) الديوان، ج١/٨٢.
(2) الديوان، ٥٠٩.
(3) الديوان، ٤٦٧.

والأصلُ أن يأتي بالمفعول به (وصلاً) بعد الفعل (ينال) وقدّمه؛ لأنــه قــصد أن ينفــي وقوعَ فعل النَّيلِ من الفاعل (هو) على المفعول به (وصلاً) نفْياً قطعيّاً ليس فيه احتمــالٌ أو شكٌّ، و كأنّ المتلقي ظنّ أن الفاعل (مجنونٌ) وقد أحبّ فتياتٍ كثيرةً، قد نال الوصلَ الكثير والقُرْبَ منهنَّ، ولَمَّا لم يكنْ ذلك واقعاً في الحقيقة، كان الأنسبَ للتعبير عن هذا المعنــى أنْ يتلوَ المفعولُ به أداةَ النفْيِ (لا) متقدِّماً على فعله (ينالُ) فأدّى معنيَيْنِ بتركيــب واحــد، الأوّلُ نَفْيُ وقوعِ نيلِ الوصلِ، والثاني إزالةُ ظنٍّ أو وهْمٍ وقَعَ في نفس المتلقّي. وقال بــدر الدين الحامد[1]:

كنْتَ تَكْسُو شِعْرِي اللُّحُونَ فَيَسْمُو   فإذا بي مِنْكَ الْفَخَارَ كُسِيْتُ

فقدّم المفعولَ الثاني (الفخارَ) على الفعل المجهول (كُــسِيتُ) دون أن تتغيّــر العلاقــةُ النحوية بينهما ودون تغييرٍ في الوظيفة النحويّة لأيِّ عنصرٍ من عناصر التركيب. وســببُ تقديمه قَصْرُ الفعل (كُسِي) على المفعول (الفخارَ) دون غيره، فقد يظنُّ الظانُّ أنّ الــشاعر قد كُسِي من الممدوح الذي كسا شِعرَه اللُّحونَ الفخارَ وغيرَه، ولَمَّا لم يكنْ ذلــك حاصــلاً، والكسوةُ مقصورةٌ على الفَخار، قدّم المفعولَ به (الفَخارَ) على فعله؛ ليدفعَ هذا الوهمَ.

٣- تقديم شبه الجملة:

يجوز تقديم شبه الجملة سواءٌ أكانت ظرفاً أم جارّاً ومجروراً على عاملها سواء أكــان فعلاً أم مشتقّاً أم كان فيه معنى الفعل مالم يكن مانعٌ من ذلك، فمن تقــديمها علــى فعلهــا قولُك: (خلفَك قعدْتُ، ويومَ الجمعة جئتُ، وإلى دمشق ذهبــتُ) وقولــه تعــالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2] ومن تقديمها على عاملها المشتق نحو قوله تعــالى: ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾[3] ومن تقديمها على عاملها الذي يحمل معنى الفعل قولُ الراجز[4]:

(1) الديوان، ج٢/٤٥٠.
(2) آل عمران،١٢٢.
(3) يوسف،٢٠.
(4) مجهول، ينظر: شرح جمل الزجاجي، ٣٤١/١.

و بعضَ الأحْيَان أنا أَبُو المِنْهَالْ

فقدّم ظرف الزمان (بعضَ) على عامله الضمير (أنا) لأن فيه معنى الفعل. ويجوز تقديمها على عاملها المنفي، والأصلُ عدمُ تقديم معمول الفعل المنفي عليه، نحو قول الصّحابي عبد الله بن رَوَاحَة[١]:

و نحنُ عَنْ فَضْلِكَ ما استَغْنَيْنَا

والأصل (و نحن ما استغنينا عن فضلك)[٢].

وتقديمُ شبهِ الجملة على الفعل أو الفاعل أو المفعول به، إنما يكون لغرض بلاغيّ، و معنى جديد إضافيّ يريده المتكلمُ، فتغييرُ الترتيبِ، وإعادةُ التوزيع، الغرضُ منه دلالةٌ جديدة لا يؤدّيها التركيبُ النمطيّ، فقد يقدّمها المتكلم؛ لأنه أراد التنبيهَ عليها، والاهتمامَ بها، ورفْعَ احتمالاتِ المعنى، وتركيزَ الذهن، وحصرَه في معنى مخصوص بعيداً عن المعنى الذي من شأنه تشتيتُ الأذهانِ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[٣] فقدّم الجارّ و المجرور على الصفة (الذين) حتّى لا يشتبهَ الأمرُ في القائلين أهُمْ من قومه أم لا[٤]؟ وقد يقدِّمه لإفادة الحصر والاختصاص، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[٥] فلم يقدّم الجارّ والمجرور (به) على الفعل (آمن) لأن الإيمان ليس منحصراً في الإيمان بالله، بل لابدّ من الإيمان بالملائكة والكتب والرّسل السماوية واليوم الآخر، وقدّم الجارّ والمجرور (عليه) على الفعل (توكّل) مع فاعله (نا) لأن التوكُّلَ محصورٌ في الله دون غيره، فأراد بتقديمه معنيين، معنى إثباتِ التوكُّل لله تعالى و حصرِه في ذاته دون غيره، ومعنى نفي التوكُّلِ على غيره، فقامت الجملة الواحدة مقام جملتين، وانتقلت من

---

(1) ابن رواحة، عبد الله، الديوان، تح:محمد حسن باجودة، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م، حاشية١٠٦.
(2) ينظر: شرح جمل الزجاجي: ج١/٣٤١، و الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك، منشورات جامعة حلب، بلا تاريخ،٩١٠.
(3) المؤمنون، ٣٣.
(4) ينظر: مفتاح العلوم، ١٢٨-١٢٩.
(5) الملك، ٢٩.

المعنى الاحتمالي إلى المعنى القطعيّ[1] ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[2] فدلّ تقديم الجارّ والمجرور (إلى اللهِ) على الفعل(تصير) أن الأمور مقصورٌ صيرورتُها إلى الله وحدَه، ولا يشركه في ذلك غيرُه، ولو ذَكَرَهُ في موضعه الأصليّ بعد الفعل (تصير) لاحتمل المعنى صيرورةَ الأمورِ إلى غيره سبحانه وتعالى، وهذا خلافُ المراد[3]. ويجوز تقديمه لأغراض التعظيم أو التحقير أو التعجيل بالمسرّة أو المساءة أو غيرِ ذلك من ضروب الاهتمام، نحو قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4] فقدّم الجارّ والمجرور (على صلاتهم) على فعله (يحافظون) دلالةً على تعظيمه وأهميّته بالنسبة للأعمال والعبادات الأخرى التي يحافظ عليها المؤمنون، وقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5] بتقديم الجارّ و المجرور (عن آياتها) على عامله (معرضون) لِتعظيم إعراضهم، وقد يُقدَّم لِغرض التخويف نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[6] فقدّم الجارّ والمجرور (عليكم) على عامله (رقيباً) لأنه قصد تخويفهم، فالله تعالى رقيبٌ علينا وعلى غيرنا فلا تختصّ رقابته بنا[7].

ويجوز تقديمه على عامله في سياق الاستفهام، فتُولي شبهَ الجملة أداةَ الاستفهام، وذلك إذا كنْتَ تشكّ، أو تنكر، أو تتعجّب، أو تريد أن يُقِرَّ بزمن الحدث أو مكانِه أو بتقيُّده بالجارّ والمجرور دون سواه، نحو (أيومَ الجمعة سافر محمدٌ؟) إذا كنت تعلم سَفَرَ محمّدٍ، لكنك تشكّ في يوم السفر، أو تنكر سفرَه في هذا اليوم، أو تتعجّب من سفره يوم الجمعة؛ لأنه ليس من عادته أن يفعل ذلك، أو كنت تريد تقريرَه بذلك؛ لأنه ينكره، ويريد تضليلَكَ، ونحو (أَقُبِضَ على محمدٍ في دارِكَ؟) وأنت تعلم أن القبض على شخص ما قد تمَّ في دار

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٥، وعلم المعاني، ١٥٥، ومعاني النحو، ج٣/٩١-٩٤.
(2) الشورى، ٥٣.
(3) ينظر: علم المعاني، ١٥٥، و معاني النحو، ج١/١٤٢.
(4) المعارج، ٣٤.
(5) الأنبياء، ٣٢.
(6) النساء، ١.
(7) ينظر: معاني النحو، ج٣/٩١-٩٤.

المتلقيّ، لكنك تشكّ في المقبوض عليه، أو تنكر القبض على محمد في داره، أو تتعجّب من القبض على

محمد في دار المتلقيّ، أو تريد منه أن يُقِرَّ بذلك[1].

ويجوز تقديمه على متعلَّقه المنفيّ؛ ليفيد نفْيَ وقوع الفعل عليه، وإثباتَ وقوعه على غيره، فلو أوردْت التعبيرَ على طبيعته دون تقديم وتأخير، وقلْتَ: (ما أمرْتُك بهذا) كنت قد نفيت أنك أمرته بما فعله من دون أن تنفي، أو تثبت أنك أمرته بفعل غيره، فظلّت جملتُك احتماليّةً المعنى تتطلّب التفسيرَ والتأويلَ، أمّا في قولك: (ما بهذا أمرتُك) فقد نفيتَ أنك أمرته بما قام به، وأثبتَّ أنك أمرتَه بغيره، فجملتُك دلالتُها قطعيّة[2]، ومثْلُه قولك: (ما ذهبْتُ إلى سعيد) فالتعبيرُ نمطيٌّ تفيد فيه نفْيَ ذهابك إلى سعيد دون أن تنفي، أو تثبت ذهابك إلى غيره؛ لأن الذي تتحدّث معه خالي الذّهن من مضمون الخبر، فلا يعلم وقوعَ الذهابِ منك، أمّا إذا كان مخاطبك يعلم وقوعَ الذّهاب منك، ويظنّ أنّك ذهبْت إلى سعيد، وأنت لم تذهب إليه، وإنّما ذهبْت إلى غيره، قدّمت الجارّ والمجرور (إلى سعيد) على الفعل (ذهبْت) فقلْت: (ما إلى سعيد ذهبْت) لتنفي ذهابك إليه، وتثبتَه إلى غيره، وبذلك تكون قد عبّرْتَ عن معنيين بعبارة واحدة، وأزلْتَ الشكَّ و الظنّ من ذهنِ المخاطب، واختصرْتَ الكلام[3].

ومردُّ ذلك كلّه إلى السياق والمقام[4]، والمتكلم بما قدّمه أعنى، فإذا قلْتَ: (مررْتُ بخالد على القائد) أوضحْتَ اهتمامك بمرورك على القائد بصحبة خالد، ولو قلْتَ: (مررْتُ على

---

(1) المرجع السابق، ج٤/٢٣٣-٢٣٤.
(2) ينظر: دلائل الإعجاز، ١٦٠، ومعاني النحو، ج٣/٩٤.
(3) ينظر: معاني النحو، ج٣/٩٤.
(4) السّياق هو مجرى الكلام وتسلسله واتّصال بعضه ببعض، ويشمل المشارك البشريّ أو المشاركين، وماذا يقولون؟ وماذا يجري؟ .ينظر: الدلالة اللغويّة عند العرب، ١٥٩، والجملة العربية والمعنى، ٦٣.
- المقام أو مقتضى الحال هو " مجموعة الاعتبارات و الظروف والملابَسات التي تُلابِس النشاط اللغويّ، ويكون لها أو ينبغي أن يكون تأثيرها في ذلك النشاط من خارجه بحيث لا تتأثر دلالة الكلام أو تتجلى مزاياه إلّا في ظلّها، وفي ضوء ارتباطه بها"- المعنى في البلاغة العربية، ١٩٤.
- "وفكرتا الحال والمقام في مفهوم البلاغيين مرتبطتان بالبعد الزماني والمكاني للكلام، وذلك أن الأمر الذي يدعوالمتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معيَّن ،إمّا أن يتّصل بزمن هذه الصّياغة، فيُسمّى الحال، وإمّا أن يتّصل بمقامها، فيُسمى المقام، لأن كلّ كلام لا بدّ له من بعدٍ زمانيّ أوبعدٍ مكانيّ يقع فيه، ومن هنا ارتبطت فكرتا الحال والمقام بالمقال، واختلافُ صورِهذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلاف الحال والمقام" - البلاغة والأسلوبيّة، ٣٠٦.

القائد بخالد) أوضحْتَ اهتمامك بمرورك على القائد فحسبُ، ونحوُه قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾(١) بتقديم الجارّ والمجرور (به) على الفاعل (قلوبُكم) و أصلُهُ التأخيرُ؛ لأن المقام تذكيرُ المسلمين بموقعة بدْرٍ وانتصارِهم فيها ودور الإمداد السماويّ في هذا النصر(٢)

والنتيجةُ أن التغييرَ الذي يصيب شبهَ الجملةِ بالتقديم والتأخير سواءٌ على الفعل أم على بقيّة متعلّقاته لا يكون إلّا لمعنىً جديد يعجز الترتيبُ النمطيُّ للعناصر النحويّة عن إظهاره و نقلِه إلى المتلقيّ. وكثُرَت في دواوين الشعراء الخمسة المواضعُ التي تقدّم فيها شبهُ الجملةِ على الفعل أو على الفاعل أو على المفعول به. قال البارودي(٣):

كُلَّ يَوْمٍ يَزُولُ عَنّي حَبِيبٌ   يالِقَلْبي مِنْ فُرْقَةِ الأَحْبَابِ

والأصلُ أن يتأخّر الظرفُ (كلَّ) عن الفعل (يزول) لكنّ حالة الشاعر الحزينة لِفقْد الأحباب فقْداً متتالياً دفعتْه إلى أن يُعيدَ ترتيبَ العناصرِ النحويّة في التركيب، فقدّم ظرفَ الزّمان (كلّ) لأنّه الزّمانُ الذي يقع فيه الزّوالُ المستمرُّ لأحباب الشاعر، وكأنّه يريد أن يتوقّف الزّمانُ؛ حتى يتوقّف زوالُ الأحبابِ عنه، فلمّا كان مدارُ الكلام والمعنى على زمن وقوع الفعل، كان العنصرَ الأهمَّ في التركيب، ولمّا كان العنصرَ الأهمَّ، كان الأنسبُ تقديمَه؛ لتتركّز الأنظارُ عليه، وتتوجّه عنايةُ المتلقّي إليه وحدَه. وقال البارودي(٤):

تَدُورُ عَلَيْنَا بالْمُدَامةِ بَيْنَها   تماثِيْلُ إلّا أنَّها بيْنَنَا تَجْرِي

والأصل أن يذكر ظرفَ المكان (بين) بعد فعله (تجري) فغيّر الترتيبَ، وقدّمه عليه؛ لأنه الغايةُ من تشكيل العبارة، فقد شبّه سُقاةَ الخمرِ بالتماثيل المتحرِّكة، ولا يهمُّه أن تجري في كلِّ مكان، بل يهمّه أن تجري بينه وبين صحبه، وهذا المعنى لا يُلْتَفَتُ إليه من المتلقّي إلّا إذا تقدّم الظرفُ؛ لأن تقديمَه على خلاف الأصلِ يوحي أن في العبارة معنىً جديداً

(1)الأنفال، ١٠.
(2) ينظر: معاني النحو: ج٣/٩٤-٩٧.
(3) الديوان، ج١/٥٦.
(4) الديوان، ج٢/٨.

وحالةً أراد الشاعرُ منه أن يتنبّه إليها لا إلى غيرها، و هو بـــذلك حَــصَرَ وُقُــوعَ الفعــل (تجري) في هذا

المكان، وقصرَه عليه دون الظّروف الأخرى. وقال أبو ماضي(١):

قَالُوا غَداً تَهْمِي سَحَائِبُنا   فَرَجَعْتُ أدْراجِي أَقُولُ غداً

فالظرفُ (غداً) وَرَدَ في موضع ليس له في الأصل، فقدّمه الشاعرُ على فعله (تهمـــي) و الأصلُ (تهمي سحائبُنا غداً) وقد فعل ذلك؛ لتعجيل المسرَّة والتفاؤل بهَمَيان السّحائب التـــي ينتظرها الشاعرُ مع جماعته، فقد أوضحَ بتقديمه حالةَ الترقُّب والضيق التـــي يعيـــشونها، ولمّا كان زمنُ وقوع الفعل (تهمي) من الفاعل (سحائبُنا) قريباً، صار من الأنسب للمعنـــى دفْعُ احتمالاتِ وقوعِ الفعل (تهمي) في أزمنة أخرى، فانتقل المعنى من الشكّ إلى اليقـــين. وقال أبو ماضي(٢):

هُناكَ وَقَفْنا والشِّفَاهُ صَوَامِتٌ   كأنَّ بِنا عِيَّاً ولَيْسَ بِنا وَجْدُ

والأصل (وقفْنا هناك) فعدَلَ عنه، وقدّم ظرفَ المكان (هناك) على عاملِه الفعلِ (وقـــفَ) ليجدِّد التلذُّذَ بذكر المكان الذي وقف فيه مع محبوبته، وكأن أحداً شكّكَ في لقائهما، فأكّد أن الوقوف منهما حصل في المكان الذي أشار إليه بالظرف (هناك) فصار الظـــرفُ (هنـــاك) الذي احتوى فعلَ وقوفهما دليلاً لا يزول وشاهِداً على صدقِ ما يقول، ودفاعاً عـــن خبـــر مؤكَّد ينقله الشاعرُ عنه وعن محبوبته، وهو بذلك يقصر وقوفَهما على المكانِ المُشارِ إليه، و يحصرُه فيه، فقد صار الوقوفُ محصوراً في مكان واحد وَقَعَ الفعلُ (وقف) فيه، وانتفى وقوعُه في غيره، وهذه معانٍ لا يؤدّيها التعبيرُ الطبيعيّ (وقفْنا هناك). وقال الشابي(٣):

تَحْتَهُ يزْخَرُ الزّمانُ و يَجْرِي   صَامِتاً في مَسِيلِهِ الْمَحْزُونِ

---

(1) الديوان، ٢٥٣.
(2) الديوان، ٢٠١.
(3) الديوان، ٣٣٤.

فذكرَ ظرفَ المكان (تحت) قبل عاملِه الفعلِ (يزخرُ) وحقُّه النحويّ أن يأتي بعده، فقدّمه عليه؛ ليؤكِّد وقوعَه فيه دون غيره، وهو يصوِّر لقاءً بينه وبين محبوبته، ويتخيّل أنّ الليـــل و الرّبيع قد بَنَيَا حولهما معبداً للجمال. فتقديمهُ يدفع الأنظارَ؛ لتتوجّهَ إليه، فليس المهمُّ عند الشاعر أن يزخر الزّمانُ في كلّ مكان، بل المهمُّ أن يزخر تحت معبد الجمال الذي يخصُّه ومحبوبته، فقدّمه؛ ليدلّ على خصوصيّة الحدَث(يزخَر) وخصوصيّة المكان الذي وقع فيه، و هو تحت معبد الجمال وخصوصيّة الحياة التي يعيشها الــشاعر مــع محبوبتــه. وقــال السيّاب[١]:

أَوْصِدِي الْبَابَ فَدُنْيَا لسْتِ فيهــــــا

ليس تسْتأْهِلُ من عينيَّ نظـــــــــرهْ

أوصدي الباب.غداً تَطْوِيكِ عنّي طَائرَهْ

غَيْرُ حُبٍّ سوف يَبْقَى في دِمَانــــــا

قدّم الشاعرُ الظرفَ (غداً) على فعله العامل فيه (تطوي) وإنْ كان الأصــلُ أن يــذكره بعده، وذلك للتعبير عن معنى الخوف الشّديد الذي يعيشه خشيةَ البعد عــن زوجتــه، فلــو أورده في مكانه الطبيعيّ بعد الفعل، وقال (تطويكِ طائرةٌ عنِّي غداً) لأوهَمَ أن وقوع الفعل ليس مؤكَّداً، فيحتمل وقوعَه وعدَمَه، و لمّا كان الشاعر في يقينه على ثِقة من وقوع الفعل (تطوي) الذي سيُبعد عنه زوجَتَه في القريب العاجل الذي تصوّرَه في الغد، أراد أن يعبِّر عن ذلك بتقديم الظرف (غداً) الذي يحتوي وقوع الفعل (تطــوي) وأن يــصوِّر حــالاتِ الخوف والقلق التي تلفُّه قبل الحدَث. وقال البارودي[٢]:

تَتَقَاصَرُ الأَفْهَامُ دُونَ فِعَالِهِ   وتَسِيرُ تَحْتَ لِوائِهِ الأَقْوَامُ[٣]

---

(1) الديوان، ٣٣٧-٣٣٦.
(2) الديوان، ج٣/٣١٩.
(3) تتقاصر: تعجز أو تتضاءل.

فذكَر الشاعرُ الظرفَ (تحت) بعد الفعل (تسير) مباشرة، وحقُّه أن يـأتي بعـد الفاعـل (الأقوامُ) فالترتيبُ الطبيعيّ للتركيب (وتسير الأقوامُ تحت لوائه) وتقديمُه؛ لأهميّتـه؛ لأنـه المحور الذي يدور فيه المعنى الذي شُكِّلتْ من أجله الجملةُ، فليس المهمُّ مسيرَ الأقوام، بل المهمُّ أن يقع المسيرُ منهم تحت لواء كلِّ فتىً صاحَبَه الشاعرُ في شبابه، فتقديمُه نقل معنى مسيرِ الأقوام من العموم إلى الخصوص، فلو قال: (و تسير الأقوامُ تحت لوائه) لَمَـا نفـى مسيرَهم تحت لواء غيره، وهذا معنىً لا يريده الشاعرُ، ولذلك أراد أن ينفي، ويثبـت فـي آنٍ واحد، ويدَّعي وقوعَ فعلِ المسير من قبل الأقوام في هذا المكـان دون غيـره، وهـو (تحت لواء الفتى الذي صاحَبَه الشاعرُ). وقال أبو ماضي[1]:

وتُرِيبُها أنْفَاسُها ويُخيفُها   عندَ اللِّقاءِ تَنَهُّدُ الْمَحْزُونِ

فالظرفُ (عند) الأصلُ فيه أن يأتي بعد الفاعل (تنهُّدُ) فقدّمهُ عليـه؛ لأنـه أهـمُّ منـه، فالشاعرُ يسرُّه أن تخاف محبوبتُه من تنهّدِه الحزين إذا التقيا؛ لأن ذلك يُظهر لهفتَها عليـه وحبَّها له و شوقَها إليه، ويبدو أن ذلك لا يتبيّنُ منها إلّا في هذا الوقت، وهو زمنُ اللّقـاء، ولمّا كان خوفُها عليه من تنهده الحزين لا تُظهره إلّا إذا التقى بها، كان هذا الـزمنُ عنـده مهمّاً؛ ولذا كان الأنسبُ تقديمَه على الفاعل (تنهّدُ) وكأنّ الشاعر يريد أن يُقنِع المتلقّـي أن هذا الفعلَ فعلَ الخوف منها عليه قد وقع حقّاً في هذا الزمان. وقال السيّاب[2] :

لقد فتّحَ الآنَ زَهْرُ الشّتاءِ

لِيَمْلأَ تَنَوُّرُهُ بالشّذا والضيّاءِ

أَنارَ وُجُوهاً وأخْفَى وُجُوهاً،فَسَالَ الأصِيلُ

يَنُثُّ سنابلَه الدّافئة[3]

([1]) الديوان، ٥٨٥.
(2) الديوان، ٣٢٩.
(3) ينثُ: ينشر.

فذكر الشاعرُ الظرف (الآنَ) قبل الفاعل (زَهْرُ) وإنْ كان حقُّه أن يأتي بعده، وقدّمه عليه؛ لأنه أهمُّ منه، وتأتي أهمّيّتُه من غرابة تفتُّح الزّهر في زمن الشّتاء الذي عبّر به الشاعرُ عن وحدته. وقال الشابّي[١]:

ودَوَّتْ فوقَكَ العواصفُ والأنْوَاءُ حتّى أَوْشَكَتْ أنْ تَتَحَطَّمْ

لقد غيَّرَ الشاعرُ توزيعَ العناصر النحوية في الجملة الفعلية (ودوّتْ فوقَك العواصفُ و الأنواءُ) فقدّم الظرفَ (فوق) على الفاعل (العواصفُ) ليُظهر دهشَتَه الشّديدة من الشّعب الذي لا يتحرّك، وقد وقعتْ عليه في هذا المكان الخاصّ به مصائبُ تُشبه العواصفَ، و تقديمُه لم يُغيِّرْ العلاقاتِ النحويةَ القائمة في التركيب، فحافَظَ كلُّ عنصرٍ على وظيفته النحوية في أداء المعنى من الفعلية والفاعلية والظرفية والتبعية. وقال البارودي[٢]:

لاتُعاشرْ ماعِشْتَ أَحْمَقَ واعْلَمْ أنّه في الوجودِ حَيٌّ كَمَيْتِ

الأصل أن يذكر الظرفَ المُؤَوّل (ما عشتَ) بعد المفعول به (أحمقَ) فقدّمه عليه؛ ليُؤكِّد معنى النَّهْيِ الذي شكّل التركيبَ من أجله، فلو قال: (لا تعاشرْ أحمقَ ما عِشتَ) لأوْهَمَ أن الشاعرَ غيرُ جادٍّ في نَهْيِه؛ لأنّ تركيبه طبيعيّ نمطيٌّ يُستخدَم في كلِّ الحالات. وتقديمُه على المفعول به (أحمقَ) لم يغيِّر شيئاً في العلاقات النحوية بين عناصر التركيب، فالتَزَم الشاعرُ ما أباحَتْه، وأجازَتْه القاعدةُ النحوية له. وقال البارودي[٣]:

إنّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي

فقدّم الظرفين (اليوم و بين) على المفعول به (عقلي) لأهمّيّتهما، فالأوّلُ يدلُّ على زمن فَقْدِ المفعول به، والثاني يدلُّ على مكانه، والذي يُؤلمُ الشاعرَ، ويُفرحه في آنٍ واحد وقوعُ الفعل من الفاعل على المفعول به (عقلي) في هذا الزمان، وهذا المكان دون غيرهما، ولمّا

(1) الديوان، ٣٣٨.
(2) الديوان، ج١/٩٥.
(3) الديوان، ج١/١٥٠.

أراد أن يُؤكِّد ذلك، ويدفع الشّكّ عنه، ويجعله حقيقةً لا تقبل الشكّ والظنّ، قدّمهما. وقال أبو ماضي[1]:

و إذا طلبْتَ مَعَ الصَّبابةِ لَذَّةً   فَقَدْ طَلَبْتَ الضّائعَ المَوْجُودَا

فالظرف (مع) حقُّه وموضعُه النحويّ بعد المفعول به (لذّةً) فقدّمه عليه؛ لأنه المحور الذي يدور فيه معنى الجملة، فليس الغريبُ أن يطلب الإنسانُ اللّذةَ، بل الغريبُ أن يطلبها في زمن يكون فيه صبًّا، وهذه الغَرابةُ من وقوع فعل الطلب من الفاعل على اللّذة لا يُلْتَفَتُ – كما يبدو– إليها من المتلقّي إلّا بإعادة توزيع العناصر النحوية في الجملة، يتقدّم فيها الظرفُ (معَ) على المفعول به (لذّةً) وهذا التقديمُ يستوقف المتلقّي؛ ليسأل عن سبب تغيير موضع كلٍّ من المفعول به والظرف، فيصلُ إلى المعنى الذي أراده الشاعر. وقال بدر الدين الحامد[2]:

ياراحلاً لم يُخَلِّفْ بعدَهُ وَلَدَاً   ذِكْراكَ بالحَمْدِ فوقَ الأَهْلِ والوَلَدِ

فقدّم الشاعر الظرف (بعدَ) على المفعول به (ولداً) و الأصلُ (لم يخلّف ولداً بعده) و لكنه عدل عنه، وغيّرَه؛ ليؤكّد معنى النفي الذي بدأ به الجملةَ، فقد نفى الشاعر أن يكون مَنْ يرثيه قد خلَّف بعده ولداً، فلمّا لمس أن أحداً قد يُنكر عليه ذلك، أو أنكره عليه، وجد أنه من الأنسب أن يؤكّد عدمَ تخليف الولد في هذا الزمن، وهو بعد الموت. فصارت الجملةُ دلالتُها قطعيّة تطلب من المتلقّي أن يقبلها، ويُسلِّم بها بدل التشكيك والجري وراء الاحتمالات التي صارت الجملةُ بعيدةً عنها. فتقديمُ الظرف أغلق بابَ التفسير والتأويل أمام المتلقّي. وهذا جميعُه في إطار القاعدة النحويّة التي أجازتْ مثلَ هذا الاستعمال إذا كان ثمّة معنىً جديد لا يستطيع التعبير النمطيّ أداءَه. وقال الشابّي[3]:

وَخَبِيثٍ يَعِيشُ كَالْفَأسِ هَدَّاماً لِيُعْلِيَ بَيْنَ الخَرابِ بِنَاءَهْ

---

(1) الديوان، ٢٥٨.
(2) الديوان، ج١/٣٨.
(3) الديوان، ٢٦٩.

والأصل (ليعلي بناءَه بينَ الخراب) لأن حقّ المفعول به أن يكون قبل الظــرف، لكنــه أعاد التوزيعَ، وغيَّر الترتيب، فقدّم الظرف (بين) على المفعول به (بناءَه) لأنــه المحــور الذي يدور فيه معنى الجملة فالشاعرُ يذمُّ الخبيثَ، ويستنكر إيقاع فعل الإعلاء منه علــى المفعول به (بناءَ) في هذا المكان، وهو الخرابُ، ويؤكّد أن الخبيثَ لا يسعه إلّا التخريــبُ، فيتهكّم به، و هذه معانٍ جديدةٌ إضافيّة لا يستطيع التركيب الطبيعيّ (ليعلــي بنــاءَه بــين الخراب) تأديتها؛ لأن المتلقّي يكون أمام عبارة مألوفة غير جديرة بالتمحيص والتدقيق فيها عن معانٍ خفيّةٍ؛ لذا كان من الأنسب للتعبير عن المعاني الجديدة تعبيرٌ جديدٌ تتــوزّع فيــه العناصرُ النحويّة توزيعاً جديداً يدفع المتلقّي إلى التفكير في السبب الذي دفع الشاعرَ إلــى هذا التوزيع، ولَمّا كانت القاعدةُ النحوية تُجيز هذا التغييرَ، قدّم الظرف (بين) على المفعول به (بناءَه). وثمّة مواضعُ كثيرةٌ في الدواوين الشعرية ذات الصّلة بموضوع البحــث تقــدّم فيها الجارّ والمجرور على العناصر النحوية المختلفة التي فــي الأصــل موضــعُه فــي التركيب بعدَها، من فعل و فاعل ومفعول به. وقال البارودي(١):

إلى الله أشْكُو طُولَ لَيْلِي وجَارَةً　　　تَبِيتُ إلى وَقْتِ الصَّباحِ بإعْوَالِ

فالجارّ والمجرور (إلى الله) موضعُه الأصلُ في التركيب بعد الفعل (أشكو) لأنه العامل فيه، وقد أورَدَه الشاعرُ قبله، وقدّمه عليه؛ ليحصر توجُّهَ فعلِ الشكوى من الفاعــل (أنــا) الذي هو الشاعرُ في المجرور (الله) تعالى دون غيره، وهذا معنىً قطعــيّ يمتنــع معــه الاحتمالُ، فلو أورد التركيبَ طبيعيّاً، وقال: (أشكو طــولَ ليلــي و جــارةً إلــى الله٠٠٠) لاحتملَ توجُّهَ الفعل إلى غير الله تعالى؛ لأنه أثبت الشّكوى إليه دون أن ينفيه عن غيــره، فلمّا قدّمه على الفعل (أشكو) أفاد أنّها مقتصرةٌ عليه ومنفيّةٌ عن غيره، فالجارّ والمجــرور محورُ المعنى الذي تدور فيه الجملةُ، ولمّا كان كذلك، صار الأنسبُ تقديمَه، ولاســيّما أن القاعدة النحوية تُجيز مثلَ هذا التعبيرِ والاستخدامِ. وقال البارودي(٢):

بكَ اسْوَدَّتِ الأيّامُ بَعْدَ ضِيائِهَا　　　وأَصْبَحَ نَادِي الْفَضْلِ لَيْسَ له أَهْلُ

---

(1) الديوان، ج٣/٢٤٩.
(2) الديوان، ج٣/٢٤٦.

قدّم الشاعرُ الجارّ والمجرور (بكَ) على فعلِه العاملِ فيــه (اســودَّتْ) وذلــك لغــرض المبالغة في ذمِّ المهجوِّ الذي هو كافُ الخطاب، فالمهجوُّ سببٌ لانتشار الظّلم بعــد العــدل، فاستحقّ بذلك الهجاءَ اللاذع والذمَّ الصريح، ويكون الهجاءُ أقسى، والذّمُّ أقــوى إذا تقــدّم السببُ على المسبَّب؛ لأنه أَدْعَى إلى تنفير النفوس منه، وتأليبها عليه، وملْءِ القلوب بالحقد والكراهية عليه؛ لأنها تُصْدَم، وتتفاجأ من أوّل الأمر بالصّورة القاتمة له، وهذا لا يتحقّــق إلّا بتقديم

الجارّ والمجرور (بكَ) الذي هو سببُ وقوع الفعل (اسودَّتْ). وقــال أبو ماضي[١]:

أَكَذَا نَمُوتُ وتَنْقَضِي أَحْلامُنا   في لَحْظَةٍ وإلى التُّراب نَصِيرُ

لم يذكر الشاعرُ الجارَّ والمجرورَ (إلى التّراب) في موضعه الذي له في التركيب، وهو بعد فعله (نصيرُ) فقدّمه عليه، وبدأ التركيبَ به، فهو الغايةُ من تشكيل الجملة، وبه يتوضّح المعنى الذي يريده الشاعرُ الذي قصدَ حَصْرَ وقوعِ الفعلِ (نصير) في الفاعل (نحن) فــي العودة إلى التّراب، فتقديمُه يدفع المتلقّي إلى التفكير في المصير الذي ينتظره، وفي النّهاية التي لا بُدّ منها، فهو ينبِّهُ الغافلين إلى حقيقة تناسَوها، وقد احتاج هذا التنبيــهُ إلــى تقــديم الجارّ والمجرور (إلى التّراب) على فعله (نصيرُ) ولو قال: (نصيرُ إلــى التــراب) أفــاد صيرورةَ الفاعلِ (نحن) إلى التراب دون أن ينفيه عن غيره، وبتقديمه أثْبَتَه له، ونفاه عــن غيره، فالدّلالةُ صارت قطعيّةً بعد أن كانت احتماليّة. و قال السيّاب[٢]:

وفي قبره اهْتَزَّ كَالْبَرَاعِمِ

إذا الصُّبْحُ نَوَّرْ

دَفِينٌ٠٠٠وأَصْغَى:أَنِينُ الرِّمالِ

وتَهْوِيدةُ النَّخْلِ يُنعِّسُ، واللّيلُ أَقْمَرْ

---

(1) الديوان، ٣٠٠.
(2) الديوان، ٣٢٨.

والأصل (و اهتزَّ دفينٌ في قبره كالبراعم) لكنه أعاد توزيعَ العناصر النحوية وترتيبَها في التركيب، فقدّم الجارَّ والمجرورَ (في قبره) على فعله (اهتزّ) للدّلالة على غَرابة الحَدَث، و المبالغةِ في التعجُّب من وقوعه، فليس مستَغرَباً وقوعُ فعلِ الاهتزاز من الفاعل في مكان ما في الحالات الطبيعيّة، بل المستغربُ والمثيرُ للعجب أن يهتزّ الدّفينُ الذي ليس له أن يتحرّك؛ لأنه ميْتٌ في مكان لم يألف الناسُ فيه الحركةَ، وهو القبرُ. فالمعنى الذي تؤدّيه الجملةُ، وهو اهتزازُ الدّفينِ في القبر، مُثيرٌ وعجيبٌ وغريبٌ يستوقف المرءَ؛ ليبحثَ عن السبب والعِلّة، ولِيتنبّه إلى حقيقة الأمر، وهذا يكون باللّجوء إلى تعبير جديدٍ يتقدّم فيه الجارُّ والمجرورُ– محورُ الجملة – على الفعل (اهتزّ). وقال بدر الدين الحامد(١):

لَسْتُ أَدْرِي والحَادِثاتُ تَوَالَى   أَلِنُجْحٍ نسيرُ أم خُسْرَانِ؟

فقدّم الشاعر الجارَّ والمجرور (لِنجحٍ) على فعله (نسيرُ) وأوْلاهُ همزةَ الاستفهام التي هي للشكّ و التخمين، ولَمّا كان مَدَارُ شكِّه حول الجارِّ والمجرور لا الفعلِ (نسيرُ) كان الأنسبُ أن يقدّمه، ويؤخّر فعله؛ كي لا يتوهّم المتلقّي خلافَ ذلك. فهو يشكّ أن يكون سيرُهم نهايتُه النُّجْحُ؛ ولِذا قدّمه على الفعل، ولم يقدّم المعطوف (خُسران) لأنه لا يشكّ فيه. وقال الشابّي(٢):

نَاحَتْ بِنَفْسِي مَآسِيهَا وما وَجَدَتْ   قَلْباً عَطُوفاً يُسَلِّيها، فَعَزِّيْنِي

والأصل (ناحتْ مآسيها بنفسي) لأن رتبة الجارّ والمجرور في التركيب بعد الفاعل، لكنه اختار توزيعاً جديداً أجازته القاعدةُ النحوية، قدّم فيه الجارّ والمجرور (بنفسي) على الفاعل (مآسيها) لأنه أهمّ منه، فليس ما يؤلم الشاعرَ، ويُحزنه نوْحُ المآسي، بل ما يؤلمه، ويحزنه أن تنوح في نفسه، ونوحُها في نفسه سبَّب له أزمةً عاطفيّة ونفسيّة، وجعله في عزلة عن المُعَزِّين، ولعلَّه أراد أن يُعبِّر عن عِظَم الآلام والأحزان التي سببُها وقوعُ فعلِ

(1) الديوان، ج١٤٢/١.
(2) الديوان، ١٩٨.

النّوح من المآسي في نفسه التي أراد لفْتَ الأنظارِ إليها، وهذا لا يتأتّى دون تقـديم الجـارِّ والمجرور (بنفسي) على الفاعل (مآسيها). وقال البارودي(١):

تَدَاعَتْ لدَرْكِ الثّأرِ فينا ثُعالُهُ   ونَامَتْ على طُولِ الْوَتِيرةِ أُسْدُهُ(٢)

قدّم الشاعرُ الجارَّ والمجرورَ (لدركِ) على الفاعل (ثعالُه) الذي حقُّه أن يأتي بعد الفعـل (تداعَت) والسببُ في تقديمه أهمّيّتُه، فهو يبيِّن سببَ وقوعِ فعل التّداعي من الفاعل (ثعالة) و تقديمُه يزيد إنكار وقوع الفعل (تداعتْ) من الفاعل (ثعالُه) واستنكارِه لسبب عظيم لـيس من شأن الفاعل (ثعالُه) في العادة أن يقوم به، وهو دَرْكُ الثّأر الذي هو من صـفة الأُسْـدِ التي جعلها الشاعر فاعلاً في الشطر الثاني، وقدّم عليه الجارَّ والمجـرورَ (علـى طـولِ) ليُظهر استغرابَه الشّديد من نوم الأُسْد التي تركَتْ طَلَبَ الثّأْرِ والشّجاعة للثّعالب، وتقديمُـه في الجملتين لم يُغيِّر شيئاً في العلاقات النحويةِ بين عناصر التركيبين، فظلّ كـلُّ عنـصر يؤدّي وظيفتَهُ النحويّةَ الأساسيّةَ. وقال بدر الدّين الحامد(٣) :

وَجْهُ الْغُرابِ تَوَارَى و انْطَوَى عَلَمٌ   لِلشُّؤْمِ مُذْ خَفَقَتْ لِلْيُمْنِ أعْلامُ

فالجارُّ والمجرورُ (لليمن) رتبتُه النحويةُ بعد الفاعل (أعلامُ) هذا في الأصل، لكنـه لـم يلتزم به، فغيّر موضعَه، وقدّمه على الفاعل؛ لأنه المحورُ الذي يدور فيه معنى التركيـب. فالشاعر يُظهر فرحتَه بجلاء المستعمر، فأراد أن يعجِّل بالبُشرى والمسرّة وإظهار الفرح، ويؤكّدَ زَوالَ المستعمر، وتحقيقَ الحريّةِ، وقدَّر أن كلّ ذلك يتحقّق لـه إذا أعـاد توزيـعَ العناصرِ النحوية في التركيب، وقدّم العنصرَ النحويَّ الذي من شأنه إذا قُدِّم أن يوحي بكلّ تلك المعاني، ويُعبّر عنها، وهو بتقديم الجارّ و المجرور (لِلْيُمْن) على الفاعل (أعـلامٌ) لا يَدَعُ مَجالاً لِشاكٍّ أو متردِّدٍ في قبول الخبر الذي نقله إليه، وهو خُفوقُ أعـلامِ الاسـتقلال الميمونةِ. وقال السياب(٤):

---

(1) الديوان، ج١/١٤٤.
(2) ثُعال وثُعالة:علما جنس الثّعلب، والمقصودُ: خِساسُ النّاس، والوتيرة: الثأر، والمقصود بالأسد: أشراف الناس.
(3) الديوان، ج١/١٤.
(4) الديوان، ١٧٦.

فَهَوَى إلى سَقَرٍ عَدُوُّ الشّعْبِ، فَانْطَلَقَتْ قُلُوبٌ

كانتْ تخافُ، فلا تَحِنُّ إلى أخٍ عَبْرَ الحُـــــدودْ

أعاد الشاعرُ توزيعَ عناصر التركيب، فقدم الجارَّ والمجرور (إلى سقر) علـــى الفاعـــل (عدوُّ) لأنه الغايةُ التي انتهى إليها الفعل (هوى) فأراد الشاعرُ- على ما يبـــدو- تعجيـــلَ توضيح النهاية التي صار إليها الفاعل (عدوُّ الشعب) ليُعجّل في تبديد الخوف الذي نـــشره هذا الفاعلُ في قلب الشعب. فتَقَدُّمُه يؤكّد نهايةَ الفاعلِ نهايةً حتميّةً، ويدعو إلـــى اطمئنـــان القلوب، واستئناسِها وحثِّها على الفرح، فليس ثمّة شكٌّ في سقوط الفاعل، ومآلِه إلـــى هـــذا المصير المجرور (سقر) الذي لا يمكنه أن يعود منه مرّةً أخرى، وهذه معانٍ وإيحاءاتٌ و دلالاتٌ ليس للتعبير النمطيّ (هوى عدوُّ الشعب إلى سقر) أن يؤدّيها. وقال البارودي(١):

بَذَلْتُ في الحُبِّ نَفْسِي وَهْيَ غَالِيَةٌ   لِبَاخلٍ بِصَفَاءِ الْوُدِّ مَنَّاعِ

فالجارّ والمجرور (في الحبّ) رتبتُه النحوية في الأصل بعد المفعول به (نفـــسي) لكـــنّ الشاعر قدّمه عليه؛ لأهمّيّته، فَمَدارُ الكلام والمعنى عليه، فأراد أن يقصر بذْلَ نفسه علـــى الحبّ؛ لأن المقام يقتضي ذلك، فقصْرُ بذلِها على الحبّ في هذا المقام يبرِّر حبَّـــه الـــشّديد لمحبوبته، ويصوِّر عواطفَه الجيّاشةَ نحوها، واستعدادَه للتضحية من أجلهـــا فحـــسبُ دون أشياء أخرى، فرفَعَهَا بهذا التقديم إلى درجة عالية، وأولاها تقديراً واحتراماً كبيرين، وهذه دلالاتٌ و إيحاءاتٌ لا يؤدّيها الجارّ والمجرورُ لو أنّه ذُكِر في مكانه الأصل بعد المفعـــول به (نفسي) لأنه لا يدفع احتمالَ أن يبذلَ الشاعرُ نفسَه في سبيل أشـــياء أخـــرى، وهـــذا لا يرضي المحبوبة؛ لأنه لا يميِّزها. و قال الشابّي(٢):

ثمّ ألْبَستَني من الحزنِ ثوْباً   وبشوكِ الجِبالِ توَّجْتَ رَأْسِي

(1) الديوان، ج٢/٢٥٨.
(2) الديوان، ٢٤١.

قدّم الشاعرُ الجارّ والمجرور(من الحزن) على المفعول به الثاني (ثوباً) ليلفت الأنظارَ إليه، و يشدّ القلوبَ نحوه؛ لِغَرابة العلاقة بينه وبين المفعول به، فالشاعرُ يعاتب شعبَه الذي خذَلَه؛ لأنه لم يَثُرْ على أعدائه رغم محاولاتِ الشاعرِ المتكرِّرة. فليس الغريبُ أن يلبس الإنسانُ ثوباً، بل الغريبُ أن يلبس ثوباً من الحزن، وهذا شيءٌ غيرُ معهودٍ ولا معتادٍ من المتلقّي أن يسمعه. فالجارّ والمجرور (من الحزن) بيّنَ نوعَ المفعول به؛ لذا كان من الأنسب تقديمُه عليه؛ لِيقفَ المتلقي أمام التركيب، ويتأمّله؛ كي يفتِّش عن الدّلالات والإيحاءات المختلفة فيه، وهذا يعطي التركيبَ قيمةً أكبر، وبذلك ظهرَ الفرقُ بين التعبير الجديد والتعبير النمطيّ الذي لا تقديمَ فيه. والقولُ نفسُه في تقديم الجار والمجرور (بشوك) على فعله (توَّج)

وقال أبو ماضي[١]:

واشْرَبْ بِعَيْنَيْكَ الجَمَالَ فَإِنَّهُ   خَمْرٌ بِغَيْرِ يَدِ الْهَوَى لَنْ تُعْصَرَا

يصف الشاعرُ جمالَ مدينة لوس أنجلوس الأمريكية، فقدّم الجارّ والمجرور (بعينيكَ) على المفعول به (الجمالَ) والأصلُ أن يذكرَه بعده، لكنه أعاد التوزيعَ والترتيبَ، فقدّم الجارّ و المجرور (بعينيكَ) لتستكمل الصّورةُ جمالها، ويزداد المتلقّي طرباً بسماع العبارة غيرِ المعهودة، فالجمالُ لا يُشْرَبُ؛ لأنه معنويّ وليس سائلاً، وشُرْبُ السّوائل لا يكون بالعينين اللتين مهمّتُهما النظرُ، وإنّما بالكؤوس والأقداحِ. فلمّا كان المعنى بديعاً، أراد الشاعرُ أن يكون التعبيرُ كذلك، فقدّم الجارّ والمجرور (بعينيكَ) لأنّه صار آلةَ الشُّرْب بعد أن كان آلةَ النّظرِ، وتقديمُهُ يشوّق المتلقّي أكثرَ إلى المفعول به (الجمالَ) لأنّه يُخمِّن– وقد فجَأهُ الشّاعرُ بآلة شُرْب غيرِ معهودةٍ – مفعولاً به غيرَ معهودٍ. وكلُّ هذا يجري في سياق لغة سليمة تلتزمُ القواعدَ النحويةَ، بل تسير في هدْيِها، فيتركُ الشاعرُ التعبيرَ

(1) الديوان، ٣٥٩.

الأصلَ، ويلجأ إلى تعبير جائز في اللغة والقاعدةِ النحوية والاستعمال؛ كي يُعبِّر عن المعاني التي يقصد.

٤- تقديمُ المفعول لأجله:

الأصلُ في المفعول لأجله أن يتأخّر عن عاملِه الفعلِ وعن الفاعل والمفعول به، ويجوز تقدُّمُه عليها إذا لم يكنْ في الفاعل مانعٌ من تغيير رتبته اللفظيّة في التركيب، وكان اللّبسُ مأموناً. ولا فرْقَ في تقديمه سواءٌ أكان منصوباً، نحوُ (رغبةً في العلم أتيتُ) بتقديم المفعول لأجله (رغبةً) على عامله (أتيتُ) أم مجروراً نحوُ (للطمعِ جئْتُكَ) بتقديم (للطمع) وهو مفعول لأجله في المعنى على عامله (جئتُك) ومثلُه (للتّجارة سافرْتُ)[(١)]. وكثرت في دواوين الشّعراء الخمسة المواضعُ التي تقدّم فيها المفعولُ لأجله على الفعل أو على الفاعل أو على المفعول به. قال أبو ماضي[(٢)]:

فَجَهْلاً تبْعَثُونَ الرُّسْلَ فِيْنَا تَدِيفُ لَنا مَعَ الأَرْيِ السَّماما[(٣)]

فالمفعول لأجله (جهلاً) الأصلُ فيه أن يأتي بعد فعلِه العاملِ فيه (تبعثون) لكنّ الشاعر قدّمه عليه، وأعاد توزيعَ العناصرِ النحويّة في التركيب؛ لأنه محورُ المعنى الذي يدور حوله التركيبُ فهو يذمُّ الأتراكَ، وسببُ ذمِّه لهم جهلُهم، فليس المستقبَحُ عنده أن يبعث الأتراكُ الرّسلَ، لكنّ المستقبَحَ أن يبعثوهم من أجل الجهل، فهو يبيِّن سببَ وقوع الفعل (تبعثُ) من الفاعلِ واوِ الجماعة، ولمّا كان الذّمُّ واقعاً على الفاعل وعلى فعله الصّادر منه بسبب الجهل، كان الأنسبُ تقديمَه جرْياً على ما تجيزه القاعدةُ النحويةُ ودفْعاً لاحتمالاتِ معانٍ أخرى، و قَصراً للفعل (تبعث) على هذا السبب دون الأسباب الأخرى. وقال بدر الدين الحامد[(٤)]:

---

(1)ينظر: ارتشاف الضّرَب، ج١٣٨٨/٣، وجامع الدروس العربية، ج٤٣/٣، وحسن، عبّاس النحوالوافي، ط٣، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ج١٩٧/٢.

(2) الديوان، ٥٣٦.

(3) تديف: تخلط، و الأرْيُ: العسل.

(4)الديوان، ج٤٧/١.

يادَهْرُ أَكْبَادُنَا حُزْناً لَهُ انْفَطَرَتْ   مَهْلاً بَلَغْتَ الْمَدَى يا دهْرُ فاتَّئِدِ

ذكر الشاعرُ المفعولَ لأجله (حزناً) قبل فعله العامل فيه (انفطرتْ) دون تغيير ما في العلاقات النحوية القائمة بين عناصر التركيب، وغرضُه التركيزُ عليه، والاهتمامُ به، وتوكيدُ أنّ فعل انفطارِ الأكبادِ ليس له سببٌ سوى الحزنِ على المرثيِّ، فتقديمُه يدفع الشكَّ في أنّه لم يكن السّببَ، ويسعى إلى إقناع المتلقّي أنّ الجماعة قد حزنت على المرثيّ حزناً بليغاً، وهو يُصوِّر بتقديمه حجمَ المصيبة، ويستعظمُها، ويُعلِي شأنَ المرثيّ، ويوضِّح قدْرَه عند مَنْ حزنوا عليه. وهذه معانٍ وإيحاءاتٌ ليس يؤدّيها التعبيرُ النمطيّ(انفطرت أكبادُنا حزناً له)لأنه يدلّ على حزن عاديٍّ مألوف، ولا يستوقف المتلقّي الذي يقرأ التركيب قراءةً عابرةً. وقال بدر الدين الحامد(١):

جَرَّةُ الْحَبْلِ يَتَّقِيها حِذاراً   واتِّعاظاً مَنْ ذاقَ طَعْمَ اللِّساعِ

الأصل في المفعول لأجله (حذاراً) أن يأتي بعد الفاعل (مَنْ) فأعاد الشاعرُ التوزيعَ، و غيَّر الترتيبَ؛ لأهمّيّته، فهو سببُ اتِّقاءِ الفاعل من إيقاع الفعل على المفعول به (جرّةَ الحبل) فهو يصوِّر حالاتِ القلق والخوف والألم التي يعيشها الفاعلُ، ويُحسُّ بها، وهي مشاعر عاشها في الماضي، ويعيشها في الحاضر، ويخشى أن تتكرّر في المستقبل إذا جرّ الحبلَ و لم يحذرْ. وهذه دلالاتٌ وإيحاءاتٌ ومعانٍ ما كان الشاعرُ لِيستطيع أن يوحي بها دون التصرُّف في موقع المفعول لأجله (حِذاراً) وتقديْمِه على الفاعل (مَنْ) لأنّه بتقديْمِه يستوقف المتلقّي؛ لِيتأمّلَ العبارةَ، ويتفاعلَ مع هذه الحالات التي اكتنفتِ الفاعلَ، وأحاطت به. وقال بدر الدين الحامد(٢):

مَشَارِفُ الشَّامِ تَهتَزُّ الْعِراقُ لَهَا   وتَنْتَشِي طَرَباً في مِصْرَ أَهْرَامُ

فقدّم المفعولَ لأجله (طرباً) على الفاعل (أهرامُ) وإن كان حقُّه النحويُّ أن يُذكَر بعده، لكنّ المعنى اقتضى ذلك، وناسبَ تقديمُه مقامَ النشوة والفرحِ والسّرورِ، فهو يبيِّن سببَ

(1) الديوان، ج٧٩/١.
(2) الديوان، ج١٨/١.

نشوةِ الفاعل، وتقديمُه يعجّل المسرَّة التي سببُها الطّربُ، والشاعرُ في ذلك يلتــزم القاعــدةَ النحويّةَ التي تجيز هذا الاستخدامَ إن كان ثمّة معنىً لا يؤدّيه التعبيرُ النمطيُّ. وقــال بــدر الدين الحامد(١):

ما تَعَوَّدْتِ أنْ تَمُدِّي افْتِقَاراً   يَدَ سُؤْلٍ لِراحِمٍ أو مَنُوحِ

ذكر الشاعرُ المفعولَ لأجله (افتقاراً) قبل المفعول به (يدَ) والأصلُ أن يُذكَر بعده، فغيّر رتبتَه النحويةَ من ناحية الشكل من دون أن يغيِّر الوظيفة النحويّة لهمــا. والغــرضُ مــن تقديمه لَفْتُ الأنظار إليه للعناية والاهتمامِ به؛ لأنه سببُ الفعل (تمــدُّ) مــن الفاعــلِ يــاءِ المخاطبة، و هو يُظهِر عزَّةَ الفاعلِ وإباءَه، وقدْرَه ومكانتَه وصبرَه على الــشدائد، ويؤكِّــد كلَّ هذه المعاني فيه، وليس للتركيب النمطيّ أن يؤدّي هذه المعاني والــدّلالاتِ، ويــوحي للمتلقّي بهذه الإيحاءات، والشاعرُ ما زال يجري في سياق القاعدة النحويّة التي أجازتْ لــه هذا الاستخدام كي يُعبِّر عن معانٍ إضافيّة تكون محورَ التركيب، ومدارَ الكــلام، وتجلــب انتباهَ المتلقّي، و تستوقفه؛ ليتأمّلَ التعبيرَ الجديد، ويسأل عن سبب تغيير المفعــول لأجلــه عن موضعه الأصل.

٥- تقديم المستثنى:

الأصل في الاستثناء أن يأتي المستثنى منه، فالأداةُ، فالمستثنى، ويجوز في النحو تغييرُ هذا الترتيبِ بتقديم المستثنى على المستثنى منه، نحوُ قولك: (ما فيها إلّا أباك رجلٌ، ومالي إلّا أباك صديقٌ) والأصلُ (ما فيها رجلٌ إلّا أباك، وما لي صديقٌ إلّا أباك) ومنه قولُ كعــب ابن مالك(٢):

النّاسُ أَلْبٌ علينا فيكَ و لَيْسَ لنا   إلّا السُّيوفَ وإلّا أَطْرَافَ الْقَنَا وَزَرُ(٣)

---

(1) الديوان، ج٢/٥١٨.
(2) ابن مالك، كعب، الديوان، تح:سامي مكّي العاني، ط١، مطبعة المعارف، مصر، ١٩٥٧م، ٢٠٩.
(3) أَلْبٌ: بفتح الهمزة وكسرها: جَمْعٌ، وَالوزَرَ: الملجأ، والقنا: الرِّماح.

بتقديم المستثنى (السيوفَ) و حقُّه التأخيرُ على المستثنى منه (وَزَرٌ) و حقُّه التقديمُ، و نحوُ قولِ الكميت[١]:

ومالي إلاّ آلَ أحمدَ شيعَةٌ   وما لي إلاّ مَذْهَبَ الحَقِّ مَذْهَبُ

بتقديم المستثنى (آلَ ومذهبَ) على المستثنى منه (شيعةٌ ومذهبٌ) وحقُّ الأوّل التأخيرُ، و الثّاني التقديمُ.

ومعلومٌ أنه يجوز في المستثنى إذا كان الاستثناء تامّاً منفيّاً، النّصبُ على الاستثناء و الإبدالُ من المستثنى منه، والتقديمُ للمستثنى يمنعه علاقةَ البدليّةِ من المستثنى منه؛ لأنه لم يُذكَر قبله؛ ولأنه لا يجوز تقديمُ البدل على المبدَل منه[٢].

ويجوز تقديمُهُ سواءٌ أكان المستثنى منه فاعلاً، نحوُ (قام إلّا زيداً القومُ) والأصل (قام القومُ إلّا زيداً) أم كان مبتدأً أُسنِد الخبرُ إليه، نحوُ (القومُ إلّا زيداً ذاهبون) والقصدُ (القومُ ذاهبون إلّا زيداً) ولافرْقَ في ذلك سواءٌ أكان الخبر اسماً ظاهراً كما مرّ، أم شبهَ جملةٍ، نحوُ(في الدّار إلّا عمراً أصحابُك) والأصلُ (في الدّار أصحابُك إلّا عمراً) ونحوُ (ها هنا إلّا زيداً قومُك) والأصلُ (هاهنا قومُك إلّا زيداً) والأمرُ سواءٌ إذا كان التقديمُ في سياق الإخبار في نحو الأمثلة السابقة، أم في سياق الاستفهام، نحو (أين إلّا زيداً قومُك؟) والأصلُ (أين قومُك إلّا زيداً؟) بإيلاء المستثنى أداةَ الاستفهام بدلَ المستثنى منه، ونحوُ (كيف إلّا زيداً قومُك؟) والأصلُ (كيف قومُك إلّا زيداً؟)[٣]. ويجوز تقديمُه على المستثنى منه إذا كان مفعولاً به، نحوُ (ضربْتُ إلّا زيداً القومَ) بتقديم المستثنى (زيداً) على المستثنى (القومَ) وهو مفعول به[٤]. ويجوز تقديمُه على صفة المستثنى منه؛ ليكون فاصلاً بينهما، وذلك في الاستثناء التامّ المنفيّ، وهذا التقديمُ لا يمنعه الإبدالَ من المستثنى منه؛ لأنه لا يتقدّم عليه،

---

(1) شرح الهاشميات، ٣٩.

(2) ينظر: الكتاب، ج٣٧٧/٢، والمقتضب، ج٣٩٧/٤، والفارسيّ، أبوعليّ، التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض بن حمد القوزي، ط١، مطبعة دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٠-١٩٩٢م، ج٦٥/٢-٦٦، و المتبع في شرح اللمع، ج٣٥٩/١-٣٦٠، و المفصل، ٨٧، وشرح المفصل، ج٧٩/٢، وشرح جمل الزجّاجي، ج٢٦٨/٢، وأوضح المسالك، ٣٣٥.

(3) ينظر:ارتشاف الضّرَب،ج١٥١٨/٣.

(4) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

نحوُ (ما أتاني أحدٌ إلّا أبوك خيرٌ منه) أو (ما أتاني أحدٌ إلّا أباك خيرٌ منه) بتقديم المستثنى (أبوك و أباك) على (خيرٌ) وهو صفة للمستثنى منه (أحدٌ) من دون أن تتغيّر العلاقاتُ النحويةُ الداخليّةُ و الشكليّةُ بينهما(١). وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضعُ النحويةُ التي تقدّم فيها المستثنى على المستثنى منه . قال البارودي(٢):

إذا لَمْ يَكُنْ إلّا المَعِيشَةَ مَطْلَبٌ   فكُلُّ زهيدٍ يُمْسِكُ النّفْسَ جابِرُ

والأصلُ (إن لم يكن مطلبٌ إلّا المعيشةَ) لأنّ (المعيشةَ) مستثنى، وحقُّه أن يأتي بعد المستثنى منه (مطلبٌ) وتقديمُه لم يكن له أثرٌ في تغيير الوظيفةِ النحويّةِ لكلٍّ منهما، ولا في وظيفة العناصرِ النحويةِ الأخرى سوى أنه منعه البدليّةَ من المستثنى منه، لكنّه جعل المستثنى (المعيشةَ) أهمَّ من المستثنى منه (مطلبٌ) وتقديمُه يُظهِر أهمّيّتَه وقيمتَه عند مَنْ يطلبه، ويبدو أنه يحصرُه فيه، و يَقْصِرُ الطَّلَبَ عليه، ويحثُّ المتلقّي على التخلّي عن المطالب الأخرى التي لا تَرْقَى إلى شأنه. وقال البارودي(٣):

نَسيرُ على دِينِ الْوَفاءِ ولم يَكُنْ   سِوَى الحُبِّ مِنْ قاضٍ علينا وحَاكِمِ

أعاد الشاعرُ توزيعَ العناصرِ النحويّةِ في التركيب (لم يكن سوى الحبّ من قاضٍ علينا) الذي حَوَى عناصرَ أسلوبِ الاستثناء، فقدّم المستثنى (سوى) على المستثنى منه (قاضٍ) و ذلك؛ للعناية والاهتمام به دون غيره، وجاء تقديمُه في سياق النّفي بـ (لم) وأثَّرَ تغييرُ موضعِه بالتقديم والتأخير على العلاقة النحوية بينه وبين المستثنى منه (قاضٍ) فلا يجوز للمستثنى في هذا التركيب، وقد تقدّم على المستثنى منه، أن يُبدَل منه؛ لأن حقّ البدل بعد المُبدَل منه، ووجبَ فيه النّصبُ على الاستثناء لا غيرُ. وتقديمُه جعل استثناءَه أقوى وآكَد،

---

(1) ينظر: التعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٦٦-٦٧، والمفصّل، ٩١-٩٢، وشرح المفصّل، ج٢/٩٢، وشرح جمل الزّجّاجي، ج٢/٢٦٨.
*ذكر ابن يعيش أن الرمّاني منع الرّفع على الإبدال، و أوجب النصب للمستثنى المتقدّم على صفة المستثنى منه؛ لأن الصفة و الموصوف بمنزلة الشيء الواحد، ينظر: شرح المفصّل، ج٢/٩٢.
(2) الديوان، ج٢/٨٣.
(3) الديوان، ج٣/٣٤٨.

وأَظْهَرَ رغبةَ الشاعر القويّةَ في إفراده وعزلِه عن جنسه وإعطائِه خصوصيّةَ القضاءِ دون غيره. وقال البارودي[١]:

أَنَا وَاللهِ مُنْذُ غِبْتَ عَلِيلٌ   لَيْسَ لي غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ دَوَاءُ

والأصلُ أن يؤخِّر المستثنى (غيرَ) ويقول (ليس لي دواءٌ غيرَ أن أراك) لكنّه عدل عنه إلى تعبير جديدٍ أجازتْهُ القاعدةُ النحويةُ والاستعمالُ الصَّحيحُ، فقدّم المستثنى (غيرَ) على المستثنى منه (دواءٌ) لِيَقْصِرَ الأمرَ عليه دون غيره؛ وليمنعَ الإبدالَ، فتقديمُه جعل المعنى و الاستثناءَ قطعيّاً بعد أن كان احتماليّاً، وأكّد رغبةَ الشاعر في أن تكون رؤيةُ الحبيب هي الدّواءَ الشّافي له من علّته التي سببُها غيابُه، وتقديمُه أظهر حُبَّ الشّاعرِ وتعلُّقَه الشّديدين به، وألغى بتقديمه المستثنى (غيرَ) علاقةَ التبعيّةِ البدليّةِ بينه وبين المستثنى منه (دواءٌ). و بتقديمه جعل النّفْيَ أقوى، والاستثناءَ آكَدَ. وقال بدر الدين الحامد[٢]:

قُمْ تَطَلَّعْ ففي الجزائرِ حَرْبٌ   ما عَلَيْهَا إلّا الْيَقِينَ مُعِينُ

ذكر الشاعرُ المستثنى (اليقينَ) قبل المستثنى منه (معينٌ) فقدّمه عليه؛ لِيُولِيَه العنايةَ و الاهتمامَ اللازمين؛ ولِيُظهِر قيمتَه؛ ويستوقف المتلقّي عنده؛ لِيُفتِّش عن الأسباب التي دفعت الشاعرَ إلى تغيير موضعِه الأصلِ. فلمّا عرف الشاعرُ انتفاءَ المُعِينينَ للجزائر من البشر و الأسبابِ المادّيّةِ، أخَّرَ المستثنى منه (معينٌ) وقدّم المستثنى (اليقينَ) لِتَتَركَّزَ الأنظارُ عليه، و

تَتَوَجَّهَ الأفهامُ نحوه، فتشعرُ بعظمة موقف الجزائر، وتستنكرُ الحربَ عليها، وتتعاطفُ معها.

٦- تقديم الحال:

---

(1) الديوان، ج١/٢٧.
(2) الديوان، ج٢/٤٠٧.

إنّ التعبير الطبيعيّ هو أن يتقدّم الفعلُ، فصاحبُ الحال، فالحالُ، نحوُ (جاء زيدٌ راكباً) و يكون هذا في مقام يكون فيه المخاطبُ خالي الذهن من مضمون الخبر، ويجوز تقديمُها على صاحبها وعلى عاملها إذا كان فعلاً متصرِّفاً، أو وَصْفاً يُشبِهُهُ، فمن الأوّل نحوُ (راكباً جاء زيدٌ) بتقديم الحال (راكباً) على صاحبها (زيدٌ) وعلى عاملها المتصرّف (جاء) ونحوُ قوله تعالى:﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ ﴾(١) فقدّم الحال (خشّعاً) على صاحبِها واوِ الجماعة، وعلى فعلها المتصرّف (يخرج) ومنه قولُ سُوَيْد بن أبي كاهل اليشكريّ(٢):

مُزْبِداً يَخْطِرُ ما لم يَرَني   وإذا يَخْلُو له لَحْمِي رَتَعْ

فقدّم الحالَ (مزبداً) على صاحبِها الضّميرِ المستترِ (هو) وعلى عاملِها المتصرّفِ (يخطر) ومن الثّاني نحوُ (مسرعاً زيدٌ منطلقٌ) بتقديم الحال (مسرعاً) على عاملها المشتقّ (منطلقٌ). ويُشترَط في عاملها إذا تقدمّت عليه ألّا يكون جامداً كفعل التعجُّب، ولا مشتقّاً يشبهُ الجامدَ كأفعلَ التفضيل، ولا معنويّاً كأسماء الاستفهام والإشارة والتشبيه، وأحرف التمنّي، ولا مسبوقاً بلام الابتداء ولا القسم، وليس صلة لحرف مصدريّ(٣).

ويجوز تقديمُها على عاملها لغرض من الأغراض البلاغية، ولمعنى خاصّ يريده المتكلمُ الذي يرى أن هذا المعنى لا يُفهَم إلّا إذا قدّم الحال، فإذا كان مخاطبه يشكّ في الحال، قدّمها المتكلمُ؛ ليرفع شكَّه، وينقلَه إلى الاطمئنان، نحوُ (ماشياً جاء محمدٌ) فخصصْتَ (محمدٌ) و هو صاحب الحال، بالمجيء في حالة المشي دون غيرها؛ لأن مَنْ تحدِّثه يعلم مجيءَ محمدٍ، لكنّه يشكّ في حالته، أو لا يعلمُها، فأزلْتَ وَهْمَه، وأثبتَّ لمحمد حالةَ المشيِ في مجيئه، ونفيتَ عنه الحالاتِ الأخرى، فأدَّيْتَ معنيين بعبارة واحدة، وهذا بخلاف ما إذا أوردْتَ التعبيرَ الطبيعيّ، وقلْتَ: (جاء محمدٌ ماشياً) فتكون قد أثبتَّ له حالةَ

(1) القمر، ٧.
(2) الضبّيّ، المفضَل، المفضّليّات، تح:أحمد محمد شاكر وعبد السّلام هارون، ط٣، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، ١٩٨.
(3) ينظر: المقتضب، ج١٦٨/٤، ١٧٠، ٣٠٠، والأصول في النحو، ج٢١٥/١، والمتبع في شرح اللمع، ج٣٤٠/١، وشرح جمل الزجاجي، ج٣٤١/١، وارتشاف الضرَب، ج١٥٨١/٣-١٥٨٢، وأوضح المسالك، ٣٥٣، ومغني اللبيب، ٦٠٢، وجامع الدروس العربية ، ج٨٧/٣-٨٨، والنحو الوافي، ج٣٠٠/٢.

المشيِ دون أن تنفيَ الحالاتِ الأخرى[١]. ولا ينحصر تقديمُها علــى عاملهــا فــي هــذا الغرض، فقد يقدّمها المتكلمُ لأغراض التعجّب والتفاؤلِ والتشاؤمِ والتهويلِ والفخرِ والمــدحِ والذمِّ وغيرِها من الأغراض و المعاني التي يتطلّبها المقامُ، ويستدعيها السّياقُ، وتستوجبها حالةُ المتكلم[٢]، نحوُ (منتصِراً عاد الجنديُّ) فقدّمت الحالَ (منتصراً) على عاملهــا (عــاد) للتعجيل بالمسرّةِ والفرحِ والتفاؤلِ و للفخرِ؛ لأن مَنْ تحدّثه ينتظرُ عودتَــه بهــذه الحالــة، ويترقّبها.

ويجوز تقديمُها على صاحبها معرفةً كان أم نكرةً، فمن تقديمها على صاحبِها المعرفــةِ، نحوُ (جاء ضاحكاً زيدٌ) بتقديم الحال (ضاحكاً) على صاحبها المعرفة (زيدٌ) ونحــوُ قــول طرفة ابن العبد[٣]:

فَسَقَى دِيارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا   صَوْبُ الرّبيعِ ودِيمَةٌ تَهْمِي

فقدّم الحال (غيرَ) على صاحبها المعرفة (صوبُ) ومن تقديمها على صــاحبها النكــرة نحوُ (جاء ضاحكاً رجلٌ) بتقديم الحال (ضاحكاً) على صاحبها النكــرة (رجــلٌ). ويجــوز تقديمُها عليه إذا كان مجروراً بحرف جرٍّ زائدٍ نحوُ (ما جاءني عاقلاً من أحدٍ) والأصــلُ (ما جاءني من أحدٍ عاقلاً) فقدّم الحالَ (عاقلاً) وأخّر صاحبَها (أحدٍ) وهو مجرورٌ بحــرف الجرّ الزائد (من). واشترطوا في تقديمها على صاحبها ألّا يكون مضافاً إليه، والعاملُ فيــه هو عاملُ الحالِ، نحوُ (عرفْتُ قيامَ هندٍ ضاحكةً) فلا يجوز تقديمُ الحال (ضــاحكةً) علــى صاحبِها (هندٍ) لأنه مضافٌ إليه، والمضافُ (قيامَ) هو العاملُ فــي الحــال، وألّــا يكــون مجروراً بحرف جرٍّ أصليٍّ، و يمتنع تقديمُها عليه إذا كانت محصورةً، نحوُ (ما جاء علــيٌّ إلّا راكباً) أو كان صاحبُها محصوراً، نحوُ (ما مسرِعاً إلّا عليٌّ)[٤].

(1) ينظر: معاني النحو، ج٢/٢٥٤-٢٥٦.
(2) ينظر: معاني النحو، ج٢/٢٥٤-٢٥٦، و علم المعاني، ١٥٥.
(3) ابن العبد، طرفة، الديوان، تح: درّية الخطيب ولطفي الصّقال، مجمع اللغة العربية، دمشق،١٣٩٥هـ -١٩٧٥م، ٩٧.
(4) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ج١/٣٤٦، و ارتشاف الضّرَب، ج٣/١٥٧٨-١٥٨٠، و أوضح المسالك، ٣٥٨، و جامع الدروس العربية، ج٣/٨٥، و النحو الوافي، ج٢/٢٩٨-٢٩٩.

وتقديمُها على صاحبها يكون لمعنى من المعاني، فالعُدولُ من تركيب إلــى تركيــب، و تغييرُ ترتيب العناصر النحوية لا يكون إلّا جَرْياً وراء معنى خاصٍّ يريده المتكلمُ؛ لئلّا يَفقدَ الخطابُ قيمَتَه، ولِيظلّ التّواصلُ قائماً مع المخاطب، فهو يقدّمُ الحالَ إذا كانــت أهــمَّ مــن صاحبها، وعنايتُهُ بها أكبرَ؛ لأن مخاطبه يشكّ فيها، أو يترقّبُها؛ ليُسَرَّ، أو يُــساء بهــا، أو أراد المتكلمُ تخويفَ المخاطبِ من صاحبها، أو استغربَ، وتعجّبَ من اقتــران صــاحبها بالحدَث في هذه الحالة. وعلى العموم فإن غرضَ تقديمها علــى صاحبها لا يخــرج مــن دائرة الأغراض العامّةِ لتقديم عنصرٍ نحويّ، وتغييرِ رتبتِه في التركيب. وأستعرضُ بعضَ الشواهد التي وردت في دواوين الشعراء الخمسة، وقد تغيّــرت الحــالُ عــن موضــعِها الأصلِ، ومن ذلك قولُ البارودي يصفُ طائراً[١]:

مُسْتَوْفِزاً يَتَنَزَّى فوقَ أَيْكَتِهِ تَنَزِّيَ القَلْبِ طالَ العَهْدُ فَادَّكَرَا[٢]

الأصلُ أن يذكر الحالَ (مستوفزاً) بعد الفعل (يتنزّى) لأنه العامل فيها، فقــدّمها عليــه؛ لِيُثبِتَ لصاحبِها الفاعلِ (هو) والمقصودُ به الطّائرُ، هذه الحالةَ التي كان عليها، وينفي عنــه الحالاتِ الأخرى، وهو بذلك يدفع الشكَّ عن المتلقّي، ويزيلُ وهْماً في اعتقــاده، فــالمعنى يسير في اتّجاه واحد، هو تصويرُ الطائرِ في حالة (مستوفزاً) دون الحالاتِ الأخرى. وقال السيّاب[٣]:

حَسْناءُ يا ظِلَّ الرّبيعِ مَلَلْتُ أشباحَ الشِّتاءْ

سُوداً تُطِلُّ من النوافذِ كُلّما عَبَسَ المَساءْ

أعاد الشاعرُ توزيعَ العناصرِ النحويّةِ، وغيّرَ ترتيبَها في التركيب، فلــم يحفــظْ للحــال (سُوداً) وعاملِها الفعلِ (تُطلّ) رتبتَهما، فقدّمها عليهما؛ ليجعل المعنى ومدارَ الكلام عليهــا، فهو يؤكّد بتقديمها أن صاحبَها الفاعلَ (هي) – أشباح الشتاء – لا تأتيه بغير هــذه الحالــةِ

(1) الديوان، ج٢/١٠٤.
(2) مستوفزاً: غير مطمئن، وقد تهيّأ للوثوب والطيران، ويتنزّى: يثب، والأيكة:الشجرة ذات الأغصان الكثيرة الملتفة.
(3) الديوان، ٦٤.

السّوداءِ الكئيبةِ المحزنةِ، وهذا يُصوِّر حالاتِ القلق والخوف والكآبة التي تحيط بالــشاعر، ويُغلق أبواب الأمل والرّجاء والتفاؤل. وهذه دلالاتٌ وإيحاءات لا يؤدّيها التركيبُ الطبيعيّ (تُطِلّ سُوداً) وكأنّ الحسناء التي خاطبَها كانت تشكُّ فيما يقول، أو أنّه توقّع ذلك، فرأى أنّه من الأنسب أن يحتاط للمعاني التي أراد التعبيرَ عنها، وكان تقديمُ الحــال (سُــوداً) علــى عاملِها الفعلِ (تُطِلّ) سبيلَه إلى ذلك. وقال بدر الدين الحامد[١]:

ويا فَقِيْدَ اللَّيَالِي الْبَاكِياتِ جَرَى   دَمْعاً عليكَ نَظِيمُ الشَّاعرِ الغَرِدِ

والأصلُ أن يقول: (جرى نظيمُ الشَّاعرِ الْغرِدِ دمعاً عليك) لكنّه أعــاد التوزيــعَ، وغيّــرَ الترتيبَ، فقدّمَ الحالَ (دمعاً) على صاحبها (نظيمُ) والغرضُ المبالغةُ فــي تــصوير حالتــه وتوكيدُها، فالعلاقةُ بينهما علاقةُ تشبيهٍ، المشبّهُ هو صاحبُ الحال (نظيمُ) والمشبَّهُ به هــو الحالُ (دمعاً) فلمّا قدّمها، صار التشبيهُ أقوى، والصّورةُ أجملَ، وذلــك؛ لِطَرافــة العلاقــة بينهما، فالشاعرُ قد كتب نظْمَه في المرْثيِّ بدموعه، وهذا معنىً طريفٌ يــستحقُّ الوقــوفَ عنده، وتأمُّلَه، وهذا سبيلُه يكون بتقديم الحال بغيةَ لفْتِ الأنظار إلى أهمّيّتها؛ لِتتوجَّه العنايةُ إليها دون غيرها. وقال بدر الدين الحامد [٢]:

أَطْبَقَ الجَفْنَ راضياً مطْمَئِنّا   عَنْدَليبٌ على ذُرَا الْفَنِّ غَنَّى

قدّم الشاعرُ الحالين (راضياً ومطمئنّاً) على صاحب الحــال (عنــدليبٌ) وحقُّهمــا فــي التركيب بعده، فعدلَ إلى تعبير جديد؛ لِيُنبّه إلى أهمّيّتهما، فهما محورُ المعنى ومدارُ الكلام في التركيب، فليس المهمُّ عند الشاعر أن يطبق صاحبُ الحال (عندليبٌ) جفنَه في أيّةِ حالةٍ أراد، بل المهمُّ عنده أن يطبقه في هاتين الحالتين اللتين تُسعدان الــشاعر، وتُفرحانــه، و تجعلانه يشعر بالرّضا والاطمئنان، فتقديمُهما يؤكّــد العلاقــةَ بينهمــا وبــين صــاحبهما (عندليبٌ) وينفي عنه الحالاتِ الأخرى، وهو يُطبق جفنَه، ويدفعُ الشكَّ، ويزيلُه مــن نفــس المتلقّي، و يفرضُ عليه أن يسلِّم بهذا المعنى، وينهاه عــن الجــرْيِ وراء دلالاتٍ أخــرى

---

(1) الديوان، ج١/٤٢.
(2) الديون، ج٢/٤٨١.

يقصدْها. و قال أبو القاسم الشّابّي[١]:

تَتَألَّهُ الأفكارُ و هْيَ جِوارَهُ   و تَعودُ طَاهِرَةً هُناكَ الأنْفُسُ

الأصلُ في الحال (طاهرةً) أن تُذكَر بعد صاحبها الفاعل (الأنفسُ) لكنّ الشاعر غيَّرَ رتبتَهما من ناحية الشّكل دون أن يلغي العلاقةَ القائمةَ بينهما، ودون أن يؤثّر التغييرُ في علاقتهما بالعناصر النحوية الأخرى في التركيب، وسببُه تركيزُ العنايةِ والاهتمامِ على الحال دون صاحبها، وقصْرُهُ عليها، ونفْيُ الحالاتِ الأخرى عنه، فالذي يعني الشاعر عودةُ الأنفس في حالة الطُّهرِ، ولا تعنيه عودتُها في أيّة حالة، وهذا المعنى لا يُلْتَفَتُ إليه دون تقديم الحالِ على صاحبها، فالمتلقّي إذا كان أمام تعبير نمطيّ، قرأَهُ دون أن يتأمّله، وتقديمُها يدفع الشكَّ، ويزيلُ الالتباس، وهو في هذا التغييرِ يجري بحسب القاعدةِ النحويّةِ التي أجازتْ ذلك.

٧- تقديم التمييز:

الرتبةُ الأصلية للتمييز أن يأتي بعد العامل، وبعد المُمَيَّز، ويجوز تقديمُه على عامله إذا كان فعلاً متصرِّفاً، وكان التمييز ملحوظاً، نحوُ (شَحْماً تفقَّأتُ) ونحوُ قول المُخَبَّل السَّعْديّ[٢]:

أَتَهْجُرُ لَيْلَى بالفِرَاقِ حَبِيبَهَا   وما كانَ نَفْسَاً بالفراقِ تَطِيبُ

بتقديم التمييز (نفساً) على عامله (تطيب) وجاز ذلك؛ لأن الفعل (تطيب) متصرّف؛ ولأنّ التمييز (نفساً) تمييزُ جملةٍ ملحوظٌ[١].

(1) الديوان، ٣٦٣.
(2) ينظر: المقتضب، ج٣/٣٦، والمفصل، ٨٥، والإنصاف، ج٢/٨٢٨، وشرح ابن عقيل، ج١/٦٧٠، وشرح الأشموني، ج٣/١٦٤.

ويجوز تقديمُه وتوسيطُه بين الفعل وما أُسنِد إليه، نحوُ (طاب نفساً زيدٌ، وحسُن وجهاً عمروٌ)[٢]. ولم أعثرْ في دواوين الشّعراء الخمسة على تراكيب تقدَّمَ فيها التمييزُ على عامله، أو توسّط بين الفعل العاملِ فيه وما أُسنِد إليه، ولعلّ في هذا دلالةً على ندْرَة تغيير موضعه. ويبدو أنَّ ذلك مَرَدُّه أنّ تقديمَه لا يخدُم المعنى كثيراً، ولمّا كان كذلك، التزموا فيه أصلَ الوضع .

٨-تقديم الضمير على الاسم العائد إليه:

الأصلُ في الضمير أن يعود إلى اسم يتقدّمه في اللفظ والرتبة[٣] نحوُ (الكتابُ أخذتُه) فهاءُ الغائب عائدةٌ إلى الاسم (الكتابُ) الذي يتقدّمها في اللفظ والرتبة النحويّة. ويجوز في النحو مخالفةُ هذا الترتيب، وتغييرُه من قبل المتكلم بتقديم الضمير على الاسم إذا كان متّصلاً بالمفعول به المتقدِّم على الفاعل، نحو (ضرب غلامَه زيدٌ) والأصلُ (ضرب زيدٌ غلامَه) فقدّم الضمير هاءَ الغائب على الاسم (زيدٌ) وجاز ذلك؛ لأنه اتّصل بالمفعول به (غلامَه) المتقدّمِ على الفاعل (زيدٌ) أو اتّصل بالمجرور المتقدّمِ على فعله وفاعله أو نائب فاعله نحو (في بيته يُؤتَى الحكَمُ) والأصل (يُؤْتَى الحكمُ في بيته) فجاز تقديمُ الضميرِ هاءِ الغائب على الفعل (يُؤْتَى) وعلى نائب الفاعل (الحكمُ) لأنه اتّصل بالمجرور (بيتِ) المتقدّمِ على فعله (يُؤْتَى) ونائب الفاعل (الحكمُ) أو اتّصل بالمجرور المتقدّم على المفعول به، نحوُ قول زهير بن أبي سُلْمى[٤]:

إنْ تَلْقَ يَوْمَاً على عِلاّتِه هَرِماً ... تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ والنَّدَى خُلُقَا

والأصل (إن تلقَ هرماً على علاّته) فغيّر ترتيبَ العناصرِ النحويّةِ، فقَدَّم الضّميرَ هاءَ الغائب على الاسم العائد إليه (هرماً) لأنه اتّصل بالمجرور (علاّتِ) المتقدّمِ على المفعول

---

(1) ينظر: الأصول في النحو، ج٢/٢٢٩، والمفصّل، ٨٥، وشرح المفصّل، ج٢/٧٤، وأوضح المسالك، ٣٧٠.
(2) ينظر: ارتشاف الضّرَب، ج٤/١٦٣٣.
*اختلفوا في تقديم التمييز المنقول على الفعل المتصرف، فمنعه سيبويه والفرّاء وأكثر البصريين والكوفيين و أبو عليّ، و أجازه الكسائي والجرميّ والمازني وابن مالك، وأيّدهم أبو حيّان لكثرة الشواهد. ينظر: ارتشاف الضرب، ج٤/١٦٣٤-١٦٣٥.
-لا يجوز تقديم التمييز على فعله الجامد، ولا يجوز تقديم التمييز غير المحوّل على عامله مطلقاً.
(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج٤/٣٠، والتعريفات، ٢٩، و معاني النحو: ج١/٥٧.
(4) ابن أبي سلمى، زهير، الديوان، تح: فخرالدين قباوة، ط٣، دارالآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م،٧٦.

به (هرماً) ومعلومٌ أن رتبة المفعول به قبل المجــرور بحــرف الجــرّ[١]، ومثلُــه قــول الأعشى[٢]:

أَصَابَ المُلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ وأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا جَدَنْ

والأصلُ (أخرج ذا جَدَنٍ من بيته) والقولُ فيه كالقول في سابقه، أو اتّــصل بــالمفعول الثاني المتقدّم على المفعول الأوّل، نحو (أعطيتُ درهمَه زيداً) والأصلُ (أعطيــتُ زيــداً درهمَه) فقدّم الضميرَ هاءَ الغائب؛ لأنه اتّصل بالمفعول الثــاني (درهــمَ) المتقــدّمِ علــى المفعول الأوّل (زيداً) أو اتَّصل بمفعول به هو معمولٌ لخبر (كان) ومتقدّمٌ عليهــا، نحــو (غلامَه كان يضرب زيدٌ) فقدّم الضميرَ هاءَ الغائب على الاسم (زيداً) لأنه مفعول به لـــ (يضرب) خبرِ (كان) وتقدّم على (كان) أو اتّصل بالمجرور المتقدّمِ على الفاعــل، كقولــه تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[٣] فقدّم الضميرَ هاءَ الغائب على الاسم (موسى) لأنــه اتّصل بالمجرور (نفس) المتقدّم على الفاعل (موسى)[٤] ومثلُه قولــه تعــالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٥] و الأصلُ (ولا يُسألُ المجرمون عن ذنوبهم) أو اتّصل بــالمجرور المتعلّق بخبر محذوف متقدّمٍ على المبتدأ، نحو (في داره عبدُ الله) والأصلُ (عبدُ الله فــي داره) وجاز تغييرُ الترتيب بتقديم الضمير هاء الغائبِ على الاسم (عبدُ الله) لأنــه اتّــصل بالمجرور (دارِ) المتعلّقِ بخبر محذوف متقدّمٍ على المبتدأ (عبدُ الله)[٦]. وقد جــاز تقــديمُ الضمير على الاسم في الحالات المذكورة؛ لأن اللبسَ مأمون، والمعنى مفهــومٌ واضــحٌ؛ ولأن الرُّتَبَ النحوية الأصليّة محفوظةٌ، وهو تقديمٌ على نيّة التأخير. ولا يكون هذا التغييرُ

---

(1) ينظر: المقتضب، ج١٠٢/٤، والأصول، ج٨٧/١، ج٢٣٨/٢، والأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات جامعة البعث، حمص، ١٩٨٨-١٩٨٩م، ج٦٥/١-٦٩، و شرح جمل الزجاجي: ج١٠/٢، و البرهان في علوم القرآن: ج١٩/٤-٢١، وجامع الدروس العربية: ج١٢٥/١-١٢٦، ومعاني النحو: ج٥٧/١.
(2) الأعشى، الديوان، تح: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الإسكندرية، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ٦٥.
(3) طه، ٦٧.
(4) ينظر: المقتضب، ج١٠٢/٤، والأصول في النحو، ج٨٧/١، ج٢٣٨/٢، وشرح جمل الزجاجي، ج١٠/٢، والبرهان في علوم القرآن، ج٤ /١٩-٢١، والنحو الوافي، ج٢٣٢/١، ومعاني النحو، ج٥٧/١.
(5) القصص، ٧٨.
(6) المصادر والمراجع والصفحات نفسها في الإحالة رقم (٢).

إلّا لمعنى يقصده المتكلمُ، وهو لا يخرج عن دائرة الأغراض العامّة للتقديم والتأخير؛ لذلك لا أُعيدُ القول فيها.

ويجوز تقديمُه على الاسم إذا اتّصل بفعل التعجُّب المعطوفِ على فعل تعجُّب آخر، فيكون مع الفعل الذي اتّصل به فاصلاً بين فعل التعجّب الأوّل والمتعجَّب منه الذي هو الاسمُ الذي يعود عليه، نحو (ما أَحْسنَ وأَجْمَلَهُ زيداً) و الأصلُ (ما أَحْسَنَ زيداً وأجْمَلَهُ) فجاز تغييرُ الترتيب بتقديم الضميرِ هاءِ الغائبِ؛ لأنه متعجّب منه متّصلٌ بفعل التعجّب

(أجْملَ) المعطوفِ على فعل التعجب (أحسن)[١].

ويجوز تقديمُه عليه في أسلوب التنازع، نحو(قاما وقعد أخواك)فقدّم الضميرَ ألفَ التثنية على الاسم (أخواك)لأنه ورد في أسلوب التنازع، وهذا التقديمُ يكون على شريطة التفسير، ويجوز(قام وقعدا أخواك)والأصل(قام أخواك وقعدا)[٢]. ويبدو أن التقديم هنا غرضُه التشويقُ، وإثارةُ النفوس وتهيئتُها لمعرفة الاسم الذي يعود الضمير عليه.

ويجوز أن يتقدّم الضميرُ على الاسم في اللفظ والرّتبة إذا كان ضمير الشأن أو القصّة، فالشّأنُ للمذكَّر، والقصّةُ للمؤنَّث، نحو (هو زيدٌ منطلقٌ) وقوله تعالى﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٣] فالضمير المنفصلُ (هو) يعود على لفظ الجلالة (اللهُ) المتأخِّرِ لفظاً ورتبةً، وجازت مخالفةُ القاعدةِ الأصلِ؛ لأنه ضميرُ الشّأن، ومثلُه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[٤] بتقديم ضمير القصّة المتّصل بـ (إنّ)على الاسم (الأبصارُ) وضميرُ الشأن يكون منفصلاً كما في آية الإخلاص، ويكون متّصلاً كما في الآية السابقة، ويتّصل بالحرف المشبَّه بالفعل، نحو قوله تعالى:﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[٥] أو بالفعل الناسخ، نحو

(1) ينظر: المقتضب، ج٤/١٨٤، والأصول، ج١/١٠٦.
(2) ينظر: المقتضب، ج٤/٧٧، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٣٠.
(3) الإخلاص، ١.
(4) الحجّ، ٤٦.
(5) الجنّ، ١٩.

(ظننته زيدٌ قائمٌ) بتقديم ضميرِ الشأن هاءِ الغائب على الاسم (زيدٌ) لاتِّصاله بالفعل الناسخ (ظنّ). وقد يكون ضميرُ الشأن ضميراً مستتراً، وذلك إذا جاء بعد الفعل الناسخ فعلٌ، نحو (ليس خلق اللهُ مثلَه) و التقديرُ (ليس الشأنُ خلقَ اللهُ مثلَه) أو جملة اسميةً مرفوعٌ ركناها، نحو (كان زيدٌ ذاهبٌ) و التقديرُ (كان هو زيدٌ ذاهبٌ)[١]. والمتكلمُ إنّما يقدّم الضميرَ على الاسم، ويُغيِّر ترتيبَ الجملة وتوزيعَ العناصرِ النحوية فيها؛ لتحصيل البلاغة عن طريق الإضمار والتفسير؛ لأنه يعرف أنّ إيراد الجملة بترتيبها الطبيعي يكون عائقاً بينه وبين المعنى الذي يصبو إليه، فهو يريد التعظيمَ وتفخيمَ الشأن، فالشيءُ إذا كان مُبهَماً تطلّعت النّفوسُ إلى فهمه، وتشوّقت إلى معرفته، ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٢] وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣] تفخيماً وتعظيماً وإعلاءً لشأنه تعالى الذي له الأحَدِيّةُ والعِزّةُ والحكمةُ دون سواه. وقد يفيد التوكيدَ إلى جانب التعظيم والتفخيم ؛ لأن الكلام مع ضمير الشأن كأنّه موجَّهٌ إلى مخاطب يشكّ في مضمون الخبر، فقولُك (زيدٌ حاضرٌ) خبرٌ ابتدائيّ، وقولك (زيدٌ هو الحاضرُ) بإيراد ضمير الفصل خبرٌ طلبيٌّ، وقولُك: (هو زيدٌ الحاضرُ) للتفخيم والتعظيم وتوكيدِ معنى الحضور فيه، ولِتُسكتَ المخاطبَ، ولِتُشعره أنه أقلُّ من أن تشكّ فيه. وضميرُ الشأن يلتزم الإفرادَ، فلا يُثنّى ولا يُجمَع، ولا يُتبَع بتابع، فلا يؤكَّد، ولا يُعطَف عليه، ولا يُبدَل منه، و مفسِّرُه جملةٌ تأتي بعده[٤].

ويجوز تقديمُ الضمير على الاسم إذا كان مجروراً بـ (رُبّ) مفسَّراً باسم نكرة يُذكَر بعده، نحو (ربّه رجلاً) أو كان فاعلاً لـ (نِعم وبئس) مفسَّراً بتمييز نكرةٍ، نحو (نِعْم رجلاً زيدٌ، و بِئْسَ رجلاً زيدٌ) أو بلفظة (ما) نحو قوله تعالى﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[٥] وفعلوا ذلك؛ لأنه أَوْقعُ في الذهن مرّتين، أو لأن الإبهام يسبِّب للنفس ألماً؛ لجهلها به، فتتحقّقُ لذّتُها بالتفسير؛ لأن اللذّة بعد الألم أقوى منها إذا جاءت مباشرة، وهذا معلومٌ بالوجدان، وهو نوعٌ من

---

(1) ينظر: المفصّل، ١٧١، والجرجاني، الشريف علي بن محمد، التعريفات، ط٣، دار الكتب العلميّة، بيروت،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ٢٩، ومغني اللبيب، ٦٣٦.
(2) الإخلاص، ١.
(3) النمل، ٩.
(4) ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ١٥٣، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٢-٢٥٣، ج٤/٣٠،٢٢، والجملة العربية والمعنى ،٢٤١، الجملة العربية تأليفها وأقسامها ،١٣٤، ومعاني النحو ، ج١م٥٥-٥٩.
(5) البقرة، ٢٧١.

الإطناب[١]. و ثمّة مواضعُ نحويّةٌ في دواوين الشعراء الخمسة تقدّم فيها الـضميرُ علـى الاسم الذي يعود إليه دون أن يشمل تقدّمُه عليه كلَّ الحالات التي جاز فيها هذا التغييرُ، بل إنّ ما ورد من هذا التغيير اقتصر على ضمير الشأن. قال البارودي[٢]:

هُوَ النَّبِيُّ الّذِي لولا هِدَايَتُهُ   لَكانَ أَعْلَمُ مَنْ في الأرض كالهَمَجِ

فضميرُ الشأن (هو) حقُّه بعد الاسم (النبيُّ) لكنّ الشاعر غيّر ترتيبَهما، و قدّمـه عليـه؛ لتعظيم الاسم (النبيُّ) و المبالغةِ في مدحه، و للدلالة على أنه جمـع فـي شخـصه كـلَّ الصّفاتِ الحميدة الشّاملة للأنبياء، فأبْهَمَ الكلامَ، ثمّ فسّره بدلَ أنْ يفسِّر الكلامَ، ثـمّ يبهمَـه؛ حتّى يستثير نفسَ المتلقّي ويحرِّكَ خيالَه، فيسأل عن شأن صاحبِ الـضمير (هـو) وعـن قصَّته، ويستعلم أمرَه، فإذا عرف أنه النبيُّ الذي جمع كلَّ صـفاتِ الأنبيـاء، وأنّ هدايتَـهُ كانت سبباً في رُقِيِّ النّاس، استعظمَ مكانته، واستعلى شأنَه، وشعر بلذّة تحـصيل المعنـى. وقال البارودي[٣]:

هُوَ البَيْنُ حتَّى لا سَلامٌ ولا رَدُّ   ولا نَظْرَةٌ يَقْضِي بها حَقَّهُ الْوَجْدُ

الأصلُ أن يذكر الضمير (هو) بعد الاسم (البينُ) لأنه عائد إليه؛ ولأن رتبتـه النحويـة بعده، فغيَّر الشاعرُ الرّتبةَ، وأعاد التوزيعَ و الترتيبَ، وجاز له ذلك؛ لأنّ الضمير ضـميرُ الشأن، وهو في مقام تخويف وتحذير واستعظامٍ لأمر (البين) فـأراد أن يُهيِّـيء المتلقّـيَ لسماعه؛ حتّى لايفْجأه به ، ويكونَ ثقيلاً عليه، وقـصد أن يـستحثّه، ويـستنهضَ فكـرَه؛ لتحصيله بعد أن يقف أمام الضمير (هو) ويستفسر عن أمره وشأنه، فإذا علم أنـه البـينُ الذي يفرِّقُ الأحبّةَ، ويقطع السّلامَ والرّدَّ عليه، ولا يتمتّع بسببه الحبيبُ بالنّظر إلى حبيبـه، استعظَمَه. و التعبيرُ الطبيعيّ ليس له أن يؤدّي هذه المعاني والإيحاءاتِ والدلالاتِ؛ لأنه لا

(1) ينظر: التعريفات، ٢٩، ومغني اللبيب، ٦٣٨، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ١٥٣، والبرهان في علوم القرآن، ج٣٠/٤، والجملة العربية والمعنى،٢٤١، ومعاني النحو، ج٥٩/١-٦٠.
(2) الديوان، ج١٠٣/١.
(3) الديوان، ج١٦١/١.

يقرعُ الأسماعَ القَرْعَ الذي يريده الشاعرُ، ولا يحرِّك العقولَ، ولا يستثير الأخْيلةَ التي من شأنها أن تُشعره باللّذّة؛ لأنه حصّلَ المعنى بجهدٍ وفكْرٍ. قال الشابي(١):

هُوَ الْكَوْنُ يُحِبُّ الحَيَاةَ ويَحْتَقِرُ المَيْتَ مَهْمَا كَبُرْ

قدّم الشاعرُ الضميرَ (هو) على الاسم الذي عاد إليه (الكونُ) وقد جاز له ذلك؛ لأنه ضميرُ الشأن، فهو مازال يجري، ويؤلِّفُ تركيبَه، ويُعيدُ ترتيبَ عناصرِه النحويةِ وتوزيعَها في سياق القاعدةِ النّحويةِ التي أجازت مثلَ هذا الاستعمالِ، وقد فعل ذلك؛ لأنه قصد الإبهامَ أوّلاً، والتفسيرَ ثانياً، فبدأ تركيبَه بالضمير (هو) دون أن يقدّم اسماً يعود عليه؛ لِيسأل المتلقّي عن أمره وشأنه وصفته، ويبحث عن أمر الاسم الذي ينبغي أن يعود إليه، وهذا يشدّه إلى السّماع، ويُهيِّئه لاستقبال ما بعده، وهو في شوق إليه، فإذا عرف أنه الكونُ الذي من صفته أنه يحبّ الحياةَ، ويحبّ مَنْ يتمسّك بها، ويحتقر الأمواتَ، استعظمه، وشعر بلذّة المعاني التي جاء بها. وليس للشاعر– وقد علم أن التعبير النمطيّ لايوصله إلى هذه الدلالات والمعاني– إلّا أن يستخدم تعبيراً جديداً يُغيِّر فيه رتبةَ العناصر النحويّة. وقال أبو ماضي(٢):

هُوَ الْبُخْلُ طَبْعٌ في الرِّجالِ مُذَمَّمٌ ولكنَّهُ في الْغِيدِ شَيْءٌ مُحَبَّبُ

الأصل في الضمير (هو) أن يُذكَر بعد (البخلُ) لأنه الاسم الذي يعود إليه، لكنّ الشاعر غيَّر رتبتَهما، فقدّمه عليه؛ لأنه أراد إبهام المعنى ثمّ تفسيره؛ لِيجعل أثرَه في نفس المتلقّي أعمقَ، ووقْعَه في سمعه أقْوى، فلمّا قدّم الضمير (هو) استوقف المتلقّي أمامه؛ لِيسأل عن شأنه وأمره وأمرِ الاسم الذي يعود إليه، فتدور في نفسه الاحتمالاتُ، ويتحرّك الشّوقُ لتحصيله، فإذا عرف أنه البخل الذي من شأنه أنه ذَميمٌ إذا اتّصف به رجلٌ، وأنه محبوبٌ إذا اتّصفت به فتاةٌ حسناء، استعظمه، واستعلى قدْرَه، وهو يرى حالتين متناقضتين له،

(١) الديوان، ٣٢٨.
(2) الديوان،١١٠.

فلا يبقى في نفسه شكٌّ أنه كذلك، فيسير مع الشاعر في هذا الاتِّجاه، وقد أطربَه المعنـــى، وحرَّك مشاعرَه وأحاسيسَه، وغرسَ اللّذّةَ في نفسه. وقال بدر الدين الحامد[1]:

عَدِمْتُ رَشادِي أَيْنَ كان الحِجَا مِنِّي وأَيْنَ هُوَ الحَقُّ المُبينُ من الظَّنِّ

أعاد الشاعر توزيعَ عناصره النحوية، فقدّم الضمير (هو) على الاسم الذي يعــود إليــه (الحقُّ) وحقُّه في النحو أن يتأخّر عنه، فعدل بالتركيب إلى قاعدة فَرْعيّة تُجيز لــه تغييــرَ رتبتهما. والغرضُ من تقديمه هو المعنى الذي قصد إبهامَه ثمّ تفسيرَه، فألقى على المسامع الضمير (هو) دون أن يقدّم الاسمَ الذي يعود إليه، فحرّك الأذهانَ، وشدَّ الأسماعَ، وشــوّقَ النّفوسَ إلى معرفة شأنه وأمره وشأن الاسم الذي يعود إليه، فلمّا عرفَتْ أنه الحقُّ الذي من صفته الوضوحُ والإبانةُ والعُلُوُّ والعظمةُ والمنزلةُ الرّفيعةُ والبُعــدُ البعيــدُ عــــن الــشّكّ والظّنِّ، وأنه الحقيقةُ والواقعُ، شعرتْ بلذّة تحصيل المعاني وسماعِها، وكأنه المــاءُ الــذي يــــروي ظَمَأَها، فصار أَثَرُ هذه المعاني في النفوس أعْمَقَ، ووَقْعُها أَقْوى، ونفْيُها لــشكّ المتلقّي في صفات (الحقُّ) آكدَ، وليس للتعبير الطبيعيّ أن يؤدّي هذه المعاني والدّلالاتِ.

٩-تقديم الصفة على الموصوف:

الأصلُ في التابع أن يلي المتبوعَ، فالصفةُ ترتيبُها النحويُّ في التركيب بعد الموصوف، نحو (جاء رجلٌ قائمٌ) ويجوز تغييرُ هذا الترتيبِ، فتتقدّمُ الصّفةُ على الموصوف، فإذا كانت الصفةُ المتقدّمةُ نكرةً، انتقلت من الوصفيّة إلى الحاليّة، نحوُ (هذا قائماً رجلٌ، وفيها قائمــاً رجلٌ) بتقديم الصفة (قائماً) على الموصوف (رجلٌ) والتقديمُ في هذا السياق منعها الإتبــاعَ والوصفيةَ، وأكسبها علاقةً نحويّةً جديدةً، هي الحاليّةُ، فقد صار الموصوفُ صاحبَ الحال، والصفةُ حالاً، ومنه قولُ ذي الرِّمَّة[2]:

وتَحْتَ القَنَا العَوالِيَ مُسْتَظِلَّةً ظِباءٌ أَعَارَتْهَا الْعُيُونَ الْجَآذِرُ

(1) الديوان،ج٢/٥٩٢.

(2) ذي الرّمَّة، الديوان، تح: مطيع ببيلي، ط٢، المكتب الإسلاميّ، دمشق، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ٣٣٢.

فلمّا قدّم الصفةَ (مستظلّة) على الموصوف (ظباءٌ) تغيَّرت العلاقةُ النحويــة بينهمــا مــن الوصفيّة والإتباع إلى الحاليّة، ومن الرّفع إلى النّصب، وقول كُثَيِّر عَزَّةَ[1]:

لِمَيَّةَ موحِشاً طَلَلُ   يَلُوحُ كأنّهُ خَلَلُ[2]

والأصل (لميّةَ طللٌ موحشٌ) والقول فيه كسابقه. ومثلُ هذا التقديمِ كثيرٌ في الــشّعر، قليــلٌ في النثر وقد استعملتْهُ العربُ، واستحسنَتْهُ[3].

وإذا كان الموصوفُ معرفةً، وكانت الصفةُ صالحةً لأن تحلَّ محلَّه، صار الموصــوفُ المتأخِّرُ عن صفته بدلاً[4]، فالعلاقةُ بينهما ظلّت تبعيّةً، لكنها انتقلت مــن الوصــفيّة إلــى البدليّة، فصار التابعُ في الأصل متبوعاً، والمتبوعُ في الأصل تابعاً، نحوُ قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾[5] بتقديم الصّفتين (العزيزِ والحميدِ) على الموصوف لفــظ الجلالة (اللهِ) فصار لفظ الجلالة الموصوف (اللهِ) المتأخِّر عن صفتيه (العزيــزِ والحميــدِ) بدلاً منهما. ولا يجوز أن يكون الموصوفُ مجروراً؛ لأن ذلك سيضطرّ المــتكلمُ إلــى أن يضع الصفةَ التي أراد تقديمَها قبل حرف الجرّ، وهذا لا يجوز؛ لأنها صارت العاملَ فــي الموصوف، وهذا العاملُ ليس فعلاً، أو يفصل بين الجارّ والمجرور بالصّفة التــي قــدّمها على موصوفها، ولا يُفصَل بين الجارّ والمجرور، فلا يجوز (مــررْت قائمــاً برجــلٍ، أو مررْت بقائماً رجلٍ) وهذا التغييرُ لا يكون إلّا لمعنى يبغيه المتكلمُ؛ لأنه يعتقد أنّ الترتيــب الطبيعيّ للصفة والموصوف لايوصله إلى ما يريد من معنىً، فإذا قــدّم، وأخّــر، تحقّقــت البلاغةُ، وانجلى المعنى، وحصل التّواصُلُ المرادُ، ويكون ذلك إذا أراد المــتكلمُ أن يعلــي شأنَ الصفةِ، ويظهر شدّةَ التصاقها بالموصوف، وأنها لا تفارقه؛ لأن المخاطب ربّما يشكّ في ذلك، ويعتقد غيره. فإيرادُ الصفة بعد الموصوف يكون في حالــة المخاطــب الخــالي الذّهن، وأمّا التقديمُ للصفة، فيكون إذا كان المخاطب يعلم اتِّصافَ الموصوف بــصفة مــا،

(1) كُثيّر عزّة، الديوان، تح: إحسان عبّاس، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ٥٠٦.
(2) خُلل: واحدتها الخِلّة: أغماد السّيوف.
(3) ينظر: الكتاب، ج١٢٢/٢-١٢٤، والمفصل، ٨١، وارتشاف الضّرب، ج١٩٢٩/٤.
(4) ينظر: ارتشاف الضرب، ج١٩٢٩/٤.
(5) إبراهيم،١-٢.

لكنه يشكّ في نوعها، فيقدّمها المتكلمُ؛ لإزالة وهمه، ورَفْع شكّه، فهو يُثبِتُ، وينفي بعبـــارة واحدة، نحو (ما فيها قائماً رجلٌ) لمخاطب يظنُّ أنّ المكان فيه رجلٌ يتّصف بالقيام وغيرِه، فقدّم الصفةَ (قائماً) على الموصوف (رجلٌ) لِيُعْلِمَهُ أنّ كلّ الرّجال الذين في ذلك المكان لا يتّصفون بحالة القيام، بل بغيرها، يُضاف إلى ذلك كلُّ المعاني والأغراض العامّةِ للتقـــديم والتأخير ممّا يحدِّده السِّياقُ والمقامُ.

وقلَّتِ المواضعُ التي تقدّمتْ فيها الصفةُ على الموصوف في دواوين الشعراء الخمـــسة، فهي لا تتجاوز أصابعَ اليد، وهذه دلالةٌ على قِلّة استخدام هذا التغييرِ بالرّغم من أنّ القاعدةَ النحويّة تجيزه، والاستعمالَ الصّحيحَ يُبيحُهُ. قال الشابي(١):

قِفْ قليلاً أيُّها السّارِي الْقَمَرْ واصْطَبِرْ

والأصلُ أن يقدّم (القمر) ويؤخِّر (الساري) ويقول:(أيُّها القمرالساري) لكنه تركه، وغيّر رتبتَهما، فجعل (القمر) وهو في الأصل الموصوفُ بعد (الـــساري) وهـــو فـــي الأصـــل الصفةُ، فألغى بذلك علاقةَ التبعيّةِ الوصفيّةِ بينهما، وأنشأ علاقةً نحويّةً جديدةً، هي البدليّـــةُ، فصار (الساري) مبدلاً منه، وصفةً للمنادى (أيُّها) وتحوّل (القمر) إلى بدل من (الـــساري) بعد أن كان بدلاً من (أيُّها) كما تغيّرت العلاقةُ بين كلٍّ من (الـــساري) و (القمـــر) وبـــين المنادى (أيُّها) فغدا (الساري) صفةً للمنادى (أيّها) بعد أن كان صفة للقمر، وأُلغيَت العلاقةُ البدليةُ بين المنادى (أيّها) وبين القمر. والشاعرُ إنّما قدّم الصفةَ (الساري) على موصـــوفه (القمر) للعناية بها، وتوجيهِ الأنظار إليها، وكأنّها لازمتْ موصوفَها (القمر) حتّى صـــارت شديدةَ الالتصاق به، وللدلالة على المبالغة في الاتِّصاف بها، وهو بذلك يدفع شكَّ المتلقّـــي الذي ظنّ أن القمر ليست له هذه الصفـــةُ، وأنّ الشاعر إنّما يتوهّم ذلـــك، وبـــذلك ســـار المعنى في الاتِّجاه الذي أراده الشاعر، لا فـــي الاتِّجـــاه الـــــذي يـــدَعُ للمتلقّـــي مجـــالاً للاحتمالات. وقال أبو ماضي(٢):

---

(1) الديوان، ١٣١.
(2) الديوان، ٦٠٧.

فلمْ أرَ مِثْلَهُ للخَيْرِ دُنيا   ولمْ أرَ مِثْلَهُ فَتْحاً مُبِينا

والأصلُ (لم أرَ فتحاً مبيناً مثله) فغيّر رتبةَ الصفة والموصوف، فقدّم الصفةَ (مثلَه) على الموصوف (فتحاً) فألغى علاقةَ التبعيةِ الوصفيَّةِ بينهما، وعلاقةَ التعديةِ بين الفعل المنفي (لم أرَ) والموصوف (فتحاً) الذي هو في الأصل مفعولٌ به، وأنشأ علاقةَ تعديةٍ جديدةٍ بين الفعل المنفيّ (لم أرَ) والصفة (مثلَه) التي حلّت محلّ الموصوف (فتحاً). والغرضُ من تقديمه على ما يبدو إظهارُ شدّةِ التصاقِ الصفةِ بالموصوف، وتفرُّده بها، وعُلُوِّهُ على سائر الفتوح التي من أمثاله، والمبالغةُ في انعدام الرُّؤية من الشاعر لِفَتْحٍ يُشْبِهُ هذا الفتح، وهو افتتاحُ مستشفىً في (تلّ شيحا) في لبنان، وذلك على سبيل الادِّعاء لا الحقيقة، فأراد الشاعرُ أن يُعظِّم شأنَ الموصوفِ، ويزيد الفخر به، فقدّم صفتَه عليه، لِيسألَ المتلقّي عن هذا الذي ليس مِثْلٌ، فإذا عرفه بعد ذلك، وقد أَعْمَل فكرَه، ونشّط خيالَه، شعر باللّذّة والمتعة، وأعْلَى قَدْرَه، واستعظمَه. وهذه دلالاتٌ وإيحاءاتٌ ومعانٍ رأى الشاعر أن التركيب النمطيّ يعجزعن أدائها؛ ولذلك تركه

إلى تعبير جديد. وقال أبو ماضي[١]:

أَنَا لا أَرَى مِثْلَ الْبَخِيلِ فَتَىً   يَضْوِي ويَهْزِلُ كلَّمَا سَمِنا[٢]

قدّم الشاعرُ على الموصوف (فتىً) صفتَه (مثلَ) مستفيداً من القاعدة النحوية التي تجيز له مثلَ هذا التقديمِ بعد أن ألغى علاقةَ التبعيّةِ الوصفيّة بينهما، وعلاقةَ التّعديةِ بين الفعل المنفيّ (لا أرى) والموصوف (فتىً) وأنشأ علاقةَ تعديةٍ جديدةٍ بين الفعل المنفيّ (لا أرى) و الصفة (مثلَ) التي حلّتْ محلَّ الموصوف(فتىً)، وهذا يُبيِّن أنّ تغيير رتبةِ كلٍّ من الصفة والموصوف أَثّرَ في العلاقات النحويةِ داخل التركيب فالشاعرُ يذمُّ البخيلَ، ويستنكر صفةَ البخلِ، ويستقبحُها، وأراد أن يبلغ ذمُّه لها ولِمَنْ يتَّصف بها غايتَه، وأن يبالغ في ذلك، وينفِّر النّفوس منها ومِمَّنْ اتّصف بها، فرأى أن سبيل ذلك يكون بتقديمها عليه، فإذا سمع

---

(1) الديوان، ٥٩٦.
(2) يضوي: يهزل ويضعف.

المتلقّي كلمةَ (مثلَ) أوّلاً، انْتبَهَ، ووقف؛ لِيعلمَ شأنَ هذا المِثْلِ الذي انتفتْ رُؤيةُ الشاعر لــه، فإذا عرف أنه الفتى الذي صفتُه البخلُ الذي يقودُه إلى الهُزال، نفرَ منه، واحْتقَرَه، واشْمَأزَّ منه ومن بُخلِهِ، وازداد التصاقاً بالكَرَم، وليس للتركيب النمطيّ أن يُوصِلَ الشاعرَ إلى هذه الدلالات والمعاني.

١٠- تقديم المخصوص بالمدح أو الذّمِّ:

الأصلُ في المخصوص بالمدح أو الذمّ أن يأتي بعد فعلهما وفاعلهما، نحو (نعم الرجــلُ عبدُ الله، وبئس الخُلُقُ الكذبُ) ويجوز تقديمُه على (نعم وبئس) نحوُ (عبدُ الله نعم الرجــلُ) بتقديم الممدوح (عبدُ الله) على فعل المدح (نعم) وذلــك لاخــتلاف المقــام، فــإذا أوْردْت التركيبَ على طبيعته، وقلْت: (نعم الرّجلُ عبدُ الله) كنتَ قد قلتَ لمخاطبك:(نعــم الرجــلُ) فبدأْتَ بالمدح العامّ، فلمّا لم يتبيّن مَنْ تمــدح، وكأنــه ســألك:(مَــنْ هـــو؟) وَضَّــحْتَ، وخصّصْتَ، فقلْتَ:(عبدُ الله) أمّا إذا غيَّرتَ الترتيبَ، فأوردْتَ الممدوحَ أوّلاً، وأخَّرْت فعــلَ المدح (نعم)، فقلت: (عبدُ الله نعم الرجلُ) كنت قد قلت لمخاطبك: (عبدُ الله) فلمّا لم يفهم ما تريد، سألك: (ما شأنُه؟) فمدحْتَه، وقلت: (نعم الرجلُ) والحالُ نفسُه مع (بئس)(١). وتقديمُــه يدور في دائرة الأغراض والمعاني العامّة للتقديم والتأخير، وثمّة شاهدٌ واحد عثرْتُ عليــه في ديوان البارودي قد قدّم فيه الممدوحَ على فعل المدح (نعم)، وهو قولُه(٢):

فاسْتَهْدِ يا محمودُ رَبَّكَ والْتَمِسْ مِنْهُ المَعُونَةَ فهْو نِعْمَ الْهادي

فالضمير (هو) مخصوصٌ بالمدح، وحقُّه في التركيب أن يأتي بعد (نعم) وبعــد فاعلــه (الهادي) لكنّ الشاعرَ غيّر رتبتَه، وتركَ الأصلَ، وقدّمه على (نعم) لأنه يريد معنى جديــداً إضافيّاً لايؤدّيه الممدوحُ (هو) إذا جاء في مكانه الطبيعيّ، فهو يرثي زوجتَه التــي فَجــأَهُ خبرُ وفاتِها، وهو منفيٌّ في سرَنْديبَ، فأراد أن يتسلّى، ويتجمّل بالصبر، ولــيس لــه فــي محنته مَنْ يُعينه، ويهديه سوى اللهِ تعالى الذي استحقَّ المدحَ منه، فقدّمه، وأضمرَه؛ لتكون

---

(1) ينظر: الكتاب: ج٢/١٧٥، وشرح جمل الزجاجي: ج١/٦١٥، وارتشاف الضرب: ج٤/٢٠٥٣.
(2) الديوان: ج١/٢٠١.

نفسُه أقْربَ إليه، وليُعجِّل بذكره تهدِئتَها ، وإطفاءَ حرارةِ حزنِه ولوعتِه، فإذا لمس منها الهدوءَ والسكونَ، تشوّقتْ أكثرَ لمعرفة شأنِه وأمرِه، وما ينتظره الشاعرُ منه، فأخبرها أنه (نعم الهادي) أيْ قد استحقَّ الممدوحُ اللُّجوءَ إليه؛ لأن هدايةَ الإنسان الصّحيحةَ إنّما تتمُّ منه، وهو الذي يجدُ له المَخْرَجَ من مآسيه. وهذه المعاني والدلالاتُ والإيحاءاتُ في ظنّ الشاعر لايؤدّيها الممدوحُ (هو) إذا أوردَه في مكانه، وهو في ذلك يتبع قاعدةً فَرْعيّة أجازتْ له هذا الاستعمال؛ لِيصل إلى المعنى المراد.

١١- تقديم المعطوف على المعطوف عليه:

المعطوفُ عنصرٌ نحويّ يأتي بعد حرف العطف، ويتبع المعطوفَ عليه الذي حقُّه في التركيب والترتيب أن يتقدّم المعطوفَ، نحوُ (زيدٌ وعمرٌو قائمان). وتجوز في النحو مخالفةُ هذا الترتيب، فيتقدّم المعطوفُ مع حرف العطف على المعطوف عليه شريطة ألّا يؤدّي إلى وقوع حرف العطف في صدر الكلام، فلا يجوز (وعمرٌو وزيدٌ قائمان) وألّا يوقعه بعد عامل غيرِ متصرّف، فلا يجوز (إنّ وعمراً زيداً قائمان) تريد (إنّ زيداً وعمراً قائمان) وألّا يكون المعطوفُ مجروراً، فلا يجوز (مررْت وعمرٍو بزيدٍ) تريد (مررْتُ بزيدٍ وعمرٍو) لأن التقديم يُوقعه قبل حرف الجرّ، وألّا يدلّ الفعلُ على المشاركة، فلا يجوز (اختصمَ وعمرٌو زيدٌ) تريد (اختَصمَ زيدٌ وعمرٌو) وأن يكون العطفُ بالواو دون سواها[1]. وهذا تقديمٌ نيّتُه التأخيرُ، فتظلُّ العلاقةُ النحويةُ بينهما قائمةً على الإتباع بالعطف، لكنّه يكون لغرض معنويٍّ ما، اعتقد المتكلم أنه لا يتحقّقُ، ولا يُفْهَم إلّا بهذا التقديم، ومنه قولُ يزيد بن الحكم الثّقَفيّ[2]:

جَمَعْتَ وفُحْشاً غِيبةً ونَميمةً   ثَلاثَ خِصالٍ لَسْتَ عنها بمُرْعَوِي

يريد (جمعتَ غيبةً ونميمة وفحشاً) فقدّم المعطوفَ (فحشاً) مع الواو العاطفة على المعطوف عليه (غيبةً) لعدم وجود مانعٍ نحويّ، فالشّروطُ متوفِّرة، واللبسُ مأمون،

(1)ينظر: شرح جمل الزجاجي: ج١/٢٤٨-٢٤٩، وارتشاف الضرب: ج٤/٢٠١٨-٢٠١٩.* أجازه البصريّون في الشعر، والكوفيّون في الشعر والنّثر.
(2)شرح جمل الزّجاجي، ٢٤٩/١.

والمعنى مفهومٌ، وقدَّمه للمبالغة في ذمِّه، ولِبيان انحدارِ شأنه أكثرَ مــن الغيبــة؛ للتنفيــر منه.وعليه قولُ الأحوص(١):

أَلَا يا نخْلَةً في ذاتِ عِرْقٍ   عليكِ و رحمةُ الله السّلامُ

يريد (عليك السلام ورحمةُ الله)(٢) فقدّم المعطوفَ (رحمةُ) مع الواوالعاطفة؛ للتفــاؤل بهــا والتنبيه عليها، ولحاجةِ كلٍّ من المتكلم والمخاطب إلى الرّحمة أكثرَ من السلام؛ لأنهــا إذا كانت، حدَثَ السلامُ. فوقوعُ الرّحمة في القلب يوجِبُ السلامَ، أمّا الــسلامُ، فــلا يُوجِــبُ الرحمة؛ لأن الإنسان قد يسلّم على الآخرين مُكْرَهاً أو مُلاطَفَةً أو مُسايَرَةً، لكنّه لا يــرحمُ إلّا إذا شعر بذلك.

ويجوز تقديمُ المعطوف على المعطوف عليه، فيأخذُ كــلٌّ منهمــا حكــمَ الآخــر فــي الإعراب، نحوُ قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا ﴾(٣) والأصلُ (وكم مــن قرية جاءها بأسُنا بَياتاً فأهلكناها) لأن مجيء البأس في الواقع كان قبــل الإهــلاك، فقــدّم المعطوفَ (أهلكناها) وأخّر المعطوفَ عليه (جاءها بأسُنا بَياتاً) وأعطى كلّاً منهمــا حكــمَ الآخر، فصار التابعُ متبوعاً، و المتبوعُ تابعــاً؛ لأن معناهمــا متقــاربٌ ، فغيّــر ترتيــبَ الأحداث؛ لِلَفْت العنايةِ والانتباهِ إلى ما هو أشدُّ وأهمُّ، فبدأ من النّهاية، وعاد إلى البداية(٤) ، ولم يكن لتغيير الرتبة بين المتعاطفين سوى موضعٍ واحد عند أبــي ماضــي قــدّم فيــه المعطوفَ على المعطوف عليه، وموضعٍ آخر عند البارودي قدّم فيه معمــولَ المعطــوف على المعطوف عليه، ممَّا دلَّ على ندرة استخدامه عندهم قال أبو ماضي(٥):

قالتِ:الحبُّ سَرْمَدٌ   قُلْتُ:لا شيْءَ سَرْمَدِي

أَتُحبِّيننَــي إذا   زالَ مَجْدي وسُؤْدُدِي؟

---

(1) الأحوص، الديوان،تح: إبراهيم السامرّائيّ، مطبعة النعمان، النجف،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م، في حاشية ١٨٥.
(2) ينظر: شرح جمل الزجّاجي: ج٤٥٩/١،٢٤٩.
(3) الأعراف: ٤.
(4) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج١٨٢/٤.
(5) الديوان:٢٢٥ .

فأجابتْ لِفَوْرِها　　　أَنْتَ لا الْمَجْدُ مَقْصَدي

والأصلُ (أنت مقصدي لا المجدُ) لأن(مقصدي)معطوفٌ عليه، و (المجدُ) معطــوفٌ، و حقُّه بعد المعطوف عليه، وتقديمُه غرضُه التوكيدُ، فلمّا شكّ الشاعرُ في حُبِّ حبيبته لـــه إذا زال مجدُه وسؤدُدُهُ، أرادَتْ أن تؤكِّد له حبَّها المحْضَ البعيدَ عن الأطماع، وتنفي أنّ تعلُّقها به ليس سببُهُ المجدَ ولا المالَ ولا غيرَ ذلك، فقدّمَتِ المعطوفَ (المجدُ) المنفــيّ بــــ (لا) العاطفة التي تثبتُ الحكمَ للمعطوف عليه، وتنفيه عن المعطوف، فلمّا تقدّمتْ عليه، أكّــدَتْ هذين المعنيين اللذين يُعيدان الثّقةَ والسّكينةَ والهدوءَ إلى نفس الــشاعر، ويزرعـــان فيهـــا الطُّمأنينةَ، ويُزيلان الشكَّ الذي ساوَرَه في إخلاصها وحبِّها له، فإذا أقــرَّ بهــذه المعـــاني والمشاعرِ التي أرادتْ أنْ تَظهر له، ويَقتنع بها، اطمأنَّتْ إلى اســتمرار العلاقـــة بينهمـــا، فشعرتْ باللذّة لذّةِ الحبِّ والاستمرار فيه بعد أن أخافها شكُّ الشاعر في ذلك، وبذلك أعادتِ المعاني إلى الاتّجاه الذي أرادتْه بعيداً عن احتمالاتِ الشاعر وشكوكِه. وقال البارودي[١]:

عَيْنِي لِبُعْدِكَ أَصبَحَتْ　　　لا تَسْتَقِلُّ الجَفْنَ ضُعْفَا[٢]

إِنْسانُهَا في غَمْــــرَةٍ　　　منْ أَدْمُعي يَبْدُو ويَخْفَى[٣]

والأصلُ (إنسانُها يبدو ويخفى في غمرة من أدمعي) لأن الجارّ والمجرور (في غمـــرة) متعلقان بالفعل (يخفى) المعطوف على الفعل (يبدو) الذي هو خبرٌ للمبتدأ (إنسانُها) وحـــقُّ المعطوف وما عمل فيه أن يأتي بعد المعطوف عليـــه، فـــأراد الــشاعرُ بتقديمـــه الجـــارَّ والمجرورَ (في غمرة) على المعطوف عليه الفعلِ (يبـــدو) دون أن يُقـــدّمَ عاملَـــه الفعـــلَ المعطوفَ (يخفى) توجيهَ العنايةِ إليه والاهتمامَ به، فالشاعرُ يبكي بكاءً غزيراً بسبب بعـــده عن حبيبته حتّى صارتْ عيونُه من كثرة الدّموع تظهر تارةً، وتخفى تارةً، فأراد أن يؤكِّــد المعنى الذي قدّمه؛ كي يُزيل الشكَّ من نفس المتلقّي، ويدفعَه بهذا الاتّجاه، ويُعاينِ الحالـــةَ التي يعيشها الشاعرُ فقدّم الجارَّ والمجرور، وجعلَ رتبتَه قبل المعطوف عليه دون أن يغيّر

---

(1) الديوان: ج٢/٢٩١.
(2) لا تستقلُّ الجفن ضعفا: لا تستطيع حمله، ولا تقوى على رفعه.
(3) إنسان العين: ناظرها، والغمرة: الماء الكثير.

العلاقاتِ النحويّةَ القائمة في التركيب. وهو في تغييره هذا ما زال يشكِّلُ تركيبَه، ويــؤدّي معانيَه في ضوء القاعدة النحوية التي أجازتْ له ذلك.

والنتيجةُ أنه تبيَّن ممَّا تقدّم عرضُه ودراستُه وتحليلُه من القواعــد النحويــة والــشواهد الشعرية أن التغيير النحويَّ الجائز بتغيير رتبةِ العناصر النحوية في التركيب إنّما يجــري وفقَ قواعدَ نحْويّةٍ فَرْعيّة مضبوطة يستخدمها المبدعُ إذا احتاج إلى ذلــك، وقــد جَــرَى الشعراءُ في أشعارهم التي غيَّروا فيها ترتيبَ العناصر النحويّةِ على نَهْج القاعدة النحويــة، والتزموا ما أجازتْه لهم، وكلُّ ذلــك ســعْياً وراء معــانٍ ودلالاتٍ وإيحــاءاتٍ قــدّروا أنّ التعبيراتِ النمطيّةَ الأصلَ غيرُ قادرة على التعبير عنها، وإيصالِها إلى المتلقّي، فحرَصــوا على المعنى، وساعدَتْهم القاعدةُ النحويّة في هذا الحرصِ، فجاءت تراكيبُهم سليمةً، ولغتُهم فصيحةً، ومعانيهم جميلةً، فضَمِنُوا بذلك السَّلامةَ اللغويَّةَ والنَّحويَّةَ لأشــعارهم، والعذوبــةَ والجمالَ لمعانيهم.

ب-ترك المطابقة

الأصل في اللغة المطابقة بين العناصر النحوية المتلازمة في الجنس والعدد والحركــة الإعرابية والتعريف والتنكير، وقد يكون التطابقُ في بعضها فقط، فالخبرُ يطابق المبتدأَ في الجنس والعدد، والصفةُ تطابق الموصوفَ فــي الجــنس والعــدد والتعريــف والتنكيــر والإعراب، ويجوز تركُ المطابقةِ النحويةِ في حالة من الحالات السابقة بــين العنــصرين المتلازمين من العناصر النحوية(١)، ويسعى البحثُ وراء تفسير هذا التغييرِ النحوي بتــرك التركيب النمطيّ، والتحوُّلِ عنه إلى تركيب جديد.

١- تركُ المطابقة بين المبتدأ والخبر:

(١) ينظر: الرفايعة، حسين، ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، ط١، دار جرير، عمّان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م، ٢٧.

الأصلُ التطابقُ بين المبتدأ والخبر في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، ويجوز تركُ هذه المطابقةِ، فيُذَكَّر الخبرُ إذا كان المبتدأ مؤنّثاً تأنيثاً مجازيّاً، نحو قول طفيل الغَنَوِيّ(١):

إذْ هِيَ أَحْوَى من الرَّبْعيِّ حاجِبُهُ والْعَيْنُ بالإِثْمِدِ الحَارِيِّ مَكْحُولُ(٢)

والأصل (العينُ مكحولةٌ) فترك المطابقةَ بين المبتدأ (العين) والخبر (مكحولٌ) في التذكير والتأنيث؛ لأن المبتدأ (العينُ) تأنيثُه مجازيٌّ. والظاهرُ أنه لجأ إلى هذا التغيير؛ لأنه حمل (العينُ) على معنى (العضو) و(العضو) مذكَّر، ونحوُ قول رُوَيْشِد بن كُثَيِّر الطّائيّ(٣):

ياأيُّها الرّاكبُ المُزْجِي مَطِيَّتَهُ سائِلْ بني أَسَدٍ ما هذهِ الصَّوْتُ؟

والأصل أن يقول: (ما هذا الصوتُ؟) لتحقيق المطابقة بين طرفي الإسناد في الجملة الاسميّة لكنّه أخبرَ عن المبتدأ المؤنَّثِ (هذه) بالخبر المذكَّر (الصوتُ) فترك المطابقةَ بينهما، والظّاهر أنه فعل ذلك؛ لأنه حمل (الصوتُ) على معنى (الصّرْخة) و (الصّرْخة) مؤنَّث. ويجوز تركُ المطابقة بينهما إذا كان المبتدأُ هو الخبرَ من جهة المعنى، نحوُ (الاسمُ كلمةٌ) والأصلُ أن يحقِّق التطابقَ بينهما، لكنه عدل عن ذلك؛ لأن المبتدأ (الاسمُ) هو الخبرُ (كلمةٌ) من جهة المعنى، ويجوز تركُ المطابقة بينهما إذا أراد المتكلم تحقيرَ المبتدأ، نحو (هذا الرجلُ امرأةٌ) فترك المطابقةَ بين المبتدأ (هذا) والخبر (امرأةٌ) لأنه قصد تحقيره وإهانتَه والاستهزاءَ به، والسُّخرية منه، فعدل عن التركيب النمطيّ إلى تركيب جديد يُحقِّق له هذه المعاني التي قصدها، ونحو ُ(هذه المرأةُ رجلٌ) فذكَّر الخبرَ (رجلٌ) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن المبتدأ (هذه) مؤنَّث؛ لأنه قصد تحقيرَ المبتدأِ وإهانتَه بتنزيله منزلة الرّجل، وهذا إمعانٌ في النّيْل منه والحطِّ من شأنه، ويجوز تركُ المطابقة بينهما إذا كان المبتدأُ مضافاً قد اكتسب التذكيرَ أو التأنيثَ من المضاف إليه، وجاز أن يقوم المضافُ إليه مقامَ المضافِ

(1) الغنويّ، طفيل، الديوان، تح: محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٧م، ٥٥.
(2) أحوى: فيه سفعَةٌ وسَوَاد، والرّبعيّ: ما نتج في الرّبيع.
(3) أبو تمّام، ديوان الحماسة، تح: عبد المنعم أحمد صالح، منشورات وزارة الثقافة، العراق، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ٥٤.

في الإعراب وتأديةِ المعنى إذا حُذِف، وكان المضافُ جزءاً أو كالجزء من المضاف إليه، نحوُ قول أحدِ المُوَلَّدين(١):

إنارةُ العَقْلِ مَكْسوفٌ بطَوْعِ هَوىً   وعَقْلُ عَاصِي الهَوَى يزْدادُ تَنْوِيْرا

فذكَّر الخبرَ (مكسوفٌ) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن المبتدأ (إنارةُ) مؤنّث، فترك المطابقةَ بينهما، وجاز ذلك؛ لأن المبتدأ (إنارةُ) مضافٌ إلى (العقلِ) و (العقلِ) مذكَّر، وقد اكتسب منه معنى التذكيرِ؛ لأنه يجوز حذفهُ وإقامةُ المضاف إليه مقامَه، فيصير التركيبُ (العقلُ مكسوفٌ) فلمّا توهَّم هذا المعنى وأراده، ترك المطابقةَ بينهما، فغيّر نمطَ تركيبِه اعتماداً على المعنى، ونحوُ قول جميل بُثَيْنَة(٢):

أَلَا ليتَ أيّامَ الصَّفاءِ جَدِيدُ   وَعَهْداً تَوَلَّى يا بُثَيْنُ يَعُودُ

فذكَّر الخبرَ (جديدٌ) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن (أيّامَ) وهواسم (ليت) مؤنثٌ، فترك المطابقةَ بينهما؛ لأن اسمَ (ليت) وهو (أيّامَ) مضافٌ اكتسب معنى التذكيرِ من المضاف إليه (الصّفاءِ) فتوهّم عدمَ وجوده وكأنه قال: (الصّفاءُ جديدٌ) وهو يريدُ جِدَّةَ الصّفاء لا جِدّةَ الأيّامِ، فلا قيمةَ للأيّام التي يتمنّى عودَتها إنْ لم يكن الصفاءُ جديداً بينه وبين بثينة، وكأنه أضافَ، وترك المطابقةَ؛ لِيصرف الأنظارَ إلى جِدّة الصفاء، ونحوُ قوله تعالى:﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢) فذكّر الخبرَ (قريب) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن اسم (إنّ) وهو (رحمةَ) مضافٌ اكتسب معنى التذكيرِ من المضاف إليه لفظِ الجلالة (الله) وكأنه أراد (إنّ اللهَ قريبٌ من المحسنين) ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما إذا قُصِد التشبيهُ أو المبالغةُ، فيجوز تذكيرُ المبتدأِ وتأنيثُ الخبرِ، والعكسُ، نحوُ (هندٌ قمرٌ) فأخبرْتَ عن المبتدأ المؤنّث (هندٌ) بالخبر المذكّر (قمرٌ) فتركتَ المطابقةَ بينهما؛ لأنك قصدْتَ التشبيهَ والمبالغةَ فيه، والكلامُ على المجاز لاعلى الحقيقة؛ لأنك إنّما أردْت (هندٌ جميلةٌ كالقمر) فتركتَ الخبرَ الحقيقيَّ

(1) مغني اللبيب، ٦٦٥، وشرح الأشموني: ج٣/٤٠٣.
(2) جميل بثينة، الديوان، تح: حسين نصّار، ط٢، دارمصر للطباعة، ١٩٦٧م، ٦١.
(٢)الأعراف، ٥٦

(جميلةٌ) الذي هو وجْهُ الشّبَه، وأداةَ التشبيه، وجعلْتَ علاقةَ الإسناد قائمـــةً مباشـــرة بـــين طرفي التشبيه (هندٌ وقمرٌ) لِقصدْ المبالغة في عقْد الشّبَهِ بينهما، وهذا أعْمـــقُ تـــأثيراً مـــن النّمط الطبيعيّ للتركيب. وترْكُ المطابقة يجعل المعنى متعدِّداً، فيُؤدَّى بالتركيـــب الواحـــد أكْثرُ من معنىً فقد قصد في قوله: (إنارةُ العقل ِمكسوفٌ) كَسْفَ الإنارةِ والعقلِ معاً، وقصد بقوله تعالى:﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١) قُرْبَ الله تعالى ورحمتَه معـــاً مـــن المحسنين(٢).

ويجوز تركُ المطابقة بينهما في الإفراد والتثنية والجمع إذا كان المبتدأُ لفظتـــي (كِـــلا وكِلْتا) فيجوزُ إيرادُ الخبر بعدهما مفرداً حملاً على لفظيهما، ويجوز إيرادُه مثنّـــىً حمـــلاً على معناهما، فمن الأوّل قولُ الشاعر(٣):

كِلا يَوْمَيْ أُمامةَ يَوْمُ صَدٍّ ... وإنْ لم نَأْتِها إلاّ لِمَاما

فأخبر عن المبتدأ المثنّى (كلانا) بالخبر المفردِ (يومُ) وحقُّه أن يُخْبَر عنه بالمثنّى، فتركَ ذلك؛ لأن المبتدأ هو لفظةُ (كلا) فترك المطابقة مراعاةً للفظ المبتدأ، ونحوُ قول الشاعر(٤):

أُكاشِرُهُ وأَعْلَمُ أَنْ كِلانا ... على ما ساءَ صَاحِبَه حَرِيصُ

فأفرد الخبرَ (حريص) وحقُّه التثنيةُ، فترك المطابقةَ مراعاةً للفظ المبتدأ (كلانـــا) ومـــن الثاني قولُ الشاعر(٥):

كلاهما حين جدَّ الجَرْيُ بينَهُما ... قَدْ أَقْلَعَا وكِلا أَنْفَيهِما رَابي

فطابقَ بين المبتدأ (كلاهما) وخبرِه (قد أقلعا) في التثنية مراعاة لمعنى المبتدأ (كلاهما). ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما إذا كان المبتدأُ لفظةَ (كلّ) أو (بعض) أو (مَـــنْ)الموصـــولة،

---

(1) الأعراف: ٥٦.
(2) ينظر: الكتاب: ج٢/٤٥-٤٦، وشرح المفصّل: ج٥/٩٥، وأوضح المسالك: ٤٠٩-٤١٠، والبرهان في علوم القرآن: ج٣/٢٢٣-٢٣٠، والحسيني، هلال عبد الله، تذكير المؤنث بين القياس والسماع، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة،١٤١٠هـ-١٩٩٠م،٢٢ -٢٧، والنحوالوافي: ج١/٤١٥-٤١٦، ومعاني النحو: ج٣/١١٦-١١٧.
(3) شرح المفصل، ج١/٥٤.
(4) شرح المفصّل، ج١/٥٤.
(5) المصدر السابق.

فيجوز في خبره الإفرادُ حمْلاً على اللفظ، ويجوز الجمعُ حملاً على المعنى، نحوُ قوله تعالى:﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾(١) فأفرد الخبرَ (آتيه) مراعاةً للفظ المبتدأ (كلّ) ونحوُ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾(٢).

ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما إذا كان المبتدأُ مثنّىً يدلُّ على شيئين متلازمين كاليدين والعينين والأذنين، فيجوز أن يُخبَر عنه بالمفرد، نحو قول امرئ القيس(٣) :

لِمَنْ زُحْلوفَةٌ زَلُّ　　　بها الْعَيْنانِ تَنْهَلُّ(٤)

فأفردَ الخبرَ (تنهلّ) وحقُّه التثنيةُ؛ لأن المبتدأ (العينان) يدلُّ على شيئين متلازمين. ويجوز ألّا يطابق الخبرُ المبتدأَ في العدد إذا دلّ على تقسيم أو تنويع، نحوُ (الصّديقُ صديقان، فقيّمٌ على الوُدّ والولاء، وتاركٌ لهما) أو إذا نُزّل المبتدأُ الجمعُ منزلةَ المفردِ بقصْد التشبيهِ أو المبالغةِ أو غيرِهما، نحوُ (المقاتلون حِصْنُ البلدِ) فتركْتَ المطابقةَ بين المبتدأ (المقاتلون) والخبرِ (حصنُ) فأخبرتَ بالمفرد عن الجمع، وفعلْتَ ذلك؛ لأنك قصدْتَ التشبيهَ، وأردْتَ المبالغةَ في عقْده وتحقيقِه بين طرفيه، وكلامُك على سبيل المجاز لا الحقيقةِ، فغيّرْتَ نمطَ التركيبِ، وأنشأْتَ علاقةً نحويةً جديدةً بين عناصره؛ لتحرِّك خيالَ المتلقّي، وتستأْثِرَ بلبِّه وسمعِه، وتؤثِّر فيه، فتجعله يزداد احتراماً للمشبَّه (المقاتلون) الذي أعْلَيْتَ شأْنَه(٥). وقلّت المواضعُ التي تُرِكتْ فيها المطابقةُ بين المبتدأ والخبر في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي بعد عودته من منفاه إلى مصر(٦):

أَبابلُ رَأْيَ العيْنِ أمْ هَذهِ مِصْرُ　　　فإنِّي أَرَى فيها عُيُوناً هِيَ السِّحْرُ

---

(1) مريم، ٩٥.
(2) الأنعام، ٢٥،ومحمد،١٦.
(3) امرؤالقيس، الديوان، تح: حسن السندوبيّ، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م، ١٩٨.
(4) آثار تزلُّج الصّبيان من أعالي التلّ إلى أسفله، وهي الزّلاقة التي يترجّح عليها الصبيان.
(5) ينظر، شرح المفصّل: ج٥٤/١، وشرح جمل الزجاجي: ج٤٦٢٢/١، وارتشاف الضرب: ج١١١٢/٣-١١١٣، والنحو الوافي: ج٤١٤/١، ومعاني النحو، ج٢٦٨/٢-٢٦٩.
(6) الديوان، ج١٣٠/٢.

والأصل (هو السحرُ) أو (هي الساحرةُ) لأن المبتدأ المؤنّث إنّما يُخْبَر عنه في الأصـــل بالمؤنّث، لكنه أخبر عن المبتدأ المؤنّث (هي) بالخبرالمذكّر (السحرُ) وقد جازله ذلك؛ لأنه قصد علاقةَ التشبيهِ بينهما، فالعيونُ في الأصل والحقيقةِ أعضاءٌ في الجسم، وظيفتُها النّظرُ والإبصارُ، وقد أراد الشاعرُ تركيزَ الأنظار وتوجيهَ العنايةِ إلى وظيفة جماليَّةِ العيونِ التي لايدركها إلّا أصحابُ الشعورِ المرهفِ والذّوقِ الرّفيعِ، وهي أنّها تَسْحر مَنْ تتوجّـــه إليـــه، فالتركيزُ على أثر العيون لا على وظيفتها، واحتاج هذا المعنى إلى عقْد التشبيهِ بين المبتدأ (هي) والخبر (السحرُ) فصارت العلاقةُ الإسناديّةُ النحويّةُ بحكم معنى التشبيه بين المبتـــدأ والخبر، والمبالغةِ فيه قائمةً بين مبتدأ مؤنّثٍ (هي) وخبرٍ مذكّرٍ (السّحرُ). وربّما قصد تركَ المطابقةِ بينهما؛ لأنه أراد بالخبر المذكّر (السحرُ) معنى المشتقّ (الساحرة) و (الـــساحرة) مؤنّث، فيكون بذلك قد عقد الإسنادَ بين لفظِ المبتدأِ المؤنّثِ (هي) ومعناه، والمعنى المؤنّثِ للخبر المذكّرِ(السّحرُ). وقال البارودي[(١)]:

أَرِقْتُ له والشُّهْبُ حَيْرَى كَلِيْلَةٌ   منَ السَّيْرِ،وَالآفاقُ حالِكَةُ الْبُرْدِ

الأصلُ أن يطابق الشاعرُ في العدد بين المبتدأ(الآفاقُ)الذي أورده جمعَ تكـــسير، وبـــين الخبر (حالكةُ) الذي أورده بصيغة المفردِ المؤنثِ، وقد جاز له أن يترك المطابقةَ، فيخبـــرَ عن المبتدأ الجمعِ بخبر مفردٍ؛ لأن المبتدأ (الآفاقُ) جمعٌ لغير العاقل، والقصدُ منه المبالغـــةُ في الإخبار، وتوكيدُ اتِّصافِ المبتدأ (الآفاقُ) بصفة السّواد الشديد التي عبَّر عنهـــا الخبـــرُ المفردُ (حالكةُ). فقد يشكُّ المتلقّي أن الآفاق شديدةَ السواد الحالكةَ التي يراها الشاعرُ فـــي منفاه كما أخبر، وأنه ليس صادقاً في شعوره وتصويرِ حالتِه التي يعيشها، فأمّا وقد ســـمع تركيباً تُرِكتْ فيه المطابقةُ بين طرفي الإسناد الاسميّ، فوقف أمامه، وتأمّله، وفـــتّش عـــن المعاني التي أراد أن يوحي بها، فإذا التقطها ذهنُه، وفَهِمَها فكرُه، لمسَ جمالَهَا، وتعـــاطفَ

(1) الديوان، ج١/٢٠٨.

مع الشاعر، وتفاعلَ معه. ويبدو أنها معانٍ وإيحاءاتٌ ودلالاتٌ خَمَّـنَ الـشاعرُ أنْ لـيس للتركيب النمطيّ أنْ يؤدِّيها ويعبِّرَ عنها. وقال بدر الدين الحامد[(١)]:

جَمَعَ الصِّدْقُ بَيْنَنا وَالأَخِلّا ءُ أَمِينٌ في وُدِّه ومُرائي

الأصلُ أن يورِد الشاعرُ الخبرَ (أمينٌ) بصيغة الجمعِ؛ لأن المبتدأ (الأخلاّءُ) الذي أُسْنِد إليه جمعٌ، لكنه عدلَ عن الأصل، وغيَّر، فترك المطابقةَ بينهما، فأخبر بالمفرد (أمينٌ) عن الجمع (الأخلاّءُ) وجاز له ذلك؛ لأنه عقـد العلاقــةَ الإســنادية بينهمــا مراعــاةً لمعنـى الخبر(أمينٌ)الذي لفظُه مفردٌ، ومعناه الجمعُ، فالشاعرُ لم يقصد أميناً مفرداً معيَّنــاً بذاتــه، وإنّما قصد كلَّ أمين، فَتركُ المطابقة بين المبتدأ والخبر في هذا السياقِ وهذا المقــامِ نَقَـلَ إسنادَ صفةِ الأمانةِ إلى المبتدأ (الأخلاّء) من الخصوص إلى الـشُّيوع والعمــوم، وتَــركَ المعنى بابَ الاحتمالاتِ، وأغلقَ الشّكَّ أمام المتلقّي الذي ليس له سوى أن يقبل بهذا المعنى الذي ألْقاه الشاعرُ عليه، ولاسيّما أن التركيبَ جاء في أسلوب الحكمة والمَثَل، وكأنّه يُعبِّــر عن تجربة عميقةٍ للشاعر مع الناس حتّى قسَّم الأخلاّءَ هذا التقــسيمَ. وقــال بــدر الــدين الحامد[(٢)]:

لُبْنانُكُمْ والشَّامُ قُطْرٌ واحِدٌ ما بالُهُ في الشَّمْلِ غَيْرُ مُوَحَّدِ

ترك الشاعرُ المطابقةَ بين المبتدأ (لبنانُكم) وما عُطِف عليه (الشّامُ) لأنــه مبتــدأٌ فــي المعنى، وبين الخبر (قطرٌ) في العدد، فأخبر عن المثنّى بــصيغة المفــرد، والأصــلُ أن يُطابقَ، ويقول: (لبنانُكم والشّامُ قطران) لكنّ المطابقة بينهما تُفسد المعنى الذي أراد تأديتَه، فقصْدُهُ من التركيب أن يعبِّر عن وحدة لبنان والشام، ويستنكرَ تقــسيمَهما إلــى قطــرين منفصلين خِلافاً للحقيقة. فالشاعر إذاً يُنكِر حالةَ التقسيم والتجزئة في لبنان والشام، ويــدعو إلى وحدتهما، وهذه المعاني والدلالاتُ لا يؤدّيها الخبرُ (قطرٌ) لــوْ وَرَدَ بــصيغة المثنّــى

(1) الديوان، ج١/١٤٥.
(2) الديوان، ج١/٢٥٣.

(قطران). وهو بذلك يُنبِّه المتلقّي إلى هذه الحقيقة، ويطلب إليه أن يلتفت إلى هذا المعنى الذي غُيِّب عنه، وينضمَّ إلى الشاعر في نبْذِ حالة التجزئة بينهما.

٢- تركُ المطابقة بين الفعل والفاعل:

الأصلُ أن يُذكَّر الفعلُ مع الفاعل المذكَّر، ويُؤنَّث مع الفاعل المؤنَّث، وتجوز مخالفةُ هذا الأصل بترك المطابقةِ بينهما. فيجوز تذكيرُ الفعل إذا كان فاعلُه المؤنَّثُ كنايةً، نحوُ (قال فلانةٌ) فذكّر الفعلَ (قال) مع فاعلِه المؤنثِ (فلانةُ) لأنه كنايةٌ، أو كان فاعلُه مؤنّثاً تأنيثاً حقيقيّاً قد فصل بينهما فاصلٌ غيرُ (إلّا) نحو (حضرالقاضيَ امرأةٌ) فذكّر الفعلَ (حضر) و حقُّه التأنيثُ، وإنّما جاز ذلك؛ لوجود فاصل بينه وبين فاعله ذي التأنيث الحقيقيِّ (امرأةٌ) و نحو قوله تعالى:﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ ﴾[١] فذكّر الفعلَ (جاء) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن فاعله (المؤمناتُ) لم يأتِ بعده مباشرةً، وكأنّ وجود الفاصل بينهما صار عوضاً من المطابقة، ونحو قول جرير[٢]:

لقدْ وَلَدَ الأُخَيْطِلَ أُمُّ سوءٍ على بابِ استِها صُلُبٌ وشامُ [٣]

والأصل (ولدتْ) فترك تأنيثَه، ولم يطابقه مع فاعله المؤنّثِ (أُمُّ) لوجود فاصل بينهما.

ويجوز ألّا يطابق الفعلُ فاعلَه المؤنّثَ إذا كان تأنيثُهُ مجازيّاً سواءٌ أوُجِد الفاصلُ أمْ لم يوجَد، نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[٤] فذكّر الفعلَ (جاء) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن فاعله (موعظةٌ) تأنيثُه مجازيّ، ونحو (حسُنَ دارُك) والأصلُ (حسُنَتْ دارُك) فلم يطابق بين الفعل (حسُنَ) وبين الفاعل (دارُك) لأنّ تأنيثَه مجازيّ، ولاعِبْرةَ للفاصل في هذا الموضع. ويجوز تذكيرُ الفعل إذا كان الفاعلُ المؤنَّثُ جمعَ تكسير، نحوُ (جاء جواريك) والقصدُ (جاءتْ جواريك) فلم يُلتفَتْ إلى التطابق بين الفعل (جاء) وفاعله المؤنّث

---

(1) الممتحنة، ١٢.
(2) الديوان، ٥١٥.
(3) صُلُبٌ، ج: صليب، وشام: ج:شامة: وهي نُقطٌ سُودٌ في الجسم.
(4) البقرة، ٢٧٥.

(جواريك) لأنه جمع تكسير، ونحوُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾(1) فذكّر الفعلَ (قال) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن فاعله (نسوةٌ) جمعُ تكسير، أو كان الفاعلُ المؤنّثُ ضميراً مستتراً عائداً على مؤنّث مجازيّ، وإنّما أجازوا في هذا الموضعِ تذكيرَ الفعل وترْكَ المطابقة؛ لأنهم أوّلوا الاسمَ المؤنّثَ الذي يعود عليه الضميرُ بمذكَّر، فحملوه على معناه، وأهملوا لفظَه، نحوُ قول عامربن جُوَيْنٍ الطّائيّ(2):

فلامُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها   ولاأرْضَ أبْقَلَ إبْقالَها

والأصل (ولا أرضَ أبقلتْ إبقالها) فذكّر الفعلَ (أبقل) وانصرف عن تأنيثه؛ لأن فاعله المؤنّثَ (هي) ضميرٌ مستترٌ يعود على (أرضَ) و (أرضَ) مؤنّثةٌ تأنيثاً مجازيّاً، فجعلها بمعنى (المكان) و (المكان) مذكّرٌ، فكأنه قال: (ولامكانَ أبقل إبقالها) فلمّا كان هذا هوالمعنى الذي قصدَه، لجأَ إلى تغيير تركيبِه، فترك المطابقةَ، ونحوُ قول الأعشى(3):

فإمّا تَرَيْني ولي لِمَّةٌ   فإنّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بها

والأصلُ (فإن الحوادث أودتْ بها) فعدل عن المطابقة، فذكّر الفعلَ (أودى) وحقُّه التأنيثُ؛ لأن فاعلَه المؤنثَ ضميرٌ مستترٌ، تقديره (هو) يعود على (الحوادث) و (الحوادث) مؤنثةٌ، لكنه قصد بها معنى(الحِدْثان) و (الحِدْثان) مذكّرٌ، ولمّا كان القصدُ ممَّا عاد إليه الضميرُ معناهُ المذكّرُ لا لفظُه المؤنثُ، غيّرَ تعبيرَه النمطيّ، وعدل عن التركيب المألوف.

ويجوز ألّايطابق الفعلُ فاعلَه في باب (نعم وبئس) فيجوز تذكيرُ (نعم وبئس) إذا كان فاعلُهما مؤنّثاً؛ لأن الفاعل بعدهما يدلّ على الجنس لا على فاعل معيَّنٍ، والجنسُ لفظُه مذكّر، فتُتْرَكُ المطابقةُ حملاً على معنى الفاعلِ المذكّرِ لا على لفظِه المؤنثِ، نحوُ (نعم المرأةُ هندٌ) فذكّر الفعلَ (نعم) وعدل عن مطابقته في التأنيث مع فاعلِه المؤنثِ (المرأةُ)لأنه

---

(1) يوسف، ٣٠.
(2) الكتاب، ج٢/٤٥، وشرح المفصل: ج٥/٩٤.
(3) الديوان، ٢٢١.

جنسٌ، فبنى التركيبَ الإسنادي، وأقام العلاقةَ بين الفعل (نعم) وفاعلِه المؤنثِ (المرأة) على معنى الفاعل لا على لفظه. ويجوز في باب (نعم وبئس) أن يُؤنَّثَ الفعلُ إذا حُمِل فاعلُه المذكّر على معنى المؤنث، نحو (هذه الدارُ نعمتِ البلدُ) فلم يطابق الفعلُ (نعمت) فاعلَه المذكّر (البلدُ) لأنه قُصِد به (الدارُ) وبذلك قامت العلاقةُ الإسنادية بينهما على أساس المعنى لا على أساس اللفظِ، ونحوُ قول ذي الرّمة(١):

أَوْ حُرَّةٌ عَيْطَلٌ ثَبْجاءُ مُجْفِرَةٌ   دَعَائمَ الزَّوْرِ نِعْمَتْ زَوْرَقُ الْبَلَدِ(٢)

والأصل (نعمَ زورقُ البلدِ) فأنَّثَ الفعلَ (نعمتْ) وحقُّه التذكيرُ؛ لأنه عَنَى بزورق البلد النّاقةَ، فلمّا أراد معنى الفاعل دون لفظه، وكان كلامُه على المجاز لا على الحقيقة، عدل عن المطابقة، وهو بذلك جَرَى في بناء العلاقات بين العناصر النحوية لتركيبه استناداً إلى المعنى دون اللفظ.

ويجوز ألّايطابق الفعلُ فاعلَه إذا كان ملحقاً بجمع المذكّر السالم أو بجمع المؤنث السالم، فمن الأوّل نحوُ قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٩٠﴾﴾(٣) فأنّث الفعلَ (آمنتْ) وحقُّه التذكيرُ، وتركَ المطابقةَ بينه وبين فاعله (بنو) لأنه ملحقٌ بجمع المذكّر السالم، ومن الثاني قولُ عبدة بن الطبيب(٤):

فَبَكَى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وزَوْجَتِي   والظَّاعِنُونَ إليَّ ثُمَّ تَصَدَّعُوا(٥)

فذكّر الفعلَ (بكى) وحقُّه التأنيثُ، ولم يحقِّق المطابقةَ بينه وبين فاعله المؤنثِ (بنات) لأنه ملحق بجمع المؤنَّث السالم، وكأنّ خروجَه عن الأصل أجاز تغييراً آخر فيه. وكذلك يجوز تركُ المطابقة بينهما إذا كان الفاعلُ اسمَ جمعٍ أو اسمَ جنس جمعيّاً، فالأوّلُ نحوُ (جاء النساءُ، وجاءت القومُ) فتركْتَ تحقيقَ المطابقةِ بين الفعل (جاء) وفاعله المؤنثِ

---

(1) الديوان، ٢٠٣.
(2) حرّة، كريمة، وعَيْطَل: طويلة العنق، وثبْجاء: عظيمة السنام، ومُجْفِرَة: عظيمة الجَنْب، ودعائم: قوائم الناقة.
(3) يونس،٩٠.
(4) ابن الطبيب، عبدة، الديوان، تح: يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد،١٩٧١-١٩٧٢م،٥٠.
(5)الشَّجْوُ، الحزن، تصدّعوا: تفرّقوا.

(النساءُ) لأنه اسم جنس، وبين الفعل (جاءتْ) وفاعله المذكّرِ (القومُ) للسبب نفسِه، والثـاني نحوُ (قالت العربُ أو الرُّومُ أو الفرسُ أو التُّرْكُ) فتركْتَ المطابقة بين الفعل (قالتْ) وفاعله المذكر (العربُ) لأنه اسم جنسٍ جمعيٍّ، ومثلُه (أورَقَتِ الشّجرُ).

ويجوز ألّايطابق الفعلُ فاعلَه المذكّرَ إذا كان مضافاً إلى مؤنث قد اكتسب منـه معنـى التأنيث، نحوُ قول جرير[١]:

لمّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعَتْ   سُورُ المدينةِ والجِبالُ الخُشَّعُ

والأصل (تواضعَ سورُ المدينةِ) لأن الفاعل (سورُ) مذكّرٌ، لكنّه ترك المطابقـةَ، ولجـأَ إلى تغيير بنيةِ الفعلِ، فألحق به تاءَ التأنيث دلالةً على تأنيثه، لأن الفاعل (سـورُ) أُضـيف إلى (المدينةِ) و (المدينةِ) مؤنثٌ، فاكتسب منه معنى التأنيث، فحمل العلاقةَ الإسنادية بـين الفعل وفاعله على المعنى لا على اللفظ، ونحو قول الأعشى[٢]:

وتَشْرَقُ بالقوْلِ الّذي قدْ أَذَعْتَهُ   كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَناةِ من الدَّمِ[٣]

والأصلُ (كماشرقَ صدرُ القناةِ) لكنه ترك المطابقةَ بين الفعل (شرقتْ) وفاعله المـذكَّرِ (صدرُ) لأنه أُضيف إلى (القناة) و (القناة) مؤنثة، واكتسب منه معنى التأنيث، فكأنه صـار مؤنثاً، فأنشأ العلاقةَ الإسنادية بينهما استناداً إلى المعنى الجديد للفاعـل (صـدرُ) لا إلـى لفظه، ومثلُه قوله تعالى:﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾[٤]ويكون هذا إذاجاز حـذفُ المـضاف، وجاز أن يقوم المضافُ إليه مقامَه في الإعراب وتأديةِ المعنى، وكـأن العلاقـة النحويـة الإسنادية

مبنيّةٌ على توَهُّمِ حذفِ المضافِ[٥].

---

(1) الديوان، ٣٤٥.
(2) الديوان، ١٧٣.
(3) تشْرَقُ: تغصُّ.
(4) يوسف، ١٠.
(5) ينظر: الكتاب، ج٢/٣٨-٤٥، والمقتضب، ج٢/١٤٤-١٤٦، ج٤/١٩٧-١٩٩، والأصول في النحو، ج١/١١٤، ١٧٣-١٧٤، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٣٢٥، والخصائص، ج٢/٤١١-٤١٨، والمفصّل،٢٥٢، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٤٧، ج٢/٤٤٧، ٥٥١، وشرح المفصّل، ج٥/٩٢-٩٤، ٧/١٣٦-١٣٧، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٦٣٢-٦٣٣، وارتشاف الضرب،

ولا يكون تركُ المطابقة بين الفعل وفاعلِه على إطلاقه دونما قيدٍ، ولا يلجأ المتكلمُ إليه؛ لأن القاعدة النحويةَ أجازتْ له ذلك فحسبُ، وإنّما يكون لمعنى، فالمعنى وحده يُقرِّر هذا التغييرَ الذي من شأنه أن يُغيِّر العلاقاتِ النحوية بين طرفي الإسناد في الجملة الفعليّة، فالقصْدُ والسياقُ هما اللذان يقرِّران ذلك، والاستخدامُ القرآنيُّ دليلُ ذلك، فقد يكون المتكلّمُ قصدَ باللفظ المؤنث معنى مذكراً، فيؤنِّث الفعلَ، وقد يكون بسبب تنزيل المذكر بمنزلة المؤنث أو بالعكس، أو لغير ذلك من الأغراض والمعاني، ومن أمثلته في القرآن الكريم قولُه تعالى: ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]فذكَّر الفعلَ (جاء) لأنه حمل فاعلَه المؤنّثَ (موعظةٌ) على معنى (النّهي) وكأنّ القصدَ (فمن جاءه نهيٌ) و (النهيُ) مذكّرٌ، فلمّا قصد هذا المعنى، التفتَ إليه، وأهملَ اللفظَ؛ لأن الغاية من تأليف الكلمات إلى جانب بعضها في جمل، هو المعنى فحسب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[2] والقياسُ الذي يتطلّبُه اللفظُ هو (حقّتْ عليهم الضلالةُ) لأن الفاعل (الضلالةُ) مؤنثٌ، لكنه تركَ المطابقةَ، فذكّر الفعلَ (حقَّ) لأنه أراد بالضلالة معنى (العذاب) و (العذاب) مذكّرٌ، فبنى التركيبَ بناءً على متطلّبات المعنى لا على اللفظ، ونحو قوله تعالى: ﴿ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى ﴾[3] فذكّر الفعلَ (جاء) ولم يطابقه مع فاعله المؤنثِ (بيِّنةٌ) لأنه قصد بها معنى (الكتاب) و (الكتاب) مذكّر، فالتفتَ إلى معنى الفاعل لا إلى لفظه[4]، وقد يكون تركُ المطابقة بينهما للدلالة على قلّة الفاعل إذا كان جمعاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي

ج٢/٧٣٤-٧٣٨، ج٤/٢٠٢٨،١٨٣٨ ، وأوضح المسالك، ٢٦٤-٢٦٥،٤٠٩، ومغني اللبيب، ٦٦٦، والنحوالوافي، ج٢/٦٦-٦٩، ج٣/٣٠٧-٣٠٨، وجامع الدروس العربية، ج١/٧٩-٨٠، ٢٤٥-٢٤٧، ومعاني النحو، ج٣/١١٦-١١٧.

(1) البقرة، ٢٧٥.

(2) الأعراف، ٢٩-٣٠.

(3) الأنعام، ١٥٧.

(4) ينظر، الكتاب، ج٢/٣٨-٤٥، والمقتضب، ج٢/١٤٤-١٤٦، ج٤/١٩٧-١٩٩، والأصول في النحو، ج١/١٧٣،١١٤-١٧٤، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٣٢٥، والخصائص، ج٢/٤١١-٤١٨، والمفصّل، ٢٥٢، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٤٧، ج٢/٥٥١،٤٤٧، وشرح المفصّل، ج٥/٩٢-٩٤،٧/١٣٦-١٣٧، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٦٣٢-٦٣٣، وارتشاف الضرب، ج٢/٧٣٤-٧٣٨، ج٤/٢٠٢٨،١٨٣٨، وأوضح المسالك، ٢٦٤-٢٦٥ ،٤٠٩، ومغني اللبيب، ٦٦٦، والنحوالوافي، ج٢/٦٦-٦٩، ج٣/٣٠٧-٣٠٨، وجامع الدروس العربية، ج١/٧٩-٨٠، ٢٤٥-٢٤٧، ومعاني النحو، ج٣/١١٦-١١٧.

ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[1] فذكّر الفعلَ (قال) ولم يطابقه مع فاعله المؤنث (نسوةٌ) لِيدلَّ على قِلَّتهنَّ، ولو طابق، لَما تحقَّق هذا المعنى، ونحوُ قوله تعالى:﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ ﴾[2] فذكّر الفعلَ (انسلخ) للدلالة على قلّة الأشهر الحرم. وتركُ المطابقةِ بينهما من باب التوسُّع في المعنى، ففي قول جرير: (تواضعتْ سورُ المدينةِ)[3] تركَ المطابقةَ، وعقدَ العلاقةَ الإسناديةَ بين الفعل (تواضعت) و معنى الفاعلِ (سورُ) لِيدلّ على أن المدينةَ كلَّها تواضعتْ، وليس السّورُ وحده، فذكَّر السّورَ؛ لأنه حصنُ المدينةِ وحِماها، فأنّثَ الفعلَ لإرادة المدينة أيضاً، فجمع بين المعنيين، ويكون بذلك قد عبَّرَ بتركيب واحد عن أكثر من معنى[4]. وقلَّ استخدامُ هذا النوعِ من التغيير النحويّ الجائز في دواوين الشعراءِ الخمسة، حتّى إن بعضهم لم يلتفت إليه أبداً، ولعلّ في هذا دلالةً على بدْءِ الامتناع والعزوف عن هذا التغيير. قال البارودي[5]:

نَفَى النَّوْمَ عنْ عَينيهِ نَفْسٌ أبيَّةٌ　　لَهَا بَيْنَ أطرافِ الأسنَّةِ مَطْلَبُ

والأصلُ أنْ يؤنِّثَ الفعلَ (نفى) ويُلحقَ به تاءَ التأنيثِ السّاكنة التي هي علامةُ الفاعلِ المؤنّثِ؛ لأن فاعلَه (نفسٌ) مؤنّثٌ، لكنه عدل عن ذلك، وغيّرَه، فلم يطابق بينهما، وأورد الفعلَ (نفى) بصيغة المذكّر، وثمّةَ معانٍ وأسبابٌ أجازتْ له ذلك. فالفاعلُ (نفسٌ) تأنيثُه مجازيٌّ، ومفصولٌ بينه وبين الفعل (نفى) بفاصلين، هما المفعولُ به (النومَ) والجارّ والمجرور (عن عينيه) ولمّا كان السياقُ النحويُّ في التركيب يجري هذا المجرى، جاز له ألّايطابق بينهما. ويبدو أن للمعنى دوراً أساسيّاً في هذا التغييرِ، فلم يُردِ الشاعرُ لفظَ النّفس، وإنّما أراد صاحبَها الذي يحملها، ويرفضُ الذّلَّ والخضوعَ، ويتّصفُ بالبأس والشّجاعة والإقدام، ويطلبُ خوْضَ المعارك، ولمّا كان هذا المعنى قصْدَه من التركيب، عقدَ علاقةَ الإسنادِ بين الفعل (نفى) والفاعل المؤنّثِ (نفسٌ) استناداً إلى معنى الفاعل لا إلى لفظِه،

(1) يوسف، ٣٠.
(2) التوبة، ٥.
(3) الديوان، ٣٤٥.
(4) ينظر، معاني النحو،ج٢/٥٢-٦٠ ،ج٣/١١٦-١١٧.
(5) الديوان، ج١/٣٨.

فالمطابقةُ بينهما بتأنيثِ الفعل (نفى) لا ترسمُ للشاعر الصُّورةَ المشرقةَ المندفعةَ الطّموحةَ التي يريدها، فلمّا وجد أن التركيبَ الأصل عائقٌ بينه وبين المعاني والدّلالات التي يريد إيصالَهَا، تركَ المطابقةَ. وقال البارودي [١]:

مَلاعِبُ زَانَتْها الرِّفاقُ ولم يكنْ ... لِيَحْسُنَ لَهْوٌ لم يَزِنْهُ رَفيقُ

أورد الشاعرُ الفعلَ (زانتْ) بصيغة التأنيث، وحقُّه أن يأتي بصيغة التذكير؛ لأن فاعله (الرّفاق) مذكّر، ولمّا كان الفاعلُ جمعَ تكسير، جاز له من حيثُ الناحيةُ النحويّة أن يترك المطابقةَ بينهما فهو مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحويّة، ويبدو أن المعنى هو الذي دفع الشاعرَ إلى ترْك المطابقة بينهما، فالشاعرُ يصفُ روضةً كثيرةَ الأشجار، غزيرةَ المياه في منفاه في سرنديب، فأراد أن يصوِّر لوعتَه ووحشتَه ووحدتَه، ويشيرَ إلى قِلّة الرّفاق الذين كانوا كُثُراً حوله في مصر قبل أن يُنفَى، وهذه معانٍ ودلالاتٌ وإيحاءاتٌ لا يؤدّيها، ولا يصوِّرها في ظنّه سوى تركيبٍ يتركُ فيه المطابقةَ بين الفعل والفاعل مستفيداً من إمكانيّات اللغة وجوازاتِ القاعدة النحويّة، وهو بذلك يجعل المعنى قطعيّاً يسير في اتّجاه واحد بدلَ أن يكون احتماليّاً تتعدّدُ اتِّجاهاتُه، وكأنّ تركَ المطابقة بينهما يبيّنُ قِلّةَ الرِّفاقِ من حوله في المنفى، ويؤكِّد هذه القِلَّةَ التي تصوِّر غُرْبةَ الشاعر. وقال البارودي[٢]:

فَتَرقَّقْ بمُهْجَةٍ شَفَّها الْوَجْـ ... ـدُ فَذابَتْ وأدْمُعٍ ليس تَرْقَا

والأصلُ في الفعل الناقص (ليس) أن يأتي بصيغة التأنيث؛ لأن اسمَه الضميرَ المستترَ (هي) الذي هو فاعلٌ في المعنى مؤنّثٌ، فهو عائد إلى (أدمع) و (أدمع) مؤنّثٌ، وجاز له تركُ المطابقة بينهما؛ لأن اسمه ضمير مستتر يعود على مؤنّث مجازيّ، والقاعدةُ النحويّة تجيز تركَ المطابقةِ في هذه الحالة. ويبدو أن غرضَه من ترك المطابقة بينهما أن يبالغ في الإخبار عن كثرة بكائِه بسبب الوجد، ويصوِّرَ لوعةً غيرَ معتادةٍ، وحالةً تستحقُّ الوقوفَ

(1) الديوان، ج٢/٣٣١.
(2) الديوان، ج٢/٣١٧.

عندها، والتعاطفَ معها، فإذا سمع المتلقّي هذا التركيبَ، وقف عنده؛ ليتأمّله، ويفتّش عن المعاني والدلالاتِ التي كانت وراء تأليفِ العناصرِ النحويّةِ على هذا الشّكل فيه، لمس، وعرف ما أراد الشاعرُ أن يوحي به، وبذلك ضمنَ لتركيبه السّلامةَ من التلقّي النمطيّ، وربّما تركَ المطابقةَ بينهما؛ لأنه حمل (أدمع) على معنى (الدمع) و (الدمع) مذكّر، فجعل العلاقةَ الإسنادية بين الفعل الناقص (ليس) والفاعل المستترِ (هي) على معناه لا على لفظه. وقال بدر الدين الحامد(١):

فِي أَلْفِ عامٍ مَضَتْ والنّاسُ تَرْمُقُنا   شَزْراً عِظاتٌ بَلِيغَاتٌ وتَذْكارُ

ترك الشاعرُ المطابقةَ بين الفعل (مضتْ) الذي ورد بصيغة التأنيث وبين فاعله الضميرِ المستتر (هو) والأصلُ (في ألف عامٍ مضى) لأن الضمير في الفعل (مضتْ) عائد إلى العدد (ألف) المضافِ إلى (عامٍ) و (عامٍ) مذكّر، ولمّا كان (عام) وهو ما عاد إليه الفاعلُ، مذكّراً مجازيّاً، جاز له أن يخالفَ بينهما، ويبدو أن الشاعرَ حمل (ألف عام) على معنى (ألف سنة) فذكّر العامَ، وأراد السّنةَ فيكون بذلك قد أقام العلاقةَ الإسناديّة في الجنس بين الفعل (مضتْ) وفاعلِه (هو) على معنى الفاعل لا على لفظه، وهذا من باب التوسُّع في المعنى، ولَفْتِ الأنظار إلى دلالات التركيب ومعانيه، وتوكيدِ المعاني التي أوردها في بيته، فإذا سمع المتلقّي هذا التركيبَ، وقف عنده؛ ليتأمّله، فإذا تأمّله، أدركَ أن الأعوام الكثيرة التي مضتْ على الشاعر وقومه، كانتْ مليئةً بالعِظات البليغةِ والذكرياتِ الكثيرةِ، فسلّمَ بهذه المعاني، وقَبِل بها، وامتنعَ شكُّه في وقوعها. وقال بدر الدين الحامد(٢):

فيا ضَيْعَةَ الآمالِ في الهَيْئَة الّتي   تُديرُ رَحَى الدُّنْيا جَهابِذُهَا النُّجْبُ

والأصل (يديرُ جهابذُها النّجبُ) بتذكير الفعل (يدير) لأن فاعله (جهابذُها) مذكّر، وترك الشاعرُ المطابقةَ بينهما؛ لأن الفاعل (جهابذُها) جمعُ تكسير، فجرى على القاعدة النحوية الفرعيّة التي تجيز لمستخدم اللغةِ تركَ المطابقةَ بين الفعل والفاعل في هذه الحالة. ويبدو

---

(1) الديوان، ج١/٢٤٧.
(2) الديوان، ج١/٣٢٩.

أن المعنى يقف وراء هذا التغييرِ النحويِّ الجائز، فالشاعرُ يسخرُ من القائمين على هيئة الأمم المتّحدة التي تزعم أنها ترعى مصالحَ الشّعوبِ، وتنظّم العلاقاتِ بينها، وهي تتصرَّفُ خلافاً لِما تدَّعيه، فأراد الشاعرُ أن يبالغ في السخرية منها والاستهزاءِ بها والتعبيرِ عن هَشاشَتِها وضعفِها وغدْرِها بالشّعوب الضّعيفة، فأنّث الفعلَ (تدير) وهو يريد بذلك الفاعلَ (جهابذُها) ليُظهِرَه بصورة المرأة الضّعيفةِ الماكرةِ المخادعةِ التي لا تحفظ وعودَها، وتتقلّبُ في آرائها فتخضعُ للقويّ، وتعطيه ما يريد رغماً عنها، وتفتكُ بالضّعيف دونما رحمةٍ. وهذه معانٍ ودلالاتٌ وإيحاءاتٌ ليس للتركيب النمطيّ أن يؤدّيها.

فلم يكنْ تركُ المطابقةِ بين طرفي الإسناد في الجملة الفعليّة حالةً شائعةً في دواوين الشعراء الخمسة، واقتصرت الشواهدُ القليلةُ الواردةُ على بعض الحالات دون أن تشمل كلَّ الحالاتِ والمواضعِ النحويّةِ التي أجازت القاعدةُ النحويةُ ترْكَ المطابقة فيها بينهما، ولعلَّ في هذا دلالةً على أنهم لا يَدَعون التركيبَ الأصلَ إلى تركيب جديدٍ إلاّ إذا ظنّوا تمامَ الظنّ، أو اعتقدوا تمامَ الاعتقادِ أن ذلك يكون لمعانٍ ودلالاتٍ إضافيّةٍ.

٣- ترك المطابقة بين الصفة والموصوف:

الأصلُ أن تتبع الصفةُ الموصوفَ في التذكير والتأنيثِ والإفرادِ والتثنية والجمع والتعريف والتنكير وحركةِ الإعرابِ، ويجوز تركُ المطابقة بينهما في الحركة الإعرابيةِ إذا كان الموصوفُ منادىً مفرداً علماً، وكانت الصفةُ مفردةً غيرَ مضافةٍ، فيجوز في الصفة الضمُّ إتباعاً للفظ الموصوفِ، ويجوز النصبُ إتباعاً لمحلِّه، نحو (يا زيدُ العاقلَ) فنصبتَ الصفةَ (العاقلَ) وأتبعتها لمحلّ الموصوفِ (زيدُ) وجازلك ذلك؛ لأن الموصوف (زيدُ) منادى مفرد علم وصفتَه (العاقلَ) مفردةٌ، ونحو قول جرير[1]:

فما كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابْنُ سُعْدَى بأجْوَدَ منكَ يا عُمَرُ الجَوَادَا

(1) الديوان، ١٣٥.

فنصب الصفةَ (الجوادَ) وترك المطابقةَ في الحركة الإعرابية بينها وبين الموصوفِ (عمرُ) لأنه منادى مفرد علمٍ، والصفةُ (الجواد) مفردةٌ. وثمّةَ موضعٌ آخر يجوز فيه تركُ المطابقة بينهما، وذلك إذا كان الموصوفُ مجروراً بـ (منْ) الزائدة، فيجوز في صفته الجرُّ إتباعاً للفظ الموصوفِ، ويجوز فيه الرّفعُ أو النّصبُ إتباعاً لِمحلِّه، نحوُ (ما ضُرِب من رجلٍ عاقلٌ) فرفعْتَ الصفةَ (عاقلٌ) وتركْتَ المطابقةَ بينها وبين موصوفها المجرورِ (رجلٍ) في اللفظ، وإنّما فعلْتَ ذلك؛ لأنك اخترْتَ الإتباعَ على المحلِّ، وأهملْتَ اللفظَ، فالموصوفُ (رجلٍ) محلُّه الرّفعُ؛ لأنه نائبُ فاعل، وجاز ذلك؛ لأن الموصوف (رجلٍ) مجرور بـ (من) الزائدة، فتبعْتَ ما أتاحتْه لك القاعدةُ النحوية، ونحوُ قوله تعالى:﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[1] فيجوز أن تُرفَع الصفةُ (غيرُ) إتباعاً لمحلّ الموصوف (إلهٍ) لأن محلّه الرّفعُ بالابتداء، وإنّما جاز ذلك؛ لأن الموصوف (إلهٍ) مجرورٌ بـ (من) الزّائدة. ويجوز ألّا تتبعَ الصفةُ الموصوفَ في الحركة الإعرابية إذا كان الموصوفُ اسمَ (لا) النافية للجنس مبنيّاً غيرَ مفصولٍ بينهما بفاصل، والصفةُ مفردةٌ غيرُ مضافةٍ، نحوُ (لا رجلَ ظريفٌ في الدار) فرفعْتَ الصفةَ (ظريفٌ) لأنك أتبعتَها لمحلّ (لا) النافية للجنس مع اسمها (رجلَ) ومحلُّهما الرفعُ على الابتداء، وتكونُ بذلك قد تبعْتَ المعنى، وأهملْتَ اللفظَ، ويجوز (لا رجلَ ظريفاً في الدار) فنصبْتَ الصفةَ (ظريفاً) ونوّنْتَها؛ لأنك أتبعتها لمحلِّ اسمِ(لا)النافية للجنس (رجلَ) وإنّما جاز ذلك من الناحية النحويةِ؛ لأن الموصوف (رجلَ) اسمُ (لا) النافية للجنس، وهو في حالة بناءٍ، ولافاصلَ بينه وبين صفته (ظريفٌ أو ظريفاً) ونحوُ قول حاتم الطائيّ[2]:

وردَّ جازرُهُمْ حَرْفاً مُصَرَّمَةً   ولا كَرِيْمَ مِنَ الْوِلْدان مَصْبُوحُ

فرفعَ الصفةَ (مصبوحُ) على الابتداء إتباعاً لِمحلّ (لا) النافية للجنس مع اسمها (كريمَ) لأن محلَّهما الرّفعُ على الابتداء.

---

(1) الأعراف، ٥٩.
(2)الطائي، حاتم، الديوان ، تح: عادل سليمان جمَال، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت،٣١١.

ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما في الحركة الإعرابيةِ إذا كان الموصوفُ مجروراً بالإضافة، وهو في الأصل فاعلٌ لعامله الذي أُضيفَ إليه، فيجوز في هذه الحالةِ أن ترفع الصفةَ، وتترك المطابقة بينها وبين الموصوف؛ لأنك اتّبعْتَ المحلَّ، وأهملْتَ لفظَ الموصوف

المجرورِ، ويجوز أن تجرّها إذا اتّبعْت لفظَ الموصوف المجرورِ، ومنه قولُ لَبيد(١):

حتّى تَهَجَّرَ في الرَّواحِ وهَاجَهُ   طَلَبَ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلومُ(٢)

فرفع الصفةَ (المظلومُ) وترك جرَّها، وكأنه قال: (كما يطلب المعقِّبُ المظلومُ حقَّه) وإنّما جاز أن يفعل ذلك؛ لأن الموصوف (المعقّبِ) محلُّهُ الرّفعُ؛ لأنّه في الأصل فاعلٌ للمصدر (طَلَبَ) الذي أُضيف إليه، فتبع الشاعرُ المعنى، وأهملَ اللّفظَ، ومِنْ هنا أقام العلاقةَ الوصفيّةَ بين الصفة (المظلومُ) وبين معنى الموصوف (المعقّب). وهذا يُبرزُ بوضوح أثرَ المعنى في التغيير النحويّ، وأثرَ التغيير النحويّ في المعنى، وكأنّ العلاقةَ بينهما متبادلة(٣).

وليس تركُ المطابقةِ بينهما يجري متى شاءه المتكلمُ دون أن يسعى وراء معنىً ما، فالمعنى والسياقُ يقرِّران ذلك، وإلّا فلاحاجةَ للمتكلم في أن يسلك هذا الطريقَ الذي أجازته القاعدةُ النحويةُ، وأباحَهُ الاستعمالُ اللغويُّ السليمُ، فهو يتركُ المطابقةَ بينهما إذا كان الموصوفُ مجروراً بالإضافةِ؛ لإضافة عاملِهِ المصدرِ إليه؛ ليُميِّز بين معنيي الفاعليّة والمفعوليّة اللذين يحتملهما الموصوفُ، وترْكُ المطابقةِ ينقل التركيبَ من الدلالة الاحتماليّةِ للموصوف إلى الدلالة القطعيةِ التي تتوضّحُ بحسب الحركة الإعرابيةِ للموصوف التي تظهر على آخر الصفة، فلو قال لبيدٌ: (طَلَبَ المعقّبِ حقَّه المظلومِ) بجرّ الصفة (المظلومِ)

---

(1) ابن ربيعة العامريّ، لبيد، الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م، ١٥٥.

(2) يصف الأتن وقد حرّكها الحمار لطلب الماء طلباً حثيثاً، وتهَجَّر: عجّل الرّواحَ إلى الماء، وهاجَه: حرّكه، والمعقّب: صاحب المال يطلب حقّه مرّةً بعد مرّة.

(3) ينظر، المقتضب: ج٤/٢٠٧-٢٠٨، ٣٦٩-٣٧٠، والأصول في النحو، ج١/٩٤، ٣٣٣-٣٣٤، ٣٨٥، ومعاني الحروف، ٨١، والمفصل، ٢٨٧، ٤٩،١٠-٢٨٨، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٤٨٣، ٢٩٧-٢٩٨، وشرح المفصل، ج١/١٢٩، ج٢/١٠٨-١٠٩، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٨٠-٢٨١، وارتشاف الضرب، ج٣/١٣٣٦، وأوضح المسالك، ٤٥٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٨٠،١٥٣، ٢٨٣، والنحو الوافي، ج٣/١٨١، ج٤/٣٣، وظاهرة قياس الحمل، ٢٩٩.

لَظلّ معنى الموصوف (المعقِّبِ) في ذهن المتلقّي قائماً بين معنيي الفاعليـــة والمفعوليـــة، ولمّا لم يكُن غرضُه من إقامة العلاقةِ بين طرفي الإتباع إيقاعُ المتلقّي فـــي الاحتمـــالات، تركَ المطابقةَ بينهما، فرفع الصفةَ (المظلومُ) ليتبيَّن أن موصوفَه (المعقّـــبِ) فاعـــلٌ فـــي المعنى لا مفعولٌ به(١). فثمّةَ فَرْقٌ في المعنى بين الاستعمالاتِ المختلفةِ للصّفة في هـــــذا السّياقِ، فإذا رفعْتَ الصّفةَ، وقلْتَ:(لا رجلَ ظريفٌ في الدار) دلَّ الرفْعُ علـــى تقـــدير أن الصفة جزءٌ من جملة اسميّةٍ (هو ظريفٌ) وهذا إخبارٌ ثانٍ، وإذا نصبتَ، فقلتَ: (لا رجـــلَ ظريفاً في الدار) دلَّ التقديرُ على أن الصفة جملة فعلية هي (أعني ظريفاً) وهـــذا إخبـــارٌ ثانٍ، فنفيتَ أولاً جنسَ الرّجالِ على العموم، ثمّ اتّضح لك أن تبيِّن للمخاطب أن النفي لـــيس على سبيل العموم، فاستأنفتَ إخباراً ثانياً، فكأنك قلت: (أعني ظريفاً) والأمـــرُ كـــذلك إذا رفعت الصفةَ، وإذا بنيتَ، وقلتَ: (لارجلَ ظريفَ فـــي الـــدار) وأتبعـــتَ الـــصفةَ للَفـــظ الموصوف (رجلَ) كان كلامُك على تقدير (مِنْ) الاستغراقية، فوقع النفـــيُ علـــى الـــصفة والموصوفِ معاً على وجه العموم، فنفيت جنسَ الرجالِ وجنسَ صـــفةِ الظّرافـــةِ، فكأنـــك قلتَ: (لارجلَ لا ظريفَ في الدار)(٢) فقد أدّيتَ بترك المطابقة معنيـــين بتركيـــب واحـــد، فأخبرتَ، ونفيتَ، واستدركتَ، والظاهرُ أن تَرْكَ المطابقةِ، الغرضُ منه توجيهُ الأنظار إلى الصفة، وهو يقع في المواطن المستغربةِ التي تثيرُ الدّهشةَ والمـــدحَ الاســـتغرابَ والفخـــرَ والتعجّبَ وغيرَها من المعاني التي يريد المتكلمُ لفْتَ الأنظار إليها، فإذا قلـــتَ: (يـــا زيـــدُ الطويلَ) وتركتَ المطابقةَ بين الصفة (الطويلَ) وبين الموصوف (زيـــدُ) فإنّمـــا أردتَ أن تلفت الأنظارَ إلى طُولِه الذي غدا صفةً بارزةً من صفاته بين أشخاصٍ لم يتّصفوا بها.

ويجوز ألّا تطابقَ الصفةُ موصوفَها في التعريف والتنكيـــر، فيجـــوزُ وصـــفُ النكـــرة بالمعرفة إذا كانت الصفةُ ذاتَ تعريفٍ لفظيّ، وذلك إذا كانت مشتقّاً اســـمَ فاعـــل أو اســـم مفعول أو صفةً مشبَّهة باسم الفاعل فيه معنى الحال أو الاستقبال، وقد أُضيف إلى معموله الفاعلِ أو المفعولِ؛ لأن الإضافة إلى المعمول لم تُكسبه المعرفةَ المعنويّةَ، فإضافتُهُ شـــكليّةٌ

---

(1) ينظر، معاني النحو، ج٣/١٤٥-١٤٦، ١٥١-١٥٢.
(2) ينظر، معاني النحو، ج١/٣٥٥.

فحسب، ولمّا ظلّ محافظاً على معنى التنكير، جاز أن يكون صــفةً للنكــرة، نحــوُ قولــه تعالى:﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾[(١)] فترك المطابقةَ الشكليّةَ في التعريف والتنكير بين الموصــوفِ النكرةِ (هَدْياً) والصفةِ المعرفةِ (بالِغَ) وإنّما جاز ذلك؛ لأن الصّفة (بالِغ) مشتقٌّ، فهو اســمُ فاعل أُضيف إلى مفعوله، والتقديرُ(هدياً بالغاً الكعبة) وهذه الإضافةُ ظلّت في دائرة الشكلِ دون أن تبلغ المعنى، فــ (بالِغَ) ظلّ يحمل معنى التنكير، وهــذا مــا جعلــه صــالحاً لأن توصَف به النكرةُ، فالعلاقةُ الوصفيّةُ قائمةٌ بينه وبين موصوفه على المعنى، وفي هذا دليلٌ آخرُ على أن النّحو معنى لا ألفاظٌ تُرَكَّبُ إلى جانب بعضها في السياق والتركيــب، ومنــه قوله تعالى:﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[(٢)] فلمّا كانت الصفةُ (ممطرُنا) مــشتقّاً، فهــي اســمُ فاعــل أُضيف إلى معموله (نا) ترك المطابقةَ بينها وبين موصوفها النكرة (عارضٌ) لأن الإضافة شكليّةٌ لم تغيِّــر معنى التنكير فيها[(٣)]. ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما في التعريف والتنكيــرِ إذا كانت الصفةُ من الألفاظ المبهَمَةِ الُموغِلَةِ في التنكير، نحو (مثل وشبه، ونحو، وغيــر) لأن إضافتها إلى ما بعدها يظلّ في دائرة الشكلِ، ولا يُفقِدها معنى التنكيــرِ، فتعريفُهــا – وإن أُضيفت – لفظيٌّ لا معنويٌّ، ومن هنا جاز أن توصَف بها النكرةُ بالنظر إلى معناهــا لا إلى لفظها، نحو (مررْتُ برجلٍ مثلِك) فقد وصفت النكرةَ (رجلٍ) بالمعرفة (مثلِك) وهــذا يعني أنك تركتَ شرطاً من شروط المطابقةِ بين الصفة والموصوفِ، وإنّما جاز ذلك؛ لأن الصفة (مثلِ) لم تكتسب التعريفَ المعنويَّ من إضافتها إلى كاف الخطاب، فظلّت في دائرة التعريفِ اللفظيِّ، ودليلُ ذلك أن المعنى ما زال مبهماً، فلم يتبيَّنْ وجهُ الشّبهِ بــين (رجــلٍ) وبينك، ونحو (سلّمْتُ على رجــلٍ شِبْهِك) فتركتَ المطابقةَ بين الموصوف النكرة (رجــلٍ) وبين صفته المعرفةِ (شبهِكَ) وفعلتَ ذلك؛ لأن الصفة (شبهِ) من الألفــاظ الموغلــةِ فــي التنكير، وهي لم تكتسب معنى التعريف من المضاف إليه كافِ الخطاب، ودليــلُ ذلــك أن المعنى مازال غامضاً وعامّاً؛ إذ لم يتبيَّن وجهُ الشبهِ بين الرجلِ الذي سلّمتَ عليه وبينــك،

---

(1) المائدة، ٩٥.

(2) الأحقاف، ٢٤.

(3) ينظر، المقتضب، ج٤/١٤٩-١٥٠، والأصول في النحو، ج١/١٢٦-١٢٧، ١٣٢-١٣٣، والمفصل، ١٠٥-١٠٧، وشرح المفصل، ج٢/١١٩-١٢٠.

فقد يكون شبهَك في الطّول، أو اللّون، أو العِلْمِ أو في كلٍّ ذلك، وهذه الألفاظُ تُــؤوَّل باســم فاعل، نحو (مماثلٌ ومشابِهٌ ومغايِرٌ) [١]. وفي هذا الموضع النحويّ دليــلٌ آخــر علــى أن العربيَّ يسعى في تأليف كلامه وراء المعاني، وهو إذْ يركِّب ألفاظَه في تركيب إنّما يفعــل ذلك لمعنى.

ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما في الإفراد والجمع، فيجوز أن يوصَف المفردُ بالجمع إذا كان

جنساً، فيُرادُ معناه لا لفظُه، نحوُ قول مُزاحِمِ العقيليّ [٢]:

لَظَلَّ رَهيناً خَاشِعَ الطَّرْفِ حَطَّهُ　　تَخَلُّبُ جَدْوَى والْكَلامُ الطَّرائفُ

فلم يطابق بين الموصوف (الكلامُ) والصفةِ (الطرائفُ) فوصف المفردَ بالجمع، وجــاز ذلك؛ لأن الموصوف (الكلامُ) جنسٌ، لفظُه مفردٌ، ومعناه جمعٌ، فأقــام العلاقــةَ الوصــفيّةَ بينهما على معناهما لا على اللفظ، ومثلُه (ذهب به الدّينارُ الحُمرُ والدّرهمُ البِيضُ) فتركــتَ المطابقةَ بين الموصوف (الدينارُ) وصفتِه(الحُمْرُ) لأن (الدّينار) جــنسٌ، فتبعــتَ معنــاه، وأهملتَ لفظَه، ويجوز وصفُ الجمع بالمفرد، إذا كان الموصوفُ جمعاً لغير العاقل، نحــو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [٣] فوصفَ (الأسماءُ) وهي جمع بـــ (الحسنى) وهي مفردٌ، فترك المطابقةَ بينهما في العدد، وجاز ذلك؛ لأن الموصوف (الأسماءُ) جمــعٌ لـــ (اسم) و (اسم) غير عاقل، ونحوُ قوله تعــالى:﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ [٤] فوصــف الجمعَ (القرون) بالمفرد (الأولى) فلم يطابق بينهما؛ لأن الموصوف (القرونِ) جمع لغيــر العاقل [٥].

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/٢٨٧-٢٨٩، والأصول في النحو، ج١/١٥٣، والمفصّل،١٠٩، وشرح المفصّل، ج٢/١٢٥.
(2) الخصائص، ج١/٢٥-٢٦.
(3) الأعراف، ١٨٠.
(4) طه، ٥١.
(5) ينظر، الخصائص، ج١/٢٥-٢٦، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٧٨، وجامع الدروس العربية، والنحو الوافي، ج٣/٣٦٢-٣٦٣.

ويجوز ألّا تطابقَ الصفةُ الموصوفَ في العدد إذا كان الموصوفُ تمييــزاً بعــد عــدد مركَّب أو معطوفٍ أو لفظٍ من ألفاظ العقود، وإنّما جاز تــركُ المطابقــة باعتبــار معنــى التمييزِ الموصوفِ لا باعتبار لفظه؛ لأن معناه يكون جمعاً، نحو (عشرون طالباً أذكياءَ في الصّفّ) فوصفتَ بالجمع (أذكياءَ) المفردَ (طالباً) وجاز ذلك؛ لأن الموصوف (طالباً) تمييزٌ بعد لفظٍ من ألفاظ العقود (عشرون) فتبعتَ معنى الموصوفِ في إقامة العلاقــةِ الوصــفيّةِ بينه وبين صفتِه (أذكياءَ) وأهملْتَ لفظَه(١).

وترْكُ المطابقةِ بين الصفة والموصوفِ، إنّمــا يكــون لمعنــى لا يتــشكّلُ إذا تحقّقــتِ المطابقةُ، فالوصفُ بالمفرد يدلّ على الكثرة، والوصفُ بالجمع يــدلُّ علــى القِلّــة، فــإذا قلت:(شجراتٌ مثمراتٌ) دللْتَ على عدد قليلٍ بخلاف قولك: (أشجارٌ مثمرةٌ) فقد دللْتَ على عدد كثيرٍ من الأشجار، فظهر بين التعبيرينِ الفرقُ فــي المعنى. وإيضاحُ ذلك أن المفــرد المؤنّثَ إذا وُصِف به الجمعُ، دلّ على كثرة الموصوفِ، وهذا معنى لا يتحقّق إذا وصــفته بجمع المؤنّث السّالم، فإذا قلتَ: (في بلدنا جبالٌ شاهقةٌ) دللْتَ على كثرة الجبــالِ المتّــصفةِ بهذه الصّفةِ في بلدك، وإذا قلتَ: (في بلــدنا جبــالٌ شــاهقاتٌ) وطابقْــتَ بــين الــصّفة والموصوفِ، دللْت على قِلَّة الجبالِ المتّصفةِ بهذه الصفةِ في بلدك، وعلــى هــذا فالأيّــامُ المعدودةُ في قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ﴾(٢) أكثرُ من الأيّــام المعدودةِ في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ ﴾(٣) للسبب نفسِه(٤).

ويجوز تركُ المطابقة بين الصفة والموصوف في التذكير والتأنيث، فيجوز وصفُ المؤنّث بالمذكّر إذا كان الموصوف المؤنّث بمعنى المذكّر، نحوُ قول الأعشى(٥):

أَرَى رَجُلاً مِنْكُمْ أَسِيْفاً كأنَّمَا　　　يضمُّ إلى كَشْحَيه كَفّاً مُخَضَّبا(٦)

---

(1) ينظر، النحو الوافي،ج٤/٣٩٧.
(2) البقرة، ٨٠.
(3) آل عمران، ٢٤.
(4) ينظر: التعبير القرآني،١٢ ،٤٤-٤٥.
(5) الديوان، ١٦٥.
(6) الأسيفُ: الحزين الغضبان الذي لا يسمن؛ لأن الحقد يأكله.

والقياس (كفّاً مخضّبةً) فترك المطابقةَ بينهما؛ لأنه حمل الموصوفَ المؤنّث (كفّاً) علـــى معنى (العضو) و (العضو)مذكّر(١). ولم ترد في دواوين الشعراءِ الخمسةِ كلُّ حالاتِ تركِ المطابقةِ بين الصفة والموصوفِ، وكثر ترك المطابقة بينهما في التعريف والتنكيـــرِ. قـــال أبو ماضي(٢):

وَكَمَا يَرَى الْوَسْنانُ رَاءَ كَأَنَّهُ   في النَّعْشِ مَيْتٌ هَامِدُ الجُثْمانِ

ترك الشاعرُ المطابقةَ في التعريف والتنكير بين الموصوف النكـــرةِ (ميّـــتٌ) والـــصفةِ المعرفةِ (هامدُ) وجاز له ذلك؛ لأن الصفة (هامدُ) تعريفُها شكليٌّ لا معنـــويٌّ، فهـــي اســـمُ فاعل أُضيف إلى فاعله، وهذه الإضافةُ لا عبرةَ لها من حيث المعنى، فقد أقـــام الـــشاعرُ العلاقةَ الوصفيةَ بينهما بالنظر إلى معنى الصفة (هامدُ). وقال بدر الدين الحامد(٣):

ولِلطَّبيعةِ إِشْرَاقٌ كَمَا ابْتَسَمَتْ   غَيْداءُ مُشْرِقةُ الْخدَّيْنِ معْطارُ

والأصل أن يطابق الشاعرُ في التنكير والتعريف بين الموصوف النكرةِ (غيداءُ) وصفته المعرفةِ (مشرقةُ) لكنه عدل عن ذلك، فوصف النكرةَ بالمعرفة؛ لأن الصفة (مشرقةُ) اســـمُ فاعل أُضيف إلى فاعله (الخدّين) وهذه الإضافةُ لم تنقله من التنكير إلى التعريف من حيث المعنى، ولمّا بقي معناه نكرةً، أقام الشاعرُ العلاقةَ الوصفيّةَ بينه وبينَ موصـــوفه النكـــرةِ (غيداءُ) بناءً على المعنى دون اللفظ. وقال البارودي(٤):

فيا رَوْضةَ المِقْياسِ حَيَّاكِ عارِضٌ   من المُزْنِ خَفَّاقُ الجناحَيْنِ دَالِحُ(٥)

فلم يطابق الشاعرُ من حيث التنكيرُ والتعريفُ بين الموصوف النكرةِ (عارضٌ) وصفتِه المعرفةِ (خفّاقُ) والأصلُ المطابقةُ بينهما، وجاز له ذلك؛ لأن الصفة (خفّاقُ) لـــيس فيهـــا معنى التعريف، وإن كان لها شكلُه، فهي مشتقٌّ مبالغةُ اسمِ الفاعلِ أُضيف إلى فاعله، فلمّـــا

(1) ينظر، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية: ٢٢٧-٢٢٨.
(2) الديوان، ٥٧٤.
(3) الديوان، ج٢/٤٩٠.
(4) الديوان، ج١/١٠٩.
(5) روضة المقياس: جزيرة في النيل شرقيّ الجيزة، والعارض: السحاب المعترض في الأفق، والمزن: السحاب، وخفاق الجناحين: متحرّك ومضطرب، ودالح:كثير المطر.

ظلَّ تعريفُه في حدود الشكليّة، وظلّ محافظاً على معنى التنكير، أقامَ الشاعرُ العلاقةَ الوصفيةَ بينها وبين موصوفها النكرةِ (عارضٌ) جَرْياً على معناها لا لفظها. وقال البارودي[1]:

تُرِيكَ جُمَانَ الْقَطْرِ في أُقْحُوانةٍ   مُفَلَّجَةِ الأَطْرَافِ قِيلَ لها ثَغْرُ

لم يلتفت الشاعُر إلى المطابقة من حيث التنكيرُ والتعريفُ بين الموصوف النكرة (أقحوانة) وصفتِهِ المعرفةِ (مفلّجةِ) فوصف بالنكرة المعرفةَ، وجاز له ذلك؛ لأن الصفة (مفلّجةِ) مشتقٌ، فهي اسمُ مفعول أُضيف إلى معموله (لأطراف) وهذه الإضافةُ باقيةٌ في حدود اللفظ والشكل دون أن تسلبَه معنى التنكير، ولمّا ظلَّ محافظاً على تنكيره، لم يبقَ ثمَّة مانعٌ من حيث القاعدةُ النحويةُ والاستعمالُ الصحيح أن توصَف به النكرةُ؛ لأن العلاقةَ التبعيّةَ الوصفيّة لم تعد قائمةً بين لفظي الموصوف (أقحوانةٍ) وصفته (مفلّجةِ) بل بين معنييهما، وبذلك يكون قد وصف النكرةَ بما هو نكرةٌ في المعنى لا في اللفظ. وقال البارودي[2]:

وإنّي امْرُؤٌ صَعْبُ الشَّكِيمةِ بَالِغٌ   بِنَفْسِي شَأْواً لَيْسَ فيه نَكِيرُ

الأصلُ أن يطابقَ الشاعرُ من حيث الشكلُ بين الموصوف (امرؤٌ) والصفةِ (صعْبُ) في التنكير والتعريف، فوصف النكرةَ (امرؤٌ) بالمعرفة (صعبُ) وهو ما زال في ترك المطابقة بينهما يجري في هدْي القاعدة النحويةِ التي أجازت له ولكلِّ متكلّم باللغة مثلَ هذا التّرْكِ، وذلك أن الصفة (صعبٌ) مشتقٌّ، فهي صفةٌ مشبّهةٌ باسم الفاعل قد أُضيفت إلى معمولها (الشكيمةِ) فظلّت من حيث التعريفُ في حدود الشكليةِ، فليس فيها معنى التعريفِ، وإن أُضيفت، فلمّا ظلّ فيها معنى التنكيرِ، أقام العلاقةَ التبعيّةَ الوصفيّةَ بينها وبين موصوفها النكرةِ (امرؤٌ) على معناها لا لفظها. وقال أبو القاسم الشابّي[3]:

---

(1) الديوان، ج١٣٢/٢.
(2) الديوان، ج٢٤/٢.
(3) الديوان، ٢٧٣.

فتَمايَلْتِ في الْوُجُود كَلَحْنٍ   عَبْقَرِيِّ الْخَيالِ حُلْوِ النّشيدِ

وصف الشاعرُ النكرةَ (لحنٍ) مرّتين، فصفتُها الأولى الاسمُ المنسوبُ (عبقريٍّ) وصفتُها الثانيةُ الصفةُ المشبهةُ باسم الفاعل (حلوِ) وكلتاهما معرفةٌ، فوصف النكرةَ بمعرفتين دون أن يلتفت إلى تحقيق المطابقةِ الشكليّةِ بينهما وبين موصوفهما (لحنٍ) في التنكير والتعريفِ، وجاز له تركُ المطابقةِ في هذا السياق؛ لأن إضافةَ الصفتين (عبقريّ وحلوِ) شكليةٌ لم تتجاوز حدودَ اللفظ إلى معناهما، فماتزالان تحافظان على معنى التنكير، ولمّا كان معنى التنكير قائماً فيهما، فليس ثمّة مانعٌ من إيرادهما صفةً للنكرة، فصارت العلاقةُ التبعيةُ الوصفيةُ بينهما وبين موصوفهما النكرة (لحنٍ) قائمةً على معناهما النكرةِ.

والنتيجةُ أن تركَ المطابقةِ بين الموصوف والصفة تغييرٌ نحويٌ جائز يحقُّ للمتكلم أن يستخدمه إذا احتاج المعنى إلى ذلك، والإصار ضرْباً من التغيير الذي لافائدةَ وراءه، وهو لا يغيِّرُ العلاقةَ النحويّةَ بين الموصوف والصفةِ، ولا يؤثِّر في العلاقات النحويةِ الأخرى القائمةِ بين عناصر التركيبِ.

٤- ترك المطابقة بين المتعاطفين:

الأصلُ أن يُعطَف العنصرُ النحويُّ على اللفظ، ويجوز تركُ ذلك، فيُعطَفُ على معنى المعطوف عليه، وهذا ما يسمّيه النحاةُ العطفَ على التوهُّم، والعطفَ على المحلِّ. واشترط ابنُ هشام للعطف على محلّ المعطوف عليه ثلاثة شروط، الأوّلُ إمكانُ ظهورِ محلِّ المعطوفِ عليه في الكلام الفصيحِ، أيْ إذا رُدَّ الكلامُ إلى أصله، ظهرَ الموضعُ الأصليُّ للمعطوف عليه، نحوُ (ليس زيدٌ بقائمٍ ولا قاعداً) فجازَ عطفُ (قاعداً) على محلّ (بقائمٍ) لأنه يجوزُ إسقاطُ الباءِ، فيصير التركيبُ (ليس زيدٌ قائماً ولا قاعداً) والثاني أن يكون الموضعُ بحقِّ الأصالةِ، والثالثُ وُجودُ المُحرِز، أيْ الطالبُ لذلك المحلِّ المعطوفِ عليه(١).

(1) ينظر، مغني اللبيب، ٦١٦-٦١٧.

ويجوز العطفُ على المحلّ، إذا كان المعطوفُ عليه (إنّ) مع اسمها بشرط أن يُذكَر الخبرُ قبل العطفِ، نحوُ (إنّ زيداً ظريفٌ وعمرٌو) فعطفتَ (عمرٌو) بالرفع على محلّ (إنّ) مع اسمها (زيداً) لأن محلّهما الرفعُ بالابتداء والابتداءُ رفعٌ، ويجوز أن تنصبَ، وتقول: (إنّ زيداً ظريفٌ وعمراً) فتعطف على لفظ (زيداً) ونحوُ قول جرير[1]:

إنّ الخلافةَ والنُّبُوَّةَ فيهمُ   والمَكْرُماتُ وسادةٌ أطْهارُ

فأهملَ عطفَ (المكرماتُ) على لفظ المعطوفِ عليه (الخلافةَ) واختارَ العطفَ بالرفع على محلّ (إنّ) مع اسمها ويجوز كذلك العطفُ بالرفع على محلّ (أنّ) مع اسمها، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[2] فعطف (رسولُه) بالرفع على محلّ (أنّ) مع اسمها لفظِ الجلالة (اللهَ) ويجوز كذلك العطفُ بالرّفع على محلّ (لكنّ) مع اسمها، واللافتُ ذكرُه أنّ إهمال العطفِ على لفظ المعطوفِ عليه في هذه المواضعِ ينبغي أن تكون الأداةُ العاطفةُ فيه (الواو) أو (بل) أو (لا) أو (لابل) وإنّما جاز العطفُ على محلّ هذه الأدواتِ مع أسمائها دون (ليت ولعلّ وكأنّ) لأن محلَّها ومعناها الابتداءُ، أمّا (لعلّ وليت وكأنّ) فتُخرِج الابتداءَ إلى معاني الترجّي والتمنّي والاستدراكِ.

والحقيقةُ أنّ تركَ المطابقة على لفظ المعطوفِ عليه في هذه المواضعِ يزيدُ في بنية التركيبِ جملةً اسميّةً جديدةً محذوفةَ الخبرِ؛ لأنه معلومٌ من الجمل السابقة، ويلغي علاقةَ التبعيّةِ بالعطف بين اسمِ (إنّ) والاسم بعد حرف العطف كمفردين، ويجعل العلاقةَ التبعيّةَ العطفيّةَ بين ما قبل حرف العطف وما بعده بين جملتين[3].

ويجوز تركُ العطف على لفظ المعطوف عليه إذا كان (لا) النافية للجنس مع اسمها، نحو (لا حولَ ولا قُوَّةٌ إلاّ باللهِ) فتركْتَ العطفَ بالبناء على لفظ المعطوف عليه (حولَ) و

(1) الديوان، غير موجود في الديوان، الكتاب، ج٢/١٤٥، والمفصل، ٣٨٤.
(2) التوبة، ٣.
(3) ينظر، الكتاب، ج٢/١٤٤-١٤٦، والمقتضب، ج٤/١١١-١١٤، والأصول في النحو، ج١/٢٥٠،٢٤٠، والتعليقة على كتاب سيبويه،ج١/٢٩٣-٢٩٤، والمفصل،٣٨٣-٣٨٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٨٧-٢٩٠، وشرح المفصل: ج٨/٦٦-٦٨، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٢٥٦-٢٥٧، والنحو الوافي، ج١/٦٠٢-٦٠٩.

عطفْتَ (قُوَّةٌ) بالرفع على محلّ (لا) النافية مع اسمها (حولَ) لأنّ محلّهما الابتداءُ، ونحوُ[١] :

هذا لَعَمْرُكُمُ الصَّغَارُ بعَيْنِهِ   لا أُمَّ لي إنْ كان ذاكَ ولا أَبُ

فعطف (أبُ) بالرفع على محلّ (لا) النافيةِ للجنس مع اسمها؛ لأن محلَّهما الابتداءُ، كما يجوز العطفُ على محلّ اسم (لا) النافيةِ للجنس بالتنوين، نحو (لا غلامَ وجاريةً لك) فعطفت (جاريةً) بالنصب على محلّ اسمِ (لا) النافية للجنس[٢].

ويجوز تركُ المطابقةِ إذا كان المعطوفُ عليه خبر (ليس) وكان مجروراً بالباء الزائدة، فيجوز العطفُ بالنصب على محلّه، نحو (ليس زيدٌ بجبانٍ ولا بخيلاً) فنصبت (بخيلاً) لأنك عطفته على محلّ (جبانٍ) لأنّ محلّه النصبُ، والأصلُ (ليس زيدٌ جباناً ولا بخيلاً) ونحو قول عُقيبةَ الأسديّ[٣]:

مُعاويَ إنّنا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ   فلسْنا بالجبالِ ولا الحَدِيدَا

فعطف (الحديدَ) على محلّ (الجبالِ) لأن محلّه النصبُ، فهو خبرُ (ليس) والجرُّ طارىءٌ عليه؛ لدخول الباء الزائدةِ، والأصلُ (فلسنا الجبالَ ولا الحديدَ) ويجوز إذا كان المعطوفُ عليه خبرَ (ما) النافيةِ المحمولةِ على (ليس) نحوُ (مازيدٌ بأخيك ولا صاحبَك) فنصبت (صاحبَك) وعطفته على محلّ (أخيك) لأن محلّه النصبُ، فهو خبر (ما) والأصلُ (ما زيدٌ أخاك ولا صاحبَك) والقولُ فيه كالقول في باب (ليس) [٤].

ويجوز العطفُ على المحلّ إذا كان المعطوفُ عليه فاعلَ (كفى) فيجوز العطفُ بالرَّفع على محلّه، نحو (كفى بالله والرسولُ شاهدين عليك) فرفعت (الرسولُ) وعطفته على محل

---

(1) رجل من مذحج، ينظر، الأصول في النحو، ج١/٣٨٦، ومعاني الحروف، ٨٢، وأوضح المسالك، ٢١٣.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٣٨٦، ج٢/٦١-٦٢، ومعاني الحروف، ٨١-٨٢، وشرح المفصل، ج٢/١١٠، ومغني اللبيب، ٣، والنحوالوافي، ج١/٦٣٣، ٦٣٧.
(3) ينظر،الكتاب، ج١/٦٦.
(4) ينظر، الكتاب، ج١/٦٦-٦٧، والأصول في النحو، ج٢/٦٣، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٧١، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٢٥، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٢٣٦، ٢٩٩، ومعاني النحو، ج١/٢٤٣-٢٤٤، ج٣/٢٢٩.

لفظ الجلالة (اللهِ) لأن محلّه الرفعُ، والجرُّ طارئٌ عليه، والأصـــلُ (كفـــى اللهُ والرســـولُ شاهدين عليكم)[١].

ويجوز العطفُ على المحلّ إذا كان المعطوفُ عليه مجروراً بـــ (من) الزائدة، فيجـــوز العطفُ بالرَّفع على محلِّه، نحو (هل من رجلٍ وامراةٌ في الدار؟) فرفعتَ (امرأةٌ) وعطفته على محلّ (رجلٍ) لأن محلَّه الرَّفعُ بالابتداء، والجرُّ طارئٌ عليه، والأصلُ (هـــل رجـــلٌ وامرأةٌ في الدار؟) ونحوُ(لا تقطع من زيتونةٍ ولا نخلةً) فنصبت (نخلةً) وعطفتَه على محلّ (زيتونةٍ) لأن محلّه النصبُ، فهو مفعول به، والأصلُ (لا تقطـــعْ زيتونـــةً ولا نخلـــةً)[٢]. ويجوز العطفُ على المحلّ إذا كان المعطوفُ عليـــه مجـــروراً بـــــ (رُبَّ) نحـــو قـــولِ امرىءالقيس[٣]:

وسِنٍّ كَسُنَّيْقٍ سَناءً وسُنَّماً   ذَعَرْتُ بِمِدْلاجِ الْهَجِيرِ نَهُوضِ[٤]

فنصب (سنّماً) وعطفه على محلّ (سِنٍّ) لأنه مفعول بـــه لـــــ (ذعـــرتُ) ونحـــو (ربّ فقـــــــــــــــــــــيرٍ ساعدْتُه ومحتاجٌ) فرفعت (محتاجٌ) وعطفتَه على محلّ (فقيرٍ) لأنه في الأصل مبتدأ[٥].

ويجوز العطف على المحل إذا كان المعطوفُ عليه مجـــروراً بحـــرف جـــرّ أصـــليّ، وموضعُه الأصليُّ قبل الجرّ هو النصبُ، كأن يكون ظرفاً أو غيرَ ذلك، والجـــرُّ لا يُفقـــده معناه[٦]، نحوُ قول لبيد[٧]:

فإنْ لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِداً   ودُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ الْعَواذِلُ[٨]

---

(1) ينظر، الأصول في النحو: ج٢/٦٣-٦٤.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/٦٤، والنحو الوافي: ج٢/٣٥٩.
(3) الديوان، ١٢٩.
(4) السّنّ: الثور الوحشيّ، والسُّنَيْق: الجبل، وسناء: رفعة، وسُنُّماً: البقرة الوحشيّة، وذَعَرتُ: أفزعت، ومِدْلاج الهَجير: فرس كثير العَدْو في الهاجرة.
(5) ينظر، ارتشاف الضرب: ج٤/١٧٤٢.
(6) ينظر، الكتاب، ج١/٦٨، والمقتضب، ج٤/١٥٢-١٥٤
(7) الديوان،١٣١
(8) تزَع: تكفي، والعواذل: حوادث الدّهرأوالنساء العاذلات.

فنصبَ (دونَ) في الشطرالثاني، وعطفَه على محلّ (دونِ) في الشطرالأوّل؛ لأن (دونِ) في الشطر الأوّل في الأصل منصوبةٌ؛ لأنها ظرفٌ، ودخولُ (من) الجارّة عليها لم يفقدها هــذا المعنى، ونحو قول كعْبِ بن جُعَيل[١]:

أَلاَ حَيِّ نَدْمانِي عُمَيْرَ بنَ عَامرٍ   إذا مَا تَلاقَيْنا مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدَا

فنصبَ الظرفَ (غدًا) وعطفَه على محل (اليومِ) لأنه ظــرفٌ، والظــرفُ فــي الأصــل منصوبٌ، ودخولُ (من) الجارّةِ لم يُفقده هذا المعنى.

ويجوز تركُ المطابقةِ إذا كان المعطوفُ عليه في محلّ نصب خبرِ (مــا) التــي تعمــل عمل (ليس) واسمُ (ما) مخصوصٌ بالمدح أو الذمّ، وقد تقدّم على فعــل المــدحِ أو الــذمّ، وجملةُ فعل المدح أو الذمّ مع فاعله في محلّ نصب خبر (ما) وهــي الجملــةُ المعطــوفُ عليها، نحوُ (ما عبدُ الله نعم الرجلُ ولا قريباً من ذلك) فنصبتَ (قريباً) وعطفتَه على محل جملة (نعم الرجلُ) لأنها خبرٌ لــ (ما) النافية المحمولة على (ليس) في العمل[٢].

ويجوز ترك المطابقةِ إذا كان المعطوفُ عليه معمولاً لمشتقّ أُضِيف إليه، فيجوز العطفُ بالرفع أو النصب على محلّه، نحو قول الشاعر[٣]:

هلْ أنتَ باعِثُ دِيْنارٍ لِحَاجَتِنَا   أوْ عَبْدَ رَبٍّ أَخَا عَوْنِ بْنِ مِخْرَاقِ

فنصب (عبدَ) وعطفَه على محلّ (دينارٍ) لأنه في الأصل مفعولٌ به لاسم الفاعل (باعثُ) و جاءه الجرُّ من إضافة عاملِه المشتقِّ إليه، فجاء العطفُ على المعنى لا على اللفظ، ونحــو قول زيادةَ العَنْبَرِيّ[٤]:

قد كُنْتُ دايَنْتُ بها حَسَّانا   مَخافَةَ الإفلاسِ واللَّيَّانا

---

(1) ينظر، الكتاب، ج٦٨/١، والمقتضب، ج١٥/٤.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج١١٧/١.
(3) ينظر، الأصول في النحو، ج١٢٦/١-١٢٧.
(4) ينظر، المفصل، ٢٨٧، وأوضح المسالك، ٤٥٧.

فعطفَ (الليّانا) بالنصب على محلّ (الإفلاسِ) لأنه في الأصل مفعولٌ به للمصدر (مخافةَ) وجاءه الجرُّ من إضافة عاملِه المصدرِ (مخافة) إليه، فاختارَ العطفَ على المعنى والمحلّ، وأهملَ اللّفظَ.

ويجوز العطفُ على المحلّ إذا كان المعطوفُ عليه في الأصل مفعولاً به لفعل قلبيّ معلَّقٍ عن العمل في اللفظ لا في المحلّ، نحو (علمْتُ لَخالدٌ شجاعٌ وسعيداً كريماً) فنصبتَ (سعيداً وكريماً)[١] وعطفتَهما على محل (خالدٌ وشجاعٌ) لأنهما في الأصل مفعولان للفعل القلبيّ (علم) المعلَّق عن عمله في لفظي مفعوليه لوقوع لام الابتداء بعده، ونحو قول كُثَيّر عزّة[٢]:

وما كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ مَا الْبُكَا   وَلا مُوجِعَاتِ الْقَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

فنصبَ (موجعاتِ) وعطفَهُ على محل جملة (ما البكا) لأنها مفعول به للفعل القلبيّ (أدري) المعلَّقِ عن عمله في اللفظ لمجيء الاستفهام بعده.ويجوز تركُ المطابقةِ إذا كان المعطوفُ عليه منادىً مفرداً علماً أو نكرةً مقصودةً، فالأوّلُ نحوُ

(يازيدُ والحارثَ) فنصبتَ (الحارثَ) وعطفتَه على محلّ (زيدُ) لأنه منادى، والمنادى محلُّه النصبُ[٣]، ونحو قول الشاعر[٤]:

أَلاَ يا قَيْسُ والضَّحَّاكَ سِيرَا   وقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ

---

(1) ينظر، جامع الدروس العربية، ج٣/٢٧-٢٨، ومعاني النحو، ج٢/٣٦.
(2) كثيّرعزّة، الديوان، تح: إحسان عبّاس،، دارالثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م، ٩٥.
(3) ينظر، الإيضاح العضديّ، ٢٣١-٢٣٢، وشرح اللمع، ج٢/٤٨٦-٤٨٧، وشرح المفصل، ج١/١٢٩، وأسرار النحو،١٢٢، وجامع الدروس العربية، ج٣/١٥٣.
(4) مجهول، ينظر، شرح المفصل،ج١/١٢٩.

فنصبَ (الضحّاكَ) وعطفَه على محلّ (قيسُ)لأنه منادى، والمنــادى محلُّــه النــصبُ، والثاني نحوُ قوله تعالى:﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَ ﴾[1] فنصبَ (الطّيرَ) وعطفَه على محــلّ (جبالُ) لأنه منادى، والمنادى محلُّه النصبُ.

والواقعُ أن ترك المطابقةِ في العطف على اللفظ في المواضع المتقدّمةِ، والتّحوُّلَ عنــه إلى العطف على المحلّ الذي هو في الحقيقة العطفُ على المعنى إنّما يكون لمعنى يريــده المتكلم، وثمّةَ فرقٌ بين التعبيرين، فليس المعنى إذاعُطِف على اللفظ كــالمعنى إذا عُطِــف على المحلّ، وتوضيحُ ذلك أنك إذا قلت: (إنّ زيداً قائمٌ وعمرٌو) فرفعتَ (عمــرٌو) لأنــك أخرجتَه من حكم التوكيد بـــ(إنّ)فاخترْتَ العطفَ على معنى الابتداء لا على معنى التوكيد، وإذا قلتَ: (لا رجلَ في الدار ولا امرأةٌ) فرفعتَ المعطوفَ (امرأةٌ) كنتَ قد أخرجتَــه مــن النفي القاطعِ، وأدخلْتَه في النفي المحْتَمَل، وهذا معنى لايتحصّل إذا عطفْتَــه علــى لفــظ المعطوفِ عليه(رجلَ)فالنفيُ للرجل أقوى وآكَدُ من النفي للمرأة، وإذا قلــت: (مــا محمــدٌ بشاعرٍ ولا كاتباً) فنصبتَ المعطوفَ (كاتباً) فهو لأنك أردْتَ إخراجَه مــن حكــم التوكيــدِ بالباء، فقد نفيتَ بـــ (ما) صفةَ الشاعريةِ عن المعطوف عليه (محمدٌ) وأكّدْتَ ذلك بالبــاء؛ لأنك لمسْتَ ممّن تحدّثه الإنكارَ أو الشكَّ والتردُّد، ولم تُدخل الباءَ الزائدةَ على المعطــوف (كاتباً) لأنك لسْتَ في حاجة إلى ذلك، وكأنك لمّا نفيتَ صفةَ الكتابة عن محمد، وجــدْتَ أن مخاطبَك قَبِلَ منك ذلك، وسلَّمَ به، فلم تحتجْ إلى توكيده، فصار المعطوفُ عليــه (شــاعرٍ) محمولاً على توكيد النّفي، والمعطوفُ المنصوب (كاتباً) محمولاً على معنــى النّفــي دون التوكيد ، وهذا هو الفرقُ بين ما تقدّم وبين قولك: (ما محمــدٌ بــشاعرٍ ولا كاتــبٍ) بجــرِّ المعطوف (كاتبٍ) لأنه على معنيي النفي والتوكيد وإذا قلْتَ: (علمْتُ لَمحمدٌ مسافرٌ وخالداً راجعاً) فتركتَ العطفَ على اللفظ، وعطفتَ على المعنى والمحلّ، أخرجْــتَ المعطــوفَين (خالداً وراجعاً) من حكم التوكيدِ باللام، فكأنّ مَنْ تحدِّثُه يشكُّ في علمــك بــسفر محمــدٍ، فأكّدْتَ له ذلك باللام، ولمّا علمتَ أنه لا يشكّ في علمك برجوع خالدٍ، عطفــتَ بالنــصب على المعنى والمحلّ، ولم تُدخل اللامَ، فتبعتَ المعنى، فمخاطبُك متردِّدٌ في قبــول علمِــك

(1) سبأ، ١٠.

بحالة المعطوفِ عليه، ومُسلِّمٌ بقبول علمِك بحالة المعطوفِ، وقد عطفَ كُثَيِّر عَزَّة (موجعاتٍ) بالنصب على محلّ المعطوف عليه (ما البكا)لأنه أخرجَه من حكم التِّشريكِ معه، فتركيبُ العبارةِ يُوحي أن الشاعر ينفي درايتَه بالبكاء قبل أن يحبَّ عزّةَ، ولمّا كانتْ حالتُه أنه عرفَ ما يُوجِع قلبَه بسبب أمورٍ أخرى، هَجَرَ العطفَ على اللفظ، ومالَ إلى عطف المعنى والمحلّ[1].

ويجوز عطفُ الفعل على محلّ الفعل إذا اتّحدا في الزمن، وذلك إذا كان المعطوفُ عليه في موضع يصحُّ فيه جزمُه، كأن يقع جواباً للطّلب، فيُشبه بذلك الشّرطَ، نحوُ قوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2]فجزم الفعلَ المضارعَ (أكنْ) وعطفَه على معنى الفعلِ (أصّدّق) المنصوبِ بـ (أنْ) المضمرةِ بعد فاءِ السّببيةِ، وجاز ذلك؛ لأن المعطوف عليه (أصّدّقَ) وَرَدَ بعد الطّلبِ بـ (لولا) التحضيضيّةِ، وسُبِق بالفاء، فأشْبَهَ الشّرطَ، فحُمِل العطفُ على هذا المعنى[3]، ونحو قول عمرو بن معديكرب[4]:

دَعْني فَأَذْهَبَ جَانِباً يَوْمَاً وَأَكْفِكَ جَانِبا

فجزمَ المضارعَ (أكفِ) وعطفَه على المضارع المنصوبِ (أذهبَ) ومعناه؛ لأنه في جواب الطّلبِ بالأمر (دعْ) وهذا موضعٌ يُجزَمُ فيه الفعلُ المضارع، ولمّا دخلتْه الفاءُ، أشْبَهَ الشّرطَ، فحُمِل العطفُ على المعنى.

ويجوز تركُ المطابقةِ بين الفعلين المتعاطفين في باب الشرط إذا كانا مختلفين في الزّمن، فيجوز جزمُ المعطوفِ إذا كان مضارعاً، وكان المعطوفُ عليه في موقع جواب الشرطِ، وكان ماضياً، وإنّما جاز ذلك؛ لأن أداةَ الشرط أكسبَتِ الماضيَ زمنَ المستقبلِ

---

(1) ينظر، معاني النحو، ج١/٢٣٩-٢٤٤، ٣١٥، ٣٤٧-٣٥٥، ج٢/٣٤-٣٦.
(2) المنافقون، ١٠.
(3) ينظر، الكتاب، ج٣/١٠١، والمقتضب، ج٤/١١١، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٢٠٧-٢٠٨، وشرح المفصل، ج٧/٥٥، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٣١٤-٣١٥.
(4) ابن معديكرب، عمرو، الديوان، تح:مطاع الطرابيشي، ط٢، مجمع اللغة العربية، دمشق،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١٩٧.

ومعناه، ولأنّه في موقعٍ هو للمضارع في الأصل[1] نحوُ قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾[2] فجزم المضارعَ (يجعلْ) وعطفَه على محلّ الماضي (جعَلَ) فاختارَ العطفَ على المحلّ والمعنى دون اللفظِ، وإنّما جاز ذلك؛ لأن الفعل (جعلَ) لفظُه ماضٍ، ومعناه المستقبلُ، وقد اكتسبَهُ من وقوعه في موضع الشرطِ الذي هو للمستقبل في الأصل، والشرطُ بابُه الجزمُ، فلمّا كان الأمرُ كذلك، بنى التركيبَ بهذا الشكل.

ويجوز تركُ المطابقةِ بين المتعاطفين في الحركة الإعرابيةِ إذا كان المعطوفُ عليه في موضع تكثرُ فيه زيادةُ الباءِ الجارّةِ، وذلك في خبر (ليس) أو (ما) النافيةِ المحمولةِ على (ليس) في العمل، فيجوز جرُّ المعطوفِ على اعتبار أن المتكلم توهَّمَ دخولَ الباءِ على المعطوف عليه[3]، نحوُ قول زهير بن أبي سُلْمى[4]:

بَدَا لي أنّي لَسْتُ مُدْرِكَ ما مَضَى ولاسَابقٍ شَيْئاً إذا كَانَ جَائِيَا

فَجَرَّ المعطوفَ (سابقٍ) والأصلُ أن ينصبَه، وإنّما فعل ذلك؛ لأنه توهّمَ دخولَ الباءِ الزائدةِ على المعطوف عليه (مدركَ) لأنه خبرُ (ليس) وهذا موضعٌ تكثرُ فيه زيادتُها، ونحوُ قول الأحوص الرِّياحيّ[5]:

مَشَائِيمُ لَيْسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ولا نَاعِبٍ إلاّ بِبَيْنٍ غُرَابُها

فعطفَ (ناعبٍ) بالجرِّ على توهُّم دخول الباء الزائدةِ على المعطوف عليه (مصلحين)

---

(1) ينظر، النحو الوافي، ج٥١٦/٣.
(2) الفرقان، ١٠.
(3) ينظر، الكتاب، ج١٠٠/٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١٥١/٢، ٢٠٧-٢٠٨، والخصائص، ج٤٢٢/٢، وشرح المفصل، ج٥٢/٢، ج٥٦/٧-٥٧، ومغني اللبيب، ٦١٩، وجامع الدروس العربية، ج٢٠١/٣، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٢٣، ومعاني النحو، ج٢٤٣/١-٢٤٤، ج٢٢٩/٣.
(4) الديوان، ١٦٩.
(5) الكتاب، ج١٦٥/١، والإنصاف،ج١٩٣/١، والأشموني، شرح الأشموني، تح:محمد عبد الحميد، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م، ج٣٥٦/٣.

وهذا ما يُسمِّيه النّحاةُ العطفَ على التوهُّم، ويبدو أن لكلّ تركيبٍ معنى مغايراً، فإذا تغيَّرَ التركيبُ النحويُّ، تغيَّرَ المعنى الذي يؤدّيه، فإذا قلت: (ما زيدٌ قائماً ولا مسافرٍ) بترك المطابقةِ في الحركة الإعرابيةِ بين المعطوف عليه المنصوبِ (قائماً) وبين المعطوفِ المجرورِ (مسافرٍ) كنتَ قد أردْتَ معنىً مغايراً عمّا لو أوردتَ التعبيرَ نمطيّاً بالمطابقة بينهما، فقد نفيتَ صفةَ القيامِ عن زيدٍ، ولم تؤكِّده، وجئتَ بالخبر المعطوفِ عليه (قائماً) منصوباً؛ لأنك لاحظْتَ أن مَنْ تحدِّثه غيرُ متردِّدٍ في قبول النفيِ منك، وكأنه يُقِرُّ به، ولمّا لاحظْتَ أنه متردِّدٌ في قبول نفيِ السّفرِ عن زيدٍ، احتجْتَ إلى توكيده بترك المطابقةِ بينه وبين المعطوف عليه، فجررْتَه، وكأنّك أردْت بالجرّ دخولَ الباءِ عليه، ومن هنا اختلف المعنى لاختلاف بنية التركيبين[١].

ويجوز تركُ المطابقةِ بين الفعلين المتعاطفين إذا اختلفا في الزمن في غيرِ العطفِ على المحلّ أو التوهّم، فيجوزُ عطفُ الفعلِ الماضي على المضارع مراعاةً لمعناه، نحو قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[٢] فعطف الماضي (أوردَ) على المضارع (يقدمُ) لأن العطف على المعنى، فالماضي (أوردَ) معناه المستقبلُ (يوردُ) لأن الحدثَ سيقع في المستقبل، وأوردَهُ بصيغة الماضي؛ لأنه متحقِّقُ الوُقُوعِ، وهذا لايجعل شكّاً في القبول به، ويجوز عطفُ المضارعِ على الماضي إذا قصدَ المتكلمُ استحضارَ الحالِ الماضيةِ، نحو قوله تعالى:﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[٣] فعطفَ المضارعَ (تقتل) على الماضي (كذَّب) وكلاهما حدثَ في الماضي، لكنّه عبَّر عن القتل بصيغة المضارعِ لفظاعته واستحضارِ صورته البغيضةِ المتجدِّدةِ في النفوس؛ لِحثِّها على مَزيدٍ من النفور، فغيَّرَ أصلَ التركيبِ لمعنى أرادَهُ، والتركيبُ على نمطه لا يُساعدُ في إظهار المعنى الذي شُكِّلَ التركيبُ من أجله، ومثلُه قولُه تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[٤]فقد عطفَ المضارعَ (يصدُّ) على الماضي (كفر)، وكلاهما وقعَ في الماضي،

(1) ينظر، معاني النحو، ج٢٤٨/١.
(2) هود، ٩٨.
(3) البقرة، ٨٧.
(4) الحج، ٢٥.

لكنه قصدَ استحضارَ صورةِ الصدِّ، وكأنها تقعُ مجدَّداً كلّما قرأهـا القـارئُ، أو سـمعها السّامعُ، والقصدُ من الاستحضار إظهارُ شناعةِ الصدِّ عن سبيل اللهِ وفظاعتِهِ.

ويجوز عطفُ فعلِ الأمرِ على المضارع لمعنى يريده المتكلمُ، ويرى أنّ تحقيقَ التناسبِ والتّطابقِ بين الفعلين المتعاطفين يُعيقُه عن الوصول إلى هذا المعنى، نحوُ قوله تعالى على لسان سيّدنا هود عليه السلامُ وهو يُحاور قومَـه:﴿ قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٥٤ ﴾[(١)] فعطفَ الأمرَ (اشْهدوا) على المـضارع (أُشـهِدُ) لأن في أمرهم شهادةً ببراءته من دينهم استخفافاً بهم وبدينهم وتحدِّياً مُغيظاً لهم[(٢)]، ولـو جـاء بالتركيب على أصله وطبيعتِه، لَمَا تحقّقَ هذا المعنى الذي أرادَهُ، وهذا يدلّ على أن التغيير النحويَّ الجائزَ لايكون إلّا لمعنى، فإذا تغيّر شكلُ التعبير، وتغيّرتِ العلاقاتُ بين العناصـر النحويَّةِ، أوتغيَّرَ شكلُ العنصرِ النَّحويّ، دلَّ على تغيُّر المعنى عمّا كان عليه.

والأصلُ في العطف أن يُعطَف الاسمُ على الاسم، والفعلُ على الفعل، ويجوز الخـروجُ عليه، فيُعطَفُ الفعلُ على الاسم إذا جاز أن يقع الفعلُ موقع الاسم، وذلك إذا كـان الاسـمُ اسمَ فاعل أو مفعول دخلتْ عليه (ال) أو لم تدخل؛ لأنه في قوّة الفعل فـي الدلالـة علـى الحدث والزمن، نحـو قولـه تعـالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَـٰٓفَّـٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ ﴾[(٣)] فعطـفَ المضارعَ (يقبضْنَ) على الاسم (صافّاتٍ) والتقديرُ (صافّاتٍ وقابضاتٍ) وإنّما جـازَ ذلـك؛ لأن اسم الفاعل (صافّاتٍ) بمعنى المضارعِ (يصُفّ) وزمنِه وقوّتِه في الدلالـة عليهمـا، ونحو قوله تعـالى:﴿ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾[(٤)] فعطـفَ الماضـي (أقرض) على الاسم (المصدّقين) والتقدير (إنّ المصدّقين والمُقرِضين). ويجـوز عطـفُ الاسم على الفعل نحـو قولـه تعـالى:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[(٥)] فعطـف

---

(1) هود، ٥٣-٥٤.
(2) ينظر، شرح جمل الزجاجي، ج١/٢٥٣-٢٥٤، والمفصل في علوم البلاغة، ١٦٢-١٦٣، ٣٠٩-٣١٠.
(3) الملك، ١٩.
(4) الحديد، ١٨.
(5) الأنعام، ٩٥.

(مخرجُ) وهو اسمُ فاعل على المضارع (يخرجُ) فتركَ العطفَ على اللفظ، وعطفَ على معنى (يُخرجُ). والاسمُ الذي يجوز أن يُعطَف عليه الفعلُ يكون مشتقّاً اسمَ فاعل أو اسمَ مفعول، ويجوز أن يكون مصدراً، نحوُ قولـه تعالى:﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ ﴾[1] فعطفَ فعلَ الأمرِ (أقيمُوا) على المصدر (القسطِ) والتركيبُ النمطيُّ يقتضي (قلْ أمرَ ربّي بالقسطِ وبإقامةِ وجوهكم) فغيَّر التركيبَ؛ لأنه من جنس الطلب، وهو أَدْعَى إلى الإيقاظ وإثارةِ الاهتمامِ بالمطلوب، ووجوبِ تنفيذِه، ففي توجيه الأمرِ إليهم بإقامة الصلاةِ عنايةٌ زائدةٌ بها[2]. والحقيقةُ على ما يبدو أن هذه المغايرةَ بين المتعاطفين بترك المطابقةِ بينهما سببُها المعنى واختلافُ الدلالةِ، فدلالةُ الفعلِ غيرُ دلالةِ الاسمِ، فالفعلُ يدلّ على التجدُّد والحدوثِ، والاسمُ يدلّ على الثبوت، فإذا اقتضى المقامُ والمعنى التجدّدَ والحدوثَ جِيء بالفعل، وإذا اقتضى المقامُ الثبوتَ في المعنى جِيءَ بالاسم، فعبَّر بـ (صافّاتٍ) عن حالة ثابتةٍ تُلازمُ الطيرَ عند الطّيرانِ، فهو يَصُفُّ جناحَه، ولمّا كانت حركةُ القبضِ غيرَ ثابتةٍ، فهي تتجدّد، عبَّرَ عن الحدث بلفظ الفعل، فاختارَ للحدث الثابتِ الاسمَ، وللحدث المتجدِّدِ الفعلَ[3]. وقلّت المواضعُ التي تركَ فيها بعضُ الشعراءِ الخمسةِ المطابقةَ بين المتعاطفين دون أن يكون ذلك شائعاً في أشعارهم، قال بدر الدين الحامد[4]:

وفي الشّام غَسَّانٌ ومَجْدُ أُمَيَّةٍ فلا لوْمَ إنْ تاهَتْ فَخَاراً ولا عَتَبُ

الأصلُ أن يعطف الشاعرُ (عتبُ)على لفظ (لومَ) ويبنيه على الفتح؛ لأنّ (لومَ) المعطوفَ عليه مبنيٌّ، وهو اسمُ (لا) النافية للجنس، ولمّا كانت القاعدةُ النحويّة تُجيز للمتكلم باللغة أن يتركَ العطفَ بين المتعاطفين في مثل هذا الموضعِ، تركَ الشاعرُ المطابقةَ اللفظيّةَ الشكليّةَ بينهما في الحركة الإعرابيّةِ، فرفعَ المعطوفَ (عتبُ) لأنه عطفَه

---

(1) الأعراف، ٢٩.
(2) ينظر، كتاب الشعر، ج٢/٤٢٦-٤٢٧، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٢٢٦، ٢٥٢-٢٥٣، وأوضح المسالك، ٥٣، وجامع الدروس العربية ، ج١/١٥٦، والنحو الوافي، ج٣/٥٢٠-٥٢١، والمفصل في علوم البلاغة، ١٦٣، ومعاني النحو، ج١/٢٤٥، ج٣/٢٣٢-٢٣٣.
(3) ينظر،معاني النحو، ج٣/٢٣٣.
(4) الديوان، ج١/٣٣١.

على محل (لا) النافية للجنس مع اسمها (لومَ) لأنّ محلّهما الابتداءُ، والابتداءُ رفعٌ، وكأنــه بنى الكلامَ بعد الواو العاطفةِ على الابتداء ثمّ النفيِ، وصارت الدلالةُ بعد الواو احتماليّــةً، فلمّا رُفِعَ المعطوفُ (عتبُ) احتمل أن يكون النفيُ لجنس العبَث أو جزءٍ منه. وقــال أبــو ماضي(١):

وإذا بِصَوْتٍ كَالْهَرِيرِ يَطِنُّ في أُذُني وأَنْيَابٌ تَصِرُّ وَرَائِي

تركَ الشاعرُ المطابقةَ اللّفظيّةَ في الحركة الإعرابيّةِ بين المعطوف عليــه (صــوتٍ) و المعطوف (أنيابٌ) فرفَعَ المعطوفَ (أنيابٌ) والأصــلُ أن يجــرّه؛ لأن المعطــوفَ عليــه (صوْتٍ) مجرورٌ، وجاز له ذلك؛ لأن الجرَّ في المعطوف عليه (صوتٍ) طــارئٌ عليــه، وليس أصلاً فيه، فالباءُ الداخلةُ عليه زائدةٌ، وهومرفوعٌ على الابتداء، فاختار الــشاعرُ أن يعطف (أنيابٌ) على محلّ المعطوفِ عليه (صوْتٍ) لا على لفظه، أيْ إنــه عطــفَ علــى معناه، وهو الابتداءُ. إنّ تَرْكَ المطابقةِ يجعل معنى المفاجأةِ أقلَّ في المعطــوف (أنيــابٌ) ويُخرِجُه من حكم التوكيدِ الذي دخل المعطوفَ عليه (صوتٍ) بسبب البــاءِ الزائــدةِ فيــه، وكأنّ المتلقّي يشكُّ في طنين الصوتِ في أذن الشاعرِ، ولا يــشكُّ فــي صــرير الأنيــابِ وراءَه، فلمّا كان هذا تقديرَ الشاعرِ، ما وجدَ حاجةً إلى توكيد المعطوفِ (أنيابٌ) وقد يكون الشاعرُ تفاجأَ بطنين الصّوتِ في أذنه الذي نبَّهَهُ إلى صرير الأنيابِ، فأكَّــد الأوّلَ، وتــركَ الثاني. وقال البارودي(٢):

ولَكِنَّهُمْ خَابُوا فَلَمْ يَصِلُوا إلى مُناهُمْ ولا أَبْقَوْا عَلَيها منَ الْخَتْرِ(٣)

الأصلُ ألّا يعطفَ الشّاعرُ الفعلَ (أبقى) على الفعل (يصلُ) لأنه ماضٍ، وما عُطِف عليه مضارعٌ، وجاز أن يتركَ المطابقةَ بينهما؛ لأنهما منفيّان، فاختار أن يُقيمَ العلاقــةَ التبعيّــةَ العطفيّةَ بينهما على معنييهما لا على لفظيهما، فالمعطوفُ عليه الفعلُ المــضارع (يــصلُ) منفيٌّ بــ (لم) الجازمة التي قلبتْ معناه إلى الماضي، ودلّتْ على أن الوصول منهم لم يقــع

---

(1) الديوان، ٩٤.
(2) الديوان، ج٢/٥٣.
(3) الخَتْرُ: الغدر والخديعة، أوهو أقبح الغدْر.

في الماضي، ولمّا كان لفظُ المعطوف عليه (يصلُ) مضارعاً، ومعناه ماضياً، لم يبقَ ثمّة مانعٌ من أن يُعطَف عليه الماضي (أبقى) وكذلك عطفَ المضارع (يصلُ) على الماضي (خابَ)

للسبب ذاته. وقال الشابي(١):

حَاكُوا لَكُمْ ثوْبَ عِزٍّ خَلَعْتُموهُ احْتِقارا

ثُمّ

ارْتَدَيْتُمْ

لَبُوسَ خِزْيٍ وعَارَا

ترك الشاعرُ المطابقةَ اللفظيةَ في الحركة الإعرابيّةِ بين المتعاطفين (خزيٍ وعارا) فنصبَ المعطوفَ (عارا) والأصلُ أن يجرّه؛ لأن المعطوفَ عليه (خزيٍ) مجرورٌ، وقد حملَ الشاعرُ العطفَ على محلّ المعطوفِ عليه ومعناه، فتوهّمَ أن علاقة التعدّي من الفعل (ارتدى) واقعةٌ على المضاف إليه (خزيٍ) وكأنّ تقديرالكلامِ (ارتديتم خزياً وعاراً) فلمّا كان هذا تقديرَه، لم يلتفت إلى لفظ المعطوفِ عليه (خزيٍ) المجرورِ، وكأنّ تركَ المطابقةِ بينهما القصدُ منه توجيهُ الأنظار ولفْتُها وشدُّ الأسماع وتحريكُ العقولِ نحوَ هذه الحالةِ الغريبةِ للذين استنكَرَ الشاعرُ استبدالَهُم بالعزِّ الخزيَ والعارَ. وقال أبو ماضي(٢):

باتُوا بِرَغْمِهِمْ كَمَا شَاءَ الْعِدا لا حُزْنُهُمْ وَاهٍ ولا بِرَكِيكِ

الأصلُ أن يطابق الشاعرُ بين المعطوفِ عليه المرفوعِ (واهٍ) وبين المعطوف المجرورِ (ركيكِ) وتركُ المطابقةِ بينهما حاصلٌ من إدخال الباء الزائدةِ على المعطوف (بركيكِ) والأصلُ ألّا يُدخلَها عليه؛ لأنها غيرُ داخلةٍ على المعطوف عليه (واهٍ) ولمّا كان محلُّ المعطوف عليه موضعاً تكثرُ فيه زيادةُ الباءِ؛ لأنه خبرٌ منفيٌّ، توهّمَ الشاعرُ، أوقدّرَ دخولَها

(1) الديوان، ١٣٧.
(2) الديوان، ٤٣٣.

عليه، فزادَ الباءَ في المعطوف (ركيكِ) وثمّة فرقٌ في المعنى، فالمعطوفُ عليه (واهٍ) منفيٌّ فحسبُ، أمّا المعطوفُ (ركيكِ) فهو منفيٌّ ومؤكّدٌ نفيُه، وكأنّ الشاعرَ أوردَ المعطوفَ عليه خالياً من الباء الزائدةِ ظنّاً منه أن المتلقّي يَقبلُ الإخبارَ، ويُسلم به، فلمّا لمس منـــه الـــشّكَّ والتّردُّدَ، تداركَ الأمرَ في المعطوف (ركيكِ) الذي أدْخَل الباءَ الزائدةَ عليه، وتَرَكَ المطابقةَ بينه وبين المعطوفِ عليه في اللفظ، وهذا احتياطٌ للمعنى وتقويةٌ له. وقال البارودي[(١)]:

أَبيتُ لِذِكْراكُمْ بها مُتَمَلْمِلاً كأنّي سَلِيمٌ أوْ مَشَتْ نَحْوَهُ الْوِرْدُ[(٢)]

عطفَ الشاعرُ الفعلَ الماضي (مشتْ) على الاسم (سليمٌ) فترك المطابقةَ اللفظيَّـــةَ بـــين المتعاطفين؛ لأنه عطفَ المعنى على المعنى، وكأنّ تقديرَ الكلام (كـــأنّي ســـليمٌ أو ماشـــيةٌ نحوه الوِرْدُ) فلمّا كان معنى الفعلِ الماضي (مشتْ) هو معنى اسمِ الفاعلِ (مَاشِيةٌ) جاز أن يعطفه على (سليمٌ) وهو صفةٌ مشبّهة باسم الفاعل، وهذا أدْعى لتحريك الأنظارِ وتوجيهِهـــا نحوَ الحالةِ المؤلمةِ المحزنةِ للشاعر، فإذا سمع المتلقّي هذا التركيبَ، تأمَّلَـــه ليُفـــتِّش عـــن المعاني والدلالاتِ التي خَلْفَه، فإذا وقف عليها، وعايَنَها، أَحَسَّ بألمِ الشاعرِ وغربتِه لِبُعـــده عن وطنه مصر. وقال الشابي يخاطب الشّعبَ[(٣)]:

أَنتَ لا مَيِّتٌ فَيَبْلَى ولا حَيٌّ فَيَمْشِي بَلْ كَائِنٌ لَيْسَ يُفْهَمْ

عطفَ الشاعرُ الفعلَ المضارعَ (يبلى) على الاسم المشتقِّ (ميِّتٌ) والمضارعَ (يمـــشي) على المشتقّ (حيٌّ) والأصلُ أن يعطفَ الفعلَ على الفعل، والاسمَ علـــى الاســـم، وتَـــرَكَ المطابقةَ بين المتعاطفين في هذا الموضع؛ لأن العلاقةَ التبعيّةَ العطفيّـــةَ بـــين المتعـــاطفين قائمةٌ على المعنى، وكأنّه قال: (لا ميِّتٌ فَبَالٍ، ولا حيٌّ فَماشٍ) فلمّا كان معنى المضارعين (يبلى ويمشي) معنى الاسم، جاز عطفُهما عليه، فالشاعرُ يُنكِـــرُ علـــى الـــشعب ضَـــياعَه وسلبيَّتَه، فأراد أن يلتفت المتلقّي إلى ما يعانيه الشّعبُ مـــن التّـــشرُّد والـــضّياعِ وفُقْـــدانِ

---

(1) الديوان، ج١/١٦٧.
(2) السّليم: مَنْ لَدَغتْه الحيَّة، والوِرْدُ: من أسماء الحُمَّى.
(3) الديوان، ٣٣٨.

التّوازنِ، ويُوجِّهَ عنايتَه مع الشاعر إليه، فَتَرَكَ المطابقةَ بين المتعــاطفين؛ لِيكــون ســبيلَ الشّاعرِ إلى جذْب المتلقّي، وليس للتركيب النمطيِّ هذا التأثيرُ والإيحاءُ.

والنتيجةُ أنّ تَرْكَ المطابقةِ بين المتعاطفين تغييرٌ نحويٌّ جائزٌ استخدامُه فــي النحــو و الاستعمالِ الصّحيحِ، والقصْدُ منه المعنى الذي ليس للتركيب النمطيِّ أن يُؤدِّيه.

٥- تركُ المطابقة بين الضمير وبين ما عاد إليه:

الأصلُ أن يطابق الضميرُ لفظَ الاسمِ الذي يعود إليه، ويجوز تركُ المطابقةِ بينهما فــي اللفظ مراعاةً لمعنى الاسمِ، ويجوز هذا إذا كان الاسمُ الذي عاد إليه الضميرُ (كــمْ) نحــو قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾[1] فترك المطابقةَ، وأعاد الضميرَ في (شفاعتهم) بصيغة الجمعِ، والأصلُ أن يعود بصيغة المفرد المذكَّرِ؛ لأن (كــم) لفظُهــا مفردٌ مذكَّر، فأهملَ اللّفظَ، وأقامَ العلاقةَ بين (كم) والضميرِ على المعنى؛ لأن (كــم) فــي سياق الآية الكريمة معناها الجمعُ، وكأنه قال: (وملائكةٌ كثيرون لاتغني شفاعتُهم) ونحــوُ قوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾[2] فترك المطابقةَ، وأقام العلاقةَ بين (كــم) الخبريــة و الضميرِ (ها) على معنى (كم) لأن معناها التأنيثُ بدليل تمييزها (قريةٍ)[3].

ويجوز تركُ المطابقةِ بين لفظةِ (كلّ)والضميرِ الذي يعود إليها مراعاةً لمعناهــا، نحــو قوله تعالى:﴿ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴾[4] فترك المطابقةَ، وأعاد الضميرَ المستترَ فــي (داخــرين) بصيغة الجمعِ مراعاةً لمعنى (كلٌّ). ويجوز تركُ المطابقةِ بين (كلا وكلتا) والضميرِ الــذي يعود إليهما مراعاةً لمعناهما؛ إذِ الأصلُ أن يعود الضميرُ إليهما مفرداً؛ لأن لفظيهما مفردٌ،

---

(1) النجم، ٢٦.
(2) الأعراف، ٤.
(3) ينظر، التعليقة، ج١/٨٣، والفارسي، أبوعلي، الإيضاح العضدي، تح:حسن فرهود، دار التأليف، مصر، ١٣٨٩ه-١٩٦٩م، ٢١٩، وشرح المفصل، ج٤/١٣٢-١٣٣، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٢٠٢، والنحو الوافي، ج١/٢٤٠، ج٤/٤٢٨.
(4) النمل، ٨٧.

ومعناهما مثنّى، وعودةُ الضمير إلى معناهما دون لفظهما جائزٌ من باب التوسُّع، نحوُ قول الشاعر[١]:

كلاهُما حينَ جَدَّ الجَرْيُ بَيْنَهُمَا   قَدْ أَقْلَعَا وكِلا أَنْفَيْهِمَا رَابِي

فأعاد الضميرَ في (أقلعا) بصيغة التثنيةِ على (كلاهما) مراعاةً لمعناه، فأهمـلَ اللّفـظَ، وتبعَ المعنى، وهذا توسُّعٌ في إقامة العلاقةِ بين العناصرِ النّحويةِ على أساس المعنى[٢].

ويجوز تركُ المطابقةِ بين اسمي الموصولِ (مَنْ وما) والضميرِ الـذي يعـود عليهمـا مراعاةً

لمعناهما، فيجوز تثنيتُه وجمعُه، فمن الأوّل قولُ الفرزدق[٣]:

تَعَشَّ فإنْ واثَقْتَني لا تَخُونُني   نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحِبانِ

فَتَرَكَ المطابقةَ، وأعاد الضميرَ في (يصطحبان) بصيغة المثّنى على اسـم الموصـولِ (مَنْ) مراعاةً لمعناه، ومن الثاني قولُه تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾[٤] فتـرك المطابقـةَ، وأعاد الضميرَ في (يستمعون) بصيغة الجمعِ على اسم الموصولِ (مَنْ) مراعـاةً لمعنـاه، ونحوُ قوله تعالى:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٥] فترك المطابقةَ، وأعاد الضميرَ في (لا يستطيعون) بصيغة الجمـع علـى اسـم الموصول (ما) مراعاةً لمعناه[٦]. وهذا وجهٌ من أوجه التغييرِ النحـويِّ فـي الاسـتخدام اقتضاه المعنى، والأَوْلَى والأَحْسنُ مراعاةُ اللفظِ، فإذا اجتمعتِ المراعاتان، قُدِّم اللفظُ إلّا إذا كان المقامُ يقتضي مراعاةَ المعنى، وهذا مَتروكٌ لِتقديرِ المتكلمِ الخبيرِ بمواضع العناصـرِ

---

(1) شرح المفصل، ج٥٤/١، وجامع الدروس العربية، ج٢٣٢/٢.
(2) ينظر، الإيضاح العضدي، ٢١٩، وشرح المفصل، ج٥٤/١، والبرهان في علوم القرآن، ج٢٠٠/٤-٢٠١، وجامع الدروس العربية، ج٢٣٢/٢، والنحو الوافي، ج٢٤٠/١، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٢٣٨-٢٣٩.
(3)الديوان، ج٨٧٠/٢.
(4) يونس، ٤٢.
(5) النحل، ٧٣.
(6) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج٨٢/١-٨٣، والخصائص، ج٤١٩/٢، وشرح المفصل، ج٥٤/١، ج١٣٢/٢،ج١٣/٤، والبرهان في علوم القرآن، ج١٩٧/٤-١٩٩، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٢٣٩.

النحويّةِ في التركيب الذي يُنشِئُه، وحُسْنِ تصرُّفه بحسب المناسباتِ التي قد تـدعوه إلـى تفضيل مراعاةِ اللفظِ أو مراعاةِ المعنى عند المطابقةِ على الرَّغْم من صِحَّة الآخرِ[١].

ويجوز تركُ المطابقةِ بين اسمِ الجنسِ الذي لفظُه لفظُ المفردِ، ومعنـاهُ الجمـعُ، وبـين الضميرِ الذي يعود إليه[٢] نحو قولـه تعـالى:﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾[٣] فتـرك المطابقةَ، وأعاد الضميرَ في (يلوون) بصيغة الجمعِ إلى (فريقاً) لأنه اسمُ جـنس، فتـرك اللفظَ، وتَبِعَ المعنى، وهذا توسُّعٌ في استخدام قواعدِ اللغةِ ويبدو أنّه تبع المعنـى؛ لإظهـار كثرةِ الذين يفعلون هذا الفعلَ القبيحَ، وهذا أدْعى لاستنكار ما يفعلون. ولم أجد لهذا التغيير النحوي الجائز شواهد في دواوين الشعراء الخمسة.

٦- ترك المطابقة بين الحال وصاحبها:

الأصلُ أن تُطابق الحالُ صاحبَها في التذكير والتأنيثِ، وفي الإفراد والتثنيـة والجمـع، ويجوز تركُ هذه المطابقةِ بينهما في العدد إذا كان صاحبُ الحالِ جمعـاً لغيـر العاقـلِ، فيجوز في الحال أن تأتي مفردةً، نحو (سرَّتْني الكتبُ نافعةً) فأفْردْتَ الحالَ (نافعـةً) ولـم تُطابقها مع صاحبها (الكتبُ) لأنه جمعٌ لغير العاقل[٤].

ويبدو أنّ تركَ المطابقةِ بينهما في هذا الموضع النحويّ يكون لمعنى يعجـز التركيـبُ النمطيُّ عن إظهاره والتعبيرِ عنه، فإذا أراد المتكلمُ أنّ انتفاعَه بالكتب وسرورَه بهـا كـان كثيراً، تَرَكَ المطابقةَ، وأَفْرَدَ الحالَ، وإذا قصدَ أنّ انتفاعَه بالكتب وسرورَه بها كان قلـيلاً، طابَقَ بينهما، وبتعبير آخرَ إذا قصد المتكلمُ أنّ سرورَه من الكتب، إنّما حصل؛ لأنها نفعتْهُ كثيراً، أفردَ الحالَ، وإذا قصد أنّ سرورَه قد حصل من الكتب مع نفعها القليلِ لـه، طـابَقَ بينهما، وقال: (سرَّتْني الكتبُ نافعاتٍ، أو نوافعَ) وهذا التغييرُ لـم يلتفـت إليـه الـشعراءُ الخمسةُ في أشعارهم، وربّما كان سببُه أنّهم لم يجدوا الحاجةَ في اللّجوء إليه واستعمالِه.

(1) ينظر، النحو الوافي، ج١/٢٤٠، ومعاني النحو، ج١/١٢٨.
(2) ينظر، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٢٤٠.
(3) آل عمران، ٧٨.
(4) ينظر، النحو الوافي، ج٢/٣١٩.

والنتيجةُ أنّ تركَ المطابقةِ بين عنصرين نحويين متلازمين في التركيب تغييــرٌ نحــويٌّ جائزٌ أجازَتْه القاعدةُ النحويّةُ، واستعمله العربُ في كلامهم، وأقرَّه النّحاةُ. واستخدامُه يكون المعنى هو الدّافعَ إليه، وتقديرُ هذا يعود إلى المتكلم الــذي يُنــشئُ التركيــبَ، ويُــوزِّع العناصرَ النحويةَ، ويرتِّبها فيه، فيختارُ التعبيرَ المناسبَ لمعانيه التي يريدُ أن يُعبِّرَ عنهــا، ويُوصلَها إلى المتلقّي.

الفصل الثاني: الزِّيادة والحذف.

أ- الزّيادة.

ب- ترك المطابقة.

أ-الزيادة.

الزّيادةُ في اللغة مصدرٌ، وزادَ الشيءَ يزيدُه زيادةً، وجعله يزيد، وهي في علم العربية ثلاثةُ أنواعٍ، فالأوّلُ أن يُضاف إلى حروف الكلمة الأصليةِ حرفٌ أو أكثرُ، نحوُ (أكْرمَ وكرّمَ) والثاني إحدى العللِ التي تمنع الاسمَ من الصّرف إذا اقترنتْ بالعَلَميّة، وهي عِلّةٌ معنويّةٌ، نحو (مروان) أو بالوصفيةِ، نحو (عطشان) وهذان القِسمان لا يدخلان في دائرة البحثِ، والثالثُ أن تكون الكلمةُ لامحلّ لها من الإعراب إن كانت قبل زيادتها ممّا يُعرَب، ويُؤتَى بها توكيداً للمعنى، نحوُ زيادةِ (كان) في (ما كان أعْدلَ عمرَ) وهذا موضوعُ البحث، ويُسمَّى الإلغاءَ[(١)].

وينكر أكثرُهم إطلاقَ هذه العبارة في كتاب الله تعالى، ويسمّونها التأكيدَ، ومنهم مَنْ يسمّيها صلةً، ومنهم مَنْ يسمّيها مُقْحَماً[(٢)]، والأَوْلى اجتنابُ هذه العبارةِ في كتاب اللهِ تعالى؛ لأن النّحاةَ أرادوا بالزائد من ناحية الإعراب لا من ناحية المعنى، فمعنى كونه

---

(1) ينظر، عبدالمسيح، جورج متري، معجم مصطلحات النحو العربيّ، ط١، مكتبة لبنان، بيروت،١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ٢٣٢.
(2) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٤٧/٣، الكلام للزمخشري الذي ذكر ابن جنّي والرّمّاني وابن عصفور والمبرّد وثعلب.

زائداً أن المعنى الأصليّ للتركيب يتحصّل من دون الزيادة التي بوجودها يتحصّل التوكيدُ؛ لأن الواضعَ الحكيمَ لا يضع الشيءَ، ولا يزيده إلّا لمعنى يريدُهُ أن يظهر(1). والزيادةُ من حقّها أن تكون في الأحرف والأفعالِ، ونَصَّ أكثرُ النحويين على أن الأسماء لا تُزادُ، وهي تكون في الحشو والآخر لإمكان الاستغناء عنها؛ ولذلك منعوا الزيادةَ في أوّل الكلامِ؛ لأن التصدير يعني الاهتمامَ، وهو يتناقض مع إمكان الاستغناءِ عن الزائد؛ ولذلك ضعَّفُوا الزيادةَ في قوله تعالى:﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾(2) وعدُّوه جواباً على كلام محذوف(3).

والزيادةُ تكون لمعنى جديد يريده المتكلمُ، أو لتوكيد أصلِ المعنى وتقويتِه، وذلك نظراً لظروف الكلامِ وحال المتكلمِ مع المخاطب، فقد يسعى المتكلمُ إلى إزالة الالتباسِ ورفعِ الشّكّ من نفس المتلقّي، أو يريد لفْتَ انتباهه وجلْبَ عنايتِه إلى معنى يريده، ويرى أنه لا يتحصّل إلّا بالزيادة، وقد يزيد عنصراً نحوياً لِضربْ من ضروب الاتّساعِ والتّصرُّفِ في الكلام سعياً وراء توسيعِ مساحةِ المعنى، وقد يؤكِّد ردّاً على منكِرٍ، أو تقريراً لمعنى دون آخر(4). وليس هذا موضعَ التفصيلِ وضربَ الأمثلة، وإنّما يأتي ذلك في تفصيلات البحث عند تناول زيادة العناصر النحوية في مواضعها، وأبدأ من زيادة (كان).

١- زيادة (كان):

الأصلُ في (كان) أن تكون فعلاً ناقصاً متصرّفاً يدخل على الجملةِ الاسميةِ، فيرفع الاسمَ، وينصب الخبرَ، وتجوز زيادتُها بلفظ الماضي بين عنصرين نحويين متلازمين، نحوُ زيادتها بين المبتدأ والخبرِ لغرض التوكيدِ نحو (زيدٌ كان منطلقٌ) بزيادة (كان) بين المبتدأ (زيدٌ) والخبر (منطلقٌ) لأنه قصد توكيدَ العلاقةِ القائمةِ بين (زيدٌ) وحدثِ الانطلاقِ، قال ابن السرّاج في حديثه عن (كان): "والثالثُ أن تكون توكيداً زائدةً نحو

(1) المصدر السابق، ج٣/٤٩.
(2) القيامة، ١.
(3) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٣/٤٩.
(4) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/٢٥٨-٢٥٩، والتعليقة على كتاب سيبويه ،ج١/١٨٩، والخصائص، ج١/٣١٦، والمفصل، ١٤٤، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٣٢.

قولك: (زيدٌ كان منطلقٌ) إنّما معناه (زيدٌ منطلقٌ) وجاز إلغاؤها؛ لاعتراضها بين المبتدأ والخبر"[١] وتجوز زيادتُها بين اسم (إنّ) وخبرِها لتوكيد العلاقةِ المعنويّةِ القائمةِ بينهما، نحو ُ(إنّ زيداً كان منطلقٌ) ويجوز في هذه الحالةِ عدُّها فعلاً ناقصاً، واسمها ضميرٌ مستترٌ يعود على اسم (إنّ) وتنصب (منطلقاً) خبراً لها، وتكون مع اسمها وخبرها خبراً لـ (إنّ)[٢]. فعبارةُ (زيدٌ منطلقٌ) خبرٌ ابتدائيٌّ، والمتلقّي لا يعرف مضمونه، فهو في حالةِ تلقٍّ لا غيرُ، وعبارةُ (زيدٌ كان منطلق) خبرٌ طلبيٌّ؛ لأن المتلقيَّ يعلم حدثَ الانطلاقِ أو يعلم أنّ (زيدٌ) قد صدرَ منه حدثٌ ما، لكنه لايعرفه، ويشكُّ أن يكون (زيدٌ) قد فعله لِظَرْفٍ ما يحيط به، فاحتاج المتكلمُ إلى زيادة (كان) بين طرفي الإسنادِ في الجملة الاسمية؛ لِتوكيد العلاقةِ النحويّةِ والمعنويّةِ القائمةِ بين المبتدأِ (زيدٌ) والخبرِ (منطلقٌ) وليُقنعَ المتلقّيَ أنّ الانطلاق لزيد دون غيره، أو أنّ زيداً قام بحدث الانطلاقِ فحسبُ، وتركيبُ (إنّ زيداً كان منطلقٌ) لمتلقٍّ يُنكِر أن يكون (زيدٌ) يتّصفُ بصفة الانطلاقِ، ولا يريد الاقتناعَ مع أنّ الجملة مؤكَّدةٌ بـ (إنّ) قبل زيادةِ (كان)، فلمّا أمْعَنَ في الإنكار، زادَ المتكلمُ (كان) بين طرفي الإسناد (زيداً ومنطلقٌ) لِيُزيل إنكارَه.

وتجوز زيادتُها بين (ما) التعجبيّة وفعل التعجّب (أَفْعلَ) للدلالة على أنّ التعجّب قد وقع في الماضي لا في الحاضر، نحوُ (ما كان أَحْسنَ زيداً، وما كان أَظْرفَ أباكَ) فـ (كان) زائدةٌ بين (ما) التعجبية وفعلي التعجّب (أحسن وأظرف) للدلالة على أن التعجّب من حُسْن زيدٍ وظُرْفِ الأب قد وقع من المتكلم في الماضي المنقطع[٣]. وتجوز زيادتُها بين الفعل والفاعل، نحو قول الشاعر[٤]:

وَلَبِسْتُ سِرْبالَ الشَّبَابِ أَزُورُها   ولَنِعْمَ كانَ شَبِيبةُ المُحْتالِ

---

(1) الأصول في النحو، ج٩٢/١، وينظر، الهرويّ، علي بن محمد، الأزهية في علم الحروف، تح:عبد المعين الملّوحي، ط٢، مجمع اللغة العربية، دمشق،١٤٠١هـ-١٩٨١م، ١٨٧.
(2) ينظر،المقتضب، ج١١٦/٤، والأزهية في علم الحروف، ١٨٧، والمفصل، ٣٤٢.
(3) ينظر، الأصول في النحو، ج١٠٦/١، والأزهية في علم الحروف، ١٨٧، وشرح المفصل، ج٧م١٥٠، وشرح جمل الزجاجي، ج٥٩٧/١، وارتشاف الضرب، ج٢٠٧٣/٤، وجامع الدروس العربية، ج٦٦/١، والنحو الوافي، ج٢٩٣/٣، ومعاني النحو، ج٢٤١/٤-٢٤٣، وينظر، الحموز، عبد الفتاح، التأويل النحوي في القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج١٤٠٩/٢-١٤٢٣.
(4) ينظر، شرح الأشموني، ج٣٧٠/١.

بزيادة (كان) بين الفعل (نعم) وفاعله (شبيبةُ) وبين الفعلِ المجهولِ ونائب الفاعــل، نحــوُ قولهم: (لم يُوجَد كانَ مثلُهُم) والأصلُ (لم يوجَد مثلُهم) بزيادة (كان) بين الفعــل المجهــولِ (يوجَد) ونائبِ الفاعل (مثلُهم) وبين الموصوف والصفةِ، ومنه قولُ الفرزدق(١):

فَكَيْفَ إذا مَرَرْتُ بِدارِ قَوْمٍ وجِيْرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرامِ

بزيادة (كانوا) بين الموصوف (جيرانٍ) وصفتِه (كرامٍ) ونحو (مررْتُ برجلٍ كــان قــائمٍ) وقول الفرزدق(٢):

في غُرَفِ الجنَّةِ العُلْيا الّتي وَجَبَتْ لَهُمْ هُناكَ بِسَعْيٍ كانَ مَشْكورِ

بزيادة (كان) بين الموصوف (سعيٍ) والصفة (مشكورٍ) وبــين المتعــاطفين، نحــو قــول الشاعر(٣):

في لُجَّةٍ غَمَرَتْ أَباكَ بُحورُها في الجاهليَّةِ كانَ والإسلامِ

فزاد (كان) بين المعطوف عليه (الجاهليةِ) والمعطوف (الإسلامِ) وبين الجارِ والمجــرور، نحو قول الشاعر(٤):

سَرَاةُ بَني أَبي بَكْرٍ تَسَامَى على كانَ المُسَوَّمَةِ العِرابِ

بزيادة (كان) بين حرف الجرّ (على) ومجرورِ (المسوَّمةِ)(٥).

والنتيجةُ أنها تُزاد في الكلام لِغرضين ، الأوّلُ الدلالةُ على الزمن الماضي، وذلك فــي زيادتها بين (ما) التعجبيةِ وفعلِ التعجّبِ، والثاني الدلالةُ على التوكيد، وذلك فــي زيادتهــا في المواضع الأخرى، ويكون ذلك مع متلقٍّ يشكّ في مضمون الكلامِ وفي العلاقة القائمــةِ

---

(1) الديوان، ج٨٣٥/٢.
(2) الديوان، ج٢٦٥/١.
(3) شرح الأشموني، ج٣٧٤/١.
(4) المفصل، ٣٤٢، ورصف المباني، ١٤١، وأوضح المسالك، ١٤٥، وشرح ابن عقيل، ج٢٩٠/١، وشرح الأشموني، ج٣٧٦/١.
(5) ينظر، المقتضب، ج١١٦/٤-١١٧، والأزهية في علم الحروف، ١٨٧، والمفصل، ٣٤٢، والمتبع في شرح اللمع، ج٢٦٩/١، وشرح جمل الزجاجي، ج٤١٥/١، وأوضح المسالك، ١٤٤-١٤٥، وجامع الدروس العربية، ج٢٨٣/٢-٢٨٤، ومعاني النحو، ج١٩٩/١، ٢٠٢-٢٠٣.

بين المتلازمين، فيأتي المتكلم بـــ (كان) زائدةً؛ لِطَمْأَنَتِه وتقريرِ المعنى الذي يشكُّ فيـــه، أو يُنكِرُه. وقد كثرت زيادة (كان) عند الشعراء الخمسة، ولاسيّما في أسلوب التعجب دون أن تشمل زيادتُها كلَّ المواضعِ والحالاتِ التي أجازتها القاعدةُ النحويةُ والاستعمالُ الـــصحيحُ. قال البارودي[١]:

فَيا لَها لَيْلَةً ما كان أَحْسَنَها　　　لوْ أنّها لَبِثَتْ حَوْلاً وما بَرِحَتْ

ليست (كان) في قول الشاعر: (ما كان أحسنها) فعلاً ناقصاً، بل هـــي زائـــدةٌ؛ لأنهـــا وقعت بين (ما) التعجبيةِ وفعلِ التعجبِ (أَحْسَنَ) فالشاعرُ يتعجّب من حسن الليلةِ، ولمّا لـــم يكن حسنُها ماثلاً أمامه في اللحظة التي أنشدَ فيها شعرَه هذا، وألَّفَ التركيبَ الذي يُـــصَوِّر حسنَ الليلةِ، زادَ (كان) للدلالة على أنه يتعجّب من حسنها في الماضي لا فـــي الحاضـــر. ويبدو أنّ زيادتها تؤكِّد حسنَ الليلةِ، وتطردُ الشكَّ من نفس المتلقّـــي، وتُقنعُـــه أنّ حـــسنَها يستحقُّ التعجّبُ منه؛ لأنه ممَّا يفوقُ حُسْنَ أمثالِه من الليالي الأخرى، وزيادتُها لـــم تُغيِّـــر العلاقةَ النحويةَ بين (ما) التعجبيةِ وفعل التعجبِ (أحسن) وهي من الناحية الإعرابية لَغْوٌ لا أَثَرَ لها فيما بعدها. وقال أبو ماضي[٢]:

ما كانَ أَجْهَلَ نُصَّحِي وأَضَلَّنِي　　　لَمَّا أَطَعْتُهُمُ ولمْ أَتَمَنَّعِ

زاد الشاعرُ (كان) بين عنصرين نحويين متلازمين، هما (ما)التعجبيةُ وفعـــلُ التعجـــبِ (أَجْهَلَ) والقاعدةُ النحويةُ تُجيزُ زيادتَها في هذا الموضعِ، فالـــشاعرُ يتعجّـــب مـــن جهـــل ناصحيه وضلالتِه؛ لأنه أطاعهم، ولمّا لم تكن هذه الأحداثُ واقعةً في وقت التكلُّم والـــنّظمِ، أراد أن يوَضِّح ذلك، فزاد (كان) للدلالة على أن التعجّب واقعٌ من أحداث وأفعالٍ ماضـــيةٍ ومنقطعةٍ، وهو الآن يستعيدها، ويستذكرها. وقال بدر الدين الحامد[٣]:

ما كَانَ أَهْوَنَهَا لَوْ كُنْتَ ذا رَشَدٍ　　　مَظاهِرُ العُمْرِ تَغْرِيرٌ وأَوْهامُ

---

(1) الديوان، ج١/١٢٠.
(2) الديوان، ٤٠٦.
(3) الديوان، ج٢/٦٣٧.

الأصل (ما أهونها) فزاد الشاعرُ (كان) بين (ما) التعجبيةِ وفعلِ التعجبِ (أهون) فلم تعد ناقصةً، فهي زائدةٌ لا عملَ لها، وجيء بها؛ للدلالة على أن الشاعر إنّما يتعجّب من حــدثٍ ماضٍ ومنقطعٍ. واستخدامُها في هذا الموضعِ تغييرٌ أجازَتْهُ القاعدةُ النّحويّةُ؛ لأنه يلــزم أن يأتي فعلُ التعجّب بعد (ما) التعجبيةِ مباشرةً، وإيرادُ التعبيرِ طبيعيــاً دون زيــادة (كــان) لايُوحي بقصْد الشاعرِ ودلالتِه، و يجعلُ المتلقّيَ يعتقد أن الشاعر إنّما يتعجّــب مــن أمــر يعيشه، ويُعايِنُهُ، لا من أمر عاشه، وعايَنه، فلمّا زادَها، اتَّضحَ الفرقُ بين التعبير الأصــل (ما أهونها) والتعبير الجديد (ما كان أهونها) فقد فرَّقتْ (كان) الزائدةُ بين زمنــين لوقــوع الحدثِ، هما الزمنُ الماضي الذي أراده الشاعرُ، والزمنُ الحاضرُ الذي اسْــتبعدَه. وقــال البارودي[1]:

فَلَمْ أرَ لَحْظاً كَانَ أَقْتَلَ باكياً   وأَمْضَى الظُّبَا في الْفَتَكِ ما سَالَ إفْرِنْدا[2]

ليست (كان) في الشطر الأوّل ناقصةً، بل زائدةٌ لاعملَ نحويّاً لها؛ لأنها متوسّطةٌ بين

عنصرين نحويين متلازمين، هما الموصوفُ (لحظاً) والصفةُ (أقْتَل) ولمّا زِيدَتْ (كان) في هذا الموضعِ، وهو موضعٌ تجيز القاعدةُ النحويةُ زيادتَها فيه، فقدتْ خُــصوصيَّتَها كفعــل ناقص، فليست لها حاجةٌ إلى الاسم والخبرِ، وإنّمــا زادَهــا الــشاعرُ؛ لِيؤكِّــد اتِّــصافَ الموصوفِ (لحظاً) بالصفة (أقتل) وشدَّةَ التصاقِها به، وكأنّ المتلقّي في شكٍّ وتردُّدٍ مــن أن يكون اللّحظُ الذي رآه الشاعرُ له هذه الصفةُ العاليةُ من القتلِ، فلمّا رأى الــشاعرُ تــردُّدَه وشكَّه، أو توقَّع ذلك، أراد أن يزيلَهما من نفسه، وأن يقنعَه أن اللّحظ الذي رآه إنّما هو في الحقيقة كما وصفَه الشاعرُ من القتل والبكاء والمُضيِّ في القتــل، وأنــه لايبــالغ بــسبب عاطفته. وهذه الدلالاتُ لا يوحي بها التعبيرُ الطبيعيُّ (فلم أرَ لحظاً أقْتلَ) من دون زيــادةِ (كان) لأنه إخبارٌ فحسبُ، ولا يُبالي الشاعرُ سواءٌ أَصدّقَ المتلقّي أمْ كذَّبَ.

٢- زيادة (إنْ):

---

(1) الديوان، ج١/٢٢٣.
(2) الظّبا، جمع ظُبَة: وهي حدُّ السيف أوالسّنان ونحوهما، والظُّبا: السيوف، وإفرند السّيف: ماؤه وجوهره.

تجوز زيادة (إنْ) بعد (ما) النافية للجملتين الاسميةِ والفعليةِ، فإذا زِيدتْ بعد (ما) النافيةِ العاملةِ عملَ (ليس) أبْطَلَتْ عملَها، فيرتفع ما بعد (ما) على الابتداء والخبرِ، نحوُ (مـــا إنْ زيدٌ قائمٌ) بزيادة (إنْ) بعد (ما) النافية العاملةِ عَمَلَ (ليس) فارتفع (زيدٌ) علـــى الابتـــداء، و (قائمٌ) على الخبر، ونحوُ قول فَرْوَةَ بن مُسَيكٍ[١]:

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ   مَنايَانا ودَوْلةُ آخَرِينا

فزاد (إنْ) بعد (ما) النافية العاملة عمل (ليس) ورفعَ (طبُّنا) على الابتداء، و (جبنٌ) علـــى الخبر، ومن زيادتها بعد (ما) النافية للجملة الفعليةِ التي فعلُها ماضٍ، نحو (ما إنْ قامَ زيـــدٌ) ونحوُ قول النابغة[٢]:

ماإنْ أَتَيْتُ بِشَيءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ   إِذَنْ فَلا رفَعَتْ سَوْطِي إليَّ يَدِي

والأصل (ما أتيتُ بشيءٍ) فزاد (إنْ) بعد (ما) النافية للفعل الماضي (أتى) ومن زيادتها بعد (ما) النافية للفعل المضارعِ نحوُ (ما إنْ يقومُ زيدٌ) ونحو قول زهير[٣]:

ما إنْ يكادُ يُخَلِّيهمْ لِوِجْهَتِهِمْ   تَخالُجُ الأمْرِ إنّ الأمْرَ مُشْتَرَكُ

والأصل (ما يكادُ) فزاد (إنْ) بعد(ما) النافية للفعل المضارعِ (يكاد) وتجوز زيادتُها بعد (ما) الموصولةِ حملاً على جواز زيادتها بعد (ما) النافية؛ لأن (ما) الموصولةَ تُـــشبِهُ فـــي اللفظ (ما) النافية، نحوُ قولِ الشّاعر[٤]:

يُرَجِّي المَرْءُ ما إنْ لايراهُ   وتَعْرِضُ دُونَ أَدْناهُ الْخُطوبُ

(1) ينظر، الكتـاب، ج٢/٢٢٤، والمقتـضب، ج٢/٣٦٠، والتعليقـة علـى كتـاب سـيبويه، ج٢/٢٦٥، وشـرح جمـل الزجـاجي، ج٢/٤٩٧، وشرح المفصل، ج٨/١١٣.
(2) الذبيانيّ، النابغة، الديوان، تح: عبّاس عبد السّاتر، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١٥.
(3) الديوان، ٦٦.
(4) مغني اللبيب، ٣٨.

والأصلُ (يُرجِّي الفتى ما لايراه) فزاد (إنْ) بعد (ما) الموصولةِ حملاً على زيادتها بعد (ما) النافيةِ، وتجوز زيادتُها بعد (ما) المصدريّةِ للسبب نفسه، نحو قول المُعلَّوِّط القريعيّ[1]:

ورجِّ الفَتَى للخيرِ ما إنْ رأَيْتَهُ   عَلَى السِّنِّ خَيْراً لا يَزَالُ يَزِيدُ

فزاد (إنْ) بعد (ما) المصدرية؛ لأنها تشبه (ما) النافية في اللفظ[2]، وتجوز زيادتُها بعد (ألاَ) الاستفتاحيّة، نحو قول الشاعر[3]:

ألاَ إنْ سَرَى لَيْلِي فَبِتُّ كَئِيْبَا   أُحَاذِرُ أنْ تَنْأَى النَّوَى بِغَضُوبا

فـ (إنْ) زائدةٌ؛ لوقوعها بعد (ألا) الاستفتاحيّة[4]. وليس للمتكلم أن يزيدها إلّا لغرض توكيدِ المعنى فإذا زِيدتْ بعد (ما) النافية، أكَّدتْ معنى النفيِ فيها، وإذا زِيدتْ بعد (ما) الموصولةِ، قوَّتْ معناها، والأمر ُكذلك مع (ما) المصدريةِ، و (ألَا) الاستفتاحيّةِ، ويكون ذلك كلُّه مراعاةً لظروف المقام والسياقِ وحالةِ المخاطبِ، فإذا كان المخاطبُ يشكّ في مضمون الكلامِ، احتاجَ المتكلمُ إلى توكيده فقولك: (ماإنْ زيدٌ قائمٌ) لمخاطب يشكُّ في نفي إسنادِ القيامِ إلى (زيد) وقولُ النابغة: (ما إنْ أتيتُ بشيءٍ) إزالةٌ للشكِّ من نفس النعمانِ، وتقويةٌ لعدم الإتيانِ بشيءٍ يكرهُهُ النّعمانُ، وقولُ الشاعر: (ألاَ إنْ سرى ليلي) مبالغةٌ في التنبيه وتوكيدٌ له، وإعلامٌ للمخاطب أن المتكلم يريد منه أن يلتفت، و يتنبّهَ إلى حالة الشاعرِ الذي يقضي ليلَهُ في حزن وكآبةٍ. وكثرت زيادة (إنْ) في دواوين الشعراء الخمسة بعد (ما)النافيةِ، قال البارودي[5] :

أَسْهَرْتُ جَفْنِي لَكُمْ في نَظْمِ قافِيَةٍ   ما إنْ لَهَا في قَدِيمِ الشِّعْرِ من مَثَلِ

---

(1) الكتاب، ج٢٢٢/٤، وأوضح المسالك، ١٣٩، وشرح الأشموني، ج٣٥٢/١.
(2) ينظر، الكتاب، ج٤٢١/٢، ج١٥٣/٣، ج٢٢٠/٤-٢٢٢، والمقتضب، ج١٨٩/١، ج٣٦٠/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢٦٥/٢، والخصائص، ج١١٠/١، ج١٠٨/٣-١٠٩، والأزهية في علم الحروف، ٥١، والمتبع في شرح اللمع، ج٥٢٦/٢، وشرح المفصل، ج١١٣/٨، ١٢٨-١٣٠، وشرح جمل الزجاجيّ، ج٤٩٧/٢، ومغني اللبيب، ٣٨ ،٤٠١، والبرهان في علوم القرآن، ج٥٠/٣-٥١، وجامع الدروس العربية ، ج٢٩٦/٢، والنحو الوافي، ج٣٢٨/٤، وظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٤١٩.
(3) مجهول، مغني اللبيب، ٣٨.
(4) ينظر، مغني اللبيب، ٣٨.
(5) الديوان، ج٣٢/٣.

زاد الشاعر (إنْ) بعد (ما) النافيةِ، فهو ينفي أن يكون في الشعر القديمِ شبيهٌ ومثيلٌ للقصيدة التي سَهِرَ في نظمها من أجل قومِه، وكأنه لمس الشّكَّ والتّردُّدَ منهم في ذلك، فاحتاجَ إلى توكيد هذه المعاني معنى السّهرِ في نظم القصيدةِ والافتخارِ بها، ومعنى نفيِ الشَّبيهِ والمِثْلِ لها في الشعر القديمِ، فزاد (إنْ) بعد (ما) النافيةِ، فجاءت زيادتُها في موضع تجيز القاعدةُ النحويةُ زيادتَها فيه، ومناسبةً لمقام المتلقي وحالةِ الشاعرِ والجملةُ التي أكَّد نفيَها جملةٌ اسميّةٌ. وقال الشابّيّ[١]:

فَسَبِيلُ الغَرامِ جَمُّ المَهاوِي   وافِرُ الْهَوْلِ مُسْتَرَابُ الصَّعِيدِ

رَغْمَ ما فيه من جَمالٍ وفَنٍّ   عَبْقَرِيٍّ ما إنْ لَهُ من مَزِيدِ

(إنْ) في قول الشاعرِ: (ما إنْ له من مزيدٍ) زائدةٌ؛ لأنها وقعتْ بعد (ما) النافية، وهذا موضعٌ تجوز فيه زيادتُها، فالشاعرُ ينفي أن يكون في الغرام مزيدٌ للإنسان بعد أن أخبر عن جماله وفنِّه العبقريّ، فأراد أن يؤكِّد هذه المعاني معنى اتِّسامِ الغرامِ بالجمال والفنِّ الرّفيعِ، ومعنى نفيِ المزيدِ منه؛ لإزالة الشكِّ والتَّردّدِ من نفس المتلقّي الذي قد لا يقبل ذلك، فزاد (إنْ) بعد (ما) النافيةِ في الجملة الاسميةِ (ما إن له من مزيد) فاتَّبع قاعدةً فرعيةً أجازتْ له التغييرَ في بنية التركيبِ بزيادة عنصرٍ نحويٍّ ليس من بنيته في الأصل لِيحتاطَ لمعناه. وقال

البارودي[٢]:

وما إنْ عِشْتُ بعدَ الْبَيْنِ إلّا   لِمَا أرْجُوهُ مِنْ وَشْكِ التَّلاقِي

زاد الشاعرُ (إنْ) بعد (ما) النافيةِ للجملة الفعليةِ (عشتُ بعد البينِ) احتياطاً للمعاني التي عبَّر عنها وتوكيداً لها، فالشاعرُ في حالة بَيْنٍ وفراقٍ، وقد عاش بعدها؛ لأنه يرجو اللِّقاءَ بالحبيبة، وهو لا يريد أن تُنْكِر عليه الحبيبةُ ذلك، وألّا تشكّ فيما يقول، ولعلّها أنكرتْ عليه

(1) الديوان، ٢٥٤.
(2) الديوان، ج٢/٣١٨.

ذلك؛ لأنه احتملَ العيشَ بعيداً عنها، ولم يقضِ عليه الشّوقُ إليها، وهذه حالاتٌ لا تُرضيها، وتجعلُ الشاعرَ في موقف ضعيفٍ أمامها، فأراد أن يُثبِتَ لها ذلك، فنفى بـ (ما) وقوعَ العيشِ لأسباب أخرى غيرِ السببِ الذي أورده في الشطر الثاني، ولمّا لمس منها عدمَ الاقتناعِ والثّباتَ على الشكّ والإنكارِ، أكَّدَ معانيَه، فزاد (إنْ) بعد (ما) النافيةِ، فجاءت زيادتُها مُلتَزِمةً القاعدةَ النحويّةَ، ومناسبةً للمعنى والمقامِ. وقال أبو ماضي[١]:

الْعِطْرُ يَعْبُقُ من جَميع وُرُودِها ... ما إنْ مَرَرْتُ بِزَهْرَةٍ لم تَعْبُقِ

(إنْ) في الشطر الثاني زائدةٌ؛ لأنها بعد (ما) النافيةِ للجملة الفعليةِ (ما مررت بزهرة لم تعبق) فقد أخبرَ الشاعرُ في الشطر الأوّل أنّ العطر يفوح من جميع الورودِ التي نَبَتَتْ في الروضة التي يصفُها في (مونتريال) ونفى في الشطر الثاني ألّا يكون العطرُ قد عبقَ من جميع ورودِها، فالمعاني قائمةٌ في البيت على إثباتٍ في الشطر الأوّلِ، ونَفْيٍ في الشطر الثاني، فلمّا أثبتَ في الشطر الأوّلِ فَوْحَ العطورِ من جميع ورودِ الرَّوضةِ دون أن يُنْكِرَ عليه أحدٌ ذلك، أوردَ المعنى دونما نَفْيٍ أو توكيدٍ، وكأنه لمّا عبَّر عن هذا المعنى، وانْتَهَى منه، لَمَسَ، أو وجدَ مَنْ ردَّ عليه ذلك، فنفى في الشطر الثاني، فلمّا لم يقتنع المتلقّي الشّاكُّ المتردِّدُ المُنْكِرُ، أكَّدَ، فزاد (إنْ) بعد (ما) النَّافيةِ، وهو بزيادتها قد زَادَ في بنية التركيبِ عنصراً نحويّاً ليس منه في الأصل، فلمّا أراد أن يحتاطَ لمعناه، جرَى في هَدْيِ القاعدةِ النّحويّةِ التي تُجيزُ

ذلك. وقال السيّاب[٢]:

غَشَّتْكَ رُوحانيَّةٌ خَدَّاعَةٌ ... ما إنْ تُنيلُكَ عِنْدَ خُودٍ مَطْلَبا

هُنَّ الغَوَانِي هَمُّهُنَّ مِنَ الْهَوَى ... أَنْ يَسْتَفِدْنَ لَذَاذَةً أو مَكْسَبا

([1]) الديوان، ٤١٤.

(2) الديوان، ٤٧٨.

زاد الشاعرُ (إنْ) بعد (ما) النافيةِ للجملة الفعليةِ (ما تنيلك عند خــود مطلبــا) توكيــداً للمعنى واحتياطاً له ودفْعاً لأيِّ لَبْسٍ أو شكٍّ أو احتمالٍ لمعنى آخرَ، فقد نفــى الــشاعرُ أن تُنيلَهُ الرّوحانيّةُ الخدّاعةُ التي غَشِيَتْهُ مطلباً عند امرأةٍ جميلةٍ، وكأنــه أحــسّ أن مــشاعره وأحاسيسه لاتُريد أن تنقاد معه وراء هذه الحقيقةِ، وتسلِّم بها فزاد (إنْ) لِيسيرَ المعنى معنى انتفاءِ نيلِ المطالبِ في الاتِّجاه القطعيِّ الذي ما على مشاعره وأحاسيــسهِ إلّــا أن تتنبَّــهَ، وتستسلمَ لذلك؛ لأنه معنى عبَّرَ الشاعرُ عنه بعد تجربةٍ.

٣- زيادة (أنْ):

(أنْ) من العناصر النحويةِ التي تجوز زيادتُها لغرض التوكيدِ، وذلك بعد (لمّا) الظرفية، نحو قوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾[١] فزاد (أنْ) بعد (لمّا) الظرفية؛ لِيُؤكِّدَ مجيءَ البشيرِ ووقوعَ ذلك منه؛ لأن المخاطب في موضع تردّدٍ، وقوله تعالى:﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾[٢] فــ (أنْ) زائدةٌ؛ لوقوعها بعد (لمّا) الظرفية، والمعنى تطلَّب زيادتَهــا؛ لأن المخاطب ليس في حالة تسليمٍ واعتقادٍ، وتجوز زيادتُها بين فعلِ القسمِ الظّاهرِ و (لو) نحو قول المسيَّب بن علس[٣]:

فأُقْسِمُ أنْ لوِ الْتَقَيْنا وأنتمُ　　　لَكان لكُمْ يومٌ من الشَّرِّ مُظْلِمُ

فزاد (أنْ) بين فعل القسمِ الظّاهرِ (أقسمُ) و (لو) لغرض توكيد وقــوعِ الــشّرّ الــشّديدِ بيــــــــــــــــــن

الطّرفين إذا التقيا، أو بين فعل القسمِ المقدَّر و (لو) نحو قول الشّاعر[٤]:

أمَا واللهِ أنْ لو كُنْتَ حُرّاً　　　وما بالحُرِّ أنتَ ولا الْعَتيقِ

---

(1) يوسف، ٩٦.
(2) العنكبوت، ٣٣.
(3) غير موجود في الديوان، ينظر،الكتاب، ج٣/١٠٧، ومغني اللبيب، ٥٠.
(4) الإنصاف، ج١/٢٠٠، ومغني اللبيب، ٥٠.

فزاد (أنْ) بين فعل القسمِ المقدَّر (أقسمُ) و (لو) لِيُؤكِّد نفــيَ الحريَّــةِ عــن المخاطــب، وتجوز زيادتُها قليلاً بين الكافِ الجارَّةِ ومجرورِها، نحو قول الشاعر[١]:

ويوماً تُوَافِينا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ   كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلى وارِق السَّلْمِ[٢]

والأصل (توافينا بوجه مُقَسّمٍ كظبية) فقوَّتْ (أنْ) الزائدةُ معنى التــشبيهِ فــي الكــاف، وأظهرتْ قُرْبَ الشّبهِ بين الفتاةِ التي يتغزّل بها وبين الظّبيةِ. وتجــوز زيادتُهــا بعــد (إذا) ومنه قول أوْسِ ابن حجر[٣]:

فأمْهَلَهُ حَتَّى إذا أنْ كَأَنَّهُ   مُعاطِي يدٍ في لُجَّة الماءِ غامِرُ

فزاد (أنْ) بعد (إذا) [٤] .

كما تجوز زيادتُها بعد (حتّى) نحو (لأَسيرَنَّ حتّى أنْ أُصبحَ القادسيّةَ) ونحو (قد كان ذلك حتّى أنْ كان كذا وكذا) فالنّصبُ للمضارع (أصبحَ) بـــ (حتّى) و (أنْ) توكيدٌ لها[٥]. وليس للمتكلم أن يزيدها في المواضع السالفةِ متى أراد دون أن يحتاج إلى التوكيد، فــإذا كــان مخاطبُه خاليَ الذّهنِ من الخبر، اكتفى بإلقاء الكلامِ دونما توكيدٍ، وإذا كان مخاطبُه يــشكّ في الكلام أو يُنكِره، زاد المتكلمُ في تركيبه (أنْ) فلو قلت: (لمّا أنْ جاءني زيــدٌ أكرمتــه) عُلِم أنّ مَنْ تحدّثه يشكّ، أو يُنكِر أنّ الإكرام منك لزيد قد وقع حين جاءك فــي الماضــي، وممّا جاءت

فيه (أنْ) في دواوين الشعراء الخمسة قولُ أبي ماضي[٦]:

رَمَتْكَ يدُ الزّمانِ بِشَرٍّ سَهْمٍ   فلمّا أنْ قَضَيْتَ بكى الخَؤُونُ

---

(1) مجهول، ينظر، ارتشاف الضرب، ج١٦٩١/٤، وشرح جمل الزجاجي، ج١٧٦/٢، وأوضح المسالك، ٦٢٠، ومغني اللبيب، ٥٠-٥١.
(2) المقسَّم: الجميل، تعطو:تتناول أطراف الشجر، والبيت كما ذكر ابن هشام لباغت أوعلباء أوأرقم اليشكري، المغني، ٥١.
(3) غير موجود في الديوان، مغني اللبيب، ٥١.
(4) ينظر، الكتاب، ج١٠٧/٣، ج٢٢٢/٤، والمقتضب، ج١٨٨/١، ج٣٥٩/٢، والأصول في النحو، ج٢٣٧/١-٢٣٨، ومعاني الحروف، ٧٣، والأزهية،٦٨، والمفصل، ٤٠٥، وشرح المفصل، ج١٣٠/٨-١٣١، وشرح جمل الزجاجي، ج١٧٦/٢، وارتشاف الضرب، ج١٨٩٧/٤،١٦٩١، والبرهان في علوم القرآن، ج٥١/٣، والنحو الوافي، ج٢٢١/٤-٢٢٢.
(5) شرح المفصل، ج٢٠/٧، وارتشاف الضرب، ج١٦٩١/٤.
(6) الديوان، ٥٥٥.

والأصل (فلمّا قضيت بكى الخؤون) وهذا تركيبٌ خالٍ من الزيادة، ومُوَجَّهٌ إلـــى متلـــقٍّ غيرِ متردّدٍ ولا منكرٍ، ولمّا لمس الشاعرُ التردّدَ أو الإنكارَ ممّن يخاطبه، لـــزمَ أن يحتـــاط لمعناه الذي بناه على الشرط، فقد أخبر الشاعرُ أنّ الخؤونَ قد وقع منـــه البكـــاءُ بعـــد أن قضى، ومات أخوه طانيوسُ أبو ماضي، وكأنه رأى التردّدَ والشكَّ، فأراد تثبيـــتَ المعنـــى وتوكيدَه، فزاد (أن) بعد (لمّا) الظرفية، وهو موضعٌ تجيز القاعدةُ النحويةُ زيادتَهـــا فيـــه، وليس لـــ (أنْ) في هذا الموضع أثرٌ إعرابيٌّ فيما بعدها، ولاتأثيرَ لزيادتها فـــي العلاقـــات النحويةِ القائمةِ في التركيب قبل أن تُزاد. وليس ثمّة احتمـــالاتٌ للمعنـــى والدلالـــةِ بعـــد زيادتها، فصار المعنى قطعيّاً يسير في الاتِّجاه الذي رسمه الشاعرُ، وليس للمتلقّي ســـوى أن يقبل به. وقال السيّاب(١):

ولَمّا أنْ رَأَتْني بادَرَتْني   بأنظارٍ لَقِيتُ بها الْعَذَابا

(أنْ) في الشطر الأوّلِ زائدةٌ لا عملَ نحويّاً لها من حيث الشكلُ والإعرابُ؛ لأنها وقعت بعد (لمّا) الظرفيّة، والغرضُ من زيادتها في هذا الموضعِ الاحتيـــاطُ للمعنـــى وتوكيـــدُه. فالشاعرُ يخبرعن حدثين ماضيين تسبّبَ وقوعُ الثاني عن حدوث الأوّل، فقد بادرَتْهُ الفتـــاةُ بأنظار سبّبتْ له العَذابَ. فلمّا خمَّنَ الشاعرُ أنَّ المتلقّي شكَّ فيما أخبره به من وقوع هـــذين الحدثينِ، احتاج إلى تقرير وقوعِهما وتوكيدِهما، وأنّهما قد حدَثا فـــي الحقيقـــة والواقـــع، وليسا حدَثَين من تصوُّر الشاعرِ وخيالاتِه، فزاد (أنْ) ليثبـــتَ هـــذه المعـــاني والـــدلالات، وينفي، ويُزيلُ من نفس المتلقّي كلَّ ما من شأنه ألّا يَلْفِتَهُ إلى ما أراد الشاعرُ. وفي زيادتها دلالةٌ على اهتمام الشاعرِ بالمتلقّي، ومحاولتُه إقناعَه بمعانيه، ولـــيس للتركيـــب الطبيعـــيّ (ولمّا أن رأتني...) أنْ يؤدّي هذه الدلالاتِ والإيحاءاتِ. ويتّضحُ بهذا أنّ العـــدولَ مـــن تركيب إلى تركيب جديدٍ لا يكون إلّا لمعنى إضافيّ يؤدّيه التركيبُ الجديدُ.

٤- زيادة الباء:

---

(1) الديوان، ٤٦٨.

الباءُ حرفُ جرٍّ أصليٍّ يجرُّ الظاهرَ والمضمرَ، وتجوز زيادتُها لغرض التوكيدِ في مواضع متعدِّدةٍ، منها المبتدأُ (حسبُ) نحو (بحسبك أن تفعل) والأصل (حسبُك أن تفعل) وقولُ الأشعر الرقبانيّ الأسديّ[١]:

بِحسْبِكَ في القوْم أنْ يَعْلَمُوا بأنّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرْ

فزاد الباءَ في المبتدأ (حسب) ليؤكّد للمخاطب أنه يكفيه من قومه أن يعلموا منه أنه يملك المالَ، وأنه ليس في حاجة إليهم، وأنه يستطيع أن يضرّهم، وفي المبتدأ بعد (إذا) الفجائيّة لتوكيد معنى المفاجأةِ فيها، نحو (خرجتُ فإذا بزيدٍ) والأصلُ (فإذا زيدٌ) توكيداً أنّك تفاجأتَ بوجود زيدٍ لدى خروجِك ومنها اسمُ (ليس) إذا كان مصدراً مؤوّلاً؛ لأن أصله مبتدأ، نحو قول محمود بن حسن الورّاق[٢]:

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأنَّ الْفَتَى يُصابُ بِبَعْضِ الّذِي في يَدَيهِ

فالباءُ زائدةٌ في (أنّ الفتى يصاب) لأنه اسمُ (ليس) وهو مصدرٌ مؤوّلٌ أصلُه المبتدأُ، وزادها ليؤكِّد معنى العجبِ من أن يلحق الضّررُ بالإنسان من الأشياء التي يفعلها بيديه. ومنها خبرُ (ليس) لتوكيد معنى النفيِ، نحو (ليس زيدٌ بقائمٍ) فنفيتَ صفةَ القيامِ عن زيدٍ، ولمّا رأيتَ من مخاطبك علاماتِ الشكّ، أكَّدْتَ له نفيَك القيامَ عن زيدٍ بزيادة الباء في الخبر (قائم) ومنها قولُه تعالى:﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾[٣] فزاد الباءَ في الخبر (بربّكم) لينفي الشكَّ، ويحملَهم على التقرير والاعتراف بأنه ربُّهم. ومنها خبرُ (ما) النافية التي تعمل عملَ (ليس) وذلك حملاً على زيادتها في خبر (ليس) لتوكيد معنى النفي، نحو (ما زيدٌ بقائمٍ) ونحو قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾[٤] فنفى على لسانهم أن يكون مؤمناً، فلمّا ظهرتْ علاماتُ الشكّ

---

(1) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج٤٨/١، والخصائص، ج٢٨/٢، وشرح المفصل، ج١١٤/٢-١١٥.
(2) ينظر، مغني اللبيب، ١٤٨.
(3) الأعراف، ١٧٢.
(4) يوسف، ١٧.

والتَّردّدِ على وجه المخاطبِ، زاد الباءَ في الخبر(بمؤمن) توكيداً لعدم الإيمان، ومثله قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

ومنها خبرُ (أنّ) إذا سبقها نفيٌ، وكان الخبرُ بعيداً عنها؛ لأنهم يجعلونهـا فـي معنـى (ليس)(٢) نحو قوله تعـالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) فزاد الباءَ في الخبر (بقـادرٍ) وهـو خبـرُ (أنّ) المسبوقة بنفي في صدر الآية، وذلك توكيداً لقدرة اللهِ تعالى على أنه يستطيع إحياء الموتى مرّةً أخرى كما كان في قدرته خلقُ السماوات والأرض، أو غيرُ المسبوقة بنفي، نحو قول امرىء القيس(٤):

فإنْ تنْأَ عَنْها حِقْبةً لا تُلاقِها فإنّكَ ممّا أَحْدثْتَ بالمُجَرِّبِ

فالأصلُ (فإنّك المجرِّبُ) فزاد الباءَ في الخبر (بالمجرِّبِ) توكيداً اتِّصافَ الاسـمِ كـافِ الخطاب بصفة المجرِّبِ. ومنها خبرُ (كان) المنفيّة، نحوُ قول الشّنفرى الأزْديّ(٥):

وإنْ مُدَّتِ الأيدي إلى الزّاد لم أَكُنْ بأعْجَلِهِمْ إذْ أجْشَعُ القَوْمِ أعْجَلُ

فزاد الباءَ في الخبر (بأعجلهم) ليؤكِّد أنّ العجلة منه إلى الطعام لا تكون. ومنها الحـالُ المنفيّةُ، نحو قول القحيف العقيليّ(٦):

فَمَا رَجَعَتْ بِخَائِبَةٍ رِكابٌ حَكِيمُ بْنُ المُسَيَّبِ مُنْتَهَاهَا

---

(1) الشعراء، ١١٤.
(2) ينظر، الكتاب، ج٤/٢٢٥، والخصائص، ج٢/٢٨٢، والمفصل، ١٠٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٧٠-٢٧١، وشرح المفصل، ج٢/١١٤-١١٦، ج٨/٢٣-٢٥، ١٣٨-١٣٩، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٥٠٢، وارتشاف الضرب، ج٣/١٢١٥-١٢١٩، ومغني اللبيب، ١٤٤-١٥٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٥٥-٥٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/٢٨٨، ج٣/٧٥، ١٩٩-٢٠٠، ٢٧٠، والنحو الوافي، ج١/٦٥، ٥٣٥-٥٣٦، ٥٥٠-٥٥٢.
(3) الأحقاف، ٣٣.
(4) الديوان، ٤٨.
(5) الشنفرى، لاميّة العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٥م، ٨٩،٧٠.
(6) ينظر، ارتشاف الضرب، ج٣/١٢١٩، ومغني اللبيب، ١٤٩.

فزاد الباءَ في الحال (بخائبةٍ) لأنه نفى رجوعَ الرِّكابِ التي تقصد حكيمَ بن المسيَّب خائبةً، ثمَّ أكَّد هذا المعنى، وقوّاه بزيادة الباءِ، وكأنه لمس شكّاً من السّامع فيما يقول، وقول رجل من

طيِّيء(١):

كَائنْ دُعِيْتُ إلى بَأْسَاءَ دَاهِمَةٍ   مَا انْبَعَثْتُ بِمَزْؤُودٍ ولا وَكَلِ

أراد (فما انبعثْت مُزؤوداً) فزاد الباءَ في الحال (بمزؤود) لِيؤكِّد، ويُقوِّي عدمَ انبعاثه في هذه الحالة، فلجأ إلى التغيير وإلى زيادة عنصر الباء في التركيب؛ لأنّ التركيب الطبيعيّ عجزَ عن أن يوصله إلى المعنى الذي يريد.

ومنها فاعلُ (كفى) نحوقوله تعالى:﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٢) والدليلُ على أنها زائدة في هذا الموضعِ عدمُ زيادتها في قول سحيم(٣):

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تجهَّزْتَ غازِياً   كَفَى الشَّيْبُ والإسلامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

ومنها فاعلُ (يأتي) على غير قياس، نحو قيس بن زهير العبسيّ(٤):

أَلَمْ يَأْتِيكَ والأنْباءُ تَنْمِي   بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بني زِيَادِ

والأصل (ألم يأتيك ما لاقت٠٠٠) فزاد الباءَ في الفاعل (ما) لأنه أراد توكيدَ معنى التقريرِ الذي أفادته همزةُ الاستفهام المتلوّةُ بـ (لم) المنفيّة(٥). ومنها الفاعلُ إذا كان مصدراً مؤوّلاً، نحوُ قول امرىء القيس(٦):

---

(1) ينظر، ارتشاف الضرب، ج١٢١٩/٣، ومغني اللبيب،١٤٩.
(2) الرعد، ٤٣.
(3) عبد بني الحسحاس، سحيم،الديوان، تح:عبد العزيز الميمني، دارالكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م، ١٦.
(4) ينظر، معاني الحروف، ٣٧-٤٠، وشرح المفصل، ج٢٣/٨-٢٥، وشرح جمل الزجاجي، ج٥٠٢/١.
(5) ينظر، الكتاب، ج٢٢٥/٤، والخصائص، ج٢٨٢/٢، والمفصل، ١٠٤، والمتبع في شرح اللمع، ج٢٧٠/١-٢٧١، وشرح المفصل، ج١١٤/٢-١١٦، ج٢٣/٨-٢٥ ،١٣٨-١٣٩، وشرح جمل الزجاجي، ج٥٠٢/١، وارتشاف الضرب، ج١٢١٥/٣-١٢١٩، ومغني اللبيب، ١٤٤-١٥٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٥٥/٣-٥٦، وجامع الدروس العربية، ج٢٨٨/٢، ج١٩٩/٣-٢٠٠، والنحو الوافي، ج٦٥/١، ٥٣٥-٥٣٦ ،٥٥٠-٥٥٢.
(6) الديوان، ٨٦.

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا والْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بأنَّ امْرأَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرا[١]

والأصلُ (هل أتاها أنّ امرأ القيس٠٠٠) فزاد الباءَ؛ لأن الفاعل (أنّ امرأ٠٠٠بيقرا) مصدرٌ مؤوّلٌ؛ ولأنه أراد توكيدَ معنى وقوعِ الفاعلِ في البيقرة. ومنها فاعلُ فعلِ التعجبِ المُحوّلِ إلى صيغة (فَعُلَ) نحو (ضَرُب بزيدٍ، وحَسُن بخالدٍ) والأصلُ (ضرُبَ زيدٌ، وحسُن خالدٌ) إذا قُصِد معنى التعجّبِ، وذلك توكيداً لمعنى التعجّب في المتعجّب منه[٢]. ومنها المفعولُ به سواءٌ أكان اسماً صريحاً، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[٣] فزاد الباء في المفعول به (أيديكم) لِيقوّي معنى النهيِ والتّعديةِ بين الإلقاءِ والأيدي، وقول النابغة الجعديّ[٤]:

نحنُ بنو جَعْدَةَ أرْبابُ الْفَلَجْ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ ونَرْجُو بالفَرَجْ

فزاد الباءَ في المفعول به (الفرج) توكيداً لمعنى رجائهم الفرجَ، وكأنّ المخاطب لا يتوقَّع منهم ذلك، أو يشكّ فيه، أم كان مصدراً مؤوّلاً، نحو قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٥] فزاد الباء في المفعول به (أنّ الله يرى) لأنه مصدرٌ مؤوّل؛ ولأنه أراد تقويةَ تعديةِ فعلِ العلمِ إليه. ومنها التوكيدُ المعنويُّ إذا كان كلمتي (نفس وعين) نحو (جاء زيدٌ بنفسِه، وجاء زيدٌ بعينِه) والأصل (جاء زيدٌ نفسُه، وجاء زيدٌ عينُه) فزاد الباءَ تقويةً لمعنى التوكيدِ فيهما، فزاد توكيداً على التوكيد، وكأنه لمس من المخاطب إنكاراً، فاحتاج إلى التوكيد بالباء[٦]. وقد كثرت في دواوين الشعراء الخمسة زيادةُ الباء دون أن تشمل كلَّ حالاتِ زيادتِها. قال أبو ماضي[٧]:

---

(1) بيقرا، أقام بالحضر وترك البادية.
(2) ينظر، شرح جمل الزجاجي، ج١/٦٠١.
(3) البقرة، ١٩٥.
(4) الديوان، الجعدي، النابغة، تح:عبد العزيز رباح، ط١، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ٢١٥-٢١٦.
(5) العلق، ١٤.
(6) ينظر، الكتاب، ج٤/٢٢٥، والخصائص، ج٢/٢٨٢، والمفصل، ١٠٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٧٠-٢٧١، وشرح المفصل، ج٢/ ١١٤-١١٦، ج٨/٢٣-٢٥، ١٣٨-١٣٩، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٥٠٢، وارتشاف الضرب، ج٣/١٢١٥-١٢١٩، ومغني اللبيب،١٤٤-١٥٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٥٥-٥٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/٢٨٨، ج٣/١٩٩-٢٠٠، والنحوالوافي، ج١/٦٥، ٥٣٥-٥٣٦، ٥٥٠-٥٥٢.
(7) الديوان، ١٠٦.

بيْنا تُصافِحُ مَنْ يُصافحُها إذا بدُمُوعِها سَحَّتْ فَصافَحَتِ الثَّرَى

والأصل (إذا دموعُها سحَّتْ) فــ (إذا) فجائيةٌ، والباءُ بعدها زائدةٌ، و (دموعُها) مبتــدأٌ، والقاعدةُ النحويّة تجيز زيادتَها في المبتدأ بعد (إذا) الفجائية؛ لتوكيد معنى المفاجــأةِ التــي عبّرتْ عنه. فالشاعرُ يَصِفُ لقاءً بين حبيبين، ويخبرُ أن الفتاة قد سالت دموعُهــا بغــزارة من عينيها فجأةً، وذلك في اللحظة التي كانت تصافح حبيبَها، فأراد أن يحتاط لهذا المعنى، وهو سيلانُ الدموعِ فجأةً من عيني الفتاة، فزاد الباءَ في المبتدأ (دموعُها) فنقله من حيــث الشكلُ من الرّفع إلى الجرّ دون أن يغيِّر موقعَه الإعرابيّ، فظــلّ محافظــاً علــى معنــى الابتداء، ونشأتْ بينهما علاقةُ جارّ ومجرورٍ شكليّةٌ دون أن يحتاجا إلــى تعليــق، ولمّــا زادها، أكّد مضمونَ المعنى الذي عبَّر عنه، ولم يترك مجالاً للمتلقّي للشكّ أو للتردّد فــي قبول مضمونِ التعبيرِ. وقال بدر الدين الحامد (١):

وإذا باليهودِ في دَارةِ الأَقْصَى وفوقَ الْبِطاحِ من حِطِّينِ

فالباءُ في الشطر الأوّلِ زائدةٌ، ولها عملُ الجرِّ من حيث الشكلُ في المبتدأ (اليهودِ) دون أن تسلبه معنــى الابتداءِ، وهي زائدةٌ ؛ لوقوعها بعد (إذا) الفجائية؛ ولدخولها على المبتدأ بعدها. والغرضُ من زيادتها توكيدُ معنى المفاجأةِ والإسنادِ بين المبتدأ (اليهــودِ) وخبــرِه المحذوفِ، فالشاعرُ يخبرُ أنّ اليهود فجأةً صاروا يملؤون ساحة المسجد الأقــصى وأرض فلسطين التي شهدتْ معركةَ حطّين، ولمّا لمس الشّكَّ والتردّدَ من المتلقّي في قبــول هــذا المعنى، أكَّده بزيادة الباءِ التي ليست في الأصل من بنية التركيب. وقال البارودي(٢):

تَاللهِ لسْتَ بِهَالِكٍ جُوعَاً ولا لاقٍ وإنْ طَوَّفْتَ إلّا رِزْقَكَا

ليست الباءُ في الشطر الأوّل أصليّةً، وإنّما زائدةٌ؛ لأنها وقعت في خبر (ليس) والأصــلُ (لستَ هالكاً) فنقلتِ الخبرَ (هالكاً) من النصب إلى الجرّ دون أن تغيِّر موقعَــه الإعرابــيّ وعلاقتَه بالاسم التّاءِ المتحرِّكةِ وبــ (ليس) الناقصةِ. وزيادتُها لغرض التوكيدِ، فَقَــدْ أَقْــسَمَ

(1) الديوان، ج٢/٤١٤.
(2) الديوان، ج٢/٣٦٩.

الشّاعرُ، ونفى أن يهلك إنسانٌ بسبب الجوعِ، وكأنّ أحداً ممّن يخاطبُهُم قد ردّ عليه هذا النفيَ، أو توقّع أنه يردُّه عليه، فأراد تثبيتَه ونفيَ الشّكِّ عنه، فأكَّدَه بالباء الزائدةِ، وكأنّه قد أعاد التعبيرَ مرّتين، ولم يدعْ للمتلقّي سوى أنْ يسلِّم به. وقال السياب[1]:

هَيْهاتَ لَسْتُ بتاركٍ هَذَا الْهَوَى لا الصَّدُّ يُورِثُني السُّلُوَّ ولا النَّوى

زادَ الشّاعرُ الباءَ في خبر(ليس)والأصلُ(لستُ تاركاً هذا الهوى)فتركَ الخبرُ النصبَ إلى الجرّ من حيث الشكلُ، وظلَّ محافظاً على محلِّه الإعرابيّ الأصلِ، وعلى علاقتِه النّحويّةِ بالاسم التاءِ المتحركةِ وبالفعل الناقص (ليس). والزيادةُ غرضُها توكيدُ معنى النَّفْيِ الذي عبّر عنه بـ (ليس) فقد نفى الشاعرُ بـ (ليس) أن يترك الهوى، ولمّا خمَّن أنّ مخاطبه لا يَقبلُ منه هذا النفيَ، ويشكّ فيما زعمه الشاعرُ، أراد أن يحتاط لمعناه، ويُبعِد عنه الشّكوكَ والظُّنون، ويجعله يسيرُ في الاتّجاه الذي يريد، فزاد الباءَ؛ لِيقوّي معنى النّفيِ الذي عبّرَ عنه التركيبُ الذي شكَّله، ورتَّبَ عناصرَهُ النحويَّةَ فيه لهذه الغايةِ. ثمّ هو بهذا التوكيدِ الذي أفاده بزيادة الباء يبعثُ في نفس مَنْ يحبُّ الاطمئنانَ والسّكينةَ والرّاحةَ والخلودَ إلى الدَّعة، ويطرد عنها القلقَ والاضطرابَ والخوفَ والحذرَ. وقال الشابّي[2]:

ثُمَّ أنْساكَ ما استَطَعْتُ فما أنتَ بأهلٍ لِخمْرتي ولِكَأْسِي

ليست الباءُ أصليةً في قول الشاعر: (فما أنت بأهل) بل زائدةٌ؛ لأنها دخلتْ على خبر (ما) النافيةِ العاملةِ عمل (ليس) فنقلَتْهُ من النصب إلى الجرّ دون أن تغيِّرموقعَه الإعرابيَّ الأصلَ، فما زال خبراً لـ (ما) وعلاقتُه لم تتغيَّر بها وبالاسم (أنتَ) وزادها الشاعرُ؛ ليؤكِّد معنى النفيِ الذي عبَّرت عنه (ما) فقد نفى الشاعرُ أن يكون الشعبُ الذي يخاطبه أهلاً لمنادمة الشاعرِ ومصاحبته؛ لأنه سلبيٌّ لا يثورُ، وأراد أن يؤكِّد جِدِّيَّتَه في هذا القرارِ،

---

(1) الديوان، ٤٧٥.
(2) الديوان، ٢٤١.

وألّا يترك مجالاً للشكّ فيه، فزاد الباءَ تقويةً لهذا المعنى الذي قد يتنبَّهُ الشّعبُ له، فيتحـرَّك ويثورُ، فيكونُ الشاعرُ قد وصل إلى ما أراد. وقال البارودي[١]:

جُدْ بالنَّوالِ فَرِزْقُ اللهِ مُتَّصلٌ   ولا تكُنْ عن صَنيعِ الْخَيْرِ باللّاهِي

فالباءُ في الشطر الثاني زائدةٌ؛ لأنها دَخَلَتْ على خبر (تكن) المنفيّة، والأصلُ (ولا تكـن اللاهيَ عن صنيع الخيرِ) وهذا موضعٌ تجيز القاعدةُ النحويّةُ زيادتَها فيه، وزيادتُها نقلـتِ الخبرَ من الرفع إلى الجرّ دون أن تؤثّر في موقعه الإعرابيّ، فلفظُه الجرُّ بـسبب دخـول الباء الزائدةِ عليه، ومحلُّه النصبُ؛ لأنه خبرُ (تكن) الناقـصةِ. والغـرضُ مـن زيادتهـا التوكيدُ، وتقويةُ معنى النَّهي الذي عبَّرَ عنه الفعلُ (لا تكن) فالـشاعرُ ينهـى عـن اللّهـو والانصرافِ عن فعل الخيرِ وصُنْعِهِ، ويطلب الإقبالَ عليه، فأراد أن يمعـنَ فـي نهيِـه، ويحثَّ على الإقبال على عكسه، وهو فعلُ الخيرِ؛ لأنه أمرٌ مُستَحَبٌّ، فزاد الباءَ. وزيادتُهـا في الخبر المنهيِّ هنا محمولةٌ على زيادتها في الخبر المنفيِّ. وقال أبو ماضي[٢]:

قَالَتْ أظنُّكَ قَدْ نَسيتَ فقلتُ:لا   ما كُنْتُ بِالنَّاسِي ولا المُتَنَاسِي

زاد الشاعرُ الباءَ في خبر (كان) المنفية بـ (ما) متَّبِعاً القاعدةَ النحويّةَ التي تجيزُ ذلـك، فزاد في بنية التركيبِ عنصراً نحويّاً ليس منه في الأصل دون أن تؤثّر زيادتُها في العلاقة النحويّةِ القائمةِ بين الخبرِ (الناسي) والفعلِ الناقصِ المنفيِّ (كان) واسمِهِ التـاءِ المتحرّكـةِ. وزادَهَا الشاعرُ؛ لِيُؤكِّد نفيَ النسيان الذي لم يكن منه، ويقوِّيه، ويُزيلَ الشكَّ والظَّـنَّ مـن نفس حبيبتِهِ التي اتَّهمَتْهُ بذلك في الشطر الأوّلِ. فحبيبتُه هي المتلقّي، وهي مَنْ يوجَّه إليهـا الخطابَ، ولمّا كانت في موضع الشكِّ والاتِّهامِ له والتردُّد، ناسبَ هذا المقامُ أن يلقيَ عليها التركيبَ مؤكَّداً لِيُعيدَ الاطمئنانَ والهدوءَ والسّكينةَ والرّاحةَ والثِّقةَ إليها، وفي ذلـك دلالـةٌ على اهتمامه بها وحبّه لها، وبذلِه جهدَه لإقناعها أنه مازال يذكرها. وقال البارودي[٣] :

---

(1) الديوان، ج١٨٣/٤.
(2) الديوان، ٣٩٤.
(3) الديوان، ج٣٣/١.

ولَوَتْ بوعْدِكَ بعدَ طولِ ضَمانِهِ   ومن الوعودِ خِلابَةٌ ما تُقْتَضَى[١]

ليست الباءُ في قوله: (ولَوَتْ بوعدك) أصليّةً، بل زائدةٌ؛ لأنها دخلتْ علـى المفعـول بـه (وَعْدِ) فنقلَتْهُ من النصب إلى الجرّ دون أن تلغي موقعَه الإعرابيّ الأصلَ، فظلّ محافظـاً على علاقة التّعديةِ بينه وبين الفعل (لوت). والزيادةُ غرضُـها توكيـدُ معنـى التركيـبِ وتقويتُه، فقد أخبر الشاعرُ أن الحبيبةَ أخلفَتْ وعدَ الشاعرِ لها، ولوَتْهُ، فوعدتْ دون أن تفيَ بالوعد، فزاد الباءَ في المفعول به ليؤكِّد ويقوّي علاقةَ التعديةِ بين الفعلِ (لوتْ) الذي أَسْنَدَهُ إلى الحبيبة، وبين المفعول به (وعْدِ) الذي أضافَه الشاعرُ إلى كاف الخطاب، وقـصدَ بـه نفسَه. وقال بدر

الدين الحامد[٢]:

ما كَذَبْنَا ولا نَكَثْنا بِعهْدٍ   وَصَبرْنَا على الأَذَى والتَّحدِّي

الباءُ في قول الشاعر: (ولا نكثنا بعهد) زائدةٌ؛ لأنها دخَلَتْ على المفعول بـه، وجـاءت زيادتُها في سياق النفي، والأصلُ (ولا نكثنا عهداً) فزاد في بنية التركيبِ عنـصراً نحويـاً ليس منه في الأصل دون أن يكون له أثَرٌ في تغيير العلاقاتِ النحويّةِ القائمةِ في التركيب، فما زالت علاقةُ التعديةِ المنفيّةُ قائمةً بين الفعل (لا نكث) المسندِ إلى (نـا) الدّالّـة علـى الفاعلين، وبين المفعول به (عهْدِ). وزادها؛ ليؤكِّد نفيَ التعديةِ بين الفعل (لا نكث) وفاعلـه (نا) وبين المفعول به (عهدٍ). فنفى الشاعرُ في البداية نَكْثَ الفاعل (نا) للعهد، فلمّا رأى أن ذلك غيرُ كافٍ لإقناع المتلقّي الذي لَحَظَ عليه الشّكَّ والتّردّدَ في قبول هذا المعنـى، أكّـد بزيادة الباء احتياطاً للمعنى. وقال البارودي[٣]:

لم يَنْظِمِ الْحُوشِيَّ عُجْباً به   ولم يُسَمِّ الْوَرْدَ بالْحَوْجَم [٤]

(1) لوت بالوعد: أخلفته، وخِلابة: خدّاعة، والمعنى أنّ الحبيبة لا تفي بوعودها.
(2) الديوان، ج١/٢٩٨.
(3) الديوان، ج٣/٥٥٨.
(4) حُوشيّ الكلام: غريبه ووحشيُّه، والحَوْجَم: الورد الأحمر، وحدته: حَوْجَمَة.

والأصل (لم يسمِّ الوردَ الحوجمَ) فالباءُ زائدةٌ؛ لأنها دخلت على المفعول به الثاني للفعل المنفيّ (لم يسمِّ) والفعلُ (سمَّى) يتعدّى إلى مفعولين، وجاءت زيادتُها في سياق النفـــي دون أن تُغيِّر في علاقة التعديةِ المنفيَّة بين الفعل المنفيِّ (لم يُسمِّ) والمفعول به الثاني (الحوجم). وزادها؛ ليؤكِّد عدمَ وقوعِ فعلِ التّسميةِ من الفاعل (هو) على المفعولين؛ لأن المتلقّي علـــى ما يبدو من تشكيل التركيب لايُسلِّم بما يقول الشاعرُ، ويشكُّ فيه، ويتـــردَّدُ فـــي تـــصديقه. وقال البارودي(١):

واعْلَمْ بأنَّ الْمَرْءَ ليس بِخَالِدٍ　　والدَّهْرُ فيه صِحَّةٌ وسَقَامُ

ليست الباءُ الداخلةُ على (أنّ) أصليّةً، وإنّما زائدةٌ؛ لأنها دخلت علـــى (أنّ) المـــصدريةِ التي

هي ومعمولاها مصدرٌ مؤوّلٌ سدَّ مسدَّ مفعولي الفعل (اعلمْ) الذي يتعدّى إلـــى مفعـــولين، والأصلُ (اعلمْ أنّ المرءَ ليس بخالدٍ) ولمّا قدّر الشاعرُ أنّ أحداً قد ينكر عليه هذا المعنـــى معنى عدمِ خلودِ المرءِ ولا يريد أن يَعلَمَهُ، ويُقِرَّ به، رأى أنه من الأنسب أن يؤكِّده بزيادة الباءِ في المفعول به الذي هو في صورة المصدرِ المؤوّلِ، وربّما أراد أن ينـــزِّل المتلقّـــي المسلِّم بهذه الحقيقةِ بمنزلة الُمنكرِ المُتردِّد، فأكَّد المعنى بزيادة الباء؛ لِيَزِيدَ تأثيره في نفـــس المتلقّي. وكذلك الأمر في زيادة الباء في خبر (ليس) في قوله (ليس بخالد).

والنتيجةُ أنّ الباءَ إنّما تزاد لغرض توكيد المعنى وتقويتـــه، ولا تـــؤثِّر زيادتُهـــا فـــي العلاقات النحويّةِ القائمةِ في التركيب، ويزيدها المـــتكلمُ إذا اقتنـــع، أو لمـــس أنّ التعبيـــر النمطيّ لايؤدِّي المعاني الإضافيّةَ التي يرغب في التعبير عنها.

٥- زيادة الفاء:

تجوز زيادةُ الفاء في خبر المبتدأ إذا تضمّن معنى الشرط، وذلك إذا كان اسماً موصولاً صلتُه جملةٌ فعليةٌ نحو (الذي يأتيني فله درهمٌ)، ونحو قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم

(1) الديوان، ج٣/٣٢٦.

بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[١]
وجازت زيادتُها؛ لأن المبتدأ(الذين)اسمٌ موصولٌ تضمّن معنى الشرط، وصلتُه (ينفقون أموالهم) جملةٌ فعليةٌ، وتجوز زيادتُها في هذا السياقِ إذا كانت الصلةُ شبهَ جملةٍ، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾[٢] فزاد الفاءَ في الخبر (فمن الله) لأن المبتدأ (ما) اسمٌ موصولٌ تضمّن معنى الشرط، وصلتُه (بكم من نعمة) شبهُ جملةٍ. وتجوز زيادتُها إذا كان المبتدأُ نكرةً دالَّةً على عموم موصوفةً بجملة فعليةٍ أو شبهِ جملةٍ، نحو (كلُّ رجلٍ يأتيني فله درهمٌ) فجازت زيادةُ الفاءِ في الخبر (فله درهمٌ) لأن المبتدأ (كلٌّ) نكرةٌ دالّةٌ على عموم، وصفتُها (يأتيني) جملةٌ فعلية، ونحو (كلُّ رجلٍ في الدّار فله درهمٌ) فزاد الفاءَ في الخبر (فله

درهمٌ) لأن المبتدأ (كلٌّ) نكرةٌ دالَّةٌ على عموم، وصفتُها (في الدّار) شبهُ جملةٍ[٣].

وتكون الزيادةُ للفاء في هذا الموضعِ لمعنى يريده المتكلمُ، ولا يستطيع التركيبُ النمطيُّ تأديتَه، فلو قال: (الذي يأتيني له درهمٌ) احتمل كلامُه معنيين، الأوّلُ أنّ الآتي يملك الدّرهمَ قبل أن يأتي، والثاني أن الآتي لا يملك الدرهمَ، ويحصل عليه من المتكلم إذا أتاه، فالتركيبُ ذو معنى احتماليّ ودلالتُه ليست قطعيةً، وإذا قال: (الذي يأتيني فله درهمٌ) بزيادة الفاء في الخبر، نقل الكلامَ إلى الدلالة القطعيّةِ، وحصرَهُ في معنى واحدٍ، هو أن الآتي يحصل على الدرهم إذا أتى المتكلمَ، وهو لا يملكه قبل ذلك، فقد اشترطه المتكلمُ عليه لَمّا شَبَّهَ اسمَ الموصولِ بأداة الشرط، وجاز له هذا التشبيهُ؛ لأن الاسمَ الموصولَ والنكرةَ الموصوفةَ في هذا السياقِ يتضمّنان الإبهامَ وبابُ الشرط مبنيٌّ على الإبهام، والأمرُ كذلك في الآية الكريمةِ، فنيْلُ الأجرِ من الله يتوقَّف على إنفاق الأموالِ في الليل والنهارِ في حالتي السرّ والعلنِ. وتجوز زيادتُها في خبر (إنّ) إذا كان اسمُها موصوفاً

---

(1) البقرة، ٢٧٤.
(2) النحل، ٥٣.
(3) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج٨٤/١، وشرح المفصل، ج٩٩/١، وجامع الدروس العربية، ج٢٧٠/٢.

باسمٍ موصول، صلتُه جملةٌ فعليةٌ أو شبهُ جملة[١]، نحو قولــه تعــالى:﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ﴾[٢] جازت زيادةُ الفاء في (فإنه ملاقيكم) خبرِ (إنّ) لأن اسمَها (الموتَ) موصوفٌ باسم الموصول (الذي) وصلتُه (تفرّون منه) جملةٌ فعليةٌ؛ ولأنه أَشْــبَهَ الشرطَ من ناحية أخرى، فالغرضُ هو توكيدُ اتِّصافِ الاسمِ بالخبر، ويكون ذلك إذا لمــس المتكلمُ شكَّ المتلقِّي فيما يقول، أو أراد الإمعانَ في تخويفه أوترغيبِه. وتجوز زيادتُها فــي جواب (إذا ولمّا) الشرطيتين، فمن زيادتها في جواب (إذا) الــشرطية قــولُ النّمــر بــن تَوْلب[٣]:

لا تَجْزَعِي إنْ مُنْفِساً أهْلَكْتُهُ فَإذا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي

فإحدى الفاءين زائدةٌ، وجازت زيادتُها؛ لأنها في حيِّز (إذا) الــشرطية، والــرَّأْيُ أنهــم أجازوا زيادتَها في هذا الموضعِ حملاً لــ (إذا) على (إنْ) الشرطية، فكلتاهمــا مــن بــاب الشرط، وكلتاهما تُخلِّصان فعلَ الشّرطِ وجوابَه للمستقبل، ومن زيادتها بعد (لمّا) الــشرطية قولُ الشاعر[٤]:

لَمّا اتَّقَى بِيَدٍ عَظِيمٍ جِرْمُها فتَرَكْتُ ضاحيَ كَفِّه يتَذَبْذَبُ

فالفاءُ زائدةٌ في الجواب (فتركتُ) وهو جوابُ (لمّا) الشرطية، وذلــك لغــرض توكيــدِ معنى التَّرْكِ من الفاعل التاءِ المتحرِّكةِ لضاحي كفِّ الخصمِ. وتجوز زيادتُها فــي صــدر جملةِ القولِ، نحو قول حاتم الطّائيّ[٥]:

وحتّى تركْتُ العائداتِ يَعُدْنَهُ يقُلْنَ: فلا يَبْعَدْ وقلْتُ له: ابْعَدِ

---

(1) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج٨٤/١، وكتاب الشعر، ج٧٧/١-٧٨، ومعاني الحروف، ٤٥-٤٦، والأزهية، ٢٤٧، والمتبع في شرح اللمع، ج٢٤٨/٢، وشرح المفصل، ج٩٩/١، ج٩٢/٢، وجامع الدروس العربية، ج٢٧٠/٢، ج٢١٩/٣.
(2) الجمعة، ٨.
(3) ابن تولب، النمر، الديوان، تح: نوري حمّودي القيسيّ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ٧٢.
(4) مجهول القائل، ينظر، الأزهية، ٢٤٧.
(5) الديوان، ٢٢٧.

فزاد الفاءَ في صدر جملةِ القــولِ لغــرض التوكيــد[١]، وأصــلُ التركيــب(يقلــنَ لا يبعد)فالتركيبُ (لا يبعد) من دون زيادة الفاءِ مقولٌ جرى في ســياقه الطبيعــيِّ النمطــيِّ لمخاطب خالي الذّهنِ، وتركيبُ (فلا يبعد) بزيادة الفاءِ لمخاطب لا يريد تــصديقَ النّهــي، ويشكُّ في جِدِّيَّة القائلِ. ووقفتُ على موضع واحد في ديوان البارودي جاءت فيــه الفــاءُ زائدةً، وهو قولُه[٢]:

أَلَا إنّ أخلاقَ الرِّجالِ وإنْ نَمَتْ   فَأَرْبَعةٌ مِنْهَا تَفُوقُ على الكُلِّ

والأصل (إنّ أخلاق الرجال أربعةٌ) فالفاءُ زائدةٌ؛ لأنها دخلت على خبــر (إنّ) دون أن تؤثِّر في موقعه الإعرابيّ، ودون أن يكون لها أثرٌ في تغيير العلاقاتِ النحويةِ القائمةِ فــي التركيب. وزيادتُها الغرضُ منها التوكيدُ وتقويةُ المعنى والاحتياطُ له، فقد أخبر الشاعرُ أنّ الرجال أخلاقُهم أربعةٌ، ولمّا لمس التردّد في قبول هذا المعنى من المتلقي، أكَّده بــــ (إنّ) ويبدو أن المتلقي أمْعَنَ في الشّكّ والظّنِّ والتّردّدِ، ولمّا كان يهمُّ الشاعرَ أن يقتنــع المتلقــي بما يقول، ويسلِّم بالمعنى الذي عبَّر عنه، زاد الفاءَ في الخبر (أربعةٌ) لِيُفِيد شــدَّةَ التــصاقِه بالاسم، وليقوِّي علاقةَ الإسنادِ القائمةَ بينهما، وأنّ ذلك حقيقةٌ وواقعٌ عبَّــر الــشاعرُ عنــه نتيجةَ درايةٍ وخبرةٍ، لا ادِّعاءٌ يدَّعيه. وهذه الدلالاتُ والإيحاءاتُ ليس للتركيــب النمطــيّ والتعبيرِ الطبيعيّ (إنّ أخلاق الرجال أربعةٌ) أن يؤدِّيها، أو يعبّرَ عنها. وزيادةُ الفــاء فــي هذا الموضعِ هي زيادةُ عنصرٍ نحويٍّ في بنية التركيب ليس منه في الأصل.

٦- زيادة الكاف:

تجوز زيادةُ الكاف بعد أسماء الإشارة، نحو (ذاك وذانك وذينك وتــاك وتيــك وتينــك وأولئك) نحو قوله تعالى:﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣] فالكافُ زائدةٌ فــي اســم الإشــارة (ذانك) وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾[٤] فالكافُ زائدةٌ في اسم الإشارةِ (ذلكما) وقوله

---

(1) ينظر، الأزهية، ٢٤٧.
(2) الديوان، ج٣/٢١٥.
(3) القصص، ٣٢.
(4) يوسف، ٣٧.

تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ ﴾(1) فزاد الكافَ في اسم الإشارة (ذلكم) وقوله تعالى:﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ ﴾(2) بزيادة الكافِ في اسم الإشارة (ذلكنّ). وتأتي الزيادةُ في هذا الموضعِ؛ لِيُنبِّه المتكلمُ المخاطبَ أنه المقصودُ بالإشارة دون غيره، وليلفت عنايتَه إلى أنّ المشارَ إليه ليس قريباً منه، ولولا زيادتُها، لاعتقد المخاطبُ أنّ المشارَ إليه قريبٌ منه، وهذا لايحتاج منه إلى جهد وعنايةٍ وانتباه كثير(3).

وتجوز زيادتُها بعد اسمِ فعلِ الأمرِ المحوّلِ عن المصدر؛ لغرض المخاطبةِ وتنبيهِ المتلقي إلى مضمون الكلامِ نحو (رويدَكَ زيداً) والدليلُ على أنها زائدةٌ في هذا الموضعِ زيادتُها في نحو (النَّجاءكَ يا فتى) المعرَّفة بالألف واللامِ؛ لأنه لاتجوز إضافةُ المعرَّف بالألف واللام، وتقول في الجمع: (رويدَكمْ) ولا يجوز أن تكون الكافُ ههنا في موضع الفاعل(4). كما تجوز زيادتُها في فعل الأمرِ المتعدِّي إلى مفعول به واحدٍ، نحو (أبْصِرْكَ زيداً) والأصلُ (أبْصِرْ زيداً) وزادها؛ لينبِّه المخاطبَ إلى علاقة التعدّي بين فعل الإبصارِ والمفعولِ به (زيداً) وليؤكِّد الطلبَ، فلو أورده على طبيعته، وقال: (أبصرْ زيداً) ظنّ المخاطبُ أنّ طلبَ الإبصار إلى زيدٍ طبيعيٌّ، وقد لايهتمُّ بالأمر، فلمّا كان من الضروريّ أن يُبصِرَ المخاطبُ زيداً، زاد المتكلمُ الكافَ حتّى لا يتركَ للمخاطب مجالاً للشكّ والتّرددِ والاحتمالِ. وتجوز زيادتُها في الفعل الماضي (رأى) المتَّصل بالتّاء المتحرِّكةِ والمسبوقِ بهمزة الاستفهامِ(5)، نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ ﴾(6) فزاد الكافَ ليؤكِّد معنى الرّؤية والطّلبِ، ونحو قولك: (أرأيتُك زيداً فافعلْ) تريد أن يرى المخاطبُ ما يفعل زيدٌ إذا كان أمراً عظيماً يستحقُّ الاهتمامَ والعنايةَ، أو كان المخاطبُ لايصدِّق ما فعلَ زيدٌ، وما صدرَ عنه؛ لأنه لم يُعهَدْ عنه أن يفعل ذلك، قال المبرِّدُ: "اعلمْ أنّ هذه الكافَ زائدةٌ زِيدتْ لمعنى المخاطبةِ، والدليلُ على ذلك أنك لو قلتَ: (أرأيتُك زيداً) فإنّما هي

(1) الأنعام، ١٠٢.
(2) يوسف، ٣٢.
(3) ينظر، الأصول في النحو، ج٢م/١٢٧، والمفصل/١٨١، وشرح المفصل، ج٣/١٣٤، ج٨/١٢٦-١٢٧، وأوضح المسالك، ٨٦، والنحو الوافي ج١/٢٩٢-٢٩٣.
(4) ينظر، المقتضب، ج٣/٢٧٩،٢٧٧،٢٠٩، والأصول في النحو، ج٢/١٣٠.
(5) ينظر، المقتضب، ج٣/٢٧٩،٢٧٧،٢٠٩، والأصول في النحو، ج٢/١٣٠.
(6) الإسراء، ٦٢.

(أرأيْتَ زيداً)ل أن الكافَ لو كانت اسماً، استحالَ أن تُعدّي الفعـلَ إلـى مفعـولين، الأوّلُ والثاني هو الأوّلُ٠٠٠وكذلك (أبْصرْكَ زيداً يا فلانُ) إنّما هو (أبْصرْ زيداً) ودخلتِ الكـافُ للإغراء توكيداً لمعنى المخاطبةِ. وكذلك (رويدَ) يدلّك أنك إذا قلتَ: (رويدك زيـداً) إنّمـا تريد (أرودْ زيداً) والكافُ للمخاطبة"[١] وقال: "واعلمْ أن الكافَ فـي قولـك: (النّجـاءَكَ) إنّماهي للمخاطبة بمنزلة كافِ (رويدكَ) والدليلُ على ذلك لحاقُها بـالألف والـلام، ولـو كانت اسماً، كان هذا مُحالاً، لأنك لاتُضيف ما فيه الألفُ واللام، فهذا بيّنٌ جِدًّا"[٢].

وتجوز زيادتُها على غير قياسٍ في خبر (ليس) نحوُ زيادتِها في قولـه تعـالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٣] وهي ليست للتشبيه، وإنّما توكيدٌ لمعنى النفي الـذي في (ليس) فقد نفى سبحانه وتعالى وجودَ شبيهٍ يماثله، ثمّ زاد الكافَ في الخبر (مثلِه) ليؤكِّد انتفاءَ وجودِ شيءٍ يماثله، ولا يجوز أن تكون للتشبيه؛ لأنه يـؤدّي إلـى فـساد المعنـى، والأصلُ (ليس مثلَه شيءٌ)[٤]، وتجوز زيادتُها بعد أداة التشبيهِ؛ لتوكيد معنى التشبيهِ وتقويةِ العلاقةِ

الشبهيّةِ بين طرفي التشبيهِ ومنه قولُ رؤبة[٥]:

فصُيِّروا مثلَ كَعَصْفٍ مأكولِ

فشبَّه القومَ (واوالجماعة) بالعصف المأكول، وربط بين طرفي التشبيه بـالأداة (مثـلَ) وكأنه أحسَّ ممَّن يتوجّه بالكلام إليه تردّداً أو شكًّا، فزاد الكافَ في المشبَّه بـه (عـصفٍ) ليؤكِّد أن مصير القوم كان كالعصف المأكول، وأنهم صاروا إلى هذه الحالة التي لا ينبغي

---

(1) المقتضب، ج٢٧٧/٣، والأصول في النحو، ج١٣٠/٢.
(2) المقتضب، ج٢٧٩/٣، وينظر، الأصول في النحو، ج١٣٠/٢.
(3) الشورى، ١١.
(4) ينظر، معاني الحروف، ٤٨-٥٠، والمتبع في شرح اللمع، ج٣٨١/١، وارتشاف الضرب، ج١٧١٦/٤، وأوضح المسالك، ٣٨٧، وجامع الدروس العربية، ج١٩٧/٣.
(5) الديوان، ١٣٢.

للمخاطب أن يشكَّ فيها، بل عليه أن يقبل، ويسلِّم، ويقتنع[١]. وممّـا جـاءت فيـه كـافُ الخطاب زائدةً في دواوين الشعراء الخمسة قولُ البارودي[٢]:

ذاكَ عهْدٌ مَضَى وَأَبْعدُ شَيْءٍ　　　أنْ يَرُدَّ الزّمانُ عَهْدَ التَّصابي

والأصل (ذا عهدٌ مضى) والكافُ زائدةٌ للخطاب ولإفادة عدم قُرْبِ المشار إليه (عهـدٌ) من زمن التكلُّم وتأليف التركيب، فالشاعرُ يحنُّ، وهو في منفاه سرنديب، إلى مصر وأيّـامِ شبابه فيها، وهذا زمنٌ قد عاشه الشاعرُ، ولمّا لم يكن قريباً منه، أراد أن يعبِّر عن ذلـك، ويوضِّحه للمتلقّي الذي أراده أن يتنبه إلى ذلك، فزاد كافَ الخطاب بعد اسم الإشـارة (ذا) ليستحضر أمامه وأمام المتلقي عهدين من حياته، عهدَ شبابه الذي قضاه في وطنه مـصر، والعهدَ الحاضرَ المؤلمَ الذي يعيشه في منفاه وهو ينشيء، ويـنظم هـذا الـشعرَ. وقـال الشابّي[٣]:

أتُراها تَذْكُرُ الأمْسَ الجميلْ　　　وسَلامَهْ

فتُحَيِّي ذلكَ المجدَ النّبيل　　　بابتسامَهْ

الكافُ زائدةٌ في اسم الإشارة (ذلك) لتنبيه المتلقّي أن المشار إليه (المجدَ) ليس قريباً منه ولا من الشاعر، وفي هذا دلالةٌ على عُلُوِّه ورِفعته وتمييزه عن الأمجاد الأخرى التي هـي للآخرين كما أراد تنبيهَهُ إلى بُعْد العهد به من حيث الزمن، فأفـادتْ الكـافُ الزائـدةُ أن المشار إليه ليس حاضراً، بل هو غائبٌ في الماضي المنقضي، وهذا يُصوِّر حنينَ الشاعرِ وشوقَه إليه وعزوفَه عن الحاضر المؤلم الذي ليس فيه هذا المجدُ النبيـلُ، وهـذه معـانٍ

(1)ينظر، معاني الحروف، ٤٨-٥٠، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٣٨١، وارتشاف الضرب، ج٤/١٧١٦، وأوضح المسالك، ٣٨٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/١٩٧. وقد تزاد في المبتدأ لغير معنى التشبيه،نحو قول رؤبة يصف خيلاً خواصرُها ضامرةٌ فيها طولٌ:لوَاحِقُ الأقرابِ فيها كالمَقَقْ. ينظر، معاني الحروف، ٥٠، وارتشاف الضرب، ج٤/١٧١٦، وجامع الدروس العربية، ج٣/١٩٧.

(2) الديوان، ج١/٥٤.

(3) الديوان، ١٣١.

ودلالاتٌ ليس لاسم الإشارة أن يوحي بها، أو يعبِّر عنها لو خلا من كاف الخطاب. وقــال أبو ماضي[1]:

وكيفَ امَّحَتْ تلكَ الحضاراتُ كُلُّها وصارتْ بلادٌ أنبَتَتْها لها لَحْدا

زاد الشاعرُ كافَ الخطاب في اسم الإشارة (تلك) للدلالــة علــى غيــاب المــشار إليــه (الحضاراتُ) وبُعْدِه عن الزمن الذي يعيشه الشاعرُ، وهو يؤلِّفُ، وينظم هذا الشعرَ، وقــد أراد أن يتنبّه المتلقي لهذا الأمر، ويلتفت إليه، فيأسى مع الشاعر على تلــك الحــضارات الزائلة وعلى بلاده التي كانت فيها تلك الحضاراتُ، فزيادةُ الكاف في هذا الــسياق تــدفع المتلقي إلى أن يقف عند واقعين، واقعٍ قديمٍ مزدهرٍ بالحضارات، وواقعٍ حاضرٍ مؤلمٍ خَــلا منها دون أن يبني مثلَها، وليس للتعبير الطبيعيّ (وكيف امَّحت تي الحضاراتُ) أن يــوحي بهذه المعاني والدّلالات.

٧- زيادة اللام:

تجوز زيادةُ لام الابتداء المفتوحة في المبتدأ المتقدّم على خبره، وهــذا هــو الموضــع الأصلُ في زيادتها، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡ ﴾[2]فزاد الــلامَ في المبتدأ (لَعبدٌ) وجازت زيادتُها فيه؛ لتقدّمه على خبره، ولتوكيدِ معنى التفــضيل الــذي شُكِّل من أجله التركيبُ الإسناديّ، فالعبدُ المتَّصفُ بصفة الإيمان منزلتُه أرقى وأعلى عنــد الله من السّيِّد المشرك، فأكَّد المبتدأ (عبدٌ) بزيادة لام الابتداء؛ لأن مثل هذا التفضيل لم يكن معهوداً عندهم. ثمَّ أجازوا زيادتَها في الخبر؛ لأنه عينُ المبتدأ وذاتُه، نحو (أنت لَمجتهــدٌ) لتأكيد اتِّصاف المبتدأ (أنت) بصفة الاجتهاد، وكأنّ المخاطب فاقدُ الثِّقة بنفسه، وهــو فــي حالة عدم التوازن، ويظنُّ أن المتكلم يُسايِرُه، فزاد اللامَ في الخبر (لمجتهدٌ) لينفي عنه كلَّ ذلك، ويؤكِّد له اتِّصافَه بالاجتهاد، وأنّه الحقيقة لا غيرُها، وعليه الاقتناعُ بها. ثمّ أجــازوا زيادتَها في اسم (إنّ) المتأخِّر عن خبره شبهِ الجملة، نحو قولــه تعــالى:﴿ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ

(1) الديوان، ٢٥٦.
(2) البقرة، ٢٢١.

مَـَٔابٍ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً ﴾[2] فزاد لامَ الابتداء في (لَحُسْنَ ولَعِبْرَةً) وكلاهما اسمُ (إنّ) المتأخِّر عن خبره شبهِ الجملة (للمتقين، وفي ذلك) فعدل عن التركيب الطبيعي، وزاد عنصراً نحوياً، هو لامُ الابتداء؛ ليؤكّد أن المتّقين مصيرُهم ومآبهم حسنٌ، وأنّ العبرة واقعةٌ، وليس للمخاطب أن يشكّ في ذلك. كما تجوز زيادتُها في خبر (إنّ) المتأخِّر عن اسمها إذا لم يُسبَق بأداة شرط أو نفيٍ، وليس ماضياً متصرِّفاً، ومجرَّداً من (قد) نحو قوله تعالى:﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[3] وكان حقُّها أن تدخل على الاسم في أوّل الكلام، لكنّهم زحلقوها، وأخّروها إلى الاسم؛ لاجتماعها مع (إنّ) وكلتاهما الغرضُ منه توكيدُ معنى الجملة، ولم يؤخِّروا (إنّ) حتّى لا يقع اسمُها قبلها، فيمتنعُ حينَها عملُها فيه؛ لأنّ لامَ الابتداء قوَّت المبتدأَ بتقديم سبب الابتداء فيه، وحَمَتْهُ من العوامل، يُضافُ إلى ذلك أنّ (إنّ)لا تعمل فيما قبلها؛ لأنها محمولةٌ في العمل على الأفعال، ولا يضُرُّ اللامَ تأخيرُها بشيءٍ؛ لأنها غيرُ عاملة، وكلُّ ذلك من أجل الحفاظ على قوَّة التوكيد الذي أضافه الحرفان إلى الجملة التي دخلا عليها، وهو من باب إصلاح اللفظ حفاظاً على المعنى[4]. وهذا يُظهِر جليّاً اهتمامَ العرب بالألفاظ وقواعد النحو من أجل المعاني مدرِكين العلاقةَ الوثيقة بينهما. وتفيد زيادتُها في خبر (إنّ) المبالغةَ في التوكيد، وتُغني المتكلم عن تكرار الجملة مرَّة أخرى، فإذا قلت: (زيدٌ قائمٌ) أخبرت عن قيامه فحسبُ. وإذا قلت: (إنّ زيداً قائمٌ) أخبرت عن قيامه مرّتين، فأكَّدت بـ (إنّ) لأن مخاطبك يشكّ في قيامه، وإذا قلت: (إنّ زيداً لَقائمٌ) أخبرت عن قيامه ثلاث مرَّات، وبالغتَ في التوكيد بزيادة لام الابتداء، واستغنيتَ بزيادتها عن تكرار الجملة مرّة ثالثة، فكأنك قلت: (زيدٌ قائمٌ، زيدٌ قائمٌ، زيدٌ قائمٌ) ويكون في هذه الحالة مَنْ تخاطبه مُنكراً قيامَ زيدٍ أو كالمنكر قيامَه. وأجازوا زيادتَها في خبر (إنّ) دون أخواتها؛ لاتِّفاقها معها في إضافة معنى التوكيد إلى الجملة الاسمية، و (إنّ) لا تغيِّر معنى الابتداءِ في الجملة الاسمية، أمّا أخواتُها، فتغيِّره، وتنقلُه إلى معاني

(1) ص، ٤٩.
(2) آل عمران، ١٣.
(3) إبراهيم، ٣٩.
(4) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج١/١٨-١٩، ومعاني الحروف، ٥١-٥٣، والخصائص، ج١/٣١٢-٣١٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٨٣،٢٧٠، وأوضح المسالك، ١٨٩-١٩١، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٢، ج٣/٥٧-٥٨، ج٤/٢٠٥، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٠٨-٣١٢، ومعاني النحو، ج١/٢٩٢-٢٩٩.

الترجّي والتشبيه والاستدراك والتمنّي. وتجوز زيادتُها في خبر (إنّ) سواءٌ أكان اسماً مفرداً، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾[1] بزيادة لام الابتداء في الخبر (لَشديدٌ) وهو اسمٌ مفرد، أم جملةً اسميّةً، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ ﴾[2] فزاد لامَ الابتداء في (لنحن نحيي ونميت) وهو جملة اسمية، وخبرٌ لـ (إنّ) أم جملةً فعليّةً فعلُها مضارعٌ، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ﴾[3] فاللامُ زائدةٌ في (لَيعلم) وهو خبر (إنّ) وهو جملة فعلية فعلُها مضارعٌ، أم جملةً فعليّةً فعلُها ماضٍ جامدٌ، نحو (إنّك لَنعم الرجلُ) أم ماضٍ متصرِّفٌ مقترنٌ بـ (قد) نحو (إنّ الفرجَ لَقد دنا). وإذا حُذِف الخبرُ، جازت زيادتُها في الظرف أو الجارّ والمجرور المتعلّقين به، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[4] فزاد لامَ الابتداء في الجارّ والمجرور (لبالمرصاد) وهما متعلّقان بخبر (إنّ) المحذوف، ونحو قولك: (إنّ أخاك لَعندي). وتجوز زيادتُها في معمول خبر (إنّ) بشرط توسُّطه بين اسمها وخبرها، وأن يكون الخبرُ ممّا يصلح لزيادتها فيه، نحو قولك: (إنّ زيداً لَعمراً ضاربٌ) فزِدْتَ لامَ الابتداء في (لَعمراً) وهو معمول الخبر (ضاربٌ) ومتوسِّطٌ بينه وبين (زيداً) وهو اسمُ (إن) ونحو (إنّه لَيومَ الجمعة آتٍ، وإنه لَأمرَكَ طائعٌ). كما تجوز زيادتُها في ضمير الفصل للمبالغة في التوكيد والزّيادة فيه بالنظر إلى السياق ومقتضى الحال، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[5]فزاد لامَ الابتداء في ضمير الفصل (هو) المتوسِّط بين المبتدأ (هذا) والخبر (القصصُ) ليزيدَ توكيدَ الإسناد بينهما، ويقوِّيه حتّى لايدعَ مجالاً للشكّ والتخمين من قبل المخاطب، وليوجِّه المعنى إلى الاتِّجاه القطْعيِّ الدلالةِ، ويبعده عن الاتِّجاه الاحتماليّ

الدلالة، فيكون للمعنى اتِّجاهٌ واحدٌ بدل الاتِّجاهات المتعدّدة[6] .

(1) البروج، ١٢.
(2) الحجر، ٢٣.
(3) النمل، ٧٤.
(4) الفجر، ١٤.
(5) آل عمران، ٦٢.
(6) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه،ج١/١٨-١٩، ومعاني الحروف، ٥١-٥٣، والخصائص، ج١/٣١٢-٣١٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٨٣،٢٧٠، وأوضح المسالك، ١٨،-١٩١، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٢، ج٣/٥٧-٥٨، ج٤/٢٠٥، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٠٨-٣١٢، ومعاني النحو، ج١/٢٩٢-٢٩٩.

وتجوز زيادتُها في الفعل إذا كان مضارعاً، نحو (لَتنهض الأمةُ مقتفيةً آثارَ جدودها) أو ماضياً جامداً، نحو قوله تعالى:﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١] أو ماضياً متصرِّفاً مقروناً بـ (قد) نحو قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٢] وإذا زِيدت في أوّل المضارع، خلّصته للحال، ودفعتْ عنه زمن الاستقبال، ولافرْقَ في ذلك سواءٌ أسُبِق بعلامة استقبال، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[٣] أم لم يُسبَق.

والنتيجةُ أنّ لامَ الابتداء تُزاد في التركيب في المواضع النحوية السابقة لغرض التوكيد، أو لتخليص الفعل والخبر للحال؛ ولذلك كان المضارعُ بعدها خالصاً للزمان الحاضر بعد أن كان محتملاً الحالَ والمستقبل، وقد تزاد في الفعل المضارع الذي يقع في المستقبل إذا نُزِّل بمنزلة الحاضر، وكان وقوعُه مؤكَّداً لاشكَّ فيه، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٤] فزاد لامَ الابتداء في المضارع (يحكمُ) مع دلالته على المستقبل؛ لأنّه في حكم الحاضر، ولأنّ الحكم بين العباد يوم القيامة من قبل الله تعالى واقعٌ لاشكَّ فيه، وهي بذلك تَنْقُلُ المضارعَ من الدلالة الاحتماليّةِ إلى الدلالة القطعية، وتجعل المعنى يسير في اتِّجاه واحد، و كأنّه أثبت بزيادتها معنى، ونفى المعاني الأخرى، وأغلق البابَ أمام التأويل[٥].

وتجوز زيادتُها في خبر المبتدأ إذا توهّم المتكلم وجود(إنّ)في صدر الجملة، نحو قول رؤبة[٦]:

أمُّ الحُلَيْسِ لَعجوزٌ شَهْرَبَهْ   ترْضى من اللّحْمِ بعظمِ الرّقَبهْ[٧]

---

(1) المائدة، ٦٢.
(2) يوسف، ٧.
(3) الضحى، ٥.
(4) النحل، ١٢٤.
(5) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج١/١٨-١٩، ومعاني الحروف، ٥١-٥٣، والخصائص، ج١/٣١٢-٣١٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٨٣،٢٧٠، وأوضح المسالك، ١٨٩-١٩١، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٢، ج٣/٥٧-٥٨ ،ج٤/٢٠٥، وجامع الدروس العربية ، ج٢/٣٠٨-٣١٢، ومعاني النحو، ج١/٢٩٢-٢٩٩.
(6) رؤبة، الديوان، غيرموجود في الديوان، وينسب لعنترة بن عروس ،شرح المفصل، ج٣/٣٠، ج٧/٥٧.
(7) أمُّ الحُلَيْس، امرأته.

فزاد اللامَ في الخبر (لَعجوزٌ) لأنه توهَّم وجودَ (إنّ) في صدر الجملة، وكأنّه حمل زيادتَها في خبر المبتدأ على جواز زيادتها في خبر (إنّ). ويبدو أنه أراد بزيادتها التوكيدَ؛ لأنّه لايريد أن يتبادر إلى ذهن المتلقي أنّ أُمَّ الحليس ليست كذلك، فلمَّا لمس شكَّه وتردُّدَه، أراد أن يدفع عنه ذلك، ويجعله في دائرة معنى واحد وحالة واحدة لأمِّ الحليس، زاد اللامَ في الخبر (لعجوزٌ) توكيداً أنّها كبيرة السّنِّ[١].

وقد تجوز زيادتُها في (ما) النافية لِشَبهها في اللفظ (ما) الموصولة الواقعة مبتدأً، كقولِ النابغة[٢]:

لَمَا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فاصْطَنِعْني فكيفَ ومِنْ عطائكَ جُلُّ مالي

فزاد لامَ الابتداء في (ما) النافية؛ لشبهها في اللفظ بـ (ما) الموصولة الواقعة مبتدأً[٣]، ولأنه أراد توكيدَ معنى النفيِ، فلو قال: (ما أغفلتُ شكرك) كان التركيبُ طبيعيّاً، والنفيُ عاديّاً، والسامعُ له أن يصدّق، أو يكذِّب بأنّ النابغة لم يُغفل شكرَه، وهو لا يريد هذا الاحتمالَ، بل يريد أن يصدّقه، ولاشيءَ غيرُ هذا المعنى الذي كوَّن التركيبَ من أجله، فزاد لامَ الابتداء توكيداً لنفيِ إغفالِ الشّكر منه للسامع. وكثرت المواضع التي زيدت فيها لامُ الابتداء في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي[٤]:

لأَنتِ – وأيُّ النّاسِ أنتِ – حَبِيبةٌ إليَّ ولوْ عَذَّبْتِ قلبيَ بالصَّدِّ

ليست اللامُ الداخلة على المبتدأ (أنتِ) أصليةً، بل زائدةٌ لغرض توكيد المعنى وتقويته، فقد أخبر الشاعرُ محبوبتَه أنها حبيبة إليه على الرغم من تعذيبها له بالصدّ، وكأنه لمس منها الشكَّ فيما يقول، فأدخل لامَ الابتداء على المبتدأ (أنتِ) ليزيل شكَّها، ويزرع الثِّقة والطمأنينة

(1) ينظر، شرح المفصل، ج٣/٣٠، ج٧/٥٧.
(2) الديوان، ٦١.
(3) ينظر، مغني اللبيب، ٨٩١.
(4) الديوان، ج١/١٥٩.

والسكينة في نفسها، ويؤكِّد شدَّةَ حبّه لها.قال السياب[١]:

لَرياحُ الخريفِ أرْفَقُ بالورْدِ وبالقلب من يدِ الحسناءِ

فاللام الداخلة على المبتدأ(لرياحُ) زائدة؛ لتوكيد المعنى وتقوية علاقة الإسناد بين المبتدأ (رياحُ) والخبر (أرفقُ). فالشاعرُ يصوّر ألمه وحزنه وخيبة أمله من أن يجد الرِّفقَ واللِّين عند امرأة جميلة، فقد نفى الرفق بالورد والقلبِ من الحسناء، ورأى أنّ رياح الخريف التي تهزُّ أغصانَ الأشجار، وتُسقط أوراقها أرفقُ من الحسناء، ولمّا لم يكن هذا المعنـــى ممّـــا اعتاد المتلقي سماعه؛ لغرابة العلاقة بين المبتدأ والخبر، خمّن الشاعرُ أن المتلقي قد يتردّد في قبوله، فزاد لامَ الابتداء. وقال بدر الدين الحامد[٢]:

ولَكَمْ طفلٍ ذَبيحٍ ولَكَمْ　　　من شُيوخٍ بالحِراب اصْطُلِمُوا[٣]

أخبر الشاعرُ عن كثرة الأطفال الذين ذُبِحوا وعن كثرة الشيوخ الذين اصطلموا بالقتال، فشكَّل جملتين اسميتين جعل فيهما المبتدأ (كم) الخبريّة، ولمّا رأى أن خبره مبالغٌ فيه، وقد يشكُّ فيه المتلقي، زاد لامَ الابتداء، وأدخلها على المبتدأ(كم)الخبرية، فزاد فـــي التركيـــب عنصراً نحوياً ليس منه في الأصل، والقاعدةُ النحوية تجيز لـــه ذلـــك؛ ليحتـــاط لمعنـــاه، ويقوِّيه، ويؤكِّده ولولا زيادتُها، لَظلَّ معناه عُرْضةً لشكوك المتلقي واحتمالاته التي قد تبعـــد التركيبَ عن اتِّجاه المعنى الذي أراد الشاعرُ أن يعبِّر عنه، ويوضِّحه. وقال الشابي[٤]:

إنّ في روضةِ الحياةِ لأَشوا　　　كاً بها مُزِّقَتْ زَنابِقُ نفسِي

ليست اللامُ الداخلة على (أشواكاً) أصليةً، بل زائدةٌ، زادهـــا الـــشاعرُ فـــي اســـم (إنّ) المتأخِّر عن خبرها(في روضةِ)لغرض التوكيد، فقد أخبر الشاعر أنّ أشـــواكاً كثيـــرة قـــد

---

(1) الديوان، ٤٢٥.
(2) الديوان، ج٢/٣٥٤.
(3)اصطلم: قُتِل وأُبيد.
(4) الديوان، ١٧٥.

مزّقت الآمالَ الجميلة التي في نفسه، وأكّد هذا المعنى بـــ (إنّ) ولمّا رأى أن ذلـــك لـــيس كافياً، زاد لامَ الابتداء، وأدخلها على الاسم؛ ليكون التوكيدُ أقوى وأبلـــغَ، والمعنـــى أكثـــرَ عُلوقاً بالذّهن، وتمكُّناً في النفس، وكأنه أمام متلقٍّ ينكر عليه ذلك. وقال أبو ماضي(١):

إنِّي لَيحزُنُني أنْ يَسْجُنوكَ وَهُمْ   لولاكَ في الأرضِ لم تثبُتْ لهم قَدَمُ

عبّر الشاعرُ عن حزنه الشديد لِما يلحق بالقلم وأصحابه من ظلم وملاحقة، فشكَّل جملة اسمية للتعبير عن هذا المعنى، وأكّدها بـــ (إنّ) ليقوِّي نسبة الحـــزن إليـــه بـــسبب حالـــة أصحاب القلم، ويبدو أنّ توكيد التركيب بـــ (إنّ) عجز عن إزالة الشكّ ونزعِ التردّد مـــن نفسه، فأراد أن يقوّي المعنى، ويبالغ في التوكيد، فزاد لامَ الابتداء في الخبـــر (يحزننـــي). وقال البارودي(٢):

فَلَنِعْمَ ذاكَ العيشُ لو لمْ يَنْقَضِ   ولَنِعْمَ هذا العيشُ إنْ لمْ يَنْفَدِ

اللامُ الداخلة على الفعل الجامد (نعم) زائدة للتوكيد، وهي لامُ الابتداء، فالشاعرُ يمـــدح عيشاً مضى عاشه، وعيشاً حاضراً يعيشه، فزاد لامَ الابتداء؛ ليؤكِّد معنى المدح الذي عبّر عنه بـــ (نعم) ويبالغ فيه. وقال الشابي(٣):

فَلَسوفَ تُغْمِضُ جَفْنَها   عن كلِّ أضواءِ الحياةْ

حيثُ الظّلامُ مُخَيِّمٌ   في جَوِّ ذيَّاكَ السُّباتْ

زاد الشاعرُ لامَ الابتداء، وأدخلها على (سوف) لتوكيد معنى التسويف، ووقـــوع الفعـــل (تغمض) في المستقبل البعيد. فقد أخبر أنّ أزهار الربيع سوف تغمض جفنهـــا، وأن ذلـــك سوف يكون منها في المستقبل البعيد، ولمّا كان المتلقي في موضع شكٍّ وتردّد من حـــدوث هذا الأمر، رأى أنه من الأنسب توكيدُ هذا المعنى وتقويتـــه؛ ليـــدفع عنـــه الاحتمـــالات، وليضمنَ لتعبيره السلامةَ من الانحراف إلى معانٍ أخرى لا يريدها، فـــزاد لامَ الابتـــداء،

(1) الديوان، ٥٠٣.
(2) الديوان، ج١/١٥٦.
(3) الديوان، ١٦٣.

وهي عنصرٌ نحويّ ليس من بنية التركيب في الأصل، ولا أثرَ له من الناحية الإعرابية في العنصر النحويّ الذي دخل عليه.

-زيادةُ اللام في جواب(لو)و(لولا)الشرطيتين:

تجوز زيادةُ اللام في جواب (لو) و (لولا)الشرطيتين؛ لتوكيد ارتباط جملة جواب الشرط بجملة فعل الشرط، فمن زيادتها في جواب (لو) قوله تعالى:﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾[2] ومن زيادتها في جواب (لولا) الشرطية قوله تعالى:﴿ لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾[3] وقوله تعالى:﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴾[4] والدليلُ على زيادتها في هذه المواضع جوازُ سقوطها[5]. ويزيد المتكلمُ اللامَ في هذين الموضعين النحويين؛ ليقوّي الصّلةَ والارتباطَ بين ركني الشّرط، وذلك بحسب ما يقتضيه المقامُ والسياق ومقتضى الحالِ فقد يكون المخاطب منكراً العلاقةَ بينهما أو بمنزلة المنكر، أو متردّداً، أو بمنزلة المتردِّد، فيحملُه المتكلمُ إلى اتِّجاه واحد يسير فيه المعنى، ففي قوله تعالى: "ولو يشاء لانتصر منهم" زاد اللامَ في الجواب (لانتصر) توكيداً أنّ الانتصارَ منهم مرتبطٌ بمشيئة الله تعالى، وأنّ الانتصارَ واقعٌ منهم في اللحظة التي يقرُّها اللهُ تعالى ويريدها، ولمّا كانوا في موضع شكٍّ وعدم تسليمٍ بهذه الحقيقة، زاد اللامَ في الجواب، وكذلك الأمرُ في قوله تعالى: "لولا أنتم لَكنّا مؤمنين"فانتفى كونُهم مؤمنين لوجود المخاطبين (أنتم) ولمّا أرادوا تثبيتَ هذه الحقيقةِ التي يزعمونها ودَفْعَ غيرها؛ لأنها تتناسبُ مع حالتهم، زاد اللامَ في الجواب (لَكنّا) ومثلُه قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا ﴾[6] فامتنع مسخُهم لامتناع المشيئة من الله تعالى، وليس لسبب آخر، فلمّا كانوا في موضع شكٍّ وعدم تصديق وإنكار، زاد

(1) الفتح، ٢٥.
(2) محمد، ٤.
(3) سبأ، ٣١.
(4) الأنفال، ٦٨.
(5) ينظر، الأزهية، ١٦٧، وشرح المفصل، ج٩/٢٢-٢٣، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٥٩، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٩، والنحو الوافي، ج٤/٣٧٤.
(6) يس، ٦٧.

اللامَ في الجواب (لمسخناهم) توكيداً أنّ المسْخَ يقع إذا شاء اللهُ تعالى، وهو ممتنعٌ لامتنـــاع مشيئته عن ذلك. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة

المواضعُ التي زِيدتْ فيها اللامُ في جواب (لو) و (لولا) الشرطيتين. قال البارودي(١):

ترْنُو بأَحْوَرَ لو تَمَكَّنَ لحْظُهُ   من صخرةٍ لاَرْفَضَّ منها الماءُ(٢)

ليست اللامُ الداخلة على جواب الشرط (لارفضّ) أصليةً، وإنّما زائدةٌ للتوكيد، فالعلاقـــةُ القائمة بين فعل الشّرط (تمكّن) وجواب الشرط (ارفضّ) غريبةٌ وبديعة، وليست ممّا اعتاد المتلقي سماعَها، فقد زعم الشاعرُ أن الفتاة الحوراء لو وجّهت نظراتها إلى صخرة، ســـالَ الماءُ منها، وهذه صورةٌ طريفة غيرُ مألوفةٍ، ومبالغةٌ في تصوير معنـــى غيـــرِ معهـــود، والغايةُ من هذه العلاقة الغريبة بين السّبب، وهو فعلُ الشرط، وبين المسبَّب عنـــه، وهـــو جوابُ الشرط، تصويرُ الجمال الفائق لعيون الحبيبة، ولمّا أحسّ الشاعرُ أنـــه لـــيس مـــن السهل إقناعُ المتلقي الذي بدرتْ على وجهه علاماتُ الشكّ والتردّد والإنكـــار بـــذلك، زاد اللامَ لتوكيد هذا المعنى الذي حرص على لفتِ عناية المتلقي إليه دون سواه. وقـــال أبـــو ماضي(٣):

يَسيرُ بنا القطارُ ونحنُ نرجو   لو اخْتَصرَ الطّريقَ بنا اخْتِصارا

وأُقْسِمُ لو أُحَدِّثُهُ بما بـــي   لَحَلَّقَ في الفضاء بنا وطــــارا

زاد الشاعر اللامَ في جواب (لو) في الشطر الثاني من البيت الثـــاني، وهـــذا موضـــع تجيزه القاعدةُ النحوية؛ احتياطاً للمعنى وبغيةَ توكيده وتقويته ولفت عناية المتلقي إليه.فقـــد ادَّعى الشاعرُ أنّ فعل الشرط (أحدِّثُ) لو وقع منه، لوقع جوابُ الـــشرط، وهـــو تحليـــقُ القطار وطيرانُه في الفضاء، وهذه علاقةٌ غيرُ معهودة بين حدثين، وصورةٌ بديعة طريفـــةٌ غريبة، فالعلاقةُ السببيّة بين فعل الشرط وجوابه غير مألوفة لدى المتلقي، وقد بالغ الشاعر

(1) الديوان، ج١٣/١.
(2) ارفضَّ: خرج وترشرش.
(3) الديوان، ٣٤٥.

في تصوير شوقه وحنينه إلى درجة قد يردّها المتلقّي، ويشكُّ فيها، فأراد الشاعرُ منه أن يقف عند هذا المعنى، فزاد اللامَ؛ ليؤكِّد له أن الأمرَ كما صوَّره الشاعرُ. وقال السياب[١]:

ولولا خَيالٌ في الدُّجَى منكِ عَادَني   لَذابَ مع الأنْفاسِ قلبٌ بأضلُعي

زاد الشاعر عنصراً في بنية التركيب الشرطي الذي أداتُه (لولا) وهواللامُ التي أدخلها على الجواب (لذاب) والغرضُ توكيدُ المعنى وتقويته، فقد زعم الشاعرُ أنّ قلبه لم يذب؛ لأن خيال الحبيبة قد زاره في الليل، ولَمّا لمس الشكّ والتردّد من المتلقي في قبول هذا المعنى، زاد اللامَ ليؤكِّد أن السبب الوحيد لعدم ذوبان قلبه هو زيارةُ خيال الحبيبة، فأراد أن يلفت عناية المتلقي إلى وجود الشرط الذي أورده، وأن يقتنع بالسبب الذي قدّمه، وينصرف عن الاحتمالات والتوقعات. وقال الشابي[٢]:

ولولا غيومُ الشّتاءِ الغِضابُ   لَما نَضَّدَ الرَّوْضُ تلكَ الورودْ

ولولا ظلامُ الحياةِ العَبوسُ   لَمَا نَسَجَ الصُّبحُ تلك البُرودْ

اللامُ الواقعة في جواب (لولا) الشرطية في الشطر الثاني من البيتين الأوّل والثاني زائدة، و الغرضُ توكيدُ المعنى وتقويته، فقد ربط الشاعرُ تنضيد الورود في الرّوض بغيوم الشّتاء التي ترسل أمطارها الغزيرة، وربط انبلاجَ الصبح بوجود الليل، وهاتان صورتان جميلتان أوردهما، وهو يحثّ قلبه على التسلُّح بالأمل والتفاؤل وعدم الاستكانة للحزن واليأس، ويبدو أنّه لم يكن من السهل أن يقنع نفسه بذلك، لذا احتاج إلى التوكيد، فزاد اللامَ؛ ليكون تأثيرُ المعنى في نفسه أقوى، فإذا تخيّل هاتين الصورتين، وتمعّن في العلاقتين القائمتين بين غيوم الشتاء وتنضيد الورود، وبين ظلام الحياة وظهور الصبح، هدأَتْ نفسه، واطْمأنّ قلبُه، فخرج من غيوم اليأس إلى ساحة الأمل والتفاؤل.

(1) الديوان، ٤١٢.
(2) الديوان، ١٩٤.

– **زيادةُ لام الجرّ:** تجوز زيادتُها في المفعول به المتقدِّم على فعله المتأخِّر عنه؛ لتقوِّي وصوله إليه، وتُسمَّى لامَ التقوية، وتأخُّرُ الفعل جعله ضعيفاً، نحو قوله تعالى:﴿لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾(١) فزاد لامَ الجرّ في المفعول به (لربّهم) لأنه متقدّم على فعله (يرهب) وقوله تعالى:﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾(٢) فلمّا قدّم المفعولَ به (الرؤيا) على فعله (تعبُر) ضعُف عمله، فزاد اللامَ؛ ليقوّي علاقةَ التعدية بينهما ،أو في المفعول به إذا كان عاملُه فَرْعاً في العمل، أيْ مشتقّاً عملَ عملَ فعله، نحو قوله تعالى:﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾(٣) فاللامُ زائدة في المفعول به (للشّوى) وجازت زيادتُها؛ لأن العاملَ (نزّاعةً) فَرْعٌ في العمل، فهو مبالغة اسم الفاعل، ونحو قوله تعالى:﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾(٤) وقوله تعالى:﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾(٥) وقول عمرو ابن كلثوم(٦):

ونحنُ التّاركونَ لِمَا سَخِطْنا ونحنُ الآخِذونَ لِمَا رَضِينا

والأصل (مصدّقاً ما معهم، وفعّالٌ ما يريد، والتاركون ما سخطنا، والآخذون ما رضينا) (٧).

والحقُّ أنها تزاد لتقوية معنى الاختصاص وتوكيده لا لتقوية العامل، وهو يشبه تقديمَ المفعول به على الفعل في نحو (محمداً أكرمتُ) إذا أردت تخصيص الإكرام بمحمد دون غيره، فإذا أردتَ تقوية معنى الاختصاص للإكرام وتوكيده في المفعول به (محمداً) دون غيره، زِدْتَ اللامَ فيه، وكذلك القولُ في الآيات الكريمة(٨).

---

(1) الأعراف، ١٥٤.
(2) يوسف، ٤٣.
(3) المعارج، ١٦.
(4) البقرة، ٩١.
(5) البروج، ١٦.
(6) ابن كلثوم، عمرو، الديوان، تح: طلال حرب، ط١، الدار العالمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-١٩٩٣م، ٣٥.
(7) ينظر، شرح المفصل، ج٦/٧٨-٧٩، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٣١٣-٣١٤، ومغني اللبيب، ٢٨٦-٢٨٧، وأوضح المسالك، ٣٨٠، والنحو الوافي، ج٢/٣٦٧، ومعاني النحو، ج٣/٦٠-٦٤.
(8) ينظر، معاني النحو، ج٣/٦٠-٦٤.

وتجوز زيادتُها في المفعول به غيرِ المتقدِّم على فعله؛ لتقوِّي اختصاصه به، وتؤكِّده، نحو قول ابن ميّادة الرَمَّاح بن أبْرد(١):

وملكْتَ ما بين العراقِ ويثرِبٍ مُلْكاً أجارَ لِمُسْلِمٍ ومُعاهِدِ

والأصل (أجار مسلماً ومعاهداً) فاللامُ زائدةٌ في المفعول به (مسلماً) لأنه أراد تقوية اختصاص الفعل به، ونحو قول كثيِّر عَزّةَ(٢):

أُريدُ لِأنْسَى ذِكْرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

فزاد اللامَ في المفعول به(لأنسى ذكرها)لتقوية فعل الإرادة وتوكيد اختصاصه بنسيان الحبيبة.

وتجوز زيادتُها بين المتضايفين، وتُسمَّى المُقْحَمَة؛ تمكيناً واحتياطاً لمعنى الإضافة بينهما، وذلك إذا كان المضافُ منادى، والمضافُ إليه اسماً ظاهراً، أوكان المضافُ اسمَ(لا) النافية للجنس، والمضافُ إليه كافَ الخطاب، فمن الأوّل قولُ سعد بن مالك البكريّ (٣):

يا بؤسَ لِلحرْبِ التي وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فاسْتراحُوا

فزاد اللامَ بين المضاف (بؤسَ) والمضاف إليه (الحربِ) وقولُ النابغة الذبيانيّ(٤):

قالتْ بنوعامرٍ خالُوا بني أسَدٍ يا بُؤْسَ للجهْلِ ضرَّاراً لأقوامِ

والأصل (يا بؤسَ الجهلِ) فزاد اللامَ بينهما لتقوية معنى الإضافة، والبؤسِ الذي يسببه الجهلُ للأقوام، ومن الثاني قولُ جرير(٥):

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبالَكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمْ في سَوْءَةٍ عُمَرُ

(1) ينظر، أوضح المسالك، ٣٨٠، وجامع الدروس العربية، ج١٨٣/٣، والنحو الوافي، ج٣٦٧/٢، ومعاني النحو، ج٦٠/٣-٦١.
(2) الديوان، ٥٢٣.
(3) ينظر، الأصول في النحو؛ ج٣٨٩/١، والخصائص، ج١٠٦/٣، وشرح المفصل، ج٣٦/٤، ومغني اللبيب، ٢٨٦.
(4) الديوان، ١٣٣.
(5) الديوان، ٢٨٥.

والأصل (لأباكُم) وجازت زيادةُ لامِ الجرِّ في هذا الموضع النحوي؛ لأنّ المضافَ (أبا) اسمُ (لا) النافية للجنس، والكاف خبرٌ لها، وجاءت زيادتُها؛ لتقوية معنى الإضافة في نفــي جنس الأب لــ (تيمَ عديّ) وهو من باب الدّعاء عليهم إن تبعوا عمر فــي المــساوىء[١]. وقد وردت اللامُ الجارّةُ زائدةً بِقِلَّةٍ عند بعض الشعراء الخمسة. قال البارودي[٢]:

سَكِرْنا بِما أهْدَتْ لنا من لُبابها   فيا لَكَ مِنْ سُكْرٍ أُتيحَ بلا خَمْرِ[٣]

والأصل (أهدتنا) فاللامُ زائدةٌ، و (نا) مفعول به؛ لأن الفعل (أهدت) متعــدٍّ يحتــاج إلــى مفعول به، والعلاقةُ بينهما هي علاقةُ تعدية، وزيادةُ اللام الجارّة لم تلــغِ علاقــة التعديــة بينهما على الرّغم من أنها أنشأت من حيث الشكلُ علاقةَ جرٍّ إضافية في التركيــب بينهــا وبين الضمير (نا) الذي هو مفعول به، والغرضُ من زيادتها تخصيصُ فعل الإهداء الــذي وقع من الأهرام بالمفعول به (نا) الذي قصد به الشاعرُ نفسَه وقومه وفي هذا دلالةٌ علــى أن هذه الأهرامَ عائدةٌ لقومه، ومختصّة بهم دون سواهم، وليس لأحد أن يدَّعي غير ذلــك، وزاد لامَ الجرِّ في المفعول به (نا) حتّى لا يدعَ مجالاً للتشكيك في هــذا المعنــى وهــذه الحقيقة من قِبَلِ أيِّ متلقٍّ. وقال بدر الدين الحامد[٤]:

يا لِهَوْلِ الْخَطْبِ في تَيَّارِهِ   حَبَسَ القَوْلَ ولِلأَفْواهِ كَمْ

فاللامُ الداخلة على المفعول به (الأفواه) المتقدّم على فعله (كَمَّ) زائــدةٌ، والأصــلُ فــي التركيب (والأفواهَ كمّ) فلمّا أراد أن يقوّي اختصاصَ وقــوعِ الفعــل (كــمّ) مــن الفاعــل (الخطبُ) على المفعول به (الأفواهَ) زاد اللامَ فــدفعَ الــشّكَّ، واحتــاطَ للمعنــى. وقــال البارودي[٥]:

أَفي الْحَقِّ أنَّا ذاكرون لِعَهْدِكُمْ   وأنتُمْ علينا ليس يعْطِفُكُمْ وُدُّ

(1) ينظر، الأصول في النحو، ج٣٨٩/١، والخصائص، ج١٠٦/٣، وشرح المفصل، ج١٠٤/٢-١٠٥، ٣٦٧، ج٣٦/٤، وشرح جمل الزجاجي، ج٢٨٢/٢، ومغني اللبيب، ٢٨٦-٢٨٧، وجامع الدروس العربية، ج١٨٣/٣.
(2) الديوان، ج٥٢/٢.
(3) لُبابُ الشيء: خالصُه، ولباب المصانع والآثار: أسرار صنعها، ودلالتها على أحوال أهلها، والمراد بالسُّكر: الدّهش والعجب وشدَّة انفعال النفس بما رأت من الهرمين.
(4) الديوان، ج١٦٨/١.
(5) الديوان، ج١٦٦/١.

فقد زاد الشاعرُ اللامَ في المفعول به (عهد) وعاملُه المشتقُّ اسـمُ الفاعـل (ذاكـرون) والأصلُ (ذاكرون عهدَكم) فلمّا كان اسمُ الفاعل (ذاكرون) فَرْعاً في العمل والتعدية، احتاج إلى تقوية؛ لِيصل إلى مفعوله، وهذه التقويةُ هي زيادةُ اللام في مفعوله دون أن تؤثِّر فـي علاقة التعدية القائمة بينهما، فهي ليست من أصل التركيب، وإنْ كانت فيه. ويبدو أنه أراد بزيادتها توكيدَ وقوعِ فعل الذِّكر من الشاعر لعهد أصحابه في مصر، وهو بعيدٌ عنها فـي حرب الرّوس، وهم لا يذكرونه. يُضاف إلى ذلك أنه خصّصَ وقوعَ الذِّكر منه لأصـحابه دون غيرهم، فأثبتَ، ونفى بتعبير واحد. وقال البارودي(١):

والدَّهْرُ للإنسانِ يوماً آَكِل وكُلُّ شَيْءٍ في الزّمان باطِلُ

ليست اللامُ الداخلةُ على المفعول به (الإنسان) أصليةً، بل زائدةٌ، فالمشتقُّ (آكلٌ) متعـدٍّ عملَ عَمَلَ فعله المتعدّي (أكلَ) وهو فَرْعٌ في العمل، فلمّا تقدّم مفعولُه (الإنـسان) عليـه، ضعُفَ عملُه، فاحتاج إلى تقوية؛ لِتظلَّ علاقةُ التعدية قائمةً بينه وبين مفعوله المتقدِّم عليه، فزاد الشاعرُ لامَ الجرِّ والقاعدةُ النحوية تجيز زيادتها في هذا الموضع. ويبدو أن الغرضَ من زيادتها توكيدُ المعنى وتخصيصُ وقوع الحدث بالمفعول به، فادَّعى الشاعرُ أنّ حـدثَ الأكل من الدهر، وقصدَ به الموتَ، لابدَّ أن يطال كلَّ إنسان دون تمييز، فأكَّد هذا المعنـى بزيادة لام الجرّ حتّى لا يترك مجالاً للشّكوك والتردّد والاحتمالات من قِبَل المتلقي. وخصَّ الإنسانَ بوقوع الأكْلِ أيْ الموتِ عليه؛ لأنه الكائنُ الوحيدُ الذي قد يردّ ذلك. وهذه معـانٍ ودلالاتٌ إضافيّة ليس للتعبير الطبيعيّ أن يؤدِّيها.

- زيادة لام البُعْد:

إذا كان المشارُ إليه قريباً من المتكلم أو المخاطب، أُشِير إليه من دون لام البعد أو كاف الخطاب. وتجوز زيادةُ لام البعد بعد أسماء الإشارة؛ للدلالة على أن المشار إليه بعيدٌ فـي المسافة أو في المكانة والمنزلة أو أنّ شأنَه عظيمٌ ممّا لا يستطيع المخاطب بلوغَـه، أو أنّ

---

(1) الديوان، ج٣/١٨٢.

شأنَه منحدرٌ ممّا لا يليقُ به أن يقترن، ويمتزج به قال تعالى:﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾[١] فزاد لامَ البعد بعد اسم الإشارة (ذلك) للدلالة على أن الأمرَ – وهو المشارُ إليه – عظيمٌ؛ لأنــه من قول الله تعالى، فلا ينبغي التعجّبُ منه، وأنه ليس من فعل البشر الذين لا يــستطيعون مثلَه، وقال تعالى:﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾[٢] فزاد لامَ البعد بعد اسم الإشارة (ذلكــم) دلالــةً على أن المشارَ إليه (اللهُ) قدْره كبيرٌ، ومكانتُه عظيمةٌ، وقــال تعــالى:﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾[٣] فزاد لامَ البعد دلالةً على أن حبَّ يوسف عليه السّلام لم يكن قريباً منها، بل هــو بعيدٌ، فهي لا تستطيع الوصولَ إليه مع محاولتها[٤]، وبذلك تكون الزيادةُ قد جاءت لمعنى، قال ابنُ السَّرَّاج: "واللامُ في (ذلك) زائدةٌ، والأصلُ (ذا) والكافُ للخطاب فقط، ومحــالٌ أن تكون هُنا ضميراً لِمَا بيَّنْتُ لكَ، فإنّما زِدْتَ الكافَ على (ذا) وكانت (ذا) لِمَا يُــومِي إليــه بالقُرْب، فإذا قلْت (ذلك) دلَّتْ على أنّ الذي يُومي إليه بعيدٌ"[٥]. وكثرت مواضعُ زيــادة لامِ البعد بعد أسماء الإشارة في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي[٦]:

فإنْ يكُ موسى أبْطَلَ السِّحْرَ مَرَّةً　　　فذلكَ عَصْرُ المُعجِزاتِ وذا عَصْرُ

فقد زاد الشاعرُ لامَ البعد بعد اسمِ الإشارة (ذلك) للدلالة على أنّ عــصر المعجــزات، وهو العصرُ الذي عاش فيه موسى عليه السّلام بعيدٌ عن العصر الذي يُصوِّره، ويــصفُ جمالَ الفتيان فيه، هذا الجمالُ الذي يشبهُ السِّحرَ في تأثيره وسيطرته، ولكنَّ الفرْقَ بينهمــا أنه لا يُبْطَل. وقال البارودي[٧]:

هُوَ ذلكَ الْحِبْرُ الذي مَنْ أمَّهُ　　　نالَ الرِّضا وأُجِيبَ مَنْ ناداهُ

(1) مريم، ٩.
(2) الأنعام، ١٠٢.
(3) يوسف، ٣٢.
(4) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/١٢٧، والمفصل، ١٨١، وشرح المفصل، ج٣/١٣٥-١٣٦، وأسرار النحو، ١٨١، وأوضح المسالك، ٨٦، والنحو الوافي، ج١/٢٩٣.
(5) الأصول في النحو، ج٢/١٢٧.
(6) الديوان، ج٢/١٣١.
(7) الديوان، ج٤/١٧٧.

فقد زاد الشاعرُ لامَ البعد في اسم الإشارة (ذلك) للدلالة على رِفْعة الممدوح سيِّدنا عليٍّ كرَّم اللهُ وجهَهُ وعُلُوِّ منزلته في العلم، وليس لاسم الإشارة (ذا) أن يؤدِّي هذا المعنى.

٨- زيادة(لا):

تجوز زيادةُ (لا) بعد الواو المسبوقة بنفي أو نهي، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم ﴾[١] وقوله تعالى:﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ ﴾[٢] ومن زيادتها بعد الواو المسبوقة بنهي قولُه تعالى:﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ ﴾[٣]. وزِيدت في هذا الموضع؛ لتؤكِّد معنى النفي أو النهي في المعطوف، فلو قلتَ: (ما جاء محمدٌ وخالدٌ) نفيْتَ مجيءَ محمدٍ وخالدٍ، واحتمل أن يكون النفيُ لمجيئهما معاً، أو أن يكون النفيُ لمجيئهما متفرِّقين وبذلك يكون التركيبُ ذا دلالات متعدِّدة، وإذا قلتَ: (ما جاء محمدٌ ولا خالدٌ) نفيتَ وقوعَ المجيء من كليهما، وأدخلت المعطوفَ (خالدٌ) في نفي المجيء عنه مع المعطوف عليه (محمدٌ) وأكّدتَ ذلك، فنقلتَ المعنى بزيادة (لا) من الاتِّجاهات المتعدِّدة المحتملَة إلى الاتِّجاه الواحد القطعيّ الدلالة. ومثلُه قولُك: (لا رجلَ ولا امرأةَ في المجلس) فقد نفيتَ بزيادة (لا) بعد الواو العاطفة وجودَ جنس الرجال ووجودَ جنس النِّساء على حدٍّ سواءٍ في المجلس، ولو أسقطْتَها، وقلتَ: (لا رجلَ وامرأةَ في المجلس) احتملَ نفيُك المعنى الأولَ، واحتمل أنك تنفي وجودَ الجنسين مجتمعين في المجلس، ولا تنفي وجودَ أحدهما بمعزل عن الآخر. وتجوز زيادتُها بين (أنْ) المصدريّة الناصبة للفعل المضارع، وبين المضارع المنصوب بها، نحوُ قوله تعالى:﴿ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[٤] فزادها لغرض التوكيد، ومنه قولُ الأحْوَص[٥]:

مَخافَةَ أنْ لا يجمعَ اللهُ بيننا ولا بينَها أُخْرَى اللّيالي الْغَوابِرِ

(1) سبأ، ٣٧.
(2) المائدة، ١٠٣.
(3) المائدة، ٢.
(4) الحديد، ٢٩.
(5) الديوان، الأحوص، غير موجود في الديوان، الأزهية في علم الحروف، ١٥٥.

فــ (لا) زائدةٌ بين (أنْ) الناصبة وبين الفعل المضارع المنصوب (يجمعَ) لغرض التوكيد.

وتجوز زيادتُها قبل خبر (أنّ) إذا كان مضارعاً مرفوعاً، نحو قوله تعالى:﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[(١)] فزاد (لا) قبل الخبر (يرجعون) لأنه خبرُ (أنّ) وهــو مضارع مرفوع، وزيادتُها لغرض توكيدِ عدمِ رجوعِ القوم المُهلَكين بعد إهلاكهــم، وهــذا إمعانٌ في تخويفهم من عواقــب العــصيان، وقولــه تعــالى:﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٢)]. وتجوز زيادتُها قبل فعل القسم المضارع نحوُ قوله تعــالى:﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[(٣)] وزادها؛ لتوكيد معنى القسم، والمرادُ "أُقسم بيوم القيامة"[(٤)] فزيادتُها أغْنتْ عن تكــرار القسم، وأظهرت عَظَمةَ اليمين والقسم وشأنَ الْمُقْسَم من أجلــه، وقولــه تعــالى:﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾[(٥)] وجازت زيادتُها في هذا الموضع؛ لأن القرآن كلّه جملةٌ واحدةٌ، فهي ليست في صدر الكلام كما احتجَّ بعضُهم. وتجوز زيادتُها قبل المفعول به لغرض التوكيد، نحو قــول الشاعر[(٦)]:

أبى جودُه لا البُخلَ واستعجلَتْ به نَعَمْ مَنْ فَتَىً لايَمْنَعُ الجُودَ قاتلُهْ

فزاد (لا) قبل المفعول به (البخلَ). وتجوز زيادتُها بين الجارّ والمجرور، نحوُ قولــك: (جئتُ بلا زادٍ، وغضبتُ من لا شيءٍ) تريد أن تؤكِّد، والحقيقةُ أنها تتضمّن معنى النفــي، وهي في هذا الموضع في الأصل نافيةٌ للجنس، فلمّا دخل حرفُ الجرِّ عليها، انتقلتْ إلــى الزّيادة؛ لأنها صارت متوسِّطةً بين شيئين متلازمين، وتجوز زيادتُها بين المتضايفين، نحو قول العجّاج[(٧)]:

---

(1) الأنبياء، ٩٥.
(2) الأنعام، ١٠٩.
(3) القيامة، ١.
(4) ينظر، الكتاب، ج٤/٢٢٢، والمقتضب، ج١/١٨٦، والأصول في النحو، ج١/٤٠١، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٣٢، ومعاني الحروف، ٨٤، والخصائص، ج٢/٢٨٣، والأزهية، ١٥١-١٥٤، وشرح المفصل، ج٨/١٠٩، ١٣٦-١٣٧، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٨٤-٢٨٥، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩٨٤، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٢١٧-٢١٩، والنحوالوافي، ج١/٦٢، ومعاني النحو، ج٣/٣٠٠-٣٠١، ج٤/ ١٧٩.
(5) الانشقاق، ٦.
(6) مجهول القائل، ينظر، معاني الحروف، ٨٥.
(7)العجّاج، الديوان، رواية الأصمعيّ، تح، عَزّة حسن، دار الشرق العربيّ، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ١٤٧.

قد يكسبُ المالَ الْهِدابُ الجافي[١]

بغير لا عَصْفٍ ولا اصْطِــرافِ[٢]

فزاد (لا) بين المضاف (غير) والمضاف إليه (عصفٍ)[٣].

وتجوز زيادتُها قبل (بل) لتوكيد معنى الإضراب فيها، سواءٌ أكانت في كلام مثبــت أم منفيّ، فمن الأوّل قولُ الشاعر[٤]:

وجهُكِ البدرُ لا بلِ الشّمسُ لو لمْ يُقْضَ للشّمسِ كَسْفَةٌ أو أُفُولُ

فأثبت للحبيبة وجهَ البدر، ثمَّ أضْربَ عن ذلك، وأراد أن يثبت لوجهها ضياءَ الشّمس، فزاد (لا) قبل (بل) ليؤكِّد أنّها كذلك، ومن الثاني قولك: (ما قام زيدٌ لا بل قام عمرٌو). وتجوز زيادتُها قبل (بل) التي تأتي بين الجمل لمعنى الإضراب؛ لِتقوِّي معنى الإضراب فيها، و تؤكِّدَه، نحوُ قول الشاعر[٥]:

وماهَجَرْتُكِ لا بلْ زادني شَغَفاً هَجْرٌ وبُعْدٌ تراخَى لا إلى أجَلِ

فزاد (لا) قبل (بل) التي أفادت الإضرابَ عن عدم هَجْرِه الحبيبــةَ، وتأكيــدَ أنــه ازداد بهجرها غير المعلوم أجَلُه حُبّاً وتعلُّقاً بها، ولمّا أراد أن يؤكِّد هذا المعنـــى، زاد (لا) قبــل (بل)[٦]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضـــع التـــي زيـــدت فيهـــا (لا). قـــال البارودي[٧]:

لا باركَ اللهُ فيهِ حيثُ كانَ ولا جزاهُ عن فعلِه إلاّ بِأسْواءِ

---

(1) الهداب: الخَمول.
(2) العَصفُ، الكسب، والاصطراف: التقلّب في الأمور والتصرّف في المعيشة.
(3) ينظر، الكتاب، ج٤/٢٢٢، والمقتضب، ج١/١٨٦، والأصول في النحو، ج١/٤٠١، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٣٢، ومعاني الحروف، ٨٤، والخصائص، ج٢/٢٨٣، والأزهية، ١٥١-١٥٤، وشرح المفصل، ج٨/١٠٩، ١٣٦-١٣٧، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٨٤-٢٨٥، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩٨٤، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٢١٧-٢١٩، والنحوالوافي، ج١/٦٢، ومعاني النحو، ج٣/٣٠٠-٣٠١، ج٤/ ١٧٩.
(4) مجهول. ينظر، مغني اللبيب، ١٥٣، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٠، والنحو الوافي، ج٣/٥٠٤.
(5) مجهول. ينظر، مغني اللبيب، ١٥٣، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٠، والنحو الوافي، ج٣/٥٠٤.
(6) ينظر، ارتشلف الضرب، ج٤/١٩٩٥-١٩٩٦، ومغني اللبيب، ١٥٣، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٠، والنحوالوافي ،ج٣/ ٥٠٤، وسعد، محمود، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر،١٩٨٨م، ٩٥.
(7)الديوان، ج١/٣٢.

(لا) بعد الواو زائدةٌ؛ لتؤكِّد معنى الدّعاء الذي سبق الواو، فقد دعا الشاعرُ أن ينــزع الله البركةَ من المهجوِّ، ويجزيه على أعماله بالسوء فحسبُ. ولمّا أراد الحدثين معــاً، زاد (لا) بعد الواو العاطفة حتّى لا يخمِّن المتلقي ويتوهّم أنّ الشاعر لا يريد وقوعهما سويّةً، ولولا الزيادةُ، لَانفتح المعنى أمام الاحتمالات المتعدّدة التي لا يريدها الشاعرُ. وقال البارودي[١]:

ولا تكنْ مُسْرِفاً غِرّاً ولا بَخِلاً فَبِئْسَتِ الْخَلَّةُ الإسرافُ والبَخَلُ

زاد الشاعرُ (لا) بعد الواو العاطفة؛ ليؤكّد أن البخل داخلٌ في حكم النهي مع الغــرّ، فقــد نهى عن الإسراف من أجل الغرّ والبخل مجتمعين أو متفرقين، وحتّى لا يتوهّم المتلقي أنه نهى عن الإسراف في حال اجتماعها أو افتراقهما، زاد (لا) بعد الواو العاطفة، فــصارت الدلالةُ

قطعيةً لاتحتمل الشّكّ والتخمين وقال البارودي[٢]:

فكانَ يوماً قَضَيْنا فيه لذَّتَنا كما اشتهيْنا فلا غِشٌّ ولا دَغَلُ[٣]

ليست (لا) بعد واو العطف أصليةً، بل زائدةٌ لتوكيد معنى النفي الــذي قبلهــا، فقــد نفــى الشاعرُ أن يكون اليومُ الذي قضاه مع صحبه في لذّة قد شابَه الغشُّ أو الفساد والرّيبة مــن أحدهم، فأراد توكيد عدم وقوع الغشّ والدّغَل من أحدهم متفرّقين أو مجتمعين حتّى لايترك مجالاً للشكوك و الاحتمالات، فــزاد (لا) بعد الواو، وهو موضعٌ تجيز القاعــدةُ النحويــة زيادتَها فيه. وقال بدر الدين الحامد[٤] :

تلْقى الجُنودَ فلا وربِّكَ لا تَنِي حتّى تُبدِّدَ شمْلَهُمْ تبْديدا

زاد الشاعر (لا) قبل القسم (وربّك) الذي حذف فعلَه لغرض توكيد معنى القسم ولتوكيد وقوع المُقسَم من أجله، فقد أقسم الشاعرُ؛ لِيخبر أن الممدوح إذا لاقى الجنودَ في الحــرب،

(1) الديوان، ج١٦٩/٣.
(2) الديوان، ج١٦٧/٣.
(3) الدّغَل: الفساد والرّيبة، يصف يوم صيد قضاه مع رفاقه.
(4) الديوان، ج١٣٤/١.

لم تضعف همّتُه حتّى يفرّق جموعَهم، وفي هذا مبالغة في تـصوير بطولتـه وشـجاعته وإقدامه وبأسه، وهذه المبالغةُ قد تلقى شكّاً أو إنكاراً من المتلقي؛ لـذا ينبغـي الاحتيـاطُ للمعنى بتوكيده وتقويته، فزاد (لا) قبل القسم، وهو موضعٌ تجوز زيادتُها فيه مـن حيـث القاعدةُ النحوية والاستعمال الصحيح. وقال أبو ماضي(1):

أجَلْ هذا الذي نَبْغِيه مِنْكُمْ ونرْجو لا اللُّجَيْنَ ولا النُّضارا

العلاقةُ القائمةُ بين الفعل (نرجو) و (اللّجين) علاقةُ تعدية منفية، ويبدو أنها موضع شكٍّ وتردّد من المتلقي الذي قد يظنّ أن الشاعر يتملّقه، ويُنشده هذا الشعر طمعاً في المال مـن ذهبٍ أو فضّةٍ، فأراد الشاعرُ أن ينفي ذلك، فزاد (لا) قبل المفعول به (اللُّجين) ليؤكّد أنـه لايريد اللّجين ولا النّضار من الممدوح لقاء شعره، فهو يدافع بزيـادة (لا) عـن صـدقه، وينفي غير ذلك ممّا يَرِد في ذهن المتلقي، وهو مايزال يجري في هَدْي القاعـدة النحويـة التي أجازت له هذا التغييرَ؛ ليحتاط لمعناه، ويحفظه من التفـسيرات والاحتمـالات التـي لايقصدها. وقال السياب(2):

بُوحِي بِسِرِّكِ لا بلِ اتَّئِدي أخْشَى الأسَى إنْ بُحْتِ بالسِّرِّ

جاءت (لا) قبل (بل) زائدةً لتوكيد معنى الإضراب، فقد أمرَ الشاعرُ حبيبتَه في بداية البيت أن تبوح بسرّها، وقد نظرت إليه، وقبل أن تأتمر بما يقول، خشي عواقب أمره، وقـد رأى عليها علامات الاستجابة التي قد لا تكون كما يرغب، فطلب إليها أن تتمهّل فيما أمرَهـا. ويبدو أنها خمّنت، أو قد تخمِّن، وقد رأت عليه الشوقَ واللهفة وتأثيرَها فيه أنه ليس جـادّاً في إضرابه عمّا أمرها به من البوح بسرّها، احتاط لذلك فقوّى الإضرابَ بزيادة (لا) قبـل (بل) وهذا موضعٌ تجوز فيه زيادتُها. وقال الشابّي(3):

وتناثَرَتْ أوراقُ أحْلامي على حَسَكِ الْمَمَرِّ

---

(1) الديوان، ٣٤٦.
(2) الديوان، ٤٦٧.
(3) الديوان، ٢٣٤.

وتَهَدَّلَتْ أغصانُ أيّامي   بلا ثَمَرٍ ولا زَهْــر

فقد زاد الشاعرُ (لا) بين الباء الجارّة ومجرورها (ثمرٍ) لغرض التوكيد، والحقُّ أن (لا) في هذا الموضع ليست زائدةً في الأصل، بل نافيةٌ للجنس، فلمّا دخل عليها حرف الجــرّ، أُهمِلتْ، فلم يعدْ لها عملُ (إنّ) فصارت زائدة.

والنتيجةُ أنّ الغرضَ العامَّ لزيادة (لا) في المواضع المتقدِّمة المختلفة في التعبيــر، هــو التوكيدُ والاحتياطُ للمعنى الأساسيّ، وسدُّ الأبواب أمام الاحتمالات والــشّكوكِ والظُّنــون، وزيادتُها ليس لها أثرٌ من حيث الشكلُ في بنية التركيب، فتظلُّ العلاقاتُ النحويــة القائمــة بين عناصر التركيب كما لو لم تكن (لا) موجودةً فيه.

٩- زيادة(ما):

(ما) عنصرٌ نحويّ تجوز زيادتُها في مواضع عدّةٍ من التركيب النحويّ، فتجوز زيادتُها بعد الأحرف المشبّهة بالفعل، فإذا زِيدت بعد (إنّ) كفّتها عــن عملــي النّــصب والرّفــع، وهيّأتْها للدخول على الجملتين الاسمية والفعلية، فمن دخولها، وهي مكفوفة علــى الجملــة الاسمية، نحو قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾[1] وقوله تعــالى:﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[2] ومــن دخولها وهي مكفوفة على الجملة الفعلية قوله تعــالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[3]. وتزاد بعد (أنّ) فتكفها عن العمل، فتهيّئها للدخول على الجملتين الاسمية والفعليــة، نحــو قوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[4] وقوله تعــالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[5] وتجوز زيادتُها بعد (كأنّ ولكنّ ولعــلّ وليت) فتكفها عن العمل، وتهيّئها للدخول على الجملتين الاسمية والفعلية، ماعــدا (ليــت)

(1) يونس، ٢٠.
(2) النساء، ١٧١.
(3) فاطر، ٢٨.
(4) الأنبياء، ١٠٨.
(5) الأنفال، ٢٨.

فيجوز فيها الإعمالُ والإهمالُ فمن زيادتها بعد (كأنّ) قولــه تعــالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾(١) ومن زيادتها بعد (لكنّ) قولُ امرىء القيس(٢):

لكنّما أسْعى لمجدٍ مُؤَثَّلٍ   وقد يُدْرِكُ المجدَ المُؤَثَّلَ أمْثالي

ومن زيادتها بعد (لعلّ) قول الفرزدق(٣):

أَعِدْ نَظَراً يا عبدَ قيسٍ لعلّما   أضاءَت لك النّارُ الحِمارَ المقيَّدا

ومن زيادتها بعد (ليت) قول النابغة الذبيانيّ(٤):

ألاَ لَيْتَمَا هذا الحَمامَ لَنا   إلى حَمامتنا أوْ نصفَه فقدِ

بنصب (الحمامَ) على إعمال (ليت) ورفعِه على إهمالها. وهي في كلِّ الــشواهد الــسابقة ألغت عملَ الحرف المشبّه بالفعل، وأزالت اختصاصه بالدخول علــى الجملــة الاســمية، وهيّأته للدخول على الجملة الفعلية، وهذا من باب التوسُّع في استخدام العناصر النحوية في غير أبوابها الأصلية بتغيير يُجريه العربيُّ في تركيبه(٥). وتأتي هذه الزيادةُ لــ (ما) بعــد الأحرف المشبهة بالفعل لمعنى خاصّ يريده المتكلمُ، ويرى أن التعبيــر الطبيعــيّ يكــون حائلاً بينه وبين معناه، فإذا أوردت التعبير طبيعياً، وقلت: (إنّ زيداً منطلقٌ) رددت علــى سؤال سائل لايعلم انطلاقَه، وإذا زدت (ما) بعد (إنّ) وقلت: (إنّما زيدٌ منطلقٌ) أخبرته عن شيء يعلمه لكنه يشكّ فيه، أو ينكره، أو يريد أن يتثبّت، ويتحقّق من وقوعه؛ لأن صــورة المعنى والخبر ليست واضحةً في ذهنه، ومنه قول المتنبّي لكافور الإخشيديّ(٦):

إنَّما أنتَ والدٌ والأبُ القا   طعُ أحْنى من واصلِ الأولادِ

---

(1) يونس، ٢٧.
(2) الديوان، ١٦٧.
(3) الديوان، ج١/٢١٣.
(4) الديوان، ١٤.
(5) ينظر، الكتاب، ج١/٢٢١، والمقتضب، ج٢/٥٣، والأصول في النحو، ج١/٢٣٢-٢٣٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/ ٢٩٠، والإيضاح العضدي، ١٢٧، والأزهية، ٨٨-٨٩، والمفصل،٣٧٩، وشرح المفصل، ج٨/٣٧٦-٣٧٨، ٤٠٤، وجامع الدروس العربية، ٢/٢١٣-٢١٤، والجملة العربية والمعنى، ٢٤٤، ومعاني النحو، ج١/٣٠١-٣٠٦.
(6)المتنبي، الديوان، تص: مصطفى السّقا وآخرون، ط٢، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، ج٢/٣٣.

فلا يريد المتنبي أن يخبر كافوراً أنه أبٌ؛ لأنه يعلم ذلك، وإنّما أراد أن يذكّره بهذا الأمـــر المعلوم عنده؛ ليدخل إلى حاجته بعد أن يستدرّ عطفَه، فزاد (ما) بعـــد (إنّ) لتقويـــة هـــذا المعنى وللتأثير في نفس كافور، ومثلُه كثيرٌ في القرآن الكريم، نحو قولـــه تعـــالى:﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾[1] وقوله تعالى:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾[2] وكلُّ ذلك تـــذكيرٌ بـــأمر ثابت معلوم، هذا إذا كان الكلامُ على سبيل الحقيقة، وإذا زدتَ (ما) بعد (إنّ) فـــي ســـياق المجاز والتشبيه، كنت إنّما أردت أن تنزّله بمنزلة الظاهر المعلوم الذي لايُنكَر، ولايُـــدفَع، وليس للسامع سوى أن يسلِّم به نحوُ قولك: (إنّما خالدٌ سيفٌ، وإنّما زيدٌ نارٌ) ومنـــه قـــول عبيد الله بن قيسٍ الرُّقيّات[3]:

إنّما مصْعبٌ شِهابٌ من اللهِ تجلّتْ عن وجهه الظّلْماءُ

فشبّه مصعباً بالشهاب، وأكّده بـــ (إنّ) ولمّا أراد أبعدَ من هذا المعنـــى، وأن يجعـــل شَـــبَهَ مصعبٍ بالشّهاب في حكم الظّاهر الواقع الذي لا يمكن ردُّه، زاد (ما) بعد (إنّ) واســـتخدم (إنّما) مبالغةً في التوكيد وزيادةً فيـــه؛ لأنّ المخاطب ليس ممّـــن يقبـــل ذلـــك ويـــصدّقه بسهولة.

وإذا جاءت بعدها جملةٌ فعلية، أفادت حصرَ الفعل في الفاعل، ونفته عن سواه، وبـــذلك يكون المتكلمُ أدّى معنى عبارتين بعبارة واحدة، نحو (إنّما جاءني زيدٌ) فحصرتَ المجـــيء بزيدٍ، وقصرته عليه، ونفيته عن سواه لمخاطب يعتقد أنه جاءك زيدٌ وغيره، فأنت تثبـــت وتنفي في آنٍ واحد، وتجعل المعنى يسير في اتِّجاه واحد، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف، فتكون قد قصرْت صفةَ المجيء على زيد دون غيره[4]، ومنه قوله تعـــالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[5] فزاد (ما) بعد (إنّ) لقـــصر خـــشية الله علـــى العلمـــاء،

---

(1) الأنعام، ٣٦.
(2) النازعات، ٤٥.
(3)ابن قيس الرّقيّات، عبيد الله الديوان، تح،محمد يوسف نجم، دارا بيروت وصادر، ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، ٩١.
(4) ينظر، دلائل الإعجاز، ٣١٥،٣٣٥،٣٥٤، ومفتاح العلوم،١٥٩ -١٦٣، والإيضاح في علوم البلاغة، القزويني الخطيب، دارالجيل، بيروت، بلا تاريخ، ٧٢-٧٤، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٩٥-٩٦، والمعنى في البلاغة العربية، ٩٢-٩٣، والمفصل في علوم البلاغة.
(5) فاطر، ٢٨.

ويحصرها فيهم، فلو قلت: (يضرب زيدٌ عمراً) أفدتَ أن الضّربَ من زيدٍ واقع على عمروٍ وغيره، وإذا قلت: (إنّما يضرب زيدٌ عمراً) أفدْتَ وقوع الضربِ من زيد على عمروٍ دون سواه، وإذا قلت: (يضرب زيدٌ عمراً في السوق)كان المعنى يحتمل أنه يضربه في السوق دون أن يمنع احتمال ضربه في مكان آخر، وإذا قلت: (إنّما يضرب زيدٌ عمراً في السوق) حصرت وقوع الضرب من زيد على عمروٍ في السوق دون الأماكن الأخرى، وإذا قلت: (يضرب زيدٌ عمراً يوم الجمعة) أخبرت عن وقوع الضرب من زيدٍ على عمروٍ في هذا اليوم دون أن تنفي وقوعه منه عليه في الأزمنة الأخرى، وإذا قلت: (إنّما يضرب زيدٌ عمراً يومَ الجمعة) حصرت وقوع الضرب في هذا الزمن دون غيره، فتغييرُ التعبير النمطيّ بزيادة (ما) يدفع الاحتمالات، ويجعل الدلالة قطعية بعد أن كانت احتماليّة، وقد أوردتُ هذه التعبيرات المختلفة؛ لِيَظْهَرَ فضلُ زيادةِ (ما) في هذا الموضع في إظهار المعنى الذي لا يؤدّيه التركيبُ الأصلُ.

وقد يزيدها المتكلم بعد (إنّ) لأنه يريد التعريض بالمخاطب، فيكون مضمونُ الجملة شيئاً، والمرادُ شيئاً آخر، وهذا يحتاج إلى عناية أكبر من السامع؛ ليفهم المعنى، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[١] فيعرِّض بالكفّار الذين لا يتذكّرون، ويذمُّهم؛ لأنهم عطّلوا عقولَهم، وعاندوا، فصاروا بمنزلة مَنْ لا عقلَ له، وقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ﴾[٢] تعريضٌ بالذين رأوا الآيات الواضحة، ولم يؤمنوا بها فصار إنذارهم وعدمه سواءً، ومنه قول الشاعر العبّاس بن الأحنف[٣]:

أنا لم أُرْزَقْ مَحَبَّتَها   إنّما للعبد ما رُزِقا

يعرِّض بنفسه، وينصحها ألّا تطمع في وصال الحبيبة؛ لأنه لم يرزَق محبّتَها، ولا يستطيع المرءُ أن يصل إلى شيءٍ ليس له، كما أن زيادتها في هذا الموضع تفيد قصرَ الموصوف على صفة معيّنة دون غيرها، أو قصرَ الصفة على موصوف معيّن دون غيره، نحو (إنّما

(1) الرعد، ١٩.
(2) فاطر، ١٨.
(3)ابن الأحنف، العبّاس، الديوان، تح: عاتكة الخزرجي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، ٢١٧.

أنا تميميٌّ) فقصرتَ المبتدأ (أنا) وهوالموصوف على الخبر (تميميٌّ) وهو الصفةُ، وأكّدتَ نسبة الإسناد القائمة بينهما، ونفيتَ عمّن تخاطبه اعتقادَه أنك من قبيلة أخرى، وفي قولك: (إنّما شاعرٌ زيدٌ، وإنّما شجاعٌ محمدٌ) قصرتَ صفةَ الشاعرية على زيدٍ، ونفيتها عمّن سواه، و قصرتَ صفة الشجاعة على محمدٍ، ونفيتها عمّن سواه، وذلك على سبيل المبالغة والتعظيم و إعلاء شأن الموصوف على سبيل الحقيقة أو الادّعاء[1]. فزيادةُ (ما) بعد (إنّ) تمكّن المتكلمَ من تأدية معان متعدّدة بتعبير واحد. وهو تغييرٌ يجري وراء المعنى، فالقصرُ الذي تفيده (إنّما) ضربٌ من الإيجاز وطريقة لتكثيف المعنى والدلالة، والتعبير باللفظ القليل عن الكثير من المعنى، وتُعادل جملةُ القصر جملتين تقريباً، فقولُنا: (لاهاديَ إلاّ الله) يوازي قولَنا:(الهدايةُ من الله، وليس هادياً غيره سبحانه) ويُستعان بهذا الأسلوب في تحديد المعاني

تحديداً كاملاً في المسائل العلمية، وما هو قريبٌ منها[2].

وإذا زيدت (ما) بعد (كأنّ) وسّعت دائرة التشبيه بها بعد أن كانت مقصورة على الجملة الاسمية، فتدخل على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ﴾[3] وذلك بحسب غرض المتكلم، فقد يكون غرضُه الاهتمامَ بالمشبّه أو بذكر وجه الشّبه دون الاهتمام بالمشبه به؛ لأنه لاغرضَ ولامعنى في ذكره، فإذا قلت: (كأنّ محمداً شُدَّ في قَرْنٍ) فقدّمت (محمداً) المشبَّه في المعنى على الفعل (شُدَّ) كان اهتمامُك بالمشبَّه (محمّداً) لأنه أهمُّ منه، وإذا قلت: (كأنّما شُدَّ محمدٌ في قَرْنٍ) فزدت (ما) وقدّمت الفعلَ، كان اهتمامُك بالحالة الفعلية، وهي الشّدُّ لا المشبّه، ومنه قوله تعالى:﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[4] فزاد (ما) بعد (كأنّ) ليبيّن شَناعةَ فعل القتل وقُبحَه، وإذا وليتها الجملةُ

(1) ينظر، دلائل الإعجاز، ٣١٥،٣٣٥،٣٥٤، ومفتاح العلوم، ١٥٩-١٦٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ٧٢-٧٤، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٩٥-٩٦، والمعنى في البلاغة العربية، ٩٢-٩٣، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٣٧-٢٣٨.
(2) ينظر، المفصل في علوم البلاغة، ٢٣٧-٢٣٨.
(3) يونس، ٢٧.
(4) المائدة، ٣٢.

الاسمية، كان القصدُ قصرَ المشبّه على مشبّه به معيّن، وهو مقتضَى قول النّحاة، فإذا قلت: (كأنّما خالدٌ أسدٌ) قصرْتَ شَبَهَ خالدٍ بالأسد دون سواه، وأنت تفعل ذلك، وتقوله لمخاطب يدّعي، ويزعمُ أنه كالنّمر مثلاً، فزيادتُها تقوّي التشبيهَ، وتؤكِّده[١].

وإذا زيدت بعد (لكنّ) كفّتها عن العمل، وهيّأتها للدخول على الجملة الفعلية، ووسّعت دائرةَ الاستدراك بها، وصارت العنايةُ موجّهةً إلى استدراك الفعل بعد أن كانت موجّهةً إلى استدراك الاسم، فإذا قلت: (أنا لا أسعى إلى إيذائك، وإنّما أسعى إلى المجد) دفعت عن مخاطبك معنى كان يدور في ذهنه، واستدركت ذلك المعنى عليه، ونبّهته إلى أن يحصر ذهنَه، ويوجّه عنايتَه إلى سعيِك إلى المجد، ويصرفه عن غيره؛ لأنك تريد ذلك فحسبُ[٢].

وإذا زيدت بعد (لعلّ) كفّتها عن العمل، وهيّأتها للدخول على الجملة الفعلية، ووسّعت دائرةَ الترجّي بها، وحصرتْه بالفعل الذي يليها، نحو قولك: (لعلّما يحضر زيدٌ) فحصرتَ الترجّي في حدوث فعل الحضور من زيدٍ دون الأفعال الأخرى، وإذا وليتها جملةٌ اسميّة، حصرَت الترجّي، وقصرَتْه على هذه الحالة دون سواها، نحو (لعلّما زيدٌ مسافرٌ) فحصرْتَ ترجّيَك على أن يكون زيدٌ في حالة السّفر فحسب[٣].

وإذا زيدت بعد (ليت) كفّتها عن العمل أو لم تكفّها، هيّأتها للدخول على الجملة الفعلية، و وسّعتْ دائرةَ التمنّي بها، فإذا وليتها جملةٌ فعلية، قصرت حدوثَ التمنّي على هذا الفعل دون سواه، فإذا قلت: (ليتما ينتصر جيشُنا) قصرْت تمنّيَك على حدوث فعل الانتصار من الجيش دون سواه من الأفعال الأخرى، وإذا وليتها جملةٌ اسمية، نحو (ليتما الشّباب يعود) أفدْتَ أنّ تمنّيَك مقصورٌ على عودة الشّباب إليك دون غيره[٤].

والنتيجةُ أنّ زيادةَ (ما) بعد الأحرف المشبّهة بالفعل لها حالتان، الأولى كفُّها عن العمل، وله غرضان، الأوّلُ تهيئتُها للدخول على الجملة الفعلية وإزالةُ اختصاصها بالجملة

---

(1) ينظر، معاني النحو، ج٣٠٩/١.
(2) ينظر، معاني النحو، ج٣١٠/١.
(3) المرجع السابق، ج٣١٠/١.
(4) معاني النحو، ج٣١٠/١.

الاسمية، فيُطلَق التشبيهُ والاستدراك والترجّي والتمنّي بعد أن كان مقيَّداً، والثاني الحصرُ الذي لا يقتصر على (إنّما وأنّما) بل قد يكون في التشبيه والاستدراك والترجّي والتمنّي، والثانيةُ عدمُ كفّها عن العمل، فيبقى كلُّ حرف على معناه واستعماله، ويكون الغرضُ توكيدَ معنى ذلك الحرف وتقويته، وإذا ظلّت الجملةُ على ما هي عليه دون تغيير بعد زيادة (ما) بقي المعنى دون تغيير، لكنّه تقوّى بالتوكيد(١). وكثرت المواضع التي زيدت فيها (ما) بعد الأحرف المشبهة بالفعل في دواوين الشعراء الخمسة. قال الشابّي(٢):

إنّما النّاسُ في الحَياةِ طُيورٌ   قدْ رَمَاها القَضا بوادٍ رَهيبِ

فزاد الشاعر (ما) بعد (إنّ) فكُفّت عن عملي النّصب والرّفع، فغدتْ مهملةً لاتأثيرَ لها في الجملة الاسمية (النّاسُ طيورٌ في الحياة) والغرضُ من زيادتها توكيدُ التشبيه وعلاقةِ الإسناد القائمة بين الخبر (طيورٌ) والمبتدأ (النّاسُ) فقد شبّه الشاعرُ النّاسَ بطيور، وأكّد هذا التشبيهَ بـ (إنّ) فلمّا رأى أنّ ذلك غيرُ كافٍ لإقناع المتلقّي والتأثير فيه؛ ليقبل هذه الصّورةَ الجميلةَ، احتاط للمعنى، فزاد (ما) بعد (إنّ) وقصر بذلك المبتدأ (النّاسُ) على الخبر (طيورٌ). فليس بعد زيادة (ما) في هذا الموضع مجالٌ للشّكّ والاحتمال في المعنى الذي قصَدَه. وقال بدرُ الدين الحامد(٣):

إنّما الْعُمْرُ لَمْحَةٌ من خَيالٍ   فإذا مَرَّ قِيلَ كانوا وكُنَّا

(ما) بعد (إنّ) زائدةٌ، فلم تعُدْ (إنّ) عاملةً في ركني الجملة الاسميّة (العمرُ لمحةٌ) والغرضُ من زيادتها توكيدُ علاقة الإسناد بين الخبر (لمحةٌ) والمبتدأ (العمرُ). فقد زعم الشاعرُ، وأخبر أنّ العمر لمحةٌ من خيال، وهو لا يتعدّى هذه الحقيقة، وهذا واقعُه، فهو يمرُّ سريعاً، وأراد بذلك أن ينبّه المتلقّي، ويوقظَ كلَّ غافل عن هذه الحقيقة، فزاد (ما) احتياطاً وتوكيداً لهذه الدلالات والإيحاءات، و كأنّ أحداً ما قد أنكر عليه هذا المعنى، فرأى

(1) المرجع السابق، ج٣١١/١.
(2) الديوان، ١٧٩.
(3) الديوان، ج٥٧٦/٢.

أنه من الأنسب دفعُ الاحتمالات وإزالةُ الشّكّ من نفس المتلقّي، وحملُه على التسليم بهذه الحقيقة. وقال أبو ماضي(١):

فكأنّما الأزهارُ سِرْبُ كَواعبٍ وكأنّما هُوَ شاعرٌ يتغزّلُ

زاد الشاعرُ (ما) بعد (كأنّ) فلم تعد حرفاً عاملاً، فلا تأثيرَ نحويّاً لها في المبتدأ (الأزهارُ) والخبر (سربُ) وهذا موضع تجوز زيادتها فيه، والغرضُ من زيادتها توكيدُ علاقة التشبيه القائمة بين طرفي الإسناد وتقويتُها، فشبّه الشاعرُ الأزهارَ بسرب الكواعب، ولمّا أراد أن يقوّي علاقة التشبيه بينهما؛ حتّى لا يدع مجالاً للشكّ أنّ الأزهار في الجمال والحسن واللِّين كما ذكر، زاد (ما) بعد (كأنّ) فأغلق بابَ الاحتمالات أمام المتلقّي الذي ليس له بعد هذا التوكيد بزيادة (ما) سوى أن يقبل هذا المعنى، ويتأمّل هذه الصّورةَ، فيشعر بجمالها. وقال البارودي(٢):

وغَدَوْتُ حَرَّانَ الفُؤادِ كأنّما ضَاقَتْ عليَّ برُحْبِها الآفاقُ

(ما) بعد (كأنّ) زائدةٌ، وهذا ماهيّأ (كأنّما) للدخول على الجملة الفعلية (ضاقت عليّ برحبها الآفاقُ) فقد أفقدتها (ما) الزّائدةُ عملَها، ونقلتها إلى باب الأدوات المهملة، والغرضُ من زيادتها في هذا السياق توكيدُ وقوع الفعل (ضاقتْ) وإسناده إلى الفاعل (الآفاقُ). فقد زعم الشاعرُ أنّ الآفاق على الرّغم من سعتها، صارت ضيّقةً عليه، وهذا شُعورٌ ذاتيٌّ يضيّق الواقعَ، ويجعل الحقيقةَ مجازاً، ولمّا كان الأمرُ بالنّسبة إليه كما شعرَ به، أراد أن يُقنع المتلقّي بصدق ما يشعر به، وإن كان المتلقّي لا يرى الأمرَ كذلك، فزاد (ما) بعد (كأنّ). وقال أبو ماضي(٣):

يا لَيْتَما رَجَعَ الزّمانُ الأوّلُ زَمَنُ الشّبابِ الضّاحِكُ الْمُتَهَلِّلُ

---

(1) الديوان، ٤٤٨.
(2)الديوان، ج٢/٢٩٧.
(3) الديوان، ٤٤٧.

زاد الشاعرُ (ما) بعد الحرف المشبه بالفعل (ليت) التي ألغى عملَها، فدخلت على الجملة الفعلية (رجع الزّمانُ الأوّلُ) وظلّ معنى التمنّي قائماً في (ليت) لكنّ الزّيادةَ جاءت لتقوية معنى التمنّي وتوكيده، فقد تمنّى الشاعرُ أن يرجع الزّمانُ الأوّل، وقصدَ به زمنَ الشّباب واللّذّة والمتعة، فعبَّر عن حنينه إلى الزّمان الماضي، وفضّلَه على الحاضر، وأراد أن يفيد صِدْقَ تمنّيه، فزاد (ما) بعد (ليت).

والنتيجة أنّ زيادة (ما) بعد الحرف المشبّه بالفعل تنقله إلى باب الأدوات المهملة، ويحافظ كلُّ حرف على المعنى الأساسيّ الذي يؤدّيه، غير أنّ (ما) الزّائدة تقوّي المعاني الأساسية، وتؤكّدها، وتؤدّي معانيَ إضافيةً، وتنقل عناية المتلقّي وانتباهه إلى الاتّجاه الذي يريده منشىءُ التركيب.

- زيادة (ما) بين الرافع والمرفوع:

تجوز زيادة (ما) بين الرافع والمرفوع، ومن ذلك زيادتُها بعد الفعل (قلّ) وأشباهه، نحو (طال وكثر وشدّ) فتكفّها عن عمل الرفع، وتهيّئها للدخول على الجملة الفعلية، نحو (قلّما يقوم زيدٌ) وقول المرّار الأسديّ(١):

صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وقلّما وِصالٌ على طول الصُّدودِ يَدومُ

بزيادة (ما) بعد الفعل (قلّ) لتوكيد معنى القلّة فيه ولتقليل فُرَص وقوع الحدث الذي بعدها، وهو دَوامُ الوِصالِ بين الحبيبن في حالة صَدِّ أحدهما الآخرَ. وزيادتُها في هذا الموضع ينجم عنها إلغاءُ علاقة نحوية هي علاقةُ الإسناد بين الفعل الذي زيدت بعده، والفاعلِ، ومن ذلك زيادتُها بين الفعل المجهول ونائب الفاعل، نحو قول المهلهل(٢):

لو بأبانَينِ جاء يخْطبُها رُمِّلَ ما أَنْفُ خاطبٍ بدمِ

(1) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٤٣-٥٤، والأزهية، ٩١.
(2) غير موجود في الديوان. ينظر، المقتضب، ج٤/٣٢٤، ومغني اللبيب، ٤١١، والأبانان: جبلان، أحدهما: أبان.

فــ (رُمِّل) فعلٌ مجهولٌ، و (أنفُ)نائب فاعل، و (ما) بينهما زائدةٌ لغرض توكيد ترميــل أنف الخاطب بالدّم، وكأنّ السامع يشكّ فيه أن يفعل ذلك، فهو يؤكِّد التهديد، ويزيده قــوّةً، لكنّ زيادتَها في هذا الموضع لم تلغ علاقة الإسناد بين الفعل ونائب الفاعــل. ومــن ذلــك زيادتُها بين اسم الفعل و فاعله، نحو (شتّانَ ما زيدٌ وعمرٌو) فزدت (ما) بين اســم الفعــل الماضي (شتّان) وفاعلِه (زيدٌ) لأن مخاطبك ليس في حالة تسليم واقتناع بما تلقي إليه مــن كلام، فاحتجت إلى توكيد المعنى معنى البعد بين (زيدٌ وعمروٌ) لتجعل انتباهَه يــسير فــي الاتِّجاه الذي قد شكّلت تركيبك من أجله، وزيادتُها لاتضرُّ علاقة الإسناد القائمة بين اســم الفعل وفاعله(١). وكثرت المواضع التي زيدت فيها (ما) بين الرافع والمرفوع في دواويــن الشعراء. قال الشابّي(٢):

طَالما خاطَبَ العواطفَ في اللّيل   ونَاجَى الأمواتَ في غيرِ رَمْسِ

زاد الشاعرُ (ما) بعد الفعل (طال) فأهمله، فلم تعد به حاجةٌ إلى الفاعل، فزيادةُ(ما)فــي هذا الموضع أفقدت الفعلَ (طال) قدرتَه على الرفع، وألغت علاقةَ الإسناد بينه وبين فاعلــه الذي لم يعُد له بسبب زيادة (ما) موقعٌ في التركيب، وقد هيّأتْ زيادتُها بعد الفعــل (طــال) دخولَه على الجملة الفعلية (خاطب العواطف في الليل) فتوسّعت دائرةُ استعماله، والغرضُ من زيادتها توكيدُ المعنى وتقويته، فالشاعرُ يخاطبُ شعبَه، ويخبره أنه خاطبَــه بمخاطبــة عواطفه، وناجاه؛ لينهض، ويثور، وأنّ ذلك واقعٌ منه كثيراً، وعبّر عن ذلك بالفعل (طال) وهو بتوضيح هذا الأمر يوبِّخ الشعبَ، ويلومه، ويعنِّفه؛ لأنّه لم يلتفت إلى خطاب الــشاعر ومناجاته له، فأراد أن يزيد اللّومَ والتوبيخَ والتعنيف قوَّةً؛ لتكون بوزن خطابه، فزاد (مــا). وقال البارودي(٣):

ترَفَّقْ فإنّ الرِّفْقَ زَيْنٌ وقلّما   يَنالُ الْفَتى بِالعُنْف ما كان طالبا

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٥٤/٢، وشرح المفصل، ج١٣١/٨-١٣٣، والأزهية، ٨٨، ومغني اللبيب، ٤٠٣ ،٤١٠-٤١١، وجامع الدروس العربية، ج٥٥/١-٥٦.

(2) الديوان، ٢٤٢.

(3) الديوان، ج٧٧/١.

(ما) بعد الفعل (قلّ) زائدةٌ، فلم تعد به حاجةٌ إلى الفاعل والإسناد إليه؛ لأنه مكفوفٌ عن عمل الرّفع، وزيادةُ(ما)بعده وسّعتْ دائرةَ استعماله، فدخل على الجملة الفعلية (ينال الفتى بالرّفق ما كان طالباً). فرأى الشاعرُ أنّ اللّينَ يوصل الفتى إلى هدفه، ويزينُه، وأنّ العنفَ ليس السبيلَ الأمثلَ ليوصله إلى ما يريد، وإذا أوصلَه، حدثَ ذلك بقلّة شديدةٍ، فأراد أن يؤكِّد هذه المعاني، ويقوِّيها؛ حتّى يُقنع كلَّ مَنْ يؤمن بالعنف وسيلةً إلى الغايات كي يُقلع عنه، ويلتفتَ إلى الرّفق الذي لفتَ الشاعرُ عنايتَه إليه. وقال بدر الدين الحامد(١):

لَشَتَّانَ ما يومٌ تدورُ به الرَّحَى   على أَسَدٍ يَدْمَى ويومُ لِعابِ

زاد الشاعرُ (ما) بعد اسم الفعل (شتّان) دون أن يلغي عملَ رفعه، فظلّت علاقةُ الإسناد قائمةً بينه وبين فاعله (يومٌ) والغرضُ من زيادتها التوكيدُ. فقد أخبر الشاعرُ أنه ثمّة فرْقٌ بين يوم يقضيه في ساحة القتال، ويومٍ يقضيه في اللعب، وعبّر عن هذا الفرق بينهما في القدْر والقيمة والمنزلة باسم الفعل (شتّانَ) وهو يفخر بشجاعته، فأراد أن يؤكّد هذه الدلالات و المعاني، ويقوّيها، ويقنع المتلقّي بها فزاد (ما) وهوما يزال يجري في هدْيِ القاعدة النحويّة التي تسمح بزيادة هذا العنصر النحويّ في هذا الموضع من التركيب، وإن لم يكن منه في

الأصل احتياطاً للمعنى الذي أراد المتكلمُ أن يعبِّر عنه.

- زيادة (ما) بعد أدوات الشرط:

تجوز زيادة (ما) بعد أدوات الشرط، فتتوسّط بين أداة الشرط وفعل الشرط، نحو (متى ما تقمْ أقمْ) ونحو قوله تعالى:﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ ﴾(٢) فزاد (ما) بعد (إن)

---

(1) الديوان، ج١/٥٣.
(2) البقرة، ٣٨.

الشرطية، ونحو قوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[١] فزاد (ما) بعد (أيّاً) الشرطية، ونحو قول امرىء القيس[٢]

ورُحْنا يكادُ الطّرْفُ يَقْصُرُ دونه　　متى ما تَرِقُّ العَيْنُ فيه تَسْتَهِلِّ

فزاد (ما) بعد (متى) الشرطية، وتجوز زيادتُها بعد (إذا) الشرطية غير الجازمة دون أخواتها، نحو قول العبّاس بن مرداس السّلمي[٣]:

إذْ ما أتيتَ على الرَّسول فقلْ له　　حقّاً عليكَ إذا اطْمأنّ المجلسُ

فزاد (ما) بعد (إذا) الظرفية غير الجازمة[٤].

وزيادتُها في هذا الموضع تغيير نحوي يقصده المتكلم؛ ليفيد معنى الإبهام والغموض في الشرط فإذا قلت: (إذا جنّ الليل فسأزورك) كنت قد قصدت ليلَ اليوم الذي أنت فيه، فحدّدتَ، ولم تطلق زمنَ الزيارة، وجعلتَه محصوراً، وإذا قلت: (إذا ما جنّ الليلُ فسأزورك) بزيادة (ما) بعد (إذا) الشرطية، كنت قد أطلقت العنانَ لزمن الزيارة، ولم تحدّده، بل جعلته مطلقاً مفتوحاً، وعلى المخاطب أن يتوقّع زيارتك في كلّ ليلة تحلُّ عليه، وبذلك نقلت المعنى في التركيب الشرطي من الدلالة القطعية إلى الدلالة الاحتمالية، وجعلتَ انتباهَ المتلقي يسير في اتّجاهات متعدّدة سعياً وراء المعنى بعد أن كان يسير في اتّجاه واحد؛ لأنك تريد تشويقه إلى زيارتك أو تخويفه أو تحذيره منها، وذلك وفقاً للظروف التي بينك وبينه، وإذا زيدت بعد أداة شرطية مبهمة في الأصل، زادت إبهامها وغموضها وعمومها، نحو زيادتها بعد (متى) الشرطية، ومثلُها (أيّان). والغالبُ أنها تزاد للمبالغة في الشرط وتوكيده وتقوية العلاقة بين الشرط إذا وقع، وبين جواب الشرط، نحو

---

(1) الإسراء، ١١٠.
(2) الديوان، ١٥٦.
(3) ابن مرداس، العبّاس، الديوان، تح: يحيى الجبوري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ٨٨.
(4) ينظر، الكتاب، ج٢٢١/٤، والمقتضب، ج٥٣/٢، والأصول في النحو، ج١٦٠/٢، ومعاني الحروف، ١٣١، والمفصل، ٢٢١، ٤١٧، وشرح المفصل، ج١٠٥/٤، ج٤٢،٤٥/٧، ج٥/٩، وشرح جمل الزجاجي، ج٢٠٠/٢، وارتشاف الضرب، ج١٨٦٤/٤، ومغني اللبيب، ٤١١-٤١٢، وجامع الدروس العربية، ج١٤٥/١، ١٩٢-١٩٥.

قوله تعالى:﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾[(١)] فزاد (ما) بعد (إنْ) الشرطية؛ لأن المعنى يتطلّب أن ينبذ إلى القوم الخائنين فورَ شعوره بالخوف منهم حتّى لا يتردّد في ذلك[(٢)]. وقد يقصد المتكلمُ من زيادتها المعنيين معاً، نحو قولك: (إذا ما جنّ الليلُ فسأزورك) فزدت (ما) بعد (إذا) لأنك أردت أن تبهم وقتَ الزيارة، وتؤكّد تحقّقَ وقوعها؛ حتّى لا يظنّ المتلقي أن إبهامَ وقتها قد يعني عدمَ وقوعها منك[(٣)]. قال السامرائي: "ومعنى التوكيد أنها أظهرُ من الإبهام في الاستعمال العربيّ فأنا لا أرى إبهاماً في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ ﴾[(٤)] وتخصيصاً في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[(٥)] فالكلامُ في الحالتين على أهل النّار ومجيئهم إيّاها، فلِمَ كانت (إذا) الأولى مبهمة، والثانيةُ غيرَ مبهمة"[(٦)] وندر استخدامُ (ما) زائدةً بعد أدوات الشرط الجازمة في دواوين الشعراء الخمسة بينما كثرت عندهم زيادتُها بعد (إذا) الشرطية غير الجازمة. قال أبو ماضي[(٧)]:

فَباتَ يُصَعِّدُ الزَّفَراتِ وَجْداً   وإمّا ناحَ أسْعَدَهُ الحَمامُ

زاد الشاعر (ما) بعد (إن) الشرطية الجازمة، فزاد في بنية التركيب الشرطي عنصراً نحوياً ليس منه في الأصل، فقد أخبر الشاعر أن شعوره بالسعادة متوقّفٌ ومرتبط بنوح الحمام، وهو يصوّر في المهجر شوقَه وحنينه إلى الشام، ولمّا كانت (إن) الشرطية لِمَا يُشَكُّ في وقوعه، أورد فعلَ الشرط (ناح) وجوابه (أسعدَ) ماضيين، ولمّا لم يكن ذلك كافياً لإقناع المتلقي بصدق ما يقول الشاعرُ، ويشعر به، رأى الشاعرُ أنه من الأنسب الاحتياطُ

---

(1) الأنفال، ٥٨.
(2) ينظر، المفصل، ٢٢١،٤١٧، ومفتاح العلوم، ١٣١، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٢٢، ومعاني النحو، ج٤/٨١-٨٧
(3) ينظر، معاني النحو، ج٤/٨٤.
(4) فصلت، ٢٠.
(5)الزمر، ٧١.
(6) معاني النحو، ج٤/٨٤.
*متى: لتعميم الأوقات في المستقبل، و/متى ما/ أعمّ منها، و/أين/ لتعميم الأمكنة،و/أينما/ أعمّ منها. قال تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت" و/حيثما/ مثل /أينما/ قال تعالى: "وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره". ينظر: مفتاح العلوم،١٣١.
(7) الديوان، ٥٠٨.

للمعنى وتقويتُه بالتوكيد، فزاد (ما) بعد (إن) الشرطية دون أن يكون لزيادتها أيٌّ تأثير في العلاقات النحوية القائمة بين عناصر التركيب. وقال السياب(١):

نَفَضْنا قَطَراتِ الْوَصْلِ بين الوَرْدِ والعُشْبِ

إذا ما اهْتَزَّتِ الزَّهْرَةُ أَلْقَتْ بالنَّدَى الْعَذْبِ

(ما) بعد (إذا) الشرطية زائدةٌ، وهذا موضع من التركيب النّحوي تجوز زيادتُها فيه، والغرضُ من زيادتها في هذا السياق توكيدُ العلاقة السببيّة القائمة بين فعل الشرط (اهتزّتْ) وجوابه (ألقتْ) فقد أخبر الشاعرُ أنّ اهتزازَ الزهرة قد تسبّبَ عنه إلقاؤُها النّدى العذْبَ، وكان هذان الحَدَثان وقتَ اللقاء والوصال بينه وبين الحبيبة، وكأنه لمس التردّد والشّكّ من المتلقي في قبول هذا المعنى وتصديق هذا الخبر، ولمّا كان اهتمامُ الشاعر أن يقتنع المتلقي بما يقول، ويُصدّق الخبرَ الذي ينقله إليه، وأنه حقيقةٌ وواقعٌ لا ادّعاءٌ ووهمٌ وخَيالٌ من الشاعر، زاد (ما) بعد (إذا) الشرطية؛ لِيحتاط لكلِّ هذه المعاني والدّلالات، وحتّى لا يترك التركيبَ عرضةً لاحتمالات لم يقصدها، فتذهب الفائدةُ من تشكيل التركيب.

- زيادة (ما) بعد حروف الجرّ:

تجوز زيادةُ (ما) بعد حرف الجرّ، فتتوسّط بين الجارّ والمجرور، فمن زيادتها بعد (من) الجارّة قوله تعالى:﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾(٢) ومن زيادتها بعد (عن) قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾(٣) ومن زيادتها بعد الباء الجارّة قوله تعالى:﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ﴾(٤).

(1) الديوان، ٤١٥.
(2) نوح، ٢٥.
(3) المؤمنون، ٤٠.
(4) المائدة، ١٣.

وتجوز زيادتُها بعد الكاف الجارّة، فيجوز إعمالُها وإهمالُها، فمن إعمالها، و(ما)زائـــدةٌ بعدها قولُ عمرو بن بُراقَة الهمدانيّ[١]:

ونَنْصُرُ مَوْلانا ونعْلَمُ أنّه　　　كما النّاسِ مَجْرومٌ عليه وجارِمُ

فزاد (ما) بعد الكاف الجارّة دون أن يلغي عملها في المجرور (النّاسِ) ومن إهمالها لزيادة (ما) بعدها قولُ نَهْشَل بن حَرَّى يرثي أخاه مالكاً[٢]:

أخٌ ماجدٌ لم يَخْزِني يومَ مَشْهَدٍ　　　كما سيفُ عمروٍ لم تخُنْهُ مَضارِبُهْ

فزاد (ما) بعد الكاف الجارّة، وألغى عملها في المجرور،فلم تعد جارّةً[٣]. والغرضُ من زيادتها توكيدُ معنى حرف الجرّ حتّى لايدع مجالاً للشّكّ في وقوع المعنـــى الـــذي يريـــده المتكلم[٤]. ففي قوله تعالى: "عمّا قليلٍ ليصبحنّ نادمين" أخبر عن ندمهم الذي لابُـــدّ واقـــعٌ منهم بعد زمنٍ قليل، ثمّ زاد (ما) ليؤكّد شعورهم بالندم، وفي قوله تعـــالى:"فبمـــا نقـــضهم ميثاقهم لعنّاهم" أكّدت (ما) معنى السببيّة في الباء الجارّة، فقد أخبر الله تعالى أن اللّعنة منه قد وقعت على القوم بسبب نقضهم العهودَ والمواثيق، وليس لسبب آخر، ثمّ أكّد هذا المعنى بزيادة (ما) بعد الباء الجارّة؛ ليسير انتباهُ المتلقي في اتّجاه واحد بدل الاتّجاهات المتعـــدّدة، ويتنبّه إلى حقيقة الأمر بدل أن يتخبّط في حبائل الشّكوك والظّنون. وإذا زيدت (مـــا) بعـــد الكاف الجارّة، وسّعتْ دائرةَ التشبيه، ووجّهت الأنظارَ و الانتباهَ، إذا دخلت على الجملـــة، إلى الحدث، وهو وجهُ الشّبه بدل توجيهها إلى المشبه به، نحو قول الشاعر: (كمـــا ســـيفُ عمروٍ لم تخنه مضاربه) فزاد (ما) بعد الكاف الجارّة، وأهملها؛ لأن الغايةَ هـــي التركيـــزُ على عدم خذلان سيف عمروٍ له وقتَ القتال، فليس المهمُّ عند الشاعر أن يتنبّه المتلقي إلى سيف عمرو في شكله وطوله وجماله، بل الغرضُ أن يُدرك أهميّة السيف لعمـــرو وقـــت

(1) ينظر، ارتشاف الضرب، ج١٧١٣/٤، وأوضح المسالك، ٣٩٥.
(2) ينظر، أوضح المسالك،٣٩٥ ، ومغني اللبيب، ٤٠٨، وجامع الدروس العربية، ج١٩٠/٣.
(3) ينظر، الكتاب، ج٢٢١/٤، والمقتضب، ج١٨٦/١-١٨٧، والأصول في النحو، ج٤٠١/١، والخصائص، ج١٦٨/١، ج٢٨٢/٢، وشرح المفصل ، ج١٣٣/٨-١٣٦، والأزهية في علم الحروف، ٧٨-٧٩، وشرح جمل الزجاجي، ج٤٧١/٢، وارتشاف الضرب، ج١٧١٣/٤، وأوضح المسالك، ٣٩٤-٣٩٥، ومغني اللبيب، ٤٠٨-٤١١، والنحو الوافي، ج٣٥٨/٢-٣٥٩ ،٣٦١-٣٦٢، ٤٠٢، ومعاني النحو، ج٨٦/٣-٩٠.
(4) ينظر، معاني النحو، ج٨٣/٣-٨٧.

القتال لِفهم أهمية الأخ الذي فقدَه، والذي لم يخذله في اللحظات الشديدة، فــصارت (كمــا) تدخل على الظاهر والمضمر وعلى الأسماء والأفعال، وتُستَعمَل لتشبيه مفــرد بمفــرد، و لتشبيه مضمون جملة بجملة[١]. وتجوز زيادتُها بعد (ربّ) الجارّة من دون أن تكفّها عــن عمل الجرّ، نحو قول عديّ بن الرّعلاء الغسّانيّ[٢]:

رُبَّما ضَرْبَةٍ بسيفٍ صقيلٍ   بَيْنَ بُصْرى وطَعْنةٍ نَجْلاءِ

فزاد (ما) بعد (رُبّ) وأبقى لها عملَ الجرّ في المجرور (ضربةٍ). وقد تكفُّها عن العمــل، فتدخل في الأصل على الجملة الفعلية ذاتِ الفعل الماضي في اللفظ والمعنى، نحو (ربّمــا قام زيدٌ) أو في المعنى خاصّةً، نحو (ربّما يقومُ زيــدٌ) تريــد معنـــى (قــام) الماضـــي، ونحوقول جذيمة الأبرش[٣]:

رُبّما أوْفَيْتُ في عَلَمٍ   تَرْفَعَنْ ثَوْبي شَمالاتُ

فكفّت (ما) الزّائدةُ (ربّ) الجارّة عن عملها، وأجازت دخولها على الجملة الفعلية (أوفيــت في علم) والفعلُ فيها ماضٍ في اللفظ والمعنى. ولا يجوز أن يليها المضارعُ أو المــستقبل في اللفظ و المعنى إلّا إذا نُزّل بمنزلة الماضي المحقَّق الوقوع، ومنه قوله تعــالى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾[٤] فجاز دخولُ (ربّما) المكفوفة بـــ (ما) الزائـــدة بعـــدها على الفعل (يودّ) ومعناه المستقبلُ؛ لأن تمنّي الكفّار أن يكونوا مسلمين متحقِّقٌ لا شكّ فيه، وأنه حاصلٌ لا محالة، فصار بمنزلة الماضي (ودَّ) الواقع، وقد تدخل، وهي مكفوفــة بـــــ (ما) الزائدة على الجملة الاسمية ، نحو قول أبي دؤاد الإيّاديّ[٥]:

---

(1) ينظر، معاني النحو، ج٣/٨٣-٨٧.
(2) ينظر، الأزهية، ٨٢، وارتشاف الضرب، ج١٧٤٨/٤، وأوضح المسالك، ٣٩٤، ومغني اللبيب، ١٨٢-١٨٣.
(3) ينظر، الأزهية، ٩٣-٩٥، والمتبع في شرح اللمع، ج٣٧٨/١، وارتشاف الضرب، ج١٧٤٨/٤، وأوضح المسالك، ٣٩٤، ومغني اللبيب ، ١٨٢-١٨٣.
(4) الحجر، ٢.
(5) ينظر، الأزهية، ٩٣-٩٥، والمفصل، ٣٧٢، وأوضح المسالك، ٣٩٤، ومغني اللبيب، ١٨٢-١٨٣.

رُبَّما الجامِلُ المُؤَبَّلُ فيهم   وعَناجِيجُ بينهنّ الْمِهارُ[١]

فأدخل (ربّما) المكفوفة بـ (ما) الزائدة على الجملة الاسمية (الجامـلُ المؤبَّـلُ فـيهم)[٢]. وزيادتُها في هذا الموضع تغييرٌ نحويّ إنّما جاز لإزالة اختصاص (ربّ) بالأسماء النكـرة المجرورة، وتهيئتها للدخول على الجملة الفعلية والاسمية؛ ولتوسيع معنيي التكثير والتقليل فيها[٣]. وكثرت المواضع التي زيدت فيها (ما) بين الجارّ والمجرور في دواوين الـشعراء الخمسة. قال السياب[٤]:

سَتَنْسَيْنَ هذا الْجَبينَ الحَزين   كما انْجَلَتِ الغيمـةُ الشّاردة

وغابَتْ كَحُلْـمٍ وراءَ التِّلالِ   بعيـداً سِوى قَطْرةٍ جامـدة

ستنثُرها الرِّيحُ عمّا قليـلٍ   وتَشْرَبُها التُّرْبَةُ الْبـاردة

زاد الشاعر (ما) بين حرف الجرّ (عن) ومجروره (قليلٍ) دون أن تؤثِّر زيادتُها في عمـل (عن) الجارّة. والغرضُ من زيادتها في هذا السياق التوكيدُ والاحتياطُ للمعنـى، فالـشاعرُ يصوّر موقفَ وداع بينه وبين حبيبته، ويخبرها أنه في الزمن القريب يقع الفراقُ بينهمـا، وتصيرُ أخبارُهما كالغيمة التي نثرتْها الرّيحُ، وشربت الأرضُ ماءَها، وكأن الحبيبـة لـم تصدّق جدّيّته فيما يقول، ولم تهتمَّ به، فأراد أن يحذّرها من عواقب ما سيُحدثه الوداعُ مـن الألم والوحدة والوحشة في المستقبل القريب جدّاً، فزاد (ما) ليؤكّد مـا ذهـب إليـه مـن المعاني والدّلالات السّابقة. وقال البارودي[٥] :

دارِ الصّديقَ ولا تأمَنْ بوادرَهُ   فَرُبَّما عاد بعدَ الصِّدْقِ خَوَّانا

(1) الجامِل، صاحب الجمال، والمؤبَّل: كثير الإبل، والعناجيج: أحسنُ الخيل، والمِهار: ولدُ الفرس، والمعنى: إذا قامت الحربُ، حشد لها أحسن الخيول مع أمهارها، والإبل الكثيرة.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج٤١٩/١، ج٢٣٤/٢، والأزهية، ٨٢-٩٥، والمفصل، ٣٧٢، والمتبع في شرح اللمع، ج٣٧٨/١، وشرح المفصل، ج٣٠/٨-٣١، وشرح جمل الزجاجي، ج٥١٦/١، وارتشاف الضرب، ج١٧٤٨/٤، وأوضح المسالك٣٩٤، ومغني اللبيب، ١٨٢-١٨٣، ٤٠٧-٤٠٨، والنحو الوافي، ج٤٠٢/٢-٤٠٣، ومعاني النحو، ج٨٣/٣.
(3) ينظر، معاني النحو، ج٨٣/٣.
(4) الديوان، ٦١.
(5) الديوان، ج١١٧/٤.

زاد الشاعرُ (ما) بعد (ربّ) فأهملها، وأدخلها على الجملة الفعلية (عاد بعد الصدّق خوّانا) فوسّع دائرةَ استعمالها، والغرضُ من زيادتها توكيدُ معنى (ربّ) ومعنى الجملة الفعلية التي دخلت عليها. فقد زعم الشاعرُ أن الصّديقَ يحتاج إلى مداراة؛ لأن الخيانة متوقَّعة منه بكثرة بعد صدقه، واحتمالاتُ غدره كثيرةٌ، فعبّر عن ذلك باستخدام (ربّ) ولمّا كان ما ادّعاه ليس من السّهل أن يقتنع المتلقي به، ويقبله، ومتوقّعاً منه أن يردّه، وينكره، رأى الشاعرُ أنه من الأنسب تقويةُ المعنى الذي عبّر عنه بتوكيده، فزاد (ما) بعد (ربّ).
وقال بدر الدين الحامد[1]:

والْفنُّ ملْكُ العَنْدليبِ وربّما ... يخْفى الصّوابُ فَيَدَّعيه غُرابُ

ليست (ما) بعد (ربّ) أصليةً، بل زائدةٌ لغرض التوكيد، فانتقلت (ربّ) بعد زيادة (ما) بعدها إلى باب الأدوات المهملة، ودخلت على الجملة الفعلية (يخفى الصّوابُ) والأصلُ ألّا يليها الفعلُ المضارعُ، وجاز أن يليها المضارعُ في هذا السياق؛ لأنّ الشاعرَ نزّله بمنزلة الماضي (خفيَ). فقد ادّعى الشاعرُ أن الصواب قد يخفى على الناس، وأن ذلك يقع قليلاً، فعبّر عن هذه القلِّة بـ (ربّ). ولمّا لمس الشكّ والتردد من المتلقي، سارَعَ إلى إبعاد الشُّبهة والظّنّ عن معناه حتّى لا يَفْقِد التركيبُ قيمتَه، ويخرج عن الاتّجاه الذي سيّره الشاعرُ فيه، ويبتعد عن المعنى الذي حمّله، زاد (ما) بعد (ربّ). وهو مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحوية التي تُجيزُ إحداثَ تغيير في بنية التركيب بزيادة العنصر النحويّ (ما) فيه حفاظاً على المعنى.

- زيادة (ما) بين المتضايفين:

تجوز زيادةُ (ما) بين المتضايفين، وذلك إذا كان المضافُ منادىً أوظرفاً أو كلمتي (غير ومثل) أو (أيّ) الموصولة، فمن زيادتها بعد المنادى المضاف قولُ عنترة[2]:

يا شاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حلَّتْ له ... حَرُمَتْ عليَّ وليتها لم تحْرُمِ

(1) الديوان، ج٢/٤٤٢.
(2) ابن شدّاد، عنترة، الديوان، تح: عبد المنعم شلبي، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ، ١٥٢.

والأصلُ (يا شاةَ قنصٍ) و (ما) زائدةٌ، ومن زيادتها بعد الظرف المضاف (بعد) قول المرّار الحنظليّ[١]:

أعلاقةً أُمَّ الوليدِ بعدما   أفنانُ رأْسِكَ كالثَّغام المُخْلِسِ

ومن زيادتها بعد الظرف المضاف (بين) قول جميل بثينة[٢]:

بينما نحنُ بالأراكِ معاً   إذْ أتى راكبٌ على جَمَلِهْ

ومن زيادتها بعد المضاف (غير) قول الأسود بن يعفر[٣]:

نام الْخَلِيُّ وما أُحِسُّ رُقادي   والْهَمُّ محتَضَرٌ لديَّ وِسادي

من غير ما سَقَمٍ ولكنْ شَفَّني   هَمٌّ أَراهُ قدْ أصابَ فؤادي

والأصل (من غير سقمٍ) ومن زيادتها بعد المضاف (مثل) قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾[٤] والأصل (مثل أنكم تنطقون) ومثالُ زيادتها بعد المضاف (أيّ) الموصولة قوله تعالى:﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ﴾[٥] والأصلُ (أيَّ الأجلين)[٦]. وهي إذا زيدت، وكان المضاف منادى أو كلمتي (غير، ومثل) أو (أيّ) الموصولة، ظلّت علاقةُ الإضافة قائمةً بين المتضايفين غيرَ أنها زيدت لتوكيد هذه العلاقة وتمتينها وتقويتها بينهما بحسب ظروف المخاطب وحالته وملابسات السياق والمقام والحال، فإذا قلت: (عُوقِبْتُ من غير ما جرمٍ) أفدت بإضافة (غير) إلى (جرمٍ) أن العقوبة وقعت عليك من دون ذنب عملته، ودافعْتَ بهذا التركيب عن براءتك، فلمّا كان مخاطبُك يشكّ في ذلك، ويتردّد في قبوله وتصديقه، وكأنه يطلب منك المزيد من التوضيح والإقناع؛

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٥٣/٢، والأصول في النحو، ج٢٣٤/١، ومغني اللبيب،٤٠٩. والمعنى : يوبّخ نفسه ويلومها لعشقها،وقد كبرت سنّه.
(2) الديوان، ١٨٩.
(3) ينظر، مغني اللبيب، ٤١٢.
(4) الذاريات، ٢٣.
(5) القصص، ٢٨.
(6) ينظر، الكتاب، ج٢٢١/٤، والمقتضب، ج٥٣/٢، والأصول في النحو، ج٢٣٢/١-٢٣٣، والأزهية، ٧٨-٨٠، وشرح المفصل، ج١٣٣/٨- ١٣٦، ومغني اللبيب، ٤٠٩-٤١٢، وجامع الدروس العربية، ج٢٢٣/٣.

لِيلمس صدْقَك، جئتَ بـ (ما) الزائدة بين المتضايفين (غير ما جرمٍ) لتزيل الشّكّ من نفسه، وتوقف عِنانَ خياله من عناء التشتت والاحتمالات التي لاشيءَ تحتها من الحقيقة التي يريدها، فأردت كسْبَ وُدّه وعطفه بعد شكِّه وتردُّده، وربّما سُخطِه ولومِه. وأمّا إذا زيدت بعد الظروف، فإنها تلغي علاقة الإضافة بين المتضايفين، وتهيّيء الظروفَ للدخول على الجملة الفعلية والاسمية، وتتّسع بذلك دائرةُ استخدام الظرف، فإذا قلت: (حضرتُ المجلس بعدما القومُ انصرفوا) وزدت (ما) بعد ظرف الزمان (بعد) كنت قد ألغيت إضافتها إلى المفرد، وتمكّنت من إدخالها على الجملة الاسمية (القومُ انصرفوا) لأنك قصدت أن حضورك إلى المجلس كان في زمن انصراف القوم منه، وأنت لجأت إلى هذا التغيير؛ لأنك شعرت في داخلك أن التعبير النمطيّ غيرُ قادر على إيصال هذا المعنى لِمَنْ تحدّثه، فقد يظنّ – لو أنك جئت بالتركيب من دون زيادة (ما) – أنّك توهمه، أو تبعده عن الحقيقة التي يتلمّسها، وكذلك قولُ جميل بثينة(١):

بينما نحنُ بالأراك معاً　　　إذْ أتى راكبٌ على جَمَلِهْ

فألغت (ما) علاقة الإضافة، وهيّأت الظرف (بين) للدخول على الجملة الاسمية (نحن بالأراك معاً) وزادها الشاعرُ؛ ليؤكّد أن الرّاكب الذي جاء على جمله كان مجيئه في اللحظة التي كانا فيها سويّةً بالأراك، وليس للمتلقي سوى أن يسلّم بهذا المعنى.

وثمّة مواضع أخرى تجوز فيها زيادةُ (ما) لغرض التوكيد، نحو زيادتها بين البدل (بعوضةً) والمبدل منه (مثلاً) في قوله تعالى:﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾(٢) وبين نائب المفعول المطلق (قليلاً) المتقدّم وفعله المتأخّر (تؤمنون) في قوله تعالى:﴿ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾(٣)فـ (ما)

---

(١) الديوان، ١٨٩.
(2) البقرة، ٢٦.
(3) الحاقة، ٤١.

زائدةٌ[(١)]. وقلّت في دواوين الشعراء الخمسة المواضع التي زيدت فيها (ما) بين المتضايفين أو بعد الظرف المضاف. قال السياب[(٢)]:

تفرّقتِ الدُّروبُ بنا نسيرُ لغيرِ ما رَجْعَهْ

وغيَّبها ظلامُ السِّجْنِ تُؤنِسُ ليلَها شَمْعَهْ

زاد الشاعرُ (ما) بين المتضايفين (غير ورجعة) وجاز ذلك؛ لأن المضاف هو كلمةُ (غير) وزيادتُها لم تُلغ علاقةَ الإضافة بينهما. والغرضُ من تغيير بنية التركيب بزيادة (ما) فيه توكيدُ المعنى العامّ القائم في الجملة، وهو تفرُّقُ دروبِ اللّقاء بين الشاعر وحبيبته، وسيرُهما في هذه الدُّروب، و توكيدُ المعنى الخاصّ الذي قيّد تفرُّقَ الدّروب بهما، وهو تفرُّقٌ لارجوعَ بعده، ولارجوعَ عنه، ولمّا كان المقامُ وحالةُ المتلقي تُوحيان بالشّكّ في ذلك والتردّد في قبوله، لزمَ الاحتياطُ للمعنى بتوكيده وتقويته، فزاد (ما). وقال أبو ماضي[(٣)]:

إنّي أُراني بعدَما كابَدْتُه   كالفُلْكِ خارجةً عن الأنْواءِ

وكَسائحٍ بلغَ المدينةَ بعدَما   ضلَّ الطّريقَ وتاهَ في الْبيْداءِ

زاد الشاعرُ (ما) بعد ظرف الزّمان (بعدَ) وهيّأته (ما) الزائدةُ للدخول على الجملة الفعليّة (ضلّ الطريق) فتوسّعت دائرةُ استعماله، فزاد الشاعرُ في بنية التركيب عنصراً نحوياً ليس منه في الأصل لتوكيد المعنى. فقد صوّر الشاعرُ حالات المكابدة والعناء والتّعب والتّشرّد والضّياع التي عاشها، وأخبر أن بلوغه المدينةَ لم يكن سهلاً، بل كان بعد حدثين أرهقاه، هما ضَلالُ الطريق والتّيهُ في البيداء، فقيّد بلوغَ المدينة بوقوع هذين الحدثين، فأراد أن يحتاط لهذه الأحداث والمعاني التي رتّبها في التركيب بحسب الواقع الذي نقلها

(1) ينظر، الأزهية، ٧٩، ومغني اللبيب، ٤١٢.
(2) الديوان، ٣٣٣.
(3) الديوان، ٩٢.

عنه، فزاد (ما) بعد الظرف (بعد). وزادوها قبل الظرف المضاف (بين). قال البارودي[1]:

إذا قلتُ بيتاً سارَ في الدّهْر ذِكْرُهُ   مَسيرَ الْحَيَا ما بينَ غَرْبٍ ومَشْرِقِ

ليست (ما) الواردة في الشطر الثاني قبل الظرف (بين) في الأصل من بنية التركيب، بل زائدةٌ لغرض التوكيد. فقد افتخر الشاعرُ بشعره، وزعم أن كلَّ بيت ينظمه، سار، وطارت شُهرتُه بين النّاس، ودامَ ذكرُه، وشبّه ذلك بمسير المطر بين شرق الأرض وغربها، فالمعنى مبالَغٌ فيه، وليس لكلّ متلقٍّ أن يقبله، ويسلّم به بسهولة، وإن هذه المبالغة الزائدة قد تدفع المتلقي إلى الشكّ فيما زعمه الشّاعرُ، وقد يردّه عليه، فأراد أن يحتاط لمعناه، ويؤكِّده، ويقوِّيه؛ ليكون له الأثرُ الذي أراده في المتلقّي، فزاد (ما) قبل ظرف المكان (بين).

١٠- زيادة (من) الجارّة:

(من) حرفُ جرٍّ أصليّ، وهو عنصر نحويّ تجوز زيادتُه في التركيب بشرط أن يتقدّمه نفيٌ أو نهيٌ أو استفهامٌ، ويكون مجروره نكرةً، ويكون في الأصل مبتدأ أو فاعلاً أو مفعولاً به، نحو قولك: (ما في الدّار من رجلٍ، وما جاءني من رجلٍ، وما رأيتُ من رجلٍ) والأصلُ(ما في الدّار رجلٌ، وماجاءني رجلٌ، وما رأيتُ رجلاً) فالمجرور (رجلٍ) في الجملة الأولى مبتدأ، وفي الثانية فاعلٌ، وفي الثالثة مفعولٌ به، ونحوُ قوله تعالى:﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾[2] فـ (من) زائدة لتوفّر الشروط المتقدّمة لزيادتها، ومجرورُها (شفعاءَ) مبتدأ، وقوله تعالى:﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ ﴾[3] فزاد (من) قبل الفاعل (ذكرٍ) ونحو

(1) الديوان، ج٢/٣٤٦.
(2) الأعراف، ٥٣.
(3) الأنبياء، ٢.

قوله تعالى:﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾[1] فالمجرور (أحدٍ) في الأصل مفعول به، و (من) زائدةٌ[2]، ونحو قول النابغة الذبيانيّ[3]:

وقفْتُ فيها أُصَيْلالاً أُسائلُها   عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ من أَحَدِ

فزاد (من) قبل المبتدأ (أحد).

وهي إذْ تزاد في هذا الموضع من التركيب؛ إنّما تزاد لمعنى ليس للتركيب الطبيعي أن يؤدّيه، وزيادتُها تغييرٌ نحويّ في بنية التركيب لتشكيل معنى جديد، هو التوكيدُ ودفْعُ الاحتمالات والدلالات المتعدّدة والانتقال إلى الدلالة القطعية، وهي تنقل المعنى معنى النفي والنهي والاستفهام من العموم إلى الخصوص، فإذا قلت: (هل جاء رجلٌ؟) احتمل أنك تسأل عن رجل واحد معيّن، واحتمل أنك تسأل عن فردٍ من أفراد هذا الجنس أيّاً كان، وإذا قلت: (هل جاء من رجلٍ؟) احتمل كلامُك معنى واحداً، وهو الاستفهامُ عن مجيء رجل غيرِ معيّن، فنفيت المعنى الأوّل، وأثبتّ المعنى الثاني، وكذلك الأمرُ في النفي فإذا قلت: (ما جاءني من رجلٍ) نفيتَ مجيءَ أيّ رجلٍ بخلاف قولك: (ما جاءني رجلٌ) الذي يحتمل أنك تنفي مجيءَ رجلٍ واحد فقط، ولا تنفي مجيءَ اثنين أو ثلاثة أو أكثر،ويحتمل أنك تنفي مجيءَ أيّ واحد من هذا الجنس، ومثلُه في النفي. فزيادةُ (من) تجعل المتلقي يركّز انتباهه على المعنى الذي قصده المتكلمُ، وتساعده على توفير الجُهد والوقت في تحصيل معنى العبارة، والمتكلمُ لايفعلُ ذلك، ولايلجأ إلى هذا التغيير في الحالات العاديّة التي لاتستوجب التوكيدَ والتخصيص[4]، قال تعالى:﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1] فزاد (من)

---

(1) مريم، ٩٨.

(2) ينظر، الكتاب، ٤ج/٢٢٥، المقتضب، ج١/١٨٣، ج٤/١٣٦-١٣٧ ،٤٢٠، والأصول في النحو، ج١/٦٨، ٩٤، ٣٧٩ ،٤١٠، والإيضاح العضدي، ٢٥٢، وكتاب الشعر، ج١/٨٧، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٤٧، ومعاني الحروف، ٩٧، والأزهية، ٢٢٦-٢٣٠، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٤٧٢، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٤٩٤-٤٩٧، وشرح المفصل، ج٢/٩٠، ج٨/١٣ ،١٣٧-١٣٨، وارتشاف الضرب، ج٢ /١٠٨٠، وأوضح المسالك، ٣٧٩، ومغني اللبيب، ٤٢٥-٤٢٦، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٥٥، وجامع الدروس العربية، ج٣/ ١٩٨-١٩٩ ،٢٧٠، والنحو الوافي، ج٢/٣٥٨-٣٥٩، ومعاني النحو، ج٣/٧٠-٧٢.

(3) الديوان، ٩.

(4) ينظر، الكتاب، ج٤/٢٢٥، المقتضب، ج١/١٨٣، ج٤/١٣٦-١٣٧ ،٤٢٠، والأصول في النحو، ج١/٦٨، ٩٤، ٣٧٩ ،٤١٠، والإيضاح العضدي،٢٥٢، وكتاب الشعر، ج١/٨٧، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٤٧، ومعاني الحروف، ٩٧، والأزهية، ٢٢٦-٢٣٠، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٤٧٢، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٤٩٤-٤٩٧، وشرح المفصل، ج٢/٩٠، ج٨/١٣٧،١٣-١٣٨،وارتشاف الضرب، ج٢/١٠٨٠، وأوضح المسالك،٣٧٩، ومغني اللبيب، ٤٢٥-٤٢٦، والبرهان في علوم

توكيداً لوحدانيّة الله تعالى، وإمعاناً في نفي وجود إلهٍ غيره، وجاءت زيادتُها مناسبةً للسياق ولحالة المخاطبين الذين يعتقدون تعدّدَ الآلهة. وكثرتْ زيادتُها في دواوين الشعراء الخمسة. قال بدر الدين الحامد(٢):

دُوَلُ الأرْضِ حولَنا والْعَوادي مُشْرَعاتٌ وما لنا مِنْ مُعِينِ

(من) الجارّة في الشطر الثاني ليست أصليةً، بل زائدةٌ؛ لأنها سُبقتْ بنفي، ومجرورها (مُعينٍ) نكرة، وهو في الأصل مبتدأ، فقد تحقّقت شروطُ زيادتها، ولَمّا زيدت في هذا السياق غيّرت حركةَ المبتدأ من الرفع إلى الجرّ دون أن تؤثّر في محلّه الإعرابيّ، فظلّت علاقةُ الإسناد قائمةً بينه وبين خبره، وظلّ محافظاً على معنى الابتداء. ولَمّا كان نفيُه للمجرور (مُعينٍ) على سبيل الاستغراق، أراد أن يؤكّد ذلك حتّى لايتوهّم المتلقّي أن الشاعر نفى وجودَ مُعينٍ واحد دون أن ينفي وجودَ معينين أو أكثر، ونقل ذلك التعبير (ما لنا من مُعينٍ) من الدلالة الاحتمالية إلى الدلالة القطعية، وسدَّ أمام المتلقي بابَ التأويل. وقال السياب(٣):

رُحْماكَ ماأبْقَيْتَ لي مِنْ مَلْجأ إنْ كنتَ تَطْمَحُ أنْ تكونَ رفيقَها

(مِنْ) في الشطرالأوّل زائدةٌ، لأنها سُبِقت بنفي، ومجرورها (ملجأ) نكرة، وهو في الأصل مفعولٌ به، فظلّ محافظاً على وظيفته في التركيب، ولم تؤثّر زيادةُ (من) في علاقة التعدية القائمة بينه وبين الفعل المنفيّ (ما أبقى) فأثرُها فيه من حيث الشكلُ فقط، فنقلته من النصب إلى الجرّ. وزيدت؛ لتؤكّد معنى النفي الذي أفادته (ما) وللدلالة على شُمول النفي كلَّ أفراد جنس المجرور (ملجأ) وأشكاله وأنواعه. وليس للمتلقي – وقد

القرآن، ج٣/٥٥، وجامع الدروس العربية ، ج٣/ ١٩٨-١٩٩ ، ٢٧٠، والنحو الوافي، ج٢/٣٥٨-٣٥٩، ومعاني النحو، ج٣/٧٠-٧٢.

(1)هود، ٥٠ ،٦١ ،٨٤، والمؤمنون،٢٣ ،٣٢.

(2) الديوان، ج٢/٤١٣.

(3) الديوان، ٤٧٦.

زيدت (من) قبل المفعول به (ملجأ) – أن يظنّ أنّ ثمّة ملجأً للشاعر يمكن أن يلجأ إليه، فالدلالةُ قطعيّةٌ لا تحتمل التأويل. وقال البارودي(١):

قالتْ فهلْ مِنْ دواءٍ يُستَطَبُّ به   قُلْتُ الوِصالُ فرَاحَتْ وهي تبتَسِمُ

ليست (مِنْ) في الشطر الأوّل أصليّةً، بل زائدةٌ، فقد سُبِقتْ بحرف الاستفهام (هل) ومجرورُها (دواءٍ) نكرةٌ، وهذا موضعٌ تجوز زيادتُها فيه. وقد ظلّ مجرورُها (دواءٍ) محافظاً على معنى الابتداء، وإن تغيّرت حركتُه الإعرابية من الرفع إلى الجرّ. والغرضُ من زيادتها في هذا السياق توكيدُ شُمول الاستفهام لجنس المجرور (دواءٍ) فدلّت (من) الزائدةُ على أن الحبيبة إنّما شمَلَ سؤالُها كلَّ نوع من أنواع الدّواء دون تعيين نوعٍ بعينه، وهذا دفْعٌ للاحتمالات، وتوكيدُ أن الغاية من السّؤال هو الوصولُ إلى دواء يكون حلّاً لمشكلة الشاعر العاطفية دون الاهتمام بنوعه ومصدره. ولولا زيادتُها، لاحتمل أنها تسأل عن دواء بعينه أو أنها تسأل عن أيّ دواء، والموقفُ الذي يصوّره الشاعرُ لا يحتمل الاحتمالاتِ والتأويلات.

١١- زيادة(ها)التنبيه:

تجوز زيادةُ (ها) التنبيه قبل أسماء الإشارة؛ للدلالة على أن المشار إليه قريب من المتكلم وحاضرٌ أمامه وللمبالغة فيه وإيضاحه، ولينبّه المخاطب إليه، فتصير أسماءُ الإشارة، وقد زيدت (ها) التنبيه في أوّلها بمنزلة الأسماء الظاهرة؛ لأنها مبهمة تقع على كلّ شيء من إنسان وحيوان وجماد، فإذا قلت: (هذا عبدُ الله منطلقاً) أفدت المخاطب أن عبد الله قريب منه، فَلْينتبه إلى انطلاقه، وكأنك قلت له: (انْتَبِهْ له، وانْظُرْ إليه في حالة الانطلاق القريبة منك) ومثلُ قوله تعالى:﴿ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾(٢) وقوله تعالى﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ

(1) الديوان، ج٣/٤٤٥.
(2) ق، ٢٣.

لَكُمْ ءَايَةً ﴾[١] وقوله تعالى:﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[٢] فدلّت زيادتُها على قرب المشار إليه (ما وناقة ومكان القعود) ليتنبّه المخاطب إلى ذلك[٣]. وليس للمتكلم أن يزيدها في هذا الموضع إذا كان المخاطب متوسّطاً أو بعيداً عنه إلّا إذا أراد أن ينزّل المتوسّط أو البعيد بمنزلة القريب لحالة نفسية يعيشها أو لأيّ سبب آخر، نحو قول المغترب الذي حرّقته الأشواقُ إلى وطنه: (هذا وطني) فنزّل وطنَه البعيد عنه بمنزلة القريب لتهدئة نفسه الهائجة وتسكيناً لأشواقه المتعالية وتسليةً لنفسه المتألّمة. وتسقط الألف منها لكثرة الاستعمال. كما تجوز زيادتُها قبل المبتدأ، والأغلبُ أن يليها في هذه الحالة ضميرُ الرفع المنفصل، نحو: (ها أنذا) ونحو قوله تعالى:﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ ﴾[٤] وقول الشاعر[٥]:

فَهَا أنا تائبٌ عن حُبِّ لَيْلَى   فَمَا لَكَ كلّما ذُكِرَتْ تَذُوبُ

وقبل الماضي المقترن بــ (قد) نحو (ها قد رجعتُ) وكلُّ ذلك غرضُه التنبيه[٦]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة زيادةُ (ها) التنبيه، فقال بدر الدين الحامد[٧]:

هذا التّرابُ دَمٌ بالدّمعِ مُمْتَزِجٌ   تَهُبُّ منه على الأجْيال أَنْسامُ

والأصل (ذا التراب دمٌ) فزاد الشاعرُ (ها) التنبيه قبل اسم الإشارة (ذا)لتنبيه المخاطب إلى قرب المشار إليه (الترابُ) منه وكأنه قال: (إن التراب الذي امتزجت فيه الدماء والدموع قريب منك، فانتبه إليه). وقال البارودي[٨]:

رَمى اللهُ هاتِيكَ العُيونَ بِمَا رَمَتْ   وحاسَبَها حُسْبانَ مَنْ حُكْمُهُ الْعَدْلُ

---

(1) الأعراف، ٧٣.
(2) المائدة، ٢٤.
(3) ينظر، شرح المفصل، ج٣/١٣٦-١٣٧، ج٨/١١٤-١١٦، وارتشاف الضرب، ج٢/٩٧٦، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٢٦٣، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٦٢-٢٦٣، والنحو الوافي، ج١/٢٩٤، ومعاني النحو، ج١/٨٦.
(4) النساء، ١٠٩.
(5) مجهول، جامع الدروس العربية، ٣/٢٦٢.
(6) ينظر،البرهان في علوم القرآن،ج٤/٢٦٣،وجامع الدروس العربية،ج٣/٢٦٢-٢٦٣.
(7) الديوان، ج١/١٤.
(8) الديوان، ج٣/٤٤.

الأصلُ ألّا تزاد (ها) التنبيه قبل اسم الإشارة (تي) لأن المشار إليه (العيون) ليس قريبـاً من المتلقي بدلالة كاف الخطاب، ولَمّا أراد الشاعرُ أن ينزّل العيون التي أشار إليها بمنزلة المشار إليه القريب للدلالة على تعلُّقه بها، زاد (ها) التنبيه، وكأنه يريد استحضارها أمامه. وقال البارودي[١]:

فَها أنا مِنْهُمْ بينَ شَمْلٍ مُبَدَّدٍ   ومِنْ حَسَراتي في شَمْلٍ مُؤلَّفِ

زاد الشاعرُ (ها) التنبيه قبل المبتدأ (أنا) والغرضُ تنبيهُ المخاطب ولفتُ عنايته إلى علاقة الإسناد القائمة بين المبتدأ (أنا) وخبره المحذوف، وما تعلَّق به من جارّ ومجرور وظرف. فقد أخبر الشاعرُ أن شمله مبدَّدٌ، وهو في منفاه، فهو يشعر بالوحـدة والغربـة والوحـشة والألم، فأراد أن يتنبّه المتلقي إلى مايعانيه، عسى أن يتعاطفَ معه، فيتألّم لألمه، ويحـزن لحزنه، فزاد (ها) التنبيه التي نبّهت المتلقي إلى ذلك. وقال الشابّيّ[٢]:

ههُنا في قلبيَ الرَّحْبِ العَميقِ   يرْقُصُ الموتُ وأطيافُ الوجودْ

ههنا تعْصِفُ أهْوالُ الدُّجى   ههنا تَخْفُقُ أحلامُ الـــورودْ

زاد الشاعرُ (ها) التنبيه قبل اسم الإشارة (هنا) الذي أشار به إلى قلبه الـذي رقـص الموتُ فيه، وعصفت به الأهوالُ، وخفقت الأحلامُ الورديّة، فثمّة أحداثٌ متناقضة اختلطت في قلبه، فأراد أن يتنبّه المتلقي إلى ذلك حتّى لايمرّ بما قال الشاعرُ مروراً سـريعاً، فـإذا تنبّه، تأمّل التركيبَ، وعايَن المعاني التي يحملها، فعـرف حالـةَ الـشاعر المـضطربة، فتعاطف معه، وليس للمتلقّي بعد التنبيه أن يغفل عن الأحداث التي أوردها الشاعرُ. وقـال السياب[٣]:

لقد طالَ بالقلب عهدُ العَذابِ   وها إنّه بعدَ صبرٍ يثـــورْ

سأَطْويهِ لا رَجْعةَ لا إيــاب   وأَمْضي طليقاً كَتِلْكَ الطُّيورْ

---

(1) الديوان، ج٢/٢٦٦.
(2) الديوان، ٣٥٢.
(3) الديوان، ٤٢٦.

زاد الشاعرُ (ها) وأولاها الحرفَ المشبّه بالفعل (إنّ) وأدخلها على الجملة الاسمية، والغرضُ من زيادتها تنبيهُ المتلقي إلى ثورة قلبه بعد صبره في عهد العذاب، فزادها كي يهتمّ المتلقّي بالتركيب وبالمعنى الذي يحمله، وهذا الاهتمامُ يُطلعه على عذاب الشاعر وسببِ ثورته، فيتضامَنُ معه، ويتعاطف، وربّما يسعى معه لإيجاد حلٍّ لأزمته التي يعيشها.

إنّ زيادة (ها) التنبيه تغييرٌ في بنية التركيب، لأنّ المتكلم أدخلَ فيه عنصراً نحوياً ليس منه في الأصل.

١٢- زيادة ضمير الفصل:

ضميرُ الفصل حرفٌ، وسُمّي ضميراً لمشابهته الضميرَ في لفظه، وتجوز زيادتُه بين المبتدأ والخبر أو بين ما أصلُهُ المبتدأ والخبرُ إذا كانا معرفتين؛ ليُعلم من أوّل الأمر أن الخبر أو ما أصله الخبر هو خبرٌ للمبتدأ أو ما أصله المبتدأ، وليس تابعاً له، فإذا قلت: (زيدٌ هو العاقلُ) أفدت بزيادة ضمير الفصل أن (العاقلُ) خبرٌ للمبتدأ (زيدٌ) وليس صفةً له، وإذا قلت: (كان زيدٌ هو العاقلَ) أفدت أن (العاقلَ) خبرٌ لـ (كان) الناقصة، وليس صفة لاسمها (زيدٌ) وإذا قلت: (إنّ زيداً هو العاقلُ) أفدت أن (العاقلُ) خبرٌ لـ (إنّ) وليس صفةً لاسمها (زيدٌ) وإذا قلت: (ظننْتُ زيداً هو العاقلَ) أفدت أن (العاقلَ) مفعولٌ ثانٍ لـ (ظنّ) لاصفةٌ للمفعول الأوّل (زيداً) وقال تعالى:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾(١) فقد وضّحت زيادةُ ضمير الفصل (هو) أنّ (القصصُ) خبرٌ لـ (إنّ) وليس بدلاً من اسم الإشارة (هذا) وقال تعالى:﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾(٢) فقد أفاد ضميرُ الفصل (هو) أن (الحقَّ) خبرٌ لـ (كان) الناقصة، و ليس بدلاً من اسم الإشارة (هذا) وقال تعالى:﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٣) فـ (الخسرانُ) خبرٌ لاسم الإشارة (ذلك) وليس بدلاً منه بدليل زيادة ضمير الفصل (هو)

---

(1) آل عمران، ٦٢.
(2) الأنفال، ٣٢.
(3) الحج، ١١.

بينهما، وإذا قلت: (الرجلُ هو الرجلُ) وضّحتَ بزيادة ضمير الفصل (هو) أن (الرجلُ) التالي لضمير الفصل (هو) خبرٌ للمبتدأ (الرجلُ) الذي قبله، وليس توكيداً لفظياً له[١].

ويجب أن يكون ضمير الفصل مبتدأ، وأن يطابق المبتدأ أو ما أصله المبتدأ في المتكلم و المخاطب والغائب، فلا يجوز (كنتُ هو الفاضلَ) وفي الإفراد والتثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث، ويمتنع توكيدُه والعطفُ عليه، فهو حرفٌ زائدٌ لامكانَ له من الإعراب، فلا يجوز تقديمُه على المبتدأ أو ما أصله المبتدأ ولا على (كان وظنَّ) وأخواتهما، ولا يجوز تقديمُ الخبر أو ما أصله الخبر عليه، ولا يجوز فصلُه عن الخبر أو ما أصله الخبر، وسُمِّي فصلاً؛ لأنه يفصل بين الخبر والصفة[٢].

والملاحَظُ الواضحُ أنّ ضمير الفصل لا يحقُّ له التّقلُّبُ في الاستخدامات النحوية المتعدّدة التي كانت له قبل أن ينتقل من باب ضمير الرفع المنفصل إلى هذا الاستعمال، فزيادتُه في هذا الموضع حَرَمَتهُ المواضعَ النحويّة الأخرى لِدفْعِ الالتباس، وزيادتُه تُميِّز العلاقاتِ النحوية، وتوضّحها، فلولاها في قولك: (زيدٌ هو العاقلُ) لَتقلَّب المتلقّي بين معنيي الإسنادية والتبعية الوصفية، ولولاها في قولك: (هذا هو العاقلُ) لَتقلّب المتلقي بين معنيي الإسنادية والتبعية البدليّة، وظلّ المعنى مبهماً يشوبُه غموضٌ، ويعاني المتلقي في تحصيله، ولاسيّما إذا كان المتكلمُ يريد منه أن يفهم مقصودَ عبارته مباشرة، أو كانت ظروف الكلام لا تسمح بذلك، وبذلك ينقل المتكلمُ خطابه من الدلالة الاحتمالية إلى الدلالة القطعية، ويجعل المعنى يسير في اتّجاه واحد بعد أن كان يحتمل الاتّجاهات المتعدّدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد يرغب المتكلمُ أن يقصر المسندَ على المسند إليه، ويخصّه بالكلام دون غيره، فيزيد ضمير الفصل مغيِّراً بذلك بنيةَ التركيب، نحو قوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] فقصر بزيادة ضمير الفصل (هم) صفةَ الفلاح على اسم الإشارة

---

(1) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/١٢٥، والمفصل، ١٧٠-١٧١، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٤٦٢، وشرح المفصل، ج٣/١٠٩-١١١، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٦٣-٦٧، وارتشاف الضرب، ج٣/٩٥١-٩٥٢، ومغني اللبيب، ٦٤١-٦٤٥، وجامع الدروس العربية ، ج١/١٢٧، والنحوالوافي، ج١/٢١٩-٢٢٦، والجملة العربية والمعنى، ١٢٧، ومعاني النحو، ج١/٥٧.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/١٥٥، والمفصل،١٧٠-١٧١، ومغني اللبيب، ٦٤٢، وجامع الدروس العربية، ج١/١٢٧.
(3) البقرة، ٥.

(أولئك) ونحو قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴾[١] فقد أفاد ضميرُ الفصل (هم) القصرَ، ولَولاه، لَكان القصرُ محتملاً، وقد يزيد المتكلمُ ضميرَ الفصل؛ ليؤكِّد قصرَ المسند على المسند إليه، وذلك إذا كان في التركيب مُخَصّصٌ آخر، كقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢] فقصر صفتي التّوبة والرحمة على الله تعالى، ثمّ أكّد ذلك بضمير الفصل (هو) على سبيل الحقيقة، ونحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾[٣] فقصر صفتي العِزّة والقوّة على الله تعالى، ثمّ أكّد ذلك بضمير الفصل (هو) على سبيل الحقيقة، وقد يؤكّد القصرَ مبالغةً إذا لم تكن الصفةُ في الحقيقة مُمكناً قصرُها على الموصوف، نحوُ قولك: (زيدٌ الشاعرُ) فقد قصرت صفةَ الشاعريّة على زيد دون غيره على سبيل المبالغة والادّعاء، ولمّا أردت توكيد المبالغة، زدْتَ ضميرَ الفصل (هو) فقلت: (زيدٌ هو الشاعرُ) وذلك مراعاةً لظروف الكلام واحتياطاً للمعنى، ومنه قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[٤] فقصرَ صفةَ السّفاهة عليهم مبالغة في اتِّصافهم بها؛ لأنه من المعلوم أنّ هناك سفهاء مفسدين آخرين، فقصرها عليهم على معنى أنّهم أوْلى مَنْ يُسمّى بهذا الاسم أو على أنّها كاملةٌ فيهم، ثمّ أكّد هذا المعنى، فزاد ضميرَ الفصل (هو)، ومنه قوله تعالى:﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٥].

وقد يزيدها المتكلمُ لتوكيد معنى المقايسة، نحو (الشاعرُ هو البحتريُّ) إذا كان المقامُ مقامَ مقايسة بآخر، فكأنك سمعتَ أحداً يدفع شِعريّة البحتريّ، ويقصرها على شاعر آخر، فزدت ضمير الفصل (هو) لتفيد أن شاعريّة البحتريّ لاتُقاس بها شاعريّة شاعرٍ آخر[٦]، ومنه قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(1) البلد، ١٩.
(2) البقرة، ٣٧.
(3) هود، ٦٦.
(4) البقرة، ١٣.
(5) الممتحنة، ٩.
(6) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٥٢، والمفصل في علوم البلاغة، ١٣٦-١٣٧، ومعاني النحو، ج١/٤٥-٥٤.

ﭐﻟۡﻜَٰﺬِﺑُﻮﻥَ ﴾[1] فالكاذبون كثيرون، ولكنْ هؤلاء أَوْلى مَنْ يُسمّى بهذا الاسم، فكأنه يقول: (هل عرفْتَ حقيقتَهم، فهم هؤلاء)[2].

وقد يؤكد المتكلم بزيادتها معنى الكمال، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3] وقوله تعالى:﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾[4] أيْ إنهم الكاملون في هذه الصفة، وقد تفيد زيادتُها كلَّ المعاني السابقة في تركيب واحد[5]. وكثرت مواضع زيادة ضمير الفصل في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي[6]:

إذا المرْءُ لم يُنْفِقْ من المالِ وُسْعَ ما   دَعَتْهُ المَعالي فالثَّراءُ هو الْفَقْرُ

زاد الشاعرُ ضميرَ الفصل (هو) بين المبتدأ (الثراءُ) والخبر (الفقرُ) للدلالة على أن العلاقة النحوية التركيبية بينهما قائمةٌ على الإسناد والإخبار لاعلى الإتباع والوصف، وهذا تفريقٌ بين معنيين، ونقْلٌ للمعنى من الدلالة الاحتمالية إلى الدلالة القطعية، كما أراد بزيادته أن يقصر الثّراءَ على الفقر إذا لم ينفق الإنسانُ من ماله بقَدْرِ المعالي، وأراد أن يؤكّد هذا المعنى. وقال أبو ماضي[7]:

هذا هوَ المرءُ يا ذاتَ الْعَفافِ فَمَنْ   يُنْصِفْهُ لاشَكَّ فيه يُنْصِفِ الأَدبا

زاد الشاعرُ ضميرَ الفصل (هو) بين المبتدأ (هذا) وخبره (المرء) للدلالة على أن (المرءُ) خبرٌ للمبتدأ اسمِ الإشارة، وليس بدلاً منه، ففرّق بين معنيي الإخبار والبدلية، وقصر صفةَ المروءة على الموصوف (هذا) وادّعى أنه بلغ الكمالَ فيها، ولمّا أراد أن

---

(1) النحل، ١٠٥.
(2) ينظر، معاني النحو، ج١/٥٣-٥٤.
(3) آل عمران، ٣٥.
(4) النحل، ١٠٥.
(5) ينظر، معاني النحو، ج١/٥٤.
(6) الديوان، ج٢/١٤٤.
(7) الديوان، ١٤٠.

يحتاط لهذه المعاني، ويرفع الشّكَّ عنها من طرف المتلقي، أكّدها بزيادة ضمير الفصل (هو). وقال أبو ماضي[١]:

هذا هوَ الرّأْيُ الصّوابُ وغيْرُه   مَهما حَلا للنَّاسِ غيرُ صَوابِ

فرّقَ الشاعرُ بزيادة ضمير الفصل بين معنيي الإخبار والبدلية، وبيَّن أنّ (الرأيُ) خبرٌ لاسم الإشارة (هذا) وليس بدلاً منه، ودَفَعَ بهذه الزيادةِ الاحتمالاتِ، وجعل دلالةَ التركيب قطعيةً، والغرضُ من زيادته في هذا السياق توكيدُ معنى المقايسة الذي عبّر عنه التركيبُ، فقد ادّعى الشاعرُ أن الرأيَ الصّوابَ هو ما أشار إليه، ونفى الصّوابَ عن الآراء الأخرى، وهو مبالِغٌ فيما ذهب إليه، ولمّا كان من المتوقَّع أن يردّ المتلقي عليه ما ادَّعاهُ، وبالغَ فيه، أراد أن يحتاط لمعناه، ويقوّيه بالتوكيد، فزاد ضميرَ الفصل (هو) بين المبتدأ (هذا) وخبره (الصّوابُ) ليؤدّي هذا الدّورَ. وزيادتُه تغييرٌ في بنية التركيب؛ لأنه ليس في الأصل منه.

والنتيجةُ أنّ الزّيادةَ تغييرٌ نحويٌّ جائزٌ أجازتْه القاعدةُ النحويّة والاستعمالُ الصحيحُ، ولا يلجأ المتكلمُ إليه إلّا لمعنىً يرى أن التعبيرَ الطبيعيّ المجرَّدَ من الزّيادة لا يؤدّيه.

(1) الديوان، ١٢٧.

ب – الحَذْفُ.

الحذفُ في اللغة هو الإسقاطُ، وهو مصدرُ حذف الشيءَ، أيْ أسقطَه[١]، وفي الاصطلاح إسقاطُ حرف من الكلمة أو كلمة أو جزء من الكلام أو الكلام كلّه لدليل[٢]، فإذا حُذِف شيءٌ من العناصر النحوية، ودلّ عليه دليلٌ، كان الحذفُ اختصاراً، وإذا لم يدلّ عليه دليلٌ، كان الحذفُ اقتصاراً، فمن الأوّل نحوُ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾[٣] فحذف المبتدأ (هي) من الجواب (نارٌ حامية) لذكره في جملة السؤال (ما هيه؟) ومن الثاني نحوُ قوله تعالى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾[٤] والتقديرُ (انتهوا يكن الانتهاءُ خيراً لكم) فحذف (كان) مع اسمها من دون أن يتقدّمهما لفظٌ يدلّ عليهما[٥]. والحذفُ ضربان، ضربٌ يُقامُ فيه شيءٌ من العناصر النحوية التي في التركيب مقامَ المحذوف كحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أحياناً، وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وضربٌ لا يُقامُ فيه شيءٌ مقام العنصر النحويّ المحذوف، نحوُ حذفِ الفعل والمبتدأ والخبر[٦].

والأصلُ في الكلام الذّكرُ، والحذفُ تغييرٌ نحويٌّ طارىء بخلاف الأصل، وهو نوعٌ من أنواع المجاز على المشهور، وهو كثيرٌ واسع في العربية سعةً كبيرة شملت كلَّ أنواع الكلام في العربية فهو يجوز على الحرف والكلمة والجملة، وعلى العمدة والفضلة[٧].

ويُشترَط فيه أن يكون في الكلام المذكور دليلٌ معنويّ أو مقاليّ على المحذوف إذا كان جزءاً أساسيّاً في الجملة كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، ولا يُشترَط فيه ذلك إذا كان فضلةً متمِّماً للجملة ومعناها، ولكن يُشترَط فيه ألّا يُخِلَّ حذفُه بالمعنى الأساسيّ للجملة

(1) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٦٧/٣، ومعجم مصطلحات النحو العربيّ، ١٩٤.
(2) المصدران السابقان.
(3) القارعة، ١٠-١١.
(4) النساء، ١٧١.
(5) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٦٧/٣، ومعجم مصطلحات النحو العربيّ، ١٩٤.
(6) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج١٣٤/٣.
(7) ينظر، الأصول في النحو، ج٢٥٥/٢، والخصائص، ج٢٨٥/١-٢٩٠، ج٢٨٤/٢، والبرهان في علوم القرآن، ج٦٧/٣، ٧٧، والجملة العربية والمعنى، ٧٥، ومعاني النحو، ج١٤/١.

كحذف العائد المنصوب ونحوه. فالدليلُ الحاليُّ يتحصّل من النّظر إلى المعنى، والنّظرُ عِلْمُ المخاطب بما يريده المتكلمُ، نحوُ حذف المبتدأ في (زيدٌ) لِمَــنْ ينتظــر قدومَــه، فأغنــت الإشارةُ إليه عن ذِكْر المبتدأ (هذا) ويتحصّل الدليلُ المقاليُّ من إعراب اللفــظ، فــلا بــدّ للمرفوع من رافعٍ، ولابدّ للمنصوب من ناصبٍ، فإذا لم يكن ظاهراً، عُلِمَ أنــه محــذوف، نحو(أهلاً وسهلاً ومرحباً)والمقصودُ(وجدْتَ أهلاً وسلكْتَ سهلاً، وصادفْتَ مرحباً)[١]. وثمّة أدلّةٌ تُعين السامعَ في تحصيل العنصر النحوي المحذوف والاستدلالِ عليه، ويــأتي دليــلُ العقل في مقدّمتها، فقد تستحيلُ صِحّةُ الكلام عقلاً من دون تقدير محــذوف، نحــو قولــه تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٢] فلا يستقيم المعنى إلاّ بتقدير المفعول به المــضاف المحــذوف (أهلَ) ليكون التقديرُ (واسأل أهلَ القرية) لأنه يستحيل عقلاً إقامةُ العلاقة النحوية بين فعل السؤال المتعدّي وبين القرية؛ لأنها جَمادٌ لايتكلّم، وقد تدلُّ العادةُ الشرعيةُ المخاطبَ علــى ما حُذِف من التركيب، نحوُ حذف المفعول به (أكْلَ) في قوله تعــالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ ﴾[٣] والمقصودُ (إنّما حرّم عليكم أَكْلَ الميتة) أو يدلّ العقلُ على الحذف، وتدلُّ عادةُ الناس على تعيين المحذوف، نحو قوله تعالى على لسان امــرأة العزيــز للنــسوة:﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ﴾[٤] فحذفَ المشارَ إليه الموصوف (الحبُّ) وأقام الاســمَ الموصــول (الذي) مقامه، فدلّ العقلُ على وجود حذفٍ في الجملة؛ لأنه لا بدّ لاسم الإشارة من مــشارٍ إليه، ودلّت عادةُ الناس على أن المحذوف هو (الحبُّ) لأنه من عادتهم أن يلومــوا المــرأةَ المتزوّجة على الوقوع في حبّ رجلٍ غير زوجها، وقد يدلّ اللفظُ على الحذف، والــشّروعُ في الفعل على تعيين المحذوف، نحوُ حذف الفعل (أقرأ، وأبــدأ) فــي قولــك: (بــسم الله الرحمن الرحيم) ومنه أن تدلّ اللغةُ والقاعدة النحوية عليه، فإذا كان في الكلام مفعولٌ به، ولا ناصب له، دلّت القاعدةُ النحوية على فعل أو عامل محذوف، وكذلك الأمــرُ بالنــسبة للمبتدأ والخبر، وقد يكون الدليلَ لفظٌ متقدّمٌ على المحذوف، نحوُ حذف المخصوص بالمدح

---

(1) ينظر، الخصائص، ج١/٢٨٥، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٧٣-٧٤.
(2) يوسف، ٨٢.
(3) النحل، ١١٥.
(4) يوسف، ٣٢.

أو الذمّ أو المتعجَّب منه، ونحوُ حذف الفعل (أنزلَ) من جملة الجواب؛ لِتقدُّم ذكره في جملة السؤال في قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ ﴾[(١)] والتقدير (أنزل خيراً)[(٢)].

-**أسباب الحذف وأغراضه المعنويّة:** لا يلجأ المتكلم إلى حذف عنصر نحوي من التركيب إلّا إذا كان يسعى وراء معنى يرى أن التركيب النمطيّ لا يوصله إليه، فمنها الاختصارُ والاحترازُ عن العبث؛ لأن المعنى يغدو مفهوماً من دون ذكر العنصر النحويّ المحذوف، نحوُ حذف المبتدأ والفعل لدليل حاليّ في قولك: (الهلالَ والله) ومنها الاستخفافُ لكثرة استعماله ودورانه في الكلام، نحوُ حذف حرف النّداء، ونون (يكن) ومنها وضوحُ المعنى، نحوُ حذف الخبر في قوله تعالى:﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ ﴾[(٣)] أيْ (وظلّها دائمٌ) ومنها الإبهامُ إذا أراد المتكلمُ أن يُبهِم أمراً على مَنْ يحدّثُه، نحوُ حذف المفعولين في قولك: (أعطيتُ) ومنها مراعاةُ الأسجاع والفواصل، نحوُ حذف المفعول به كافِ الخطاب بعد الفعل (قلى) في قوله تعالى:﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[(٤)] ومنها عدمُ تعلُّق غرض بذكره، نحوُ حذف المعطوف (فأرسلوه، فذهب، فقال) في قوله تعالى:﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٍ ﴾[(٥)] لأنه ليس موضع الاهتمام، ومنها الاتّساعُ والتّجوُّزُ، ويُقام فيه المذكورُ مقام المحذوف في الإعراب وتأدية المعنى، نحو حذف المفعول المضاف (أهلَ) في قوله تعالى:﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾[(٦)] ومنها الفراغُ منه بسرعة للوصول إلى المقصود كالحذف في التحذير، ومنها الاستهجانُ لقبح ذكره، نحو قول عائشة رضي الله عنها: "ما رأيتُ منه ولا رأى منّي" فحذفت المفعولَ به (العورةَ) استهجاناً لذكره، ومنها الاحتقارُ للمحذوف، نحوُ حذف المبتدأ، وأنت تشتم

---

(1) النحل، ٣٠.
(2) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٣/٧١-٧٢، والجملة العربية ، أقسامها وتأليفها، ٨٠-٨٤.
(3) الرعد، ٣٥.
(4) الضحى، ١-٣.
(5) يوسف، ٤٥-٤٦.
(6) يوسف، ٨٢.

شخصاً: (غبيٌّ، كلبٌ، حمارٌ) فلا تذكر المشتومَ احتقاراً له، ونحو قوله تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[١] فحذف المفعولَ به (الكفّارَ) احتقاراً لهم، ومنهـا التعظـيمُ والتفخـيمُ ونحوُهما من التعجيب والتّهويل، نحوُ حذف جواب الشرط في قولـه تعـالى:﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾[٢] ومنها التكثيرُ والمبالغـةُ، نحـوُ حذف الفعل العامل في المفعول المطلق في قولك: (أنت سيراً) فلو ذكرْتَ الفعـلَ (تـسير) لَدللْتَ على سير قليل، فدلّ حذفُه على سيرٍ كثير متّصل، ومنها الإطلاقُ، نحوُ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٣] فحذف مفعـول الفعـل (يتّـقِ) ليجعله مطلقاً، ونحـوُ قولـه تعـالى:﴿ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[٤]. فأطلقَ فعلي السّمع والطّاعة، فلم يذكر مفعوليهما، ومنها التوسُّعُ في المعنى، نحـوُ قولـه تعالى: ﴿ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[٥] فحَذْفُ المصدرِ جعل الجملةَ ذاتَ دلالـةٍ احتماليّـة، فهـي تحتمل المفعوليّة والمصدريّةَ والظرفية، ونحوُ قوله تعـالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾[٦] ومنها إرادةُ التوكيد أو عدمُه، فإذا قلتَ: (أكرمتُ خالداً، وأكرمتُ محمداً) أكّـدت وقـوعَ الإكرامِ منك على خالدٍ وعلى محمد، وإذا لم تُرِدِ التوكيدَ، حذفْت، فقلت: (أكرمـتُ خالـداً ومحمداً) وقولُكَ: (عمِلَ صالِحاً) أقلُّ توكيداً من قولك: (عَمِلَ عَمَلاً صالحاً) ومنهـا زيـادةُ اللّذّة بسبب استنباط الذّهن للمحذوف، وكلّما كان الشُّعورُ بالمحذوف أعْسَرَ، كان الالتذاذُ به أشدَّ وأحسنَ، ومنها التّشجيعُ على الكلام، ومن ثمَّ سمّاهُ ابنُ جِنّي شجاعةَ العربيّة[٧].

١- حذفُ المبتدأ أو ما أصله المبتدأ:

المبتدأ هو المسند إليه في الجملة الاسمية، يُبتدَأُ الكلامُ به، ويُخبَرُ عنه، والأصلُ ذكـرُه، و يجوز حذفُه إذا دلّ عليه دليلٌ حاليٌّ، كأن ترى شخصاً قادماً من بعيد، أو تسمع صـوته،

(1) المجادلة، ٢١.
(2) الأنفال، ٥٠.
(3) يوسف، ٩٠.
(4) البقرة، ٢٨٥.
(5) الفتح، ١٥.
(6) التوبة، ٨٢.
(7) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٣/٦٨-٧١، والجملة العربية، أقسامها وتأليفها، ٩٦-١٠٩.

أو تشمّ رائحته التي عُرِف بها، أو تُذكَر لك صفاتٌ معيّنة عُرِف بها شخصٌ معيَّنٌ، فتقول: (عبدُ الله، زيدٌ، فلانٌ والله٠٠٠) تريد بذلك (هذا عبدُ الله، وهذا زيدٌ، وهذا فـــلانٌ والله) أو جاء في جواب الاستفهام، فتحذفه؛ لأنك ذكرته في جملة الاستفهام، فيكون ذكره في جملـــة الاستفهام مُغنياً عن ذكره فـــي جوابـــه، نحـــوُ قولـــه تعـــالى:﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴾[١] فحذفَ المبتدأ (هي) من الجواب (نارٌ حامية) لأنه ذكره في جملـــة الاســـتفهام (وما أدراك ما هيه؟) وقولـــه تعـــالى:﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴾[٢] أيْ (هم في سدر مخضود) أو جاء بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط، و كان خبرُه جملةً فعليةً، فعلُها مضارعٌ غيرُ مسبوقٍ بأداة تُجيز اقترانه بالفاء الرابطة لجواب الشرط، نحـــوُ قولـــه تعالى:﴿ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُ ﴾[٣] والتقديرُ (فهو ينتقمُ اللهُ منه) والـــدّالُّ عليـــه المـــضارعُ المرفوعُ (ينتقمُ) غيرُ المسبوق بأداة تجيز اقترانه بالفاء، فاستُدِلَّ به على المبتدأ المحذوف، ونحوُ قوله تعالى:﴿ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾[٤] أيْ (فهـــو لايخـــاف) فحـــذفَ المبتدأ (هو) لوروده بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط، ولأن خبره (يخافُ) فعلٌ مـــضارع لم تسبقه أداةٌ تمكّنه من الاقتران بالفاء الرابطة لجواب الشرط، أو جاء بعد الفاء الرابطـــة لجواب الشرط، وبقي خبرُه دالاً عليه، نحوُ قولـــه تعـــالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَا ﴾[٥] أيْ (فعملُه لنفسه، وفإساءتُه عليها) ونحوُ قولـــه تعـــالى:﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴾[٦] والتقدير (فهو يؤوسٌ قنوط) فحذف المبتدأ (هو) أبقى خبرَه (يؤوسٌ) دالاً عليـــه بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط، أو جاء في صدر جملة القول، نحوُ قوله تعالى:﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا ﴾[٧] والتقديرُ (هي أساطيرُ الأوّلين) فحـــذف المبتـــدأ (هـــي) لوروده في صدر جملة القول، وظلّ خبرُه (أساطيرُ) دالاً عليه، ونحوُ قولـــه تعـــالى:﴿ بَلۡ

(1) القارعة، ١٠-١١.
(2) الواقعة، ٢٧-٢٨.
(3) المائدة، ٩٥.
(4) الجنّ، ١٣.
(5) فصّلت، ٤٦ ،والجاثية:١٥.
(6) فصلت، ٤٩.
(7) الفرقان، ٥.

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍ﴾[1] والتقدير (هي أضغاثُ أحلام) أو كان مخصوصاً بالمدح أو الذّمّ، ودلّ عليه السياقُ أو ذكرُه في كلام سابق نحوُ قوله تعالى:﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾[2] أيْ (نعم العبدُ أيّوبُ) فحذفَ المبتدأ (أيّوبُ) لدلالة السياق عليه، ونحو قوله تعالى:﴿فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ﴾[3] أيْ (فنعم الماهدون نحن) وقد يحذَف في هذا الموضع، فتقوم صفتُه مقامه سواءٌ أكانت اسماً أم فعلاً، نحو (نعم الرجلُ حليمٌ كريمٌ) فحذف المبتدأ (رجلٌ) وهو مخصوص بالمدح، وأقام صفتَه (حليمٌ) مقامه، والتقديرُ (نعم الرجلُ رجلٌ حليمٌ كريمٌ) ونحوُ (نعم الصاحبُ تستعينُ به) فحذف المبتدأ (صاحبٌ) وأقام صفتَه جملة (تستعين به) مقامه، والتقديرُ (نعم الصاحبُ صاحبٌ تستعين به) ويجوز حذفُه إذا كان (ما) التعجبية بعد الواو العاطفة، وكان المتعجب منه بعد الواو وقبلها واحداً، نحو (ما أحسن خالداً وأكرمه) فحذف المبتدأ (ما) التعجبية لوروده بعد الواو العاطفة، والمتعجبُ منه (خالدٌ) واحد قبل الواو، وبعدها، أمّا إذا اختلف المتعجب منه، امتنع حذفُه، فلا يجوز حذفُه في نحو (ما أحسن زيداً وما أقبح خالداً) لأن المتعجب منه مختلف في الجملتين، فهو في الجملة الأولى (زيداً) وفي الجملة الثانية (خالداً) ويجوز حذفُه إذا جاء في صدر جملة هي صفةٌ لمجرور (رُبّ) نحو قول ثابت بن كعب يرثي يزيد ين المهلّب[4]:

إنْ يقتلوكَ فإنّ قتلَكَ لم يكنْ عاراً عليكَ وربَّ قتلٍ عارُ

فحذف المبتدأ (هو) لوقوعه في صدر جملة (عارُ) التي هي صفةٌ لـ (قتلٍ) الذي هو مجرور (ربّ) والتقديرُ (ربّ قتلٍ هو عارُ). ويجوز حذفُه إذا وقع في صدر جملة الصلة، وكان خبرُه اسماً مفرداً لا جملةً أو شبهَ جملة نحو قوله تعالى:﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ

---

(1) الأنبياء، ٥.
(2) ص، ٤٤.
(3) الذاريات، ٤٨.
(4) ينظر، كتاب االشعر، ج١/٣١٩، والأزهية، ٣٦٠.

﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾[١] والتقديرُ (أيُّهم هو أشدُّ) فحذف (هو) لوقوعه بعد اسم الموصول (أيّ) وخبره (أشدُّ) اسمٌ مفرد، ونحو قول عَدِيّ[٢]:

لمْ أرَ مثلَ الفِتْيانِ ينسَوْنَ في غَبَنِ الأيّامِ ما عَواقِبُها

أراد (ما هي عواقبُها) فحذف المبتدأ (هي)[٣].

وحذفُ المبتدأ في موضع من المواضع السابقة تغييرٌ نحوي جاز استخدامُه واللجوءُ إليه والتّصرُّفُ في التركيب لمعنى من المعاني التي يجري خلفها المتكلمُ، ويريد تحصيله لاعتقاده أن التركيب النمطيّ للجملة الاسمية بذكر جميع العناصر النحوية فيه يقف عائقاً بينه وبين المعنى الذي يريد إظهاره. وتتنوّع المعاني والأغراضُ البلاغية التي تدفع المتكلمَ إلى حذف المبتدأ، فمنها الاحترازُ عن العبث وتحقيق الاختصار لوجود قرينة تدلُّ عليه، وتغني عن ذكره؛ لأن المعنى مفهومٌ من دونه، فذكرُه قد يُعطِي التركيب طولاً وثقلاً لا حاجةَ إليهما، وهذا يكون في جواب الاستفهام الذي يُحذَف منه المبتدأ لوروده في صيغة السؤال، نحو قوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾[٤] أيْ (هي نارُ الله الموقدة) ونحو قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[٥] والتقديرُ (هي نارٌ) وفي صدر جملة القول، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾[٦] أيْ (أنا عجوزٌ عقيم) وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ﴾[٧] أيْ (هم ثلاثةٌ، وهم خمسةٌ، وهم سبعةٌ) وفي صدر

---

(1) مريم، ٦٩.
(2) الديوان، ابن زيدالعبّادي، عديّ، تح:محمد جبّارالمعيبد، دارالجمهورية للنشروالطبع، بغداد، ١٩٦٥م، ٤٥.
(3) ينظر، الكتاب، ج١٣٠/٢، ج٧٩/٣، والمقتضب، ج١٢٩/٤، والأصول في النحو، ج٦٨/١، وكتاب الشعر، ج٣١٩/١، ج٢/ ٤٣٣، والخصائص، ج٢٨٥/١، والأزهية، ٣٦٠، والمفصل، ٣٥٤، والمتبع في شرح اللمع، ج٥٥٣/٢، وشرح المفصل، ج١٣٥/٧، ج٧/٩، وشرح جمل الزجاجي، ج٦١٤/١-٦١٥، وارتشاف الضرب، ج١٠٨٦/٣، ج١٧٧٦/٤، ٢٠٥٣، ٢٠٧٣، وأوضح المسالك، ١٠١، ١٢٧-١٢٨، ومغني اللبيب، ٨٢٢-٨٢٣، وجامع الدروس العربية، ج١٣٦/١-١٣٧، ١٨١، والنحو الوافي، ج٤٦٠/١-٤٦٢، ج٣٠٨/٣.
(4) الهمزة، ٤-٦.
(5) القارعة، ٨-١١.
(6) الذاريات، ٢٩.
(7) الكهف، ٢٢.

جملة جواب الشرط المقترنة بالفاء الرابطة، نحو قوله تعالى:﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[١] أيْ (فعملُه لنفسه، وإساءتُه عليها) وقوله تعالى:﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾[٢] أيْ (فهم إخوانُكم). ومنها ضيقُ المقام عن إطالة الكلام إذا كان المتكلم متألِّماً أو متوجعاً أو خائفاً أن تفوته فرصة، فمن

الأوّل قولُ الشاعر[٣]:

قال لي: كيفَ أنتَ؟ قلتُ: عليلٌ   سَهَرٌ دائمٌ وحزنٌ طَويلُ

والتقديرُ (أنا عليلٌ) فحذف المبتدأ (أنا) لأنه في حالة مرض وألم وتوجّع، وهو يريد أن يُنهِي الكلامَ بسرعة؛ ليتنبّه السامعُ إلى حالته (عليلٌ) الخاصّة وإلى سهره وحزنه المتواصلَينِ المستمرّين بدل الانشغال بوضعه العامّ، ومن الثاني قولُك للصيّاد: (أرنبٌ) تريد (هذا أرنبٌ) خشيةَ أن إطالةَ الكلام بذكر المبتدأ قد تجعل تنبيهك للصيّاد من غير نفع؛ لأنه يدع للأرنب فرصة الهروب، ومنها تيسيرُ الإنكار له عند الحاجة إلى ذلك بسبب الخشية منه أو بسبب تجنُّب الوقوع في مشكلات لا يريدها المتكلمُ، نحوُ (بخيلٌ) والقصْدُ (هو بخيلٌ) ومنها تعجيلُ المسرّة أو المساءة بالخبر، فمن الأوّل نحوُ (جائزتي) تريد (هذه جائزتي) لتتوجّه الأنظارُ إلى الخبر، وتتنبّه الأذهانُ إليه؛ لأنه يبعث في النفوس المترقّبة له المسرّة، ومن الثاني نحوُ (راسبٌ) لشخصٍ لا تحبّه، فحذفت المبتدأ (أنت) وتركتَ الخبرَ (راسبٌ) لتسوءَه به، وتزيد إغاظته، وتعجّل في توجيه الإساءة إليه، ومنها تطهيرُه عن اللسان وتنزيهُه؛ لأنه شريفٌ وعظيمٌ، نحوُ (الرحمنُ الرحيمُ) تريد (اللهُ الرحمنُ الرحيمُ) فلم تذكره تنزيهاً له عن اللسان[٤]، ومنها تطهيرُ اللسان وتنزيهُه عن ذكره إذا كان حقيراً وضيعاً خبيثاً سيّئاً، نحو (ملعونٌ رجيمٌ) تريد (الشيطانُ ملعونٌ رجيمٌ) فلم تذكر المبتدأ (الشيطانُ) لتنزّه لسانَك عن ذكره، ومنها ادّعاءُ أن الخبر لايصلح إلّا له على سبيل الحقيقة

(1) فصلت، ٤٦، والجاثية، ١٥.
(2) البقرة، ٢٢٠.
(3) ينظر، دلائل الإعجاز، ٢٥٠، ومفتاح العلوم، ٩٤، وعلم المعاني، ١٣٥.
(4) ينظر، أسرار النحو، ١١٣، ومفتاح العلوم، ٩٤، والدراية لقرّاء النقاية، ١٣٦-١٣٧، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٣٣، وعلم المعاني، ١٣٣-١٣٥.

نحو (خالقُ كلّ شيءٍ) تريد (اللهُ خالقُ كلّ شيءٍ) فلم تذكره؛ لأن الخبر (خالقُ) لا يصلح إلّا له على سبيل الحقيقة، أو ادِّعاءُ أن الخبر لا يصلح إلّا له على سبيل الادّعاء والمبالغة، نحوُ (واهبُ الألوف) تريد (السلطانُ واهبُ الألوف)فلم تذكره؛ لأنك ادَّعيتَ أن الخبر(واهبُ الألوف)يصلح له فقط، وأردتَ المبالغةَ في ذلك، ومنها اتِّباعُ الاستعمال، نحوُ (رميةٌ من غير رامٍ) أيْ (هذه رميةٌ من غير رامٍ).

إنّ النفس تتألم إذا حُذِف المسندُ إليه المبتدأُ؛ لأنها باتت تجهله، فإذا وُجِدَتِ القرينةُ الدّالّةُ عليه، شعرت باللّذّة؛ لأنها عرفته، وعلمت به، فحذْفُه يستدعي من المتلقي أن يتصوّره، ويبحث عنه، ويُتعب ذهنه وتفكيره وخياله في تحصيله ومعرفته، فإذا عرفه، حصلت اللذّةُ بمعرفته، وهذا أفضلُ من التعرُّف عليه مباشرة دونما عناء، فالمسندُ إليه المبتدأ إذا بلغ غايته ونهايته في اختصاصه بالصفات المحمودة أو المذمومة دون غيره، تُركَ ذكرُه، واقْتُصِر على ذكرِ تلك الصفات إشارةً إلى أنه لا يُشاركه فيها أحدٌ، وهذا يُعلي شأنَه ومقامه[١].

ويجوز في الكلام الفصيح حذفُ اسم الأحرف المشبّهة بالفعل إذا دلّ عليه دليلٌ، نحوُ قول الفرزدق[٢]:

فلوْ كنتَ ضَبيّاً عرَفْتَ قَرابَتِي ولكنَّ زِنْجِيٌّ عَظِيمُ المَشَافِرِ

والتقدير ُ(ولكنَّكَ زنجيٌّ عظيمُ المشافر) فحذفَ كافَ الخطاب، وهو اسمُ (لكنّ) لأن الخبر (زنجيٌّ) يدلُّ عليه، فلمّا كان في التركيب حرفٌ مشبّه بالفعل، وبعده خبرُه، دلّت القاعدةُ النحوية على الاسم المحذوف، ونحو حذفِ اسمِ (ليت) في قول عديّ بن زيد[٣]:

فليتَ دفعْتَ الْهَمَّ عنِّي ساعةً فَبِتْنا على ما خَيَّلْتَ ناعِمَيْ بالِ

(1)ينظر، أسرار النحو، ١١٣، ومفتاح العلوم، ٩٤، والدراية لقرّاء النقاية، ١٣٦-١٣٧، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٣٣، وعلم المعاني، ١٣٣-١٣٥.
(2) الديوان، ج٢/٤٨١.
(3) الديوان، ١٦٢.

والتقدير (فليتكَ دفعت) فحذفَ اسمَ (ليت) وهو كافُ الخطاب لدلالة القاعدة النحوية عليه[١]. والرّأيُ أن حذفَه إنّما جاز لمعنى لا يتحصّل إلّا بحذفه، فحذَفَه الفرزدقُ؛ لأنه قصَد توجيهَ الأنظار ولفْتَ الانتباه إلى الخبر (زنجيٌّ) وصفتِه (عظيمُ المشافر) لأنهما المقصودان من تشكيل التركيب، فهو يُنكر على مخاطبه هاتين الصّفتين، وكذلك قصَدَ عديٌّ بن زيد توجيهَ المخاطب إلى دفعِ همّه، والمساعدةِ في تخليصه منه، وإذا لم يفعل، فلا حاجةَ به إليه.

ويجوز حذفُ اسمِ (كان) إذا كان واوَ الجماعة، فيبقى الضمُّ، وهو حركةُ البناء دالّاً عليه،

نحوُ قول الشاعر[٢]:

فلو أنّ الأطِبَّا كانُ حولي وكان مع الأطِبَّاءِ الأُساةُ

والتقدير (كانوا)[٣].

ويجوز حذفُ اسمِ (لا) النافية للجنس إذا علمه المخاطبُ لكثرة استعماله في الكلام، نحوُ (لا عليك) أيْ (لابأسَ عليك، أو لاشيءَ عليك)[٤]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضعُ التي حُذِف فيها المبتدأُ. قال البارودي[٥]:

مَلِكٌ تَرَفَّعَ أنْ تكونَ صِفاتُهُ إلّا لَهُ أو لابْنِهِ الْمحبوبِ

حذف الشاعرُ المبتدأَ (هو) والتقديرُ (هو ملكٌ) لأن المقامَ قد أغناه عن ذكره، فهو يمدح الخديوي إسماعيل، ويهنّئه بولاية مصر، فاحترز من العبث، وقصدَ توجيهَ الأنظار إلى الخبر (ملكٌ) الذي تميَّز به المبتدأُ (هو) عن بقيّة النّاس، وحَذْفُهُ لم يلغِ علاقةَ الإسناد بينه

(1) شرح جمل الزجاجي، ج١/٤٥٠، وارتشاف الضرب، ج٣/١٢٤٥.
(2) مجهول، ينظر، شرح المفصل، ج٧/٥.
(3) المصدر السابق.
(4) ينظر، الكتاب، ج٢/٢٩٥، والمقتضب،٤ /١٢٩، والمفصل، ١٠٤، وشرح المفصل، ج٢/١١٣، وارتشاف الضرب، ج٣/١٣٠١، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٣٨.
(5) الديوان، ج١/٤٦.

وبين الخبر (ملكٌ) فالمبتدأُ (هو) قَدْرُهُ جليلٌ، وشأنُه عالٍ، والخبرُ (ملكٌ) في نظرِ الشاعر لا يصلح إلّا لهُ. وقال الشابيّ[١]:

عُمُرٌ مَيِّتٌ وقلْبٌ خَوَاءٌ　　　وَدَمٌ لاتُثِيرُهُ الآلامُ

حذف الشاعرُ المبتدأ (هذا) لأن المقام يضيق عن ذكره، والتقديرُ (هذا عمرٌ ميّتٌ) فالشاعرُ يتألّم لحالة شعبه الذي غدا كالأموات لا يتألّم، ولا يُحِسُّ، ولا يثور، فالأنسبُ إذاً أن تتوجّه عنايةُ المتلقي إلى الخبر (عمرٌ) وصفته (ميّتٌ) وما عُطِف عليه؛ ليُعاين الحالةَ المريرة التي يعيشها الشاعرُ، وهو يصوّر الواقع المرَّ لشعبه الساكت على الظلم والاستعمار. وقال بدر

الدين الحامد [٢]:

يا بلادي نَصرٌ مُبينٌ وَفَتْحٌ　　　فاشْكُري فَضْلَ رَبِّكِ الْفَتّاحِ

حذف الشاعرُ المبتدأَ (هذا) والتقديرُ (هذا نصرٌ مبينٌ وفتحٌ) لأن المقام يُغني عن ذكره، فهو يختصر، ويحترز من العبث، وغرضُه التعجيلُ بالمسرّة بالوصول إلى الخبر الذي هو موضعُ الفائدة، فالشاعرُ يفرح بالنصر، ويُبشّر بلادَه به، وهي تنتظره، ولذلك لا داعيَ لذكر المبتدأ الذي يؤخّر وصول الخبر (نصرٌ) إلى المتلقي، وتأخُّرُ وصوله إليه يعني تأخُّرَ شعوره بالمسرّة، وهذا خلافُ ما يُريده الشاعرُ من التركيب. وقال البارودي[٣]:

إنْ قالَ خيراً فَعنْ سَهْوٍ أَلَمَّ بهِ　　　أوْ قالَ شَرّاً فَعَنْ قَصْدٍ وإمْضاءِ

حذف الشاعرُ المبتدأ (قَوْلُ) بعد الفاء الرابطة لجواب الشرط، والتقديرُ (فقولُه عن سهوٍ، وقولُه عن قصدٍ) وأبقى متعلَّقَ الخبر (عن سهوٍ، وعن قصدٍ) دالّاً عليه، وهذا موضعٌ يجوز فيه حذفُه لعدم تعلُّقِ فائدةٍ بذكره فقد تقدّم معناه قبل الفاء الرابطة، فلمّا كان مفهوماً، لم يجد الشاعرُ حرجاً في حذفه، فالمعنى مفهومٌ ، واللبْسُ مأمونٌ، ثمّ إنه قصد بحذفه

(1) الديوان، ٣٣٧.
(2) الديوان، ج١/٢٨.
(3) الديوان، ج١/٣١.

توجيه الأنظار إلى متعلّق الخبر (عن سهوٍ، وعن قصدٍ) إمعاناً في الهجاء، وتجريد المهجوِّ من أيّ قولٍ حسنٍ قد يصدرُ عنه. وقال أبو ماضي[١]:

هوَ حينَ يجري مع هَواهُ خائنٌ وإذا سَمَتْ أخلاقُهُ سِمْسارُ

حذف الشاعرُ المبتدأ (هو) مع الفاء الرابطة لجواب الشرط، والتقديرُ (فهو سمسار) وحذفه لتقدُّم ذكره في الشطر الأوّل؛ ولأنه ورد في موضع من التركيب يجوز حذفه فيه، وحذفُه في هذا الموضع تغييرٌ نحويّ في بنية التركيب بإسقاط عنصر عمدةٍ فيه، والغرضُ من حذفه في هذا السياق توجيهُ الأنظار وتسليطُها على الخبر (سمسار) فالشاعرُ يصف المنافقَ، ويفضحه، ويحذر منه، فلمّا تقدّمَ ذكرُه، لم يكن ثمّة داعٍ لإعادته؛ لأن الغرض من تشكيل التركيب لا يتعلّق به، وإنّما بخبره (سمسار) فأراد الشاعرُ تعجيلَ الوصول إليه؛ كي يفجأ المتلقي به؛ ليزيد نُفُورَه واشمئزازَه من صاحبه المحذوف الذي أَنِفَ الشاعرُ من تِكرار ذكره. وقال أبو ماضي[٢]:

قالُوا: فَراشَةُ حقلٍ لا غَناءَ بها ما أَفْقَرَ النَّاسَ في عيْني وأَغْناكِ

حذف الشاعرُ المبتدأ (هي) والتقديرُ (هي فراشةُ حقل) لأن المقام قد أغنى عن ذكره ولِوروده في صدر جملة القول، وهذا موضعٌ يجوز حذفُه فيه، فاحترز الشاعرُ من العبث، فحذفَه لعدم تعلُّق فائدة بذكره، فالغايةُ توجيهُ الأنظار، ولفْتُ عناية المتلقي نحوَ الخبر (فراشةُ) لأنه موضعُ الفائدة من التركيب، فالشاعرُ يصوّر فراشةً محتضرة بقيت وحدها، وهو بحذف المبتدأ، أراد أن يسلّط الأنظارَ على حالتها لا على ذاتها. وقال البارودي[٣]:

فقُلْنا: سَحابٌ يا سَقَى اللهُ أرْضَنا بهِ وروَانا فَهْوَ بالنَّاسِ أرْأَفُ

حذف الشاعرُ المبتدأ (هذا) بعد القول، وأبقى خبرَه (سحابٌ) وحذْفُهُ في هذا الموضع تغيير نحوي في بنية التركيب، والغرضُ منه تعجيل المسرّة بالوصول إلى الخبر (سحابٌ)

(1) الديوان، ٢٨٤.
(2) الديوان، ٤٢٧.
(3) الديوان، ج٢/٢٨٦.

الذي ينتظره المتلقي، ويتشوّق إليه، وذكرُه يعني تأخير وصـــول الخبـــر (ســحابٌ) إلـــى المتلقي، وهذا خلاف المراد من التركيب. وقال السياب[١]:

رَشيدُ ويا نِعمَ الزّعيمُ لأمَّةٍ   يُعينُها عبدُ الإله وصاحبُهْ

حذف الشاعرُ المبتدأ (أنتَ) والتقديرُ (نعمَ الزعيمُ أنتَ) وجاز حذفُــه؛ لأنـــه مخـــصوص بالمدح قد تقدّم ذكرُه، فلمّا دلّ السياقُ عليه، لم يجد الشاعرُ حاجةً إلى ذكره، فاحترز مـــن العبث. وقال البارودي[٢]:

أقولُ وأتْلو القَوْلَ بالفعلِ كلّما   أردْتُ وبئسَ القولُ كان بلا فعلِ

حذف الشاعرُ المبتدأ (قولٌ) والتقديرُ (بئس القولُ قولٌ كان بلا فعل) وجاز حذفُه؛ لأنـــه مخصوصٌ بالذّمّ، وحذفه، وأقام صفتَه جملة (كان بلا فعل) مقامه، فصارت دالّةً عليه، ثـــمّ إنّ معناه مفهومٌ من الفاعل (القولُ) لأنه من لفظه، والغايةُ من حذفه في هذا السياق توجيهُ عناية المتلقي إلى صفته (كان بلا فعل) فالشاعرُ لا يذمُّ كلَّ قولٍ، وإنّما يخصُّ بالـــذّمّ كـــلَّ قولٍ، صفتُه لا يتلوه فعلٌ، فلمّا كانت الغايةُ من تشكيل التركيب صفةَ المبتدأ لا هو، حذفَه، وأقام صفتَه مقامه، وزالت بحذفه من التركيب علاقةٌ نحوية، هي علاقةُ التبعية الوصـــفية بين المبتدأ المحذوف (قولٌ) وبين صفته جملة (كان بلا فعل). وقال أبو ماضي[٣]:

للهِ ما أَشْهَى الْقُرَى وأَحَبَّها

لِفَتىً بعيدِ مَطارِحِ الأَفْكارِ

حذف الشاعرُ المبتدأ (ما) التعجبية بعد الواوالعاطفة، والتقديرُ (ما أشهى القـــرى ومـــا أحبَّها) وهذا موضعٌ من التركيب يجوز فيه حذْفُه؛ لأنه معطوفٌ على مبتدأ مثله في اللفـــظ والمعنى، ولأن المتعجّب منه (القرى) قبل الواو وبعدها واحدٌ.

---

(1) الديوان، ٤١١.
(2) الديوان، ج٣/٨٩.
(3) الديوان، ٣٢٢.

والنتيجةُ أنّ حذْفَ المبتدأ تغييرٌ نحويٌّ جائزٌ في بنية التركيب، وحَذْفُهُ لا يغيِّر العلاقةَ الإسناديّة بينه وبين خبره، وليس للمتكلم أن يلجأ إليه إلّا إذا كان ذكْرُه لا يؤدِّي المعنى الذي قصدَه الشاعرُ.

٢- حذفُ الخبر أو ما أصلُه الخبر:

الخبرُ هو الاسمُ العمدةُ الثاني الذي تتمُّ به الجملة الاسمية، وتتحقّق الفائدةُ، ويتشكّل المعنى، ويُسند إلى المبتدأ، ويخبرعنه، والأصلُ ذكرُه[١]. ويجوز حذفُه إذا دلّ عليه دليلٌ، ومن ذلك حذفه بعد (إذا) الفجائية، نحوُ (خرجتُ فإذا الأسدُ) أيْ (الأسدُ حاضرٌ) أو في جواب الاستفهام لوروده وذكره في صيغة السؤال، نحو (مَنْ مجتهدٌ؟) فيقال في الجواب: (زهيرٌ) والتقديرُ (زهيرٌ مجتهدٌ) فحذف الخبر (مجتهدٌ) من الجواب لوروده في صيغة السؤال، ومنه أن يكون المبتدأُ معطوفاً على مبتدأ آخر، وخبرُهما واحدٌ، فيُكتفَى بذكر خبر أحدهما، نحوُ قوله تعالى:﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٢] والتقديرُ (وظلُّها دائمٌ) فحذف الخبر (دائمٌ) لوروده في الجملة المعطوف عليها (أُكُلُها دائمٌ) ومثلُه قوله تعالى:﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾[٣] فحذف الخبر (فعدّتُهنّ ثلاثةُ أشهر) والتقديرُ (واللائي لم يحضْنَ فعدّتُهنّ ثلاثةُ أشهر) لأن المبتدأ (اللائي) معطوف على مبتدأ مثله في اللفظ والمعنى، ودلالة الخبر المحذوف في الجملة المحذوفة مثلُ دلالة الخبر (فعدّتُهنّ ثلاثةُ أشهر) في الجملة المعطوف عليها، ويجوز حذفُه بعد همزة الاستفهام، نحوُ قول ذي الرّمة[٤]:

فيا ظَبيةَ الْوَعْساءِ بينَ جُلاجِلٍ   وبينَ النَّقا آأنتِ أمْ أمُّ سالمِ؟

فحذف الخبرَ (هذه) والتقديرُ (أأنت هذه؟) لوروده بعد همزة الاستفهام، كما يجوز حذفُه إذا وُصِف المبتدأُ بصفة تدلّ على الخبر، كقوله تعالى:﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ

(1) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٦٢.
(2) الرعد، ٣٥.
(3) الطلاق، ٤.
(4) الديوان، ٧٠٠. يقصد: أنت أملحُ أم أمُّ سالم؟.

جَمِيلٌ ﴾[١] والتقديرُ (فصبرٌ جميلٌ أجملُ) لأن المبتدأ (صبرٌ) وُصِفَ بـ (جميلٌ) و (جميلٌ) دلّت على الخبر المحذوف، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾[٢] فحذف الخبرَ (أدلُّ) والتقديرُ (طاعةٌ معروفةٌ أدلُّ على معرفة صدقكم من الإيمان) لكون دلالة الفعل أقوى من دلالة القول[٣]. ويجوز حذفُه إذا تتالى مبتدآن، وكان شبهَ جملة جارّاً ومجروراً، والمجرورُ ضميرٌ متّصل بحرف الجرّ، وعائدٌ على المبتدأ، والمبتدأُ الثاني، وخبره المحذوفُ خبرٌ للمبتدأ الأوّل، نحوُ (السّمنُ مَنَوانِ بدرهم) والقصْدُ (السمنُ منوان منه بدرهم) فجاز حذفُ الخبر (منه) وهو خبرٌ للمبتدأ (منوان) لأنه تتالى مبتدآن، هما (السمنُ ومنوان) والخبرُ المحذوفُ جارٌّ ومجرورٌ، والمجرورُ هو الضميرُ المتّصلُ هاءُ الغائب وهو عائدٌ على المبتدأ الأوّل (السَّمنُ) وجملةُ (منوان منه بدرهم) خبر للمبتدأ الأوّل (السمنُ) ومثلُه (البُرُّ الكُرُّ بستّين درهماً) والقصْدُ (البُرُّ الكُرُّ منه بستين درهماً)[٤].

ويجوز حذفُ خبر الأحرف المشبّهة بالفعل إذا علمه المتلقي سواءٌ أكان نكرةً أم معرفةً، وسواءٌ أكُرِّرت (إنّ) أم لم تُكرَّر، نحو قول الأعشى[٥]:

إنّ مَحَلّاً وإنّ مُرْتَحلاً   وإنّ في السَّفْرِ ما مَضَوْا مَهْلا

والتقدير (إنّ لنا محلّاً وإنّ لنا مرتحلاً) ويجوز حذفه إذا دلّ على كَوْنٍ خاصٍّ، نحوُ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾[٦] والتقديرُ (إنّ الذين كفروا بالذكر لمّا جاءهم معاندون أو هالكون أو معذَّبون) وقول جميل بثينة[٧]:

---

(1) يوسف، ١٨.

(2) النور، ٥٣.

(3) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٦٧-٦٩، والمفصل، ٣٣-٣٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٣١، وشرح المفصل، ج١/٩١، وارتشاف الضرب، ج٣/١٠٨٨، والإيضاح في علم البلاغة، ٤٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٦١، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٩١-٩٣.

(4) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٦٧-٦٩، والمفصل، ٣٣-٣٤، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٣١، وشرح المفصل، ج١/٩١، وارتشاف الضرب، ج٣/١٠٨٨، والإيضاح في علم البلاغة، ٤٥، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٦١، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٩١-٩٣.

(5) الديوان، ٢٨٣.

(6) فصلت، ٤١.

(7) الديوان، ١٩٢.

أَتَوْنِي فقالوا يا جميلُ تَبَدَّلَتْ　　　بُثَيْنَةُ أَبْدالاً فقلتُ لعلَّها

والتقديرُ (لعلّها تبدّلت أولعلّها فعلت ذلك)[١] وحاصلُه أنه يجوز حــذفُ خبــر الحــرف المشبّه بالفعل سواءٌ أكان اسماً أم شبهَ جملة أم جملة بشرط أن يكون المعنى مفهوماً بعيــداً عن اللبس والغموض.

ويجوز حذفُ خبر (لا) النافية للجنس إذا علمه المتلقي، نحو قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[٢] أيْ (لا ضيرَ علينا) وقوله تعــالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[٣] والتقدير (فلا فوتَ لهم) فحذف الخبر (لهم) لأنه معلومٌ[٤].

ويجوز حذفُ خبر الأفعال الناقصة إذا توافر الدليلُ، وكان المعنى مفهوماً، والمخاطــبُ عالماً به، نحوُ قوله تعــالى:﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾[٥] والتقــديرُ (فطفــق يمسح مسحاً) فحذف الخبر (يمسح) وقوله (ص): "مَنْ تأنّى أصابَ أو كاد، ومَــنْ تعجّــل، أخطأ أو كاد" والتقديرُ (كاد يصيب، وكاد يخطىء) فحذف خبري (كــاد) وهمــا (يــصيب ويخطىء) وقد يُحذَف من جملة جواب الاستفهام لوروده في صيغة السؤال، نحوُ (أصــبح محمدٌ) في جواب (هل أصبح محمدٌ مسافراً؟)[٦]. و يدور حذفُ الخبر في دائرة أغــراض حذف المبتدأ ومعانيه. وكثر حذفُ الخبر في دواوين الشعراء الخمسة . قال البارودي[٧]:

فأصبحَ في لُجٍّ من النُّورِ سابحاً　　　سواحلُهُ مَجْهولةٌ وفَضاؤُهُ

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/١٣٠-١٣١، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٢٩٢، والمفصل،٣٧، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٤٥١-٤٥٢، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٦٢-٦٣، وارتشاف الضرب، ج٣/١٢٤٩، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٠٥.
(2) الشعراء، ٥٠.
(3) سبأ، ٥١.
(4) ينظر، المفصل، ٤٠، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٣٨.
(5) ص، ٣٣.
(6) ينظر، شرح المفصل، ج١/١٠٨-١٠٩، وارتشاف الضرب، ج٣/١٢٣، وجامع الدروس العربية، ج٢/٢٧٩-٢٨٠، ٢٩١.
(7) الديوان، ج١/٣٠.

حذف الشاعرُ خبر المبتدأ (فضاؤُه) والتقديرُ (وفضاؤه مجهولٌ) وجاز لــه حذفُــه؛ لأن المبتدأ (فضاؤه) معطوف على المبتدأ (سواحلُه) الذي ذُكِر خبره، ولمّا كان خبــرُ المبتــدأ (فضاؤه) من لفظ خبر المبتدأ (سواحله) عَزَفَ عن ذكره، فالمعنى مفهومٌ، واللبسُ مأمونٌ، وفي ذكره إطالةٌ لبنية التركيب لا فائدةَ منها، وتشتيتٌ لانتباه المتلقي، وتضييعٌ لوقته. وقال البارودي(١):

هذا ورُبَّتَ لَذَّةٍ باشرْتُها   في ظِلِّ أخضرَ بالعَرَارِ مُنَمْنَمِ(٢)

حذف الشاعرُ خبر المبتدأ (هذا) والتقديرُ (هذا رأيي) وذلك لدلالة المقام عليه، فلمّا كان المعنى مفهوماً من دونه، لم يجد حاجةً إلى ذكره، فالإشارةُ إليــه أغنــتْ الــشاعرَ عــن التصريح

به في التركيب، وحذْفُه لم يُلغ العلاقةَ الإسنادية بينه وبين المبتدأ (هذا) فلو ذكره، والمعنى مفهومٌ، واللبسُ مأمونٌ، لَكان ضرْباً من العبث وإطالة الكلام، وهذا موضعٌ تجيز القاعــدةُ النحوية حذفَه فيه. وقال بدر الدين الحامد(٣):

حَسْبي وحَسْبُ النّاسِ أنّي امْرُؤٌ   في كُلِّ ما يَجْنونَ لا ذَنْبَ لي

حذف الشاعرُ خبرَ المبتدأ (حسبي) والتقديرُ (حسبي أنّي امرُؤٌ) لدلالــة خبــر المبتــدأ (حسبُ) عليه؛ لأنهما من لفظٍ واحد، ومعناهما واحد، ويُسمَّى هذا أسلوبَ التنــازع، فقــد تنازع المبتدآن (حسبي وحسبُ) الخبرَ (أنّي امرؤٌ) فأعملَ فيه المبتدأ الثاني، وحذفَ خبــرَ المبتدأ الأوّل لدلالة خبر المبتدأ الثاني عليه، والمعنى المفهومُ من دون ذكره سَوَّغَ حذْفَــهُ، فلو ذكره، لَكان ضرْباً من العبث وإطالة الكلام وتضييعاً للوقت وتشتيتاً لانتبــاه المتلقــي. وقال بدر الدين الحامد(٤):

---

(1) الديوان، ج٣/٤٩٨.
(2) العَرَار: أزهار الرّوض وأنوارُه ذات الرائحة الزّكية العطرة، ومنمنم:مرقّش ومزيَّن.
(3) الديوان، ج٢/٣٦٧.
(4) الديوان، ج٢/٤٣٢.

هِمّةٌ لا تَنِي وباعٌ طَوِيلٌ ولِسانٌ كما تَشاءُ صَقيلُ

حذف الشاعرُ خبر المبتدأ (همّةٌ) والتقديرُ (لكَ هِمّةٌ) فحَذْفُه تغييرٌ في بنية التركيب بإسقاط ركنٍ أساسيٍّ، وهذا التغييرُ تجيزه القاعدةُ النحوية والاستعمال الصحيح إذا كان وراءه معنى لا يؤدّيه التعبيرُ الطبيعيّ بذكر الخبر، فقد قصَدَ الشاعرُ من حذفه توجيه الأنظار نحوَ المبتدأ (همّةٌ) التي قصرها على الممدوح، فاتّصافُ الممدوح بالهمّة والباع الطويل واللسان الصقيل قد ميّزه عن الآخرين، وأعْلى قَدْرَهُ، وجعله في مكانة لا يصل إليها أحدٌ، وكأنها ليست موجودةً إلّا فيه، وفي هذا مبالغةٌ أراد الشاعرُ تقديمَها كأنّها حقيقةٌ، فرأى أنّ ذلك لا يتأتّى، ولا يتّضح إلّا بحذف الخبر. وقال الباروديّ(١):

لَعَمْري لَقَدْ نادَيْتُ لو أنّ سامعاً ونوّهْتُ بالأحْرار لو أنّ مُنْقذِا

حذف الشاعرُ خبر الحرف المشبَّه بالفعل (أنّ) مرّتين، والتقديرُ (لو أنّ سامعاً سمعني، ولو أنّ منقذاً استجاب لي) وجاز حذفُه؛ لأنّ السياق دلّ عليه، فالمعنى مفهومٌ، واللبسُ مأمونٌ، والغرضُ من حذفه تغييبُه من التركيب مراعاةً لظروف الحال والمقام والواقع، وللدلالة على عدم وجوده، ولَمّا أن وجد الشاعرُ أن لا أحدَ سمع نداءه، ولا حُرَّ استجاب لتنويهه، أراد أن يجاري تركيبُه الواقعَ والحقيقة، أيْ لَمّا لم يكن خبرٌ واقعٌ للحرف المشبه بالفعل (إنّ) في الحقيقة، لم يجد حاجةً إلى ذكره. وقال بدر الدين الحامد(٢):

كُلْ هَنيئاً ونَمْ قَريراً فإنّا بِسَخاءٍ نَجُودُ بالمالِ إنّا

حذف الشاعرُ خبر الحرف المشبه بالفعل (إنّا) والتقديرُ (إنّا نجود) لِتَقَدُّم ذكره، فلمّا دلّ عليه السياقُ، غدا مفهوماً ومعلوماً للمتلقي، وحذْفُه لم يُلغِ علاقةَ الإسناد بينه وبين الضمير (نا) الذي هو اسمُ (إنّ) فلمّا كان المعنى مفهوماً، واللّبسُ مأموناً، غيَّرَ الشاعرُ بنية التركيب، فحذف الخبرَ منه، ورُبّما أراد بحذفه توجيهَ عناية المتلقي إلى الاسم (نا) لأن

(1) الديوان، ج١/٢٥٩.
(2) الديوان، ج٢/٥٧٨.

المقام مقامُ فخر واعتزاز، و الضميرُ (نا) هو صاحبُ الفخـــر، والغــرضُ مـــن تـــشكيل التركيب لَفْتُ الانتباه إليه، وربّما أراد بحذفه إطلاقَ الخبر حتّى يذهب خَيالُ المتلقـــي فـــي كلّ اتّجاه، فيدّعي كلَّ صفة حميدة للممدوح (نا) فكأنّ الشاعرَ أطلق الخبرَ بعـــد أن قيّـــده، وعمّمه بعد أن خصّصه. وقال بدر الدين الحامد(١):

ما كنتُ أحْسَبُ أنّ بَيْنَكَ عاجلٌ   عنهم ولكنّ النّوى بقَضاءِ

حذفَ الشاعرُ خبرَ الحرف المشبه بالفعل (لكنّ) والتقديرُ (ولكنّ النّوى عجَّـلَ بقـضاء) وقد سوّغَ حذفَه دلالةُ السياق عليه، فهو من معنى الخبر (عاجلٌ) فلمّا كان المعنى مفهوماً، ماعادت حاجةٌ إلى ذكره؛ لأن في ذكره عبثاً وإطالةً وتضييعاً للوقت، وربّمـــا حَذَفَـــه؛ لأن المقام لا يسمح بذكره فقد فُوجِىء الشاعرُ بالفراق الذي جاء عاجلاً، وهذه المفاجـــأةُ زادتْ ألمَه، وأفقدته شيئاً من توازنه وصبْرِه، فكان حذفُ الخبر (عجّل) مناسباً لحالتـــه وللواقـــع الذي يعيشه.

وقال بدر الدين الحامد(٢):

كُنّا وكان لنا الزّمانُ مُواتياً   والْعَيْشُ مَكْسُوَّاً بِبُرْدٍ أخْضَرِ

حذف الشاعر خبر (كان) الناقصة، وأبقى اسمها (نا) والذي سوّغ حذفه، وأجازه دلالـــةُ المقام عليه، وربّما كانت الغاية من حذفه إطلاقَه؛ ليذهب خيالُ المتلقي فـــي كـــلّ اتّجـــاه لتحصيله، وهذا أدعى للتأثير فيه، فالشاعرُ يفتخر بالماضي، وبما اتّصف به مع قومه فـــي ذلك الماضي، فلو ذكر الخبر، لانحصر فخرُه فيه دون أن يتعدّاه إلى غيره، وهـــذا فخـــرٌ ضيّق، فلمّا حذفه، وأطلقه، صلُح كلُّ ما هو من الصفات الجيّدة والمفـــاخر والمحامـــد أن يكون خبراً لـــ (كان) وفخراً للشاعر وقومه، فحذفُه نقل المعنـــى مـــن التخـــصيص إلـــى

(1) الديوان، ج٢/٤٥٤.
(2) الديوان، ج٢/٣٥٧.

التعميم، فتغييرُ بنية التركيب بحذف الخبر منه، مكّن الشاعر من التعبير عن أخبار متعدّدة يريدها. وقال السياب[١]:

ما للنُّجومِ غَرِقْنَ من سأَمٍ   في ضَوْئِهِنَّ وكادتِ الشُّهُبُ

حذف الشاعرُ خبر (كاد) الناقصة، وأبقى اسمها (الشّهبُ) وقد أجاز السياق والمقام حذفَه لدلالتهما عليه، فقد ورد ذكرُ معناه في الشطر الأوّل، فكأنه لَمّا قال (ما للنجوم غرقن؟) أراد أن يقول: (كادت الشهبُ تغرق) ويبدو أنه أراد لِتركيبه أن يحمل دلالاتٍ وإيحاءات أخرى، فحذف الخبر؛ لِيُطلق العِنان لخيال المتلقي؛ لِيتصوّر كلّ مصير وإخبار للشهب، وهذا أدعى للتأثير فيه وربطه بمحتوى التركيب ومعناه، فحذْفُه جعل التركيب ذا دلالات احتمالية، ووسّع دائرة فهمه، فقد قيّد الشاعر مصير النجوم الغارقة، وبيَّن سبب ذلك، ويبدو أنه لم يصل إلى التأثير الذي أراده في المتلقي، فحذفَ خبر (كادت) وأطلقه؛ ليصل إلى ما يريد من المعاني والتأثير في المتلقي.

والنتيجة أنّ حذف الخبر تغيير نحويّ جائز في بنية التركيب، ولا يُلغي حذفُه علاقته بالمبتدأ أو ما أصله المبتدأ، ولا بالعامل الذي رفعه، وغالباً ما يكون لدلالات ومعانٍ لا يؤدّيها التعبيرُ الطبيعيّ.

٣- حذْفُ الفعل:

تتعدّد المواضع التي يجوز فيها حذفُ الفعل، فيجوز حذفه وإبقاء فاعله إذا كان في جواب استفهام ملفوظ أو مقدّر، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[٢] فحذف الفعل (خلق) الرافع للفاعل (اللهُ) من جواب الاستفهام (خلقهنّ اللهُ) لوروده في صيغة السؤال (مَنْ خلق؟) ومن الثاني قوله تعالى: ﴿

(1) الديوان، ٣٧.
(2) العنكبوت، ٦١.

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ ﴾[1] والتقدير (يسبّحه رجالٌ) فحذف الفعل (يسبّح) الرافع للفاعل (رجالٌ) لأنه على تقدير (من يسبّحه؟) ويجوز حذفُه بعد أدوات الشرط على شرط التفسير بفعل من لفظه ومعناه، فيظلّ فاعلُه دالّاً عليه، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾[2] والتقديرُ (وإن استجارك أحدٌ) فحذف الفعل (استجار) بعد (إنْ) الشرطية، وأبقى فاعله (أحدٌ) دالّاً عليه، ثمَّ فسّره بفعل من لفظه ومعناه، هو (استجار) الذي ذكره بعد الفاعل (أحدٌ) وقوله تعالى:﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾[3] فحذف الفعل (انشقّت) بعد (إذا) الشرطية، وأبقى فاعله (السماءُ) دالّاً عليه، ثمّ فسّره بالفعل (انشقّت) المذكور بعد الفاعل (السماءُ) ولافرْقَ في ذلك إن كان الفاعلُ اسماً ظاهراً كما تقدّم، أو مصدراً مؤوّلاً من (أنّ) ومعموليها، نحوُ قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[4]، والتقدير (ولو ثبت أنهم صبروا) فحذف فعل الشرط (ثبت) بعد (لو) الشرطية، وأبقى فاعله (أنّهم صبروا) دالّاً عليه، وهو المصدر المؤوّل من (أنّ) ومعموليها هاء الغائب وجملة (صبروا). كما يجوز حذفه بعد أدوات التحضيض التي تختصّ بالدخول على الأفعال، فإذا تلاها اسمٌ مرفوعٌ، عُرِف أنه فاعل، وأنّ فعله محذوف نحو (هلّا زيدٌ قام) والتقديرُ (هلّا قام زيدٌ قام) فحذف الفعل (قام)

بعد أداة التحضيض (هلّا) وأبقى فاعله (زيدٌ) دالّاً عليه[5].

ويجوز حذف الفعل إذا كان ناصباً للمفعول به، وذلك إذا دلّ عليه المقام، كأن ترى رجلاً يسدّد سهماً، فصرخت (القرطاسَ) تريد (أصاب القرطاسَ) فحذفت الفعل (أصاب) وأبقيت مفعوله (القرطاسَ) ويُضْمَر الفعل في هذا المقام؛ لأنه مقام مخاطبة، ومثلُه قولك لِمَنْ يحدّثك: (حديثَك) تريد منه (أتممْ حديثَك) لأنه قطعه. ويجوز حذفه من جملة الجواب

---

(1) النور، ٣٦.
(2) التوبة، ٦.
(3) الانشقاق، ١.
(4) الحجرات، ٥.
(5) ينظر، المقتضب، ج٧٢/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١١٦/١، ج٢١٨/٢-٢١٩ ،٢٣٢-٢٣٣، والمفصل،٢٨-٢٩، ٤١٨، وشرح المفصل، ج٨١/١-٨٣، ج٩/٩-١٠، وشرح جمل الزجاجي، ج٤٥٣/١، وارتشاف الضرب، ج١٣٢٢/٣، وأوضح المسالك، ٦٤١- ٦٤٢، ومغني اللبيب، ٨٢٧، وجامع الدروس العربية، ج٢٤١/٢.

لوروده في صيغة السؤال، نحوُ قولـــه تعـــالى: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗا ﴾[1] والتقديرُ (قالوا أنزل خيراً) فحذف الفعل (أنزل) من جملة الجواب؛ لـــوروده فـــي صـــيغة السؤال المتقدِّمة (ماذا أنزل ربُّكم؟) وأبقى مفعوله (خيراً) ويجوز حذفه في بابي الإغـــراء والتحذير إذا كان المغرى به أو المحذَّر منه اسماً مفرداً، فمن الأوّل نحو (الشجاعةَ) تُريـــد (الزم الشجاعةَ) فحذفت الفعل (الزمْ) وأبقيت المفعول به (الـــشجاعةَ) وفعلـــت ذلـــك؛ لأن المغرى به (الشجاعةَ) اسمٌ مفرد، ومن الثاني (الكسلَ) تريد (احذر الكسلَ) فحذفت الفعـــل (احذر) وأبقيت المفعول به (الكسلَ) لأنه مفرد، وأنت تريد التحذير في هذا المقـــام، كمـــا يجوز حذفه بعد أدوات التحضيض التي من شأنها أن تدخل على الأفعال، فإذا تلاها اســـمٌ منصوب، عُرِف أنّ ناصبه الفعل محذوف، نحو قول جرير[2]:

تعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفْضَلَ مَجْدِكُمْ بني ضَوْطَرَى لولا الْكَمِيَّ الْمُقَنَّعا[3]

فحذف الفعل (تعدّون) بعد (لولا) التحضيضية، وأبقى مفعوله (الكميّ) والأصـــلُ (لـــولا تعدّون الكميَّ) ومثلُه قولك: (هلّا خيراً من ذلك، وألَا خيراً من ذلك) تريد (هلّا فعلتَ خيـــراً من ذلك، وألَا فعلتَ خيراً من ذلك) ويجوز حذفه بعد أدوات الشرط، نحو (لو زيداً رأيتـــه أكرمته) فحذفتَ الفعل (رأيتُ) بعد (لولا) الشرطية، وأبقيتَ مفعوله (زيداً) ثمّ فسّرته بفعـــل من لفظه

ومعناه[4]، ونحو قول النّمر بن تولب[5]:

لا تَجزَعِي إنْ مُنْفِساً أهْلَكْتُهُ فإذا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذلكَ فاجْزَعِي

(1) النحل، ٣٠.
(2) الديوان، ٣٣٨.
(3) النِّيب: النُّوق المسِنَّة، وضوطرى: الحمقاء، والكميّ: الفارس الشجاع، والمعنى: ليس الفخر بذبح النوق المسنّة بل بقتل الأبطال.
(4) ينظر، الكتاب، ج١/٢٦٨،٢٥٧، والمقتضب، ج٤/١٢٩، والأصول في النحو، ج٢/٢٤٧، وكتاب الشعر، ج١/٥٧، والخصائص، ج١/٢٨٥، والمفصل، ٤٦، وشرح المفصل، ج١/١٢٥، وارتشاف الضرب، ج٣/١٤٧٢-١٤٧٣، ١٤٨٠، وأوضح المسالك، ٢٩٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/٦-١٥.
(5) الديوان، ٧٢.

والتقديرُ (إنْ أهلكتُ منفساً أهلكتُه) فحذف الفعل (أهلك) بعد (إنْ) الشرطية، وأبقى مفعوله (منفساً) دالّاً عليه، ثمّ فسّره بالفعل (أهلك) الذي هو من لفظه ومعناه.

ويجوز حذف الفعل العامل في شبه الجملة، وذلك إذا كان في جواب الاستفهام استغناءً عن ذكره في صيغة السؤال، نحو قولك: (يومَ الجمعة) لِمَنْ سألك: (متى سرْتَ؟) والأصلُ (سرتُ يومَ الجمعة) لكنّك حذفت الفعل (سرتُ) العامل في ظرف الزمان (يومَ) لوروده في صيغة السؤال (متى سرتَ؟) وقولك: (بالله) في جواب مَنْ سألك: (بِمَنْ تستعين؟) فحذفت الفعل (أستعينُ) من الجواب، وأبقيت متعلّقه الجارّ والمجرور (بالله) وفعلت ذلك لوروده في صيغة السؤال[١].

ويجوز حذف الفعل العامل في المفعول المطلق إذا كان دالّاً على نوع أو عدد، فإذا رأيت رجلاً قادماً من السَّفر، قلت له: (خيرَ مَقْدَمٍ) تريد (قدمت خيرَ مقدمٍ) فحذفت الفعل (قدم) وأبقيت المفعول المطلق (خيرَ) لدلالة الحال عليه، ومثلُه قولك لِمَنْ عاد من الحجّ: (حجّاً مبروراً) تريد (حججْت حجّاً مبروراً) ويجوز حذفه في جواب الاستفهام لوروده في صيغة السؤال، نحوُ قولك: (جلوساً طويلاً، أو جلستين) جواباً لِمَنْ سألك: (هل جلست؟) فحذفت الفعل (جلستُ) وأبقيت المصدر (جلوساً) والأصلُ (جلستُ جلوساً طويلاً أو جلستين) وفعلت ذلك لوروده في صيغة السؤال[٢]. والمتكلمُ إنّما يحذفه؛ لأن المصدر أقوى وأثبت في تأدية المعنى من الفعل؛ لأنه حدثٌ مجرَّد من الزّمن، والفعلُ حدثٌ مقترن بالزّمن[٣].

ويجوز حذف الفعل العامل في الحال لدلالة المقام عليه، فإذا رأيت رجلاً يريد السفر، قلت له: (راشداً مهديّاً) تريد (سافرْ راشداً مهديّاً) فحذفت الفعل (سافرْ) وأبقيت الحال

(1) ينظر، المفصل، ٧٢، وشرح المفصل، ج٢/٤٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/٤٩، ٢٠٣.
(2) ينظر، الكتاب، ج١/٢٧٠، والأصول في النحو، ج٢/٢٤٨، وشرح المفصل، ج١/١١٣، وجامع الدروس العربية، ج٣/٣٤، ومعاني النحو، ج٢/١٤٤.
(3) ينظر، معاني النحو،ج٢/١٤٦.

(راشداً) وقولك: (صادقاً) لرجل أنشدك شعراً، فحذفت الفعل (أنـــشدتَ) وأبقيـــت الحـــال (صادقاً)[١].

ويجوز حذفه بعد (قد) و (لَمّا) الجازمة، وحذفُه في هذين الموضعين من باب الاتّـــساع؛ لأنهما لتوقُّعِ الفعل، ويجوز ذلك إذا كان الفعل معلوماً، فمن حذفه بعد (قد) قـــول النابغـــة الذبياني[٢]:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أنَّ رِكابَنا   لَمّا تزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ

أراد (وكأنْ قد زالت) فحذف الفعل (زالت) بعد (قد) لتقدُّم ذكره، ولأنه معلوم، ومثالُ حذفه بعد (لَمّا) نحو (سرتُ حتّى المدينة ولَمّا) والأصلُ (ولَمّا أدخلْها) فحذفتَ الفعل (أدخل) بعد (لَمّا) الجازمة[٣] ونحو قول الشاعر[٤]:

فجئْتُ قبورَهم بَدْءاً ولَمّا   فناديْتُ القبورَ فلم يُجِبْنَهْ

فحذف الفعل بعد (لَمّا) والأصلُ (ولَمّا أكنْ بَدْءاً قبل ذلك) أيْ سيِّداً.

ويجوز حذف الفعل إذا كان جواباً للشرط لتفخيم الحدث وتهويله وتعظيمه، نحـــوُ قولـــه تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[٥] فحذف جواب (لو) الشرطية، والتقـــديرُ (لَرأيْـــتَ أمـــراً عظيماً) ونحوُ قول امرىء القيس[٦]:

فلو أنّها نَفْسٌ تموتُ جَميعاً   ولكنّها نَفْسٌ تَساقَطُ أنْفُسا

فحذف جواب (لو) الشرطية، والتقدير (لَغَنِيَتْ، واستراحت) وإنّما حذفَهُ لتعظيم الحالة

---

(1) ينظر، الكتاب، ج١/٢٧١، والمفصل، ٨٣، وشرح المفصل، ج٢/٦٨، وارتشاف الضرب، ج٣/١٥٩٨، وأوضح المسالك، ٣٦٤، وجامع الدروس العربية، ج٣/٩٢-٩٣.

(2) الديوان، ١٠٥.

(3) ينظر،الأزهية، ٢١١، والمفصل، ٤١٠، وشرح المفصل، ج٨/١١٠-١١١، وشرح جمل الزجاج، ج١/٤٠٣ ،ج٢/٢٩٢، وارتشاف الضرب، ج٥/٢٣٦٤، وأوضح المسالك، ٦٣٦، ومغني اللبيب، ٢٢٧، وجامع الدروس العربية، ج١/١٨٩.

(4) منسوب لذي الرّمّة، وليس في ديوانه، مغني اللبيب، ٣٦٩.

(5) الأنعام، ٢٧.

(6) الديوان، ١١٧.

النّفسيّة التي يعيشها؛ لأن المصائب تأتيه فُرادى، ومع كلِّ مصيبة تـذوق نفسُه المـوت، فالمتكلمُ إنّما يحذف جواب الشرط حينما يرى أن ذكره عائق أمام المعنى الذي يريده، فهو يريد المبالغة والتهويل والتعظيم وتحريك خيال المتلقي في كلّ اتّجاه يحتمله المعنى، ولـو ذكره، لَوَقف خيالهُ في نقطة واحدة، وهذا لا يُعطيه الوَقْعَ المطلوب للمعنى، ويكـون عِلْـمُ المخاطب به مساعداً لهُ على حذفه[١]. وكثرت المواضع التي حُذِف فيها الفعلُ في دواوين الشعراء الخمسة. قال أبو ماضي[٢]:

سُئِلْتُ ماراقَ نفسي من محاسنها فقُلْتُ للنّاس: بَاديها وخَافيها

حذف الشاعرُ الفعل (راق) وأبقى فاعله (باديها) لوروده في صـيغة الـسؤال (مـا راق نفسي؟) فلمّا دلّ السياقُ عليه لتقدُّم ذكره، لم يجد الشاعرُ حاجةً إلى إعادة ذكره في صـيغة الجواب، والغايةُ من حذفه على ما يبدو توجيهُ العناية والاهتمـام نحـو الفاعـل (باديهـا وخافيها) لأنه السرّ الذي يتوضّح به تعلُّقُ الشاعر بحبيبته، فالسائلون قد عرفوا أن شيئاً ما قد راقه فيها، وعلّقه بها فأرادوا أن يعرفوه؛ ولذلك سألوه، فجاء حذفُ الفعل مناسباً لحالتهم وملائماً للمقام الذي دار فيه الحوارُ بينهم وبين الشاعر. وقال أبو ماضي[٣]:

وإذا الفتى لبسَ الأسى ومشَى به فكأنّما قدْ قالَ للزّمنِ: اقْعُدِ

حذف الشاعر الفعل (لبس) وأبقى فاعله (الفتى) بعد (إذا) الشرطية، والدّالُّ عليه القاعدةُ النحويّة التي تقضي أن يلي الفعلُ أداةَ الشرط، فلمّا لم يَرِد بعد (إذا) الشرطية فعلٌ، عُـرِف أنه محذوف، وأنه العامل في الفاعل (الفتى) كما دلّ عليه الفعلُ (لبس) المذكور بعد الفاعل (الفتى) لأنه فسّره، فهو من لفظه وجنسه ومعناه ويبدو أن الفاعل هو مـا يَهُـمُّ الـشاعر ويَعنيه، لذلك أراد اهتمام المتلقي به، فإذا تلقّى المتلقي هذا التركيب وقد حُذِف الفعلُ منـه، تأمّله، وبحث عن الفعل لِيجده، وفي هذه المدّة عايَن حالة الفاعل الذي يعيش في أسـىً لا

---

(1) ينظر، الكتاب، ج٣/١٠٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٢١١، والخصائص، ج٣/١٧٥، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٦٣١، وشرح المفصل، ج٩/٧-٨، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٤٥٦، وارتشاف الضرب، ج٤/١٨٨٣، ١٩٠٣-١٩٠٦، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/١١٩، ج٤/٢٢٧، وجامع الدروس العربية، ج٢/١٩٩-٢٠٢، ومعاني النحو، ج٤/١٠٥-١٠٧.
(2) الديوان، ٦٥٣.
(3) الديوان، ٢٠٨.

يفارقه، فتألّم لِمَا به، وحزن، وربّما حاول تسليتَه وانتشاله ممّا هو فيه، فــإذا فعــل ذلــك، وصل الشاعرُ إلى ما أراده من التركيب. وقال البارودي(١):

وقالتِ: اسْكُتْ وإلّا   تَصيرُ في النّاسِ شُهْرَهْ

حذف الشاعر فعل الشرط (سكت) مع فاعله التاء المتحرّكة بعد (إنْ) الشرطية المدغمة بـــ (لا) النافية، والتقديرُ (وإلّا سكتّ٠٠٠) وجاز حذفُه لدلالة السياق عليه، فقد تقدّم ذكرُه، ولوروده بعد (إنْ) الشرطية المدغمة بـــ (لا) النافية، فلمّا كان مفهوماً، واللبسُ مأموناً، لـــم يجد الشاعر حاجةً إلى ذكره، ثمّ إنّ غايةَ الشاعر، هي جواب الشرط (تصير فـــي النـــاس شهرة) فهو النتيجة التي حذّر منها الشاعر، فقد طلـــب مـــن مخاطبـــه الـــسّكوتَ، وكـــأنّ المخاطب رفض طلبَه، وأبى السّكوت، فأراد الشاعرُ تحـــذيره وتبـــصيره بعاقبـــة عـــدم السكوت، فحذف فعلَ الشرط؛ لتتوجّه عنايتُه إلى جواب الشرط، فإذا عايَنه وتبصّره، فربّما خضع لطلب الشاعر، فيكون الكلامُ أقوى تأثيراً فيه، فإذا ارتدع وسكت، تحقّق للشاعر مـــا أراد. وقال أبو ماضي(٢):

وقائلةٍ: ماذا لقيتَ من الحبِّ   فقلتُ: الرَّدى والخوفَ في الْبُعد والقُرْبِ

حذف الشاعرُ الفعل (لقي) مع فاعله التاء المتحرّكة، وأبقى مفعولـــه (الـــرّدى) لدلالـــة السياق عليه، فحذفه من الجواب لوروده في صيغة السؤال: (ماذا لقيتَ من الحبِّ؟) ثـــمّ إنّ الغاية من الجواب ما لقيه الشاعرُ من الحبّ، فهذا ما أرادت السائلةُ معرفته، فإذا بالـــشاعر قد حذف الفعل والفاعل، وأبقى مفعوله (الرّدى) فاجأها بما لقي، ممّا جعلها تتعاطف معـــه، وترأف به، فليس للسائلة سوى أن تهتمّ بحالته وبما وقع عليها من الرّدى والموت. وقـــال البارودي(٣):

اللهَ في عين جَفاها الكَرى   فيكمْ وقلبٍ قد بَرَاهُ الغَرامُ

(1) الديوان، ج١٠٨/٢.
(2) الديوان، ١٣٢.
(3) الديوان، ج٣٥٧/٣.

حذف الشاعرُ الفعل (اتَّقِ) وأبقى مفعوله لفظ الجلالة (اللهَ) وجاز حذفه؛ لأن المفعول به (اللهَ) مغرى به قد ورد في صورة المفرد، وحذفه لضيق المقام عن ذكره، فالشاعرُ قد هجر النّومُ عينيه، وبرَى الغرامُ قلبه، وهو يحتاج إلى العطف والشفقة، وتوجيه عناية المتلقي واهتمامه إليه في أقصر زمن، وكأن المتلقي كان في عجلة من أمره، فأراد الشاعر أن يختصر التركيب، ويكتفي بذكر المفعول به (اللهَ) ليصل المعنى إلى المتلقي سريعاً، طمعاً في أن يؤثّر فيه، فإذا أثّر فيه، استوقفه، فأصغى إلى الشاعر المهموم، فالتمس له مخرجاً ممّا هو فيه. وقال أبو ماضي[١]:

فرأى أهلَها نِياماً كَأهْلِ الْـ ـكَهْفِ لا جَلْبةً ولا ضَوْضاءَ

حذف الشاعر الفعل (سمع) المنفيّ بـ (لا) وأبقى مفعوله (جلبةً) من دون أن يلغي علاقة التعدية القائمة بينهما، فقد حذف الفعل، وبقي أثرُه في المفعول به (جلبةً) وحذفه لدلالة المقام عليه؛ لأنه من المعلوم إذْ رآهم نياماً ألّا يسمع لهم جلبةً ولا ضوضاء؛ لأن النائم لا تصدر عنه الجلبةُ والضوضاء، فكان حذفُ الفعل مُوازياً ومُحاكياً للواقع الذي صوّره، فلمّا انتفى وقوعه في الحقيقة، غيَّبَهُ الشاعرُ من التركيب، وحذفه، ومن ثمّ وجّه عناية المتلقي إلى النّاس الذين انعدمت الحركةُ والضّجيجُ فيهم. وقال البارودي[٢]:

فقالتْ: سوفَ تلْقاني قَريباً فقلْتُ: متى؟ فقالتْ: في المنامِ.

فحذف الشاعرُ الفعل (تلقى) العامل في الجارّ والمجرور (في المنام) لدلالة السياق عليه، فحذفه من الجواب؛ لتقدُّم ذكره في كلام سابق، فلمّا كان مفهوماً، لم يجد حاجةً إلى ذكره، ثمّ إنه أراد توجيه عناية المتلقي إلى الجارّ والمجرور (في المنام) الذي يحمل سخرية الفتاة منه، فقد وعدته باللّقاء في المستقبل البعيد الذي عبّرت عنه بـ (سوف) وهذا زرع الأمل في نفسه، فسارع إلى سؤالها؛ كي تحدِّد زمناً معيّناً، فأجابته: (في المنام)

(1) الديوان، ١٠٠.
(2) الديوان، ج٣/٤٤٢.

قاطعةً عليه ذلك الأمل، فالجارّ والمجرور (في المنام) يحمل خيبة الشاعر وسخرية الفتاة منه، وهذا ما ينبغي للمتلقي أن يتنبّه إليه. وقال أبو ماضي(١):

لَمْ أزَلْ أستشْعِرُ اللّذّةَ حتّى في العَذابِ

لَمْ أزَلْ أَسْتَشْرِفُ الحُسْنَ ولوْ تحتَ نِقابِ

حذف الشاعرُ الفعل (أستشرفُ) العامل في ظرف المكان (تحت) لدلالة السياق عليه، فقد تقدّم ذكره، وبقي له عملُه في الظرف (تحت) بعد حذفه، ولعلّ غاية الشاعر من حذفه أن يوجِّه عناية المتلقي إلى مكان الحدث لا الحدث الذي عرفه، فمن الطبيعي أن يبحث المرءُ عن الحُسن، ويُعجَب به إذا رآه إلّا أن الشاعر لا يكتفي بما ظهر من حسن الأشياء، بل يريد الولوج إلى الحُسْن المخبَّأ، وهو إذا وصل إليه، استشعر اللّذّة؛ لأنه وصل إليه بعد عناء، وهو الحسنُ الذي لم تعاينه العيونُ، فهو الجمالُ المحفوظ، وربّما أراد أن يُدلِّل بحذفه وتسليطِ الضوء على مكان الحدث على تعلُّقه بالحسن وتذوُّقه له، ومكابدته المشقّة والعناء من أجل تحصيله، وليس للتعبير الطبيعي أن يُوحي بهذه الدّلالات والمعاني. وقال الشابّي(٢):

إلى النّورِ فالنُّورُ عَذْبٌ جميلٌ إلى النُّور فالنُّورُ ظِلُّ الإلهْ

حذف الشاعر الفعل (انطلقْ) العامل في الجارّ والمجرور (إلى النور) لأن المقام دلّ عليه، يضاف إلى ذلك القاعدةُ النحوية، فلمّا لُوحِظ جارٌّ ومجرورٌ،ولاعاملَ فيه مذكورٌ، عُرِف أنه محذوفٌ، ويبدو أن غاية الشاعر من التركيب، هي الغاية التي ينبغي أن يتوجّه إليها الحدث من الفاعل، فليس المهمُّ عند الشاعر أن ينطلق الفاعل، أو يمشي، أو يتحرّك، بل المهمُّ عنده أن يكون انطلاقه أو مشيُه أو حركتُه إلى النّور، فلمّا حذف الفعل، دلّ على

(1) الديوان، ١٣١.
(2) الديوان، ٢٢٦.

أهميّة الجارّ والمجرور (إلى النور) الذي هو عذبٌ جميلٌ، وهو ظلُّ الإلـــه، فـــإذا انطلـــق الفاعل إليه بعد أن عرف أهميّته، تحقّق للشاعر ما أراد. وقال بدر الدين الحامد(١):

لاهِينَ عن عَمَلٍ سَاعِينَ في جَدَلٍ والحقُّ في هذه الدُّنيا لِمَنْ غَلَبا

حذف الشاعر الفعل العامل في الحالين (لاهين وساعين) وترك تقديره للمتلقي، ودلّت

القاعدة النحوية عليه؛ لأنه لا بدّ للحال من عامل ينصبها، ويبـــدو أن الحـــالين (لاهـــين و ساعين) هما موضع عناية الشاعر الذي يستغرب من القوم الذين حالتُهم اللّهوُ عن العمل و السّعي في الجدل، بينما الغالبُ في الدّنيا هو الذي يحفظ حقّه، فأراد الشاعر من المتلقي أن يستنكر هاتين الحالتين كما استنكرهما، ويُبدي استغرابه ممّن لهم هاتان الحالتان.

والنتيجة أن حذف الفعل هو تغيير في بنية التركيب يجوز في هدْي القاعدة النحويـــة و الاستعمال الصحيح إذا كان المعنى مفهوماً، واللبسُ مأموناً، وأدّى حذفُه معاني إضـــافية و دلالات ليس للتعبير الطبيعي أن يؤدّيها. وحذفُه لا يلغي علاقاته النحوية القائمة بينه وبـــين عناصر التركيب الذي حُذِف منه.

٤- حذف الفاعل:

الفاعل عنصر نحوي مرفوع يتقدّمه فعلٌ معلوم، ويجوز حذفه إذا دلّ عليه دليلٌ، فـــإذا دلّ عليه المقامُ، جاز حذفه، نحوُ حذف الفاعل (الرّوحُ) المفهوم من دلالة السياق عليه فـــي قوله تعالى:﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾(٢) ونحو قوله تعـــالى:﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ ٣ أيْ (الـــسفينةُ) ويجوز حذفه من جملة الجواب لوروده في صيغة السؤال، نحو (نعم جاء) في جواب (هل جاء زيدٌ؟) ويجوز حذفه إذا كان متعجباً منه في صيغة (أفعلْ بالشيء) وكان معطوفاً على ما قبله، وكان المتعجب منه الفاعل في الجملتين المتعاطفتين واحداً، نحو قولـــه تعـــالى:﴿

(1) الديوان، ج٢/٦٧٥.
(2) القيامة، ٢٦.
(3) هود، ٤٤.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[1] والتقدير (وأبصر بهم) فحذف الفاعل هاء الغائب، وجاز حذفه؛ لأنه متعجَّب منه في صيغة (أفعلْ بالشيءِ) ومعطوف على الفاعل هاء الغائب في جملة (أسمعْ بهم) التعجبية. ويجوز حذفه في أسلوب التنازع لدلالة المفعول به عليه، لأنهما من لفظ واحد، ومعناهما واحد، نحو (ضربني وضربتُ زيداً) ونحو قول طُفَيْل الغَنَوِيّ[2]:

وكُمْتاً مُدَمَّاةً كأنّ مُتُونَها جَرَى فوقَها واستَشْعَرَتْ لونَ مُذْهَبِ

والأصل (جرى فوقها لونُ مذهب، واستشعرت لونَ مذهب) فحذف الفاعل (لونُ) وهو فاعل الفعل (جرى) لدلالة المفعول به (لونَ) عليه؛ لأنه من لفظه ومعناه، ويجوز حذفه إذا بُنِي فعلُه للمجهول، نحوُ قولِه تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ ﴾[3] والتقدير (فإذا قال لكم أحدٌ ...) فحذف الفاعل (أحدٌ) لأنه بنى فعلَه (قال) للمجهول. والمتكلمُ يغيّر تركيبه النمطيّ، فيحذف الفاعل؛ لأنه يريد معنى جديداً لايكون، ولايتحصّل إذا ذكر الفاعل، فيحذفه إذا كان معلوماً، نحو قوله تعالى:﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[4] والتقدير (خلق اللهُ الإنسانَ من عجل) فحذف الفاعل لفظ الجلالة (اللهُ) بعد بناء فعله (خلق) للمجهول؛ لأنه معلوم، فالخَلْقُ مختصٌّ بالله تعالى، أو قصدَ تعظيمه، نحو قوله تعالى:﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[5] إذا كان الذي قضاه عظيم القدر، ويكون هذا إذا كان الفعل لايقدر عليه إلّا الفاعلُ، فيكون ذكرُه لغواً، وحذفُه يُشير إلى أنه لا يشاركه فيه غيره، وأنه منه دون سواه، وقد يجهل المتكلمُ الفاعلَ، فيَعلَمُ الحدثَ دون أن يعرف مُحدثَه، فيبني فعله للمجهول، ويحذفه، نحو (سُرِق البيتُ) فحذفت الفاعل؛ لأنك لاتعرف السّارقَ، و يحذَف للخوف عليه أو للخوف منه، فمن الأوّل نحو (ضُرِب زيدٌ) فحذفت فاعل (ضُرِب) وبنيته للمجهول؛ لأنك تخاف عليه من غيره، ومن الثاني قولُك: (سُرِق الحصانُ) فحذفت الفاعل؛ لأنك تخاف على نفسك منه؛ لأنه شرّيرٌ مثلاً، وقد يحذفه المتكلمُ رغبةً في

---

(1) مريم، ٣٨.
(2) الديوان، ٢٣.
(3) المجادلة، ١١.
(4) الأنبياء، ٣٧.
(5) يوسف، ٤١.

إخفائه وإبهامه نحو (رُكِب الحصانُ) إذا كنتَ تعرف الرّاكب، ولا تريد أن تُظهــره حتّــى لايعرفه الآخرون وقد يُحذَف لشرفه، نحو (عُمِلَ عملٌ منكَرٌ) إذا كان شريفاً لم يُعهَد منــه ذلك، أو لأنه لا يتعلّق بذكره غرضٌ[١] لأن المقصود وقوعُ الفعل مــن أيّ فاعــل دونمــا تعيين، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[٢] فحذف فاعل (حيّــا) وبناه للمجهول؛ لأن الغرض هو التحيّةُ لا الفاعل وإذا حذف الفاعل لبناء فعله للمجهــول، لم يجز أن يظل مكانه فارغاً، فيشغله، وينوب عنه المفعولُ به، نحو قوله تعــالى:﴿ وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾[٣] والتقدير (وقضى اللهُ الأمرَ) فناب المفعول به (الأمر) عن الفاعل المحذوف لفظ الجلالة (اللهُ) أو المصدرُ المتصرّف المخــتصّ فــي اللفــظ أو التقدير نحو قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾[٤] فناب المصدر (نفخةٌ) عــن الفاعــل المحذوف، أو الظرفُ المختصّ نحو (صِيم رمضانُ) فناب ظرفُ الزّمان (رمضان) عــن الفاعل المحذوف، أو الجارّ والمجرور نحو قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾[٥] فنــاب الجارّ والمجرور (في أيديهم) عن الفاعل المحذوف، وإذا اجتمع للفعل المــصدرُ وظــرفُ المكان وظرفُ الزّمان والجارّ والمجرور، ولم يكن في الجملة مفعول به، جاز للمــتكلم أن يختار ما أراد منها، وأنابه عن الفاعل مع ملاحظة أن المصدر أحقُّ من غيره في النيابــة والحلول محلّ الفاعل، لأن الفعل يصل إليه بنفسه بينما يصل إلى المجرور بواسطة حرف الجر، فلمّا كان تعدّي الفعل إلى المصدر أقوى كانت نيابته عن الفاعل أقوى[٦]، ومنه قوله تعالى: "فإذا نُفِخ في الصور نفخةٌ واحدة" فبنى الفعل (نفخ) للمجهول، وحذف فاعله، وأناب

---

(1) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٧٦-٨٠، والمفصل، ٢٥، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٥٠-٢٥٤، وشرح المفصل، ج٧/٧٢-٧٧، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٥٤٧-٥٤٩، وارتشاف الضرب، ج٣/١٣٢٣-١٣٣٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ٤٨-٤٩، وأوضح المسالك، ٢٧٥-٢٧٨، ٤٨٠، وجامع الدروس العربية، ج١/٦٨، ج٢/٢٤٠، ٢٥٢-٢٥٦، والنحوالوافي، ج٢/٢٩٢-٢٩٣، والمفصل في علوم البلاغة، ٩٧-١٠١.

(2) النساء، ٨٦.

(3) هود، ٤٤.

(4) الحاقة، ١٣.

(5) الأعراف، ١٤٩.

(6) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٧٦-٨٠، والمفصل،٢٥، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٥٠-٢٥٤، وشرح المفصل، ج٧/٧٢-٧٧، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٥٤٧-٥٤٩، وارتشاف الضرب، ج٣/١٣٢٣-١٣٣٨، والإيضاح في علوم البلاغة، ٤٨-٤٩، وأوضح المسالك، ٢٧٥-٢٧٨، ٤٨٠، وجامع الدروس العربية، ج١/٦٨، ج٢/٢٤٠، ٢٥٢-٢٥٦، والنحوالوافي، ج٢/٢٩٢-٢٩٣، والمفصل في علوم البلاغة، ٩٧-١٠١.

عنه المصدر (نفخةٌ) مع وجود الجارّ والمجرور (في الصّور). وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضع التي حُذِف فيها الفاعلُ. قال البارودي[1]:

لا تَحْسَبَنَّ العَيْشَ دامَ لِمُتْرَفٍ   هيهاتَ ليسَ على الزّمان دَوامُ

حذف الشاعرُ فاعل اسم الفعل (هيهات) لدلالة السياق عليه، والتقدير (هيهات دوامُ العيش) فلمّا كان المعنى مفهوماً، واللبسُ مأموناً، حذفه، ويبدو أنه حذفه؛ ليوجّه العناية إلى اسم الفعل دون الفاعل، فإذا توجّهت عناية المتلقي إلى اسم الفعل (هيهات) تأمّله، وفتّش عن العلاقة بينه وبين الفاعل المحذوف، فإذا علمه، وفهمه، تأثّر بالمعنى أكثرَ؛ لأنه علم بُعْدَ العيش المُتْرَف من الدّوام والاستمرار. وقال الشابّي[2]:

وسَكَتْنا وغَرَّدَ الحُبُّ في الغاب فأصْغى حتّى حَفِيفُ الغُصُونِ

حذف الشاعرُ فاعل الفعل (أصغى) لدلالة الحال والمقام عليه، والتقدير (فأصغى كلُّ شيءٍ) فلم يجد الشاعرُ حاجةً في ذكره؛ لأنه معلوم، وكأن غرضَه من حذفه العنايةُ بحدث الإصغاء دون أن يَعنيه الفاعلُ، فلو ذكره، ظنّ المتلقي أن وقوعَ حدث الإصغاء من الفاعل ليس ذا أهمية، وهذا خلاف المقصود؛ لأن الشاعر يريد على ما يبدو أن يؤثّر في المتلقي من خلال توالي الأحداث التي بدأت بالسُّكوت ثمّ بتوالي الحبّ ثمّ بالإصغاء. وقال أبو ماضي[3]:

أسْلَمْتَني للقلْبِ وهوَ مُضَلَّلٌ   فأضَرَّني وأضَرّكَ استِسْلامِي

حذف الشاعرُ فاعل الفعل (أضرَّ) لدلالة السياق عليه واستغناءً بدلالة الفاعل بعد حرف العطف عليه والأصلُ (فأضرّني استسلامي وأضرّكِ) وهذا ما يسمّيه النّحاةُ أسلوب التنازع، فاكتفى بذكر فاعل أحدهما؛ لأن فاعل الآخر من لفظ الفاعل المذكور (استسلامي) ومعناه. فالفاعل (استسلام) هو الذي ألحق الضّرر بالشاعر وبالمتلقي، فلو ذكره قبل الواو

---

(1) الديوان، ج٣/٣٢١.
(2) الديوان، ٣٣٤.
(3) الديوان، ٥٢٦.

العاطفة، لَزِمَ استتارُه بعدها، واستتارُه يعني تغييبَه وصرف الأنظار عنه ولفْتَ الأنظار إلى حدثِ الضّرر دون الاهتمام بسببه، فلمّا كان الفاعل، وهو استسلامُ الشاعر، سبباً في لحاق الضّرر به وبِمَنْ يخاطبه، أراد توجيه عنايته وعناية المتلقي إليه؛ ليعملا على إزالته فإذا، أفلحا في ذلك، زال الضّررُ اللاحق بهما بسببه، فتتحقّق الرّاحة والهناءة لهما. وقال بدر الدين الحامد(١):

وبَنو فلسطينَ الذّبيحةِ شُرِّدوا والْعُرْبُ في لَهْوٍ يلَذُّ وفي دَدِ(٢)

حذف الشاعرُ فاعل الفعل (شُرِّد) بعد أن بناه للمجهول، وأناب المفعول به عنه، والأصلُ (وبنو فلسطين الذّبيحة شرَّدَهم الصهاينةُ) فلمّا حذف الفاعل (الصهاينةُ) وبنى الفعل (شرّد) للمجهول، وأناب المفعول به هاء الغائب عنه، ألغى علاقة الإسناد بينهما، وعلاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وأنشأ علاقة إسناد جديدة بين الفعل والمفعول به الذي صار نائبَ فاعل، فحذْفُ الفاعل غيَّر العلاقات النّحوية القائمة بين عناصر التركيب، ويبدو أن الغاية من حذفه تطهيرُ اللسان، وتنزيهه عن ذكره، والإمعانُ في احتقاره، واستنكارُ الفعل الذي أَوْقَعَهُ على المفعول به. فالمفعولُ به الذي صار نائب فاعل، هو مدارُ العناية والاهتمام، فقد آلَمَ الشاعرَ، وأحزنه التشريدُ الذي وقع عليه، فقد سُلِبَ وطنُه، وغدا مشرَّداً بلا مأوى، وهذا ما يجب أن يلتفت إليه المتلقي، ويهتمّ به؛ ليسخط على الفاعل المحذوف، ويتعاطف مع شعب فلسطين المشرّد. وقال الشابّي(٣):

وشَيَّدَتْ حولكَ الأيّامُ أبْنيةً منَ الأناشيدِ تُبْنَى ثُمَّ تَنْهَدِمُ

حذف الشاعر فاعل الفعل المضارع (تُبْنَى) بعد أن غيَّر صيغته، وبناه للمجهول، وأناب المفعول به عنه، والأصلُ (يبنيها البانون) وقد يكون تقديرُه غيرَ ذلك، فلمّا حذفه، ألغى علاقة الإسناد بينه وبين الفعل (تُبنَى) وألغى علاقة التعدية بين الفعل (تُبنَى) والمفعول به هاء الغائب الذي حلّ محلَّ الفاعل، وأخذ دوره في الإعراب وأداءِ المعنى، فصارت

(1) الديوان، ج١/٢٥٧.
(2) الدَّد: اللعب.
(3) الديوان، ٢٤٧.

العلاقةُ النحوية بينهما إسناديّة، ويبدو أن سبب حذفه، الجهلُ به أو توجيهُ العناية إلى حدث البناء وإيقاعه على المفعول به دون الاهتمام بالباني، فالشاعرُ يخاطب قلبه الذي يريد أن تحوطه الأناشيدُ التي تسرُّه وتحرِّكه، فإذا كانت الأناشيدُ من حول قلبه، تحقّق له ما أراد، وهذا المعنى صَرَفَهُ عن الاهتمام بالفاعل كي لا يحصر وقوعَ الحدث به، وهذا يجعل الأمل عنده واسعاً.

فحَذْفُ الفاعل تغييرٌ في بنية التركيب أجازته القاعدةُ النحوية والاستعمال الصحيح سعياً وراء معانٍ ودلالات إضافيّة لا يؤدّيها التركيب إذا ذُكِر الفاعلُ فيه.

٥- حذفُ المفعول به:

المفعول به فضلة يجوز حذفه من التركيب إذا دلّ عليه دليلٌ، ويكثر حذفه إذا رغب المتكلم تنزيل الفعل المتعدّي بمنزلة الفعل اللازم، فيصير المفعول به المحذوف نسياً منسيّاً، نحو (فلانٌ يعطي ويمنع) فحذفت مفعولي (يعطي) ومفعولي (يمنع) لأنك نزّلتهما بمنزلة الفعل اللازم، ونحو قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[1] فحذف مفعولي (يحيي) ومفعولي (يميت) للسبب نفسه، ويكثر حذفه إذا كان ضميراً في جملة الصلة، وعائداً إلى الاسم الموصول، نحو قوله تعالى:﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[2] فحذف المفعول به هاء الغائب من جملة الصلة، والتقدير (أهذا الذي بعثه اللهُ رسولاً) ونحو قوله تعالى:﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[3] والتقدير (إلّا من رحمه) فحذف المفعولَ به هاءَ الغائب للسبب نفسه، ويجوز حذفه إذا كان متعجباً منه في صيغة (ما أفعل الشيءَ) والصيغة معطوفة على صيغة تعجب مماثلة، وكان المتعجب منه في الصيغتين واحداً، نحو (ما أعفَّ زيداً وما أكرمَ) تريد (وما أكرمه) فحذفت المفعول به هاء الغائب، وجاز ذلك؛ لأنه

(1) غافر، ٦٨.
(2) الفرقان، ٤١.
(3) هود، ٤٣.

متعجب منه في صيغة (ما أفعل الشيءَ) وقد دلّ عليه ورودُه في السياق (ماأعفَّ زيــداً)، ويجوز حذفه في غير ذلك إذا كان متعجباً منه، نحو قول امرىء القيس(١):

أرى أُمَّ عَمْرٍو دمعُها تَحَدَّرا   بُكاءً على عمروٍ وما كان أصبْرا

أيْ (وما كان أصبرَها).

ويجوز حذف مفعولي أفعال القلوب إذا دلّ عليهما دليلٌ، وذلك في جــواب الاســتفهام، نحو (ظننتُ) بحذف المفعولين (خالداً مسافراً) في جواب مَنْ سألك: (هــل ظننْــتَ خالــداً مسافراً؟) فحذفتهما لورودهما في صيغة السؤال، ونحو قوله تعــالى:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(٢) والتقدير (كنتم تزعمون أنهم شركائي) فحذف(أنهم شركائي) الذي سدّ مسدّ مفعولي (تزعمون) لورودهما في صيغة السؤال المتقدِّمة (أيــن شــركائي؟) ويجوز حذف أحدهما لدليل يدلّ عليه، وذلك في جواب الاستفهام، نحو (أظنُّ خالداً) بحذف المفعول الثاني (مسافراً) في جواب (هل تظنُّ أحداً مسافراً؟) ونحو قول عنترة(٣):

ولقدْ نزلْتِ فلا تَظُنِّي غيْرَه   مِنِّي بمنزلة المُحِبِّ الْمُكْرَمِ

والتقدير (فلا تظنِّي غيره واقعاً) فحذف المفعول الثاني (واقعاً) لدلالة مــا قبلــه عليــه. ويكثر حذفه بعد فعل المشيئة المسبوق بـــ (لو) الشرطية، نحو قوله تعــالى:﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٤) والتقدير (لو شاء هدايتكم لهداكم) فحــذف المفعــول بــه (هدايتكم) لأنه مفهوم من السياق، ويجوز حذفه في أسلوب التنازع لدلالة الفاعــل عليــه، لأنه من لفظه ومعناه، نحو (ضربتُ، وضربني زيدٌ) والتقديرُ (ضربتُ زيــداً، وضــربني زيدٌ) أو لدلالة مفعول الفعل الآخر عليه؛ لأنه من لفظه ومعناه، نحو قوله تعــالى:﴿ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾(٥) والتقدير (آتوني قطراً أفرغه عليه) فحذف المفعول به (قطراً) لدلالــة

(1) الديوان، ٩١.
(2) القصص، ٦٢،٧٤.
(3) الديوان، ١٤٣.
(4) الأنعام، ١٤٩.
(5) الكهف، ٩٦.

ما بعده عليه[١]. والمتكلم إذا حذف المفعول به، غيّر بنية التركيب، وهو يُحدِث هذا التغيير الذي أجازته القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح؛ لأنه يريد معنى جديداً لا يـصل إليـه بذكر المفعول به، ومن هذه المعاني رغبةُ المتكلم في حصرِ الفعل وقصره علـى فاعـل معيّن دون سواه، نحو(خالدٌ يعطي، ويمنع) فحذفت مفعولي (يعطي) ومفعولي (يمنع) لأنك أردت قصر الإعطاء والمنع على خالد دون سواه على سبيل الادّعاء والمبالغة، وقد يكون ذلك على سبيل الحقيقة إذا كان الفعل لا يمكن حدوثه إلّا من فاعل معيّن، كقوله تعـالى: ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[٢] فحذف مفعولي (يحيي، ويميت) لقصر وقوعهما مـن الله تعـالى دون غيره على سبيل الحقيقة، ومنه الرغبة في إطلاق الفعل وإظهار أنه يقع على كلّ مفعـول والابتعاد عن إيقاعه على مفعول معيّن حتّى لا يتقيّد به، وهذا يُبدّد وهمَ السامع الـذي قـد يظنّ، لو ذُكِر المفعول به أن الفعل لا يقع من الفاعل إلّا عليه، ويكون هذا خلافاً للمقصود، فيرفع عنه الاحتمال، فلو ذكر المفعول به في المثال السابق، ربّما توهّم المتلقي أن الفاعل (خالدٌ) يقع منه فعلا الإعطاء والمنع على هذين المفعولين دون سواهما، أمّا وقـد حذفـه، فدفع عنه ذلك. ومنها رغبة المتكلم في مجرَّد الاختصار؛ لأن المفعول بـه لا يتعلّـق أيُّ معنى بذكره، فهو مفهوم من السياق المتقدّم، ويكثر ذلك إذا كان ضميراً عائداً فـي جملـة الصلة، نحو قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[٣] فحذف مفعول (بعث) والتقـدير (بعثه) طلباً للاختصار؛ ولأن ذكره لا يفيد المعنى. ومنها رغبة المتكلم فـي البيـان بعـد الإبهام، فإذا حذفه، أبهمه، ثمّ يذكر مايدلّ عليه، ويوضّحه؛ لتستشعر نفس المتلقي اللذّة في تحصيله، ويكثر هذا في حذف مفعول فعل المشيئة والإرادة ونحوهما إذا وقع شرطاً، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٤] فحذف مفعول (شاء) والتقدير (ولو شاء هـدايتكم) فأغمض، وأبهم، ثمّ فسّره بجواب الشرط (هداكم). ومنها رغبة المتكلم في إيقـاع الفعـل

---

(1) ينظر، المقتضب، ج١/١٥٧، والخصائص، ج١/٢٨٧، والمفصل، ٢٦-٢٧ ،٢٦٨، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٦٤٥، وشرح المفصل ، ج٢/٣٩، ج٣/١٥٢، وارتشاف الضرب، ج٢/١٠١٩، ج٣/١٤٨١، ج٤/٢٠٦٨، ومغني اللبيب، ٨٢٨-٨٢٩، وجامع الدروس العربية ، ج١/٣٣-٣٤ ،١٤٠، ج٣/٥، والنحو الوافي، ج١/٣٥٨-٣٦١، ومعاني النحو، ج٢/٨١-٨٧.

(2) يونس، ٥٦.

(3) الفرقان، ٤١.

(4) الأنعام، ١٤٩.

على لفظ المفعول به لا على ضميره إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه، نحـو قـول البحتري[١]:

قد طلبْنا فلم نَجِدْ لكَ في السُّؤْ دَدِ والمجدِ والمكارمِ مِثْلا

والأصل أن يقول: (طلبنا لك مثلاً فلم نجده) لكنه حذف مفعول الفعل (طلـب) لرغبتـه في

إيقاع فعل الوجود المنفيّ على لفظ المفعول به (مِثْلاً) دون ضميره؛ ليُظهر كمـال عنايتـه به. ومنها استهجانُه وتنزيهُ اللسان عن ذكره إذا كان شيئاً معيباً، نحو حذف مفعول الفعـل (رأى) وهو (العورةَ) في حديث عائشة رضي اللهُ عنها: "ما رأيـتُ منـه ولا رأى منّـي" استهجاناً لذكره. ومنها احتقارُه، نحو قوله تعالى:﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[٢] فحذف مفعول (أغلب)

وهو (الكافرين) احتقاراً لهم[٣]. ومنها دفْعُ توهُّمٍ لا يريده المتكلم، نحو قول البحتريّ[٤]:

وكمْ ذُدْتَ عنّي من تَحامُلِ حادثٍ وسَوْرَةِ أيّامٍ حَزَزْنَ إلى الْعَظْمِ

والتقدير (حززن اللحمَ إلى العظم) فحذف المفعول به (اللحم) حتّى لايتوهّم المتلقـي أن الحزَّ كان في اللحم، ولم يصل إلى العظمِ، وبذلك نقل الجملة من الدلالة الاحتماليـة إلـى الدلالة القطعية، وجعل المعنى يسير في اتِّجاه واحد بدل الاتّجاهات المتعدّدة. ومنها قَـصْدُ إخفائه عن الآخرين للخوف عليه مع وجود قرينة تُعيِّنه، وتدلُّ عليه، نحو (السلطانُ يكره، ويلاحق) فحذفت مفعولي (يكره، ويلاحق) خوفاً من أن يعلمه الآخرون، فَيَشُونَ به، وأنت تفعل ذلك إذا كان المفعول به معلوماً من المتلقي، لكنك تريد إخفاءه عن الآخرين، لأنك لا تأمنهم عليه. ومنها التمكُّن من إنكاره عند الحاجة إذا كان المتكلم يـتكلّم بالـسوء عليـه،

(1)البحتريّ، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤-١٩٦٥م، ج١٦٧٥/٣.
(2) المجادلة، ٢١.
(3) ينظر، مفتاح العلوم، ١٢٣، والدّراية لقرّاء النهاية، ١٤٣، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٨١-٨٣، وارتشاف الضرب، ج٣ /١٤٨١-١٤٨٢، وأوضح المسالك، ٢٩٦-٢٩٧، والبرهان في علوم القرآن، ج١٠٨/٣-١١١،١٠٩، والمفصل في علوم البلاغة، ٢١٦- ٢٢٠، ومعاني النحو، ج٨١/٢-٨٤.
(4) الديوان، ج٢٠١٨/٣.

ويخشى على نفسه السّوء منه إنْ عرف أنه المقصود بحديث الـسّوء، نحـو: (قاتَـل اللهُ) فحذفت مفعول (قاتَل) لتتمكّن من إنكاره. ومنها الجهلُ به إذا كان المتكلمُ لايعرفـه، نحـو (ولَدَتْ فلانةٌ) فحذفتَ مفعول (وَلَدَتْ) لأنك لا تدري ما ولدَتْ[1]. وكثـرت فـي دواويـن الشعراء الخمسة التراكيب التي حُذِف فيها المفعول به. قال البارودي[2]:

علَّمَتْني الذُّلَّ وكنتُ امْرَأً   أفْعلُ ما شِئْتُ ولا أتَّقي

حذف الشاعر مفعول الفعل (أتّقي) لأنه نزّله بمنزلة الفعل اللازم، وأراد إطلاقَ وقوعـه من الفاعل (أنا) على كلِّ مفعول، وهذا أقوى في الفخر والاعتـزاز بنفـسه، فلـو ذكـر المفعول به، لانحصرت همّتُه به، وهذا خلاف المراد، فصارت الدلالةُ بحذفـه احتماليّـة، فخيالُ المتلقي يتحرّك في كلّ اتّجاه حتّى إذا صادف عقبةً أو صعوبةً، وظـنّ أن الـشاعر يتّقيها، قرأَ التركيبَ، وقد حُذِف المفعولُ به منه، فعلم أن الأمر ليس كما ذهب إليه ظنُّـه. وقال السيّاب[3]:

آهِ لو تكْتُمينَ سِرِّي لَحَدَّثْتُكِ   عنْ جَنَّةٍ تَرَكْتُ وَرائي

حذف الشاعر مفعول الفعل (ترك) والتقدير (تركْتُها) لدلالة السياق والقاعـدة النحويـة عليه، فقد تقدَّم ذكرُه في الجملة السابقة، والجملةُ التي حُذِف منها صفةٌ لـ (جنَّة) ولَمّا كان لازماً أن يكون في جملة الصّفة ضميرٌ يربطها بالموصوف، عُرِف أن هذا الـضمير هـو المفعول به المحذوف، فلمّا كان معناه معروفاً للمتلقي، حذفه طلباً للاختـصار، ولتـسليط الأنظار على صريح لفظه في الجملة السابقة، ليكون أثرُه أقوى في النفس، ولعلّ حَذْفَه من الجملة ناسَبَ معنى فعله (ترك) الذي يعني فراق الفاعل للمفعول به، فلمّا تـرك الـشاعرُ جنّةً في الحقيقة وراءه، ترك ذكرها في الجملة. وقال بدر الدين الحامد[4]:

---

(1) ينظر، مفتاح العلوم، ١٢٣، والدّراية لقرّاء النهاية، ١٤٣، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٨١-٨٣، وارتشاف الضرب، ج٣ /١٤٨١-١٤٨٢، وأوضح المسالك، ٢٩٦-٢٩٧، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/١٠٨-١١١،١٠٩، والمفصل في علوم البلاغة، ٢١٦- ٢٢٠، ومعاني النحو، ج٢/٨١-٨٤.

(2) الديوان، ج٢/٣١٠.

(3) الديوان، ٤٣٢.

(4) الديوان، ج٢/٤٢١.

فيا لكَ مَشْهداً ما كان أَشْجَى   يُدلِّهُ بالأسَى الرَّوْدَ الرَّداحَا(١)

حذف الشاعر مفعول الفعل (أشجى) لدلالة السياق عليه، فقد تقدّم ذكــرُه فــي الجملــة السابقة، وهو – إذْ حُذِف – متعجب منه، وقد جاء حذفه دون أن يعطف على جملة تعجبية سابقة، فلمّا وجد الشاعر المعنى مفهوماً، حذفه بغية توجيه عناية المتلقــي إلــى الحــدث (أشْجى) فهو الذي يعني الشاعر؛ لأنه موضع التعجب وسببُه، فقد بلغ الشَّجْوُ في المــشهد الذي صوّره الشاعرُ حدّاً جاوز أقرانه، وفاق الحدَّ المألوف، وهذا مــا ينبغــي أن يلتفــت إليـــــــــــــــــــــــه

المتلقي، ولذلك حذف المفعول به كي لاينشغل به. وقال الشابي(٢):

هِمْتُ وَجْداً بِحُبِّهِ   قدْ رَنا لِي فأحْرَقا

حذف الشاعر مفعول الفعل المتعدّي (أحرق) والتقدير (أحرقني) لدلالة السياق والمقام

عليه، ويبدو أنه حذفه؛ ليوجِّه عناية المتلقي إلى حدث الإحراق الذي صدر من الفاعل بدل حَدَثٍ آخر كان يأمله الشاعر كمبادلة النظرة بالنظرة، والهيام بالهيام، ولعلّ ضــيق المقــام عن إطالة الكلام دفعه إلى حذفه؛ لأن الشاعر متألِّم ومتوجِّع، فليس من المناسب، وهو في هذه الحالة، أن يطيل تركيبه بذكر عناصر نحوية يُمكنُه حذفُها. وقال أبو ماضي(٣):

فازْرَعْ طريقَكَ بالورودِ وبالسَّنا   لا يحصُدُ الإنسانُ إنْ لم يزْرَعِ

لم يذكر الشاعر مفعول الفعل المتعدّي المنفيّ (لا يحصد) لدلالة السياق عليه، فقد دعــا الشاعرُ المتلقي إلى أن يزرع طريقه بالورود وبالسّنا، ومن الطبيعي أن يحصد الإنسانُ ما زرع، أيْ أن يكون المحصود من جنس المزروع، ولَمّا كان هذا المعنى مفهومــاً، حــذف المفعول به، ولعلّه أراد بحذفه إطلاق نفي الفعل إذا لم يزرع الإنسانُ الورودَ والسّنا وكــلَّ

(1) الرَّوْدُ: المَهْلُ، والرَّدَاحُ: العظيمة، وامرأةٌ رَدَاحٌ: ضَخْمة الرَّدْفِ سمينة الأوراك.
(2) الديوان، ١٢٨.
(3) الديوان، ٤٠٢.

ما يحتملُ معنييهما، وهذا أدعى إلى تحريك خيال المتلقي، وإثارته إلى فعل الخير والمكرمات. وقال أبو ماضي(١):

ولو أشاءُ ملأْتُ الأرضَ قاطِبةً   قَوافياً وأفْضاءَ الرَّحْبِ بالحِكَمِ

حذف الشاعرُ مفعول الفعل المتعدّي (أشاء) لدلالة السياق عليه، وهو يريد بحذفه البيانَ والتوضيح بعد الإبهام لتتحصّل اللّذّةُ بسماعه، ويقوى المعنى بمعرفته بعد الجهل به، فالشاعرُ يفتخرُ بغزارة شعره وكثرة حكمه، فأورد الفعلَ (أشاء) بعد (لو) الشرطية دون مفعوله، فصار الفخر مطلقاً، والتركيب منبِّهاً للمتلقي الذي وقف يترقّب هذا الذي يشاؤه الشاعرُ، فإذا تشوّق إلى ذلك، وتحصّلت في داخله الرغبةُ في سماعه، ذكر جواب الشرط (ملأت الأرض ٠٠٠بالحكم) الذي فسّر المفعول به المحذوف، ودلّ عليه. وقال أبو ماضي(٢):

فقدْ أضرَّ وآذى   عَيْنَيَّ هذا السُّفورُ

حذف الشاعر مفعول الفعل المتعدّي (أضرّ) لدلالة السياق عليه واكتفاءً بذكر مفعول

الفعل المتعدّي (آذى) لأنه من لفظه ومعناه، ويبدو أن غايتَه من حذفه في هذا السياق رغبتُه في إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول به (عيني) لا على ضميره، والأصلُ أن يقول: (فقد أضرّ عيني، وآذاها) ولو فعل ذلك، لأثّر في المتلقي في البداية، ثمّ زال التأثيرُ، أو ضعُفت قوّتُه في المتلقي؛ لأن الضمير حلّ محلّ الاسم الصريح في التعدية، وهذا خلاف المراد، فحذفه في الجملة الأولى (فقد أضرّ) وذكره في الجملة الثانية (وآذى عيني) إمعاناً في الحفاظ على قوّة المعنى الذي عبّر عنه، وهو إظهارُ مدى الضّرَر والأذى الذي لحق به جرَّاء رؤيته عجائزَ كشفْنَ عن وجوههنَّ وأجسادهِنّ لإغراء الرّجال.

(1) الديوان، ٥٢٤.
(2) الديوان، ٢٧٣.

إنّ حذف المفعول به من التركيب تغييرٌ نحويّ في بنيته أجازته القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح إذا كان التركيب النمطيّ الذي ذُكِر فيه المفعول به لا يؤدّي المعاني والدّلالات الإضافيّة التي يرغب المتكلم في التعبير عنها.

٦- حذف المصدر (المفعول المطلق):

يجوز حذف المصدر إذا نابت عنه صفتُه في تأدية معناه والحلول محلّه في تأدية الإعراب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[١] فحذف المصدرين (ضحكاً وبكاءً) وأناب عنهما صفتيهما (قليلاً وكثيراً). وحذفُه في مثل هذا السياق يُلغي العلاقة النحوية التبعيّة الوصفية بين المصدر المحذوف الذي هو موصوف وبين الصفة التي صارت نائبة عنه، ويولِّد علاقة نحويّة جديدة، هي علاقة النّيابة، وحذفُه توسُّعٌ في الاستخدام، وهو ينقل المعنى من الدلالة القطعية إلى الدلالة الاحتمالية، ويجعل المعنى يسير في اتّجاهات متعدِّدة بعد أن كان يسير في اتِّجاه واحد، وهذا يتطلّب من المتلقي أن يطلبه، ويتعقّبه في اتِّجاهات متعدِّدة، فيُؤدَّى بتركيب واحد معانٍ متعدّدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[٢] فيحتمل (شيئاً) المفعولية والمصدرية، وقد يكون أراد المعنيين معاً، وفي قوله تعالى: "فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً" يحتمل كلٌّ من (قليلاً وكثيراً) المصدرية والظرفية الزمانية، وقد

يحتمل المعنيين معاً[٣] . وندر عند الشعراء الخمسة حذفُ المصدر. قال السيّاب[٤]:

سَأَمٌ ومصباحٌ وَحيدٌ رَانَ في أقْصى الطّريق

مرَّتْ وُجوهُ العابرينَ به فلَوَّنَها قليـــــــلا

(1) التوبة، ٨٢.
(2) النساء، ٣٦.
(3) ينظر، المتبع في شرح اللمع، ج١/٣٠٥-٣٠٨، وشرح المفصل، ج١/١١١-١١٢، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٣٣٢، وارتشاف الضرب، ج٣/١٤٦٧، وأوضح المسالك، ٣٠٩، وجامع الدروس العربية، ج٣/٣١، والجملة العربية والمعنى، ١٥٤.
(4) الديوان، ٧٤.

حذف الشاعر المصدر (تلويناً) وأناب صفته (قليلاً) عنه، والتقدير (فلوّنها تلويناً قليلاً) فغيّر بحذفه بنية التركيب والعلاقات النحوية بين عناصره، فألغى علاقة التبعية الوصفية بينه وبين صفته (قليلاً) التي حلّت محلّه، ونشأت علاقة نحوية جديدة، هي علاقة النيابة، وغَدا التركيب ذا دلالة احتمالية يسير في اتّجاهين بعد أن كان يسير في اتّجاه واحد، هما المصدرية والظرفية، وقد يكون أراد بحذفه الدلالة على حدث التلوين وتوكيده، وصفته، وزمنه. وقال الشابي[١] :

قدْ رَقَصْنا معَ الحياةِ طويلا وشَدَوْنا معَ الشَّبابِ سِنِينا

حذف الشاعر مصدر الفعل (رقص) وأناب صفته (طويلاً) عنه، والتقدير (قد رقصنا رقصاً طويلاً) ويجوز أن يكون المحذوف ظرفاً، والتقدير (رقصنا وقتاً طويلاً) فالحذْفُ جعل دلالةَ التركيب احتماليةً، وهذا أدعى للتأثير في المتلقي الذي نشّط خياله، وحرّك فكره في اتّجاهين بدل اتّجاه واحد؛ لتحصيل المعنى المراد فإذا حصّله، استشعر اللّذّةَ، وقد يكون أراد المعنيين معاً، وفي هذا توفيرٌ للوقت والجهد في أداء المعاني المتعدّدة بألفاظ قليلة، والشاعرُ

مازال يجري وهو يؤلِّف تركيبه في هَدْيِ القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح.

٧- حذف الظرف:

يجوز أن يحذف المتكلم ظرف الزمان الدّالّ على زمن الحدث من تركيبه إذا كان مضافاً إلى المصدر، ويُقيم المصدر مقامه للدلالة على زمن الحدث، نحو (جئتُ مقدمَ الحاجّ، و زرتُك خفوقَ النجم) والقصدُ (زمنَ مقدم الحاجّ، ووقتَ خفوق النجم) فحذفت الظرفين المضافين (زمنَ ووقتَ) وأنبْتَ عنهما المضاف إليه (مقدمَ) في التركيب الأوّل، و (خفوقَ) في التركيب الثاني، وقد فعلت ذلك اختصاراً للعناصر النحوية في تأدية المعنى، واتّسعتَ في استخدامها، فاستخدمتَ العنصر النحويّ المصدرَ في غير بابه الأصل،

---

(1) الديوان، ٢٩٧.

وألغيت علاقة الإضافة بين الظرف المحذوف والمصدرِ المضاف إليه الذي جعلتــه فــي مقامه، وانتقلت إلى علاقة نحوية أخرى نجمت عن الحذف، هي علاقة النيابــة. ويجــوز حذفُه إذا كان موصوفاً، فتقوم صفتُه مقامه في الإعراب وتأدية معنى الظرفيــة الزمانيــة وتوضيح زمن الحدث، نحو قولــه تعــالى:﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ﴾[(١)] أيْ (زمنــاً قلــيلاً) ويحتمل (تمتُّعاً قليلاً) فحذف ظرف الزمان الدّالّ على زمن التمتُّع للكافر، وأنــاب صــفتَه (قليلاً) عنه، وهذا اختصارٌ للألفاظ في تأدية المعنى، وتوسُّعٌ في استخدام العناصر النحوية في غير أبوابها الأصلية، فـ (قليلاً) ليس في الأصل ظرفاً، وإنّما جاز ههنــا اســتخدامه ظرفاً، فأُعْطِي معنى غيرَ معناه، والمتكلمُ إنّما يفعل ذلك؛ ليجعل تركيبه ذا دلالة احتماليــة بعد أن كان ذا دلالة قطعية، فلو ذكر الظرف، عُرِف زمنُ الحدث، فتركّز انتبــاهُ المتلقــي في معنى واحد، ولَمّا حذفه، وقع المتلقي في الاحتمالات المتعدّدة للمعنـــى، فهــو يحتمــل الظرفية الزمانية والمصدرية، وقد يحتملهما معاً، وهذا لا يؤدّيه التركيب النمطــيّ دونمــا حذف لظرف الزّمان. وللسبب ذاته يجوز حذفُ ظرف المكان، فتنوب عنه صــفتُه، نحــو (جلستُ قريباً منك) والقصدُ (جلستُ مكاناً قريباً أو جلوساً قريباً منــك) فأبهمــت بحــذف الظرف (مكاناً) المعنى على المتلقي، فجعلته يتقلّب بين المعنيين، معنى الظرفية المكانيــة، ومعنى المصدرية المؤكّدة، وقد تكون أردتهما معاً، وهذا إشراكٌ منك لــه فــي تحــصيل المعنى[(٢)]. ويجوز حذفه في غير هذين الموضعين إذا دلّ عليه السياق، نحو قول طرفة[(٣)]:

فإنْ مِتُّ فانْعَيْنِي بما أنا أهلُهُ وشُقِّي عليَّ الْجَيْبَ يابنةَ مَعْبدِ

والتقدير (فإن متُّ قبلك) فحذف ظرف الزّمان (قبلَ) الدّالّ على زمن موته؛ لأنه مفهوم من السياق، إذ لايمكن عقلاً أن تنعاه إذا لم يمتْ قبلها، ومثلُه قولُ نصيب بن رباح[(٤)]:

أَهيمُ بدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أمُتْ وَكَلْتُ بدَعْدٍ مَنْ يَهيمُ بها بعدي

---

(1) البقرة، ١٢٦.
(2) ينظر، الكتاب، ج٢٢٢/١، والأصول في النحو، ج١٩٣/١، والخصائص، ج٣٧٢/٢، والمفصل، ٧١ ، وشرح جمل الزجاجي، ج٣٣٢/٢، وجامع الدروس العربية، ج٥٠/٣-٥١، ومعاني النحو، ج١٦٧/٢-١٦٨.
(3) الديوان، ٤٦.
(4) ابن رَباح، نصيب، الديوان، تح: داوود سلّوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م، ٨٤.

والتقدير (فإن أمُتْ قبلها) والقولُ فيه كالقول في سابقه[1]. وقلّما حُـذِفَ الظـرفُ فـي دواوين الشعراء الخمسة. قال بدر الدين الحامد[2]:

نامُوا طَويلاً فلمّا صاحَ صائحُهُمْ   أَصغَوْا إليه ومِنْ مَهْدِ الكَرَى نامُوا

حذف الشاعر ظرف الزمان (وقتاً) الدّالّ على زمن حدثِ النّوم، والتقديرُ (ناموا وقتاً طويلاً) والظرفُ المحذوفُ موصوفٌ، وصفتُه(طويلاً)فلمّا حذفه، أناب صفته عنه، وألغى علاقة التبعية الوصفية بينهما، ونشأت في التركيب علاقةٌ نحوية جديدة، هي علاقة النيابة بين الظرف المحذوف (وقتاً) وصفته (طويلاً) ويحتملُ أن يكون المحذوف مصدراً، فيكون التقدير (ناموا نوماً طويلاً) ولعلّ الشاعر أراد بحذفه أن يوجِّه عناية المتلقي إلى الصفة (طويلاً) كي يستغرب من النّوم كلَّ هذه المدَّة، وربّما أراد بحذفه تأدية معنيي الظرفية والمصدرية، فجعل التركيب ذا دلالة احتمالية بدل أن تكون دلالتُه قطعيّة. وقال بدر الدين الحامد[3]:

فَكِّرُوا وانْظُرُوا مَلِيّاً وسِيرُوا   واجْعَلُوا حَقَّكُمْ عَلِيّاً رَفِيعا

حذف الشاعر ظرف الزمان (زمناً) الدّالّ على زمن التفكير والنظـر، وأنـاب صـفتَه (مليّاً) عنه، والتقدير (فكّروا، وانظروا زمناً مليّاً) وربُّما كان المحذوف مصدراً، والتقـدير (فكِّروا وانظروا تفكيراً مليّاً ونظراً مليّاً) فهذه معانٍ يحتملها التركيب بعد حـذف الظـرف منه، فغدا ذا دلالة احتمالية تحرِّك خيالَ المتلقي في كلِّ اتِّجاه يحتمله المعنى، فينشط ذهنُه، ويصير تفاعُلُه مع التركيب أقوى، فإذا حصّل المعنى المراد، شَعَـر باللّذّة، وقد يـرى أن كلَّ المعاني التي سعى في تحصيلها، لأن التركيب يحتملها، تصلح له، وتناسبه.

٨- حذف المستثنى:

---

(1) ينظر: الخصائص، ج٣٧٢/٢.
(2) الديوان، ج١٨/١.
(3) الديوان، ج٣٤٧/٢.

المستثنى عنصر نحويّ يجوز حذفه بعد (غير وإلّا) إذا علمه المخاطب، فيكـون علـم المخاطب به دالّاً عليه نحو (عندي درهمٌ ليس غيرُ) والتقدير (عندي درهـمٌ لـيس غيـرَ ذلك)، فحذْفُه يقطع (غير) عن الإضافة، ويبنيه على الضمّ، فينتقل من الإعراب إلى البناء، ويُلغي علاقة الإضافة التي لم يعد التركيب بحاجة إليها؛ لأن المتلقي فَهِمَ المعنـى، واسـمُ (ليس) مضمرٌ، والتقدير (ليس المقبوضُ غيرَ ذلك) ومثلُه (قبضتُ درهماً ليس إلّا) والتقدير (ليس المقبوضُ إلّا درهماً) فوضوحُ المعنى في هذا السياق دفَعَ المتكلم إلى تغييـر نمـط تركيبه بحذف المستثنى(١). ولم أجد لهذا الحذف شواهد في دواوين الشعراء الخمسة.

٩- حذف التمييز:

التمييز من العناصر النحوية التي يجوز حذفها من التركيب، فيجوز حذفه بعـد العـدد، نحو قوله تعالى:﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾(٢) فحذف التمييز بعد العدد المركب (تسعة عشر) وقولـه تعالى:﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾(٣) فحذف التمييز بعد العـدد (عـشرون) ويجوز حذفه بعد (كم) الاستفهامية لدليل يدلّ عليه، نحو (كم مالك؟ وكم غلمانك؟) فحـذف التمييز بعد (كم) الاستفهامية، والتقدير (كم درهماً مالك؟ وكم غلاماً غلمانك؟) والمتكلم إذا حذف التمييز، جرى وراء الاختصار في استخدام العناصر النحوية التي تدلّ على المعنى، واستغنى عنه؛ لأن المعنى واضح من دونه، وقد يحذفه؛ لأنه يريد الإبهام على المتلقـي، فلا يغدو المعنى واضحاً، فذكره يجعل الدلالة قطعية، وانتباه المتلقي مركَّزاً على المعنـى الذي لا يحتمل التأويل، وحذفُه يفتح الباب أمام التأويل والاحتمالات، ويجعل خيال المتلقـي وذهنه يسرحان في كلّ الاتّجاهات، فتصير الدلالة بحذفه احتمالية بعد أن كانـت قطعيـة،

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/٤٢٩، والأصول في النحو، ج١/٢٨٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٧٥، والخصائص، ج٢/٣٧٣، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٦٧، وارتشاف الضرب، ج٣/١٥٤٨-١٥٤٩، ومغني اللبيب، ٨٣١، والنحو الوافي، ج٢/٢٨٣.

(2) المدثر، ٣٠.

(3) الأنفال، ٦٥.

نحو (عندي عشرون) فذكرت العدد (عشرون) وحذفت التمييز؛ لِتُبهم الأمر الذي عندك على المتلقي[١]. وكثر حذف التمييز في دواوين الشعراء الخمسة. قال أبو ماضي[٢]:

ذهبتْ عشرونَ في فُرْقَتِها　　　ليتها فيها انْقَضَتْ لا في سِواها

حذف الشاعر تمييز العدد (عشرون) لدلالة القاعدة النحوية عليه، فلا بدّ للعدد من تمييز يفسّره، ويوضّح معناه، ولَمّا كانت دلالته مفهومة، حذفه، وربّما أراد بحذفه إبهامه؛ إذ يحتمل (عشرون سنةً أو شهراً أو يوماً) فتحديدُه بذكره لا يستوقف المتلقي أمام التركيب؛ لأن المعاني القائمة بين عناصره واضحة لاتحتاج إلى تأمّل وتفكير، فلمّا حذف التمييز، استثار المتلقي الذي رغب في تحديد الفترة الزمنية التي قضاها الشاعر مفارقاً حبيبته، وهذا يحقّق للشاعر ما أراد. وقال بدر الدين الحامد[٣]:

سِتٌّ وعشرون مَرَّتْ كلّما فَرَغَتْ　　　جامٌ من اليأس صِرْفاً أُتْرِعَتْ جامُ

حذف الشاعر تمييز العدد المعطوف (ستٌّ وعشرون) والتقدير (ستٌّ وعشرون سنةً) لدلالة المقام عليه. فهو يعبِّر عن سنوات الاحتلال الفرنسيّ لسوريّة. فلمّا كان المقصودُ بالعدد مفهوماً، لم يجد حاجة إلى ذكر التمييز (سنةً) فاختصر التركيب، ولعلّه حذفه لحاجة نفسيّة؛ لأنه لا يريد ذكر ما يُعيد الحزن والألم والبؤس إلى نفسه، ولاسيّما وهو يعيش فرحة الخلاص من المحتلّ، فكأن حذف التمييز (سنةً) ناسب الواقع الذي يعيشه الشاعر. وقال البارودي[٤]:

يا ناعسَ الطرفِ إلى كمْ تنامْ؟　　　أسْهَرْتَني فيك ونامَ الأنامْ

حذف الشاعر تمييز (كم) الاستفهامية لدلالة القاعدة النحوية؛ لأنه يلزم أن يتلوها اسمٌ مفردٌ منصوب يميِّزها، ويوضّح معناها، وقصد الشاعر بحذفه المبالغة في الاستبطاء الذي

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/١٢٩، الأصول في النحو، ج١/٣١٦، والخصائص، ج٢/٣٨، والمفصل، ٢٣٠، وشرح المفصل، ج٤/١٢٨- ١٢٩، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٦١٥، ج٢/٥٥، وارتشاف الضرب، ج٢/٧٧٦، ج٤/١٦٣٦، ومغني اللبيب، ٨٣١، وجامع الدروس العربية ، ج٣/١١٤-١١٥، والنحو الوافي، ج٤/٤٢٧.
(2) الديوان، ٦٣٤.
(3) الديوان، ج١/١٤.
(4) الديوان، ج٣/٣٥٤.

أفادته (كم) الاستفهامية المبهمة، وحذفُه، زاد إبهامها، وأطلقه، وربّما حذفــه للجهــل بــه ولتوقّعه أنّ ناعس الطرف لن يجيبه، فترك حذفُهُ البابَ مفتوحاً أمام الاحتمالات المتعــدّدة، وربّما كان حذفُه أقوى تأثيراً في المتلقي الذي يعاين حالات القلق والأرق والتعــب التــي يعاني منها الشاعر؛ لأن حبيبه غافلٌ عنه.

١٠- حذف المضاف:

يجوز حذف المضاف، ويبقى عمله في المضاف إليه، وتظلّ علاقــة الإضــافة قائمــة بينهما إذا كان المضاف معطوفاً على مثله في اللفظ والمعنى، نحو (ما مثلُ عبدِ الله يقــول ذلك، ولا أخيه) تريد (ولا مثلُ أخيه) فحذفت المضاف (مثل) بعد الــواو العاطفــة؛ لأنــه معطوف على مثله في اللفظ والمعنى، وأبقيت علاقة الإضافة قائمة بينه وبــين المــضاف إليه (أخيه)، وقد فعلت ذلك؛ لأن المعنى مفهوم من دونه، واللــبس مــأمون، فاختــصرت التركيب، ومثلُه قول أبي دؤاد(١):

أكُلَّ امرىءٍ تحسبين امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا

والتقدير (وكلَّ نارٍ) فحذف المضاف (كلَّ) لأنه معطوف على مثله في اللفظ والمعنــى في الشطر الأوّل، وأبقى علاقة الإضافة قائمة بينه وبين المضاف إليه (نارٍ). ويجوز حذفه وإقامة المضاف إليه مقامه في تأدية الإعراب والمعنى، فتنتفي بحذفــه علاقــة الإضــافة بينهما من التركيب، وتحلُّ محلّها علاقة نحوية أخرى بحسب المضاف إليه، وتتغيّر علاقة المضاف إليه الذي حلّ محلّ المضاف بعناصر التركيب، فالمــضافُ المحــذوفُ يكــون فاعلاً، نحو قوله تعالى:﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾(٢) والتقدير (وجاء أمرُ ربّك) أو مفعولاً بــه، نحــو قوله تعالى:﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ ﴾(٣) أيْ (حُبَّ العجل) أو مبتــدأً، نحــو قولــه

---

(1) الكتاب، ج٦٥/١، والأصمعيّ، عبدالملك بن قريب، الأصمعيّات، تح: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط١، دار المعارف، مصر،١٩٦٤م، ١٩١.
(2) الفجر، ٢٢.
(3) البقرة، ٩٣.

تعالى:﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾[1] أي (زمنُ الحجِّ) أو خبراً، نحو (شرُّ المنايا ميِّتٌ بين أهله) أيْ (منيَّةُ ميِّتٍ) أو ظرفاً، نحو (وصلتُ إلى عملي طلوعَ الشمس) أي (وقتَ طلوع الشمس) وغير ذلك من العناصر النحوية، ويشترط في هذا المقام لحذفه أن يصحّ حلولُ المضاف إليه محلّه في إعرابه، ولذا امتنع حذفه إذا كان المضاف إليه جملةً، لأنها لا تصلح أن تكون فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأً٠٠٠٠والمتكلم إذا حذفه كانت غايته الاختصار في تأدية المعنى بألفاظ قليلة؛ لأنه مفهوم، يضاف إلى ذلك أنه يتوسّع في استخدام اللغة، فيعبّر عن المعنى بغير ما وُضِع له في الأصل، ويحقّق التشبيه الذي يحرّك الخيال والأذهان نحو المعنى، ويؤكّد المعنى الذي يريد نحو قوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾[2] والتقدير (واسأل أهلَ القرية) فحذف المضاف (أهل) وأقام المضاف إليه (القرية) مقامه في الإعراب، فجعله مفعولاً به، وفي تأدية المعنى، فأوقع السؤال عليه بدل المضاف المحذوف، فالاتِّساعُ أنه استخدم لفظَ السؤال مع ما لا يصحّ سؤاله في الحقيقة، وهو (القرية) التي ليس من شأنها أن تسأل؛ لأن السؤال يوجَّه إلى العاقل، والقرية غير عاقل، والتشبيهُ في أنه شبّه القرية التي لا تُسأَل بالإنسان الذي يُسأل، وبذلك نقل بحذفه المضافَ الكلامَ من الحقيقة إلى المجاز، والتوكيدُ في أن توجيه السؤال إلى ما لا ينطق آكدُ في صدق ما قالوه، فهي لو سُئلَت أجابت، وصدَّقتهم، فكيف لو سأل أبوهم البشرَ الذين من عادتهم الإجابةُ، وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر، ومثله قولهم: (بنو فلان يطؤهم الطريقُ) والأصلُ (يطؤهم بنو الطريق) فحذف المضاف (بنو) وأقام المضاف إليه (الطريق) مقامه؛ ليؤدّي إعرابه ومعناه، فالاتِّساعُ أنه نسب فعل الوطْءِ إلى الطريق، وهو للبشر، فجعل الفعل يصدر عن فاعل لايصدر عنه مثلُ هذا الفعل في الحقيقة، والتشبيهُ أنه شبّه الطريق الذي لا يطأ بالإنسان الذي يطأ، والتوكيدُ أن التعبير عن الوطْءِ بما لا يطأ أقوى من التعبير عنه بفاعله الحقيقيّ الذي هو صاحب الطريق، فإذا كان

---

(1) البقرة، ١٩٧.
(2) يوسف، ٨٢.

الطريق الجامد قد تحرّك لِيطأهم، فمن الطبيعي أن يطأهم بنو الطريق[١]. وقد تمّ تناول حذف المضاف في دواوين الشعراء الخمسة في بعض الأبواب النحوية السابقة، لذلك لاأعيد القول فيه تجنُّباً للتكرار الذي لا فائدةَ وراءه[٢].

١١- حذف المضاف إليه:

يجوز للمتكلم أن يحذف المضاف إليه بعد الأعداد المفردة، إذا علمه المتلقي، نحو (عندي عشرةٌ) أو (عشرةٌ أتوا) أو غير ذلك ممّا يدلّ المقام والسياق عليه، ويجوز حذفه بعد المصدر (سبحان) الملازم للإضافة، نحو قول الأعشى[٣]:

أقولُ لَمّا جاءني فَخْرُهُ   سُبْحانَ من علقمةَ الفاخرِ

فحذف المضاف إليه (الله) والتقدير (سبحانَ اللهِ) وأبقى علاقة الإضافة قائمة بين المضاف (سبحان) والمضاف إليه المحذوف (اللهِ) وقد يلغيها، فينوِّن المضاف (سبحاناً) نحو قول أميّة بن أبي الصّلت[٤]:

سُبحانَه ثمَّ سبحاناً يكونُ لَهُ   وقَبْلَنا سبَّحَ الجُوديُّ والجَمَدُ

فحذف المضاف إليه بعد المصدر (سبحاناً) ونوَّنه؛ لأنه ألغى علاقة الإضافة بينهما، ويجوز حذفه قبل حرف العطف اكتفاءً بذكره بعده إذا كان المضاف إليه قبل حرف العطف وبعده واحداً، نحو قول الفرزدق[٥]:

يا مَنْ رأى عارضاً أُسَرُّ به   بينَ ذراعي وجبهةِ الأسدِ

---

(1) ينظر الكتاب، ج١/٦٥-٦٦، والأصول في النحو، ج٢/٢٥٥، والخصائص، ج٢/٤٤٦-٤٤٧، والمفصل، ١٣٢، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٣٥، ج٢/٤٤٨، وشرح المفصل، ج٣/٢٣-٢٦، ٧٩، وارتشاف الضرب، ج٤/١٨٣٦-١٨٣٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢١٣، والنحو الوافي، ج٣/١٣٤-١٣٦، ومعاني النحو، ج٣/١٢٢-١٢٥.

(2) ينظر، حذف الخبر و الفاعل والصفة والمفعول به والظرف والمصدر من هذا البحث.

(3) الديوان، ١٩٣.

(4) غير موجود في الديوان، شرح المفصل، ج١/١٢٠.

(5) الديوان، ج٢/٢١٥

والأصل (بين ذراعي الأسدِ وجبهتِه) فحذف المضاف إليه (الأسد) بعد المضاف (ذراعي)

اكتفاءً بذكره بعد حرف العطف؛ لأنه من لفظه ومعناه. والظاهرُ أنه حذفه لإظهار كمال العناية به والرغبة في عدم إضافة الثاني إلى ضميره، بل إلى صريح لفظه؛ ليكون أقوى تأثيراً في نفس السامع؛ ولتظلّ رهبته في داخله، وقد يكون لمعنى آخر بحسب ما يتطلّبه السياق. ويجوز حذفه بعد كلمة (غير) في الاستثناء المنفيّ المسبوق بـ (ليس) أو (لا) نحو (قبضتُ عشرةً ليس غيرُ، أو قبضت عشرة لا غيرُ) ويجوز حذفه بعد كلمة (حسب) التي تبنى على الضمّ؛ لانقطاع علاقة الإضافة بينهما، نحو (أخذت عشرة فحسبُ) والأصلُ (فحسبي) فحذفت المضاف إليه ياء المتكلم وألغيت علاقة الإضافة بينهما، وبنيت (حسبُ) على الضمّ، ونقلتها من الإعراب إلى البناء، وزدْتَ الفاء في أوّلها تزييناً للفظ، ويجوز حذفه بعد (أيّ) الموصولة أو الشرطية أو الاستفهامية من دون أن تلغي علاقة الإضافة، فتظلُّ (أيّ) معربة؛ لأن المضاف إليه المحذوف منويّ، نحو قوله تعالى:﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1] والتقدير (أيَّ اسمٍ) فحذف المضاف إليه (اسمٍ) بعد (أيّ) الشرطية، و نحو (أيّاً أكرمت؟) والتقدير (أيَّ شخص؟) فحذفت المضاف إليه (شخصٍ) بعد (أيّ) الاستفهامية، ونحو (أيٌّ هو مجتهدٌ يفوز) فحذفت المضاف إليه بعد (أيّ) الموصولة. والظاهرُ أن المتكلم يحذفه تعويلاً على فهم المتلقي للمعنى؛ لأن السياق يدلُّ عليه، ولذلك لم يرَ حاجةً في ذكره، فآثَرَ الاختصار[2]. ويجوز حذفه بعد لفظتي (كلّ وبعض) اللتين تكتسبان المعنى من المضاف إليه، فـ (كلّ) لفظٌ مذكّر مفرد، فإذا حُذِف المضاف إليه بعدها، جاز أن يعود الضمير إليها مفرداً مذكّراً مراعاةً للفظها، وجاز أن يعود جمعاً مراعاةً لمعناها، فمن الأوّل قوله تعالى:﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾[3] فحذف المضاف إليه بعد لفظة (كلٌّ) وأعاد الضمير في (آمن) عليها مفرداً مذكّراً مراعاة للفظها، ونحو قوله تعالى:﴿كُلٌّ

(1) الإسراء، ١١٠.
(2) ينظر، الخصائص، ج٢/٣٦٣، وأسرار النحو، ١٥٦،١٩٧، والمفصل، ١٢٩-١٣٠، ودلائل الإعجاز، ٣٨٠، وشرح المفصل، ج١/١٢٠، ومغني اللبيب، ٢٥٨،٢٦٤، وجامع الدروس العربية، ج١/٧، ج٢/٢١٤-٢١٥، ج٣/٥٥-٥٦، والجملة العربية والمعنى، ٦٦، ومعاني النحو، ج٤/١١٩-١٢١.
(3) البقرة، ٢٨٥.

﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾[1] ومن الثاني نحو قوله تعالى:﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾[2] فحذف المضاف إليه بعد (كلٌّ) وأعاد الضمير واو الجماعة في (يسبحون) عليها جمعاً مراعاة لمعناها، ونحو قوله تعالى:﴿وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ﴾[3] ومثالُ حذفها بعد كلمة (بعض) قوله تعالى:﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[4] وإذا ما حُذِف المضاف إليه بعد (أيّ، وكلّ، وبعض) لحقها التنوين؛ ليكون عوضاً من المضاف إليه المحذوف ودالاًّ عليه. ويجوز حذفه بعد الظرف (دون) وبعد الظروف الدالّة على الجهات الستّ، وهي (أمام، وقُدّام، ويمين، وخلف، ووراء، وشمال، ويسار، وفوق وتحت) وبعد الظرفين (قبل وبعد) فإذا حذفه المتكلمُ في هذا الموضع لفظاً ومعنى، وألغى علاقة الإضافة بينه وبين الظرف المضاف، بُنِي الظرفُ؛ لانتفاء سبب إعرابه وهوالإضافةُ، نحو قوله تعالى:﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾[5] أيْ (من قبل الغلبة ومن بعدها) فحذف المضاف إليه بعد الظرفين (قبلُ، وبعدُ) وبناهما على الضمّ لزوال علاقة الإضافة، وإذا قَصَدَ حَذْفَ لفظه، وإبقاءَ معناه، ظلّ الظرفُ المضاف معرباً، وجيء بالتنوين في آخره عوضاً من المضاف إليه المحذوف ودالّاً عليه، نحو قول الشاعر[6]:

فساغَ ليَ الشّرابُ وكنتُ قبلاً ... أكادُ أَغُصُّ بالماء الفُراتِ

فحذف المضاف إليه بعد الظرف (قبلاً) ونوَى تقديره، وجاء بالتنوين عوضاً عنه، والمتكلمُ يحذف المضاف إليه في هذا الموضع إذا قدّر أن المتلقي يفهم المعنى؛ لأن قرائن الحال والمقام تدلّ عليه، فلم يحتج إلى توضيحه، أو أراد أن يُبهمه على المتلقي، ويتركه يجري وراء الاحتمالات؛ لِيتشعّب فكرُه وخيالُه في كلّ اتّجاه، نحو (سقط من علٍ) فإذا بُنِي الظرفُ على الضمّ، كانت الغايةُ من الحذف التعيينَ والدلالة القطعية، نحو (سقط من علُ)

---

(1) ق، ١٤.
(2) الأنبياء، ٣٣.
(3) الأنفال، ٥٤.
(4) البقرة، ٢٥٣.
(5) الروم، ٤.
(6) المفصل، ٢١٤، وشرح شذور الذهب، ١٠٤، وشرح ابن عقيل، ج٨٧/٢، وشرح الأشموني، ج٤٧٢/٣.

للدلالة على أن العُلُوَّ الذي حدث منه السقوطُ معلوم، وإذا أُعرِب، كانت الغايــةُ الغمــوضَ والإبهام والعمومَ، نحو (سقط من علٍ) للدلالة على أن العُلُوَّ الذي حدث منه السقوطُ غيــرُ معيَّن[١]. وكثرت في

دواوين الشعراء الخمسة مواضعُ حذف المضاف إليــه، ولاســيّما بعــد الظــرف. قــال البارودي[٢]:

غِبْتَ عنّي مَدَى ثلاثٍ فزادَتْ حَسَراتي وغابَ أُنْسِي وحَظِّي

حذف الشاعرُ المضاف إليه بعد العدد المفرد (ثلاثٍ) فألغى علاقــة الإضــافة بينهمــا، والدَّليلُ تنوينُ العدد (ثلاثٍ) ولعلّه حذفه لعلم المتلقي به ودلالة القاعدة النحويــة والــسياق عليه؛ لأنه يلزم أن يأتي بعد العدد المفرد معدودٌ مجرورٌ يميِّز العدد المفرد الذي أُضــيف إليه، ويوضِّح معناه، فلمّا لُوحِظ عددٌ مفرد، ولا معدود له، عُرِف أنه محذوف، وأنّ تقديره على الأغلب (سنوات) لأن العدد المفرد المضاف (ثلاثٍ) جيء به في صــورة المــذكَّر، وهو يدلُّ على زمن حدث الغياب. وقال أبو ماضي[٣]:

ما بالُهُمْ؟ ولأيَّةٍ وَقَفُوا؟ لِمَنِ البناءُ يلوحُ كالقَصْرِ؟

حذف الشاعر المضاف إليه بعد المضاف اسم الاستفهام (أيّةٍ) وقطع علاقــة الإضــافة بينهما بدليل تنوين المضاف (أيّةٍ) فصار التنوينُ عوضاً من المــضاف إليــه المحــذوف، والدّالُّ عليه القاعدةُ النحوية التي تقضي بملازمة (أيّ) الاستفهامية الإضــافة، فالمــضافُ إليه يوضِّح معناها، ولعلّه أراد بحذفه تهويلَ الأمر وتفخيمه وتعظيمه؛ ليكــون أثــرُه فــي النفوس أقوى، فالشاعرُ يسأل عن سبب الوقوف دون أن ينتظر جواباً معيّناً، فالاحتمــالاتُ مفتوحة أمام كلِّ جواب يبيّن سبب الوقوف، وهو بحذف المضاف إليه في هذا المقام وسّــع

---

(1) ينظر، الخصائص، ج٣٦٣/٢، وأسرار النحو، ١٥٦،١٩٧، والمفصل، ١٢٩-١٣٠، ودلائل الإعجاز، ٣٨٠، وشرح المفصل، ج١٢/١، ومغني اللبيب، ٢٥٨،٢٦٤، وجامع الدروس العربية، ج٧/١، ج٢١٤/٢-٢١٥، ج٥٥/٣-٥٦، والجملة العربية والمعنى، ٦٦، ومعاني النحو، ج١١٩/٤-١٢١.
(2) الديوان، ج٢٠١/٢.
(3) الديوان، ٣٣٠.

دائرة المعنى، وأطلق خياله وخيال المتلقي في كلِّ اتّجاه، وهيّأ نفسه لِتلقّي أيّ جواب يحتمله الموقفُ. وقال بدر الدين الحامد(١):

جَمالٌ وشُكْري في النِّضالِ تَلاقَيَا عَظيمَيْنِ كُلٌّ منهما السَّيِّدُ النَّدْبُ

حذف الشاعر المضاف إليه بعد المضاف (كلٌّ) وألغى علاقة الإضافة بينهما بدليل تنوين المضاف (كلٌّ) فصار التنوين عوضاً عنه، فغدا المضافُ (كلٌّ) نكرةً بعد أن كان معرفة، ولعلّه أراد بحذفه أن يُعلي شأنَ الممدوحَيْنِ جمالٍ وشكري، ويرفعهما إلى درجة عالية من الرِّفعة والسُّؤدد والشّرف، وفي هذا مبالغة في مدحهما، ولا تتحقّق هذه المبالغة دون حذف المضاف إليه وإطلاق المضاف من قيده. وقال البارودي (٢):

وفُزِّعَتِ الأنعامُ والخَيْلُ فانبَرَتْ تُجاوِبُ بعضاً في رُغاءٍ وتَصْهالِ

حذف الشاعر المضاف إليه بعد المضاف (بعضاً) وألغى علاقة الإضافة بينهما بدليل تنوين المضاف (بعضاً) فصار التنوينُ عوضاً عنه، فلم يجد الشاعر حاجة في ذكره؛ لأنه معلوم للمتلقي لدلالة السياق عليه، فقد قدّم في الشطر الأوّل فَزَعَ الأنعام والخيل، ولَمّا كان حدثُ التَّجاوُب في الشطر الثاني واقعاً منها، عُرِف أن المضاف إليه المحذوف يعود إليها، ولعلّه أراد بحذفه تكثير عدد الأنعام والخيل التي رَغَتْ، وتَصَاهَلَتْ، وتجاوَبَتْ مع بعضها، وهذا يدلّ على عَظَمَة فَزَعِها وهَوْله، ولو ذكره، لأوْحى أن عدد الأنعام والخيل التي تجاوبت في رغاء وتصهال قليل، وهذا خلافُ المراد. وقال السيّاب(٣):

ليتني لمْ أَكُنْ رأَيْتُكِ منْ قَبْلُ ولم أَلْقَ منكِ عَطْفَ حَنُونِ

حذف الشاعر المضاف إليه بعد الظرف (قبلُ) وألغى علاقة الإضافة بينهما، وانتقل الظرفُ (قبلُ) من الإعراب إلى البناء، ودلّت القاعدةُ النحوية عليه؛ لأن الظرف (قبل) ملازمٌ للإضافة، فلمّا لُوحِظ أنْ لامضافَ إليه بعده، عُرِف حذفُه، فالشاعرُ يرثي جدّته التي

(1) الديوان، ج١/٣٣١.
(2) الديوان، ج٣/٢٥٢.
(3) الديوان، ٤٠٩.

فُجِع بموتها، ولعلّه حذف المضاف إليه؛ لِيُبْهِم زمن الظرف المضاف، ويفخّمه، ويعظّمـــه، ويزيد من تهويله؛ لأنه الزّمنُ الذي فرّق بينه وبين جدّته، وسلبهُ عطفها وحنانها. وقال بدر الدين

الحامد(١):

اللهُ من فوقُ واحدٌ أَزَلٌ   وأنتَ في الخَلْقِ كُلِّهِم واحدْ

حذف الشاعر المضاف إليه بعد ظرف المكان (فوقُ) وألغى علاقة الإضـــافة بينهمـــا، فغدا

الظرف (فوقُ) مبنيّاً على الضمّ بعد أن كان معرباً؛ لانتفاء سبب الإعراب من التركيـــب، وهو الإضافة، ويبدو أنه حذف المضاف إليه في هذا المقـــام؛ لأنـــه أراد إبهـــام الظـــرف المضاف (فوقُ) للدلالة على عظمة الله تعالى، وعُلُوِّ منزلته وتمجيده، وهـــذا أقـــوى فـــي تنزيه الذّات الإلهيّة التي لا تحدُّها حدود، ولا يحتويها مكانٌ معيّن، فجـــاء حذفُـــه مناســـباً للسياق وللمعنى الذي عبّر عنه. وقال أبو ماضي(٢):

فأصِيخِي هلْ تَسْمَعينَ خُفُوقاً   كنتِ قبلاً في صدرِهِ تَسْمَعِينه

حذف الشاعر المضاف إليه بعد الظرف (قبلاً) وألغى علاقة الإضافة بينهما في الـــشكل لا في المعنى، ودلّ عليه التنوينُ الذي لحق بالظرف (قبلاً) وصار عوضاً مـــن المـــضاف إليه المحذوف، ولعلّه حذفه للعلم به، ولدلالة السياق والمقام عليـــه، أو لغـــرض إبهامـــه وإطلاقه من التقييد ليذهب خيالُ المتلقي في كلِّ اتّجاه لتحصيله، أو لغرض توجيـــه عنايـــة المتلقي إلى الظرف (قبلاً) لأنه الزمن الذي كانت الحبيبةُ قبل حصوله أو فيه تسمع خُفـــوق قلبه، وهذه دلالاتٌ ومعانٍ وإيحاءاتٌ ليس للتعبير الطبيعي أن يؤدّيها.

(1) الديوان، ج٢/٦٥٦.
(2) الديوان، ٦١٤.

والنتيجة أن حذف المضاف إليه تغيير نحويّ جائز في بنية التركيب أجازتـه القاعـدةُ النحوية والاستعمال الصحيح في ضوء قواعد فرعية تُبيح للمتكلم الخروج عـن الأصـل الذي هو ذِكْرُه إذا رأى المتكلمُ أنّ ذكرَه لايؤدّي ما يريد من معانٍ ودلالات.

١٢- حذف الموصوف:

يجوز حذف الموصوف إذا كانت صفته صالحة لتقوم مقامه، وكان في الكلام ما يدلّ عليه، والمعنى مفهوماً من دونه، ولا يتعلّق غرضٌ معنويٌّ بذكره، ومنه أن يتقدّم ذكره في كلام سابق، نحو (أعطني ماءً ولو بارداً) والتقدير (ولو ماءً بارداً) فحـذفت الموصـوف (ماء) الذي هو مفعول به، وأقمت صفته (بارداً) مقامه، وذلك لتقدّمه في الـسياق الـسابق (أعطني ماءً) وألغيت بحذفه علاقة الوصفية التبعية بينه وبين صـفته (بـارداً) وعلاقـة التعدية بينه وبين الفعل (أعطِ) العامل فيه، وأنشأت علاقة تعدية جديدة بين عامله (أعـط) وصفته (بارداً) فحذفُه غيّر العلاقات النحوية في التركيب، ومنه أن تكون الصفة خاصّـة بجنس الموصوف، نحو (مررتُ بكاتـبٍ) والمعنـى (مـررتُ برجـل كاتـبٍ) فحـذفت الموصوف (رجلٍ) وأقمت صفته (كاتبٍ) مقامه لِعلمك أن المتلقي يفهم المعنى من دونـه؛ لأن صفة الكتابة خاصّة بجنس العقلاء دون غيرهم من غير العقلاء والأشـياء، ومنـه أن يكون الموصوفُ ظرفاً، فيحذف؛ لتقوم صفته مقامه في تأدية الإعـراب والمعنـى، نحـو (جلستُ قريباً منك، وصحبتك طويلاً) والتقدير(مكاناً قريباً، وزمناً طويلاً) ومنه أن يكـون الموصوف مصدراً، فيحذف؛ لتنوب صفته عنه في تأدية الإعراب والمعنى، نحـو قولـه تعالى:﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا ﴾[١] و التقدير (ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً) ومنه أن يكـون الموصوف مجروراً بـ (من)، والصفة جملة، نحو (منّا ظعن، ومنّا أقام) والتقـدير (منّـا رجلٌ ظعن، ومنّا رجلٌ أقام) فحذف الموصوف (رجلٌ) وأقام صفته جملتي (ظعن، وأقـام) مقامه[٢]. ويبدو أن المتكلم يحذف الموصوف، ويستغني عنه في المواضع المتقدّمة الـذّكْر

---

(1) التوبة، ٨٢.

(2) ينظر، الخصائص، ج٣٦٦/٢، والمفصل، ١٥٠-١٥١، وشرح المفصل، ج٥٨/٣-٦٠، وشرح جمل الزجاجي، ج٢٢٣/١، وارتشاف الضرب، ج١٩٣٨/٤، وأوضح المسالك، ٥٠٦، ومغني اللبيب، ٨١٦، والنحو الوافي، ج٣٩٨/٣-٤٠١.

إذا كان غرضُه من التركيب الصفةَ لا الموصوفَ، فيوجِّه بحذفه الأنظار إلى الصفة التي تغدو مركز التركيب، فيدفع الاحتمالات، ويجعل دلالة التركيب قطعيةً، نحو (أعطني ماءً ولو بارداً) فقد دلّ حذفُ الموصوف (ماءً) إلى حاجة المتكلم إلى الماء في كلّ صفاته، ونفى حاجته إلى السوائل الأخرى التي يمكن أن تقوم مقامه، وقد يجعل حذفُه الجملةَ ذات الدلالة القطعية جملة ذات دلالة احتمالية، فيتشعّب المعنى، ويتشتّتُ الذّهن في اتّجاهات متعدِّدة لِيوازن، ويقارن بين المعاني المحتملة للتركيب، وقد يريدها معاً، فيحصل على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة كحذفه إذا كان ظرفاً أو مصدراً.

وممّا حُذِف فيه الموصوف عند الشعراء الخمسة قولُ البارودي(١):

خدَعَتْهُ ساحرةُ العُيُونِ بنَظْرةٍ   منها فملَّكَها عِذارَ لِجامِهِ

حذف الشاعر الموصوف (فتاةٌ) وأقام صفته (ساحرةُ) مقامه في الإعراب وتأدية المعنى،

والتقدير (خدعته فتاةٌ ساحرةُ العيون) فألغى بحذفه علاقة الإسناد بينه وبين الفعل (خدعتْ) لأن الموصوف المحذوف في الأصل فاعلٌ، وألغى علاقة التبعية الوصفية بينه وبين صفته (ساحرةُ) التي حلّت محلّه، وأنشأ علاقة نحوية جديدة لم تكن موجودة في التركيب قبل حذف الموصوف، وهي علاقة الإسناد بين الفعل (خدعتْ) الذي فَقَدَ فاعله وبين الصفة (ساحرةُ) التي تركتْ بعد حذف الموصوف وظيفةَ الوصفية إلى وظيفة الفاعلية، ويبدو أن الشاعر إنّما أراد بحذفه أن يوجِّه عناية المتلقي إلى الصفة (ساحرةُ العيون) ويبالغ في اتِّصاف الموصوف (فتاةٌ) بها، فكأنّ الفتاة التي خدعته، كانت جميلة العينين إلى درجة السِّحر الذي سلبه عقله، وغيَّب عنه الحقيقة، وكأنّ الموصوف قد اتَّصف بهذه الصفة دون غيره ادِّعاءً ومبالغة حتَّى عُرِف بها. وقال البارودي(٢):

وقَلِّدوا أمرَكمْ شَهْماً أَخا ثِقَةٍ   يكونُ رِدْءاً لكمْ في الحادثِ الْجَلَلِ

(1) الديوان، ج٣/٥٦٧.
(2) الديوان، ج٣/٢٦.

حذف الشاعر الموصوف (رجلاً) وأبقى صفته (شهماً) وأحلّها محلّــه فــي الإعــراب وتأدية المعنى، وألغى علاقة التعدية بينه وبين الفعل المتعدّي إليه (قلِّد) لأنه مفعــول بــه ثانٍ له، وألغى علاقة التبعية الوصفية بينه وبين صفته (شهماً) التي حلّت محلّــه، وأنــشأ علاقة تعدية جديدة بين الفعل المتعدّي (قلِّد) وبين الــصفة (شــهماً) التــي حلّــت محــلّ الموصوف المحذوف. ولعلّ غاية الشاعر من حذف الموصوف (رجلاً) توجيه العناية إلى الصفة (شهماً) دون الموصوف، فليس المهمُّ أن يقلِّد القومُ أمرهم أيَّ رجل، بل المهــمُّ أن يتّصف الرجلُ الذي يقلِّدونه أمرهم بالشَّهامة الفائقة إلى درجة لايبلغها غيرُه، وكأن الــصفة (شهماً) ينبغي أن تلازم الموصوف المحذوف، وتكثر فيه حتّى يُعرَف بها، فــإذا وجــدوا رجلاً هذه صفتُه، وهذه درجتُها فيه، وجب عليهم أن يقلِّدوه أمرهم. ولو ذكر الموصــوف، لأوهَمَ أنّ الرجل الذي طلب منهم أن يقلِّدوه أمرهم يكفي أن يتَّصف بالشَّهامة قليلةً كانت أمْ كثيرةً، وهذا خلاف المراد؛ لأن مثلَ هذا الرجل لايستطيع أن يدافع عــنهم فــي الحــادث الجَلَل.

إنّ حذف الموصوف تغييرٌ في بنية التركيب أجازتــه القاعــدةُ النحويــة والاســتعمالُ الصحيح،

وحذْفُهُ يغيِّر العلاقات النحوية القائمة في التركيب، ويُنشيء علاقات نحويــة جديــدة بــين عناصره ولا يلجأ المتكلم إليه إلّا إذا شعر أنّ التعبير الطبيعيّ لا يؤدّي المعاني الإضــافيّة التي شكَّل تركيبه من أجلها.

١٣- حذف الصفة:

يجوزحذف الصفة إذا علمها المتلقي لدلالة السياق أو المقام أو نغمة صــوت المــتكلم عليها، نحو قوله تعالى:﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ ﴾(١)أيْ (قومُك المعاندون) فحذف الــصفة (المعاندون) لدلالة المقام عليها؛ لأن كلَّ قومه لم يكذّبه، فقد آمن به بعضهم، ونحو قولــه

(1) الأنعام، ٦٦.

تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾[1] والقصدُ (كلَّ سفينة صالحة) فحذف الصفة (صالحةً) لِعِلْمِ سيّدنا موسى عليه السلامُ بها، فالملك يأخذ السفينة الصالحة؛ ولذلك خرَقَ سيّدنا الخضر عليه السلام السفينة، وجعل فيها عيباً حتى تكون سفينةً معيبةً، ونحو قول المرقِّش الأكبر[2]:

وربَّ أسيلةِ الْخَدَّين بِكْرٍ مُهَفْهَفَةٍ لها فَرْعٌ وجِيدُ

والتقدير (لها فرعٌ فاحمٌ وجيدٌ طويلٌ) ومن حذفها لدلالة نغمة الصوت عليها نحوُ (هو رجلٌ) فتقوِّي اللفظ، وتُطيل الصّوت، وتفخّمه لتدلَّ على أنه رجلٌ عظيم، أو تزوي بوجهك؛ لِتدلَّ على أنه رجلٌ وضيعٌ وغيرُ ذلك من المعاني.[3]ولا شواهد له في الأشعار المدروسة.

١٤- حذف أحد المتعاطفين:

يجوز حذف المعطوف عليه لدلالة المعطوف ، وذلك إذا كان سبباً، والمعطوف مسبّباً عنه، أو كانت الأحداث متتابعة، نحو قوله تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾[4] والتقدير (فضرب، فانفجرت) فحذف المعطوف عليه (فضرب) لأنه سببٌ للمعطوف (فانفجرت) فلولا الضّرب المأمور به، لَمَا انفجرت عيونُ الماء، و منه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ ﴾[5] أيْ (فماتوا، ثمّ أحياهم) فحذف المعطوف عليه (ماتوا) لدلالة المعطوف (أحياهم) عليه؛ لأنه يلزم لإحيائهم مرّة ثانية أن يموتوا أوّلاً، والمعطوف عليه المحذوف في الآيتين السابقتين معطوف على الفعل (قال) وقد حُذِف لعدم تعلُّق المعنى به، و لتوجيه الأنظار وتركيز الانتباه على المعطوف (انفجار العيون من

---

(1) الكهف، ٧٩.
(2) المفضليات، ٢٢٤.
(3) ينظر، الخصائص، ج٢/٣٧٠-٣٧١، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩٣٧، وأوضح المسالك، ٥٠٧-٥٠٨، ومغني اللبيب، ٨١٨-٨١٩، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٣٠-٢٣١، والنحوالوافي، ج٣/٣٩٨، ومعاني النحو، ج٣/١٧٦.
(4) البقرة، ٦٠.
(5) البقرة، ٢٤٣.

الحجر) في الآية الأولى وعلى حدث الإحياء بعد الموت في الآية الثانية. ويجـوز حـذف المعطوف بعد الواو العاطفة مع الواو، نحو قول النابغة(١):

فما كان بين الخيرِ لو جاء سالماً　　　أبو حَجَرٍ إلّا لَيَالٍ قلائِلُ

والتقدير (بين الخير وبيني) فحذف المعطوف (بيني) لدلالة السياق عليه؛ ولأنه يتحـتّم على الظرف (بين) أن يتوسّط بين شيئين. ويجوز حذفه إذا كان معطوفاً بـ (أمْ) المعادلة، فتدلّ القاعدة النحوية عليه، نحو قول أبي ذُؤَيْب الهُذَلِيّ(٢):

دَعَاني إليها القلبُ إنّي لأمرِه　　　سَميعٌ فمَا أدْري أَرُشْدٌ طِلابُها ؟

والتقدير (أرشدٌ طلابها أمْ غِيٌّ؟) فحذف المعطوف (غِيٌّ)(٣)، وقلّت في دواوين الشعراء الخمسة مواضعُ حذف المعطوف عليه، وأغلبُها قبل (حتّى)العاطفة. قال السيّاب(٤):

على مقلتيكِ ارْتَشَفْتُ النُّجوم　　　وعَانَقْتُ آمالي الآيِبَـــهْ

وسابَقْتُ حتّى جَناحَ الخَيالِ　　　بِروحِي إلى رُوحِكَ الْواثِبَهْ

حذف الشاعر المعطوف عليه قبل (حتّى) العاطفة، والتقدير (وسابقْتُ كلَّ شيءٍ حتّى جناح الخيال) وحذفُه لم يُلغ علاقة التبعية بينه وبين المعطوف (جناحَ) ولعلّه قصد بحذفـه الاهتمام بالمعطوف (جناحَ الخيال) لعدم تعلُّق معنىً بذكر المعطوف عليه، فالشاعرُ يخبـر حبيبته أنه سابَقَ كلَّ شيءٍ للوصول بروحه إلى روحها، وهذا معنى عـاديٌّ قـد لا يـؤثِّر فيها، ولا يُظهر شوقه ولهفته إليها، فأراد أن تعلم أنه يسابق الخيال للوصول إلى روحهـا، وهذا المعنى هو الذي ينبغي أن تتنبّه إليه، فهو يعبِّر عن قوَّة شوقه وحرارة لهفتـه إليهـا، فإذا حذف المعطوف عليه، استوقفها عند التركيب، فتأمّلته لتبحـث عـن سـبب حـذف

(1) الديوان، ١٥٥.
(2) الهذليون، الديوان، تح: أحمد الزّين، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م، ج١/٧١.
(3) ينظر، الخصائص؛ ج٢/٣٧٣، ج٣/١٧٤، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٢٥٤-٢٥٥، وارتشاف الضرب، ج٤/٢٠١٦، ومغني اللبيب، ٨٢٠ ، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٢-٢٥٣، والنحوالوافي، ج٣/٥١٠-٥١٣.
(4) الديوان، ٥٧.

المعطوف عليه، فإذا علمتْه، عرفتْ مرادَ الشاعر، وهذا هو المقصود. وهذه دلالاتٌ لا يؤدِّيها التعبير الطبيعيّ إذا ذُكِر فيه المعطوف عليه.

١٥- تخفيف الأحرف المشبهة بالفعل:

يجوز تخفيف (إنَّ) بحذف نونها،فإذا وليتها الجملة الاسمية، فالأغلبُ إهمالُها، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾(١) فخفّف (إنْ) وأهملها، فرفع (كلٌّ) على الابتداء، و (محضرون) على الخبر، ويجوز إعمالُها، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾(٢) فأهمل (إنْ) وأبقى لها عمل النصب في الاسم (كلاًّ) والخبر المحذوف، ولم يحتج إلى اللام الفارقة بعدها في هذا الموضع؛ لأن عملها في الاسم دلَّ على أنها حرف مشبه بالفعل لا نافيةٌ، وإذا وليتها الجملة الفعلية، وجب إهمالها، ووجب أن يليها الفعل الناسخ ماضياً أو مضارعاً، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾(٣) فخفّف (إنْ) وأهملها، وأدخلها على الجملة الفعلية، وجاء بالفعل الناسخ (وجد) في صيغة الماضي بعدها، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾(٤) فخفّف (إنْ) وأهملها، وأدخلها على الجملة الفعلية، وجاء بالفعل الناسخ (نظنُّ) بصيغة المضارع بعدها. وإذا أُهمِلت، وجب دخول اللام الفارقة بعدها تمييزاً لها من (إنْ) النافية، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾(٥) فخفّف (إنْ) وأهملها، وجاء باللام الفارقة بعدها تفريقاً بين معنيي التوكيد والنفي. وقد أهملوها، وهي مخفّفة لزوال شبهها بالفعل من حيث اللفظ، وهو البناء على الفتح، فصارت كحرف من حروف الابتداء، وجاز أن يليها الفعلُ والاسمُ، فانتقلت من الأدوات العاملة إلى الأدوات المهملة، وأجازوا عملها، وهي مخفّفة؛ لأنها في هذه الحالة بمنزلة الفعل الذي حُذِف منه شيءٌ، ولم يتغيّر عملُه، نحو (لم يكُ، ولم أُبَلْ). ويوسِّع تخفيفُها دائرةَ التوكيد بها، فيزول اختصاص توكيدها للجمل الاسمية، فتغدو مؤكِّدة الجمل

(1) يس، ٣٢.
(2) هود، ١١١.
(3) الأعراف، ١٠٢.
(4) الشعراء، ١٨٦.
(5) البقرة، ١٤٣.

الفعلية، وهي أقلُّ توكيداً من الثقيلة؛ لأنها إذا خُفِّفت أشبهتْ نونَ التوكيد الخفيفة التي هي أقلُّ توكيداً من أختها الثقيلة، والسياقُ والمقامُ هما اللذان يحدِّدان ذلك[(١)] .

ويجوز تخفيف (أنّ) بحذف نونها، وتخفيفُها لا يلغي عملها في الاسم والخبر، ولكن ينبغي أن يكون اسمُها ضمير الشأن محذوفاً، وخبرُها جملة فعلية أو اسمية، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)] فخفّف (أنْ) فصار اسمها ضميرَ الشأن محذوفاً، وخبرها (الحمد لله ربّ العالمين) جملة اسمية، ومن الثاني قوله تعالى:﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾[(٣)] فخفّف (أنْ) وصار اسمها ضمير الشأن محذوفاً، وخبرها (أنْ سيكون منكم مرضى) جملة فعلية، فإذا تلتها الجملة الاسمية، لم تحتج إلى فاصل بينها وبين خبرها، نحو قوله تعالى:﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٤)] فخفّف (أنْ) وأبقى لها عملها، ولم يفصل بينها وبين خبرها (الحمد لله ربّ العالمين) لأنه جملة اسمية؛ ولأنها جاءت على الأصل ومقتضى القياس، فأصابها تغييرٌ واحد، هو الحذف، وإذا وليتها الجملة الفعلية ذات الفعل المتصرف، احتاجت إلى فاصل كالسين، و سوف، ولن، وما النافية، ولا، وقد، وغيرها، نحو قوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[(٥)]فخفّف (أنْ) وأعملها، وفصل بـ (لم) بينها وبين خبرها (يره أحد) لأنه جملة فعلية، ولأنه جاء على غير مقتضى القياس، ولكي لا يدخل ما يشبه الفعل على الفعل، فأصابها تغييران، هما الحذف ووقوع الفعل بعدها، فصار الفاصل عوضاً من حذف نونها مع اسمها، والفاصلُ يفرِّقها عن (أنْ) المصدرية، أمّا إذا كان الفعل بعدها جامداً، فلم تحتج إلى الفاصل، كقوله تعالى:﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[(٦)] أو دلّ على دعاء، نحو قوله

---

(1) ينظر، الكتاب، ج٢/١٣٩، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٢٦٤، والمفصل، ٣٨٥-٣٨٧، والأزهية في علم الحروف، ٤٦-٤٧، وشرح المفصل، ج٨/٧١-٧٢، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٥٢٦، وأوضح المسالك، ٢٠٠-٢٠١، ومغني اللبيب، ٣٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٢٥-٣٢٦، والنحو الوافي، ج١/٦١٠-٦١٤، ومعاني النحو، ج١/٣١٦-٣٢٣.
(2) يونس، ١٠.
(3) المزمل، ٢٠.
(4) يونس، ١٠.
(5) البلد، ٧.
(6) النجم، ٣٩.

تعالى:﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ ﴾(1) وقد أبقوا لها عملها بعد التخفيف؛ لأن علاقتها بالجملة التي دخلت عليها علاقتان، الأولى علاقة العامل بالمعمول، والثانية علاقة الصلة بالموصول، يُضاف إلى ذلك أنها لا تكون في ابتداء الكلام إذا دخلت على الجملة الاسمية، فتُسبَق بكلام، فتقع مع معموليها في موقع المفرد، فلو ألغوا عملها، وقعت الجملةُ في موقع المفرد في موقع لا يجوز فيه أن تقع الجملةُ موقع المفرد، وإذا خُفِّفت، وجب أن يسبقها فعل يدلّ على اليقين أو الاعتقاد أو ما يُنزّل بمنزلته من كلّ فعل قلبي يُراد به الظّنُّ الراجح، فالأوّلُ نحو قوله تعالى:﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾(2) والثاني نحوُ قوله تعالى:﴿ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ﴾(3) فخفّف (أنْ) وجاء بالفعل (ظنّ) القلبيّ قبلها؛ لأنه نزّله بمنزلة العلم واليقين، ونحو قوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾(4) فخفّف (أنْ) وجاء بالفعل (حسب) الذي أصلُه الظّنُّ قبلها؛ لأنه بمنزلة الاعتقاد واليقين، وإنّما اشترطوا هذا الشرط؛ لأنها تفيد التوكيدَ، والتوكيدُ يناسبه اليقينُ، أو ما هو قريبٌ من اليقين. ويأتي تخفيفُها لمعنى يقصده المتكلم، فهو يوسِّع دائرة التوكيد بها، كما يوسِّع دائرة استخدامها، فتغدو مؤكِّدة للجملة الفعلية كما كانت مؤكَّدة للجملة الاسمية، ويصحُّ أن يكون خبرها جملة إنشائية مصدَّرة بنهي أو دعاء بخلاف الثقيلة التي لا يجوز فيها ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾(5) فخفّف (أنْ) وجعل خبرها (ألّا تعلوا عليّ) جملة إنشائية منهيَّة، ونحو قوله تعالى:﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ ﴾(6) فخفّف (أنْ) وجعل خبرها (غضب اللهُ عليها) جملة إنشائية دعائية، وهي أقلُّ توكيداً من الثقيلة؛ لأنها تُشبه نون التوكيد الخفيفة التي توكيدُها أقلُّ من الثقيلة، فإذا أراد المتكلم توكيد الاسم، جاء بالثقيلة، وإذا أراد توكيد

---

(1) النور، ٩.
(2) المزمل، ٢٠.
(3) التوبة، ١١٨.
(4) البلد، ٥.
(5) النمل، ٣١.
(6) النور، ٩.

الحدث، استخدم الخفيفة، فخفّف (أنْ) وبذلك يكون المعنى وراء تغيير شكل (أنْ) وتغيير نمط التركيب الذي دخلت عليه[1] .

ويجوز تخفيف (لكنّ) بحذف نونها، فإذا خُفِّفت، أُهمِلت عند الجمهور؛ لأن اختصاصها بالجملة الاسمية قد زال، وجاز أن يأتي الفعلُ بعدها، نحو (ماقام زيدٌ لكنْ قام عمروٌ) فخفّفْت (لكنْ) وأهملتها، وأدخلتها على الجملة الفعلية (قام عمروٌ) وهي في التخفيف لا تفقد معنى الاستدراك. والغالبُ أن المتكلم يخفّفها لأحد غرضين،الأوّل أن يوسِّع دائرة استعمالها، فيدخلها على الجمل الفعلية والاسمية على حدٍّ سواء،لأنه يريد معناها لا عملها، والثاني أن يخفِّف الاستدراك، فالاستدراكُ في الثقيلة أقوى منه في الخفيفة؛ لأن النون أشبهت نون التوكيد الخفيفة، فإذا قلت: (ما قام زيدٌ لكنّ عمراً قام) بالثقيلة، كان استدراكك أقوى؛ لأنك متيقِّن من عدم وقوع الحدث الذي قبلها، ومتأكّد من وقوع الحدث الذي بعدها، ولو جئت بالخفيفة، فقلت: (ما قام زيدٌ لكنْ عمروٌ قام) كان استدراكك أخفَّ؛ لأنك لست متأكِّداً تمام التأكُّد من عدم قيام زيدٍ، وقيام عمروٍ[2].

ويجوز تخفيف (كأنّ) فإذا خُفِّفت، جاز إهمالها وإعمالها، وإذا عملت، وهي مخفّفة، وجب أن يكون اسمُها ضمير الشأن محذوفاً، وخبرها جملة اسمية، أو جملة فعلية فُصِلت عنها بـ (لم) أو (قد) لزوال اختصاصها بالأسماء، وحتّى لايدخل ما يُشبه الفعل على الفعل، وتمييزاً

لها من (أنْ) المصدرية المسبوقة بكاف التشبيه، فمن الأوّل نحوُ قول الشاعر[3]:

ووجْهٍ مُشْرِقِ اللَّوْنِ كَأَنْ ثَدْياهُ حُقَّانِ

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٧/٣، والأصول في النحو، ج٢٤٠/١، والتعليقة على كتاب سيويه، ج٢٧٥/٢-٢٧٦، ومعاني الحروف، ٧٢-٧٣، والمفصل، ٣٨٥-٣٨٧، والأزهية في علم الحروف، ٦١-٦٧، والمتبع في شرح اللمع، ج٥١١/٢، وشرح المفصل، ج٧٢/٨-٧٤ ،٧٧، وشرح جمل الزجاجي، ج١٧٦/٢-١٧٧، وأوضح المسالك، ٢٠٢-٢٠٣، ومغني اللبيب، ٤٦-٤٧، وجامع الدروس العربية، ج٣٢٧/٢-٣٣١، والنحو الوافي، ج٦١٥/١-٦٢١، ومعاني النحو، ج٣٢٤/١-٣٣٠.
(2) ينظر، المفصل، ٣٩٠، وشرح المفصل، ج٨٠/٨-٨١، وشرح جمل الزجاجي، ج٤٤٤/١، وارتشاف الضرب، ج١٢٧٤/٣، وجامع الدروس العربية، ج٣٣٣/٢، ومعاني النحو، ج٣٣٢/١-٣٣٣.
(3) مجهول، ينظر، المفصل،٣٩٠، وأوضح المسالك، ٢٠٤، وجامع الدروس العربية، ج٣٣١/٢، ومعاني النحو، ج٣٣٠/١-٣٣١.

فخفّف (كأنْ) وحذف اسمها ضمير الشأن، وجاء بالجملة الاسمية (ثدياه حقّانِ) خبراً لها، ومن الثاني قوله تعالى:﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِ ﴾(١) فخفّف (كأنْ) وجعل اسمها ضمير الشأن محذوفاً، و جعل الجملة الفعلية (لم تغنَ) المسبوقة بـ (لم) خبراً لها، ونحو قول النابغة الذبياني(٢):

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابنا لَمّا تَزُلْ بِرِحالنا وكأنْ قَدِ

فخفّف (كأنْ) وجاء بالجملة الفعلية (قد زالت) المحذوفة خبراً لها، وقد فصل بينهما بـ (قد) ويجوز إذا خُفِّفت أن يكون اسمها اسماً ظاهراً، وخبرها مفرداً، نحو قول رؤبة(٣):

ومُعْتَدٍ فَظٍّ غَلِيظِ القَلْبِ كأنْ وَرِيدَيْهِ رِشاءُ خُلْبِ(٤)

والمتكلم إنّما يخفّفها لمعنى يجري وراءه، فيغيّر شكلها ليتحصّل ذلك المعنى الذي يريده من تركيبه، فإذا كانت عنايته منصبّة على المشبّه، جاء بها دون تغيير، نحو قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ﴾(٥) وإذا كانت عنايته منصبّة على الحالة التشبيهية لا على المشبّه، خفّفها، نحو قوله تعالى: "فجعلناها حصيداً كأنْ لم تغنَ بالأمس" فليس المقصود ذكرُ المشبَّه بل الحالة التشبيهيّة (لم تغنَ) فطوى ذكر المشبّه، وخفّف (كأنْ) لأن الغرض هو الموازنة بين حالتين، حالة الماضي وحالة الحاضر، وهذا لا يتعلّق بذكر المشبّه به كثيراً، والخفيفةُ أقلُّ توكيداً من الثقيلة(٦). وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضع التي خُفِّفت فيها الأحرف المشبهة بالفعل المنتهية بالنون، ولاسيما (كأنّ ولكنّ) قال البارودي(٧):

أسْلَمَهُ صَحْبُهُ وما عَلِمُوا أنْ سوفَ يمحُو وجودَهُمْ عَدَمُهْ

---

(1) يونس، ٢٤.
(2) الديوان، ١٠٥.
(3) الديوان، غير موجود في الديوان. ينظر، المفصل، ٣٩١، وأوضح المسالك، ٢٠٤.
(4) الوريدان: عرقان في صفحة العنق، والرشاء: الحبل، والخلب: الليف.
(5) الأحقاف، ٣٥.
(6) ينظر، المفصل، ٣٩٠، وشرح المفصل، ج٨/٨٢-٨٣، وأوضح المسالك، ٢٠٤-٢٠٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٣١، ومعاني النحو، ج١/٣٣٠-٣٣١.
(7) الديوان، ج٣/٤١٥.

خفّف الشاعر الحرف المشبه بالفعل (أنْ) فحذف نونه، وأورد خبره (يمحو) جملة فعلية، وفصل بينهما بـ (سوف) التنفيسية، وأتى بفعل اليقين (علم) قبله، فحقّق شروط تخفيفه، فقد زعم الشاعر أن وفاة القائد الذي يرثيه بسبب خذلان صحبه له سوف يؤدّي إلى زوالهم وهزيمتهم أمام الأعداء، وأن ذلك سوف يكون في المستقبل البعيد الذي عبّر عنه بـ (سوف) ويبدو أنه لم يكن متحقّقاً من ذلك كلَّ التحقّق؛ لذلك خفّف (أنْ) لتخفيف توكيد قوّة المعنى الذي أورده، أو أنه لمس من المتلقّين شيئاً من قبول هذا المعنى، فخفّف قوّة التوكيد. وقال بدر الدين الحامد[1]:

مِلْنا إليها وبي ظَنٌّ يُخامِرُني ... أنْ ليس في رَبْعها المأنوسِ دَيَّارُ

خفّف الشاعر (أنْ) فحذف نونها، وأورد خبرها (ليس في ربعها المأنوس ديّار) جملة فعلية، ولم يفصل بينهما بفاصل، لأن (ليس) فعل جامد. ويبدو أن الغرضَ من تخفيفها، هو تخفيف التوكيد؛ لأن الشاعر قد وصل ظنُّه إلى مرحلة الاعتقاد واليقين أن المكان الذي مالوا إليه لم يبقَ فيه أحدٌ يأنسون به، ولأن المتلقّي غيرُ منكِرٍ هذا المعنى. وقال البارودي[2]:

والنَّاسُ أشْباهٌ ولكنْ فَرَّقَتْ ... ما بينهمْ في الرُّتْبةِ الآراءُ

خفّف الشاعر الحرف المشبه بالفعل (لكنْ) وألغى عمله، فأدخله على الجملة الفعلية (فرّقت ٠٠٠الآراء) لأنه إذا أُهمِل، زال اختصاصه بالجملة الاسمية، فغدا مهملاً بعد أن كان عاملاً، ويبدو أن غايته من حذفه توجيهُ عناية المتلقي إلى حدث التفريق الذي جعل النّاس المتشابهين في الأصل مختلفين في الرُّتَب والمنازل. فقد أخبر الشاعر أنّ الناس أشباه، ثمّ أدرك أنهم ليسوا كذلك بسبب اختلاف آرائهم، أو أنّ أحداً قد ردّ عليه المعنى الذي أورده من تشابه الناس، فاستدرك المعنى الأوّل بـ (لكنْ) ويبدو أنّ استدراكه وعُزُوفه عن المعنى الأوّل ليس قويّاً، فخفّف (لكنْ) للدلالة على تحوُّله إلى المعنى الثاني

(1) الديوان، ج٢/٤٩١.
(2) الديوان، ج١/١٤.

دون أن يُلغي المعنى الأوّل إلغاء تامّاً، وكأنه أراد أن يجمع بين المعنيين. وقال أبو ماضي[١]:

لبنانُ هذا من رِياضِكَ زَهْرةٌ ذهبَتْ كأنْ في الأرضِ لمْ تَتَضوَّعِ

خفّف الشاعر الحرف المشبّه بالفعل (كأنْ) فحذف نونه، وأورد خبره (لم تتضوَّع) جملة فعلية وفصل بينهما بـ (لم) الجازمة النافية، وتخفيفُه منع أن يأتي اسمُه ظاهراً، ولعلّه خفّفه لتوجيه عناية المتلقي إلى الخبر (لم تتضوّع) دون الاسم. فالشاعرُ يرثي صديقه يعقوب، ويشبِّهه بزهرة كأنها لم تعش، ولم تنشر رائحتها الطيّبة، فأراد الشاعر بتخفيف (كأنْ) أن يتنبّه المتلقي إلى هذه الحقيقة، ويعاينَها؛ لِيضاعف حزنه على المرثيّ، ويزيد ألمه عليه. وقال الشابيّ[٢]:

ونَسُوكَ من دنياهمُ حتّى كأنْ لم يعرفوكْ

شغَلَتْهُمُ عنكَ الحياةُ وحَرْبُ هذي الكائناتْ

خفّف الشاعر الحرف المشبه بالفعل (كأنْ) وحذف نونه، وفصل بـ (لم) النافية الجازمة بينه وبين خبره (لم يعرفوك) الذي أورده جملة فعلية، وجعل اسمه ضمير الشأن محذوفاً. ولعلّ غايةَ الشاعر من تخفيفه توجيهُ عناية المتلقي إلى حدث عدم المعرفة الذي وقع على المفعول به كافِ الخطاب. فالشاعرِ يصوِّر نسيانَ الناس للطفل الذي دفنوه بعد موته، وانقطعت صلتُهم به حتّى كأنْ لم يعرفوه، فهذا الحدثُ هو ما ينبغي أن يركِّز عليه المتلقّي عنايتَه.

إنّ تخفيف الأحرف المشبهة بالفعل المنتهية بالنون يغيِّر بنية التركيب، فيُوجِب حذفَ اسمِها وإيرادَه ضمير الشأن تفخيماً للموقف الذي يصوِّره المتكلم وتعظيماً له، وكأنّ التخفيف وحذفَ الاسم تنبيهٌ للمتلقي وتحريكٌ لخياله؛ لِيبذل مزيداً من الجُهد؛ لِيفهم الموقف

(1) الديوان، ٤٠٢.
(2) الديوان، ٢٨٣.

الذي يصوِّره الشاعر حتّى يدخل إلى عُمْقِ الحدث، فيتفاعــل معـــه. والمـــتكلمُ إذا خفّــف الحرف المشبّه بالفعل، ما زال يجري في ضوء القاعدة النحويـــة والاســـتعمال الـــصحيح اللذين أجازا له ذلك إذا رأى أن التعبير الطبيعيّ دون التخفيف لا يـــؤدّي المعنـــى الـــذي يريده.

١٦- حذف الجملة:

يجوز حذف الجملة إذا دلّ عليها دليلٌ، وعلمها المتلقي؛ ولأنها تـــشبه المفـــرد بكـــون الفاعل في كثير من الأحيان بمنزلة الجزء من الفعل، فيجوز حذف جملة الخبر المـــسبوقة بـــ (قد) بعد الحرف المشبّه بالفعل (كأنْ) المخفّفة، نحو قول النابغة الذبيانيّ(١):

أزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا   لَمّا تزُلْ برِحالنا وكأنْ قَدِ

والتقدير (وكأنْ قد زالت) فحذف جملة الخبر (قد زالت) والدّالُّ عليها السياقُ والقاعـــدة النحوية التـــي تُوجب خبراً لـــ (كأنْ) وفعلاً لـــ (قد) التي تدخل على الأفعـــال. ويجـــوز حذف الجملة المنفيّة بعد (لَمّا) نحو (قارَبْت البلد ولَمّا) والتقديرُ (ولَمّا أدخلْها) فحذف جملة (أدخلْها) لدلالة (لَمّا) النافية الجازمة المختصَّة بالدخول على الفعل المضارع، فلمّـــا وُجِـــد الجازمُ، لزمَ تقديرُ المجزوم بعده، ونحو قول الشاعر(٢):

فجِئْتُ قبورَهُمْ بَدْءَاً ولَمّا   فناديْتُ القُبورَ فلم يُجِبْنَهْ

أي (ولَمّا أكنْ بدءاً قبل ذلك)(٣).

ويجوز حذف جملة الشرط بعد (إنْ) المدغمة بـــ (لا) النافية لدلالة السياق عليها، نحو قول الأحوص الأنصاريّ(٤):

---

(1) الديوان، ١٠٥، والصفحة، ٢٧١ من هذا البحث.
(2) مغني اللبيب، ٣٦٩.
(3) ينظر، الخصائص، ج٢/٣٦١، والنحو الوافي، ج٤/٣١٧، ومعاني النحو، ج٤/١٠.
(4) الديوان، ١٨٤.

فطَلِّقْها فلسْتَ لها بِكُفْءٍ وإلّا يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسامُ

والتقدير (وإنْ لا تطلِّقها يعلُ٠٠٠) فحذف جملة الشرط (تطلِّقْها) لورودها بعد (إنْ) المدغمة بـ (لا) النافية، ولدلالة (طلِّقها) في أوّل البيت عليها، فلمّا فُهِم المعنى، وأُمِن اللبسُ، حذفها لتوجيه الأنظار إلى جواب الشرط (يعلُ مفرقك الحسامُ) لأنه النتيجة الواقعة إذا لم يقع حدثُ الطلاق، وهذا أبلغُ في التّهديد والتخويف. ويجوز حذفها بعد (إنْ) المدغمة بـ (ما) النافية التي تكون عوضاً من جملة الشرط المحذوفة، وفاصلة بين (إنْ) الشرطية و (لا) النافية، نحو (افعلْ كذا إمّا لا) أيْ (افعلْ ما ذكرت أنّك تفعله إنْ كنت لا تفعل غيره) فحذف جملة الشرط (كنت تفعل) وأتى بـ (ما) عوضاً عنها[١].

ويجوز حذف جملة جواب الشرط لدلالة السبب الذي هو الشرطُ على المسبَّب الذي هو جوابُ الشرط، وإذا لم يكن في الكلام ما يصلح أن يكون جواباً، وإذا علمه المتلقي طلباً للاختصار، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ ﴾[٢] والتقدير (لكان هذا القرآن) وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[٣] والتقدير (لرأيت أمراً عظيماً) وقول العجّاج[٤]:

يا ربِّ إنْ أخْطأْتُ أو نَسيتُ فأنتَ لا تنسى ولا تموتُ

والتقدير (إنْ أخطأتُ أونسيتُ فاعفُ عنّي لنقصي وفضلك) فاكتفى بذكر الكمال والفضل – وهو السبب – من العفو – وهو المسبَّب – ويجوز حذفها إذا كانت جواباً للسؤال، نحو (أتُكرم محمداً؟) فتجيب: (إن اجتهد) فحذفت جواب الشرط (أُكرمْه) والتقدير (إن اجتهد أكرمْه) لورود معناه في صيغة السؤال[٥] ويحذفها المتكلم؛ للدلالة على التفخيم والتعظيم ولقصد المبالغة، فحذفُها يجعل المعنى أبلغ وأقوى تأثيراً في نفس المتلقي؛ لأن

(1) ينظر، كتاب الشعر، ج١/٦٠-٦١، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/١٩١، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٠٣، وارتشاف الضرب، ج٤/١٨٨٣، وجامع الدروس العربية، ج٢/١٩٨-١٩٩، والنحو الوافي، ج٤/٣٣٩.
(2) الرعد، ٣١.
(3) الأنعام، ٢٧.
(4) الديوان، ٤٠٤.
(5) ينظر، الكتاب، ج٣/١٠٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٢١١، والخصائص، ج٣/١٧٥-١٧٦، وشرح المفصل، ج٩/٧-٩، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٦٣١، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٤٥٦، وارتشاف الضرب، ج٤/١٨٨٣، ١٩٠٣-١٩٠٦، والبرهان في علوم القرآن ، ج٣/١١٩، ج٤/٢٢٧، وجامع الدروس العربية، ج٢/١٩٩-٢٠٢، والنحو الوافي، ج٤/٣٧٦، ومعاني النحو، ج٤/١٠٥-١٠٨.

ذهنه يذهب في كلِّ اتِّجاه، ويتوقَّع كلَّ أمر، فلو ذكرها، وقف الذِّهن عنــدها دون غيرهـــا، وهذا ما لا يريده المتكلم، فإذا قلت لشخص: (إنْ قمتُ إليك) وسكتَّ دون أن تذكر جـــواب (إنْ) الشرطية، ذهب ذهنُه إلى أشياء من المكروه دون أن يدري أيَّها توقعه عليه، فيخافُها جميعاً، وحذفُها يجعل التركيب ذا دلالة احتمالية بعد أن كان ذا دلالة قطعيّة(١).

ويجوز أن تحذف جملة الصلة إذا تعاطف الموصولان استغناء بـــذكرها بعـــد حـــرف العطف، نحو (زرتُ الذي والتي مرضت) والتقدير (زرت الذي مرض والتـــي مرضـــت) فحذفت جملة الصلة (مرض) بعد الاسم الموصول (الذي) لأنها معلومة، والمعنى مفهـــوم، واستغناء عن ذكرها بعد الواو العاطفة، ويجوز حذفُها إذا علمها المخاطب، نحو قول عبيد بن الأبرص(٢):

نحنُ الأُلى فاجْمعْ جُمُو عَكَ ثُمَّ وَجِّهْهُمْ إلينا

والتقدير (نحن الذين تطلب أو تريد) فحذف الصلة (تطلـــب) لِفهـــم المعنـــى، ووضـــوح المقصود.

ويجوز حذفُها إذا قصد المتكلم تفخيم الأمر وتعظيمه والمبالغة في تصويره بغيةَ التأثير في المتلقي والسيطرة عليه، نحو قول العجّاج(٣):

بعدَ اللّتيَّا واللّتيّا والّتي إذا عَلَتْها أنْفُسٌ تَرَدَّتِ

فلم يذكر صلة (التي) لأنه قصد إبهامها حتّى تذهب نفسُ السامع كلَّ مـــذهب، ويتـــوزَّع خياله في كلِّ اتِّجاه، ويخوض ذهنه في كلِّ معنى، وكأنّ الصلة لفخامتها وعظمتها لاتدخل في حيِّز البيان، ولا يُعبَّر عنها باللفظ، وقد يحذفها للافتخار أو التحقير أو غير ذلـــك مـــن الأغراض(٤).

---

(1) ينظر، شرح المفصل، ح٩/٩٩، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/١١٩، ومعاني النحو، ج٤/١٠٦-١٠٨.
(2) ابن الأبرص، عبيد، الديوان، تح:حسين نصّار، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧هـ-١٩٥٣م، ١٣٧.
(3) الديوان، ٢٦٧.
(4) ينظر، كتاب الشعر، ج٢/٣٩٠، وشرح جمل الزجاجي، ج١/١٨٩، ومغني اللبيب، ٨١٦، والنحو الوافي، ج١/٣٥٣-٣٥٤، ومعاني النحو، ج١/١٣٧.

ويجوز حذفُ جملة الإضافة بعد (إذ) الملازمة للإضافة، فيُؤتَى بالتنوين؛ ليكون عوضاً من جملة الإضافة المحذوفة، وإنّما جاز حذفُها إذا تقدّم (إذْ) ما دلّ عليها، فيكون المعنى مفهوماً من دونها، نحو قوله تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ...يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾(1) والتقدير (يوم إذْ زلزلت تحدِّث أخبارها) فحذف جملة الإضافة (زلزلت) وجاء بتنوين الجرِّ عوضاً عنها؛ لأن السياق دلّ عليها في صدر السّورة، ونحو قول أبي ذؤيب الهذليّ(2):

نَهَيْتُكَ عن طِلابِكَ أُمَّ عمروٍ   بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ

والتقدير (وأنت إذْ نهيتك صحيحٌ)(3).

ويجوز حذف جملة القسم إذا دلَّ عليها دليلٌ، وكان المعنى مفهوماً، واللبس مأموناً، ويكون ذلك مع اللام، و (إنّ) لأنهما لايكونان إلّا على نيّة القسم، نحو (لَيقومَنّ زيدٌ) والقصْدُ (أُقسم لَيقومَنّ زيدٌ)(4). ويجوز حذفُ جملة جواب القسم إذا علمها المتلقي، ودلّ المقامُ عليها، نحوُ قوله تعالى: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾(5) والتقدير (لَيهلكنّ) فحذف الجواب. ويجوز حذفها إذا كانت في جواب السؤال، نحو (نعم والله) جواباً لِمَنْ سألك (أذهبت إليه؟) والتقدير (نعم والله ذهبت إليه) فحذفت جواب القسم (ذهبت إليه) لوروده في صيغة السؤال، فوُضُوحُ المعنى جعلك تغيِّر التركيب، وتحرفه عن نمطه المعهود، ونحو قوله تعالى:﴿قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾(6) والتقدير (وربِّنا هذا هو الحقّ) فحذف جواب القسم لوروده في صيغة السؤال(1).

---

(1) الزلزلة، ١٠٤.
(2) ديوان الهذليين، ج١/٦٨.
(3) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج١/٢٢-٢٣، ج٢/١٢٦، وشرح المفصل، ج٣/٢٨-٢٩، ج٩/٣٠-٣١، والخصائص، ج٢/٣٦٠، وارتشاف الضرب، ج٣/١٤٠٢، وجامع الدروس العربية، ج١/٨، ج٣/٦٣، والنحو الوافي، ج١/٣٩، ومعاني النحو، ج١/٧١، ج٢/١٧٩.
(4) ينظر، شرح جمل الزجاجي، ج١/٥٤١، ومغني اللبيب، ٨٤٦.
(5) ق، ١-٢.
(6) الأنعام، ٣٠.

ويجوز حذف جملة السؤال بعد (كيف) الاستفهامية، نحو قوله تعالى:﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾[٢]والتقدير (كيف توالونهم) فحذف جملة السؤال بعد (كيف) الاستفهامية[٣]. ويكثر حذف جملة الجواب بعد أدوات الجواب، نحو قوله تعالى:﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[٤] والتقدير (بلى كنتم معنا) فحذف جملة الجواب بعد حرف الجواب (بلى) لورودها في صيغة السؤال (ألم نكن معكم)[٥]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضعُ التي حُذِفَتْ فيها الجملة. قال البارودي[٦]:

هيَ مُهْجَةٌ ذهبَ الْهَوى بِشِغافِها   مَعْمودَةٌ إنْ لم تَمُتْ فَكأنْ قَدِ

حذف الشاعر خبر الحرف المشبه الفعل (كأنْ) وهو جملة (ماتت) والتقدير (وكأنْ قد ماتت) وحذَفَه لدلالة السياق و (قد) والقاعدة النحوية عليه، فلمّا لُوحِظ حرف التحقيق والتوكيد، ولم يلِهِ فعلٌ، عُرِف أنه محذوف، ولَمّا لُوحِظ الحرف المشبّه بالفعل (كأنْ) وعُرِف أن اسمه ضمير الشأن، عُلِم أن خبره محذوف، وهو جملة، لأنه يلزم إذا خُفِّف الحرف المشبّه بالفعل (كأنْ) أن يكون خبره جملة، فلمّا رأى الشاعر أنْ لاغرض معنويّاً يتعلّق بذكره، حَذَفَهُ، ولاسيّما أن الحالة الحزينة التي يعيشها تتقاصَر عن ذكره. وقال بدر الدين الحامد[٧]:

وحِّدُوا السَّيْرَ وإلّا عَاقَكُمْ   غاشِمٌ يَنْتَهِبُ السَّيْرَ انْتِهابا

حذف الشاعر جملة الشرط بعد (إنْ) الشرطية المدغمة بـ (لا) والتقدير (وإلّا توحِّدوا السّير عاقكم) وقد دلّ السياق عليه لتقدُّم ذكر معناه في قوله (وحِّدوا السير) فلمّا كان مفهوماً، لم يجد الشاعر حاجةً إلى ذكره، ولعلّه أراد بحذفه توجيه عناية المتلقي إلى جواب

---

(1) ينظر، شرح جمل الزجاجي، ج١/٥٤١، ومغني اللبيب، ٨٤٦-٨٤٧، والنحو الوافي، ج٢/٣٨٦، ومعاني النحو، ج٤/١٦١-١٦٢.
(2) التوبة، ٨.
(3) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٤/٢٠٤.
(4) الحديد، ١٤.
(5) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٤/١٦٦، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٥٦-٢٥٧.
(6) الديوان، ج١/١٤٩.
(7) الديوان، ج١/١٦٣.

الشرط (عاقكم غاشمٌ) لأنه النتيجةُ التي يحذِّر الشاعر قومَه منها إنْ لم يوحِّدوا سيرهم، فإذا تركَّزت عناية المتلقي على جواب الشرط، أدرك الخطر الشديد، والعاقبة المرَّة التي تتهدّده إن لم يُوقع فعل الشرط، وهو توحيد فعل السير، وإذا أدرك ذلك، فربّما سارَع إلى إيقاعــه وتوحيد السير، فإذا حدث ذلك، تحقَّق للشاعر ما أراد. وقال بدر الدين الحامد(١):

لو سألْتُمْ دارَ النِّيابةِ لَمَّا وَشَّحُوها من الأَسَى بِوِشاحِ

حذف الشاعر جواب (لو) الشرطية، والدّالُّ عليه القاعدة النحوية التي تُوجِــب أن يلــي أداةَ الشرط فعلُ الشرط وجوابُه، فلمّا لم يكن في التركيب جواب (لو) الــشرطية، عُــرِف حذفُه، ولعلّه حَذَفَه لتفخيم الأمر وتهويله وتعظيمه. فالشاعرُ يصوِّر وحشيّة الفرنسيين الذين قصفوا دار النيابة دونما رحمة، فلو ذكر جواب الشرط، لَوَقف خيالُ المتلقي عنده، فتــأثّر به، ثمّ زال هذا التأثير، فلمّا حذفه، جعل الاحتمالات مفتوحة أمام خيال المتلقي وذهنه، فَلَهُ أن يتخيّل كلَّ صور الجريمة والتدمير والوحشيّة غير الإنسانية التي ارتكبها الفرنــسيّون في ذلك الموقف، فهو بحَذْفِه جوابَ (لو) الشرطية جعل الدّلالة احتماليّــة بعــد أن كانــت قطعيّة، فقوِي بذلك تأثيرُ المعنى في نفس المتلقّي. وقال البارودي(٢):

وقدْ كُنْتُ أخْشَى أنْ أَراكِ سَقِيمةً فكيفَ وقدْ أصبَحْتِ في التُّرْبِ أعْظُما

حذف الشاعر جملة السؤال بعد (كيف) الاستفهامية لدلالة الــسياق عليهــا، والتقــدير (فكيف لا أخشى؟) فلمّا تقدَّم في الشطر الأوّل ما يدلُّ عليها، حذفها، ولاســيّما أن المقــام يضيقُ عن ذكرها فالشاعرُ يرثي والدته، وهو في حالة حزنٍ شديد عليهــا، فلمّــا كــان بإمكانه أن يُسقط من التركيب ما صار مفهوماً، حَذَفَهُ، ولعلّه أراد تهويل حالة الحزن التي يعيشها، فترك للمتلقّي أن يقدِّر كلَّ ما من شأنه أن يصلح سؤالاً بعد (كيــف). وقــال أبــو ماضي(٣):

---

(1) الديوان، ج١/٢٣.
(2) الديوان، ج٣/٤٠٥.
(3) الديوان، ٤٨٣.

فسَأَلْتُها أَوَ ليسَ من أجْلِ الْعُلا وهَنائِنا خَاضُوا الْوَغَى؟ قالتْ: بلى

حذف الشاعر جملة الجواب بعد حرف الجواب(بلى)لأنه معلوم، فقد وَرَدَ لفظُه ومعناه في

صيغة السؤال (أو ليس ٠٠٠خاضوا الوغى؟) فلو ذكرها، كان ذلك ضَرْباً من العبث والإطالة

لا معنى وراءه.

والنتيجة أنّ الحذف تغيير نحويٌّ في بنية التركيب أجازته القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح إذا كان التعبير الطبيعيّ الذي يجري على القاعدة الأصل لا يؤدّي المعاني والدلالات التي قصدها الشاعر من تركيبه وتعبيره. وهو أسلوبٌ ما زال مستخدماً على نحوٍ واسع في الشّعر العربيّ الحديث بالاستناد إلى ما ورد من استخدامه في دواوين الشُّعراء الخمسة.

الفصل الثالث: التحويل

التحويل في اللغة والاصطلاح:

التحويل في اللغة مصدر الفعل (حوّل) بمعنى (نقل) ومنه (تحوّل تحوُّلاً) أيْ (انتقل من حال إلى حال) والتحويل في الاصطلاح الصيرورةُ[١]. والتحويلُ العَدْلُ من لفظ إلى لفظ آخر، أيْ من صيغة صرفيّة إلى صيغة صرفيّة أخرى، أو من موقع نحويٍّ إلى موقع نحويٍّ آخر، جاء في حاشية الإيضاح العضديّ: "العَدْلُ أن تذكر لفظاً، وتريد غيره، نحو (عُمَرَ) والمقصود (عامر) وهذا هو الفَرْعيّة من أجل أنك إذا لفظت بـ (عُمَرَ) وأنت تريد (عامراً) كنت قد جعلت اللفظ دليلاً على معنى واسم، وهذا هو ما عيَّن لك الدلالة على شيئين، وليس الأسماء أصلاً في الدلالة على أكثر من شيء واحد، وإنّما ذلك للفعل؛ لأنه يدلّ على معنى وزمان، وإذا قلت: (ضرب زيدٌ) دلَّ على ضَرْبٍ وزمان ماضٍ، كما دلَّ (عمر) على المُسمَّى الذي هو الأصلُ، وإذا كان كذلك، كان خروجاً من حكم الأصول، وإذا خرج عن حكمها بالعدل، علمت أنه فَرْعيّة"[٢]، وجاء في مفتاح العلوم للسكّاكيّ: "هو تغيير الصيغة دون تغيير معناها كتغيير نحو (عامر وحاذمِة) في الأعلام، وواحد وأحَدَ إلى عشرة في غيرها إلى (عُمَرَ وحَذَامِ) وإلى (مَوْحَد وأُحاد) وإلى (مَعْشَر وعُشار)"[٣]. والتحويلُ هو الانتقالُ من البنية العميقة التي هي الأصلُ إلى البنية السطحية التي هي الفَرْع، ومنه أن تحوّل الفعل المبني للمعلوم ذا البنية العميقة إلى الفعل المبني للمجهول ذي البنية السطحيّة، وهذا التحويل يستوجب أن تقوم قواعد تحويلية عِدّة، الأُولى أن تحذف

(1) ينظر، معجم مصطلحات النحو العربي، ١٤١.
(2) الإيضاح العضدي، ٣٠١.
(3) مفتاح العلوم، ٤٤.

الفاعل من البنية العميقة، والثانيةُ أن تستبدله بالمفعول به أو الظرف المتصرّف أو الجارّ والمجرور المتصرّف أو المصدر في البنية السطحية، فيصير نائبَ الفاعل في تأدية الإعراب والمعنى، والثالثةُ أن تعيد ترتيب العناصر النحوية والعلاقات النحوية والمعنوية القائمة فيما بينها في البنية السطحية، لأن الترتيب قد اختلف، وتغيّرت العلاقات النحوية، فتغيّر موضعُ المفعول به، وشكلُه الإعرابيّ، ووظيفتُه، وعلاقتُه بالفعل، فصار تالياً للفعل بمنزلة الفاعل، وانتقل من النصب إلى الرفع لِيأخذ حكم الفاعل في الإعراب، وناب عن الفاعل في تأدية معناه بعد أن كان الفعلُ واقعاً عليه، وصارت علاقته بالفعل علاقة إسناد بعد أن كانت علاقة تعدية نحو (حُفِظت القصيدةُ) فنتجت هذه البنية السطحية للتركيب الإسناديّ بعد تحويله من البنية العميقة (حَفِظَ محمدٌ القصيدةَ) وخضع للقواعد التحويليّة الثلاث، الحذف والاستبدال، وتغيير الترتيب (1).

١- تحويل الجملة الاسمية:

يجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص عليها، والفعلُ الناقص ليس فعلاً حقيقيّاً، ولكنه في وزن الفعل الحقيقيّ، وهو يدلُّ على الزمن فحسبُ، والفعلُ الحقيقيّ يدلُّ على الزّمن والحدث، وإذا دخل على الجملة الاسمية، رفع الأوّل، ونصب الثاني، واكتسب عملي الرّفع والنصب في ركني الجملة الاسمية من شبهه بالفعل الحقيقيّ في اللفظ والزّمن والتصرّف، فهو يفيد الزّمان في الخبر، ووجودُ الخبر أغنى عن وجود الحدث في الفعل الناقص، ولذلك لا تتمّ الفائدة، ولا يكتمل المعنى إلّا به، وسُمِّي مرفوعه اسماً، ومنصوبه خبراً تفريقاً له من الفعل الحقيقيّ الذي يدلّ على الحدث والزمن، ويرفع الفاعل، وينصب المفعول به، والدليلُ على أنّ الجملة التي دخل عليها الفعلُ الناقص هي جملة محوَّلة، أنه إذا حُذِف الفعلُ الناقص، عادت إلى المبتدأ والخبر، نحو (كان زيدٌ قائماً) فإذا أسقطت الفعل الناقص (كان) عادت الجملة إلى الابتداء والخبر (زيدٌ قائمٌ)(2).

---

(1) ينظر، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ٦٠٧.
(2) ينظر، المقتضب، ج٩٧/٣، ١٨٩، ج٨٦/٤، والأصول في النحو، ج٨٢/١، وشرح المفصّل، ج٨٩/٧-٩٠.

وتحويلُ الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص عليها إنّما يكون لمعنى جديد يريده المتكلم، فإذا دخلت عليها (كان) أفادت أن معناها وقع فيما مضى، وهي تدلُّ في الغالب على الماضي المنقطع، أيْ إنّ اسمها اتَّصف بخبرها في الزَّمان الماضي، وانقطع في وقت التكلُّم هذا الاتِّصافُ، كقوله تعالى:﴿ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا ﴾[1] فقد حوّلت (كان) الجملة الاسمية (هم أشدُّ قوّة) ذات البنية العميقة إلى جملة فعلية ذاتِ بنية سطحيّة، وأفادت أن اتِّصاف اسمِها واوِ الجماعة بالقوّة الشديدة وقع في الماضي، وانقطع في الوقت الحاضر اتِّصافُهم بها، فتحوّل الحدثُ من صفة الثّبوت، والاستمرار إلى صفة الانقطاع. واتِّصافُ اسم (كان) بخبرها في الماضي يكون على ضربين، الأوّل يُراد به الاتِّصافُ بالحدث في الزمان الماضي على وجه الثّبوت في الماضي، وذلك إذا كان خبرها اسماً، نحو (كان محمدٌ شاعراً) فحوّلت الجملة الاسمية (محمدٌ شاعرٌ) إلى جملة فعلية بإدخال (كان) الناقصة عليها؛ لِتفيد اتِّصاف الاسم (محمدٌ) بصفة الشاعرية على وجه الثّبوت في الزمان الماضي الذي انقطع عن الزمان الذي شُكِّلت فيه الجملة، والثاني أن اتِّصاف الاسم بالخبر حدث مرّةً واحدة في الماضي المنقطع، وذلك إذا كان خبرُها فعلاً ماضياً، نحو قوله تعالى:﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ ﴾[2] فتحوّلت الجملة الاسمية (قميصُه قُدَّ من دُبُر) ذات البنية العميقة الأصل بدخول (كان) الناقصة عليها إلى الجملة الفعلية (كان قميصه قُدَّ من دُبُرٍ) ذات البنية السطحية؛ لِتفيد (كان) أن حدثَ قَدِّ القميص من الدُّبُر إنّما وقع مرّةً واحدة في الماضي المنقطع، ونحو قوله تعالى:﴿ فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ﴾[3] فتحوّلت الجملة الاسمية (قريةٌ آمنت) إلى جملة فعلية بدخول (كان) الناقصة عليها؛ لِتفيد أن اتِّصاف القرية بالإيمان وقع مرّة واحدة في الماضي المنقطع، ولتنتقل الجملة من الدلالة الثابتة إلى الدلالة المنقطعة،وقد أغلقت (كان) باب الاحتمالات الدلالية، وأفادت أن زمن تشكيل الجملة، هو غير زمن حدوثها، وهو إيمانُ القرية. وتتحوّل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بدخول (كان) الناقصة عليها؛

(1) التوبة، ٦٩.
(2) يوسف، ٢٧.
(3) يونس، ٩٨.

لِتدلّ على الماضي المتجدّد و المستمرّ والمعتاد، وذلك إذا كان خبرها فعلاً مضارعاً، فدلالتُها على الماضي المتجدِّد المستمرّ تعني أن اتِّصاف الاسم بالخبر حصل مرّة واحدة، واستمرّ في حينه، نحو (كنت أقرأ كتابي، فجاءني خالدٌ) فحوّلت الجملة الاسمية (أنا أقرأ كتابي) إلى الجملة الفعلية (كنت أقرأ كتابي) بإدخال (كان) عليها، وغيّرتَ بهذا التحويل المعنى والدلالة، فالجملةُ العميقة (أنا أقرأ كتابي) قبل تحويلها تدلّ على اتِّصافك بالقراءة، وممارستك لها في حدث مجرّد من الزمن، ولَمّا دخلت عليها (كان) دلّت على أنّ القراءة منك قد وقعت في الماضي، واستمرارك في القراءة في ذلك الزمان، وأمّا دلالتُها على الماضي المعتاد، فتعني أن اتِّصاف الاسم بالخبر وقع في الماضي، وهو عادةٌ ملازمة له، نحو قوله تعالى:﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾[1] فالجملةُ الاسمية الأصلُ (هم قليلاً من الليل ما يهجعون) تحوّلت إلى جملة فعلية لدخول (كان) الناقصة عليها، وتحويلُها إلى الجملة الفعلية غيَّر دلالتَها ومعناها، فأفادت (كان) أنّ اتِّصاف الاسمِ واوِ الجماعة بالخبر (يهجعون) وقع في الماضي، وأنه من عادتهم المستمرّة الملازمة لهم طولَ حياتهم أن يناموا قليلاً من الليل، ونحو قوله تعالى:﴿ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾[2] فدلالةُ الجملة الاسمية ذات البنية العميقة في الأصل (هم يعرشون) تختلف عن دلالة الجملة الفعلية ذات البنية السطحية (كانوا يعرشون) المحوَّلة بدخول (كان) الناقصة عليها، فالأُولى تدلّ على اتِّصافهم بصفة العرش على وجه الثّبوت دون تحديد الزمن، والثانية تدلّ على اتِّصافهم بها في الماضي، وأنها عادةٌ مستمرَّة فيهم، ملازمةٌ لهم طولَ حياتهم التي عاشوها.

ويمكن أن تدلّ (كان) على الدّوام والاستمرار بمعنى (لم يزلْ) أيْ تدلّ على اتِّصاف الاسم بالخبر في الماضي، واستمرار اتِّصافه به في الحاضر، وامتداده في المستقبل، نحو قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] فتحوّلت الجملةُ الاسمية (اللهُ غفورٌ رحيم) بدخول

---

(1) الذاريات، ١٧.
(2) الأعراف، ١٣٧.
(3) النساء، ٩٦.

(كان) الناقصة عليها إلى الجملة الفعلية (كان الله غفوراً رحيماً) لِتُفيد أن اتِّصاف الله تعالى بصفتي المغفرة لعباده، والرحمة بهم دائمةٌ ومستمرَّة، فالجملةُ بمعنـــى(كـــان اللهُ غفـــوراً رحيماً، ولم يزلْ كذلك) ونحو قوله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾[(1)] فتحوّلت الجملة الاســمية ذات البنية العميقة (الإنسانُ عجولٌ) بدخول (كان) الناقصة عليها إلى جملة فعليــة؛ لِتُفيــد اتِّصاف الإنسان بصفة العجلة على الدّوام والاستمرار، فالإنسانُ عجــولٌ فــي الماضــي، ومايزال عجولاً في الحاضر، وتستمرّ العجلةُ معه إلى المستقبل، فدلّت (كان) على ملازمة الاسم للخبر في كلّ الحالات والأزمنة، فالمعنى ليس له زمنٌ معيَّن، وهذا لا يعني غُمُوضَ الزمن الذي تشكَّل فيه، وإنّما يعني أنه موجود في كلّ زمن وأنه معنـــى لاينتهـــي. وقـــد تستعير من (صار) معناها، فتدلّ

على الصّيرورة والانتقال من حال إلى حال، نحو قول عمرو بن أحمر الباهليّ[(2)]:

بِتَيْهاءَ قَفْرٍ والْمَطِيُّ كأنّها　　　قَطَا الحَزْنِ قدْ كانتْ فِراخاً بُيُوضُها[(3)]

أيْ (صارتْ بيوضُها فراخاً) فحوّل الجملة الاسمية (بيوضُها فراخٌ) إلى جملـــة فعليـــة، فدلّت (كانت) على تحوُّل الاسم من حال إلى حال، فقد تحوّلت البيوضُ إلى فِراخ، وانتقلت من حالة الجمود والسّكون إلى حالة الحركة والحياة.

ويجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بدخول الفعل الناقص (صـــار) عليهـــا؛ لِتدلّ على انتقال الاسم من حال إلى حال، وتحوُّله من وَضْعٍ لم يكن عليه إلى وضْعٍ جديـــد انتهى إليه، فإذا قلت: (زيدٌ عالمٌ) أفدْتَ معنى اتِّصاف زيدٍ بصفة العالم وثبوتـــه فيـــه، وإذا قلت: (صار زيدٌ عالماً) دللْت على معنى جديد، فأفدت أن زيداً لم يكـــن يتّـــصف بـــصفة العالم، وإنّما قد انتقل إليها، وصارت له بعد أن لم تكن فيه، وإذا قلت: (زيدٌ غنيٌّ) أخبـــرت عن غناه على وجه الثبوت من دون أن تحدّد الزمان، وإذا حوّلت الجملة الاسمية الـــسابقة إلى جملة فعلية، وأدخلت عليها (صار) الناقصة، فقلت: (صار زيدٌ غنيّاً) غيّـــرت المعنـــى

(1) الإسراء، ١١.
(2) ابن أحمر الباهليّ، عمرو، الديوان، تح:حسين عطوان، مجمع اللغة العربية، بلا تاريخ، ١١٩.
(3) التيهاء: المفازة، والحَزْن: الأرض الغليظة، وكانت: صارت.

والدلالة، وأخبرت أن زيداً قد انتقل إلى حالة الغنى، وتحوّل إليها، وهي لم تكن فيـــه فـــي الأصل، فترك الحالة القديمة، وانتقل إلى حالة جديدة.

وإذا حوّلت الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال (ظلّ) الناقصة عليها، أفدت اتِّصاف الاسم بالخبر وقتَ النهار، أيْ وقت الظّلّ، نحو(ظلَّ أخوك يدرس)فتحوّلت الجملة الاســـمية ذات البنية العميقة(أخوك يدرس)إلى جملة فعلية بدخول(ظلَّ)الناقصة عليها، وتغيّر معناها، فدلّت (ظلّ) على اتِّصاف الاسم (أخوك) بصفة الدراسة وممارسته لها طولَ النهار، وهــذا معنى لا يؤدّيه التركيب الإسناديّ (أخوك يدرس).

وإذا أدخلت على الجملة الاسمية الفعلَ الناقص (بات) أفدت اتِّصاف الاسم بالخبر وقتَ المبيت أيْ في الليل، فإذا قلت: (بات أخوك يدرس) أخبرت عن اتِّصاف الاســم (أخــوك) بالدراسة و ممارسته لها ليلاً.

وإذا حوّلت الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (أصبح) عليها، دللْــت على اتِّصاف الاسم بالخبر وقتَ الصباح، نحوُ (أصبح أخوك يدرس) فقد أفــدت اتِّــصاف الاسم (أخوك) بالدراسة وممارسته لها في الصباح. وتفيد (أمسى) الناقصة اتِّصاف الاســم بالخبر في المساء، نحو (أمسى أخوك يدرس).

وتفيد (أضحى) الناقصة اتِّصاف الاسم بالخبر وقتَ الضحى، فإذا قلت: (أضحى أخــوك يدرس) أفدت اتِّصاف الاسم (أخوك) بالدراسة وقتَ الضحى، وهذا معنى لا تجده إذا قلت: (أخوك يدرس) لأنك دللْت على اتِّصاف الاسم (أخوك) بالدراسة دون أن تجعل لذلك زمناً يحتويه.

وتدلّ (ليس) الناقصة على نفي مضمون الجملة في الحال وقتَ تــشكيل الجملــة التــي يلفظها المتكلمُ، فإذا قلت: (محمدٌ ناجحٌ) أخبرت عن نجاحه، وإذا أدخلــت عليهــا (لــيس) الناقصة، وقلت: (ليس محمدٌ ناجحاً) نفيتَ نجاحَ محمد في الوقت الذي أنت فيــه، وكــأنّ نفيك ردٌّ على مُخبِر بنجاح محمدٍ، وأنت تعلم عدم وقوع هذا الحــدث والمعنــى، فنفيــت

وقوعه بـــ (ليس) الناقصة، وحوّلت الجملة الاسمية إلى جملة فعلية. أمّا إذا قُيِّدَتْ (لـــيس) بقيدٍ، كان نفيُها لاتِّصاف الاسم بذلك القيد، نحوُ قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾[١] فقد نفت (ليس) مضمون الجملة التي دخلت عليها، وهو عدمُ انصراف العذاب عـــن القوم في المستقبل، والذي دلّ على ذلك الظرفُ (يومَ) لأن عذاب الله واقع في المستقبل.

وتفيد (مازال، وما فتىء، ومابرح، ومانفكّ) استمرار الخبر، واتِّصاله بـــزمن الإخبـــار وقتَ تشكيل الجملة، فإذا قلت: (زيدٌ منطلقٌ) أخبرت عن انطلاقـــه فحـــسبُ، وإذا قلـــت: (مازال زيدٌ منطلقاً) أخبرت عن انطلاقه في الماضي واستمرار الانطلاق منه إلى الوقـــت الذي أنت فيه، وهذا معنى ليس موجوداً في في التركيب الأوّل. وإذا دخلت (مادام) علـــى الجملة الاسمية وحولتها إلى جملة فعلية، أفادت استمرار اتصاف الاسم بالخبر نحو قولـــه تعالى: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[٢] والأصل (أنا حيٌّ) فدخلت عليها (مـــا دام) الناقصة، وحوّلتها إلى جملة فعلية، بُنيتُها سطحية، ودلّت على وجوب أن يلتـــزم بالـــصلاة التي أُوصِي بها طالما أن الحياة مستمرّة فيه، وهذا معنى ليس في التركيب الأول.[٣]

وتستعير العرب الأفعال الناقصة، فتُوقع فعلاً ناقصاً في موقع فعـــل نـــاقص آخـــر[٤]، والحقيقة أنها تأتي بمعنى (صار) فتدل على التحول من حال إلى حال نحو قولـــه تعـــالى: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٥] فدخلت (ظلَّ) الناقصة على الجملة الاسمية (وجهُه مـــسودٌّ) وحوّلتها إلى جملة فعلية، وغيّرت معناها، وحلّت محلّ (صار) فأفادت تحوُّل وجـــهِ الـــذي يُولَد له أنثى من حال الابيضاض إلى حال السواد، وهذا تعبير مجازيّ، أيْ تحـــوّل مـــن

---

(1) هود، ٨.
(2) مريم، ٣١.
(3) ينظر، كتاب الشعر، ج٧/١، والمفصّل، ٣٤٣-٣٤٧، والمتبع في شرح اللمع، ج٢٥٧/١-٢٦١، وشرح المفصل، ج١٠٢/٧-١٠٨، وشرح جمل الزجاجي، ج٤١٩/١-٤٢٥، وجامع الدروس العربية، ج٢٧٥/٢-٢٧٧، والنحوالوافي، ج٤٩٤/١-٥٠٤، والنحو الوافي، ج٢٢٠/١- ٢٣٣.
(4) ينظر، شرح المفصل، ج١٠٢/٧.
(5) النحل، ٥٨.

الشّعور بالعِزّة إلى الشعور بالخِزي والعار، وهذا معنى لا نجــده فــي التعبيــر الأصــليّ (وجهُه مسوَدٌّ) ونحو قول الربيع بن ضبع الفَزَاريّ(١):

أصْبَحْتُ لاأحْمِلُ السِّلاحَ ولا أمْلِكُ رأْسَ البَعيرِ إنْ نَفَرَا

والقَصْدُ (صِرْتُ لا أحمل) فحلّت (أصبح) محلَّ (صار) في تأدية المعنى، ودلّــت علــى أن الشاعر قد تحوّل من حالة القدرة على حمل السّلاح إلى حالة عدم القدرة على حملــه، ونحو قول أُمِّ ثَوابٍ، وهي امْرأةٌ من بني هَزَان(٢):

أضْحى يُمَزِّقُ أثْوابِي ويَشْتُمُني أَبعْدَ ستِّينَ عندي تَرْجُو الأدبَا

والقصدُ (صار يمزِّق أثوابي)(٣).

ويجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال أفعال المقاربــة (كــاد، وأوشــك وكرب) عليها، وذلك لإفادة قُرْب وقوع الخبر على سبيل الوجود والحصول، فالفعلُ بعــد (كاد) قارب الحصول، ولم يحصل، نحو (كادت الشمسُ تغــرب) تريــد أن قُرْبَهــا مــن الغروب حصل، ولكنها لم تغرب، وهذا معنى لا تجده فــي التركيــب الأصــل (الــشمسُ تغرب) وإذا أردت تنفيس الوقت مع (كاد) وإبعاده عن الحاضر،أدخلت (أنْ) الناصبة فــي خبرها، فقلت: (كاد زيدٌ أن يموت) فأفدت بإدخال (كاد) على الجملة الاسمية (زيدٌ يمــوت) قُرْبَ موته، ولَمّا أردْتَ أن قرب موته أبعد في الوقــوع والحــصول، تــداركت الأمــر، وأدخلت (أنْ) الناصبة في خبرها كي لا يتبادر إلى ذهن المتلقي معنى لسْت تقصده.

وتحوِّل (أوشك) الناقصة الجملة الاسمية إلى فعلية، فيتحصّل معنى جديد، وهــو قُــرْبُ وقوع خبرها، لكنّ وقوعه أبعد في الاستقبال من خبر (كاد) لاقترانه بــــ (أنْ) الناصــبة، فهي للإسراع المفضي إلى القُرْب بخلاف (كاد، وكرب) نحو (أوشك النهارُ أن ينقــضي) فحوّلت الجملة الاسمية (النهارُ ينقضي) إلى جملة فعلية بإدخال (أوشك) الناقــصة عليهــا؛

---

(1) شرح جمل الزجاجي، ج٤٢١/١.
(2) ديوان الحماسة، ٢١٣.
(3) ينظر، شرح المفصل، ج١٠٢/٧، وشرح جمل الزجاجي، ج٤٢١/١-٤٢٥.

لِتُفيد قرب انتهاء اليوم، ولَمّا كانت (أنْ) الناصبة في خبرها، عُرِف أن انقضاءه ليس قريباً جِدّاً، وهذا معنى لا تجده في التركيب الأصل (النهارُ ينقضي).

وتحوّل (كرب) الناقصة الجملة الاسمية إلى جملة فعلية؛ لِتفيد القرب الشديد لِوقوع الخبر، فهي مثلُ (كاد) نحو (كرب المطرُ يهطل) فلو قلت: (المطرُ يهطل) احتمل كلامك معنيين، الأوّلُ إخبارُك عن هطول المطر في الزمن الذي أنت فيه، والثاني إخبارُك عن هطوله في المستقبل، أمّا وقد قلت: (كرب المطرُ يهطل) فقد جعلت الدلالة قطعية، لأنك أخبرت أن المطر لم يهطل في الوقت الذي ركّبت فيه الجملة، وأن هُطوله قريبٌ جِدّاً، أمّا إذا أردت أن تُبعد عنها معنى القرب الشديد، أدخلت (أنْ) المصدرية في خبرها، نحو قول أبي زيدٍ الأسلميِّ هاجِياً[١]:

سَقَاها ذوو الأحلامِ سَجْلاً على الظَّما وقدْ كَرُبَتْ أعْناقُها أنْ تَقَطَّعا

فأدخل (أن) المصدرية في خبر (كرب) الناقصة؛ لِيدلّ على أن تقطُّع الأعناقِ قريبٌ، لكنه ليس قريباً جِدّاً[٢].

ويجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال أفعال الرجاء (عسى، وحرى، واخلولق) عليها وذلك إذا رَجَا المتكلمُ وقوع الخبر، وطمع في حصوله، نحو (عسى الله أن يشفي مريضك) فقد رجَوْتَ بإدخال الفعل الناقص (عسى) على الجملة الاسمية (اللهُ يشفي مريضك) شفاءَ مريضه، وطمعت في حصول الشّفاء له، وهذا معنى لست تجده في التركيب الأصل. والخبرُ مع (عسى) يُرجَى وقوعه في المستقبل البعيد؛ ولذلك كثُر دخول (أنْ) المصدرية في خبرها، نحو (عسى اللهُ أن يدخلني الجنّة) وإذا أردت بها المستقبل القريب، نزعْتَ (أنْ) من خبرها، وأنزلتها بمنزلة (كاد) في الدلالة على الزمن لا على المعنى، نحو قول هُدْبَة بن الخَشْرم[٣]:

---

(1) أوضح المسالك، ١٧٦-١٧٧.

(2) ينظر، شرح المفصل، ج٧/١١٩-١٢٤، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/١٧٩، وأوضح المسالك، ١٦٨-١٧٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/٢٨٩، والنحو الوافي، ج١/٥٥٦،٥٠-٥٦١، ومعاني النحو، ج١/٢٥٤-٢٦٢.

(3) ابن الخشرم، هدبة الديوان، تح:يحيى الجبوريّ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، دمشق،١٩٧٦م، ٥٤.

عسى الكرْبُ الذي أمْسَيْتُ فيه   يكـــونُ وراءهُ فَرَجٌ قريبُ

والأصلُ (الكربُ يكون وراءه فرجٌ قريبٌ) وهذا إخبارٌ عن وقوع الفرج بعــد الكــرب، ولكنّه لَمّا طمع في حصوله، ورجاه، أدخل (عسى) الناقصة على الجملة الاسمية الــسابقة، ولَمّا أراد أن يكون الفرجُ في القريب العاجل، وكأنّ نفسه ضاقت بالكربة التي ألمّــت بـــه، نَزَع (أنْ) الناصبة، وجاء بخبر (عسى) وهو (يكون وراءه فرجٌ قريبٌ) مجرَّداً منها.

وتفيد (حَرَى، واخلولق) المعنى الذي هو لــ (عسى) غير أن خبرهما يقترن بــــ (أنْ) المصدرية وجوباً، ولا يجوز تجرُّدُه منها؛ لأنهما للاستقبال دائماً.

ويجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال أفعال الشروع عليها للدلالة على شُرُوع الاسم بمباشرة الفعل الذي هو الخبرُ، والبَدْء فيه، وهذا معنى زائــد علـــى معنـــى الجملة الاسمية الذي دخلت عليه نحو (أنشأ خليلٌ يدرس) فقد حوّلت الجملة الاسمية (خليلٌ يدرس) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (أنشأ) عليها لتدلّ على شُرُوع خليـــلٍ بفعـــل الدراسة، وهذا معنى ليس في التعبيرالأصل (خليلٌ يدرس) لأنك تخبر عن دراسته فحسبُ، ومثلُه قوله تعالى:﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾[١] فالجملةُ معناها أن آدم عليه الـــسلام وحوّاء بدأا بفعل الخـــصف، وهـــذا معنـــى لا يتحـــصّل فـــي التركيـــب الأصـــل(همـــا يخصفان)واللافتُ ذكرُه أن خبرها واجب التجرُّد من(أنْ) المصدرية[٢].

ويجوز تحويل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بإدخال فعل من أفعال الظّنّ أو اليقين أو التحويل عليها، والغرضُ منه إفادةُ معنى الظّنّ والتشكيك في الخبر، نحو: (ظننـــت زيـــداً مجتهداً) والأصلُ (زيدٌ مجتهدٌ) وهذا إخبارٌ عن اجتهاد زيدٍ، ولَمّا لم تكن متأكِّداً من وجود صفة الاجتهاد فيه، استخدمت (ظنّ). وقد تأتي (ظنّ) وما شابهها بمعنى الاعتقاد واليقـــين الجازم، نحو قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾[٣]فالفعل(يظنّـــون)معنـــاه(يعتقـــدون

---

(1) الأعراف، ٢٢.

(2) ينظر، شرح المفصل، ج٧/١٢٤، وشرح جمل الزجاجي، ج١٧٩/٢،وأوضح المسالك، ١٦٨-١٧٦، وجامع الدروس العربية، ج٢/ ٢٨٩-٢٩٢، والنحو الوافي، ج٥٦٢/١-٥٦٥، ومعاني النحو، ج٢٤٩/١-٢٦٤.

(3) البقرة، ٤٦.

ويعلمون)ودليلُه مجيءُ(أنّ) المؤكِّدة بعدها، وهذا معنى لانجده في التركيب الأصـــل(هــم ملاقوا ربّهم)لأنه إخبارٌ فحسبُ، ونحو قول لبيد بن ربيعة[1]:

حَسِبْتُ التُّقَى والْجُودَ خَيْرَ تِجارةٍ رَباحاً إذا ما المرْءُ أصْبَحَ ثاقِلا[2]

والأصل (التّقى والجودُ خيرُ تجارة) وهذا إخبارٌ مجرَّد يحتمل التصديق والتكذيب، فلمّــا أدخل عليهــــا (حسب) جعلها بمعنى الاعتقاد واليقين الجازم، فصارت الجملة ذات دلالة قطعية، وسار المعنى في اتِّجاه واحد.

وإذا تحوّلت الجملة الاسمية إلى جملة فعلية بدخول فعل من أفعال اليقين(علــم، ودرى، وتعلّمْ ووجد، وألفى، ورأى القلبية)عليها، صارت دلالتُها قطعية محمولة علـــى الاعتقـــاد واليقين الجازم وليس للمتلقي أن يُنكر، وإنكارُه لن يُحوِّل المتكلم عن قصْدِه، وكــأنّ هــذا الفعل بمنزلة التوكيد الثابت، نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴾[3] والأصل (آبــاؤهم ضالّون) فلمّا دخلت عليها (ألفى) اليقينية، أكّدت مضمونها أيْ نسبة الضلال إلـــى آبـــائهم، فالتحويلُ زاد على المعنى الأصلي معنى التوكيد.

وإذا تحوّلت الجملةُ الاسمية إلى جملة فعلية بدخول أحد أفعال التحويل (جعــل، واتّخــذ وتخذ، وترك، وصيّر، وردّ) عليها، دلّت على أن المبتدأ قد تحوّل إلى الخبر، وأنه تحــوّل من حال، نحو قوله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[4] والأصل (هو هبــاءٌ منثــور) وهــذا إخبار، فلمّا دخل فعل التحويل (جعل) عليها، دلّ على أن عملهم لم يكن كذلك في الأصل، بل تحوّل إلى هباء، ونحو قوله تعالى:﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[5] فــدلّ فعــل التحويــل (اتّخذ) على تحوُّل المعنى الأصل وتغيُّره، والأصلُ (إبراهيمُ خليلٌ) ولَمّا لم يكن كذلك منـــذ

---

(1) الديوان، ١١٩.
(2) ثاقلا: ميّتاً.
(3) الصافات، ٦٩.
(4) الفرقان، ٢٣.
(5) النساء، ١٢٥.

البداية، وإنّما تحوّل إليها بإرادته سبحانه وتعالى، استخدم (اتّخذ) التحويلية للتعبير عن هذا المعنى[١].

وأفعالُ الظّنّ واليقين والتحويل أفعالٌ نفسيّة لا تتعدّى من الفاعل إلى غيره؛ لأنها أمـــور تحدث، وتحصل في داخله، فهي لا تتخلّى عن مفعوليها، أو عـــن أحـــدهما؛ لأن الحاجـــة والمعنى لا يتمُّ إلّا بهما، فهما في الأصل مبتدأٌ وخبر، فالحاجةُ إلى المفعول الأوّل الذي هو صاحب الخبر لإظهار المعنى كالحاجة إلى المفعول الثاني الذي هو موضعُ الفائدة[٢].

بقي أن أذكر أن الجملة الاسمية التي تقبل التحويل إلى الجملة الفعلية يُشترَط ألّا يكـــون المبتدأ فيها اسماً من أسماء الصدارة كأسماء الشرط والاستفهام و (كم) الخبرية، وألّا يكون ملازماً للابتداء، وذلك بعد (لولا) الشرطية، وألّا يكون حذفه واجباً، وذلـــك فـــي النعـــت المقطوع، وألّا يدلّ على الدّعاء، نحو (سلامٌ، وويلٌ) وألّا يكون (ما) التعجبيـــة،أو كلمـــات مسموعة عن العرب نحو (طوبى)[٣]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة المواضع التي تحوّلت فيها الجملةُ الاسمية إلى الجملة الفعلية. قال البارودي[٤]:

كانَ قلبي وَدِيعةً عند عَيْنَيْـــ ـــهِ فألَى بالسِّحْرِ ألّايُرَدّا.

حوّل الشاعر الجملة الاسمية (قلبي وديعةٌ) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (كان) عليها، فنصب الخبر (وديعةً) بعد أن كان مرفوعاً، وألغى علاقة الابتداء، ونقل الجملة إلى إطار الزمن الماضي بعد أن كانت مجرَّدة من الزمن. فقد أخبر الشاعرُ أن قلبه وديعةٌ عند عيني مَنْ يخاطبه، ولَمّا لم يكن هذا على سبيل الثُّبوت والاستمرار، وكان قـــد وقـــع فـــي الزمن الماضي، وانقطع، ولم يعد قلبُه في الوقت الذي شكّل فيه الجملة وديعةً عند عينـــي مَنْ يخاطب، أدخل (كان) الناقصة على الجملة الاسمية (قلبي وديعة). وقال الشابّيّ [٥]:

(1) ينظر، المفصل، ٣٣٥، وشرح المفصل، ج٦٤/٧، وارتشاف الضرب، ج٢٠٩٧/٤، وأوضح المسالك، ٢٢٣-٢٣٥، ومعاني النحو، ج٢٨٥/٢.
(2) ينظر، شرح المفصل، ج٧٨/٧.
(3) ينظر، النحو الوافي، ج١٦/١-١٨.
(4) الديوان، ج٢٣٦/١.
(5) الديوان، ٢٠١.

كان الصَّبيُّ يَصِيدُ   الْفَراشَ بينَ الزُّهُورِ

تحوّلت الجملة الاسمية (الصبيُّ يصيد) إلى جملة فعلية بدخول الفعل الناقص (كان) عليها، فتحرّرت من الثُّبوت بعد أن فقدت علاقة الابتداء. فقد نقل الشاعر إلينا حدثاً جرى في الماضي، وهو صيدُ الصبيّ للفراشات التي كانت تتنقّل بين الزّهور، ولَمّا كان ذلك منه في الماضي الذي مضى، وانقطع، وانفصل عن الزمن الحاضر الذي يؤلّف فيه الشاعر تركيبه، حوّل الجملة الاسمية (الصبيُّ يصيد٠٠٠الزهور) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (كان) عليها فتغيَّرت العلاقاتُ النحوية في التركيب، فصار الفعل الناقص (كان) العاملَ في الاسم (الصبيُّ) والخبر (يصيد). فقد أفادت (كان) الناقصة وقوع حدث الصيد من الصبيّ في الزمان الماضي على سبيل الاستمرار بدلالة الخبر (يصيد) الذي جاء به فعلاً مضارعاً، وبذلك أدّت الجملة الجديدةُ معنى إضافيّاً ما كان يؤدّيه التعبيرُ الأصل. وقال أبو ماضي(١):

وصِرْنا على الدُّنيا عِيالاً وطالَمَا   تعلَّمَ منها أهْلُها الْبَذْلَ والرّفْدَا

والأصل (نحن على الدّنيا عيالٌ) فهذه جملة اسمية، طرفاها المبتدأُ (نحنُ) والخبر (عيالٌ) والعلاقةُ بينهما إسناديّة، وهذا إخبارٌ مجرَّد من الزمن، وله صفةُ الثبوت والاستمرار. ولَمّا لم يكن المعنى الذي أراده الشاعرُ كذلك، وكان واقعاً في الماضي، وليس المبتدأُ (نحنُ) متّصفاً بصفة (عيالٌ) أصالةً، حوّل الشاعر الجملة الاسمية (نحن على الدنيا عيالٌ) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (صار) عليها، فألغى العلاقة الإسناديّة بين المبتدأ (نحن)الذي رُفِع بـ (صار) وبين الخبر (عيالٌ) الذي نُصِب بـ(صار). فدلّت (صار) على أن الاسم (نا) ليست حالتُه في الأصل أنه عيالٌ على الآخرين، وإنّما تحوّل إليها لظروف لم يذكرها الشاعر، ولكنه ترك للمتلقي أن يتبصّرها، ويسعى وراء تحصيلها بعد أن أعلمه حقيقة الأمر. وقال بدر الدين الحامد(٢):

---

(1) الديوان، ٢٥٦.
(2) الديوان، ج٢/٤٢٢.

إذَنْ أَصْبَحْتَ تحتَ التُّرْبِ مَيْتاً   وأيْتَمْتَ الحِمى أهلاً وسَاحَا

تحوّلت الجملة الاسمية (أنتَ تحت الترب ميْتٌ) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (أصبح) عليها، فصار العاملَ في ركنيها، ودلّ على أن الاسمَ التاء المتحركة لم يكن في الأصل ميْتاً، ولكنه تحوّل إلى ميْتٍ بعد أن كان حيّاً يتحرّك، وانتهى إلى الموت والرّكود وانقطاع الحركة بعد أن كان متحرِّكاً، كما دلّ على أن هذا الحدث قد وقع في الماضي، وانتهى، وأنه وقع في الماضي مرّة واحدة. فإدخالُ الفعل الناقص (أصبح) على الجملة الاسمية (أنتَ ميْتٌ) تغيير أجازته القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح؛ لأن التعبير الأصل لا يؤدّي الدلالات والمعاني التي قصدها الشاعرُ. وقال الباروديّ(١):

وأضْحَتِ الأَرْضُ لِفَيْضِ الْحَيَا   مَصْقُولَةً يلْهُو بِها النَّاظِرُ(٢)

حوّل الفعلُ الناقص (أضحى) الجملة الاسمية (الأرضُ مصقولةٌ) إلى جملة فعلية للدلالة على أن الأرض لم تكن مصقولة في الأصل، ولم يكن الناظر إليها يلهو بها، ولكنها تحوّلت إلى هذه الحالة، وهي حالة طارئة عليها بسبب كثرة المطر وغزارته، كما دلّت (أضحى) على أن الأرض صارت مصقولة بسبب الحَيَا الذي فاض عليها في الماضي، فصار المعنى مقيَّداً بالزمن الماضي بعد أن كان مطلقاً. وقال السيّاب(٣):

وجَيْكُورُ شابَتْ وولَّى صبِاها

وأمْسى هَواها

رَماداً إذا ما تأوَّهْنَ هَزَّتْهُ رِيحٌ

حوّل الشاعر الجملة الاسمية (هواها رمادٌ) إلى جملة فعلية بإدخال الفعل الناقص (أمسى) عليها للدلالة على أن الاسم (هواها) لم يكن في الأصل رماداً، وإنّما تحوّل إلى

(1) الديوان، ج٢/١١٦.
(2) فيض الحيا: المطر، ومصقولة: مجلوّة ذات بهجة.
(3) الديوان، ١٣١.

حالة الرماد فيما بعد، ولولا دخولُ (أمسى) الناقصة، لأَفاد أن جيكور، وهي قريتُـه، هـي رمادٌ في الأصل، وهذا خلاف المراد، كما دلّت (أمسى) الناقصة أن هـوى جيكـور قـد تحوّل إلى رماد في الماضي، فهذا حدثٌ مضى، وانقطع ، فنقلت (أمسى) الجملة الاسـمية من بنيتها العميقة إلى بنية سطحية؛ للدلالة على تحوُّل الاسم (هواها) من حالة عدم الرماد إلى حالة الرماد، أيْ تحوُّله من حال إلى حال. وقال أبو ماضي(١):

ليستْ قِباباً ما رأيتُ وإنّما عَزْمٌ تمرَّدَ فاسْتطالَ قِبابا

الأصلُ (ما رأيتُ قبابٌ) فـ (ما) الموصولةُ مبتدأ، و (قبابٌ) خبر، ولمّا لم يكن الأمـر كذلك في الأصل، نفى الشاعر المعنى بـ (ليس) الناقصة التي حوّلت الجملة الاسمية التي دخلت عليها إلى جملة فعلية؛ لِتسلبها مضمونها وكأنّ أحداً أراد أن يُقنع الشاعر أنّ ما رآه قبابٌ، ولَمّا لم يكن الأمر كذلك، واختلفت رؤيةُ الشاعر عن رؤية مَـنْ يحدّثـه، أو مَـنْ يخبره، نفى بـ (ليس) الناقصة التي ألغت علاقة الابتداء من الجملة الاسمية التي دخلـت عليها، فرفعت الاسم (ما) ونصبت الخبر (قباباً) ودلّت على ثبوت النفـي وجُمُـوده فـي الماضي بدلالة الفعل (رأى) الذي هو من متمّمات (ما) الموصولة التي هي اسـم (لـيس). وقال الشابي(٢):

غيرَ أنّ اللّيلَ قد ظلَّ رَكُوداً جامداً

أخبر الشاعر عن ركود الليل وجموده، ويبدو أنه شكّل الجملة الاسمية (الليـلُ ركـودٌ جامد) للتعبير عن هذا المعنى، ولعلّ أحداً ما قد وقع في وَهْمه أن الحدث قد وقـع مـرّة، وانقضى، وهذا خلاف ما يريده الشاعرُ الذي قصد أن يفيد أنّ ركود الليل وجموده مـازالا مستمرَّين، فأدخل الفعل الناقص (ظلَّ) على الجملة الاسمية (الليلُ ركودٌ جامـدٌ) فتحوّلـت إلى جملة فعلية بعد أن فقدت معنى الابتداء، وتغيَّرت العلاقات النحوية في الجملة، فلم يعد

(1) الديوان، ١٣٤.
(2) الديوان، ١٤٦.

الابتداءُ رافعاً للمبتدأ، والمبتدأ رافعاً للخبر، وإنّما صارت(ظلّ)الناقصةُ العاملةَ فيهما عملي الرفع والنصب. وقال بدر الدين الحامد[١]:

كادَتْ فلَسْطينُ الضّحِيَّةُ تُنْتَسَى   وتَكادُ تَخْفُتُ رنَّةُ الإعْوالِ

حوّل الشاعر الجملة الاسمية (فلسطينُ تُنَتسى) إلى جملة فعلية بإدخال (كاد) الناقصة عليها؛ للدلالة على قرب وقوع الخبر (تنتسى) لأنه لم يقع بعدُ، بل اقترب من الوقوع والحدوث. فلمّا رأى الشاعر حالة فلسطين، وحالة النّاس الذين انشغلوا عن أمرها، وكأن انشغالهم قرّبهم من نسيان معاناتها وهمومها، أدخل (كاد)الناقصة على الجملة الاسمية (فلسطينُ الضحيّة تنتسى) لينبّه المتلقي إلى حقيقة الأمر، ويحذّره من وقوع الخبر (تنتسى) وهو يعبِّر بذلك عن حزنه وألمه ودهشته واستغرابه من قرب وقوع الخبر، وهو نسيانُ فلسطين. وقال البارودي[٢]:

ياغافِلاً عنّي وبينَ جَوانِحِي   لَهَبٌ يكادُ لَهُ الْحَشا يَتَقَطَّرُ

الأصلُ خُلُوُّ الجملة الاسمية من الفعل الناقص (يكاد) وهذا يجرّدها من الزمن، ويدلّ على

وقوع الخبر من المبتدأ (الحشا) وهذا خلاف الواقع والمقصود؛ لأن الحشا لم يتقطّر بعدُ، بل قارَب القربَ الشديد من التقطُّر، فالحدثُ إذاً لم يقع، بل اقترب قرباً شديداً من الوقوع، فلا بدّ إذاً للتعبير عن هذا المعنى من تغيير شكل التركيب بإدخال عنصر نحويّ جديد يؤدّي هذا المعنى، ويصلح حلولُه في هذا الموضع من جهة القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح، فأدخل الشاعر الفعل الناقص (يكاد) على الجملة الاسمية (الحشا يتقطّر) فحوّلها إلى جملة فعلية، وألغى معنيي الابتداء والإسناد، وأخبر عن قرب وقوع الخبر(يتقطّر) من الاسم (الحشا) لِيتنبّه المتلقي إلى حالته؛ لِيرأف به، ويشفق عليه. وقال الشابّي[٣]:

(1) الديوان، ج٣٢٢/١.
(2) الديوان، ج٦٦/٢.
(3) الديوان، ٢٦٩.

وفتاةٍ حَسِبْتُها معْبَدَ الْحُبِّ فألْفَيْتُ قلبَها ماخُورا[١]

حوّل الشاعر الجملة الاسمية (قلبها ماخورٌ) إلى جملة فعلية بإدخال فعل اليقين (ألفى) عليها، فتغيّرت العلاقاتُ النحويّة في التركيب، فألغى الشاعر علاقة الابتداء والإسناد بين المبتدأ (قلبُها) والخبر (ماخورٌ) وأنشأ علاقة نحوية جديدة بين فعل اليقين (ألفى) و المبتدأ (قلبها) والخبر (ماخور) هي علاقة التعدية، فتحوّلا من الرّفع إلى النصب؛ لأنهما مفعولان لفعل اليقين (ألفى). والغايةُ من التحويل في هذا السياق الدلالةُ على اتِّصاف المفعول الأوّل على سبيل الحقيقة بصفة (ماخورا) وهذا يزيل الشكّ من نفس المتلقي، ويحمله على الاقتناع بالمعنى الذي ألقاه عليه الشاعر، ولو ألقى التركيب خِلْواً من (ألفى) اليقينية وجاء به على الأصل، لَترك معناه عُرضة للشكوك والظّنون، وهذا خلاف المقصود. وقال البارودي[٢]:

يحسَبونَ الحياةَ في الذُّلِّ عَيْشاً   وهْوَ موْتٌ يعيشُ فيهِ اللِّئامُ

حوّل الشاعر الجملة الاسمية (العيشُ في الحياة ذلٌّ) إلى جملة فعلية بإدخال فعل الظّنّ (يحسب) عليها فتغيّرت العلاقاتُ القائمة بين عناصر التركيب، ففقدت الجملة معنى الابتداء، وأُلغِيت علاقة الإسناد بين المبتدأ (الحياةُ) والخبر (عيشٌ) ونشأت علاقة نحوية جديدة بين الفعل (يحسب) والمبتدأ (الحياة) والخبر (عيشٌ) هي علاقة التعدية؛ لأنهما صارا بعد تحويل الجملة الاسمية إلى فعلية مفعولين لفعل الظّنّ (يحسب) وانتقلت الجملة إلى حيِّز الزمن المضارع، وربّما المستقبل بعدما كانت مجرَّدة منه. فلو ألقى الشاعر تركيبه خِلواً من فعل الظّنّ (يحسب) وقال: (الحياةُ في الذّلّ عيشٌ) لَكان هذا الخبرُ راجعاً إليه، ودالّاً على رأيٍ ثابتٍ فيه، ولَمّا لم يكن المعنى والقصْدُ كذلك، أدخل فعل الظّنّ (يحسب) وهذا جعل المعنى موضع الشّكّ، وربّما زاد في إنكاره، وحثّ المتلقي على

---

(١) ماخورا: مكاناً للريبة والفسق والفساد.
(2) الديوان، ج٣/٥٩٥.

رفضه؛ لأن الحقيقة ليست كذلك، وهذا ما وضّحه الشاعر في الشطر الثاني؛ إذْ عدّ الحياة الذليلة موتاً للِّئام. وقال أبو ماضي[1]:

صيَّرَ الأرضَ جَنَّةً دونها الجَنَّةُ في الْحُسْنِ والْبَها والرُّواءِ[2].

الأصل (الأرضُ جنّةٌ) وهذا تركيبٌ اسميّ، طرفاه المبتدأ (الأرضُ) والخبر (جنّةٌ) والعلاقة القائمة بينهما علاقة إسناد، والتركيبُ بنمطه الاسميّ يدلّ على اتِّصاف المبتدأ (الأرضُ) بصفة (جنّةٌ) على سبيل الثبوت، والاستمرار، وأنه في الأصل كان كذلك. ولَمّا لم تكن الحقيقة التي عبّر عنها الشاعر كذلك، وأن المبتدأ (الأرضُ) قد تحوّل إلى الخبر (جنّةٌ) بفعل فاعل، وقصد به الإنسان، حوّل الجملة الاسمية إلى جملة فعلية فأدخل فعل التحويل (صيَّر) عليها، فألغى معنى الابتداء، وعدّى فعل التحويل (صيّر) إلى المبتدأ والخبر، فصارا مفعولين له، فتركا الرفع إلى النصب، فدلّ التحويل في هذا الموضع على صورتين للأرض، الأولى قبل أن يُبدِع الإنسان فيها، والثانيةُ بعد أن أبدع فيها. وفي هذا توجيه لعناية المتلقي واهتمامه نحو براعة الفاعل وصُنعه اللّذين ينبغي أن يقف عندهما. والشاعرُ مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحوية والاستعمال الصّحيح .

فتحويلُ الجملة الاسمية إلى فعلية بإدخال أحد الأفعال الناقصة أو الظّنّ أو اليقين أو التحويل عليها تغيير نحويٌّ أجازته القاعدة النحوية والاستعمالُ الصحيح إذا اعتقد المتكلمُ أن التعبير النمطيّ الأصلَ لا يؤدّي المعاني الإضافية التي يقصدها، فهو توسُّعٌ في استخدام اللغة، واحتياطٌ للمعنى بعد توسيع مساحته، وتوثيقٌ للعلاقة بين المتكلم والمتلقّي.

٢ – تحويل الفعل المتصرّف إلى الجامد:

التصرُّفُ هو قبول الكلمة التغيير، والجمودُ هو عدم قبول الكلمة التغييرَ، ويجوز تحويل الفعل المتصرّف إلى جامد لمعنى جديد يقصده المتكلم، ويرى ابن جنّي أن الفعل إذا ظلّ على حالته الأصلية، كان قاصراً عن إيصاله إلى المعنى الذي يريد لتركيبه النحوي أن

(1) الديوان، ٩٦.
(2) الرُّواء: المنظر الحسن.

يؤدِّيه. فتحويلُ الفعل المتصرّف إلى صيغة الجمود والثبات على صيغة واحدة يكسبه دلالة خاصّة واستعمالاً خاصّاً، ويفتح أمام المتكلم باللغة باباً آخر في الاستخدام، فتتسع اللغة التي يستخدمها؛ لأنه اكتسب بالتحويل عناصر نحوية جديدة قادرة على التعبير عن المعاني التي تتشكّل في ذهنه أو في نفسه، وهو يؤدّي بهذا التحويل معاني مُبالغاً فيها؛ لأنه نقل الفعل من حالته المعهودة إلى حالته الجديدة التي ليست له في الأصل[(١)].

ويجوز تحويل الفعل المتصرف إلى الجامد لإفادة معنى التعجّب بشرط أن يكون المتعجّب منه ليس ممّا اعتاد النّاس عليه، وأن يكون عظيماً وفخماً في نفوسهم، وأن يكون الذّهنُ قد تحيّر فيه؛ لأنه خرج عن أشباهه وأمثاله، وخفي سببُه على المتكلم، أو أراد المتكلم أن يبالغ في اتِّصافه بالفعل، وأن تكون الصفةُ من الصفات التي تنقص، أو تزيد، وندَر التعجّبُ من الصفات الثابتة، ويُشترَط في الفعل المحوّل في هذا الموضع أن يكون ثلاثيّاً تامّاً مثبتاً متصرّفاً مبنيّاً للمعلوم قابلاً للتفاوت لا يدلّ على لون أو عيب أو حلية، فيُحوّل إلى صيغة (ما أفْعَلَ الشيءَ) أو (أَفْعِلْ بالشيءِ) وهو في الصيغة الأولى يلزم الجمود في الزمان الماضي، وقد وجب استتار الفاعل فيه، وإذا كان لازماً، صار متعدِّياً إلى المتعجَّب منه، وتقدّمته (ما) التعجبية، ولزم ألّا يُفصَل بينه وبين (ما) وبين المتعجّب منه، نحو (ما أجمل زيداً) فقد حوّلت الفعل المتصرف (جمُل) إلى صيغة الجمود، وركّبته مع (ما) التعجبية والمتعجب منه (زيداً) في أسلوب نحويّ جديد، هو أسلوب التعجّب، وفعلت ذلك؛ لأنك لاحظت أن الجمال في زيدٍ قد فاق أقرانه، وبلغ فيه حدّاً لم تعتد أن تراه في المحيط الذي أنت فيه، وقد لا يكون جمالُه إلى الحدّ الذي أردت تصويره، لكنك قصدت المبالغةَ في تصويره، لِتكسب ودَّه ورضاه، أو تستعطفه، أو تسخر منه إذا لم يكن كذلك في الحقيقة، وإنّما جاز لك أن تلجأ إلى هذا التغيير اللغوي؛ لأن صفة الجمال قابلة للزّيادة والنقصان، ونحو قوله تعالى:﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[(٢)] فحوّل الفعل (صبر) المتصرف إلى صيغة الجمود؛ لأنه قصد التعجب من صبرهم على العذاب على سبيل المبالغة، وكأنك

(1) ينظر، الخصائص، ج٣/٤٦-٤٧، والجملة العربية والمعنى، ١٩٢-٢٢٢،١٩٣.
(2) البقرة، ١٧٥.

إذا قلت: (ماأجمل زيداً) فإنّما عنيت (شيءٌ جعله جميلاً) فأعلنت من بداية التركيب خَفَـاء السبب الذي جعل زيداً يفوق أقرانه في الجمال، فاستعظمْت الأمر، واستبهمته، وهو معنى دار في نفسك، وتشكّل في ذهنك، فأردت أن تُخرجه إلى حيِّز الوجود؛ لِيعرفه الآخـرون، فلجأتَ إلى التحويل، ونقلِ الفعل (جمُل) من باب نحويّ هُوَ لَهُ في الأصل، وهو التصرّفُ، إلى باب نحويّ آخر ليس له في الأصل، وهو الجمودُ. وقد يكون المـتكلمُ علـى درايـة بالسبب، ولكنه يريد إبهامه على المخاطب بغية التأثير فيه، وإقناعه بالمعنى الذي يحملـه الخطاب النحويّ الذي شكّله.

وكذلك يجوز تحويل الفعل المتصرّف المستوفي للشروط إلى صيغة (أفْعِـلْ بالـشيءِ) فيلزم الجمود على صيغة الأمر الذي زمنُه الماضي، وإذا كان متعدّياً، صار لازماً، وتلزم الباءُ الجارّة الزائدة فاعلَه الذي يُجَرُّ لفظُه بسببها، نحو (أحْسِنْ بزيدٍ) فقـد حوّلـت الفعـل المتصرف (حَسُنَ) إلى صيغة (أحْسِنْ) الجامدة، وقد فعلت ذلك؛ لأنك لاحظت أن حسنه قد فاق أقرانه، وزاد فيه إلى درجة جعلتك تنبهر به، وقد تحيّر ذهنُك في معرفة السبب الـذي جعله حسناً إلى هذا الحدّ، وجال في خاطرك هذا المعنى، ورأيت أن التعبير النمطيّ (زيـدٌ حَسَنٌ) لا يوصلك إلى التعبير عن المعنى الذي تشكّل في ذهنك، ونحو قوله تعـالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[1] فحوّل الفعلين المتصرفين (سمع، وبصر) إلى الجمود؛ لأن تأديـة المعنـى بنقل الفعل من باب إلى باب أقوى وأوسع وآكد، ولاسيّما أن البـاء الزائـدة مزيـدةٌ فـي المتعجب منه لتوكيد هذا المعنى[2].

ويجوز تحويلُ كلِّ فعل ثلاثيّ مستوفٍ للشروط السبعة من صيغة (فعَل) أو (فعِل) إلـى صيغة (فعُل) الجامدة ؛ للدلالة على معنى التعجب، وهذا التحويلُ لا يُفقد الفعـل المحـوّل معناه الأصليّ، وإنّما يكسبه معنى جديداً، هو التعجّب، ويدلّ على تحوُّل المتعجّب منه إلى هذه الصفة بعد أن لم تكن فيه في السابق، نحـو (فَهُمَ عمروٌ) أيْ صار فهيماً، فقد حوّلـت

---

(1) مريم، ٣٨.
(2) ينظر، المقتضب، ج٣/١٩٠، والأصول في النحو، ج١/٩٨-١٠٨، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/١٠٩، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/ ٥٣٨-٥٤٢، وشرح المفصل، ج٧/١٤٨، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٥٨٨، وارتشاف الضرب، ج٤/٢٠٧٧، وأوضح المسالك،٤٨٣، ومعاني النحو، ج٤/٢٣٨-٢٤٥.

الفعل المتصرف (فهِم) المستوفي لشروط التعجّب إلى صيغة (فهُمَ) الجامدة؛ لأنك لاحظت، وعرفت أن عمراً قد اتَّصف بصفة الفهم التي تمكّنت فيه إلى درجة يتعجَّب منها، فقد دللْت على ثبوت الفهم فيه، أو قربه من الثبوت، وهذا معنى لست تجده في التركيب الأصل (فهِم عمروٌ) لأنك تخبر عن فهمه فحسبُ دون أن تبيِّن درجة هذا الفهم، فقد تكون عنيت فهمَه مسألة ما دون المسائل الأخرى، أمّا وقد نقلت الفعل إلى باب الجمود، فقد أفدت أنه فهم كلَّ شيءٍ، وهذا أدعى لتقديره واحترامه، ونحو قوله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾(1) فحوّل الفعل المتصرف (كبِر) إلى صيغة (كبُر) الجامدة للتعجب من الكلمة التي نطقوا بها،فقد بلغت هذا الكبر. ويجوز جرُّ فاعله بالباء الزائدة تشبيهاً له بصيغة (أفْعِلْ بالشيءِ) نحو (ظرُف بمحمد، وقبُح بخالدٍ)(2).

والفرْقُ بين التعجّب بصيغتي (ما أفعل الشيء، وأفْعِلْ بالشيءِ) والتعجّب بصيغة (فعُل) أن التعجّب بـ (فعُل) يدلّ على أن الصفة لم تكن في الشيء، وإنّما تحوّل إليها، وأمّا التعجّب بـ (ما أفْعَلَ الشيءَ، وأَفْعِلْ بالشيءِ) فيدلّ على أن الصفة كانت في المتعجب منه، ولم يتحوّل إليها، فإذا قلت: (فقُه خالدٌ) دللْت على أن خالداً قد مارس الفقه حتّى صار صفة مكتسبة له، وقد تحوّل إليها بعد أن لم تكن فيه، وإذا قلت: (ما أفْقَهَ خالداً، وأفْقِهْ بخالدٍ) دللْت على فقه خالدٍ الذي هو له في الأصل، فصيغةُ (فعُل) تصف تطوّر الحال وتحوّلَه بالنظر إلى حالة المتعجّب منه في الماضي، وصيغةُ (ما أفعل) تصف الحال دون النظر إلى الماضي، ودليلُ ذلك أن صيغة (فعُل) مازال فيها معنى الحدث والفعلية، فهي تُسنَد إلى الفاعل المرفوع، وتقبل تاء التأنيث الساكنة، نحو (كرُمتْ هندٌ) والضمائر نحو (الزيدان كرُما رجلين، والزيدون كرُموا رجالاً)(3).

وقد حُوِّل الفعلان (نعم وبئس) من التصرّف إلى الجمود، والأصلُ فيهما (نَعِمَ، وبَئِسَ) قال سيبويه: "وأصلُ (نعم وبئس) (نَعِمَ وبَئِسَ)، وهما الأصلان اللذان وُضِعا في الرّداءة

(1) الكهف، ٥.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج١/١١٤-١١٥، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٦٠١-٦٢٠، وأوضح المسالك، ٤٨٨-٤٨٩، والنحو الوافي، ج٣/٣١٤-٣١٧، ومعاني النحو، ج٤/٢٤٥-٢٤٨، والجملة العربية والمعنى، ٢٠٨.
(3) ينظر، معاني النحو ، ج٤/٢٤٥-٢٤٨.

والصّلاح، ولا يكون منهما فعلٌ لغيــر هذا المعنى"[١] يريد بــالرّداءة الــذّمّ، وبالــصّلاح المدحَ، وقال ابن يعيش مبيّناً سبب جمودهما: "أنّهما تضمّنا ما ليس لهما في الأصل، وذلك أنهما نُقِلا من الخبر إلى نفس المدح والذّمّ، والأصلُ في إفادة المعاني إنّما هي الحــروف، فلمّا أفادت فائدة الحروف، خرجت عن بابهــا، ومُنِعــت مــن التــصرّف كـــ(لــيس وعسى)"[٢].

وإذا انتقل الفعلان (نعم وبئس) إلى الصيغة الجديدة، لَزِما الجمود على صيغة الماضي، ويُستخدَمان بصيغة واحدة في كلِّ الحالات، ولزِم أن يكون الفاعل بعدهما جنــساً ليطــابق المعنى، فـــ (نعم) للمدح العامّ، و (بئس) للذّمّ العامّ، فإذا كــان الفاعــل جنــساً، دلّ علـــى العموم، وهنا يحدث التطابقُ بين معنييهما ومعنى الفاعل في الدلالة على العموم، ولو كان الفاعل غير جنسٍ، كان خاصّاً، والخصوصُ ينقض غرضي المدح والــذّمّ العــامّين، لأن الفعل إذا أُسنِد إلى عامٍّ عمَّ، وإذا أُسنِد إلى خاصٍّ خصَّ، كما يلزم أن يكون الفاعل معرَّفــاً بـــ (ال) نحو (نعم الرجلُ زيدٌ) أو مضافاً إلى معرّف بـــ (ال) نحو (نعم رجلُ القوم زيــدٌ) أو ضميراً مستتراً مميّزاً باسم نكرة يطابق الضمير المستتر، نحو (نعــم رجــلاً زيــدٌ) أو ضميراً مستتراً مميَّزاً بـــ (ما) نحو (نعم ما تقول الصدقُ) ويلزم أن يكــون الممــدوح أو المذموم من جنس الفاعل، ولا يجوز الفصلُ بينهما وبين فاعلهما. والغرضُ من التحويــلِ، هو المبالغةُ في المدح أو الذّمّ، فإذا قلت: (نعم الظريفُ زيدٌ) كنت قد بالغــت فـــي مدحـــه بصفة الظرافة، وأفدت أنه قد بلغ النهاية والغاية في هذه الصفة، وقد مدحته مرّتين الأولى مدحته مدحاً عامّاً مع الفاعل (الظريفُ) لأنه أحد أفراد الذين لهم هــذه الــصفةُ، والثانيــةُ مدحته مدحاً خاصّاً؛ لأنك عيّنته، ووجّهت الأنظار إليه، وأفدت أنه المقصود دون سواه من الظرفاء، وإذا قلت: (بئس الرجلُ زيدٌ) كنت قد بالغت في ذمِّه بصفة الرّجولة، وأفدت أنـــه قد بلغ النهاية والغاية في عدم اتِّصافه بها، وقد ذممته مرّتين، الأولى مـــع أفــراد جنـــسه (الرجلُ) والثانيةُ حين خصصتْه بالذّمّ، وعيّنته، وهذا أبلغ في إيلامه، والتشهير به، والنّيـــل

---

(1) الكتاب، ج١٧٩/٢، وينظر، المقتضب، ج١٣٨/٢.
(2) شرح المفصل، ج/١٢٧.

منه، والحطِّ من شأنه، وهذه معانٍ تولّدت في ذهنك، وخطرت في نفسك، وأدركت أن العبارة النمطية لا توصلك إلى هذه المعاني، وليس بإمكان التركيب النمطي الذي هو الإخبار أن يؤدّي المعنى الذي تريد، فانتقلت من حالة الإخبار إلى حالة الإنشاء، ومن صيغة التصرّف إلى صيغة الجمود؛ لِتفيد ثُبوت الصفة الحسنة في الممدوح، والقبيحة في المذموم(١).

ومن الأفعال المتصرّفة المحوَّلة إلى الجامد (حَبَّ) ومعناه صار محبوباً جِدّاً، وأصلُه متعدٍّ والغرضُ من تحويله المبالغةُ في المدح، ويزيد على (نعم) أنه يُقرِّب الممدوح من القلب. والتحويلُ يقتضي تركيبه مع (ذا) الإشارية؛ لِيكون فاعلاً لازماً له، فيصيران بمنزلة الكلمة الواحدة في الكتابة، ودليلُ ذلك أنه لا يجوز أن تتّصل به هاء التنبيه، أو كاف الخطاب، أو لام البعد، ويلزم (ذا) الإفراد والتذكير، فلا تجوز تثنيته ولا جمعه ولا تأنيثه، نحو (حبّذا زيدٌ، وحبّذا هندٌ، وحبّذا الزيدان، وحبّذا الزيدون) واختاروا (ذا) دون غيره؛ لأنه اسم مبهم يُوصَفُ بالأجناس، وحكمُ (حبَّ) كحكم (نعم) فركّبوه مع (ذا) لِينوب عن الأجناس؛ لأنه لا يُوصَف إلّا بها، والصفةُ والموصوف شيءٌ واحد، نحو قول جرير(٢):

يا حبّذا جبلُ الرَّيَّانِ من جبلٍ ... وحَبَّذا ساكنُ الرَّيَّان مَنْ كانا

فاستخدم (حبَّ) مع (ذا) لِيبالغ في مدح جبل الريّان، ولِيُفيد قربه من قلبه، ومنزلته عنده، وهذا معنى لا يؤدّيه (حبَّ) لو بقي على أصله. وإذا أُريد بـ (حبّذا) الذّمُّ سبقتها (لا) النافية؛ لِتسلبها معنى المدح العامِّ، وتُكسبها معنى الذّمِّ العامِّ، ولِتنقلها من المبالغة في المدح إلى المبالغة في الذّمِّ، و لِتدلّ على أن المذموم بعيدٌ من القلب، وهذا معنى ليس في (بئس) كقول

(1) ينظر، الأصول في النحو، ج١/١١١-١١٢، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٥٤٦-٥٤٨، وشرح المفصل، ج٧/١٣٠-١٣١، وجامع الدروس العربية، ج١/٧٦-٧٨، والنحو الوافي، ج٣/٢٩٨-٣٠٠، ومعاني النحو، ج٤/٢٥٦.
(2) الديوان، ٥٩٦.

زياد بن مُنْقذٍ العَدَوِيّ [١]:

لا حبّذا أنتِ يا صنعاءُ من بلدٍ   ولا شُعُوبُ هَوَىً منّي ولا نُقُمُ [٢]

فذمّ (صنعاء) ولَمّا أراد أن يبالغ في الذّمّ، ويفيد أنها بعيدةٌ من قلبه، وليس لها أيُّ نصيب في ودِّه وتقديره استخدم (لاحبّذا) فنقلها من باب التصرُّف إلى الجمود، فدلّ على أن ما ذمَّها به ثابتٌ لا يتغيَّر [٣].

وتوسَّعوا في هذا الباب، فأجازوا تحويل أيِّ فعل ثلاثيٍّ متصرِّف مستوف لشروط التعجّب من صيغته الأصلية المتصرّفة (فعَل) أو (فعِل) إلى صيغة (فعُل) الجامدة للدلالة على المدح أو الذّمّ، والتحويلُ لا يُفقد الفعلَ معناه الأصليّ، وإنّما يضيف إليه معنى جديداً، هو المدحُ أو الذّمّ ممتزجين بالتعجّب، نحو قوله تعالى :﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[٤] فحوّل الفعل (ساء) إلى صيغة (فعُل) لقصد المبالغة في ذمّ القوم الذين لم يؤمنوا بآيات الله دون أن يفقد معناه الأصليّ، وهو الدلالةُ على السوء.

ويأخذ الفعلُ حكم (نعم وبئس) في الجمود على صيغة الماضي، ولزومِ أن يكون فاعله معرَّفاً بـ (ال) أو مضافاً إلى معرَّف بـ (ال) أو ضميراً مستتراً مميّزاً بنكرة، أو مميّزاً بـ (ما) نحو (حفُظَ الرجلُ خالدٌ) و (حفُظَ رجلُ القوم خالدٌ) و (حفُظَ رجلاً خالدٌ) و (حفُظَ ما خالدٌ)[٥]. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة تحويل الفعل المتصرّف إلى حالة الجمود والثبوت، نحو قولِ الشابّي[٦]:

خبِّروا قلبي فما أقْسَى الجِراحَ   كَيْفَ طَارَتْ نَشْوَةُ الْعَيْشِ الْحَميدْ

(1) حماسة أبي تمّام، ٤٣٤.
(2) نُقُم أو نقم: جبل مُطِلٌّ على صنعاء
(3) ينظر، الأصول في النحو، ج١/١١٤-١١٥، وشرح المفصل، ج٧/١٣٨، والنحو الوافي، ج٣/٣١٠-٣١٣، ومعاني النحو، ج٤/٢٦٤-٢٦٧.
(4) الأعراف، ١٧٧.
(5) ينظر، الأصول في النحو، ج١/١١٤-١١٥، وشرح المفصل، ج٧/١٢٩، وارتشاف الضرب، ج٤/٢٠٥٦، وأوضح المسالك، ٤٨٨-٤٨٩، وجامع الدروس العربية، ج١/٨٤-٨٧، والنحو الوافي، ج٣/٣١٤-٣١٧، والجملة العربية، ٢٠٨، ومعاني النحو، ج٤/٢٥٧-٢٦٦.
(6) الديوان، ٢٢٨.

رأى الشاعر أن الجراح التي أصابت قلبه كثيرة، ولَمّا أحسّ قسوتها عليه قد تجــاوزت الحدَّ المألوف، تعجَّب من ذلك، فاحتاج إلى تنويع أسلوبه، فغيَّر الأبواب النحوية والصرفية لتركيبه وكلماته، فنقل الفعل الثلاثي المتصرف (قسا) إلى صيغة (أفْعلَ) الجامدة، وأدخــل عليها (ما) التعجبية، وأتبعه بالمتعجّب منه (الجراح) وعدّاه إليه. فلمّا اجتمعــت العناصــر الجديدة (ما) التعجبية، وفعل التعجّب الجامد (أقْسى) والمتعجب منه (الجراحَ) إلى جانــب بعضها في تركيب واحد، امتلكت القدرة على التعبير عن معنى التعجّب من القسوة الفائقــة للجراح، ودلّت على أن هذه القسوة العظمى متأصّلة في الجراح التي أصابت قلبه. فقد كان الفعل (قسا) قبل التحويل لازماً لاحاجة به إلى المفعول به، وبعد أن صــار جامــداً غــدا متعدّياً افتقر إلى المفعول به. إنّ المعنى الذي أراد الشاعر أن يعبِّر عنه تطلّــب منــه أن يغيِّر في الصورة التعبيرية لمفرداته وتركيبه، وأن ينشىء علاقات نحوية جديــدة بينهــا. وقال أبو ماضي[(١)]:

تَبكي بُكاءَ القانِطينَ وما   أَسْخَى دُمُوعَ الغادةِ الْبِكْرِ

رأى الشاعر فتاة تبكي بكاء غزيراً، فتعجّب من سخاء بكائها وكثرته، وأراد أن يبــالغ في ذلك، فاحتاج إلى أسلوب جديد، وإلى تعبير جديد يعبِّر به عن هذا المعنى، فلجــأ إلــى أسلوب التعجّب، وهو أسلوبٌ تجيز القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح استخدامه للتعبير عن معنى لا يستطيع التركيب النمطيّ تأديته، فحوّل الفعل (ســخا) مــن بــاب الأفعــال المتصرّفة إلى باب الأفعال الجامدة، ومن باب اللزوم إلى التعدّي، وجعلــه علــى صــيغة (أفْعلَ) الجامدة، ولَمّا كانت صيغةُ (أفْعَلَ) منفردة لا تؤدّي معنى التعجّب من سَخاء بكــاء الفتاة، وضَعَ قبلها عنصراً نحويّاً من شأنه ووظيفته النحوية أن يصلح في هــذا الموضــع، ويتساند مع الفعل (أسخى) في تأدية معنى التعجب، وهو (ما) النكرة التعجبية، ولَمّا لم يكن هذان العنصران كافيين لِتأدية المعنى المراد؛ لأنهما بحاجة إلى عنصر نحويّ ثالث، هــو المتعجّب منه الذي موضعُه بعد فعل التعجّب، جاء به في صورة المنصوب، و عدَّى فعــل

(1) الديوان، ٣٣٥.

التعجب (أسخى) إليه، فنتج التركيب (ما أسْخَى بُكاءَ الغادةِ البِكرِ) الذي مكَّن الشاعرَ من إظهار تعجّبه. وقال

البارودي[(١)]:

أَكْرِمْ بِطَلْعَتِهِ هِلالاً لم يزَلْ يَعْنو إليهِ هِلالُ كلِّ لِواءِ[(٢)]

أظهر الشاعر تعجّبه من الطلعة الكريمة للمتعجب منه محمدٍ ولدِ الخديوي إسماعيل، فلمّا تراءى للشاعر أن هذا المولود كان ذا طلعة بهيّة كريمة، وقد فاق نظراءه الذين افتقروا إلى مثل هذه الطلعة، احتاج إلى صورة تعبيرية خاصّة، وإلى أسلوب تعبيريّ خاصٍّ يؤدّي به معنى التعجب الذي أحاط به، ولفّ نفسه، فلجأ إلى أسلوب التعجّب الذي يُعَدُّ تنويعاً في أسلوب الشاعر وأدائه، فحوّل الفعل المتصرّف (كرم) إلى صيغة الجمود، وأورده على صيغة (أكْرِمْ) الجامدة، ولَمّا كان الفعلُ (أكْرِمْ) بصيغته الجديدة الجامدة لا يؤدّي وحده معنى التعجّب الذي يسعى الشاعر إلى إظهاره، أتبعه بالباء الزائدة التي أدخلها على المتعجّب منه (طلعتِه) الذي أورده في صيغة المجرور، فنشأت الصورة التعبيرية الجديدة (أَكْرِمْ بِطَلْعَتِهِ) لِتُظهر تعجّب الشاعر الذي خفي عليه سببُ تميُّز هذا المولود عن أقرانه، ولعلّه عرف ذلك، ولكنه أراد أن يُبهمه على المتلقي؛ لِيحتار ذهنه فيه، ويتحرّك خيالُه في تحصيله بغيةَ الإمعان في التأثير فيه. وقال البارودي[(٣)]:

أعداءُ غيبٍ ليس يَسلمُ صاحبٌ منهمْ وإخوةُ مَحْضَرٍ ورَخَاءِ

أَقْبِحْ بِهِمْ قَوْماً بَلَوْتُ إخاءَهُمْ فبَلَوْتُ أَقْبَحَ ذِمَّةٍ وَإِخاءِ

حوّل الشاعرُ الفعل المتصرّف (قبُح) إلى فعل جامد، وأورده على صيغة (أفْعِلْ) الجامدة؛ لأنه لمس قبحاً شديداً من أهل زمانه، وجهل أسبابه. فهو يعاشرهم معاشرة حسنة، أمّاهم، فيغتابونه، ولا يحفظون له الذّمّة والإخاء، فاستدعى الموقف أن يتعجّب من

(1) الديوان، ج١/١٧.
(2) يعنو: يخضع.
(3) الديوان، ج١/٢٢.

هذه الحالة، فاحتاج إلى ألفاظ جديدة تنشأ بينها علاقات نحوية جديدة في صـــورة تعبيريـــة جديدة وأسلوب جديد، فشكّل أسلوب التعجب الجديد الذي أورده على صيغة (أفعِلْ بالشيءِ) وهذا الأسلوب يقتضي أن يجمُد الفعل الذي يُتعجَّب منه على صيغة (أفْعِلْ) وأن تتلوه الباءُ الزائدة التي تدخل على المتعجب منه المجرور، وهذا ما فعلـــه الـــشاعرُ، فحـــوّل الفعـــل المتصرف (قبُح) إلى صيغة (أقْبِحْ) الجامدة التي أوردها في صيغة الأمـــر دون أن تفقـــد زمن الماضي، وأتبعها بالباء الزائدة التي أدخلها على المتعجَّب منه هاء الغائب، وكلٌّ هـــذه العمليّات التحويليّة للتعبير عن معنى التعجُّب الذي ليس للتعبير النمطيّ أن يؤدّيـــه. وقـــال البارودي(١):

عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ عليَّ بِقَدْرِ ما   عَظُمَتْ لَدَيَّ شَماتَةُ الحُسَّادِ

يتعجّب الشاعر من عظم المصيبة التي وردت عليه في منفاه بسرنديب، وهي خبرُ وفاة زوجته. ولَمّا كانت هذه المصيبة في شدَّتها على الشاعر، وتأثيرها فيه، ووقْعها عليـــه قـــد فاقت المصائب الأخرى التي عانى منها، وكابدها، أراد أن يعبِّر عن ذلك، وقـــد ظهـــرت دهشتُه، و احتار فكرُه منها، فاحتاج إلى تعبير جديد يؤدّي به معنى التعجّب، فحوّل فعـــل العظمة الثلاثي المتصرّف إلى صيغة (عَظُمَتْ) الجامدة، وأتبعه بالمتعجّب منه (مـــصيبتُه) ولم يفقد الفعل (عظُم) بهذا التحويل معناه الأصليّ، بل اكتسب معنى جديداً، هو التعجّـــب، ودلّ على أن المصيبة قد تحوّلت إلى هذه العظمة، لأنها اختصّت بزوجتـــه، ولـــولا أنهـــا مختصّة بزوجته، لَمَا استعظمها الشاعرُ، بل رآها هيِّنة سهلة مثل بقيّة المصائب. فالتحويل للأفعال من صيغة صرفية إلى صيغة صرفية أخرى تغيير في استعمالها، وتوسُّعٌ في أداء المعاني بأساليب متنوِّعة، وتأليفٌ للعناصر اللغوية في أنماط وأساليب تعبيرية جديدة يلجـــأ إليها المتكلم؛ لأنه يظنُّ أن الأساليب التعبيريـــة الأصل غير قادرة على تأديـــة الوظـــائف المعنوية التي من أجلها ألّف المتكلم تركيبه. وقال الباروديّ(٢):

لا جاهَ لِي إلّا بِطاعَتِهِ   ولَنِعْمَ عُقْبَى الطّاعةِ الْجاهُ

---

(1) الديوان؛ ج١/١٩٥.
(2) الديوان، ج٤/١٨١.

مدح الشاعر الجاهَ الذي هو مسبَّب عن طاعة الشاعر لله تعالى، ولَمّا كان الجــاهُ الــذي سببُه طاعةُ الله تعالى قد بلغ الكمال والنهاية في ذلك، وارتفع، وعَلا على كلِّ جاهٍ، لزِمَ أن يعبِّر الشاعرُ عن هذا المعنى بتركيب يؤدّيه، وصورة تعبيرية تُوضِّحه، وتنقلــه للمتلقـــي؛ ولذلك حوّل الفعل المتصرف (نَعِمَ) من صيغة (فَعِلَ) إلى صيغة (نِعْمَ) الجامــدة، والفعــلُ الجامد بعد التحويل لا يؤدّي المعنى وحده، فاحتاج إلى فاعل عــامٍّ يــدلّ علـــى الجــنس، ويصلح استعمالُه في هذا الموضع وهذا الأسلوب، فجاء بـــ (عُقْبى) المعرَّفــة بالإضـــافة إلى ما فيه (ال) الجنسية، ولَمّا لم يكن الفعلُ (نِعْمَ) مع فاعله (عقبى) كافيين لأداء المعنـــى، جاء بالمخصوص بالمدح (الجاهُ) الذي من أجله حدثت هذه التغييرات والتحويلات في بنية الفعل، وفي تأليف العناصر النحوية إلى جانب بعضها في أسلوب جديد، فظهــر التركيــبُ (لَنِعْمَ عُقْبى الطّاعةِ الجاهُ) في صورته التعبيرية الجديدة بعد التحويل وبعد إنشاء علاقــات نحوية جديدة، فانتقلت الجملة من الصورة التعبيرية الخبريـــة التـــي تحتمــل التــصديق والتكذيب إلى صورة تعبيرية إنشائية جديدة ليس للمتلقي لدى سماعها أن يحكم على صدْق الشاعر أو كذبه. وهذا التنويعُ في الأسلوب مكَّن الشاعر من مدح الجاه مــرّتين، الأولـــى حين مدحه مع أبناء جنسه (عقبى) وهذا مدحٌ عامٌّ، وبه استثار المتلقّي، والثانيةُ حين مدحه وحده، وأَفْرَدَهُ عن أبناء جنسه، وخصّه بالمدح دونهم، ولَفَتَ الانتباه إليه، وهذا الأســلوبُ الجديد أبلغُ في المدح من التعبير النمطيّ (أمدحُ الجاهَ). وقال بدر الدين الحامد[1]:

يا هَيْئَةً رَفَعُوها لِلْعَدالَةِ في   عَصرٍ هُوَ الظُّلْمُ صِرْفاً بِئْسَ مارَفَعُوا

ذَمَّ الشاعرُ هيئة الأمم المتّحدة التي زعموا أنها أُسِّسَت لإقامة العدل، ولَمّا كانت الحقيقة غير ذلك، وليس الهدفُ من تأسيسها تحقيقَ العدالة، استجلبَتْ ذَمَّ الشاعر الذي أراد أن يبلغ في ذمّه لها الكمالَ والغاية والثبوت، فحوّل الفعل المتصرّف (بَئِسَ) إلـــى صـــيغة (بِـــئْسَ) الجامدة، وجعل فاعله ضميراً مستتراً ميَّزه، وفسّره بـــ (ما) ثمّ حذف المذموم (هيئةُ الأمـــم المتّحدة) لدلالة السياق عليه، ولتقدّم ذكره، والتقدير (بئس ما رفعوا الهيئـــةُ) وهـــو بهـــذا

(1) الديوان، ج١/٢٧٠.

التحويل تحوّل إلى تعبير جديد، وإلى صورة تعبيرية جديدة فذمّ الهيئة مرّتين، الأولى حين شملها بالذّمّ العامّ مع جنس المذموم الذي دلّ عليه الفاعل المستتر المفسَّر بـــ (ما) والثانيـــةُ حين أفردها، وخصّها بالذّمّ، كما نقل التعبير من صورته الخبرية إلـــى صـــورة إنـــشائية لاتحتمل التصديق والتكذيب. وقال بدر الدين الحامد(١):

حبّذا طِيبُ ثَرىً فيهِ ثَوَى سَيِّدُ الأكْوانِ نِبْراسُ الأُمَمْ

حوّل الشاعر الفعل المتصرّف (حَبَّ) إلى فعل جامد لازم لغرض المبالغة وبلوغ الكمال والغاية العظمى في المدح؛ ولذلك لزِم أن يجعل فاعله (ذا) الإشارية التي التـــصقت بـــه، ولَمّا كان فعل المدح (حبَّ) وفاعله (ذا) لا يكفيان لتأدية معنى المدح، جاء بالمخـــصوص بالمدح (طيبُ) فنشأ أسلوب جديد، هو أسلوب المدح، واستخدامُ فعل المـــدح (حـــبَّ) دون (نعم) فيه دلالةٌ على قرب الممدوح (طيبُ) من قلب الشاعر ومكانته الرفيعة عنـــده. فلمّـــا رأى الشاعر أن التعبير النمطيّ (أحبُّ طيبَ ثرى٠٠٠وأمدحُه كثيراً) لا يؤدّي معنى المدح الذي يريد، غيّر تعبيره وأسلوبه، فنقل الأسلوب من صورة تعبيريـــة تحتمـــل التـــصديق والتكذيب إلى صورة إنشائية ليست له في الأصل، وغيرِ قابلة للشُّكوك والظّنـــون، وهـــذا أدعى لسرور الشاعر وراحته؛ لأنه يحقِّق الانسجام بين الشاعر والمتلقي والرســـالة التـــي هي المعنى الذي عبّر عنه الشاعر. والشاعرُ إذْ غيّر في أسلوبه، وتحـــوّل إلـــى تعبيـــر جديد،مدح ما أراد مرّتين، الأولى مع أبناء جنسه الذي عبّرت عنه (ذا) الإشـــارية وكأنـــه استثار المتلقي، واستوقفه إذْ قال: (حبّذا) وكأنّ المتلقي، وهو يسمع هـــذا التركيـــب، قـــال للشاعر: (مَنْ هذا الذي استحقّ هذا المديح الكامل؟) فجاء بالممدوح مفرداً عن أبناء جنسه، فقال (طيبُ ثرى٠٠٠) فمدحه بذلك مرّة ثانية. وقال أبوماضي (٢):

لَمّا نَعَوْهُ نَعَوْا إلينا سيِّداً شَرُفَتْ خَلائقُهُ وطابَ نِجارُ(٣)

---

(1) الديوان، ج٦٦٨/٢.
(2) الديوان، ٢٨٢.
(3) النّجار: الأصل والحسب.

مدح الشاعر خلائق المنعيِّ موسى كاظم الحسينيّ، فتحوّل من أسلوب إلــى أســلوب، ومن تركيب إلى تركيب، ومن صيغة فعلية إلى صيغة فعلية أخرى، فحوّل فعل الــشّرف إلى صيغة (فعُل) الجامدة في الماضي ممّا دلّ على أن خلائق المنعيّ موســى كــاظم قــد وصلت الكمال والغاية في الشّرف، وبلغت مرتبة شرفية ليس لخلائق أحــد أن تــساويها. فتحوّل من الأسلوب الخبريّ إلى الأسلوب الإنشائيّ، ومن صورة تعبيريــة نمطيّــة إلــى صورة تعبيرية جديدة. والتحويلُ إلى صيغة (شرُف) الجامدة لم يُفقد الفعل (شرُف) معنــاه الأصليّ بل حمّله معنى إضافيّاً، هو إفادةُ المدح، وربّما أراد معه معنى التعجّــب، فيكــون التحويل تغييراً مكّن الشاعر من تأدية ثلاثة معان بتعبير واحــد، هــي الــشّرف والمــدحُ والتعجُّب، وهذا من باب التوسُّع فــي استخدام العناصر اللغوية للتعبير عن معانٍ إضــافيّة لاتستطيع العناصر اللغوية تأديتها إذا استُخْدِمت في سياقاتها الأصلية.

والنتيجةُ أن تحويل الفعل المتصرّف إلى فعل جامد تغيير صرفيّ يصيب بنية الفعل، إلّا أن نتائجه نحوية وهو تغيير تجيزه القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح إذا رأى المــتكلم أن التعبيرات النمطيــــــة والأساليب الأصلية، واستخدام العناصــرالل‍غوية الفعليــة فــي أبوابها الأصلية لاتؤدّي المعنى الذي شكّــــل المبدعُ من أجله تركيبه.

٣- تحويل الفعل المعلوم إلى المجهول:

يجوز تحويل الفعل المعلوم إلى مجهول في زمني الماضي والمضارع، وهذا التحويــل يستدعي قواعد تحويليّة عِدّة، تبدأ بتغيير صيغة الفعل، فإذا كان ماضياً، بنيتَ أوّلــه علــى الضّمّ، وكسرت ما قبل آخره، نحو (ظُلِم عبدُ الله) وإذا كان مضارعاً، فتحتَ ما قبل آخره، نحو (يُظلَم زيدٌ) وبعد أن غيّرت صيغة الفعل، تحذف الفاعل، وتجعل في الكلام ما ينــوب عنه في تأدية الإعراب والمعنى، فيأخذ حكمه في الرّفع، فإذا كان ما بنيته للمجهول متعدّياً إلى مفعول واحد، أنبته عنه، نحو (ضُرِب زيدٌ) بدلاً من (ضربتُ زيداً) وإذا كان يتعــدّى إلى مفعولين، ناب الأوّل، نحو (أُعطِي زيدٌ درهماً) بدلاً من (أعطيت زيداً درهماً) وتجوز إنابة المفعول الثانــي إذا أُمِن اللبسُ، وفُهِم المعنى، وكان الغرضُ يتعلّق به، نحو (أُعطِــي

زيداً درهمٌ) ونحو (كُسِي زيداً ثوبٌ) من (كسوتُ زيداً ثوباً) وإذا كان يتعدّى إلـــى ثلاثـــة مفاعيل، ناب الأوّل، نحو (أُعلِم زيدٌ بكراً خيرَ الناس) بدلاً من (أعلمتُ زيداً بكـــراً خيـــرَ الناس).

ويجوز أن ينوب عن الفاعل المحذوف في هذا الموضع المصدرُ المتصرّف، نحو (سِيرَ سَيْرٌ شديدٌ) أوظرفُ الزمان نحو (سِيرَ يومُ الجمعة بزيدٍ) أو ظرفُ المكان، نحـــو (مُـــشِي ميلان به) أوالجارّ والمجرور المتصرّف، نحو(سِيرَ بزيدٍ فرسخاً). فتغييرُ الفعل المعلـــوم إلى مجهول يتطلّب منك كمتحدّث باللغة أن تغيِّر صيغة الفعل، وتتلوه بحذف الفاعـــل، ثـــمّ تنيب عنه عنصراً نحوياً ممّا سمحت اللغـــة بـــه، ثـــمّ تغيِّـــر العلاقـــات النحويـــة بـــين عناصرالتركيب. وتغييرُ صيغة الفعل الغرضُ منه التفريقُ بين معنيي الفاعل ونائبه، وأنت إذْ لجأت إلى هذا التحويل، ونقلت الفعل من بابه الأصليّ إلى باب ليس له فـــي الأصـــل، ونقلت المفعول به أو المصدر أو الظرف أو الجارّ والمجـــرور مـــن أبوابهـــا الأصـــلية واستخداماتها الأساسية إلى أبواب فَرْعية، واستخدامات جديدة، إنّما فعلـــت ذلـــك لمعنـــى تسعى وراءه، وترى أن التركيب النمطيّ لايؤدّيه وهي أغراضٌ ومعان تناولتها في حـــذف الفاعل، فلاأعيد شرحها وتوضيحها تحاشياً من الوقوع فـــي التّكـــرار(1). وكثـــرت فـــي دواوين الشعراء الخمسة التراكيب التي حُوِّل فيها الفعلُ المعلـــوم إلـــى المجهـــول. قـــال البارودي(٢):

وازْوَرَّ حاجبُها عنْ نَظْرَةٍ رَشَقَتْ   سَوادَ قلبي بِسَهْمٍ صِيغَ من حَوَرِ(٣)

حوّل الشاعر الفعلَ الثلاثي المعلوم (صاغ) إلى صيغة المجهول (صِيغَ) فنقله من بـــاب (فَعَلَ) إلى باب (فُعِلَ) وحوّله من الأصل إلى الفَرْع، وتحويلُه إلى المجهول تغييرٌ طارئٌ عليه، ثمّ حذف فاعله، وألغى علاقة الإسناد القائمة بينهما، وأناب عنه المفعولَ بـــه، وهـــو

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/٥٠-٥٢، والأصول في النحو، ج١/٧٧-٧٩، والمفصل، ٣٣٤-٣٣٥، وشرح المفصل، ج٧/٦٩-٧٤، ، وارتشاف الضرب، ج٣/١٣٤٠، وأوضح المسالك، ٢٨٢، وجامع الدروس العربية، ج١/٤٨، ج٢/٢٥٠، ومعاني النحو، ج٢/٦٨-٧١.
(2) الديوان، ج٢/٨٩.
(3) ازْوَرَّ: مال وتحرّك.

الضمير هاء الغائب العائد إلى (سهمٍ) بعد أن ألغى علاقة التعدية بينه وبين الفعل (صِيغَ) وأقام بينهما علاقة نحوية جديدة، هي الإسناد؛ لأن المفعول به (هاء الغائب) قد حلّ محلّ الفاعل في التركيب، وأخذ وظيفته الإعرابية والنحوية، وتغيّرت علاقتُه النحوية بعناصر التركيب. ولعلّ الغاية المعنوية من بناء الفعل (صِيغ) للمجهول، هي معرفة الشاعرِ وعلمه بالفاعل، وتقديرُه أنه لايخفى على المتلقي لدلالة الحال والعقل عليه؛ لأنه يصف فتاة جميلة قد تحرّك حاجبها بسبب نظرة جميلة من عينها الحوراء، ومن البديهيّ أن يكون حاجبها من صُنع الله تعالى وصياغته، وربّما أراد بتغيير أسلوب التعبير وتغيير صورة التركيب أن يركِّز على الأثر الذي تركه الفاعل المحذوف في المفعول به (هاء الغائب) الذي حلّ محلّه، وصار دليلاً عليه، وباعثاً على استعطافه؛ لأن المتلقي إذا عايَن الحاجب المتحرّك والنظرة الجميلة والعين الحوراء الفاتنة، استدلّ على الفاعل، فاستعظمه، واستعظم صياغته. وقال الباروديّ(١):

ولو لم يكنْ في الصَّبرِ أعْدَلُ شاهدٍ   على كَرَمِ الأخلاقِ ما حُمِدَ الصَّبرُ

غيّر الشاعر أسلوبه التعبيريّ، وأنشأ علاقات نحوية وتركيبية جديدة بين عناصر تركيبه (ما حُمِد الصبرُ) فالفعلُ المجهول (حُمِد) أصله المعلوم (حَمَدَ) فنقله الشاعر من بابه الأصل؛ ليتوسّع في استخدامه، ولِيحمِّله معنى لا يؤدّيه معلومُه، ثمّ حذف فاعله بعدما ألغى علاقة الإسناد بينهما، فزالت من التركيب علاقة نحوية لِتحلّ محلّها علاقة نحوية مماثلة، هي الإسنادُ، لكنّها بين الفعل (حُمِد) المجهول المحوّل عن بابه وبين المفعول به (الصّبر) الذي حلّ محلّ الفاعل المحذوف، وناب عنه في تأدية وظيفته الإعرابية والنحوية بعد أن فقد علاقة التعدية النحوية بينه وبين الفعل المجهول (حُمِد) الذي لم تعد به حاجةٌ إلى المفعول به. فالشاعرُ إذاً بعد أن غيّر صيغة الفعل (حُمِد) أعاد ترتيب العناصر النحوية وتوزيعها في التركيب؛ لِتنسجم العلاقاتُ النحوية الجديدة فيما بينها. ولعلّه حوّل الفعل (حُمِد) عن بابه المعلوم الأصل إلى المجهول لِجهله بالفاعل، فلو علِمه، لَذَكَرَهُ، أو للدلالة

(1) الديوان، ج٢/٩٧.

على وقوع فعل الحمد من فاعِلِينَ كثيرين يستحيل ذِكْرُهم جميعاً في التركيب، ولـــو ذكـــر بعضَهم، لأَوهم وقوع فعل الحمد للصبر منهم دون غيرهم، وهذا خلاف المقصود. وقـــال الباروديّ(١):

نادَيْتُ لَمّا لاحَ تحتَ قِناعِه   هذا المُقَنَّعُ فاحذَرُوا أن تُسْحَرُوا

أعاد الشاعر ترتيب العناصر النحوية وتوزيعها في تركيبه (أن تُسْحروا) لأنــه حـــوّل الفعل (يَسْحَر) من بابه المعلوم الأصل إلى صيغة المجهول (يُسْحَر) ولعلّ أصل التركيـــب هو (فاحذروا أن يَسْحركم المقنّعُ) فلمّا كان الفاعلُ معلوماً لكلٍّ من المتكلم والمتلقي لدلالـــة السّياق عليه، رَغِب الشاعر في حذفه وتغييبه، فبنى فعله (يسحر) للمجهول، فنقله من باب (يَفْعَل) إلى باب (يُفْعَل) وألغى علاقة الإسناد بينه وبين فاعله المحذوف (المقنَّـــعُ) وأحـــلّ المفعول به كافَ الخطاب محلّه. ولعلّه حوّل صيغة الفعل (تُسْحَر) إلى المجهول للتركيـــز على الحدث دون المُحْدِث، والانتباه إلى الفعل دون الفاعل؛ لأن الفتاة الجميلة التـــي بـــرز جمالُها من تحت قناعها، إنّما تميّزت بجمالها الذي أثرُهُ في الناظر إليها كالسِّحر، فإذاعايَن المتلقّي هذا التركيب، ووقف على الجمال الباهر للفتاة، وأدرك تأثيره السّاحر في الناظرين إليها، ازداد تعلُّقُه بها، واستدلّ عليها من أثرها، فكـــان كالمـــستدِلّ علـــى نـــزول الغيـــث باخضرار الرَّوض. وهذا التحويلُ تغييرٌ في الصورة الأسلوبية والنمط التعبيـــريّ لتأديـــة معان بأساليب فرعيّة جديدة لايؤدّيها التعبير الطبيعيّ. وقال الشابّيّ(٢):

خُلِقَ البلبُلُ الجميلُ لِيَشْدُو   وخُلِقْتنَّ لِلْغَرامِ السَّعيدِ

حوّل الشاعر الفعل المجهول (خُلِق) عن بابه المعلوم، فحذف فاعله؛ لأنه يعلمه، ويقدِّر أن المتلقي يعلمه، ولعلّه أراد بتحويله إلى هذه الصيغة المجهولة، وحذف فاعلــه، وإســناد مفعوله (البلبل) الذي حلّ محلّ فاعله إليه، أن ينزِّه الفاعلَ المحذوف عـــن اللـــسان بغيـــة استعظامه، والدّالُّ عليه الفعلُ (خُلِق) لأنه من فعل الله تعالى وحده، ولايصحّ أن يُنسَب إلى

(1) الديوان، ج٦٩/٢.
(2) الديوان، ٢٥٣.

غيره. فتحويلُ الفعل المجهول (خُلِق) عن بابه الأصل، وإقامةُ علاقة الإسناد بينه وبين مفعوله بدل فاعله نمطٌ أسلوبيّ جديد في التعبير، من شأنه ووظيفته أن يؤدّي المعنى الذي ليس للتركيب النمطيّ في صورته التعبيرية وأسلوبيّته المعهودة أن يؤدّيه. وقال الشابّيّ[١]:

لاأُبالِي وإنْ أُرِيْقَتْ دِمائي فَدِماءُ العُشّاقِ دَوْماً مُباحَهْ

ليس الفعل الماضي المجهول (أُرِيقَ) مستخدماً في بابه الأصل؛ لأن أصله معلوم، فحوّله الشاعر من باب (أَفْعَلَ) المعلوم إلى باب (أُفْعِلَ) المجهول، ثمّ غيّر العلاقات النحويّة القائمة بينه وبين عناصر التركيب، فحذف فاعله؛ لأنه لم تعد به حاجةٌ إليه، والقاعدةُ النحوية لا تسمح بذكره بعد أن تغيّرت صيغة فعله، ثمّ أنشأ علاقة إسناد جديدة بينه وبين مفعوله (دمائي) الذي صار فعلُ الإراقة مسنداً إليه بعد أن كان متعدّياً إليه، وهذا يعني أن أسلوب التعبير قد تغيّر، فانتقل الشاعر من صورة تعبيرية إلى صورة تعبيرية أخرى، ففقد التركيبُ علاقتين نحويّتين، هما الإسنادُ والتعديةُ. ولعلّ رغبة الشاعر في إنكار الفاعل عند الحاجة هي التي دفعته إلى مجموعة من التغييرات في أسلوبه، كان تغييرُ صيغة الفعل إلى المجهول أوّلَها، فهو يزعم أنه لن يبالي إذا كان مصيرُ دمائه الإراقةَ بسبب حبِّه لبلده تونس؛ لأن العشّاق هذا مصير دمائهم. ولعلّه قدَّر أنّ أحداً ما قد يتّهمه بشيء يُوجب القِصاص والعقوبة عليه لو أورد الفعل في صيغته المعلومة، ونسبه إلى فاعل معيَّن. وقال أبو ماضي[٢]:

فُجِعْنا به كالبدرِ عندَ تَمامِه ولم نَرَ بدراً قبلَه الأرْضَ وُسِّدَا

أحدث الشاعر في تركيبه (فَجَعنا به الموتُ) مجموعة من التغييرات النحوية والصرفية، بدأها بتغيير صيغة الفعل المعلوم (فَجَعَ) الذي حوّله إلى المجهول (فُجِعَ) وحذف فاعله (الموتُ) بعدأن ألغى علاقة الإسناد بينهما، فلم يعد الفعل (فُجِعَ) مسنداً إلى الموت، ثمّ ألغى علاقة التعدية بين الفعل المحوّل إلى المجهول ومفعوله الضمير (نا) الذي صار مسنداً إليه

(1) الديوان، ١٣٢.
(2) الديوان، ٢٤٧

أُسنِد إليه الفعل (فُجِعَ) وأخذ دور الفاعل المحذوف ووظيفته الإعرابية والمعنوية. كما تحوّل الفعل (فُجِعْنا) من البناء على الفتح إلى البناء على السكون؛ لأن (نا) التي اتّصلت به تحوّلت دلالتُها، فغدت دالّة على الفاعلين بعد أن كانت دالّة على المفعولين، ولعلّ السبب في تحويل الفعل (فُجِعَ) إلى المجهول، والتغييرِ في الأسلوب وصورةِ التعبير، رغبةُ الشاعر في تعظيم الفاعل المحذوف، وتعظيم حدث الموت، وإعلاء شأن المرثيّ، وربّما أراد أن يدلّل

على وقوع الحدث فجأة. وقال بدر الدين الحامد[١]:

إذا ذُكِرَ الرِّجالُ رَفَعْتَ رأساً من التَّقديسِ مَحْفُوفاً بِغارِ

حوّل الشاعر الفعل (ذُكِر) من صيغة المعلوم إلى صيغة المجهول؛ لِيتمكَّن من حذف فاعله، ولِيسنده إلى مفعوله (الرّجال) وهذه جملة من التغييرات التي أجازتها القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح. ولعلّه قصد بتحويل الفعل (ذُكِرَ) عن وجهته الأصلية أن يوجِّه الأنظار إلى المفعول به (الرّجال) الذي صار نائب فاعل، أيْ صار في الجملة عمدةً بعد أن كان فضلة، وربّما هذا دفع المتلقي أن يتفكّر، ويبحث عن سببه، فإذا عرف، وعلم أن الشاعر إنّما كان قصدُه إعلاءَ شأنِ الممدوح، وأن كلَّ صفات الرّجولة قد جُمِعت فيه، وأنه قد بلغ الغاية والكمال في ذلك، اطمأنّ الشاعر، وشعر باللّذّة والرّاحة؛ لأنه استطاع أن يوصل للمتلقي بتغيير أسلوبه وصورة تعبيره المعنى الذي من أجله شكّل تركيبه، ويكون التحويلُ بهذا وسيلةً نحويّة فنيّة لتأدية معنى ليس للتعبير النمطيّ والأسلوب المعهود أن يؤدّيه. وقال السّيّاب[٢]:

يا مَنْ غُرِرْتُ بحُبِّها زَمَناً اليومَ أَعقَبَ حُبَّكِ النَّدَمُ

حوّل الشاعر الفعل (غَرَّ) إلى الفعل المجهول (غُرَّ) والأصلُ في تركيبه (يا مَنْ غرَّتْني بحبِّها) لكنّه أراد أن يتناسى الفاعل (هي) التي سبَّبت له الألم، وأشعرته بالنّدم بعد أن

---

(1) الديوان، ج٦٣٨/٢.
(2) الديوان، ٤٦٩.

أحبّها، وتعلَّق بها ظنّاً منه أنه يجد عندها السعادة ومتعة الحبِّ، فلمّا وجد عنـــدها خيبـــة، ولمس منها التّغرير والزّيف والخداع بدل الحبِّ والعطف والمـــودّة، أراد أن يتناســـاها، أو ينساها، وينسب فعل الغَرَرِ إلى نفسه؛ لِيحمّلها المسؤولية، ويلومها علـــى عـــدم انتباههـــا ويقظتها، فبنى الفعل (غُرِرْتُ) للمجهول، وأسنده إلى مفعوله ياءِ المتكلم الذي صار نائـــب فاعل ومسنداً إليه، وتغيّر شكلُه، فصار في شكل التاء المتحرّكة؛ لأنه غدا ضـــمير رفـــعٍ يُسنَد الفعل إليه بعد أن كان ضمير نصب يقع الفعل عليه. إنّ تحويل الفعل (غُرِرْتُ) إلـــى المجهول تغيير في أسلوب الشاعر وأدائه، ورسمُ لوحةٍ فنيّة تظهر فيها صورتان للمعنـــى، هما صورةُ حَدَث الغُرور، وصورةُ نائب الفاعل التاءِ المتحرّكة الذي وقع عليه الغُـــرور، وقصد به الشاعرُ نفسه.

إنّ تحويل الفعل المعلوم إلى صيغة المجهول تغييرٌ صرفيّ تتغيّر به بنيـــةُ الفعـــل، ثـــمّ تتبعه مجموعة من التغييرات النحوية داخل التركيب بين العناصر اللغويـــة التـــي غـــدت عناصر نحوية، وهو تغييرٌ أجازته القاعدة والاستعمال الصحيح، وتتحقّق به الفائدةُ منه إذا كان ثمّة معنى يقف وراءه.

٤ – تحويل الفعل والجملة إلى اسم العلم:

يجوز تحويل الفعل من الفعلية إلى الاسمية؛ لِيصير اسم علم يدلّ على شيءٍ معيّن، قال الفارسيُّ : "ألا ترى أنّ الأفعال إذا نُقِلت، فسُمِّي بها، تُعرَب، وتُزال عمّا كانت عليـــه مـــن البناء قبل النّقل، ولاتختلف العربُ ولا النحويّون في ذلك، وإن كان عيسى قد خـــالف فـــي كيفيّة الإعراب" (١)

وإذا تحوّل الفعلُ من الفعلية إلى الاسمية، مُنِع الصّرف، وفقد معناه الأساســـيّ، وهـــو الدّلالةُ على زمن معيّن، واكتسب معنى جديداً لم يكن له في الأصل، وهو الدّلالـــةُ علـــى شيء معيّن على سبيل الثبوت والاستقرار فيه مجرّداً من الزّمن، وتغيّرت علاقاتُـــه مـــع

(1) كتاب الشعر، ج١/١١.

العناصر النحوية، فصار في موقع الاسم واستخداماته ومعانيه، فهو يؤدّي المعاني النحوية التي تؤدّيها الأسماءُ كالفاعلية والمفعولية والبدلية والإضافة، فيُسنَد إلى الفعــل، ويتعــدّى الفعلُ إليه، ويُضافُ الاسمُ إليه، وهو معمولٌ بعد أن كان عاملاً نحو (يشكُرُ ويزيدُ وأحمدُ) فإذا قلت: (حضر أحمدُ) كنت قد نقلت (أحمدُ) من باب الفعل المضارع إلى بــاب الاســم، واستخدمته فاعلاً بدل استخدامه فعلاً، وجرَّدته من الزّمن، وسلبته معنى الحمد، وأكــسبته معنى الدلالة على شخص معروف، فإذا سمعت هذه الجملة تبادرت إلى ذهنــك صــورةُ شخصٍ مذكَّر، ولم تتخيّل معنى الحمد، وإذا قلت: (رأيتُ يزيدَ) كنت قد نقلت (يزيدَ) مــن الفعلية إلى الاسمية، واستخدمته مفعولاً به، فعدّيت فعل الرؤية إليه، وجعلته معمولاً بعــد أن كان عاملاً، وسلبته كلَّ ما هو للفعل من العلاقات النحوية، وأعطيته كلَّ ما هو للاســم من هذه العلاقات، وتغيّرت دلالتُه في استخدامك، فالمتلقي لهذه العبــارة لا يتخيّــل حــدثاً يزيدُ، وإنّما يتخيّل صورةَ إنسان مذكَّر معروف. والإفرادُ والتذكيرُ والإنسانُ معانٍ جديــدة دخلته نتيجة التحويل، فتحويلُ الفعل في هذا الموضع صرفيٌّ، إلّــا أن ثمــاره نحويّــة[١]. ويجوز تحويل الجملة إلى الاسمية العلمية؛ لِتدلّ على شيء معيَّن معروف، نحــو (تــأبَّط شرّاً، وبرقَ نحرُه، وذرَّى حَبَّاً). والاسمُ المحوّل في هذا الموضع لا يُعرب بالحركــات ولا بعلامات الإعراب الأخرى، فهو جارٍ على الحكاية، ولا يتصرّف، ولا يُثنَّى، ولا يُجمَــع، ولا يُرَخَّم، ولا يُضاف[٢] نحو قول رجل من طُهَيَّة[٣]:

إنّ لها مَرْكَباً إرْزَبَّا   كأنّهُ جَبْهةُ ذَرّى حَبَّا[٤]

فنقل جملة (ذرّى حبّا) من الجملة الفعلية إلى العلميّة، واســتخدمه اســتخدام الأســماء، فأضاف إليه (جبهةُ) وغدت وظيفتُه النحوية في التركيب توضيح صاحب المضاف (جبهةُ)

---

(1) ينظر، الإيضاح العضديّ، ٢٩٥، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٢٦، وارتشاف الضرب، ج٢/٨٥٧-٨٦٨، ٩٦٧، وجامع الدروس العربية، ج١/١١٠، والنحو الوافي، ج٤/١٨٨-١٨٩.
(2) ينظر، شرح المفصل، ج١/٢٨، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٤٨٨، وارتشاف الضرب، ج٢/٨٩٣-٨٩٧، وجامع الدروس العربية، ج١/٢٥
*- يجوز تحويل الجملة الاسمية إلى اسم علم قياساً على الجملة الفعلية، نحو (زيدٌ قائمٌ) مع أنها غير موجودة في كلام العرب. ينظر، ارتشاف الضرب،ج٢/٨٩٣.
(3) شرح جمل الزجاجي، ج٢/٤٨٨.
(4) المركب: أعلى الفرج، ويُرْوَى: مَرْكَن: وهو الضَّرْع العظيم، وإرْزَبّاً: غليظاً.

فهو لا يدلُّ في هذا السياق على حدث، ولا عبرةَ للعلاقات النحوية القائمة بين عناصــره، فقد أُلغيت كلُّ المعاني التي كانت له، فصار يدلّ على شيء واحد، وأنت إذْ ســمعت هــذا التركيب لم يتبادر إلى ذهنك صورةُ فاعل يقوم بفعل التَّذرية، وإنّما تخيّلت إنــساناً مفــرداً مذكَّراً، وهي معانٍ جديدة أتته من التحويل، ولم أعثر في دواوين الشعراء الخمــسة علــى أسماء علم أصلُها الفعلُ أو الجملةُ.

٥- التحويل إلى اسم الفعل:

يجوز تحويل كلِّ فعل أمر ثلاثيّ إلى صيغة (فَعَالِ) لِيصير اسم فعل من دون أن يفقــد معنى الأمر، لكنْ تجتمع فيه الفعلية والاسمية، نحو (نَزالِ، ومَناعِ، وتَراكِ، ونَعــاءِ) مــن (انزلْ وامنعْ، واتركْ، وانعَ). قال زهير[١]:

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ أنتَ إذا   دُعِيَتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ

فحوّل الأمر الثلاثي (انزلْ) إلى اسم الفعل (نَزالِ) بصيغة (فَعَالِ) وقال جرير[٢]:

نَعَاءِ أبا ليلى لِكُلِّ طِمِرَّةٍ   وجَرْداءَ مثلِ القَوْسِ سَمْحٍ حُجُولُها[٣]

فصاغ اسم الفعل (نَعاءِ) من الأمر الثلاثي (انعَ).

وهو قياسيّ في الأفعال الثلاثية، سماعيٌّ فيما عداها، نحو (قَرْقارِ وعَرْعَارِ) من (قَرْقَــرَ وعَرْعَرَ) وإذا حُوِّل فعل الأمر إلى صيغة (فَعالِ) لزم آخره البناء على الكسر؛ لأن ما قبله ألفٌ ساكنة؛ ولأن الكسرة علامةُ المؤنّث نحو (لكِ وإنّكِ) بكسر كاف الخطاب للدلالة على المؤنّث، قال سيبويه: "فالحدُّ في جميع هذا (افْعَلْ) ولكنّه معدول عن حدِّه، حُــرِّك آخــره؛

---

(1) الديوان، ٤١.
(2) غير موجود في الديوان. الكتاب، ج٣/٢٧٢.
(3) طِمِرَّة: الفرس الجواد الشديد العَدْو والوثب، وجرداء: قصيرة الشعر سبّاقة، وسَمْح: ليّنة وخفيفة، وحجولها: قوائمها التي فيها بَياض.

لأنه لا يكون بعد الألف ساكنٌ، وحُرِّك بالكسر؛ لأن الكسر ممّا يُؤنَّث بــه، تقــول: (إنّــكِ ذاهبةٌ، وأنتِ ذاهبةٌ)"[١] وتعمل صيغةُ (فَعَالِ) المحوَّلة والمتضمِّنة معنى الأمر عَمَــلَ فعــل الأمر الذي حُوِّلت عنه، فقد نصب اسمُ الفعل (نَعاءِ) في بيت جرير المفعول به (أبا).

ويجوز تحويل المصدر إلى اسم فعل أمر، نحو (رويدكَ) بمعنى (تمهَّلْ) و (النَّجــاءكَ) بمعنى (انجُ) و (بَلْهَ) بمعنى (اُترُكْ) وهو مصدرٌ لافعلَ له من لفظه، فتقول(رويدَ زيداً) أيْ (أمهلْهُ) و (بَلْهَ الشّرَّ) أيْ (اُترُكْهُ) والمصدرُ في هذا الموضع فَقَدَ المصدريّةَ، وانتقــل مــن باب الاسمية، وصار بين الاسمية و الفعلية، وانتقل من الإعراب إلــى البنــاء، واكتــسب معنى الفعل

الذي تضمَّن معناه.

ويجوز كذلك تحويلُ الجارّ والمجرور إلى اسم فعل أمر، نحو (عليك) بمعنى (الــزمْ) و (إليك) بمعنى (تنحَّ). والسّياقُ هو الذي يحدّد نوعه إن كان على أصله، أو كــان محــوَّلاً، فإذا قلت: (السّلامُ عليك) فقد استخدمت (عليك) جارّاً ومجروراً، وجئتَ به علــى أصــله، وإذا قلت: (عليكَ الصِّدقَ) فقد استخدمت (عليكَ) بمعنى (الزمْ) ونقلته من بابه الذي هو لــه إلى اسم فعل أمرٍ، والسّياقُ هو دليلُك في التفريق بين المعنيين.

والظرفُ مثلُ المصدر والجار والمجرور، يجوز تحويلُه إلى اسم فعل الأمــر، فيتــرك باب الظرفية، ولا يحدّد زمنَ الحدث أو مكانه، ويغدو اسمَ فعل يفيد معنى الطلــب، نحــو (دونك) بمعنى (خذْ) و (أمامك) بمعنى (انظرْ) و (مكانك) بمعنى (اثبت). فهذه الظــروفُ هجرت معانيها الأصلية؛ لأنها تحوّلت من وضعها الأصلي، واكتسبت معاني جديــدة؛ لأن تحويلها ونقلها إنّما كان لِتؤدّي معنى جديداً لاتؤدّيه، وهي في صيغها الأصلية، والــسياقُ هو دليلُك للتفريق إن كان الظرفُ في بابه الأصلي، وهو الظرفية، أو كان في بابه الجديد، وهو الطلب والأمرُ، فلو قلت: (الكتابُ دونَك) كنت قد استخدمت (دونك) ظرفاً، وأضــفتها إلى كاف الخطاب، وحدّدت مكان الكتاب، وإذا قلت: (دونكَ الكتابَ) فقد استخدمت (دونك)

(1) الكتاب، ج٣/٢٧٢.

لمعنى الأمر والطلب، ونصبت بها المفعول به (الكتابَ) فجعلتها عاملاً بعد أن كانت معمولاً في العبارة الأولى. وأسماءُ الأفعال المحوَّلة ثابتةٌ جامدة على صيغة واحدة، لاتتصرّف مع الضمائر، وتختصّ بضمير المخاطب وفاعلُها يستتروجوباً ولايجوز ظهوره وتُمنَع التنوين، ولاتؤكَّد بالنون مطلقاً، ولايجوز في الأغلب تقدُّم معمولاتها عليها[1].

ويُحوّل المتكلم فعل الأمر الثلاثي والمصدر والجارّ والمجرور والظرف عن وجهتها الأصلية إلى باب الأمر والطلب، والتوسّط بين الفعلية والاسمية؛ لأنه يسعى وراء التعبير عن معنى جديد طريقُه وسبيلُه هذا التحويل، فهو يتوسَّع في استخدام اللغة، ويبالغ في المعنى، ويُوجز، ويختصر. فتأديةُ معنى الأمر باسم الفعل أقوى من تأديته بالفعل، وهو أقدر من الفعل على إبراز المعنى كاملاً مع المبالغة، نحو قوله تعالى:﴿ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ﴾[2] فدلالةُ اسم الفعل (مكانكم) على الثبات وإيقاف الحركة والامتناع عنها أقوى من دلالة الفعل (اثبتوا) لأن اسم الفعل مجرَّد من الزمان، ففيه دلالةُ الفعل والاسم معاً، ونحو قول الشاعر[3]:

تَراكِها مِنْ إبلٍ تَراكِها　　　أمَا تَرَى الموتَ لَدَى أوْراكِها

فدلالةُ اسم الفعل (تَراكِ) على معنى التّرْك أقوى وأبلغ من دلالة الفعل (اُتْرُكْ) ولهذا السبب نقل فعل الأمر الثلاثي (اُتْرُكْ) من بابه الأصليّ إلى صيغة (فَعَالِ) لأنه في صيغته الأصلية يفيد معنى التّرك فحسبُ، وفي صيغته الجديدة يفيد معنى التّرك الشديد، وكقوله تعالى:﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[4] فدلالةُ اسم الفعل (عليكم) المحوّل عن الجارّ والمجرور على معنى لُزُوم النفس أقوى وأبلغ من دلالة فعل الأمر (الزمْ) لأن فعل الأمر (الزمْ) يدلّ على

---

(1) ينظر، الكتاب، ج١/٢٤١-٢٤٢ ،٢٤٩، ج٣/٢٧٠-٢٧٣ ،٢٨٠، والمقتضب، ج٣/٣٦٨، والأصول في النحو، ج١/١٤١-١٤٧، ج٢/١٣٠، والمفصل،١٩٩، وشرح المفصل، ج٤/٧٤-٧٥، وارتشاف الضرب، ج٥/٢٣٠٨-٢٣١٠، وأوضح المسالك، ٥٨٣، ومفتاح العلوم، ٤٣، وجامع الدروس العربية، ج١/١٥٩-١٦٠، والنحوالوافي، ج٤/١١٧-١٢٣، ومعاني النحو، ج٤/٣٧-٤٠.

(2) يونس، ٢٨.

(3) الكتاب، ج١/٢٤١، والمقتضب، ج٣/٣٦٨.

(4) المائدة، ١٠٥.

معنى اللُّزوم فحسبُ، وصيغةُ (عليكم) المحوَّلة تدلُّ على اللّزوم الشّديد، يُضاف إلى ذلك أن فائدة التحويل في هذا الموضع تتجلّى في الاختصار والإيجاز؛ لأن المتكلم يستخدم اللفظ الواحد؛ لِتأدية المعاني المتعدِّدة، فاسمُ الفعل يُستخدَم بلفظ واحد في جميع الحالات(١). وكثر في دواوين الشعراء الخمسة تحويلُ اللفظِ عن وجهته الأصلية إلى اسم فعل الأمر. قال البارودي(٢):

نَعَاءِ عليهِ أيُّها الثَّقلانِ فقد أقْصَدَتْهُ أسْهُمُ الْحَدَثانِ(٣)

حوّل الشاعر فعل الأمر (اِنْعَ) إلى اسم فعل الأمر (نَعاءِ) فنقله من بابه الأصل، ومن صيغته الصرفية (اِفْعَلْ) إلى الصيغة الصرفية (فَعَالِ) التي ليست له في الأصل. والمعنى هو الذي دفع الشاعر إلى تغيير أسلوبه في التعبير عن معنى الأمر، فهو يرثي علي رِفاعة الطّهطاوي وكيل وزارة المعارف المصرية، ولَمّا كان الخطبُ خطبُ وفاته غير يسير عليه، ووقعُه أليماً في نفسه، وحزنُه شديداً عليه، أراد أن يعبِّر عن ذلك بأسلوب جديد أقوى في تأدية المعنى من الأسلوب المعهود في الأمر، ولَمّا كان فعلُ الأمر (اِنْعَ) لا يحقّق هذا الغرض لدلالته على معنى النَّعيِ فحسبُ، نوَّع أسلوب خطابه وتعبيره، فحوّل فعل الأمر (اِنْعَ) إلى اسم الفعل (نَعَاءِ) لدلالته على الأمر الشديد، والمبالغة فيه، فأفاد بهذا التحويل ما أراد من معنى، وتوسَّع في استخدام اللغة، وهو مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحوية والاستعمال الصحيح. وقال أبو ماضي(٤):

وَحَذَارِ أشْراكَ السِّياسةِ إنّها بِنْتٌ أبوها الزِّئْبَقُ الْفَرَّارُ

يحذّر الشاعر من السّياسة ومن الوقوع في حبالها وأشراكها، ويبدو أنه أراد أن يزيد شِدّة التحذير ويُبالغ فيه، ويُظهر الحرص الشّديد على أن يُظهر المتلقي حذَرَه منها. وكأن المتلقي قد لا يقتنع بتحذيره، ولا يأبهُ بهِ إذا ألقاه عليه في صورة فعل الأمر المعهود لديه

(1) ينظر، الخصائص، ج٣/٤٦-٤٧، وشرح المفصل، ج٤/٢٥، ٤٩ ،والنحو الوافي، ج٤/١١٠-١١١، ومعاني النحو، ج٤/٣٧-٤٠.
(2) الديوان، ج٤/٩٩.
(3) أقصَدَتْه: أصابته إصابة مباشرة قاتلة، والحَدَثان:الليل والنهار، وحَدَثان الدّهر: نوائبه ومصائبه.
(4) الديوان، ٢٨٤.

(احذَرْ) ظنّاً منه ان خطر أشراك السّياسة ليس بالقدْر الذي ينبغي عليه أن يتجنّبه؛ ولـــذلك حوّل الشاعر فعل الأمر الثلاثيّ (اِحذَرْ) إلى صيغة فعل الأمر (حَذَارِ)، فانتقل من صـــيغة إلى صيغة؛ للدلالة على شِدّة التحذير. ففعلُ الأمر (اِحذرْ) يعبِّر عن الحذر فحسبُ، وهـــذا ما لا يريده الشاعرُ، واسمُ فعل الأمر (حَذَارِ) يعبّر عن الحذر الشديد، ويبالغ فيه، ويبـــرز خُطورة المحذَّر منه (أشراكَ السّياسةِ) الذي هو مفعول به، وهذا ما يقصده الشاعرُ الـــذي غيَّر أسلوبه، ونوّع فيه احتياطاً لِسلامة المعنى وقُوَّته. وقال الشابّي[١]:

ألاَ أيُّها الظَّالمُ المستَبِـــدُّ　　　حبيبَ الظّلامِ عَدُوَّ الحيـــــاةِ

رُوَيْدَكَ لايخْدَعَنْكَ الرَّبيعُ　　　وصَحْوُ الفَضاءِ وضَوْءُ الصَّبَـــاحْ

حوّل الشاعر المصدر (رُوَيْدَ) إلى اسم فعل أمر بمعنى(تمهَّلْ) فنقله من باب الاســـمية المجرَّدة إلى باب الفعليّة والاسمية، ومن التّصرّف إلى الجمود، وأدخله في حيِّز الزمن بعد أن كان محرَّراً منه، وألزمه كافَ الخطاب للدلالة على تنبيه المتلقي كي يستقبل الخطـــاب الملقى إليه، ويتبصَّر المعنى الذي فيه. فالشاعرُ يخاطب المستبدّ الذي أحبَّ الظّلم، وعادى الحياة، ويحذِّره من ثورة المظلومين عليه، ولَمّا كان غضبُ الشاعر علـــى المـــستبدّ فـــي درجة قُصوى قد بلغت أبعد الحدود، أراد أن يعبّر عنه بأسلوب يُظهره، ويوضّحه، فـــرأى أن فعل الأمر (تمهّلْ) لا يؤدّي هذا الغرض؛ لدلالته على معنى الأمر فحسبُ، وهذا معنى معتاد قد لايُثير المتلقّي؛ لأنه ممّا ألفه، واعتاد سماعه؛ ولهذا غيّر الشاعر أسلوب خطابـــه للمستبدّ، فتحوّل من صيغة أمريّة إلى صيغة أمريّة أخرى، فأظهر غضبه وتحذيره وتهديده بصيغة محوَّلة عن بابها الأصل للدلالة على قُوَّة الغضب والتهديد والتحذير، فهـــو يـــؤدّي معاني متعدّدة بأسلوب واحد وتعبير واحد. والشاعرُ في تغييره هذا يـــستفيد مـــن القاعـــدة النحوية التي أجازت لمتكلم اللغة هذا التغيير بتحويل العنصر اللغوي عن بابـــه الأصـــل؛ لِتأدية معان إضافيّة يعجز التعبيرُ النمطيّ عن تأديتها. وقال بدر الدين الحامد[٢]:

---

(1) الديوان، ٣٥٤.
(2) الديوان، ج١/٣٢٤.

رُوَيْدَكَ لاحَ الصُّبْحُ وانْتَظَمَ الرَّكْبُ فلا تسألِ الأيَّامَ عمّا جَنَى الْخَطْبُ

ليس المصدر (رُوَيْد) مستخدماً في بابه الأصل، بل هو اسمُ فعل أمرٍ بمعنى (تمهّلْ) فحوّله الشاعر عن بابه الأصل، وجعله بين الاسمية والفعلية، ففقد خُصُوصيّته الأصلية في اللغة كمصدر، فتحوّل من التصرُّف إلى الجمود، وما هذا التحويلُ إلّا لمعنى أراده الشاعر الذي قدّم في البيت مجموعة من المعاني، وهي لَوْحُ الصُّبح، وانتظام الرّكب، والنّهي عن سؤال الأيّام عمّا جناه الخطبُ، ويبدو من أسلوب الشاعر أنها معان ذات قيمة كبيرة لديه، وهي ممّا يتحتّم على المتلقّي أن ينتبه إليها كي يعاينها معاينة كافية، فيدرك أهميّتها. ولَمّا كان فعلُ الأمر (تمهّلْ) لا يؤدّي التنبيه الكافي، وقد لا يستوقف المتلقي، وهذا فيه خُطورةٌ على المعاني التي عبّر عنها؛ إذْ يجعلها هامشيّة، نوّع الشاعر أسلوبه، فلجأ إلى التحويل، ونقل العنصر اللغوي (رُوَيْدَ) إلى باب جديد ليس له في الأصل، وعبّر به عن معنى التمهُّل الشديد الذي يقرع الأسماع بشِدّة، ويُظهر اهتمام الشاعر بمعانيه، وحرصَه على إيصالها. فخشيةُ الشاعر على معانيه دفعته إلى تنويع الأسلوب، وإظهار المعنى في صورة تعبيرية جديدة لم يعهدها المتلقي كثيراً، وهذا التحويلُ احتياطٌ للمعنى، وتوسُّع في استخدام اللغة في ضوء قاعدة نحوية تُجيزه. وقال البارودي(1):

صَبَوْتُ إلى المُدامةِ والغَواني وحكَّمْتُ الْغَوايَةَ في عِنَاني(2)

وقلتُ لِعِفَّتي بعدَ امْتِناعٍ إليكِ فقدْ عَنَاني ما عَناني(3)

حوّل الشاعرُ الجارّ والمجرور (إليك) إلى اسم فعل أمر، معناهُ (تنحّي عنّي) ففقد بهذا التحويل خصوصيّته اللغوية والنحويّة الأصليّة، فلم يعد معمولاً يحتاج إلى تعليق، فغدا عاملاً بين الاسمية والفعلية، فاحتاج إلى فاعل يُسنَد إليه، ويُكمِّل معناه، وغدا في التركيب

(1) الديوان، ج٤/٥٦.
(2) صَبَوْتُ: مِلْتُ، والمدامة: الخمرة، والغواني: مفردها :ا لغانية: المرأة التي غنيت بحسنها الطبيعي عن الزّينة، والغوَاية: الإمعان في الضّلال، وعِناني: أمري.
(3) عَنَاني: عرض لي وشغلني.

عُمدةً لا يجوز الاستغناء عنه بعد أن كان فُضلة ليس بالضّرورة ذكرُهُ في أغلب الأحيـــان. والغرضُ من هذا التحويل، وتنويع أسلوب الأداء، وصورة التعبير، هو المعنى، فقد صَــبا الشاعرُ، ومال إلى شُرْب الخمرة ومعاشرة النساء الجميلات، واتّبع الضّلالة، فوجد عِفّتــه تُعارضه، وتريد أن تمنعه من ذلك، وهو لا يريد إطاعتها، وكأنه في عِراك شديد قد طـــال مع عِفّته، فأراد أن ينهرها نَهْراً شديداً يُبرز إصراره وعزمه القويّ ورغبته الــشّديدة فـــي صَبوته وغَوايته، فحوّل الجارّ والمجرور عن بابه الأصل، و استخدمه بمعنى فعل الأمـــر (تنحّي عنّي) لدلالته الشّديدة والقويّة على المعاني السابقة، أمّا فعلُ الأمر (تنحّـــي) فيُعبّـــر عن التنحِّي فحسبُ. وقال الشابّي[1]:

فأجابَه الشُّحرُورُ في غُصَصِ الرَّدى   والموتُ يخنقُهُ"إليكَ جوابي"

لا رأيَ للحقِّ الضَّعيفِ ولا صَدَى   والرَّأيُ رأْيُ الْقاهِرِ الْغَلّابِ

فَقَدَ الجارُّ والمجرور (إليكَ) في قول الشاعر: (إليـــك جـــوابي) خـــصوصيته اللغويـــة الأصلية،

واكتسب خصائص لغوية ونحوية جديدة ليست له في الأصل؛ لأنه تحوّل من بـــاب إلـــى باب، فتحوّل إلى اسم فعل أمر معناه (خُذْ). والغايةُ من تحويله تأديـــةُ المعنـــى بأســـلوب أقوى، ووقعٍ أشدَّ، فلو قال الشاعرُ (خُذْ جوابي) لَكان أسلوبُه نمطيّاً، وتعبيـــره معهـــوداً، ومعناه باهتاً ليس له الأثرُ القويّ في السّمع والنفس؛ لأنه ممّا اعتاد المتلقي سماعه، فهـــو يدلّ على معنى الأخذِ مقترناً بزمن، أمّا وقد تحوّل إلى أسلوب آخر، وعبّـــر عـــن معنـــى الأخذ بتركيب ليس له في الأصل، وقال: (إليكَ عنّي) فدلّ على معنى الأخذِ الشّديد القـــويّ الذي يقرع الأسماع بقوّة شديدةٍ، ويُجبر المتلقي على الإنصات، وكأنّ المتلقي، وهو يـــسمع هذا المعنى في صورة أسلوبية جديدة محوَّلةٍ مُنكِرٌ ومتردِّد في القبول، أو غيرُ مبـــالٍ بمـــا يُلقَى عليه، ولولا هذا التحويلُ، لَمَا أعار التركيب ولا المعنى الذي يحمله أيَّ اهتمام، وهذا

(1) الديوان، ٣٧٢.

يُفقدُ التّواصل بينه وبين الشاعر الذي غرضُه إيصال المعاني التي تدور في خَلَده، وتجـــول في خاطره إلى المتلقي. وقال البارودي[١]

ودونكَها– يابنَ الكِرامِ – حَبِيرَةً   منَ النَّظْمِ سَدَّاها بِمَدْحِ الْعُلا فَمِي[٢]

حوّل الشاعرُ ظرف المكان (دونَ) من الظرفية المكانية إلى اسمِ فعل أمر، معناه (خُــذْ) فصار بين الفعلية والاسمية، وغدا في التركيب والاستخدام الجديد عُمــدةً بعــد أن كـــان فُضلةً، وعاملاً بعد أن كان معمولاً، ففقد خصائصه اللغوية والنحوية التي كانت له حـــين كان في باب شبه الجملة، وتحويلُه إلى اسم فعل تنويعٌ في الأسلوب والأداء للتعبيـــر عـــن معان يعجز الفعل (خُذْ) عن تأديتها، وتحويلُه احتياطٌ للمعنى وتوسُّعٌ في اســتخدام اللغـــة. فالفعلُ (خُذْ) يعبِّر عن معنى الأخذِ فحسبُ، وهذا ما لا يريده الشاعرُ، بل يريد أن يُظهـــر رغبته الشديدة في تقديم الحَبيرة هديّة ومدحاً للأمير شكيب أرسلان، فرأى أن أسلوباً جديداً في الأمر يمكّنه من أداء هذا المعنى، ووجد أن القاعدة النحوية تُعينه على ذلك، فلمّا فــتّش فيها، وجد أن تحويل ظرف المكان (دون) إلى اسم فعل أمر، معناه (خُــذْ) يــؤدّي معنـــى الأخذِ بالقوّة التي يريدها؛ لأن الفعل (خُذْ) مقيَّد بالزمن، أمّا اسمُ فعل الأمر (دونك) المحوّل عن الظرفية، فإنه يدلّ على معنى الأخذِ مجرَّداً مـــن الزّمن، وهذا يعني ثبوته واستمراره وصَلاحَه في كلّ زمان ومكان، وهذا ما قصده الشاعر. وقال أبو ماضي[٣]:

ورأيْتُني فوقَ الْغَمامِ مُحَلِّقــاً   في الأُفْقِ ما بينَ السُّها والْفَرْقَدِ

فسمعْتُ صوْتاً منْ بعيدٍ قائلاً   يا أيُّها السَّاري مكانَكَ تُحْمَدِ

فقد العنصرُ اللغوي (مكانكَ) في قول الشاعر: (مكانكَ تُحْمَد) خصائصه في الدّلالة على الظرفية المكانية، لأنه تحوّل إلى اسم فعل أمر، معناه (اُثبُتْ) فانتقل مـــن التــصرّف إلـــى الجمود، وفقد شيئاً من خصائص الاسمية، واكتسب صفات الفعل، فصار بينهما. فلم يعبِّـــر

---

(1) الديوان، ج٣/٣٩٢.
(2) حَبيرة: قصيدة، وسدّاها: نظمها وألفها.
(3) الديوان، ٢٢٢.

الشاعر عن معنى الثّبات بأسلوب الأمر المعهود وباستخدام فعل الأمر (اُثبُتْ) لدلالته على معنى الثّبات فحسبُ، وهو يريد أن يكون الأمرُ بالثّبات قويّاً مبالغاً فيه، ولذلك حوّل ظرف المكان (مكانكَ) إلى اسم فعل أمر، فهو يدلّ على معنى الثّبات الشّديد، وإيقاف الحركة تَماماً، وكأنه قال: (اُثْبُتْ ثَباتاً تامّاً، واقْطَعْ كلَّ حركة).

إذاً فتحويلُ العنصر اللغويّ عن بابه للتعبير به عن معنى الأمر، هو تغيير أجازته القاعدةُ النحوية والاستعمال الصّحيح للتعبير عن معانٍ إضافية لا يؤدّيها التعبير المعهود، وهو تنويع في أسلوب المتكلّم وأدائه؛ لأنه يعتقد أن المتلقّي قد لا يأبَهُ، ولا يهتمُّ بأوامره وتحذيراته ومعانيه المختلفة لو أنه أوردها في أساليبها المعهودة.

٦-التحويل إلى صيغة (فَعَالِ) في غير الأمر:

يجوز تحويل مصدر الفعل الثلاثي إذا كان معرفة إلى وزن (فَعَالِ) من دون أن يتضمّن معنى الأمر، نحو (فَجارِ، وبَدادِ، ويَسَارِ، جَمادِ، وحَمادِ، وبَوارِ، وكَفَافِ) من (الفجرة، والتبدّد والميسرة، والجمود، والمحمدة، والبَوار، والكَفاف) ونحو قول النابغة الذبياني[(١)]:

إنّا اقْتَسَمْنا خُطَّتَيْنا بيننا   فحملْتُ بَرَّةَ واحْتَمَلَتْ فَجَارِ

فاستخدم (فَجَارِ) بدل المصدر (الفَجَرة) ونحو قول النابغة الجعديّ[(٢)]:

وذكَرْتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شُرْبَةً   والْخَيْلُ تَعْدو بالصَّعيدِ بَدَادِ[(٣)]

فنقل المصدر (التبدُّد) إلى (بَدادِ) على صيغة (فَعالِ) وإذا حُوِّل المصدر إلى صيغة (فَعالِ) انتقل من التصرّف إلى الجمود، ومن الإعراب إلى البناء، ولزمت الكسرةُ آخره حملاً على اسم فعل الأمر المحوّل إلى صيغة (فَعالِ). والتعبير عن المعنى بالمصدر

---

(1) الديوان، ٨٦.
(2) الديوان، ٢٤١.
(3) المحلّق: قطيع الإبل، والصّعيد: وجه الأرض، وبَدَادِ: متفرّقة ومتبدّدة.

المحوّل أقوى من التعبير عنه بالمصدر إذا بقي على أصله، والــذي أكــسبه هــذه القــوّة التعبيرية عن المعنى خُروجُه من بابه المعهود، ومنه قول المتلمِّس الضُّبعيّ[(١)]:

جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولي　　　طَوالَ الدَّهرِ ما ذُكِرتْ حَمادِ

فدلالةُ المصدر (جَمادِ) على معنى الجمود أقوى وآكد وأبلغ من دلالة المصدر (الجمود) عليه، فالجمودُ في وضعه الأصل يدلّ على الجمود فحسبُ، و (جَمادِ) المحوّل يدلّ علــى الجمود الشّديد، ويبالغ فيه، ودلالةُ المصدر المحوَّل (حَمادِ) على معنى الحمد أقوى وآكــد وأبلغ من دلالة المصدر (المحمدة) الذي يدلّ على معنى الحمد العاديّ، و (حَمادِ) يدلّ على الحمد الشديد، واستخدامُ أحدهما دون الآخر يكون بحــسب متطلّبــات الــسّياق والمقــام والمتلقي، فالمتكلمُ يعدل عن المصدر الثلاثي المعرفة من وضــعه المــألوف واســتخدامه المعتاد إلى وضعٍ ليس له في الأصل؛ لأنه يعتقد أن الصيغة المحوّل إليها، هــي القــادرة على أن تحمل فكرته، وتؤدّي المعنى الذي يريد بَلْورتَه وتوضيحه[(٢)]. وهــو كثيــرٌ فــي اللغة[(٣)].

ويجوز في باب النّداء تحويلُ الصفة إلى وزن (فَعالِ) لِيكون سبّاً للأنثى فــي الغالــب، نحو (يا لَكاعِ، ويا خَباثِ، ويا فَساقِ) من (يا لَكعاءُ، ويا خبيثةُ، ويا فاسقةُ). والتحويلُ ينقــل الصفة من الاشتقاق إلى الجمود ومن الإعراب إلى البناء، والتحويلُ إنّما غرضُه المعنــى، فصيغةُ (فَعالِ) أقوى وآكد وأبلغ في التعبير عن المعنى من الصفة إذا بقيت علــى أصــل وضعها، فالصفةُ (ياخبيثةُ) تدلّ على معنى الخُبْث فحسبُ، وهو معنى اعتياديّ للخبث قــد لا يجلب الانتباه، ولايشدّ السّمع، فهو تعبير عن معنى مألوف، وصيغةُ (ياخَباثِ) تدلّ على معنى الخبث الشّديد الذي تمكَّن في صاحبته إلى درجة دفعت المتكلم أن يعبِّر عنها بطريقة غير مألوفة، فالصيغةُ المحوّل إليها آكد وأبلغ في التعبير عن المعنى، ودلالةُ (يافَساقِ) أبلغُ وأقوى في التعبير عن معنى الفُسق من الصفة المعتادة (يافاسقةُ) فالأولى تدلّ على الفــسق

---

(1) المتلمّس الضبعيّ، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ١٦٧.
(2) ينظر، الكتاب، ج٣/٢٧٤-٢٧٥، والمقتضب، ج٣/٣٧١، والأصول في النحو، ج٢/١٣٠، والمفصل، ٢٠١، ومفتاح العلوم، ٤٣، وشرح المفصل، ج٤/٥١، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٤٦-٢٤٧، وارتشاف الضرب، ج٢/٨٧١-٨٧٢.
(3) ينظر،الكتاب،ج٢/٢٧٥.

الشّديد، والثانيةُ تدلّ على الفسق العاديّ. وتُبنَى الصيغةُ المحوَّلة على الكسر حمــلاً علــى اسم فعل الأمر المحوّل (فَعالِ) ومعناه؛ لأن الأمر والنِّداء كلاهما معناه الطّلبُ[١].

ويجوز تحويل صيغة المشتق (فَاعِلة) إلى صيغة (فَعالِ) للدلالة علــى مؤنَّــث، نحــو (حَذامِ، وقَطامِ، وغَلابِ، وسَجاحِ) من (حاذِمة، وقاطمــة، وغالبــة، وســاجحة) ونحــو (كَسابِ، وخَطافِ) علماً لكلبتين، و (قَثامِ، وجَعارِ، وفَشاحِ) علمــاً للــضبّع، و (خَــصابِ، وسَكابِ) علماً لفرسين، و(عَرارِ)علماً لبقرة، و (ظَفارِ)علماً لبلد، و(قَــلاعِ ومَنــاعِ)علمــاً لهضبتين، و(وَبارِ، وشَرافِ) علماً لأرضَينِ، و (لَصاقِ) علمــاً لجبــل. والتحويــلُ ينقــل (فاعلة) من الاشتقاق إلى الجمود، ومن الوصفيّة إلى الاسمية، ومن الإعراب إلــى البنــاء على الكسر، وهي معربةٌ غير متصرّفة عند تميم، ما عدا المنتهية بــراءٍ، نحــو (وَبــارِ) فبنوها على الكسر، وخالف فيها قسمٌ فأعربوها، ومنعوها الصّرف، نحو قول أعــشى بــن قيس[٢]:

ومرَّ دهْرٌ على وَبارِ فهلَكَتْ جَهْرَةً وَبارُ

فبنى (وَبارِ) على الكسر في الشّطرالأوّل، وأعربها، ومنعها الصّرفَ في الشطر الثّاني[٣].

ويجوز تحويلُ الصفة (فاعلة) إلى صيغة (فَعالِ) لغيرالنّداء ولغير العلمية المؤنّثة، نحــو (حَلاقِ) من (حالِقة)، ومنه قولُ مهلهل بن ربيعة[٤]:

ما أُرَجِّي الْعيشَ بعدَ نَدامَى كُلُّهُمْ قدْ سُقُوا بكأسِ حَلاقِ

والتحويلُ ينقلها من الاشتقاق إلى الجمود، ومن الإعراب إلى البناء، وتلزمُها الكسرةُ فــي آخرها تشبيهاً لها باسم فعل الأمر المحوّل إلى (فَعالِ). والغرضُ من التحويل إفادةُ معنــى لا تستطيع الصفةُ في أصل وضعها التعبير عنه، فهو لا يسلبها معناها، وإنّما يزيده قــوّةً

(1) ينظر، الكتاب، ج٢٧٢/٣-٢٧٣، والأصول في النحو، ج١٣٠/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٣٤٤/١، والمفصل، ٢٠١-٢٠٢، ومفتاح العلوم، ٤٣، وشرح المفصل، ج٥٧/٤، وارتشاف الضرب، ج٨٧١/٢-٨٧٢، وأوضح المسالك، ٥٦٢.
(2) المفصل، ٢٠٤، شرح جمل الزجاجي، ج٢٤٧/٢، وأوضح المسالك، ٦٠٨.
(3) ينظر، المقتضب، ج٣٧٣/٣، والأصول في النحو، ج١٣٠/٢، والمفصل، ٢٠٣، ومفتاح العلوم، ٤٣، وشرح المفصل، ج٦٢/٤-٦٥، وارتشاف الضرب، ج٨٧٠/٢، وأوضح المسالك، ٦٠٩.
(4) الديوان، ٢٢.

وتوكيداً، وكأنه بلغ درجة عجزت الصفةُ (فاعلة) عن التعبير عنه، فعدل المتكلم، وتحـــوّل إلى صيغة جديدة؛ لأنه قصد معنى جديداً، فدلالةُ (حَلاقِ) على المعنى أقوى مـــن دلالـــة الصفة (حالِقة) عليه، والحالِقةُ هي المنيَّةُ؛ لأنها تَحلِق ما وافَتْهُ، وقال الأخرم بـــن قـــارب الطائيّ[(١)]:

لَحِقَتْ حَلاقِ بهم على أكْسَائهمْ ضَرْبَ الرّقابِ ولا يهُمُّ المَغْنَمُ

فالصفةُ (الحالقة) تدلّ على معنى الحَلْقِ والموت فحسبُ، وهذا معتاد مألوف قد لا يغدو مؤثِّراً لأنه ممّا أُلِف سماعُه واستخدامه، والشاعرُ لا يريد المعنى الطبيعيّ، بل يريد قوّتـــه وشدّته و مبالغته، فغيّر صيغة الصفة، ونقلها إلى (حَلاقِ) للدلالـــة علـــى المعنـــى الـــذي يريده[(٢)]، وممّا اشتُقَّ من الصفة على وزن (فَعالِ) نحو (حَلاقِ، وحَبَاذِ) للمنيّة، و (صَرامِ) للحرب، و (كَلاحِ، وجَدامِ، وأزامِ) للسّنة، و (وحَناذِ، وبَراحِ) للشمس، و (سَباطِ) للحُمَّى، و (طَمارِ) للمكان المرتفع، و (قَطاطِ) للقطع، و (وَقاعِ) للكَيَّة في الرّأس[(٣)]. ومنه قول عمرو بن معد يكرب[(٤)]:

أطَلْتُ فِراطَهُمْ حتَّى إذا ما قتلْتُ سَرَاتَهُمْ كانتْ قَطَاطِ

فاستخدم (قَطاطِ) بوزن (فَعالِ) محوَّلة من الصفة (قاطَّة) وهو يرى أن قتلـــه لأشـــراف القوم كان كافياً له، وقاطعاً لثأره منهم، ونحو قول عوف بن الأحوص[(٥)]:

وكنتُ إذْ بُلِيتُ بخَصْمِ سَوْءٍ دَلَفْتُ لهُ وأكْويهِ وَقاعِ

والوَقاعُ الكَيُّ في الرّأس. ولم أجد لذلك شواهد في دواوين الـــشعراء الخمـــسة، ولعلّـــه دلالةٌ على ندرتـــه في الشعر العربي الحديث.

---

(1) الكتاب، ج٣/٢٧٣، والمقتضب، ج٣/٣٧٢.
(2) ينظر، الكتاب، ج٣/٢٧٢-٢٧٣، والمقتضب، ج٣/٣٧٢-٣٧٣، والمفصل، ٢٠١-٢٠٣، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٤٦-٢٤٧، ومعاني النحو، ج٤/٤٠.
(3) ينظر، المفصل، ٢٠١-٢٠٣، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٤٧.
(4) الديوان، ١٣٦، ورواية الديوان: فراطكم وسراتكم، بكاف الخطاب بدل هاء الغائب.
(5) المفصل، ٢٠٣، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٤٧.

٧- التحويل إلى التمييز:

التمييزُ اسمٌ نكرة منصوب يوضّح مبهماً قبله، نحو (حضر أحد عشرَ رجلاً) فقد فسّر التمييز (رجلاً) العدد (أحد عشر) ووضّح معناه. ويجوز تحويل بعض العناصر النحوية من مواضعها، لتصير تمييزاً، فيجوز تحويلُ المبتدأ إلى تمييز، كقوله تعالى:﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾[1] والأصلُ (مالي أكثر من مالك، وولدي أعزُّ من ولدك) فحوّل المبتدأ (مالي) من الابتداء إلى التمييز، وهذا التحويلُ غيّر علاقته النحوية بعناصر التركيب الذي هو فيه، فغدا معمولاً بعد أن كان عاملاً أُسندِ الخبر إليه، وصار أحد متممات الجملة بعد أن كان عنصراً أساسيّاً فيها، وترك معنى الابتداء؛ لِيقوم بوظيفة التفسير والتوضيح، وانتقل من الرّفع إلى النّصب، ولزم التنكير بعد التعريف، وفقد مِيزته كعنصر نحويٍّ يجوز حذفُه، وتقديمه وتأخيره، فهو إذْ كان على معنى الابتداء، إنّما كان يجوز حذفُه، وتأخيره عن الخبر، والتحويلُ منعه كلَّ ذلك.

ويجوز كذلك تحويل الفاعل إلى التمييز، نحو قوله تعالى:﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[2] والأصلُ (واشتعل شيبُ الرّأس) فحوّل الفاعل (شيبُ) إلى تمييز، فنقله من معنى الفاعلية إلى معنى التفسير والتوضيح، وألغى علاقة الإسناد بينه وبين الفعل (اشتعل) وصار أحد متممات التركيب بعد أن كان عنصراً أساسيّاً فيه، وصار المضافُ إليه (الرّأس) فاعلاً بعد أن كان مضافاً إليه، وتغيّرت وظيفته المعنوية في التركيب، فترك وظيفة توضيح معنى المضاف (شيبُ) قبل التحويل، وصار موضّحاً معنى الاشتعال، وأُلغِيت العلاقةُ الإضافية بينه وبين المضاف (شيب) الذي صار تمييزاً، وترك الرّفع إلى النصب، وحُرِم إمكانيّة التعريف، ولزِم التنكير، وفقد مِيزته كعنصر نحويّ يجوز حذفه، وتأخيره، أو فصله عن عامله.

---

(1) الكهف، ٣٤.
(2) مريم، ٤.

ويلحق المفعولُ به بالمبتدأ والفاعل في جواز التحويل إلى التمييز، نحو قولـه تعـالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾(١) والأصلُ (وفجّرنا عيونَ الأرض) فتحوّل المفعول به (عيونَ) إلى تمييز، فترك موضعه الأصلي في التركيب، وانتقل إلى موضع لـيس لـه فـي الأصـل، وأُلغيت علاقة التعدية بينه وبين عامله (فجَّر) وفقد مِيزته كعنصر نحويّ يجـوز حذفـه، وتقديمه، وحُرِم إمكانية التعريف، ولَزِم التنكير، وأُلغيت علاقة الإضافة بينه وبين المضاف إليه (الأرض) الذي حلّ محلّه، وتغيّرت علاقتُه بالفعل، فـصار (الأرض) مفعـولاً بــه، والعلاقةُ بينه وبين الفعل (فجَّر) علاقةُ تعدية(٢).

ويجوز تحويل الموصوف إلى تمييز بتقديم صفته عليه، وذلك إذا كان مقداراً أو قياسـاً، وكانا نكرتين نحو (عندي رطلٌ عسلاً، وراقودٌ خَلّاً، وذراعٌ ثوباً) والأصلُ (عندي عـسلٌ رطلٌ، وخلٌّ راقودٌ، وثوبٌ ذراعٌ) فقد ألغيتَ بالتحويل علاقـة التبعيـة الوصـفية بـين الموصوف والصفة، وأنشأت بينهما علاقة نحوية جديدة هي علاقة المميَّز والتمييز مستفيداً من ظاهرة التقديم والتأخير، وغيّرت الوظائفَ النحوية في التركيب فـإذا قلـت: (عنـدي عسَلٌ رَطْلٌ) كنت قد أخبرت عن امتلاكك للعسل، ثمّ وصفته بــ (رطلٌ) لِتحـدّد مقـداره، وإذا قلت: (عندي رطلٌ عسلاً) كنت قد أخبرت عن امتلاكك للرّطـل، ولَمّـا لمـست أن كلامك مُبْهَمٌ يحتاج إلى شيءٍ يوضّحه، فسَّرته بالتمييز (عسلاً)(٣).

وتحويلُ العناصر النحوية المتقدّمة من مبتدأ وفاعل ومفعول به وصفة إلى تمييز، إنّمـا يكون لمعنى جديد لايستطيع التعبير الطبيعيّ أن يؤدّيه، فاختلافُ التعبير يعنـي اخـتلاف المعنى أو زيادته، ففرْقٌ بين قولك: (فاح عطرُ الحديقةِ) وقولك: (فاحت الحديقـةُ عطـراً) فقد أفدت في التركيب الأوّل، وقد جئت بالفاعل (عطرُ) في موضعه أن العطر قد فاح فـي قسم من الحديقة، وأفدت في التركيب الثاني، وقد حوّلت الفاعل (عطرُ) إلـى تمييـز، أنّ العطر قد فاح في الحديقة كلِّها حتّى ملأها، فالمعنى في التركيب الأوّل جزئـيّ وضـيِّقٌ،

---

(1) القمر، ١٢.

(2) ينظر، المفصل، ٨٥-٨٦، وشرح المفصل، ج٢/٧٤-٧٥، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٨٩-٢٩٠، وارتشاف الضرب، ج٤/١٦٢٣-١٦٢٥، وأوضح المسالك، ٣٦٨، وجامع الدروس العربية، ج١/٧٨، ج٣/١١١.

(3) ينظر، شرح المفصل، ج٢/٧٤-٧٥.

وفي التركيب الثاني كُلّيّ وشاملٌ وواسعٌ، وكذلك الحالُ في قوله تعالى:﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[1] فدلّ تحويل الفاعل (شيبُ) إلى تمييز، أن الشيب قد ملأ رأس زكريا عليه السّلام، وشملَ كلَّ شعره، وفي هذا دلالةٌ على تقدُّمه في السّنّ إلى درجة لا يُرجى فيها الولدُ منه، وهذا معنى غيرُ موجود بهذا الشّمول لو جاء بالتركيبِ على طبيعته، وقال: (واشتعل شيبُ الرّأس) لأنه يدلّ على أن الشّيب في بعض رأسه لا في جميعه، وأن البياض قد أصاب بعضَ شعره، وهذا عكسُ ما يُراد من التركيب، ونظيرُه قوله تعالى:﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾[2] بدل (وفجّرنا عيونَ الأرضِ) فحوّل المفعول به (عيونَ) إلى تمييز؛ لِيفيد أن الأرض قد تحوّلت إلى عيون، وبدأ الماءُ يفور من كلِّ مكان، ولو جاء بالتركيب على طبيعته، لَمَا تحصّل هذا المعنى، ولأفاد أن الماء قد فارمن عيون متفرّقة، وليس من الأرض كلِّها، وهذا عكسُ المراد والمقام، ويُضاف إلى ذلك أنه يفيد المبالغة والتوكيد، فمعنى المبالغة أن الفعل بعد أن كان مسنداً إليه أو واقعاً على الجزء، صار مسنداً أو واقعاً على الجميع، وهو أبلغ في تأدية المعنى، والتأكيدُ من تغيير العلاقة بين اللفظ المحوّل وبين بقيّة عناصر التركيب[3]. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة التحويلُ إلى التمييز. قال البارودي[4]:

حَوْراءُ كالرِّئْمِ أَلْحاظاً إذا نَظَرَتْ   وصورةِ البَدْرِ إشراقاً إذا سَفَرَا[5]

حوّل الشاعر العنصر النحوي (ألحاظاً) من المبتدأ إلى التمييز، فسلبه معنى الابتداء، والإسناد إليه، أكسبه معنى التوضيح والتفسير، والأصلُ في التعبير (حوراءُ ألحاظُها كألحاظ الرِّئم) ولكنه غيّر أسلوبه، فعدل من الصورة التعبيرية الأساسية إلى صورة تعبيرية أخرى؛ لِيؤدّي معنى لا يستطيع التعبير الأساسيُّ تأديته فالشاعر يشبِّه الفتاة

---

(1) مريم، ٤.
(2) القمر، ١٢.
(3) ينظر، دلائل الإعجاز، ١٠٠، ومفتاح العلوم، ١٥٥، والمفصل، ٨٥-٨٦، وشرح المفصل، ج٢/٧٥، والجملة العربية والمعنى، ١٨٦-١٨٧، ومعاني النحو، ج٢/٢٧٦-٢٧٨.
(4) الديوان، ج٢/١٠٥.
(5) الرِّئم: الظّبي الخالص البياض، وسَفَر:أضاء.

الجميلة بالظَّبية البيضاء، فلو جاء التركيب على طبيعته، فقدّم المبتدأ (ألحاظها) الذي هو وجهُ الشبه والصفة الجامعة بين طرفي التشبيه، الفتاةِ والرِّئم، لَكان تشبيهه طبيعيّاً ومألوفاً، ليس له الأثر القويّ في نفس المتلقي؛ لأنه لا يُصوّر الحسن الفائق الذي تتمتّع به عينا الفتاة من شِدّة السّواد والبياض والاستداراة. فلمّا حوّل المبتدأ (ألحاظُها) إلى تمييز، أيْ أخَّر وجه الشبه والصفة الجامعة بين طرفي التشبيه، وقال: (حوراء كالرِّئم) استثار المتلقي بهذا التشبيه الذي لم تتضح صورته، وتتكامل بعدُ، وكأنّ صورة المعنى ظلّت في ذهنه مبتورة، وظلّ يترقّب؛ لِيعرف ما خفي عليه من معنى، فتشوَّق إليه، وتلهّف لمعرفته، فذكر الشاعرُ التمييز (ألحاظاً) الذي فسّر الغامض، وأكمل صورة المعنى في ذهن المتلقّي، وأطفأ شوقه وتلهُّفه عليه، فهدأ، واستكان لهذا الجمال كما استكان له الشاعر. وقال أبو ماضي[(١)]:

رجلٌ دونَهُ الرِّجالُ مَقاماً　　　مُشْبِهٌ في الأنامِ بيتَ الْقَصِيدِ

الأصل (رجلٌ دونه مقامُ الرّجال) لكن الشاعر تحوّل إلى أسلوب جديد غيّر فيه الوظيفة النحوية لعناصر التركيب، وأعاد ترتيبها وتوزيعها فيه، فحوّل المبتدأ المضاف (مقامُ) إلى تمييز، لِيقوم بوظيفة التفسير والتوضيح بدل الابتداء، فألغى علاقة الإسناد بينه وبين خبره المحذوف كما ألغى علاقة الإضافة بينه وبين المضاف إليه (الرّجال) الذي حلّ محلّ المبتدأ المحوّل في الإعراب وتأدية المعنى، ففقد معنى التوضيح، واكتسب معنى الابتداء، وانتقل من الجرّ إلى الرّفع، كما انتقل المبتدأ (مقامُ) من الرّفع إلى النصب. وما غايةُ الشاعر من هذا التحويل سوى إبراز معنى لا يستطيع التعبير الطبيعيّ تأديته، فقد قصد الشاعرُ أن يُعلي مقام الشاعر الياباني (نوجي) ويجمع فيه كلَّ صفات الرُّجولة، ويُبيِّن أنه بلغ المقام الأعلى والأرقى في الرُّجولة، فلو ذكر التعبير في صورته المعهودة، وقال: (دونه مقامُ الرّجال) لَظنَّ المتلقي أنه قد لا يكون كما ذكر الشاعر، وقد يكون، فيظلُّ المعنى موضع شُبهة وتردُّدٍ، وربّما عدم مبالاة، وهذا ما لايريده الشاعر حتّى لا يظلَّ

---

(1) الديوان، ٢٣٥.

التركيبُ غُفْلاً من الاهتمام والقيمة، فلمّا نوّع أسلوبه، وغيّر تعبيره، وقال: (رجلٌ دونه الرّجالُ) ظلّ المعنى مشوَّشاً ضبابيّاً في ذهن المتلقي الذي استوقفه التعبير، وراح يبحث عن العنصر النحويّ الناقص الذي يوضّح له الجزء الغامض من صورة المعنى الذي تشوّق لمعرفته، فلمّا ذكر الشاعر التمييزَ المحوّل (مقاماً) تأثَّر المتلقي به، وارتاح لمعرفته؛ لأنه وصل إليه بعد عناء. وقال أبو ماضي(١):

وأنتمْ مَعْشَرٌ طابُوا نُفُوساً وأخلاقاً كما كَرُمُوا نِجارا(٢)

غيّر الشاعر أسلوب تأدية المعنى، وتحوّل من صورة تعبيرية إلى صورة تعبيرية أخرى بعد أن غيّر وظيفة بعض العناصرالنحوية في التركيب، وأعاد توزيعها فيه، والأصلُ (طابتْ نفوسهم) لكنه حوَّل الفاعل (نفوسُهم) إلى تمييز، فتحوّل من عُمدة إلى فُضلة، ومن الرّفع إلى النّصب، وفقد إسناد الفعل إليه، وألغيت علاقة الإضافة بينه وبين المضاف إليه هاءِ الغائب الذي حلّ محلّه، وصار فاعلاً أسنِد الفعل (طاب) إليه، وصار في التركيب عمدة بعد أن كان فضلة، وانتقل من الجرّ إلى الرّفع، وغدت له وظيفةُ بَيَانِ القائم بالفعل (طاب) بعد أن كان موضّحاً معنى المضاف (نفوس) فشغل في التركيب موقعاً ليس له في الأصل كما شغل الفاعل (نفوسُ) المحوّل إلى تمييز موقعاً ليس له في الأصل، إذْ فقد معنى الفاعلية واكتسب معنى التفسير والتوضيح لمضمون الجملة التي هو أحدُ عناصرها. والغايةُ من تحويل الفاعل إلى تمييز في هذا الموضع السَّعةُ في المعنى والشُّمولُ فيه بدل التّضييق والتحديد، والانتقال من الجزئيّة إلى الكلّيّة، وتمكين المعنى في نفس المتلقّي، والمبالغة في مدح الممدوحين، فلو أورد الشاعر التركيب في صورته المعهودة، وقال: (أنتم معشرٌ طابت نفوسُهم) لَمَا شمل الطِّيبُ النفوسَ كلّها، وإنّما وقع على جزء منها، وهذا خلاف المراد، ولَمّا قال: (وأنتم معشرٌ طابوا نفوساً) أفاد أن الطِّيب شمل النّفوس كلّها، ولم يقع على جزء منها كما أثّر في المتلقي الذي تحفّز لمعرفة الذي طاب في معشر الممدوحين، حين سمع (وأنتم معشرٌ طابوا) فراح يتخيّل كلَّ شيء، ويتوقّعه،

(1) الديوان، ٣٤٦.
(2) النّجار، الأصل والحسب.

ويخمّنه، حتّى إذا سمع التمييز (نفوساً) شعر باللّذّة؛ لأنه عرف قَصْدَ الشاعر بعــد عَنــاء، ولعلّ هذا الأسلوب هو من باب الإبهام و

التوضيح. وقال بدر الدين الحامد(١):

فُقْتَ الرِّجالَ شجاعةً ولَبِسْتَ منْ   حُلَلِ الوفاءِ مَجاسِداً وبُرُودا

والأصل (فاقت شجاعتُكَ الرّجالَ) لكنه عدل، وتحوّل إلى تعبير جديد، فحــوّل الــشاعرُ الفاعلَ (شجاعتُك) عن وجهته الفاعليّة والإسناديّة، وترك مكانَــه للمــضاف إليــه كــافِ الخطاب الذي تحوّل إلى ضمير الرّفع المتّصل التّاءِ المتحرّكة بعد تحويــل الفاعــل إلــى تمييز، فتغيّرت صورتُه الكتابيّة ووظيفتُه النحوية، ففقد التركيبُ علاقتين نحــويتين، همــا علاقة الإسناد بين الفعل (فاقت) وفاعله (شجاعتُك) الذي صار تمييزاً وعلاقة الإضافة بين الفاعل المضاف (شجاعةُ) الذي تحوّل إلى تمييز، وبين المضاف إليه كافِ الخطاب الــذي صار فاعلاً، واكتسب علاقتين نحويتين جديدتين، الأولى علاقة الإسناد بين الفعل (فــاق) وكاف الخطاب الذي صار فاعلاً؛ ولذلك تغيّرت صورةُ كتابته، والثانيةُ علاقة التمييز بــين جملة (فقتَ الرّجالَ) والتمييز (شجاعةً) الذي أصلُه فاعلٌ. ولعلّ الغاية من التحويل في هذا السّياق المبالغةُ في تصوير شجاعة الممدوح، والإيحاءُ أنها بلغت حدّاً غيــرَ مــألوف ولا معتاد، وحَرِيٌّ بالمتلقّي أن يتأمّل هذه الشّجاعة الفائقة للممــدوح، و يُعجَــب بهــا؛ لأنهــا الصورة المتكاملة للشجاعة، فهي قد جمعت في ذاتها كلَّ محاسن الشّجاعة وأشكالها. وقال الشابّي(٢):

أيُّها الحبُّ قد جَرَعْتُ لكَ الحُزْ   نَ كُؤوساً واقْتَنَصْتُ ابْتِغائِي

أعاد الشاعرُ ترتيب العناصر النحوية في تركيبه (قد جرعتُ لك الحزنَ كؤوساً) وغيّــر توزيعها، والأصلُ (قد جرعتُ لك كؤوسَ الحزنِ) فحوّل المفعول به (كؤوسَ) إلى تمييــز بعد أن ألغى علاقة التعدية بينه وبين الفعل (جرعَ) وعلاقة الإضافة بينه وبــين المــضاف

(1) الديوان، ج١/١٣٠.
(2) الديوان، ١٢٩.

إليه (الحزنِ) الذي تركَ وظيفة التوضيح لمعنى المضاف (كؤوس) الذي تحوّل إلى تمييز، وصار مفعولاً به وقع عليه الفعلُ (جرعَ) فأُلغِيَتْ بهذا التحويل في التركيب علاقتان نحويّتان، علاقة التعدية بين الفعل (جرعَ) والمفعول به (كؤوسَ) الذي تحوّل إلى تمييز وعلاقة الإضافة بين المفعول به المضاف (كؤوسَ) والمضاف إليه (الحزنِ) الذي نشأت بينه وبين الفعل (جرعَ) علاقةُ تعدية جديدة لم تكن أصلاً في التركيب، كما نشأت علاقة نحوية جديدة، هي علاقةُ التمييز بين جملة (جرعتُ لك الحزنَ) والتمييز (كؤوساً) الذي تحوّل من معنى المفعولية إلى معنى التفسير والتوضيح. وهذا التحويلُ تغيير في أسلوب الشاعر وأدائه وتعبيره؛ لِيجعل المعنى شاملاً واسعاً فلو قال الشاعرُ: (قد جرعتُ لك كؤوس الحزن) لَدَلَّ على أنه قد عانى من بعض أنواع الحزن، وهذا خلاف المراد، فلمّا غيّر أسلوبه، وحوّل المفعول به إلى تمييز، وقال: (جرعتُ لك الحزنَ كؤوساً) دلّ على أنه شرب الحزن، وعانى من كلِّ أنواعه وأصنافه، وهذا أبلغ في تصوير معاناته وحزنه وعذابه بسبب الحبّ، وهو أعمقُ تأثيراً في المتلقي الذي يشعر باللّذّة لِوضوح المعنى بعد إبهامه. وقال السيّاب[1]:

لَمْياءُ ما تَمْتَمَتْ في الليلِ ساحِرةٌ ... مِثْلَ اسْمِ لَمْياءَ يَبْعَثُ الطَّرَبا

غَمَّازَتاها تُطيلانِ ابْتِسامَتَها ... عُمْراً وتستوْقِفانِ الكَوْكَب الشَّحِبا

خرج الشاعر عن الأصل، وعدل عن التعبير النمطيّ المعهود في قوله: (غمّازتاها تطيلان ابتسامتها عمراً) لأنه حوّل المفعول به (عمر) إلى تمييز، فسلبه معنى التعدية إليه، وأكسبه معنى التفسير والتوضيح لمضمون الجملة التي سبقته بعد أن أجرى مجموعة من التغييرات النحوية في وظيفة العناصر النحوية وترتيبها. ولعلّه أراد بتغيير أسلوبه وأدائه أن يستثير المتلقي، ويستوقفه؛ لِيعاين الابتسامة الجميلة الطّويلة لِلَميـاء، ولو أنه ألقى التركيب خِلْواً من التحويل، وأورد المفعول به في مكانه الطبيعيّ، وقال: (غمّازتاها تطيلان عمرَ ابتسامتها) لَدَلَّ على أن ابتسامتها طالت، لكنها لم تطُلْ كثيراً، ولَمّا كان

(1) الديوان،٤٨٢.

الواقعُ غير ذلك أيْ إنّ ابتسامتها قد طالت كثيراً، غيّر أسلوبه، وحوّل المفعول به (عمــرَ) إلى تمييز، وقال: (غمّازتاها تطيلان ابتسامتها عمراً) فأوضح، وبــيَّن بعــد أن أغمــض، وأبهم. والشّعراءُ في كلِّ ما سبق ذكرُه مازالوا يجرون في هدي القاعــدة النحويــة التــي أجازت لهم ذلك.

والنتيجةُ أن التحويل إلى التمييز تغييرٌ نحويّ أجازتــه القاعــدة النحويــة والاســتعمال الصحيح لِتأدية معانٍ لا يستطيع الأسلوب المعهود تأديتها، وهو توسُّع في استخدام اللغــة، واحتياطٌ للمعنى، وتبادلٌ بين العناصر اللغوية والنحويّة في المواضــع الــسّياقية وتأديــة المعاني النحوية.

٨- تحويل (فاعِل) إلى (فُعَل):

يجوز تحويل (فاعِل) إلى (فُعَل) ليكون علماً للمذكّر، نحو (عُمَــر، وزُفَــر، ومُــضَر، وزُحَل، وقُثَم) من (عامر، وزافر وماضر، وزاحل، وقاثم) ويسمّي النحــاة هــذا التحويــل العَدْلَ، وهو: "إنّما أن تلفظ ببناء، وأنت تريد بناء آخر لِضرْب من التوسُّع في اللغة، كعدل (عُمَر) من (عامِر)"[١] والعَدْلُ: "هو البناءُ الواقع موقع غيره ممّا هو في معناه، ومــا هــذه صفتُه، فهو فَرْعٌ؛ لأنه مسبوق بالأصل الذي هو المعدولُ عنه. ألا ترى أن (عُمَر) مأخوذ من (عَمَرَ) واسمُ الفاعل من (عَمَرَ) عامِرٌ. وقد كثرت التّسمية به، إلّا أنهم في هذا الموضع عدلوا عن لفظة (عامِر) إلى (عُمَر) فالمعنى والحروفُ الأصلية باقية، والأبنية مختلفة"[٢].

فالتحويل بالعدل تغيير صرفيّ يصيب بنية الكلمة، إلّا أن نتائجه نحوية، فالاسمُ المعدول في هذا الموضع يُمنَع الصّرف للعلمية؛ ولأنه معدول، فلا ينوّن، ويُجَرُّ بالفتحة نيابة عــن الكسرة. والظاهرُ أن دلالة الصيغة المحوّلة (فُعَل) على المعنى أقوى وأبلــغ مــن دلالــة الصيغة الأصل (فاعِل) فدلالةُ (عُمَر) على معنى التعمير أقوى من دلالة (عامِر) فــصيغةُ

(1) شرح المفصل، ج٤١/٢.
(2) المتبع في شرح اللمع، ج٥٧٨/٢-٥٧٩.

(عامِر) تدلُّ على التعمير فحسب، وهذا ممّا اعتاده النّاسُ، وصيغةُ (عُمَر) المعدولـة تـدلُّ على التعمير الشّديد، وكأن هذا المعنى قد تحوّل من الآنيّة والعاديّة إلى الثّبات.

ويجوز تحويل صيغة (فاعِل) الدّالّة على الصفات إلى صيغة (فُعَل) في بـاب النـداء؛ لِتكون سبّاً للمفرد المذكّر مِنْ دون أن تفقد معناها الأصليّ، نحو (يافُسَقُ، ويالُكَعُ، وياخُبَثُ) وهذا التحويلُ غرضُه المعنى، فدلالةُ (فُعَل) على المعنى أقوى من (فاعِـل) فـإذا سـببْتَ رجلاً، وقلت: (يا فاسِقُ) كنت قد وصفته بصفة الفُسْق فحسب، وهذا معنى مألوف اعتـاده النّاسُ، وإذا سببته، وقلت: (يا فُسَقُ) كنت قد بالغت في سبّه، وأوضحت أنه اتّصف بهـذه الصفة إلى درجة كثرت فيه، وتجاوزت الحدّ المألوف المعتاد، ولَمّا كان هذا حالَهـا فيـه، رأيت أن الصيغة الأصل (فاسِق) غير قادرة على تأدية المعنى، فعدلت عنها، وتحوّلت إلى صيغة (فُعَل) وقلت: (يافُسَقُ) وظهر بذلك الفرقُ بين المعنيين. ونحوُه قولُك: (يـا خُبَـثُ) بدل (يا خَبيثُ) وتلزم (فُعَلُ) في هذا الموضع البناء على الضمّ، فتتـرك الإعـراب إلـى البناء، والاشتقاق إلى الجمود[١]. ولم أجد لهذا التحويل شـواهد فـي دواويـن الـشعراء الخمسة.

٩- تحويل العدد:

يجوز تحويل العدد المفرد إلى صيغتي (فُعال ومَفْعَل) نحو (أُحـاد، ومَوْحَـد، وثُنـاء، ومَثْنَى، وثُلاث ومَثْلَث، ورُباع، ومَرْبَع، وخُماس، ومَخْمَس٠٠٠) مـن الأعـداد (واحـد، واثنان، وثلاثة، وأربعة، وخمسة ٠٠٠) وهذا التحويلُ يمنعهـا الـصّرفَ، فـلا يـصيبها التنوين، وتُجَرُّ بالفتحة بدل الكسرة، وينحصر استخدامها في الكلام في الخبرية والوصـفية والحالية، فالأوّل نحوُ "صلاةُ اللّيل مَثْنَى مثنى"[٢] والثاني نحو قوله تعـالى:﴿ أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾[٣] والثالثُ نحو قولـه تعـالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴾[١].

---

(1) ينظر: الكتاب، ج٢٢٣/٣، والمقتضب، ج٣٧٤/٣، ٣٨١، والأصول في النحو، ج٣٤٧/١، ج٨٨/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٣٤٥/١، وشرح المفصل، ج٦١/١-٦٢، وشرح جمل الزجاجي، ج٢٢٩/٢، وأوضح المسالك، ٦٠٧، والنحو الوافي، ج١٨٨/٤-١٩٥.

(2) الموطأ، ١١٧، رياض الصالحين، ٣٦٤.

(3) فاطر، ١.

والمتكلمُ إنّما يصرف العدد عن وجهه الأصل، ويحوّله إلى هــاتين الــصيغتين لغــرض التكثير والترتيب والمبالغة في المعنى، نحو قول ساعدة بن جُؤَيَّة[٢]:

ولكنّما أهْلي بوادٍ أنيسُهُ　　ذِئابٌ تُبَغِّي النّاسَ مَثْنى ومَوْحَدُ

فدلالةُ (مَثْنى) على عدد الذّئاب التي تتعدّى على النّاس أكثر من دلالة (اثنــين) فالعــددُ (اثنين) يدلّ على ذئبين فحسبُ، وهو لايريد هذا المعنى، والعددُ المحوَّل (مَثْنَى) يدلّ علــى ذئاب كثيرة تمشي اثنين اثنين، وهــي لاتهجم على النّاس إلاّ بهذه الهيئة، فإذا ولّى اثنــان مترافقان منها، هجم اثنان آخران مترافقان، وهكذا، وهذا هو المعنى الذي قــصده، فلمّــا وجد العدد (اثنين) عاجزاً عن تأدية المعنى الذي أراده، صرفه عن أصــله وحوّلــه إلــى (مَثْنَى)[٣]. وقلَّ في دواوين الشعراء الخمسة تحويل العدد إلى صيغتي (فُعال ومَفْعَل) ومنه قول البارودي[٤]:

وأدَرْنا الكؤوسَ حتّى تولّتْ　　أنْجُمُ اللّيلِ منْ أُحادَ ومَثْنَى

حوّل الشاعر العدد (واحد) إلى صيغة (أُحاد) والعدد (اثنين) إلى صيغة (مَثْنَى) أيْ نقــل الأول إلى صيغة (فُعال) والثاني إلى صيغة (مَفْعَل) فغيّر البنية الصرفية لهما؛ للتعبير بهما عن معنى جديد لا تستطيع الصيغة الأصل التعبير عنه في هذا السياق. فقد أخبر الــشاعر أنهم ظلّوا يشربون الخمر حتّى الصّباح الذي عبّر عنه بتولّي النّجوم في حــالتي الإفــراد والتثنية، فلو أورد العددين (واحد، واثنان) في صيغتهما الأصل، لَدلّ على أن النّجوم التــي كانت في السّماء ثلاثاً، فولّى أحدُها، أيْ غاب، ثمّ تلاه غيابُ الباقيين، وهذا خلاف المراد؛ لأن النجوم في السماء كثيرة، وغيابُها كان في هيئة المفرد والتثنية، فإذا ولّى نجــمٌ، تــلاه نجمٌ آخر في التولّي والغياب في هذه الهيئة، والأمرُ هكذا حتّى طلــوع الــضّوء، ولــذلك

---

(1) النساء، ٣.
(2) ديوان الهذليين، ج١/٢٣٧، ورواية الديوان (سِباعٌ) بدل (ذِئاب).
(3) ينظر: الكتاب، ج٣/٢٢٥- ٢٢٦، والمقتضب، ج٣/٣٨٠-٣٨١، والأصول في النحو، ج٢/٨٨-٨٩، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٥٧٩- ٥٨٠، وشرح المفصل، ج١/٦٢، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٢٣، وأسرار النحو، ٨٤-٨٥، وأوضح المسالك، ٦٠٣، والنحو الوافي، ج٤/١٧١-١٧٢.
(4) الديوان، ج٤/١١٦.

استخدم الشاعرُ تعبير (تولّتْ أنجمُ الليل من أُحادَ ومثنى) بدل التعبير الأصل (تولّت نجـــومُ الليل من واحدة واثنتين) ولعلّ هذا التوضيح قد أظهر الفرقَ بين التعبيرين، ووضَّح ســـبب تغيير الشاعر أسلوبه. وقال أبو ماضي(١):

مَرِضْتُ فأرواحُ الصِّحابِ كَئِيبةٌ   بِها ما بنفسي ليتَ نفسي لَها فِدى

تَرِفُّ حِيالي كلَّما أغْمَضَ الْكَرَى   جُفُوني جَماعاتٍ ومَثْنَى ومَوْحَــدا

ليس العددان (مثنى، وموحد) في الشطر الثاني من البيت الثاني واردين في صيغتهما الصرفية الأصل، بل هما محوَّلان إلى صيغة (مَفْعَل) وقد غيّر الشاعر بنيتهما الــصرفية؛ لأداء معنى لا يؤدّيه العددان (واحد، واثنان) لو استُخدِما في الــسياق ببنيتهمــا الــصرفية الأصل، إذْ أراد الشاعر أن يعبّر عن كثرة أصحابه الذين زاروه فـــي مرضـــه، وحزنـــوا لأجله، وتألّموا لألمه، وتحرّكوا حوله في هيئة جماعات أو في هيئة التثنية أو فـــي هيئـــة الإفراد، فلو قال: (ترفُّ حيالي٠٠٠جماعاتٍ اثنين وواحداً) لَدَلَّ تعبيره علـــى أن أصـــحابه الذين زاروه في مرضه كانوا في البداية جماعات، ثمّ قلّ عددُهم حتّى صاروا اثنين فقــط، ثمّ بقي صاحبٌ واحد لا غيرُ، وهذا خلاف المراد، وعكسُ المعنى الذي صِيغَتْ من أجلـــه العبارةُ؛ ولذلك صاغ تعبيراً جديداً حوّل فيه العددين واحد واثنين إلى صيغة (مَفْعَل) فـــدلّ على أن صحبه الذين تحرّكوا حوله كانوا كثيرين، فتحرّكوا في بداية الأمـــر فـــي هيئـــة جماعات كثيرة، ثمّ تغيّرت هيئةُ حركتهم، فتحرّكوا في هيئة اثنين اثنـــين، فكلّمـــا مـــضى اثنان، تلاهما اثنان آخران، وهكذا الأمرُ دواليك، ثمّ تغيّرت هيئةُ حركتهم مـــرّة أخـــرى، فتحوّلوا من هيئة التثنية إلى هيئة الإفراد دون أن ينقص عددهُم، فتحرّكوا واحداً واحـــداً، فإذا تحرّك واحدٌ من صحبه، تلاه آخر، وهكذا الأمرُ دواليك. وفي هذا مبالغة في الدّلالـــة على كثرة أصحابه، وكأنّ في كثرتهم تسليةً للشاعر في مرضه، والشاعرُ ما زال يجـــري في هَدْي القاعدة النحوية التي أجازت لهُ مثل هذا التغيير؛ لِيؤدّي معنىً لايؤدّيـــه التعبيـــر النمطيّ.

---

(1) الديوان، ٢٤٨.

١٠- التحويل بالقطع:

القطعُ في اللغة مصدر (قطع الشيءَ) أيْ (فصل بعضه عن بعض) وثمّة عناصر نحوية في التركيب يجوز تحويلُ وجهتها عن حدِّها الأصلِ، وصَرْفِها إلى تعبير جديد ليس لها في الأصل نحو قطع الصفة والبدل والمعطوف والخبر.

ويجوز قطع الصفة عن الموصوف، والمخالفةُ بينهما في الحركة الإعرابية، فتغدو الصفةُ منصوبة على المفعولية إذا كان موصوفها مرفوعاً أو مجروراً، أو مرفوعة على الخبرية لمبتدأ محذوف إذا كان موصوفها منصوباً أو مجروراً، فالأوّلُ نحو (الحمدُ للهِ الحميدَ) فقطعت الصفة (الحميدَ) عن موصوفها المجرور (للهِ) ونصبتها على المفعولية، والعاملُ فيها فعلٌ محذوف وجوباً، يمتنع إظهاره، وتقديره (أمدح وأُعظِّم) وزاد في السياق جملة فعلية، هي جملة (أمدحُ) المحذوفة، و الثاني نحوُ (أعبدُ اللهَ الحميدُ) فقطعت الصفة (الحميدُ) عن الموصوف (اللهَ) وألغيت علاقة التبعية الوصفية بينهما، وأنشأت علاقة نحوية جديدة، هي علاقة الابتداء والخبر، وزِدت في التركيب جملة إسنادية، طرفُها الأوّل المبتدأُ واجبُ الحذف، وطرفُها الثاني هو الخبر (الحميدُ) الذي تحوّل عن وجهه الأصل، وغدا ركناً أساسياً في الجملة الجديدة تتمّ به الفائدةُ، ويكتمل المعنى، بعد أن كان عنصراً متمِّماً في الجملة التي قُطِع عنها. ويُشتَرَط في القطع ألّا يكون الموصوف نكرة محضة، وله صفةٌ واحدة لا غيرُ، فلا يجوز القطعُ في نحو (كرُمْتُم جنوداً أبطالاً) وألّا يكون اسمَ إشارة، فلا يجوز القطعُ في نحو (امتدحت هذا الوفيَّ) وألّا تكون الصفةُ الغرضُ منها التوكيدُ، نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾[1] وألّا تكون من الصفات التي استخدمها العرب بعد كلمات معيّنة، نحو (جاؤوا الجمّاءَ الغفيرَ).

والقطعُ ظاهرة في العربية جديرةٌ بالالتفات إليها، وهي لا تكون إلّا لمعنى التعظيم أو المدح أو الترحّم أو الشّتم، وليس كلُّ صفة يُعظَّم بها، ولا كلُّ موضع يجري فيه التعظيمُ، إذْ ينبغي أن يكون المعظَّم أو الممدوح أو المشتوم أو المترحَّم عليه مشهوراً ومعروفاً عند

---

(1) النحل، ٥١.

النّاس، فإذا لم يكن كذلك، امتنع القطعُ، والصفةُ التي يجوز أن تعظّم بها شخصاً، لا يجوز أن تكون صفة لله تعالى كالحمد والشكر والتحميد[١]. قال الأخطل[٢]:

نفسي فِداءُ أمير المؤمنين إذا   أبْدَى النَّواجِذَ يومٌ باسِلٌ ذَكَرُ

الخائضُ الغَمْرَةَ المَيْمونُ طائرُهُ   خَلِيفةُ اللهِ يُسْتَسْقَى به الْمَطَرُ

فقطع الصفة (الخائضُ) عن موصوفها المجرور (أميرِ) وألغى علاقة الوصفية بينهمــا، ورفعها على الخبرية للمبتدأ الواجب حذفُه (هو) وفعل ذلك، فغيّــر التعبيــر عــن نمطــه المعهود؛ لأنه أراد أداء معنى لا يتمّ بالإتباع، فالقصْدُ لفتُ الأنظار، وإثارةُ الانتبــاه إلــى الصفة المقطوعة، خوضِ الغمرة التي تُبرز الشّجاعة الفائقة لعبد الملك بن مروان، وهــذا المعنى لا يؤدّيه الإتباعُ الوصفيّ، لأنه يدلّ على شجاعة معتادة فحــسبُ، فــصار القطــعُ كاللافتة أو المصباح في الطريق، فحرّك الانتباهات الغافلة، وأوقــظ الأســماع الغافلــة، وأوضح أن هذه الصفة قد تمكّنت في الممدوح، وبلغت فيه حدّاً يثير الانتباه، فأداءُ المعنــى بالقطع أبلغ من تأديته بالتعبير المعهود؛ لأنه يوضّح أن صفة الشّجاعة قد بلغت فــي عبــد الملك بن مروان درجةً لا تخفى على أحد. والقولُ نفسُه إذا كان القطع لغــرض الــذّمّ أو الشّتم أو التّرحُّم[٣].

وإذا تعدّدت الصفاتُ الدّالّة على مدح أو ذمّ أو شتم أو ترحُّم، جاز للمــتكلم أن يُتبعهــا جميعاً للموصوف، وجاز له أن يُتبع بعضها، ويقطع بعضها، وإذا أتبــع بعــضاً، وقطــع بعضاً، وجب أن يبدأ بالإتباع ثمّ بالقطع؛ لِئلّا يفصل بين الصفة والموصوف بجملة أجنبية، هي الجملة الناتجة من قطْعِ النعت نحو (مررْتُ بزيدٍ الكريمَ الــشّجاعَ الطّويــلَ) بــالرّفع والنصب، فقطعت الصفات (الكريم والشّجاع والطّويل) كلّها عــن الموصــوف المجــرور

---

(1) ينظر: الكتاب، ج٢/٧٤،٦٩،٦٦،٦٢، والأصول في النحو، ج١/٣٣٤، وشرح المفصل، ج٢/٢-٣ ،١٩، وأوضح المسالك، ٣٠٥-٥٠٥، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٢٨، والنحو الوافي، ج٣/٣٨٨.

(2) الأخطل، شعره، نشره: أنطوان اليسوعيّ، ط٢، دار المشرق العربي، بيروت، ١٩٨٦م، ١٠١.

(3) ينظر: شرح المفصل، ج٢/١٩، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٧٧، والنحو الوافي، ج٣/٣٩٧، والجملة العربية والمعنى، ٥٠، ١٨٥.

(زيدٍ) ونحو (مررتُ بزيدٍ الكريمِ الشّجاعَ الطّويلَ) فأتبعت الصفة الأولى (الكريمِ) وقطعت الصفتين (الشّجاع والطّويل) فبدأت بالإتباع ثمّ قطعت، فجريت بذلك على القاعدة[١].

ويجوز قطعُ البدل عن المبدل منه إذا كان منصوباً أو مجروراً، سواءٌ أكان تفصيلاً لمجملٍ أم في غير ذلك، فالأوّلُ نحوُ (لقيتُ من القوم ثلاثةً زيدٌ وعمروٌ وخالدٌ) فقطعت البدل (زيدٌ وعمروٌ وخالدٌ) عن المبدل منه (ثلاثةً) والثاني نحوُ قول مهلهل بن ربيعة[٢]:

ولقدْ خَبَطْنَ بُيُوتَ يَشْكُرَ خَبْطَةً　　أخوالُنا وهمُ بنو الأعْمامِ

فقطع البدل (أخوالُنا) عن المبدل منه (بيوتَ يشكر)[٣].

والقطع يُلغي علاقة الإتباع البدلية بين البدل والمبدل منه، ويُنشيء في التركيب علاقة نحوية جديدة هي علاقة الإسناد، والابتداء والخبر؛ لأن البدل المقطوع يغدو خبراً لمبتدأ محذوف يمتنع ظُهوره، ويزيد فيه جملة أخرى تكون استئنافاً للجملة السابقة، فينفصل البدلُ عن جملته الأساسية التي كان أحد متمماتها، وينضمُّ إلى الجملة الجديدة التي صار عنصراً أساسيّاً فيها لا يمكن الاستغناء عنه، وهذا التغيير والتحويل بالقطع يولّد معنى جديداً ليس للتركيب المعهود أن يؤدّيه، وكأن الجملة الجديدة صارت جواباً لِسؤال مقدَّر، وتبديلُ العلاقات النحوية بين عناصر التركيب يُعطيها الحركة الكافية التي تلفت انتباه المتلقي، وتشُدُّ سمعه، وتُحرِّك ذهنه نحو المعنى المقصود الذي خرج عن المعتاد، وفاق نظائره حتّى غدا موضع الاهتمامِ والعنايةِ الخاصّة التي تتطلّب منه جهداً أكبر لِتلقِّيه. قال مالك بن خُوَيْلِد الخُناعيّ[٤]:

يا مَيَّ إنْ تفقِدي قوماً وَلَدْتِهِمُ　　أوْ تُخْلَسِيهِمْ إنّ الدَّهْرَ خَلّاسُ

عمروٌ وعبدُ مَنافٍ والذي عَهِدَتْ　　ببطْنِ عَرْعَرَ آبي الدَّهْرِ عَبَّاسُ

---

(1) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ج١/٢١٠.
(2) الديوان، ٧٧.
(3) ينظر: الكتاب، ج٢/١٥-١٦، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٢٩٧، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩٧٣، والنحو الوافي، ج٣/٥٣٨.
(4) الكتاب، ج٢/١٥.

فقطع البدل (عمروٌ) عن المبدل منه المنصوب (قوماً) فألغى علاقة الإتباع بينهما، وأنشأ جملة جديدة مستقلَّة عن سابقتها مكوَّنة من البدل المقطوع (عمروٌ) الذي صار خبراً، ومبتدئه المحذوف وجوباً، وكأنه حين قال: (يا مَيّ إنْ تفقدي قوماً ولدتهم أو تُخلسيهم) سألته: (مَنْ هم؟) فأجابها: (عمروٌ وعبدُ مناف ...) وهو بهذا القطع قصد جَلْبَ الأنظار وإثارة اهتمام مَنْ يخاطب بهؤلاء الأشخاص الذين عَلا شأنُهم، وسما مقامُهم إلى درجة استحقُّوا فيها مزيداً من العناية، فالقطعُ سلَّط الأضواء عليهم، وجعلهم المقصود بالتركيب، ولولا القطعُ، لَظُنَّ أنهم كسائر النّاس في القَدْرِ والقِيمة، وهذا غيرُ المقصود. والجديرُ ذكرُه أن البدل يُقطَع إذا قصد المتكلمُ الفخرَ، أو تهويل الموقف، أو تعظيمه، وهذا ما يُلاحَظُ في بيتي مهلهل ومالك بن خويلد.

ويجوز قطع المعطوف عن المعطوف عليه لأغراض المدح والذّمّ والشّتم والتّرحّم، وقطعُه

يلغي العلاقة التبعية بينهما، ويزيد في التركيب جملة جديدة لايجوز ذِكرُ فعلها الذي غدا عاملاً في المعطوف المقطوع الذي صار مفعولاً به(١)، نحو قول أُميَّة بن عائذ الهذليّ(٢):

ويأوي إلى نِسْوَةٍ عُطَّلٍ وَشُعْثاً مَراضيعَ مِثْلَ السَّعالي(٣)

يصف صيّاداً يعود إلى نسوته بعد الصّيد، فيجدهنّ لاحليّ لهنّ، وقد تغيّر شعرهنّ، وتشعّث لِقلّة تعهّده بالدّهن، يُكثرن من الإرضاع، فأشبهْنَ في قبحهنَّ وسوء معاملتهنّ السّعلّاة، وهي الغولُ. فقطع المعطوف (شُعثاً) عن المعطوف عليه (عُطَّلٍ) ونصبه مفعولاً به لفعل محذوف، امتنع ذكرُه، وتقديرُه (أذمُّ) فالقطعُ سببُه معنويٌّ، وهو ذمُّ هذه الصفة في النساء، والمبالغة في الذّمّ، والتنبيه على قُبح هذه الصفة فيهنّ أكثر من الأولى، وهي الخُلُوُّ من الحُلِيِّ؛ لأن عدم تزيُّنهنَّ بالحليّ قد لا يكون لهنّ ذنبٌ فيه، ولا يتحمّلنَ تقصيرهنّ فيه بسبب الفقر، بينما يتحمّلن مسؤوليّة عدم التعهّد بشعورهنّ، فيكون القطعُ، وصرْفُ

---

(1) ينظر: شرح المفصل، ج١٩/٢، وأوضح المسالك، ٥٠٣-٥٠٥.
(2) ديوان الهذليين، ج١٨٤/٢.
(3) عُطَّلٌ: ليس لهنّ حُليّ، ومراضيع: ذات رضيع، والسّعالي: مفردها: السّعلاة: الغُول.

المعطوف عن وجهه أقوى وأدعى في ذمِّهنَّ وإنكار هذه الحالة عليهنّ، فاتّضح الفرقُ بين التعبيرين.

ويجوز في باب الشرط قطعُ المعطوف إذا كان المعطوفُ عليه فعلَ الشرط مجزوماً، وكان العطفُ بالواو أو الفاء، فيجوز في المعطوف الرّفعُ أو النصبُ بـ (أنْ) المضمرة، وإنْ كان الأصلُ الجزمَ، نحو (إنْ تأتني وتحدِّثَني أحدِّثْكَ، وإنْ تأتني فتحدِّثني أحدِّثْك) قال سيبويه: "وسألتُ الخليل عن قوله: (إنْ تأتني فتحدِّثَني أحدِّثْكَ، وإنْ تأتني وتحدِّثَني أحدِّثْكَ) فقال: هذا يجوز، والجزمُ الوجهُ"[(١)]. والرّفعُ نحو (إنْ تأتنا وتسألُنا نعطِكَ) فالرّفعُ يجعل الواو حاليّة، ولا يجوز الاستئنافُ[(٢)].

ويجوز قطعُ الفعل المضارع المعطوف على جواب الشّرط إذا كان مضارعاً مجزوماً، وكان العطفُ بالواو أو الفاء، فيجوز رفعُه على الاستئناف، ونصبُه على إضمار (أنْ) فالأوّلُ نحوُ (مَنْ يأتِني آتِهِ وأُكرِمُه، ومَنْ يأتِني آتِهِ فأُكرمُهُ) فجعلت الواو والفاء استئنافيّتين، وقطعت العطفَ بهما عمّا قبلهما، والثاني نحوُ (مَنْ يأتني آتِهِ وأُكرمَهُ، ومَنْ يأتني آتِهِ فأُكرمَه) فنصبت المعطوف (أُكرِمَ) بـ (أنْ) المضمرة بعد الواو والفاء، ولا يجوز هذا التغيير إذا كان العطف بـ (ثمّ) لأن (أنْ) لا تُضمَر بعدها، وهي للتراخي، ولا تصلح للحال، ولا يُبتدأ بها؛ لأن ما قبلها لم ينقطع[(٣)].

ويجوز قطع المعطوف إذا كان فعلاً مضارعاً، وكان المعطوف عليه معمولاً لـ (أنْ) الناصبة، فيجوز فيه الرّفعُ على الاستئناف بعد الواو والفاء، نحو (أُريدُ أنْ تُكرمَ زيداً فتُهينُه، وأُريدُ أنْ تُكرمَ زيداً وتُهينُه)[(٤)]. وإذا قطعت المعطوف عمّا قبله في المواضع المتقدّمة، كنت قد غيّرت وجهة التعبير الذي يعني تغيير المعنى، فإذا قلت: (إنْ تأتنا وتسألْنا نعطكَ) بجزم المعطوف (تسألْنا) كنت قد أشركته في حكم الشرط وجعلت العطاء مرتبطاً وقوعُه بحدثين متتاليين، هما الإتيانُ والسؤالُ، وإذا قلت: (إنْ تأتنا وتسألُنا نعطكَ)

---

(1) الكتاب، ج٣/٨٨.
(2) ينظر: الكتاب، ج٣/٨٥-٨٩، والمقتضب، ج٢/٦٣، وأوضح المسالك، ٦٤١.
(3) ينظر: المقتضب، ج٢/٢٢، ٦٤-٦٥، وأوضح المسالك، ٦٤١.
(4) ينظر: المقتضب، ج٢/٣٢-٣٣، والمفصل، ٣٢٤-٣٢٥.

برفع المعطوف (تسألُنا) ألغيت علاقة التبعية العطفية بينه وبين المعطوف عليه فعل الشرط (تأتِ) وحوّلتها إلى علاقة بين العامل والمعمول الذي يبيّن هيئة الإتيان من الفاعل، وغيّرت وظيفة الواو في الجملة، فلمّا كانت عاطفة، جمعت المسألة من الفاعل إلى الإتيان، وصارت بعد التحوّل رابطة للحال (تسألُنا) بعاملها وصاحبها (تأتنا).

وإذا قطعت المعطوف على جواب الشرط المجزوم لفظُه، تغيّر وجهُ التركيب والتعبير، وتغيّر المعنى، فإذا قلت: (إنْ تُكرمْ سالماً أُكرمْكَ وأُساعدْك) بجزم المعطوف (أُساعدْ) كان المقصود أنك تساعده إذا أكرم سالماً، فمساعدتُك له مرتبطةٌ بإكرامه سالماً؛ لأن الواو عاطفة، فدخل المعطوف (أُساعدْ) في حكم المعطوف عليه (أُكرم) وإذا نصبت، وقلت: (إنْ تساعدْ سالماً أُكرمْك وأُساعدَكَ) بنصب المعطوف (أُساعدَ) ظلّت الواو عاطفة، لكنها صارت للمعيّة، فخرجت من معنى المشاركة والجمع إلى معنى المصاحبة، فأفدت أن مساعدتك له مصحوبة بإكرامه. وإذا رفعت فقلت: (إنْ تُكرمْ سالماً أُكرمْك وأُساعدُك) أخرجت ما بعد الواو (أُساعدُ) من حكم الشرط، وولّدت معنى جديداً، هو الاستئناف، وأعلمته أن مساعدتك له واقعة على كلِّ حال، وليست المساعدة مرتبطة بشرط إكرامه سالماً، فقد ألغيت علاقة التبعية العطفية بين (أُكرمْك وأُساعدُك) وغيّرت وظيفة الواو في الجملة، فنقلتها من معنى الجمع والمشاركة إلى معنى الاستئناف، فظهر الفرْقُ بين التعبيرين(1).

وإذا قطعت المعطوف عن منصوب (أنْ) ورفعته، فقلت: (أُريد أن تُكرم زيداً فتُهينُه) ألغيت علاقة العطف بينهما، وأخرجت الإهانة من حكم الإرادة، فالفاءُ تغيّرت وظيفتُها، فانتقلت من إفادة معنى الترتيب والتعقيب إلى معنى الاستئناف، وصار المعنى أنه يريد أن يقع الإكرامُ منك لِزيد لا الإهانةُ، لكنك فعلت عكس ما أراد، فأهنتَ زيداً، ولم تُكرمه، فهو يُنكر عليك ما فعلت من الإهانة التي لم يُردها، وما لم تفعله من الإكرام الذي أراده، وهذا معنى غير موجود لو أنك عطفت، و قلت: (أريدُ أن تُكرمَ زيداً فتُهينَه) لأنك إنّما أردت أن

(1) ينظر: المقتضب، ج٢/٦٣، وجامع الدروس العربية، ج٢/٢٠٦-٢٠٧، ومعاني النحو، ج٤/١٠١.

يُوقع الإكرام والإهانة على زيد بالترتيب والتعقيب، فيُوقِع الإكرامَ أوّلاً، فيُتبِعــه بالإهانــة مباشرة، ومنه قول الحطيئة[١]:

والشعرُ لايضبطُه مَنْ يَظْلِمُــهْ

إذا ارْتقى فيه الذي لا يعلمُــهْ

زَلَّتْ به إلى الحَضيضِ قدمُــهْ

يريدُ أنْ يُعربَهُ فيُعجمُــــهْ

فقطع (يعجمُهْ) عمّا قبله، ورفعه على الاستئناف، والتقدير ُ(فهو يعجمُهْ) وأخرجه مــن حكم ما قبله، والمعنى أنه يريد توضيحه، فإذا به فعل عكس ذلك، فيلومُه على ما فعل من إعجام الشعر بدل إعرابه وتوضيحه، وهذا معنى لا يتحصّل لو أنه أتبع، وعطــف، ولــم يقطع؛ لأنه يُدخل الإعجام في حكم إرادة الإعراب، فصار ما بعد الفاء جملة مستقلّة مكوّنة من المبتدأ المحذوف (هو) وجملة (يُعجم) الخبرية بعد أن كانت تابعة لِمَا قبلها، ونشأت في التركيب

علاقةٌ نحوية جديدة، هي علاقةُ الإسناد بين المبتدأ المحذوف وخبره (يُعجمهْ).[٢]

وإذا كان سببُ القطع بلاغيّاً، فمن البلاغة أيضاً أن نتحاشى استخدامه مع مَنْ يجهلــه، لِعجزه عن فَهْم المعنى الذي نقصده، فيحكم بالخطأ على كلامنا[٣]. ولم أعثر في دواويــن الشعراء الخمسة على تراكيب قُطِعت فيها الصفةُ عن الموصوف، أو البدلُ عــن المبــدل منه، وثمّة تركيبٌ واحد في ديوان البارودي قُطِع فيه المعطوفُ عن المعطوف عليه فــي أسلوب الطلب المُشبِه للشرط، وذلك قولُه[٤]:

---

(1) الحطيئة، الديوان، رواية ابن السكّيت، تح: نعمان محمد أمين طه، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ٢٩١.

(2) ينظر، المقتضب، ج٢/٣٢-٣٣، والمفصل، ٣٢٤-٣٢٥.

(3) ينظر، النحو الوافي، ج٣/٣٩٧.

(4) الديوان، ج١/٢٦٠.

فقُمْ نَغْتَنِمْ صَفْوَ أيّامِنا   وندفعُ بالرَّاحِ عنَّا الأذَى

قطع الشاعر المعطوف (ندفعُ) عن المعطوف عليه المجزوم (نغتنمْ) لوقوعه جواباً للطلب (قُمْ) فألغى علاقة التبعية العطفية بينهما، وغيّر وظيفة الواو من العطف والجمع بين حدثي الاغتنام والدّفع إلى الاستئناف والتفريق بينهما. وتحويلُ العطف في هذا السياق عن وجهته هو تغييرٌ في المعنى والدّلالة، فلو أورد الشاعرُ التعبير طبيعيّاً، وعطف الفعل (ندفع) على الفعل (نغتنم) وجزمه، أفاد أن دفعَ الأذى بالرَّاح مرتبطٌ بالقيام، ومسبَّبٌ عنه مثلما اغتنامُ صفوِ الأيّام مرتبطٌ بحدث القيام، ومسبَّب عنه، فالدلالةُ قطعيّةٌ، ولامجال للتأويل والاحتمال، ولَمّا قطع العطف، وجعل الواو للاستئناف، ورفع الفعل (ندفعُ) دلَّ على أن دفعَ الأذى عنهم بالرَّاح واقعٌ على كلِّ حال، وليس مرتبطاً بحدث القيام. فالعطفُ يعني توالي ثلاثة أحداث على الترتيب، فالقيامُ ثمَّ الاغتنامُ ثمّ الدَّفعُ، أمّا الاستئنافُ، فلا يعني هذا التّوالي؛ لأنه يُخرج حدثَ الدّفع عمّا قبله، فهو لم يعدْ مسبَّباً عنه.

١١- تحويلُ التعدية:

التعدِيةُ هي تحويلُ الفعل اللازم الذي لا يصل إلى مفعول به في الأصل إلى فعل متعدٍّ يباشر مفعولاً به ليس له في أصل معناه، ويشمل تحويل الفعل المتعدّي إلى مفعول به واحد إلى فعل يتعدّى إلى مفعولين، وهذا التحويلُ تغييرٌ صرفيّ في بنية الفعل، فتُزاد همزةُ التعدية في أوّله، نحو (خرجَ، وأخرجَ) أو يُضعَّف عينُه نحو (كرُمَ، وكرَّمَ) أو تُزاد ألفُ المشاركة بين فائه وعينه، نحو (كَتَبَ، وكاتَبَ) أو تُزاد الألفُ والسّين والتاءُ في أوّله، نحو (خرجَ واستخرجَ).

وإذا تحوّل الفعلُ عن بابه الذي له في الأصل، صار الفاعلُ مفعولاً به، وتغيّرت العلاقاتُ النحوية بين عناصر التركيب، والمتكلمُ إنّما يلجأ إلى هذا التحويل من أجل معنى جديد يسعى وراءه، ويرى أن الفعل في بنيته الأساسيّة غير قادر على تأدية هذا المعنى، فيستفيد من إمكانيّات اللغة، ويتوسّع في استعمالها.

فإذا أدخلت همزةَ التعدية على الفعل، كنت قد نقلته من حال إلى حال، وحوّلت الفاعل إلى مفعول به، فالفعلُ (خرجَ) في قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾(١) لازم، فإذا دخلته همزةُ التعدية في أوّله، صار متعدّياً، نحو قوله تعالى:﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٢) والفعلُ (نسِي) متعدٍّ في الأصل إلى مفعول به واحد، فإذا دخلته همزةُ التعدية، جعلته متعدّياً إلى مفعولين، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾(٣).

وتعديةُ الفعل تكون بتغيير بنيته الصّرفية، فهو تغييرٌ صرفيّ، نتائجُه نحوية، فإذا تحوّل الفعلُ اللازم إلى متعدّ نشأت في التركيب علاقةٌ نحوية جديدة، هي علاقة التعدية بين الفعل المحوّل والمفعول به، وزاد التركيبُ عنصراً نحويّاً، هو المفعول به، والتحويلُ يحافظ على المعنى الأصلي للفعل، ويُضيف إليه معنى جديداً، نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ﴾(٤) فتعديةُ الفعل (أماتَ) بالهمزة إلى المفعول به هاءِ الغائب لم تُفقده معنى الموت، وأضاف إليه معنى جديداً، هو أن الفاعل قد تغيّر، فلو قال: (مات القائلُ: أنّى يُحيي هذه اللهُ بعد موتها) لَكانَ القائمَ بالموت دون أن يُوقعه أحدٌ عليه، وهذا عكسُ الغرضِ، فلمّا دخلته همزةُ التعدية تحوّل الفاعلُ، وتبدّل، وصار مفعولاً به، وصار (اللهُ) مُوقعاً الموتَ على الذي أنكره، وهذا هو الغرضُ والمعنى المُراد.

ويتحوّل الفعل اللازمُ إلى متعدٍّ، والفعلُ المتعدّي إلى مفعول واحد إلى فعل يتعدّى إلى مفعولين بتضعيف عينه، فيصير الفاعلُ مفعولاً به، وهو تحويلٌ صرفيّ، نتائجُه نحويّة، وهدفُه المعنى الذي لا يؤدّيه الفعلُ بصيغته الأصلِ، فالتصييرُ أحدُ المعاني المقصودةُ بهذا التحويل، نحو قول زهير بن أبي سُلْمى(٥):

خُلُقي بَرى جِسْمي وشَيَّبَني جَزَعي على ما ماتَ مِنْ هَرَمِ

(1) القصص، ٧٩.
(2) الأنفال، ٥.
(3) الحشر، ١٩.
(4) البقرة، ٢٥٩.
(5) الديوان، ٢٧٥.

فتحوّل الفعل اللازم (شابَ) بتضعيف عينه الياءِ إلى فعل متعدٍّ نصب المفعولَ به ياءَ المتكلم الذي هو فاعلٌ في الأصل؛ للدلالة على أن الفاعل في الأصل قد تحوّل من حالة الشباب إلى حالة الشَّيب، وأن هذا التحوُّل قد وقع بفعل فاعل خارجيّ، هو جزعُه على هرم، والتحويلُ أنشأ علاقة نحويّة جديدة لم تكن موجودة في التركيب بين الفعل المحوّل (شيَّب) والمفعولِ به ياءِ المتكلم الذي هو فاعلٌ لولا هذا التحويلُ.

وقد يكون الغرضُ من التحويل الإزالةَ، نحو قول الشّريف الرَّضيِّ(١):

وقَلَّمْتُ أظْفارَ الخُطُوبِ فما اشْتَكَى نَزِيلُكَ كَلْماً للخُطُوبِ ولاعَقْرا

فتحوّل الفعلُ اللازم (قلُم) إلى فعل متعدٍّ بتضعيف عينه اللامِ، فنصب المفعول به (أظفارَ) وهذه علاقةُ تعدية جديدة نشأت في التركيب بسبب التحويل الذي دلّ به الشاعرُ على أنه أزال من الخطوب قوّتها، وسلبها القُدْرةَ على إيذائه.

وقد يكون التحويلُ للدلالة على معنى القيام بالفعل من الفاعل على المفعول، نحو (مرَّضْتُه) أيْ (قُمتُ على تمريضه) أو على معنى الدّعاء، نحو (سقَّيْتُه) أيْ قلتُ له: (سقاكَ اللهُ) أو الجَعْلِ، نحو (فطَّرْتُه) بمعنى (جعلتُه مُفْطِراً) أو التقليل، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾(٢) أو التسمية نحو (حسَّنْتُه) أيْ (جعلتُه حسناً) و (صحَّحْتُه) أيْ (جعلتُه صحيحاً) بمعنى (نسبْتُه إلى الحُسْن وإلى الصِّحة). ومثالُ تعدية الفعل المتعدِّي إلى مفعول به بتضعيف عينه؛ لِيتعدَّى إلى مفعولين الفعلُ (فهَّم) في قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾(٣).

(1) الرَّضيّ، الشريف، الديوان، دارا صادر وبيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ٤١٩.
(2) الأنفال، ٤٤.
(3) الأنبياء، ٧٩.

ويُحَوّل الفعلُ اللازم إلى متعدٍّ بزيادة ألف المشاركة بعد فائه، ونَقْلِه إلى صيغة (فاعَــلَ) فيصير فاعلُــه مفعولاً به، نحو (سايَرَ، وجارَى، وفاخَرَ، وطاوَلَ) مــن (ســار، وجَــرَى، وفخَرَ، وطالَ) قال جرير[١]:

كَذَبَ الفرزدقُ لن يُجارِيَ عامراً   يومَ الرِّهانِ بِمُقْرِفٍ مَبْهورِ

فزاد الألف، وحوّل الفعل (جَرَى) إلى صيغة (جارَى) بوزن (فاعَلَ) فصار متعدّياً بعــد أن كان لازماً، ونشأت علاقةُ التعدية بينه وبين مفعوله (عامِراً) وقال الأخطل[٢]:

نازَعَتْهُ طِيْبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقدْ   صاحَ الدَّجاجُ وحانتْ وَقْعَةُ السَّارِي

فزاد الألفَ، وحوّل الفعل (نَزَعَ) إلى (نازَعَ) بــصيغة (فاعَــلَ) فــصار متعــدِّياً إلـــى مفعولين، هما هاءُ الغائب، و (طِيبَ) بعد أن كان متعدِّياً إلى مفعول به واحد.

وتُزاد في أوّل الفعل الألفُ والسِّين والتّاءُ، فيصير على وزن (اسْــتَفْعَلَ)فيتحــوّل مــن اللزوم إلى التعدّي، نحو (استغفر، واستعظم، واستغضب) من (غفر، وعظُم، وغضب) قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا ﴾[٣]فحوّل (طعم) إلى (استطعم) بوزن (اســتفعل) بزيادة الألف والسين والتاء في أوّله، فنصب المفعول به (أهل) فصار متعدّياً بعد أن كــان لازماً، وهذا التحويلُ غرضُه إفادةُ معنى الطلب، نحو قوله تعالى:﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ ﴾[٤] والمعنى (طلبتم الغوثَ منه) وقد يكون غرضُه إفادةَ معنـــى الإصـــابة والاعتقـــاد، نحـــو (استجاد الأمر، واستحسنه، واستقبحه) إذا وجده جيِّداً وحسناً وقبيحاً، أو اعتقد فيه الجــودة والحُسْن والقُبح، قال المتنبي[٥]:

قَواصِدَ كافورٍ تَوارِكَ غيرِه   وَمَنْ قَصَدَ البحرَ استَقَلَّ السَّواقِيا

---

(1) الديوان، ١٩٥.
(2) الديوان، ١١٦.
(3) الكهف، ٧٧.
(4) الأنفال،٩.
(5) الديوان، ج٤/٢٨٧.

أيْ وجدها قليلة، أو اعتقد فيها القِلّة، وهذا معنى أصــابه بتحويلــه مــن (قَــلَّ) إلــى (استقلَّ)(١). وقد ورد في دواوين الشّعراء الخمسة كثيرٌ من الأفعال اللازمة التــي غُيِّــرت أبنيتُها لِتتحوّل إلى أفعال متعدِّية. قال البارودي ّ(٢):

ذاكَ عَهْدٌ مَضَى وأبْعدُ شيءٍ أنْ يَرُدَّ الزَّمانُ عَهْدَ التَّصابي

فأَدِيرا عليَّ ذِكْراهُ إنِّــي مُنْذُ فارَقْتُهُ شَدِيدُ المُصابِ

الفعلُ (أديرا) أمرٌ، ماضيه (أدار) و (أدار) وزنُه (أَفْعَلَ) وليس هذا أصلاً فيــه، وإنّمــا أصلُه الثلاثيّ اللازمُ (دارَ) الذي إذا استُعمِل في السِّياق، ورُكِّب مع عناصر نحويّة أخــرى في التركيب، اكتفى بالفاعل، وليست به حاجةٌ إلى علاقة التعدية، ودلّ على وُقوع الفعــل من الفاعل على ذاته دون مؤثِّر خارجيّ، فلو قال الشاعر: (دارتْ ذِكــراه علــيّ) وجــاء بالفعل على أصله اللازم، لَدلّ على أنّ ذِكراه، أيْ ذِكرى عهد التّصابي قد قامت من تِلقــاء ذاتها بالدّوران الذي عاد عليها، ولَمّا لم يكن هذا المعنى مقصوداً؛ لِعدم مطابقتــه الواقــعَ الخارجيّ، وكان ثمّة مَنْ أوقع الفعل على ذكرى التّصابي بطلب من الشاعر الــذي حــوّل الفعل الثّلاثيّ اللازم (دار) إلى فعلٍ متعدٍّ، فزاد همزة التعدية في أوّله، فزاد حرفاً في بنيته الصّرفية، فنقله من صيغة (فَعَلَ) إلى صيغة (أَفْعَلَ) ثمّ أنشأ تعبيره (فأديرا علــيَّ ذكــراه) فَدَلَّ على أن فعل الإدارة الذي وقع على ذكرى التّصابي قد كان بتــأثير فاعــل خــارجيّ صار وسيطاً بين الفعل وما وقع عليه. ونشأت نتيجة هذا التحويل علاقةٌ نحويّة جديدة لــم تكن فيه في الأصل، وهي علاقة التعدية بين الفعل (أديرا) الذي غُيِّرت صيغتُه، ومفعولِــه (ذكرى) الذي تحوّل من معنى الفاعليّة إلى معنى المفعوليّة ففقد وظيفة نحويّــة، واكتــسب وظيفة نحوية أخرى. ولعلّ هذا التوضيح قد أبرز الفرْقَ بين التعبيرين. وقال الشابّي(٣):

طَهِّرْ كُلُومَكَ بالدُّمُوعِ وخَلِّها وسبيلَهــا

(1) ينظر: الحسن، محمود، التعدّي واللزوم في شعر جرير، رسالة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة حلب، ١٤٣٣٠هـ-٢٠٠٩م ،١٤٦- ١٦٦، والنحو الوافي، ج٢/١٣٢-١٣٧.

(2) الديوان، ج١/٥٤.

(3) الديوان، ١٦٠.

إنّ المَدَامعَ لا تُضيعُ   حَقِيرَها وجَليلَها

حوّل الشاعرُ الفعل الثّلاثيّ اللازم (طهُرَ) إلى صيغة (طهَّر) أيْ نقله من صيغة (فعُلَ) إلى صيغة (فعَّل) فحوَّله من اللزوم إلى التعدّي بزيادة التَّضعيف على عينه، فنقله من باب إلى باب آخر. وغيَّر هذا التحويلُ وظيفته النحويّة في التركيب إذِ استُخدِم فيه، فلو ظلَّ على أصله دون تضعيف لاكتفى بفاعله، ولَكان التركيبُ (طهُرت كلومُك بالدّموع) وهذا معناه أن الطَّهارة قد أصابت الكُلوم من دون مؤثِّر خارجيّ، ولكنّ الواقع الذي يصوِّره الشاعر خلافُ ذلك، واقتضى منه أن يُعبّر عنه بأسلوب يُظهره، ويُوضِّحه، فحوّل الفعل اللازم (طهُر) إلى متعدّ، فضعَّف عينه، وقال: (فطهِّرْ كلومَك بالدُّموع) فدلّ على أنّ كُلُومه قد تطهَّرت بفعل فاعل خارجيّ قد سكب الدموع عليها بقصد تطهيرها. فالتعبيرُ الأوّل يدلّ على عفويّة وتلقائيّة في الطّهارة، والتعبيرُ الثاني يدلّ على وعيٍ وقصْدٍ في إيقاع فعل التطهير على الكلوم بسكب الدُّموع عليها. فالتحويلُ أفقد العنصر النحويّ (كُلومَكَ) معنى الفاعليّة وإسناد الفعل إليه وعلامة الرّفع، وأكسبه معنى المفعولية، وإيقاع الفعل عليه، وعلامة النّصب، فلمّا تغيَّرت صيغةُ الفعل، أعاد الشاعرُ ترتيب العناصر النحوية في تعبيره، وتوزيع وظائفها النحوية لاختفاء علاقة نحوية، ونشوء علاقتين نحويّتين جديدتين. وقال أبو ماضي[(١)]:

أمّا الفتاةُ فَراعَها ما صارَ في   مَحْبُوبِها وكأنَّها نَدِمَتْ على ...

جَعَلَتْ تُناديهِ بِصَوتٍ مُحْزِنٍ   فَيُجيبُها كَندائِها رَجْعُ الصَّدى

زاد الشاعر الألفَ بين النّون والدّال، فتحوّل الفعلُ الثلاثيّ (ندي) من صيغته الأصلية إلى صيغة جديدة ليست له في الأصل، هي صيغةُ (فَاعَلَ) فتحوّل من (ندي) إلى (نادَى) أيْ من صيغة (فعِلَ) إلى صيغة (فاعَلَ) فتحوّل من اللزوم إلى التعدِّي، وترك معناه الأصلَ (البَلَلَ) واكتسب معنى جديداً، هو الصُّراخُ ومخاطبةُ الآخر. ففقد بالتحويل خُصوصيّته كفعل لازم يكتفي بالفاعل، ولا يحتاج إلى المفعول به، واكتسب ما للفعل

(1) الديوان، ١٠٧.

المتعدّي من خصائص نحوية في التركيب، فاحتاج إلى مفعول به يتعدَّى إليه، ويتوضَّح به القصْدُ من النّداء، فوسَّع التحويلُ علاقاته النحويّة، وجعــل التركيــب ذا حركــة بــسبب التغييرات النّاجمة عن تحويل بنية الفعل الذي احتاج بعد التحويل إلى فاعل يُوقعُه، ويُــسنَد إليه؛ لأن فاعله قد تحوّل إلى مفعول به، وتغيَّرت العلاقةُ النحوية بينهما من الإســناد إلــى التعدية. وقال السيّاب(١):

شَفَّني من رُبُوعِكِ النَّضِراتِ فِتْنةٌ تَسْتَعيدُها نَظَراتــي

في رِياض النَّخيلِ يجمعُ فيها الفَجْرُ شَمْلَ الضِّياءِ بعدَ شَتَــاتِ

حوّل الشاعر الفعل الثلاثيّ اللازم (عاد) إلى فعل متعدّ، فزاد في أوّله ثلاثــةَ أحــرف، هي الألفُ والسّين والتّاءُ، فانتقل من صيغة (فَعَلَ) إلى صيغة (اسْتَفْعَلَ) وطلب مفعولاً بــه؛ لِيتمَّ به المعنى بعد أن كان في غِنىً عنه. فتغييرُ بنية الفعل حَدَا بالشاعر إلى تغيير أسلوب تعبيره، فقد تغيّرت العلاقاتُ السياقيّة بين عناصر التركيب (تَسْتعيدُها نظراتي) فقد كانــت هاءُ الغائب قبل التحويل فاعلاً أُسنِد إليه الفعلُ (تعودُ) فغدت بعد التحويل مفعولاً به وقــع عليه فعلُ الاستعادة، وقد تركت مكانها السِّياقيّ لفاعل آخر، هو (نظراتي). والفعلُ (عــاد) قبل التحويل فيه دلالةٌ على عودة الفتنة دون مؤثِّر خارجيّ، ولَمّــا تحــوّل إلــى صــيغة (استعاد) دلّ على فاعلٍ طلب وقوع الفعلِ فعلِ الاستعادة مــن الفاعــل (نظراتــي) علــى المفعول به (الفتنة) وكأنّ تحويل الفعل يمكِّن الشاعر من تكرار وقوعه؛ لأنه كلّما انتهــى وُقوعُه، أعاد الطّلبَ مرَّة أخرى، والأمرُ هكذا دواليك، وهذا لا يتيسَّر له لو أورد الفعل في صيغته الثلاثيّة اللازمة.

فتحويلُ التّعدية تغييرٌ صرفيٌّ يُصيب بنية الفعل، ويؤدِّي إلى تغيير العلاقات السِّياقيّة بين

---

(1) الديوان، ٤١٩.

عناصر التركيب، كما يُمكِّن الشاعرَ من تنويع أسلوبه وأدائه، ويجعله يؤدِّي المعاني التي من أجلها أبدع تركيبه، وشكَّله.

١٢- التحويل بالتركيب:

التركيبُ هو جعلُ كلمتين أو أكثر كلمة واحدة، بمزجهما نحو (بعلبَكَّ) أو بإضافة إحداهما إلى الأخرى نحو (عبدُ الله) بإضافة (عبدُ)إلى لفظ الجلالة (الله)[١].

ويجوز تركيب اسمٍ واحد من اسمين علمين للدلالة على العلمية، فإذا كان الاسمان الممزوجين عربيين بُنِي الأوّل على الفتح، وظهرت حركةُ الإعراب في آخر الثاني، نحو (هذه حضرَموتُ) من الاسمين (حضرَ وموتَ) وإذا كان الأوّل منتهياً بالياء، سُكِّنت؛ لوقوعها في الوسط، وظهرت حركةُ الإعراب في آخر الثاني، نحو (هذا معديْكربُ) وهذا التحويل يجعل الاسم المركَّب ممنوعاً من الصّرف، فلا يُنوّن، ويُجَرُّ بالفتحة نيابة عن الكسرة، وسببُ منعه من الصّرف أنه صار بمنزلة الاسم المذكَّر الذي حُوِّل إلى المؤنَّث بإضافة التاء إلى آخره[٢]، وأن التركيب ليس أصلاً في الأسماء، فكرهوا صرْفه في الإعراب كما يصرفون الاسمَ المتمكِّن الجاري على الأصل[٣]. وإذا رُكِّب اسمٌ عربيّ مع الاسم الأعجميّ (وَيْهِ) نحو (عَمْرَوَيْهِ ونِفْطَوَيْهِ) فإن الجزء الأوّل، وهو العربيّ يُبْنَى على الفتح؛ لأنه صار بمنزلة الاسم المذكَّر الذي حُوِّل إلى المؤنَّث بإضافة التاء الزائدة إلى آخره، ويُبنَى الجزءُ الثاني، وهو الأعجميُّ على الكسر؛ لأنه اسمٌ أعجميٌّ ضُمَّ إلى اسم عربيّ، نحو (رأيتُ عمرَوَيْهِ، ومررت بنفطَويهِ)[٤].

ويجوز تركيب زمن واحد من زمنين للدلالة على معناهما، نحو (صباحَ مساءَ) من الظرفين (صباحَ، ومساءَ) و (ليلَ نهارَ) من الظرفين (ليلَ ونهارَ) و (يومَ يومَ) من الظرفين (يومَ، ويومَ) والتحويلُ يوجب بناء الجزءين على الفتح، نحو (يزورنا فلانٌ صباحَ

---

(1) يظر: شرح جمل الزجاجي، ج٢/٢١١، وأسرار النحو، ٩٠، والجملة العربية والمعنى، ٢٢٨.

(2) ينظر: المقتضب، ج٤/٢٠.

(3) ينظر:ا لكتاب، ج٣/٢٩٧.

(4) ينظر: الكتاب، ج٤/٣١، والأصول في النحو، ج٢/٩٢، وشرح المفصل، ج١/٢٨-٢٩ ،٦٥، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٢٣١، وارتشاف الضرب، ج٢/٨٦٥-٨٦٧، وجامع الدروس العربية، ج١/١٣.

مساءَ، ويومَ يومَ) والمعنى أن زيارته واقعة كلَّ صباحٍ ومساءٍ وكلَّ يومٍ، فانتقل المعنى من التخصيص والتحديد إلى العموم والشُّمول، وتركيبُهما يمنعهما التصرّف في مواقع الإعراب، فلا يُستعمَل حالَ تركيبه إلّا ظرفاً.

ويجوز تركيب مكان واحد من مكانين للدلالة على معناهما، نحو (بينَ بينَ) من الظرفين (بينَ ،وبينَ) ومنه قول عبيد بن الأبرص(١):

نَحْمِي حَقِيقَتَنا وبَعْ ضُ القومِ يسقُطُ بَيْنَ بَيْنا(٢)

وإذا رُكِّب، بُنِي على فتح الجزءين، وحُرِم التصرّف، فلا يُستخدَمُ إلاّ ظرفاً، وترك الإعراب إلى البناء(٣).

ويجوز تركيب اسمٍ واحد من اسمين للدلالة على معنى الحال، نحوُ (هو جاري بيتَ بيتَ) أيْ (متلاصقين) ونحو (وقع الناسُ حَيْصَ بَيْصَ) أيْ في فتنة واختلاط من أمرهم، لامَخرج لهم منه، نحو قول أميّة بن عائذ الهذليّ(٤):

قد كنتُ خَرَّاجاً وَلُوجاً صَيْرَفاً لمْ تَلْتَحِصْنِي حَيْصَ بَيْصَ لَحَاصِ(٥)

ونحو (ذهب القومُ شَذَرَ مَذَرَ) بمعنى (متفرِّقين) والتركيبُ يُوجِبُ بناء الجزءين على الفتح، فيهجر الإعراب إلى البناء، ويلتزم الاستخدام في هذا الباب للتعبير عن معنى الحال(٦).

ويجوز في الاسمين المركَّبين تركيباً مزجيّاً للدلالة على الزمان أو المكان أو الحال إضافةُ الأوّل إلى الثاني؛ لأنه الأصلُ والقياسُ، قال ابن السرّاج: "واعلمْ أنّهم لا يجعلون

---

(1)الديوان، ١٣٦.
(2) حقيقتنا: ما يحِقُّ على المرء حمايته.
(3) ينظر، الكتاب، ج٣/٣٠٢-٣٠٣، والمفصل، ٢٢٤-٢٢٦، وشرح المفصل، ج٤/١١٨-١١٩، وجامع الدروس العربية، ج١/١٣، ومعاني النحو، ج٢/١٧٦-١٧٨.
(4) ديوان الهذليين، ج٢/١٩٢.
(5) يقصد أنه كان حسنَ التصرّف في الأمور، وحيص بيص: وقع في أمر لا خُروج له، ولحاص: الداهية.
(6) ينظر، الكتاب، ج٣/٣٠٢-٣٠٤، والمقتضب، ج٤/٢٩، والأصول في النحو، ج٢/١٣٩-١٤٠، والمفصل،٢٢٤-٢٢٦ ،وشرح المفصل، ج٤/١١٦-١١٩، وارتشاف الضرب، ج٢/٨٦٦، وجامع الدروس العربية، ج١/١٣، والجملة العربية والمعنى، ٢٣٥.

شيئاً من هذه الأسماء بمنزلة اسم واحد إلّا أرادوا به الحال والظرف، والأصـلُ والقيـاسُ الإضافةُ"(١).

ومن التركيب المركَّباتُ المعربةُ الدّالّة على معاني الترتيب والتكرار والاستمرار، نحـو (ادخلوا رجلاً رجلاً) بمعنى (مترتّبين ومتكرّرين) ونحو (أقبلوا صفّاً صفّاً) أيْ (متـرتّبين صفّاً بعد صفٍّ) ونحو (خُذوا واحدةً واحدةً) أيْ (لِيأخذْ كلٌّ واحدٍ واحدةً) ولو قال: (خـذوا واحدةً) لاشترك جميعهم في واحدة، ونحو (صلاةُ الليل ركعتان ركعتـان) بمعنـى أنهـا تُؤدَّى، وتُصلَّى بهيئة ركعتين، وتستمرّ بهذا الترتيب، وتتكـرّر مـن المـصلّي بالطّريقـة نفسها، وهذا المعنى لا يؤدِّيه تعبيرُ (صلاةُ الليل ركعتان) لأنه يعني أن عـددها ركعتـان فحسبُ، فيغدو التعبيرُ غرضُه الإخبارُ عن عدد ركعات الليل، وهذا خِلاف المقصود؛ لأنه أراد توضيح كيفيّـة أدائها(٢).

ويبدو لي أن التعبير عن الحال باللفظ المركَّب أقوى من التعبير عنها بلفظه الأصـلي، وهو المشتقُّ الذي أدَّى التركيبُ الجامدُ معناه، لأنها تُؤدَّى باسمين جامـدين بـدل مـشتقٍّ واحد، فإذا قلت: (هو جاري متلاصقين) كان التعبير معهوداً، والمعنى عاديّاً، فـلا ينتبـه المتلقّي إليه، لأنك أفدت القُرْب فحسبُ، وإذا قلت: (هو جاري بيتَ بيـتَ) أفـدت القـرب الشّديد، وأكَّدت هذا المعنى، وقوَّيته مبالغةً منك، وكأنّما مَنْ تخاطبه يشكُّ في ذلك، فجعلت التركيب سبيلك إلى هذا المعنى. وقد ندر استخدامُ التراكيب المزجية في دواوين الـشعراء الخمسة، ولم يستخدموا التراكيب الظرفية والمعربة، ومنه قول بدر الدين الحامد(٣):

الْعَبْشَمِيُّونَ ما لانُوا ولا وَهَنُوا   ولِلْبِقاعِ كَمَا للنَّاسِ أسْرارُ

(العبشميُّون) اسمُ علمٍ محوّل ومركَّب تركيباً مزجيّاً من كلمتين عربيتين، همـا (العبـدُ وشمسيُّون) فحذف الشاعر حرف الدّال من الكلمة الأولى، وأزال الواو العاطفة من بينهما، فمزج الأولى بالثانية. والمُلاحَظُ أن الشاعر لم يبنِ الجزء الأوّل منه على الفـتح، فأبقـاه

(1) الأصول في النحو، ج٢/١٤٠، وينظر، الكتاب،ج٣/٣٠٢-٣٠٣.
(2) ينظر، الأصول في النحو، ج٢/١٣٩، والجملة العربية والمعنى، ٢٣٥.
(3) الديوان، ج١/٩٤.

ساكناً، ولعلّ ضرورة الوزن دفعته إلى ذلك، أو أنه رغب في إبقاء الحرف ساكناً على أصله. ولست أرى تفسيراً لهذا المزج سوى الاختصار في تأدية المعنى المراد لوُضوحه والعلم به، وقد تكون دلالةُ الكلمة الممزوجة على المعنى الذي تحمله أقوى من دلالة طرفيها عليه لو كانا منفصلين، فكأن تغييرهما، ومزجهما في بنية صرفيّة واحدة إشارةٌ وتنبيه للمتلقي إلى شيءٍ ما، ينبغي أن يتبصَّره.

١٣- التركيب الإضافيّ:

يجوز تركيب اسم واحد من اسمين على تقدير حرف الجرّ بينهما، وذلك بإضافة الأوّل إلى الثاني، فتنشأ بينهما علاقة نحوية، هي علاقة الإضافة، فالأوّل يُسمَّى مضافاً، والثاني مضافاً إليه، نحو (عبد الله) فهو مؤلَّف من (عبد) ولفظ الجلالة (الله) ونحو (خاتمُ فضّةٍ) من (خاتمُ) و (فضّةٍ) وعاملُ الجرّ في المضاف إليه، هو المضافُ. والإضافةُ لها نوعان، الأوّل معنوية، وذلك إذا كان المضافُ جامداً، فيكتسب من المضاف إليه التعريفَ إذا كان معرفةً، نحو (هذا كتابُ سعيدٍ) والتخصيص إذا كان نكرة، نحو (هذا كتابُ رجلٍ) وتُسمَّى الإضافة الحقيقيّة أو المحضةَ، والثاني الإضافةُ اللفظيةُ، والغرضُ منها تخفيف لفظ المضاف بحذف تنوينه إذا كان مفرداً، وبحذف نونه إذا كان مثنًّى أو جمع مذكَّر سالماً، من غير أن يستفيد التعريف أو التخصيص وذلك إذا كان مشتقّاً اسمَ فاعل أو مفعول أو مبالغة اسم الفاعل أو صفة مشبَّهة باسم الفاعل بشرط إضافتها إلى فاعلها أو مفعولها في المعنى، نحو (هذا رجلٌ طالبُ علمٍ، ورأيت رجلاً نصّارَ المظلوم، وانصُرْ رجلاً مهضومَ الحقِّ، وعاشرْ رجلاً حسنَ الخُلُقِ) بإضافة اسم الفاعل (طالب) ومبالغة اسم الفاعل (نصّار) واسم المفعول (مهضوم) والصفة المشبّهة باسم الفاعل (حَسَنَ) إلى معمولاتها (علمٍ، والمظلومِ، والحقِّ، والخُلُقِ)والدّليلُ على أنها تظلّ نكرة أنها تقع حالاً، نحو (جاء خالدٌ باسمَ الثغرِ) وتوصَف بها النكرة، نحو قوله تعالى:﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[1] وأنها تأتي بعد (ربَّ) المختصّة بالدخول على النكرات، نحو "يا ربَّ صائمه لن يصومه، ويا رُبَّ قائمه

(1) الأحقاف، ٢٤.

لن يقومه". ومن الإضافة اللفظية إضافةُ المنسوب إلى مرفوعه، نحو (هو عربيُّ النسبِ، وعراقيُّ الوطنِ) وإضافةُ المصادر إذا كانت بمعنى اسم الفاعل أو المفعول، نحو (قَيْدُ الأوابدِ) أيْ (مقيَّدُ الأوابدِ). وتُسمَّى هذه الإضافةُ مجازية؛

لأنها لغير الغرض الأصليّ من الإضافة، وإنّما للتخفيف اللفظيّ، كما تُسمَّى الإضافةَ غيرَ المحضة؛ لأنها ليست خالصة بالمعنى المراد للإضافة، فهي على تقدير الانفصال بينهما.

وإذا أُضيف اسمٌ إلى اسمٍ، نتجت عن هذا التغيير النحويّ قواعدُ تحويليّة عِدَّةٌ، فلا يُنوَّن المضاف، وتُحذَف نونه إذا كان مثنّى أو جمع مذكّر سالماً، وتُحذَف منه (ال) التعريف إذا كانت الإضافةُ معنوية[1]، فلا يجوز (الكتابُ الأستاذِ) ويجوز اقترانُه بـ (ال) إذا كانت الإضافةُ لفظيّةً، وكان المضافُ مثنًّى، نحو (المُكرِما سليمٍ) أوجمع مذكَّر سالماً، نحو (المُكرمو سليمٍ) أو اقترن المضافُ إليه بـ (ال) نحو (الكاتبُ الدّرس) أو كان المضافُ إليه مضافاً إلى ما فيه (ال) نحو (الكاتبُ درسِ النحوِ) ولا يجوز (المكرمُ سليمٍ، والمكرماتُ سليمٍ، والكاتبُ درسٍ) لعدم وجود الشروط السابقة. وقد يكتسب المضافُ من المضاف إليه معنى التذكير أو التأنيث بشرط أن يكون المضافُ صالحاً للحذف؛ لِيقوم المضافُ إليه مقامه في الإعراب وتأدية المعنى، نحو قول مجنون ليلى[2]:

وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

فاكتسب المضافُ المذكَّر (حُبُّ) معنى التأنيث من المضاف إليه المؤنَّث (الدِّيارِ) ولذلك جاز إسنادُ الفعل (شغفَ) إلى نون النّسوة.

والأغلبُ أن الإضافة إذا كانت معنوية، فإنّها تدور حول معاني المُلْكِ أو الاختصاص أو البَيَان أو الظرف أو التشبيه، فالأوّلُ يكون على تقدير اللام الجارّة، نحو (هذا حصانُ عليٍّ) والتقديرُ (هذا حصانٌ لِعليٍّ) فأفدت بالإضافة مُلْكيّة الحصان لِعليٍّ، والثاني يكون

(1) ينظر، جامع الدروس العربية، ج١/١٢، ج٣/٢٠٥-٢١٢، والأصول في النحو، ج٢/٣٠٣، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٢/٦٠، والإيضاح العضدي، ٢٦٧-٢٧٠، والخصائص، ج٣/٦٥، وشرح جمل الزجاجي، ج٢/٧٢-٧٤، والنحو الوافي، ج٣/٧-١١، ومعاني النحو،ج ٣/١٠٢-١٠٥

(2) الديوان، ١٧٠.

على تقدير (مِنْ) الجارّة، ويكون المضافُ إليه جنساً للمضاف، والمضافُ بعضاً من المضاف إليه، نحو (هذا بابُ خشبٍ) والتقديرُ (هذا بابٌ من خشبٍ) فأفدت بإضافة (بابُ) إلى (خشبٍ) توضيح وبَيَانَ جنسِ الباب ونوعِه، والثالثُ على تقدير (في) وذلك إذا كان المضافُ إليه ظرفاً للمضاف، فيُحدِّد زمان المضاف أو مكانه، نحو (سَهَرُ الليلِ مُضْنٍ) أيْ (سهرٌ في الليلِ) فأفدت بإضافةِ (سَهَرُ) إلى (الليلِ) تحديدَ زمن المضاف (سَهَرُ) ونحو قوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ﴾[١]والتقديرُ(يا صاحبيَّ في السّجنِ)فوضَّحت الإضافةُ مكانَ صحبته لهما، وهو السِّجنُ، والرّابعُ على تقدير كاف التشبيه، ويُضافُ فيه المشبَّه به إلى المشبَّه، نحو قول ابن خَفَاجة الأندلسيّ[٢]:

والرِّيحُ تعبثُ بالْغُصُونِ وقدْ جَرَى ذَهَبُ الأَصيلِ على لُجَيْنِ الماءِ

والتقدير (ذَهَبٌ كالأصيل) والأصلُ (الأصيلُ ذَهَبٌ) والظاهرُ أن الإضافة في هذا الموضع، هي تحويلُ الجملة الاسمية إلى الإضافة، وذلك بإضافة الخبر إلى المبتدأ، فأُلغِيَت علاقة الإسناد بينهما، وأُنشِئَتْ علاقةُ الإضافة لغرض التشبيه.

فالإضافةُ تنفي عن المضاف التنكيرَ، وتُلحقه بالمعارف، وتنقل معناه من الشُّيوع والعُموم إلى التخصيص والتحديد[٣]. وقد كثر في دواوين الشعراء الخمسة استخدامُ التركيب الإضافيّ. قال أبو ماضي[٤]:

مِنَ الْفَرَنْسِيسِ قَيْدَ الْعَيْنِ صُوْرَتُها عَذْراءُ قدْ مُلِئَتْ أَجْفَانُها حَوَرَا

يَدُ الْمَنِيَّةِ طَاحَتْ غِبَّ مَوْلِدِها بِأُمِّها، وأبُوها ماتَ مُنْتَحِرَا

أضاف الشاعرُ الاسمَ الجامد (يدُ) إلى اسمٍ جامد مثله، هو (المنيَّةِ) فنشأت بينهما علاقةٌ نحويّة، هي علاقةُ الإضافةِ، فصارا بمنزلة الكلمة الواحدة في الاستخدام وأداء المعنى.

(1) يوسف، ٣٩.
(2) ابن خفاجة، الديوان، تح: مصطفى غازي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م، ٣٢٦.
(3) – ينظر، جامع الدروس العربية، ج١٢/١،ج٢٠٥/٣-٢١٢، والأصول في النحو، ج٣٠٣/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٦٠/٢، والإيضاح العضدي، ٢٦٧-٢٧٠، والخصائص، ج٦٥/٣، وشرح جمل الزجاجي، ج٧٢/٢-٧٤، والنحو الوافي، ج٧/٣-١١، ومعاني النحو، ج١٠٢/٣-١٠٥.
(4) الديوان، ٣٦٦.

وهذه الإضافةُ حقيقيّةٌ؛ لأن الغرض منها أن يوضِّح المضافُ إليه (المنيّةِ) المضافَ (يــدُ) فلو قال الشاعرُ: (يدٌ طاحتْ) من دون إضافة، لَكان معنى (يد) على العموم مطلقاً، ويجوز للمتلقي تحريكُ خيالِه في كلّ اتِّجاه لِتحصيل صاحبها، ولَمّا كــان الــشاعرُ علــى دِرايــة بصاحبها، والمشهدُ الحزينُ الذي يصوِّره لا يحتمل وضْعَ المتلقّي في الاحتمالات، أضـــاف (يدُ) إلى (المنيّةِ). والإضافةُ بينهما على نيّة اللام الجارّة، وكأنّه قال: (يدٌ لِلمنيّةِ). وقال أبو ماضي[1]:

وزادَ حتّى تَمَنَّتْ كُلُّ جارِحَةٍ لوْ أصْبَحَتْ مَسْمَعَاً أوْ أصْبَحَتْ بَصَرَا

أضاف الشاعرُ كلمة (كلُّ) إلى كلمة (جارحةٍ) فصارتا في التركيــب والــسياق الــذي وردتا فيه بمنزلة الكلمة الواحدة، واكتسب المضافُ (كلُّ) الذي معناه التذكيرُ في الأصــل معنى التأنيث من المضاف إليه المؤنَّث (جارحةٍ) بدليل إلحاق تاء التأنيث السّاكنة بالفعــل (تمنَّتْ). والإضافةُ بينهما حقيقيّةٌ؛ لأنهما جامدان، والغايةُ من إنشاء علاقة الإضافة بينهمــا توضيحُ المقصود بالمضاف (كلُّ) فلولا الإضافةُ، لَظلَّ معنى الفاعلية الذي عبَّــرت عنــه (كلُّ) مطلقاً عامّاً، فلو قال الشاعرُ: (حتّى تمنَّتْ كلٌّ) لَصلَح أن يقع التمنِّي مــن أيٍّ فاعــلٍ يحتمله السّياقُ، ويقبله المعنى، وهذا خلافُ المقصود. فلمّا أضاف (كلُّ) إلى المضاف إليه (جارحةٍ) جعل وقوعَ التمنِّي محدوداً ومحصوراً ومعلوماً، فانتقلت الدّلالةُ دلالــةُ الفاعــل على معنى التمنِّي من الاحتماليّة إلى القطعيّة. وقال البارودي[2]:

إنّما المَرْءُ صُوْرَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وانْتِهاءُ الْعُمْرانِ بَدْءُ الْخَرابِ

أضاف الشاعرُ المصدرَ (انتهاءُ) إلى المضاف إليه (العمرانِ) فأضاف جامداً إلى جامد، وأنشأ علاقة الإضافة المعنويّة الحقيقيّة بينهما، ولولا الإضافةُ، لَظلّ المقــصودُ بالانتهــاء غامضاً، وصار السّياقُ غُفْلاً من المعنى الواضح. ولَمّا كانت الغايةُ من التعبير أن يــؤدِّي معنى واضحاً مفهوماً يتفاعل معه المتلقّي، ركَّب الشاعرُ من الكلمتــين تركيبــاً واحــداً؛

---

(1) الديوان، ٣٦٨.
(2) الديوان، ج١/٥٨.

لِيستخدمهما في السِّياق بمنزلة الكلمة الواحدة. وهذا التركيبُ تنويــعٌ فــي طريقــة الأداء وأسلوب التعبير عن المعنى الذي قصد الشاعرُ إيصاله إلى المتلقّي، ونقل به معنى الانتهاء من الدّلالة الاحتماليّة إلى الدلالة القطعيّة. وقال الشابّيّ[١]:

الْحُبُّ شُعْلَةُ نُوْرٍ سَاحِرٍ هَبَطَتْ   منَ السَّماءِ فَكَانَتْ سَاطِعَ الْفَلَقِ

أضاف الشاعرُ كلمة (ساطعَ) إلى كلمة (الفلقِ) وهذه إضــافةٌ لفظيّــة، الغــرضُ منهــا تخفيفُ لفظِ المضاف على اللسان بحذف تنوينه، فقد أضاف اسمَ الفاعل (ساطعَ) إلى فاعله (الفلَقِ).

والخُلاصةُ أن التركيب الإضافيّ تغيير نحويّ بإنشاء علاقــة تركيبيــة بــين كلمتــين مختلفتين لتوضيح معنى المضاف إذا كانت الإضافةُ حقيقيّة معنويّة، أو للتخفيف إذا كانــت الإضافةُ لفظيّةً .

والنتيجةُ أن التحويل من التغييرات النحوية والصّرفية التي أجازتها القاعــدةُ النحويّــة والاستعمالُ الصّحيح بغيةَ التعبير عن معانٍ لا يستطيع الأصــلُ التعبيــرَ عنهــا، ولــيس للمتكلم، وهو يستثمر هذه التغييرات التحويليّة، سوى أن يَتْبع ما جاء عــن العــرب فــي شِعرهم ونثرهم، ويجري في هَدْي القواعد المرسومة حتّى لا يكون تحويلُه الكــلامَ عــن وِجهته، وتغييرُه أسلوبَ أدائه ابْتداعاً قد يُؤذِي اللغةَ والمعنى أكثر من أن ينفعهما.

---

(1) الديوان، ١٨٣.

الفصل الرابع

أ- التعبير عن المعنى بغير لفظه.

ب- ظواهر أخرى للتغيير.

أ- التعبير عن المعنى بغير لفظه.

١- استخدام الأفعال في غير موضعها:

الأصل أن يُعبَّر عن الحدث بلفظه، فالحدثُ الماضي يُعبَّر عنه بالفعل الماضي، نحو (حضر زيدٌ) والحدثُ المضارع يعبَّر عنه بالفعل المضارع، نحو (يحضر زيدٌ) والحدثُ المستقبلُ يُعبَّر عنه بالفعلين المضارع والأمر، نحو (سيحضر زيد، واحضَرْ يا زيدُ). ويجوز استخدامُ فعل في موضع فعل أحقّ منه بهذا الموضع، فيجوز استخدامُ الفعل المضارع في موضع من التركيب، يكونُ الفعلُ الماضي أحقَّ منه به، ويكثر ذلك بعد (لو) الشرطيّة التي تختصُّ بالدّخول على الفعل الماضي، لكنهم أجازوا استخدام المضارع بعدها بدل الماضي، نحو قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾[1] والأصل (ولو رأيت) فاستخدم المضارع (ترى) في موضع هو للماضي (رأيتَ) ونحو قوله تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ ﴾[2] ويجوز كذلك استخدام المضارع في موضع الماضي بعد (إذْ) الظرفيّة، كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾[3] أي (قلتَ) وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾[4] أي (مكَرَ) وبعد (رُبَّما) التي يرى النّحاةُ أنّها

---

(1) سبأ، ٥١.
(2) السجدة، ١٢.
(3) الأحزاب، ٣٧.
(4) الأنفال، ٣٠.

مختصّة بالماضي، نحو قوله تعالى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[١] أيْ (ودَّ)، ونحو قول الشاعر[٢]:

ربّما تكرهُ النُّفوسُ من الأمر   لَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقالِ

ويجوز للمتكلم أن يستخدم المضارع في موضع الماضي إذا أراد حكاية الحال الماضية التي وقعت في الماضي، نحو قوله تعالى:﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾[٣] أي (فلِمَ قتلتُمْ) ونحو قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴾[٤] أيْ (اقتتلا)[٥].

والحقيقةُ – على ما يبدو– أنّ المعاني هي التي تدفع المتكلمَ إلى مثل هذه الاستخدامات، فالأساليبُ البليغة هي التي تعبِّر عن الماضي بلفظ المضارع، وتضع المضارع في موضع الماضي، فالمتكلمُ يستخدم المضارع بعد (لو، ورُبَّما) إذا كان الحدثُ المستقبليّ محقّقَ الوقوع، معلوماً، لاشكَّ فيه؛ لأنّه يصدر عمَّن المستقبلُ عنده في تحقُّق الوقوع كالماضي، كقوله تعالى مُخْبِراً عن حالة الكفّار يوم القيامة:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٦] لأنّ الرؤية واقعةٌ لاشكَّ فيها، وقد قصَد سبحانه استحضارَ الصّورة المستقبليَّة أمام المخاطب تشنيعاً لها. وقد يكون الغرضُ الإشارةَ إلى استمرار وقوع الشّرط فيما مضى وقتاً بعد وقت، نحو قوله تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴾[٧] فاستخدم المضارع (يُطيعكم) بدل الماضي (أطاعكم) للدلالة على استمرار انتفاء طاعة الرسول– صلّى الله عليه وسلّم – لهم فيما مضى، ونحو قوله تعالى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾[٨] فاستخدم المضارع (يودّ) بدل الماضي (ودَّ) لأنّه متحقِّق

---

(1) الحجر، ٢.
(2) مجهول، الكتاب، ج١٠٩/٢، والمفصل، ١٨٦، ومغني اللبيب، ٣٩١، وشرح الأشموني، ج١٦٤/١.
(3) البقرة،٩١.
(4) القصص، ١٥.
(5) ينظر، التعليقة على كتاب سيبويه، ج٢١٦/٢، والأزهية في علم الحروف، ٢٦٦، ومغني اللبيب، ٩٠٥-٩٠٦، وجامع الدروس العربية، ج١٩٢/٣، ومعاني النحو، ج٢٨٦/٣-٢٩٠.
(6) السجدة، ١٢.
(7) الحجرات، ٧.
(8) الحجر، ٢.

الوقوع، وذلك؛ لأن المُخبِر هو اللهُ تعالى، ولاشكَّ في إخباره، وقد نزّل المضارعَ بمنزلـة الماضي؛ لِيستحضر أمام المخاطب صورةَ الكافرين، وهم يوم القيامة في حالة تمنٍّ لانفـعَ لهم منها، وهذا أدعى للاستهزاء بهم والإمعان في تصوير ضلالتهم في الدّنيا(١). وقد يكون الغرضُ حكايةَ الحال الماضية، فيُعيدُ المتكلمُ باستخدام المضارع للتعبير عن حدثٍ مضى، حالةً سابقةً قد وقعت في الماضي، وانقضتْ، وانتهى أمرها، وذهب زمنُهـا، فيستحضـر بهذه الإعادةِ تلك الحالَ أمام المخاطب، وكأنّها ماثلةٌ أمامه، فيبعث فيها الحركـة والحيـاة، فتغدو أقرب إليه، وأشدّ تأثيراً فيه، فيشعر بأهميّتها، ويقتنـع بـصحّتها، فتـستثير خيالـه، وتُحرِّك شوقه إليها، فيمتزج بجوِّها، وكأنّه يعيشها(٢)، نحو قولـه تعـالى:﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴾(٣) فاستخدم المضارع (تثير) بـدل الماضي (أثارت) ليجعل حدثَ إثارة الرّياح للسّحاب ماثلاً أمام المخاطب، فيشعر بعظمـة الصُّورة وأهميّة الحدث وقُدرة الخالق الذي فعل كلَّ ذلك، ونحو قول تأبّط شرّاً(٤):

بأنّي قد لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوِي ... بِسَهْبٍ كالصَّحِيفةِ صَحْصَحَانِ(٥)

فَأَضْرِبُها بلا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ ولِلْجِـــران(٦)

فعبّر بالمضارع (أضربها) بدل الماضي (ضربْتُها) استحضاراً لصورة شجاعته في قَتْل الغول وإعلاءً لشأنها وإبهاراً لقومه، وكأنّهم يشاهدون ما جرى بينه وبينها(٧)، ونحو: "كان الفراعين يبنون بيوتهم في حياتهم منحوتة من الصّخر الأصمّ حتّـى تـضمّ رفـاتهم بعـد موتهم، وربّما أخفوها حتّى يأمنوا الأيدي العابثة بها٠٠٠فزمَنُ بنـاء القبـور قـد انتهـى

(1) ينظر، مفتاح العلوم، ١٣٣، والإيضاح في علوم البلاغة، ٥٧، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/١٧٥، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٠٠.
(2) ينظر، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٠.
(3) فاطر، ٩.
(4) تأبّط شرّاً، الديوان، تح: علي ذو الفقار شاكر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ٢٢٤-٢٢٥.
(5) تهوي: تعدو عَدْواً سريعاً، والسّهب: الفلاة، والصّحيفة: الأرض المنبسطة السّهلة، والصّحصحان: الأرض المستوية الواسعة العارية من النّبت.
(6) الدّهش: الفزع وذهاب العقل، والجران: مقدّم العنق.
(7) ينظر، مفتاح العلوم، ١٣٤، الإيضاح في علم البلاغة، ٥٧-٥٨، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٢١٠-٢١١، ٢٣٢-٢٣٣ ، والمفصل في علوم البلاغة، ١٦١.

وانقضى، وكذلك الدّفن والإخفاء والأمن ٠٠٠فكان المناسبُ ذِكرَ هــذه المعــاني بــصيغة الماضي لا المضارع، ولكن جِيء بالمضارع على سبيل حكاية الحال الماضية؛ لِيكون من وراء ذلك توجيه الأنظار إلى القصّة العجيبة، وأنّها صحيحةٌ كأنّها تقع أمامنا بِما يُلابــسها من غرائب، وكأنّ المتكلم يطلب إلى السّامع التنبُّه إلى ما يُحيط بها، وأن يستعيد صــورتها كاملة، ويعيش ساعة سماعها في جوٍّ يُشابه الجوّ الحقيقيَّ الذي وُلِدت فيه أوّل أمرهــا دون الاكتفاء بالسّماع المجرَّد، فالتعبيرُ عن القصة الماضية بصيغة المضارع والحال المحكيّــة يجعل القصّة الماضية بمنزلة ما يحصل أمامنا الآن، أو يجعلنا بمنزلــة مَــنْ تقــدَّم بهــم الزّمان، فشاهدوها في وقتها الحقيقيّ السّالف، والأمران على سبيل التخيُّل المَحْض؛ ولِهذا يُعتبَر زمنُ المضارع حاليّاً تأويلاً لا حقيقة"[١]

ويجوز استخدام الفعل الماضي بدل المضارع في باب الشرط الجازم الذي الأصلُ فيــه أن يكون فعلُ الشرط وجوابه مضارعين مجزومين، نحــو قولــه تعــالى:﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾[٢] فاستخدم الماضي (عدنا) بدل المضارع (نعُدْ) ونحو قوله تعــالى:﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[٣] فعبّر بالماضي (زحــزح) عــن المــضارع (يُزحــزَحْ). والماضي في هذا الموضع دلالتُه مستقبليّة، والذي أكسبه هذه الدلالةَ أداةُ الشرط الجازمــة التي حقُّها أن يليها الفعلُ المستقبلُ، والمتكلمُ إنّما يقصد إلى ذلك؛ لأنّه يحتاط للمعنى، فيُعبّر عن المضارع المشكوك في وُقوعه بلفظ الماضي المقطوع المؤكَّد وُقوعُه، فكأنه قد وقــع، واستقرّ، ووجب على المخاطب أن يقبله، و يُسلّم به، لا أن يتوقّعــه، ويترقّبــه، فتــصيرُ الدلالةُ قطعيّة بعد أن كانت احتماليّة، ويسير المعنى في اتّجــاه واحــد بــدل الاتّجاهــات المتعدِّدة، فيثبُتُ في نفس المتلقّي بعد أن تحقَّق من وقوعه[٤]، وهذا أدعــى للاطمئنــان إن كان المعنى ممّا يريد المخاطب وقوعه، وينتظره، وأدعى للتهويــل والتخويــف إن كــان

(1) النحو الوافي، ج٤/٢٥٧-٢٥٨.
(2) الإسراء، ٨.
(3) آل عمران، ١٨٥.
(4) ينظر، المقتضب، ج٢/٥٨، والأصول في النحو، ج٢/١٥٨، والخصائص، ج٣/١٠٥، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٥٣٢-٥٣٣، وشرح المفصل، ج٨/١٥٧-١٥٨، وارتشاف الضّرب، ج٤/١٨٨، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٢٣، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٠، والنحوا لوافي، ج٤/٣٢٠-٣٢١، ٣٣٦، ٣٥٣.

المعنى ممّا لا يُريد المخاطب وقوعه؛ لأن فيه سُوءَ عاقبةٍ له، فاستخدم تعالى الماضي (زُحزِح) بدل المضارع (يُزحزَحْ) لِيُفيد أنّ هذا الحدث المستقبليّ يوم القيامة واقعٌ لامحالة، وهو أمرٌ لا يُشَكُّ فيه، والذي زُحزِح عن النار، كان دخولُه الجنّة محقَّقاً، فالزّحزحةُ عن النار ودخولُ الجنّة حدثان مستقبليّان، عبّر عنهما بلفظ الماضي، فنزّل ما لم يقع بمنزلة ما وقع، وانتهى، وانقضى، لأنه لاشكّ في وقوعه.

وقد يكون الغرضُ منه التّجاهلَ حين يستدعي المقامُ ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾[(1)] فعبّر بالماضي (كان) بدل المضارع (يكنْ) تجاهُلاً لِمَا ادَّعوه من نسبة الولد إلى ذاته سبحانه وتعالى، والماضي في هذا الموضع يُقوّي معنى التّجاهُل، ويُلزم المعاندين الحُجَّةَ، وقد يقصد المتكلم أن الفعل قد وقع مرّة واحدة، فيأتي بالشرط ماضياً بدل المضارع حتّى لا يتوهّم المتكلّم تجدُّده واستمراره، نحو قوله تعالى:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ ﴾[(2)]فاستخدم الماضي (طلّق) بدل المضارع (يُطلّق) لأن الطّلاق لا يتكرّر، ونحو قوله تعالى:﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾[(3)] فجاء بالماضي (أسلم) بدل المضارع (يُسلمْ) لأن الدّخول في الإسلام يكون مرّة واحدة. وقد يكون القصدُ منه الدلالةَ على وقوع الحدث جملة واحدة، نحو قوله تعالى:﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ ﴾[(4)] فعبّر بالماضي (أُحصِرتُم) بدل المضارع (تُحصَرون) للدلالة على وقوع الحصر جملة واحدة، وقد يأتي المتكلم بالماضي في باب الشرط الجازم؛ لِيدلّ على حكم ثابت قائم على المشاهدة والتجربة، ويكثر هذا في الأمثال والحِكم، نحو (مَنْ تهوّر ندم، ومَنْ حذِر سلِم، ومَنْ صبر ظفر) أو للدلالة على وقوع الحدث في الزمان الماضي، نحو (إن كنتَ ضربتَه فأخبرني) و (إن كنتَ عصيتَ ربّك، فتُبْ) وقد يرغب المتكلم في وقوع الفعل وتحقُّقه، نحو قوله تعالى:﴿

(1) الزخرف، ٨١.
(2) البقرة،٢٣٠.
(3) الجن، ١٤.
(4) البقرة، ١٩٦.

﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾[1]أيْ امتناعاً من الزّنا، فجاء بالماضي (أردْن) بدل المضارع (يُردْن) إظهاراً لتوفير رضا الله تعالى، ورغبةً في إرادتهنّ التّحصين. وقد يكون الغرضُ التعريضَ، وذلك إذا وجّه الكلام إلى أحد، وقصد به غيره، نحو قوله تعالى:﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[2]فاستخدم الماضي (أشركتَ) بدل المضارع (تُشركْ) تعريضاً بكُلّ مَنْ يُشرك بالله، وتهديداً له، فالكلامُ موجَّه إلى النبيّ (ص) والمقصودُ غيره؛ لأنه معصوم عن ذلك. وقد يكون غرضُ المتكلم توبيخَ المخاطب وتهديدَه على فعل يتوقَّع صُدوره منه؛ لأنه قد عُهِد منه ذلك، أو ظهرتْ مقدِّماتُه ودلائلُه، فأراد أن يكفّه عنه، نحو قوله تعالى:﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾[3] فلمّا لمس منهم العودة إلى الكفر والظّلم؛ لأن علاماته قد ظهرت منهم، وهي عادةٌ فيهم هدّدهم، ووبّخهم، فاستخدم الماضي (عدنا) بدل المضارع (نعُدْ). وقد يقصد المتكلمُ مسايرةَ المخاطب الذي يشكُّ في وقوع الشّرط، والمتكلمُ يجزم بوقوعه، نحو قولك: (إن صدَقْتُ فماذا تفعل)[4] .

ويجوز استخدام الفعل الماضي في موضع هو للمضارع للتعبير عن معنى مستقبليّ، وقوعُه محقَّقٌ، فيصير بمنزلة المنقضي الذي لامدافعة فيه، والمتكلمُ إنّما يقدّم هذا التعبير سعياً وراء إشارات بلاغيّة، فيها أُنسٌ للأذواق الصّافية، وتحريك للمدارك القويّة، نحو قوله تعالى:﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[5] فعبّر عن حدث الفزع الذي لَمّا يقع بعد، وهو حدثٌ مستقبليٌّ، بالماضي (فزع) بدل المضارع (يفزع) لأنه واقع لامحالة، فالمعنى قطعيّ لا احتماليّ وليس للمخاطب إلاّ أن يُسلِّم سواءٌ أكان معتقداً أم منكراً، وثمّة وظيفةٌ تربويّة أدّاها الماضي (فزع) فعالج داء عدم المبالاة بالحدث المستقبليّ فالماضي (فزع) طوى الزّمان، ووضع الإنسان وجهاً لوجه مع حدث الفزع الذي ينتظره

(1) النور، ٣٣.
(2) الزّمر، ٦٥.
(3) الإسراء، ٨.
(4) ينظر، مفتاح العلوم، ١٣٢، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٢٠، والمفصل في علوم البلاغة، ١٩٥-١٩٧، ١٩٩، ومعاني النحو، ج٣/٢٧٤-٢٧٦، ج٤/٤٧-٥٤.
(5) النمل، ٨٧.

فَوْرَ النّفخ في الصّور، ونحو قوله تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ ﴾(١) فعبّر بالماضي (أتى) بدل المضارع (يأتي) لأنه حتمٌ مقضيّ، فالماضي (أتى) حرَّر الإنسان من وهمه، ووضعه أمام مشكلته المستقبليّة؛ لِيتبصَّرها، ويحتاط لها. ويجوز استخدام الماضي بدل المضارع في سياق الدّعاء، نحو (أعزَّك الله، وأطال بقاءك) فاللفظُ ماضٍ، والمعنى الاستقبالُ، والمتكلّمُ يقصد إلى هذا التعبير؛ لِيؤكّد للمتلقّي صِدْقَه في الدّعاء له، ورغبتَه في أن تتحقَّق الأحداثُ التي دعا بِها لَهُ، فيغدو المعنى قطعيَّاً بعد أن كان احتماليّاً(٢).

والأصلُ أن يُعبَّر عن الدّعاء بصيغة الأمر، وتجنَّبوا تسميتَه أمراً، استعظاماً؛ لأنه خطاب

موجَّه إلى الأعلى، ويجوز التعبير عنه وتأديةُ معناه بلفظ الماضي أو المضارع، فيصير شكلُ العبارة خبريّاً، ومعناها الدّعاء أو الأمر، نحو (أطال اللهُ بقاءك) أيْ (لِيُطِلِ اللهُ بقاءك) ونحو (غفر اللهُ لزيدٍ) أيْ (لِيغفرْ) ونحوقوله تعالى:﴿ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾(٣) أيْ (لِيغفرْ) ونحو قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾(٤) أيْ (لِيتربَّصْنَ).

والمتكلّمُ إنّما يُعبِّر في هذا المقام عن المعنى بغير لفظه الأصليّ الذي هُو له؛ لأنه يُريد معنى إضافيّاً لايؤدّيه التركيبُ النّمطيُّ، فقد يكون غرضُه التّفاؤلَ، فيُصوِّر ما لم يقع في صورة ما وقع تفاؤلاً بوقوعه، نحو قولك للمريض: (شافاك اللهُ، وعافاك) فأبرزتَ صورتَي المُشافاة والمعافاة في صورة الماضي تفاؤلاً منك ورغبةً في تحقُّق وقوعهما، وقد يرغبُ المتكلِّمُ، ويُظهر الحرص على وُقوع الأمر إذا كثُرتْ رغبتُه فيه، وتصوُّرُه له، فتخيَّله في صورة الأمر الواقع المنقضي، نحو قولك: (رزقني اللهُ حجّ بيته المعمور، وأكرمني بزيارة قبر نبيِّه (ص) فعبّرتَ بالماضيين (رزقني، وأكرمني) بدل فعلي الدّعاء (لِيرزقْني، ولْيكرمني) حرصاً منك على وقوعهما. وقد تكون الغايةُ الابتعادَ عن صورة

---

(1) النحل، ١.
(2) ينظر، الخصائص، ج٣/٣٣١، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٧٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٣/٢١٠-٢١١، والمفصل في علوم البلاغة،١٦٠-١٦١.
(3) يوسف، ٩٢.
(4) البقرة، ٢٢٨.

الأمر والطّلب تأدُّباً واحتراماً، نحو قولك لأبيك: (يخصُّني الوالدُ بساعة من وقته) تُريد معنى (لِيخصّني) فعدلْتَ عن لفظه الأصل تأدّباً واحتراماً. وقد يُخرج المتكلمُ الأمرَ مَخرج الخبر في هيئة الماضي أو المضارع؛ لِينبِّه على أنّ المطلوب مُيَسَّرٌ لِقوّة الأسباب، نحو قول القائد لجُنده: (تأخذون بنواصي ذوي الهياج، وتذبحونهم ذَبْحَ النِّعاج) فاستخدم المضارع الخبريّ (تأخذون، وتذبحون) بدل الأمرالإنشائيّ (خُذوا، واذبحوا) للتنبيه على سُهولة الأخذ والذّبح، وهذا معنى إضافيٌّ لا يؤدِّيه التركيبُ الطّبيعيّ. وقد يقصد المبالغة في الأمر؛ لأن التعبير عنه بغير لفظه أقوى وألطفُ نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ﴾[1] أيْ (لِيُرضعْنَ) فعبَّر عن أمر الإرضاع بالمضارع (يُرضعْنَ) وهو أبلغ من الأمر الصّريح (أرْضعْنَ) وأقوى، فترك التعبير الطبيعيّ إلى تركيب جديد؛ للدلالة على أنّهنّ يفعلْن ذلك امتثالاً لأمر اللهِ تعالى، وهذا شأنُهُنَّ، وهو ألطفُ من الأمر الصّريح إكراماً لهنّ[2]. وكثيرةٌ هي التراكيبُ التي استُخدِمَتْ فيها الأفعالُ في غير موضعها الأصل في دواوين الشعراء الخمسة. قال الشابّيّ[3]:

ياقومُ عَيْنِيَ شَامَتْ لِلْجَهْلِ في الْجَوِّ نارا[4]
تَتْلُو سَحَاباً رُكاماً يَتْلُو قَتَاماً مُثَارَا[5]
يُثِيرُ في الأرضِ رِيحاً يُهِيجُ في الْجَوِّ غُبَارَا
تُلْفِي الشَّدِيدَ صَرِيعاً تُبْقِي الأَدِيْبَ حِمَارَا

يروي الشاعر مجموعة من الأحداث الماضية التي وقعت، وانتهت، وفات زمنُ حُدوثها، وهي النّارُ التي تَلَتْ سحاباً تَلا قَتَاماً أثار ريحاً في الأرض، وأهاجَ غباراً في الجوِّ، وألفى المخاطبُ الشّديدَ صريعاً، وأبْقتِ النّارُ الأديبَ حماراً، وكان الأصلُ أن يُعبِّر

(1) البقرة، ٢٣٣.
(2) ينظر، الكتاب، ج١٤٢/١، والأصول في النحو، ج١٧٠/٢، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج٤٣/٢، وجامع الدروس العربية،ج٦٦/١،و المفصل في علوم البلاغة،٢٩٠-٢٩١،ومعاني النحو،ج٢٩٢/٣.
(3) الديوان، ١٣٦.
(4) شَامَتْ: رأت ونظرت.
(5) قتاماً: مجموعاً.

عنها بلفظ الفعل الماضي، لكنه غيَّر أسلوبَه، وعــدل عــن الأصــل، فاســتخدم الأفعــال المضارعة (تتلو، ويتلو، ويثير، ويُهيج، وتُلفي، وتُبقي) بدل الأفعال الماضية (تلَتْ، وتــلا، وأثار وأهاج، وألفى، وأبقى) ليستحضر تلك الصُّوَر العجيبــة المدهــشة مــن الماضــي، ويجعلها أمام المتلقّي في صورة الحاضر الذي يتحرّك، ويحدُثُ أمامه؛ لِيُؤثِّر فيه، ويَزيــد وقْعَها عليه، فهو بهذا التغيير ينفخ الحياةَ، ويبعث الحركةَ في المَشاهد التي صوّرها، فقــد حوّل المَشاهدَ السّاكنة إلى مشاهد متحرّكة ليس للمتلقّي سوى أن يتأمَّلهــا، وينفعــل بهــا، فتُؤثِّر فيه كما أثَّرت في الشاعر الذي عايَنَها، وعَايَشَها، وصوّرها في هيئة تراكيب لغويّــة متناسقة، انتظمتْ فيها العناصر اللغويّة في علاقات نحويّة منتظمة دون أن يختلّ المعنــى المُراد؛ لأن العناصر النحويّة الفعليّة قد تبادلت المواضع. وقال أبو ماضي[(١)]:

أَتُرَى إذا الْعُنْوانُ ضاعَ يَضيعُ مَضْمُونُ الْكِتابْ

السَّيْفُ ليسَ يَعِيبُهُ مَشْيُ الْخَلُوقَةِ في الْقِرابْ[(٢)]

استخدم الشاعر الفعل المضارع (يضيعُ) الدّالُّ على التجدّد والاستمرار بــدل الماضــي (ضاع) الدّالّ على المُضيّ والوقوع والانقطاع والانتهاء. فالقاعدةُ النحويّة تقضي أنّ فعــل الشّرط وجوابه بعد (إذا) الشرطية غير الجازمة المستقبليّة يكونان ماضــيين، ولَمّــا كــان معنى (إذا) الشرطيّة هو المستقبل، فهي تسلب فعل الشرط وجوابه معنييهمــا الماضــيين، وتُكسبهما معنى الدّلالة على المستقبل، لم يجد الشاعرُ حرجاً في أن يــستخدم المــضارع المستقبليّ (يَضيعُ) جواباً للشرط بـــ (إذا) بدل الماضي المنقطع (ضــاع) لِتَوافُقهمــا فــي الدّلالة على معنى المستقبل، ولعلّ الشاعر أراد أن يُفيد بجواب الــشرط (يــضيع) الــذي أورده مضارعاً مستقبليّاً التجدّد والاستمرار في ضَياع مضمون الكتــاب، أيِّ كتــابٍ، إذا ضاع عنوانُه، وهذا لا يؤدّيه الفعلُ الماضي الذي يدلّ على وُقوع الفعل والحدث فحسبُ .

وقال السيّابُ[(٣)]:

---

(1) الديوان، ١٥٠.

(2) القِراب: بيت السّيف.

(3) الديوان، ٤٠.

وذاكَ الْخِصامُ الذي لو يُفَدَّى لَفَدَّيْتُ ساعاتِهِ بالْوِئامِ

أورد الشاعر فعل الشرط (يُفدَّى) بعد (لو) الشرطية الامتناعيّة في صورة المضارع المجهول، والأصلُ أن يُورده في صيغة الماضي (فُدِّيَ) لأن الأصل أن يكون فعل الشرط بعد (لو) الشرطية ماضياً، لكنّ الشاعر عَزَفَ عن استخدام الفعل الماضي في هذا السّياق الذي هُو له دون المضارع؛ لدلالته على وقوع فعل التّفدية مرَّة واحدة، وهذا خلافُ المقصود، والشاعرُ إنّما قصْدُهُ أنّ التّفدية منه متجدِّدة ومتكرِّرة ومستمرَّة، لا انقطاع فيها لو أنّها كانت ممكنة، وفي هذا إبداءٌ لاستعداده المستمرّ للتّضحية والمجادلة من أجل أن يقضي على الخصام الذي لا يهدأ، كي يحُلّ الوئامُ بدلاً منه، وهذا أدعى لأن يزيد نُفُور المتلقّي من الخصام الذي نَفَر منه الشاعرُ، وأن يُقبل الإقبالَ الشّديد على الوئام الذي أقبل عليه الشاعرُ. وكما استخدم الشعراء الخمسةُ المضارعَ في موضع الماضي بكثرة، استخدموا الماضي في موضع المضارع بكثرة. قال البارودي(١):

إنْ مَسَّهُ الضَّيْمُ ناجَى السَّيْفَ مُنْتَصِراً أوْ هَمَّهُ الأَمْرُ لمْ يَعْلَقْ به الثَّبَطُ(٢)

عبّر الشاعر بالماضيين (مسَّ، وناجى) بدل المضارعين(يمَسّ، ويُناجي) والأصلُ (إنْ يَمسَّهُ الضّيمُ يُناجِ السّيف٠٠٠) لأن الأصل في فعلي الشرط وجوابه بعد أدوات الشرط الجازمة أن يكونا مضارعين مجزومين، ولَمّا كانت (إنْ) الشرطية لِمَا يُشَكُّ في وقوعه، والشاعرُ لا يريد أن يشكّ المتلقّي في وقوع جواب الشرط، وهو مناجاةُ الشاعرِ السّيفَ والاعتمادُ عليه؛ لِيدفع الظّلمَ عنه، استخدم الماضيين (مسَّ، وناجى) بدل المضارعين (يمسّ ويُناجِ). وهو بهذا التغيير في صيغة فعلي الشرط وجوابه، دلّ على تحقُّق وقوعهما وُقوعاً مؤكّداً لا يُشَكُّ فيه على سبيل الادِّعاء والمبالغة والإمعان في تخويف كلّ مَنْ تُسوِّل له نفسُه ضيمَ الشاعرِ، فتغييرُ أسلوب التعبير نقل معنى الشرط من الدّلالة الاحتماليّة إلى

---

(1) الديوان، ج٢/١٨٧.

(2) مسَّه الضّيم: أصابه الظلم، وناجى السّيف: اعتمد عليه في دفع الظلم، وهمَّه الأمرَ: أحزنه وأقلقه، ولم يعلقْ: لم يتشبَّث، والثَّبَط: الكسل والتواني.

الدّلالة القطعيّة، ولعلّه قد ظهر بهذا التّوضيح الفرقُ في المعنى بين التعبيرين. وقال أبو ماضي[1]:

أنَّى مَشَيْتَ نَشَقْتَ مِسْكاً أزْفَرَا   في أرْضِها وسَمِعْتَ صَوْتَ هَزَارِ[2]

الأصلُ أن يأتي الشاعر بفعلي الشرط وجوابه بعد (أنّى) الشرطية المكانيّة الجازمة مضارعين مجزومين، لكنه استخدم الماضيين (مشيتَ، ونشقتَ) بدل المضارعين (تمشِ، وتَنشقْ) لِيطوي الزمن المستقبل، ويستحضره، ويجعله في صورة الماضي الواقع المنقطع؛ لأنه ممّا لا يُشَكُّ فيه. فالشاعرُ يزعم أن مدينة (ملْفرد) رائعة الجمال تنبعث الرائحةُ الطّيّبة من كلّ مكان فيها، والهزارُ يغنّي في كلِّ مكان فيها، فهو قد نشَقَ، وسمع، أمّا المتلقّي، فلم ينشق، ولم يسمع، ولَمّا كان الشاعر على يقين أن المتلقي إذا مشى في (ملفرد) في الأماكن التي مشى فيها الشاعر، فإنه سينشق رائحة المسك الأزفر الذي نشقه الشاعرُ، وسيسمع صوت الهزار الذي سمعه عبّر بالماضيين (مشى، ونشق) بدل المضارعين (تمشِ وتنشقْ) وهذا أدعى لتحريك خيال المتلقّي، وأبْعث لِهمّته وتشويقِه إلى أن يمشي في تلك الأماكن الجميلة. وقال بدر الدين الحامد[3]:

مَنْ رآنا رَأى اللُّيُوثَ الدَّوامي   في شُغُوفٍ من الوَغَى حَمْراء[4]

استخدم الشاعر الماضيين (رآنا، ورأى) بدل المضارعين (يَرَ، ويَرَ) والأصلُ (مَنْ يَرَنا يَرَ اللُّيوث ٠٠٠) لكنه عدل عن الأصل؛ لأن إيراد الفعل فعل الشرط وجوابه في صورة المضارع يجعله عرضةً لشكِّ المتلقّي وظُنونه؛ لأنه يُعبِّر عن حدثٍ لم يقع، وليس للمتلقِّي أن يُصدّق ادِّعاءً لم يتحقق بعدُ، وهذا الشّكُّ يُضعفُ فخر الشاعر بقومه، ويَطعن فيه، وإذا كان الأمرُ كذلك، فَقَدَ التركيبُ قيمتَهُ المعنويّة، أمّا وقد غيَّر الشاعرُ أسلوبه، وجاء بالماضي في موضعٍ هو للمضارع، وقال: (مَنْ رآنا رأى٠٠٠) فدلّ على أن رؤيتهم في

(1) الديوان، ٣٢٠.
(2) أزفر: الرائحة القويّة، وهَزار: طائر حسن التغريد.
(3) الديوان، ج١/١٩٣.
(4) شُغُوف: قلب المعركة، والوغى: الحرب.

صورة اللُّيوث الدَّوامي التي اصطبغتْ بالدِّماء وهي تخرج من المعركة، أو تخوضها، محقَّقةٌ، وكأنّها وقعتْ، وانتهتْ، وما وقع، وانتهى، وانقطع ليس للمتلقّي أن يشكَّ فيه؛ لأنه عايَنه، وعايَشَه، وهذا يُثبِتُ فخرَه بصفة الشَّجاعة، ويحمل المتلقِّي على الاقتناع والإعجاب، ويزيد قُوَّة فخره، ويدفع الشُّبهة والشّكَّ عن معناه، وكأنّه بهذا التغيير يحتاط لمعناه، فيُحصِّنه، ويُقوِّيه. وكثر عند الشعراء الخمسةِ استخدامُ الماضي والمضارع في موضع الأمر. قال الشابّيّ(١):

ياعَذارَى الْجَمَالِ والْحُبِّ والأحلامِ   بلْ يا بَهاءَ هذا الْوُجودِ!

صانَكُنَّ الإلَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الـرُّوحِ   ومِنْ ضِلَّةِ الضَّميرِ الْمُرِيد

عبَّر الشاعرُ بالفعل الماضي (صان) عن معنى الدّعاء والأمر، والأصلُ أن يُعبِّر عنه بصيغة الأمر (صُنْ) لأنه دُعاءٌ، والدّعاءُ صيغتُه والتعبيرُ عنه بالأمر، لكنّ الشاعر أظهر معنى الدّعاء، وعبَّر عنه بأسلوب جديد لم يألف المتلقّي سماعه كثيراً بهذا الشّكل، فانزاح عن الأسلوب المعهود، وغيّر صورة التّعبير، فأدّى معنى الدّعاء بالماضي (صانَ) تأدُّباً مع الذّات الإلهيّة، و لِيكون الدُّعاءُ أقوى؛ ولِيُظهر رغبته القويّة في أن يصون الله تعالى الفتيات

الجميلات من الشُّرور . وقال السيّاب(٢):

حَيَّتْكَ أنْفاسُ الرَّبيعِ الْباكِرِ   ورَعَتْكَ آلِهَةُ الْهَوَى مِنْ شاعِرِ

استخدم الشاعرُ الماضيين (حيَّتْ، ورعتْ) للدلالة على معنيي الدّعاء بالتحيّة والرِّعاية بدل الأمرين (حَيِّي، وارْعَيْ) فاستبدل صيغة فعليّة بأُخرى، وعبَّر عن معنى الدُّعاء بلفظٍ وفعلٍ ليس له، فانتقل من أسلوب الإنشاء إلى أسلوب الخبر، وأظهر المعنى الذي لايحتمل ذلك، وقدّم المعنى معنى التحيّة والرّعاية الذي ليست له صورةٌ خارجيّة واقعة في صورة

(1) الديوان، ٢٥٢.
(2) الديوان، ٤٧٣.

المعنى الذي له صورةٌ خارجيّة واقعةٌ، فانزاح أسلوبُه، وتغيَّرت صورةُ تعبيره للدلالة على رغبته القويَّة في وقوع الحدثين حَدَثي التحيَّة والرِّعاية. ورغبتُه الشَّديدة فـــي وُقوعهمـــا، جعلته يتخيّلهما في صورة الماضي الواقع المحقَّق. وقال بدر الدّين الحامد(١):

يَغْفِرُ اللهُ لِقَلْبٍ قُلَّبٍ   بُؤْتُ مِنْ أحْلامِهِ بالنَّصَبِ

غيّر الشاعر صيغة تعبيره عن معنى المغفرة، فعبَّر عنه بالمضارع (يَغفــرُ) بــدل الأمــر (اِغفِرْ) تأدُّباً مع الله تعالى وتفاؤلاً بوقوعه.

والنتيجةُ أنّ تبادل الأفعال مواضعَ بعضِها بعضٍ في التركيب تغييــرٌ نحــويٌّ أجازتــه القاعدةُ النحويّة بغية التعبير عن معانٍ لا يؤدّيها التعبيرُ الطبيعيّ. وعلى المتكلم أن يُحــسن استخدام هذا التّبادلِ، ويكون بصيراً بمواقع الكلام ومعانيه، وإلّا كان استخدامُ صيغة فعليّــة في موضع صيغة فعليّة أُخرى ضَرْباً مــن العبث، وسبيلاً إلى إلحاق الــضّرر بالتركيــب وبالمعنى الذي يؤدِّيه.

٢- الإخبار والحال والوصفُ بالجامد:

الخبرُ متمّم الجملة الاسميّة، وتتمّ الفائدة بذكره، والأصلُ فيه أن يكون وصفاً مــشتقّاً، و المقصودُ بالوصف المشتقّ اسمُ الفاعل واسم المفعول وصيغُ المبالغة والصّفة المشبّهة باسم الفاعل واسم التفضيل، فلا يأتي المصدرُ خبراً لاسم الذّات، فلا يُقال فــي الأصــل: (زيــدٌ انطلاقٌ، ومحمَّدٌ رَكْضٌ) وإنّما منعوا ذلك في الأصل؛ لأن المصدر حــدثٌ مجــرَّد مــن الزمن، ويجوز الخروج على القاعدة الأصل، فيُوقَع المصدرُ الجامد خبراً بــدل الوصــف المشتقّ إذا قصد المتكلّمُ من الإخبار المبالغةَ بجعل اسم الذّات المبتدأ هــو عــينَ الخبــر ونفسَه، نحو قوله تعالى:﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٍ﴾(٢) فأخبر بالمــصدر

---

(1) الديوان، ج٦١٧/٢.
(2) هود، ٤٦.

الجامد (عملٌ) عن اسم الذّات هاءِ الغائب؛ لأنه قصد المبالغةَ، وهي معنى إضافيّ لا يؤدّيه التعبيرُ النمطيّ، ودلّ على ثُبوت الخبر في المبتدأ، و نحو قول الخنساء تَصفُ ناقتَها[١]:

تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حَتَّى إذا ادَّكَرَتْ   فإنَّما هِيَ إِقْبالٌ وإدْبارُ

فأخبرت عن اسم الذّات (هي) بالمصدرين الجامدين (إقبالٌ، وإدبارٌ) بدل المشتقّين (مقبلةٌ ومدبرةٌ) والإقبالُ والإدبارُ مصدران جامدان لايجوز في الأصل أن يقعا في هذا الموقع النّحويّ الذي هو للمشتقّ، وإنّما قصدت الخنساءُ معنى المبالغةِ، وتحويلَ الناقة إلى حدث مجرَّدٍ من الذّات وعنصر المادّةِ، فصارت إقبالاً وإدباراً، فالحركةُ فيها مستمرّةٌ، وهذا المعنى يُناسب حالةَ الحزن الذي تعيشه الشاعرةُ، وهو معنى لا يؤدّيه الإخبارُ بالمشتقّ[٢]. ويجوز الإخبار بالجامد بدل المشتقّ إذا دلّ على نسبة؛ لأنه في تأويل المشتقّ، نحو (محمدٌ قُرشيٌّ) أيْ (منسوبٌ إلى قريش) أو دلّ على تشبيه نحو (محمدٌ أسدٌ) بمعنى (شجاعٌ).

وقد يُخبَر بالجامد دون أن يؤوّل بمشتقٍّ، وذلك إذا كان الخبر من لفظ المبتدأ سواءٌ أكان ضميراً أم اسماً، نحو (أنتَ أنتَ، والنّاسُ النّاسُ) فـ (أنتَ) الأُولى مبتدأٌ، والثانيةُ خبرٌ، و (الناسُ) الأُولى مبتدأٌ، والثانيةُ خبرٌ، وقد يكون الخبرُ جامداً إذا كان ظرفَ مكانٍ متصرّفاً، نحو (منزلي شرقيُّ الدّارِ) ويبدو أنه بمعنى (منزلي موجودٌ في هذه الجهة) وقد يأتي جامداً في غير ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[٣] بمعنى (وأزواجُه محرَّماتٌ عليهم) لأنّهنَّ بمنزلة أمّهاتهم[٤]. والظّاهرُ أنّ المتكلم قد أخبر في هذه المواضع النحوية بالجامد بدل المشتقّ سعياً وراء معنى يُريده، فهو يقصد توكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ إذا جاء به منسوباً نحو (محمّدٌ قُرشيٌّ) فهو أقوى دلالةً من (محمدٌ منسوبٌ إلى قريش) لأنه يدلّ على ثُبوت قرشيّته، وأنها أصلٌ فيه حقيقةً لا ادّعاءً، وربّما يُستخدم هذا التعبير مع المنكر الشاكّ في قيام النسبة بين المبتدأ والخبر، وقولك: (محمدٌ أسدٌ) أبلغ في النفوس وأقوى تأثيراً من

(1) الخنساء، الديوان، تح: عبد السّلام الحُوفيّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ٣٥.
(2) ينظر، المقتضب، ج٣/٢٣٠، وشرح المفصّل، ج١/١١٥، ومعاني النحو، ج١/١٧٩، والجملة العربية والمعنى،١٨١، ٢٠٩.
(3) الأحزاب، ٦.
(4) ينظر، الكتاب، ج٢/٣٥٩، وارتشاف الضّرب، ج٣/١١١٠-١١٢٨.

قولك: (محمدٌ شجاعٌ) لأنك قدّمت في التركيب الجديد، وقد أخبرت بالجامد (أسدٌ) صورةً متكاملةً لشجاعته، وكأن الجملة في سياق ومقامِ مَنْ أنكر عليك وصْفَه بذلك، وقد تكون في مقام التعجب من شجاعته الفائقة، وأمّا إذا قلت: (محمدٌ شجاعٌ) فأخبرت بالمشتقّ (شجاعٌ) كنت قد أخبرت عن شجاعته فحسبُ دون أن تقصد المبالغةَ في اتِّصافه بها. وإذا أوردتَ الخبر من لفظ المبتدأ، وقلت: (أنتَ أنتَ، والناسُ الناسُ) كنت قد أفدت أن الخبر عينُ المبتدأ و ذاتُه، وكذلك المبتدأُ، وأن الناس هذه حالتُهم وطباعُهم في كلّ مكان. وكثُر في دواوين الشعراء الخمسة استخدامُ الخبر جامداً. قال بدر الدين الحامد(١) :

إنّي أُعيذُ رِجالَ الْحُكْمِ أنْ يَقَعُوا   فيمَا مَضَى فإذا الأفْراحُ تَنْكِيدُ

أخبر الشاعرُ بالمصدر الجامد (تنكيدٌ) بدل الجامد المشتقّ (مُنَكَّدةٌ) لأن دلالته على معنى التنكيد أقوى وأبلغ من دلالة المشتقّ، فالمصدرُ (تنكيدٌ) مجرَّد من الزمن ودالٌّ على الثّبات والاستمرار، و لَمّا كانت الأفراحُ التي أخبر عنها الشاعرُ، هذه سِمتُها، والتنكيدُ صفةٌ ثابتةٌ فيها، كان الأنسبُ أن يُغيِّر الشاعر أسلوبه، ويحتاطَ لمعناه، ويستخدمَ عنصراً نحويّاً مكان عنصر نحويّ آخر تُجيزه القاعدةُ النحويّةُ، ويَقبلُه السّياقُ، ويُؤدّي به المعنى بالصّورة والقوّةِ التي قصدها، فكان هذا التغييرُ. وقال البارودي(٢):

ورُبَّتَ رَوْضَةٍ مِلْنا إلَيْها   وقَرْنُ الشَّمْسِ تِبْرِيٌّ الإهابِ(٣)

نَمَتْ أدْواحُها وسَمَتْ فكانتْ   على السَّاحاتِ أمْثالَ الْقِبابِ(٤)

أسند الشاعر المبتدأ (قرنُ) إلى الجامد (تِبريٌّ) فجعله خبراً له بدل الوصف المشتقّ، وليس هذا الأصل في استخدامه، فهو يصفُ روضةً جميلة مال إليها مع صحبه أوّلَ النهار إذْ كانت الشمس في بداية طلعتها وتقدُّمِها في صفحة السماء صفراءَ اللّون، فأراد الشاعر أن يُصوِّر صُفرتها الشّديدة التي انعكست على المكان، فزادت جماله، ولَمّا كان الوصفُ

(1) الديوان، ج١/٨٧.
(2) الديوان، ج١/٥١.
(3) قرن الشّمس: أوّل شعاعها، والتّبر: الذّهب قبل أن يُصاغ ويُضرب، والإهاب: الجلد.
(4) الدواح: جمع دَوْح، والدَّوح: جمع دَوْحة، وهي الشّجرة العظيمة.

المشتقّ (أصفر) لا يؤدّي هذا المعنى بالقوّة التي قصدها الشاعر، استبدله بالاسم الجامد (تِبريٌّ) الدّالّ على نسبة، و كأنه قال: (وقرنُ الشمس منسوبٌ في صفرته الشّديدة إلى صفرة التِّبر) فإذا عايَن المتلقّي صفرةَ التِّبر، تخيَّل صفرةَ الشّمس الشّديدة في ذلك المشهد البديع الذي يُصوّره الشاعرُ، وهذا أدعى لتحريك خيال المتلقّي، والتأثير فيه. وقال الشابّي[(١)]:

الحُبُّ جَدْوَلُ خَمْرٍ مَنْ تَذَوَّقَهُ خاضَ الْجَحِيمَ ولمْ يُشْفِقْ مِنَ الْحَرَقِ

أقام الشاعرُ علاقةً إسناديّة بين المبتدأ (الحبُّ) والخبر (جدولُ) الذي أورده جامداً، وحقُّه أن يرد وصفاً مشتقّاً، لكنّ الشاعر استخدم الجامد في موضع المشتقّ؛ لاختلاف قُوَّة الدلالة بين التعبيرين؛ ولأن العلاقة المعنوية بين المبتدأ (الحبُّ) وخبره الجامد (جدولُ) المضاف إلى (خمرٍ) علاقة مشابهة، فأراد أن يجعل التشبيه بينهما قويّاً، فيظهر المبتدأ والخبر في صورة واحدة متلاحمة، وكأنّ المبتدأ (الحبُّ) قد تحوّل إلى الخبر (جدولُ خمرٍ) فلو أخبر بالمشتقّ، وقال: (الحبُّ مُسكِرٌ) لَمَا أحدث التأثير الذي قصده في المتلقّي؛ لأنه تعبير طبيعيّ، ولَمّا أراد أن يكون التأثير قويّاً ذا أثر فعّالٍ في المتلقّي، انزاح بالتعبير عن وجهته الأصل، وغيّر صورته، وفي هذا دلالة على أن الحبّ في كلّ مكان وزمان، هذا شأنُه كالخمر يسلب العقول، ويُفقد المرءَ توازنَه، وتأثيرُه واحد في النفوس والقلوب والعقول كلِّها. والرّأيُ عندي أن هذا الإسناد الجديد قد نجم عن قواعد تحويلية عِدّة، وأن الأصل (الحبُّ مسكِرٌ كجدول خمرٍ) فحذف الشاعر الخبرَ المشتقّ (مسكرٌ) الذي هو الصفة الجامعةُ بين طرفي التشبيه (الحبُّ) و (جدولُ خمرٍ) والكافَ، وهي الأداةُ الرابطة بينهما والجارّةُ للمشبَّه به (جدولُ خمرٍ) الذي ترك الجرَّ إلى الرفع، وصار عمدة في التركيب الاسميّ بعد أن كان فضلة، و هذا يُبرز تغيُّرَ العلاقات السياقية بين عناصر التركيب، فحذفُ عنصرين نحويين وركنين من أركان التشبيه، قرَّب طرفي التشبيه إلى

(1) الديوان، ١٨٣.

بعضهما، فأُسندِ الخبر (جدولُ خمرٍ) الذي هو المشبّه به إلى المبتدأ (الحبُّ) الذي هو المشبّه، فبرزا في صورة ملتحمة. وقال السيّاب(١):

أُخْتِي الّتي عِرْضُها عِرْضِي وعِفَّتها   تاجٌ أَتِيهُ به بينَ الأخِلّاءِ

عَرَفْتُها فَعَرَفْتُ اللهَ عنْ كَثَبٍ   كَأَنَّ في مُقْلَتَيْها دَرْبُ إِسْرائِي

أخبر الشاعر عن المبتدأ (عرضُها) بالخبر الجامد (عرضي) دون الحاجة إلى تأويله بمشتقّ، وإن كان هذا الموضعُ من التركيب في الأصل ليس له، وجاز هذا التغيير؛ لأن الخبر الجامد (عرضي) من لفظ المبتدأ تماماً ومن معناه، ولعلّ الغاية من تغيير الشاعر صورة تعبيره وإنشاء العلاقة الإسناديّة بين اسمين جامدين الدلالةُ على أن الخبر (عرضي) هو ذاتُ المبتدأ (عرضي) وعينُه. والحقيقةُ أن الشاعر إنّما قصد أنْ لافرق بين عرضه وعرضِ أخته، فهو يُدافع عن عرضها مثلما يدافع عن عرضه الشخصيّ، وليس من الحكمة التمييزُ بين العرضين، وهذا المعنى لا يؤدّيه سوى التركيبِ الذي أورده الشاعر في تعبيره.

-الحال جامدة:

الأصل في الحال أن تكون مشتقّة، ويجوز أن تكون جامدة إذا أمكن تأويلها بمشتقّ، وذلك إذا دلّت على تشبيه، نحو (كرَّ زيدٌ أسداً) أيْ (شجاعاً كالأسدِ) و (بدتِ الجاريةُ قمراً) أيْ (جميلة كالقمر) أو دلّت على مفاعلة ومشاركة، نحو (بعتُه يداً بيدٍ) أيْ (متقابضين) و (كلّمتُه فاهُ إلى فيَّ) أيْ (متشافهين) أو دلّت على ترتيب، نحو (اُدْخلوا رجلاً رجلاً) أيْ (مرتّبين بهذه الهيئة) ونحو (ينقضي الشهرُ أسبوعاً أسبوعاً) أيْ (يكون انقضاؤه بهذا الترتيب) أو دلّت على سعرٍ، نحو (بعتُ القمحَ كيلةً بثلاثين قرشاً) أيْ (مسعَّراً) أو كانت مصدراً صريحاً تضمّن معنى المشتقّ، نحو قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾(٢)

---

(1) الديوان، ٣٦٧.

(2) البقرة، ٢٦٠.

بمعنى (ساعياتٍ) وقوله تعالى:﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾[١] بمعنى (خائفين وطامعين) أو كانت مركّبة من اسمين جامدين تركيباً مزجيّاً، نحو (تفرّقوا شَــغَرَ بَغَــرَ)[٢] أيْ (منتــشرين) و (تفرّقوا شَذَرَ مَذَرَ)[٣] بمعنى (في كلّ ناحية) و (هو جاري بيــتَ بيــتَ) أيْ (ملاصــقاً) أو دلّت على تحوّل وتنقّل، وكانت في موضع توبيخ وإنكار من المتكلم بعد همزة الاســتفهام، نحو (أتميميّاً مرّةً وقيسيّاً أُخرى) تريد (أتتلوّن وتتحوّل؟) ونحو قول هند بنت عتبة[٤]:

أفي السِّلْمِ أَعْياراً جَفاءً وغِلْظَةً وفي الْحَرْبِ أَشْباهَ النِّساءِ الْعَوارِكِ[٥]

ويجوز أن تأتي الحال جامدة لاتؤوّل بمشتقّ إذا كانت موصوفة، وتُسمّى حالاً موطّئــة، نحو قوله تعالى:﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾[٦] أو كانت عدداً، نحو قوله تعالى:﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾[٧] أودلّت على طور أفضل من طور آخر، نحو (هذا بُــسْراً أطيــبُ منــه رُطباً) أو كانت نوعاً من أنواع صاحبها، نحو (هذه أموالُك بيوتاً، وهذه ثروتُــك كتبــاً) أو كانت فَرعاً من فروعه، نحو (هذا حديدُك خاتماً) ونحو قوله تعالى :﴿ وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗا ﴾[٨] أو كانت أصله، نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾[٩] أو دلّت على سعر، نحو (بعتُه مُدّاً بكذا) أو كانت (أيّ) الكماليّة التي تدلّ على أن صاحبها متكامل الصفات[١٠] ، نحو قولك: (مررتُ بعبداللهِ أيَّ رجلٍ) أيْ (تكاملتْ فيه صفاتُ الرّجولة كلُّها).

والحقُّ أن المتكلم لا ينتقل من تعبير إلى تعبير آخر إلّا لمعنى يقصده، ويرى أن التعبير النمطيّ لا يؤدّيه فقولك: (أقبل زيدٌ ركضاً) وإن كان تأويلُه (أقبل زيدٌ راكضاً) لا يطابقــه

---

(1) الأعراف، ٥٦.
(2) شغر البلد: خلا من أهله، وأشغر في الفلاة: أبعد فيها، وبغر النجمُ بُغوراً: سقط ، وهاج بالمطر.
(3) الشّذَر: قطع الذهب واللؤلؤ، ومَذِرت البيضة: فسدت، ومَذِرت معدتُه: فسدتْ.
(4) المقتضب، ج٣/٢٦٥.
(5) أعياراً: مفرده: العَيْر: الحمار أهليّاً أم وحشيّاً.
(6) مريم، ١٧.
(7) الأعراف، ١٤٢.
(8) الأعراف، ٧٤.
(9) الإسراء، ٦١.
(10) ينظر، الكتاب، ج١/٣٧٠-٤٠٠، والمقتضب، ج٣/٢٣٨،٢٣٤، ج٤/٢٦٦-٢٧١، ٣١٢، والمفصل، ٨٠، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٣٤٥-٣٤٦، وشرح المفصل، ج٢/٥٩-٦٩، وشرح جمل الزجاجي،ج١/٣٤٤، وارتشاف الضرب، ج٣/١٥٥٧-١٥٧١ ،١٦١٠، ومغني اللبيب، ١٠٩، وأوضح المسالك، ٢٤٦-٢٤٧، وجامع الدروس العربية، ج١/١٤٧، ج٣/٧٩-٨١، ومعاني النحو، ج٢/٢٤٤-٢٤٨.

في المعنى[1]. فالمتكلم يعبّر عن الحال بالمصدر بدل المشتقّ؛ لأنه يريد المبالغةَ، وهي معنى إضافيّ لا يؤدّيه التعبير الأصلُ، فالمصدرُ ينفي عن صاحب الحال المادّيّةَ، ويُحوّل الحدثَ الذي قام به إلى حدثٍ مجرَّد من الزّمن والذّات؛ لأن المصدر حدثٌ مجرَّدٌ منهما، فإذا قلتَ: (أقبل أخوك سعياً) قصدتَ أنه تحوّل إلى سعيٍ محضٍ تجرّد من عنصر المادّة، وتحرّر من الزمن، وهذا مبالغةٌ، وليس هذا المعنى موجوداً في قولك: (أقبل أخوك ساعياً) فقد ظهر الفرقُ بينهما، ومثله قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا ﴾[2] فجاء بالحال (سعياً) مصدراً بدل المشتقّ (ساعياتٍ) للمبالغة في المعنى؛ وللدلالة على أن الطّيور التي مزّقها سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ودقّها، وهشّم عظامَها، وفرّقها قد تحوّلت من أقصى الجمود بعد دعوته لها إلى أقصى الحركة ، وهذا المعنى لا يؤدّيه المشتقُّ (ساعياتٍ) في هذا المقام[3]. ويأتي المتكلم بالحال مصدراً؛ ليتوسّع في المعنى، ويفتح الاحتمالات المختلفة أمام دلالة التركيب، فإذا قلت: (جاء خالدٌ ماشياً) عبّرت عن معنى واحد، هو مجيء خالدٍ في حالة المشي، وإذا قلت: (جاء خالدٌ مشياً) احتمل التركيبُ معنيي الحاليّة والمصدريّة، وقد تكون عَنَيْتَهُما معاً، فتكون قد أدّيتَ معنيين بتركيب واحد، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ ﴾[4] فيحتمل هذا التركيبُ معاني الحاليّة والمصدريّة والتعليليّة – المفعول لأجله – وقد يكون قصدها جميعاً، فالتعبيرُ بالمصدر (خوفاً) فتح بابَ الاحتمالات، ووسّع الدّلالةَ، وجعلها مطلقة بعد أن كانت قطعيّة مقيّدةً. فالتغييرُ في استخدام العنصر اللغويّ في التركيب النحويّ أكسبَ العبارةَ معنيين إضافيين، واختصر على المتكلم تركيبين[5].

ويبدو أن الحال يُؤتَى بها جامدة في الحالات المتنوّعة السابقة لمعنى إضافيّ يقصده المتكلم؛ لأنه يُدرك أنه إذا أتى بها على أصلها مشتقّة، كانت قاصرة عن تأدية المعنى الذي يريده، فالإتيانُ بها جامدة تدلّ على التشبيه، نحو (كرَّ زيدٌ أسداً) إنّما هو للدلالة على ثُبوت صفة الشّجاعة في زيدٍ، وأنّها ليست حالة عابرةً، وهذا التعبيرُ أقوى من (كرَّ زيدٌ شجاعاً)

(1) ينظر، معاني النحو، ج٢/٢٤٩.
(2) البقرة،٢٦٠.
(3) ينظر، معاني النحو، ج٢/٢٤٩-٢٥١، والجملة العربية والمعنى، ١٨٣،٢١١.
(4) الأعراف، ٥٦.
(5) ينظر، مغني اللبيب، ٧٢٩-٧٣٠، ومعاني النحو، ج٢/٢٥٠-٢٥٣، والجملة العربية والمعنى، ١٥٥.

لأنه يُعبّر عن الشجاعة العاديّة التي لا تلفت الانتباه، ولا تحرّك الخيال، ولا تشدُّ الأذهــان، فتأثيرُ التعبير الجديد في المتلقي أقوى من تأثير التعبير النمطيّ؛ لأن المــتكلم قــد فاجــأ المتلقيّ بما لم ينتظره، ويعهدْه، يُضاف إلى ذلك أن التعبير صار مجازيّاً ذا علاقة تشبيهيّة بين الحال (أسداً) وصاحبها (زيدٌ) بعد أن كان نمطيّاً على الحقيقة. وكذلك الأمرُ إذا قلــت: (هو جاري بيتَ بيتَ) بمعنى (ملاصقاً) فالمعنى أقوى وأبلــغ؛ لأنــك لــو أوردت الحــال مشتقّة، وقلت: (هو جاري ملاصقاً) لأفدت معنى الملاصقة فحسب، أمّا وقد غيّرت شــكلَ التعبير، فاستخدمت التركيب المزجيّ الجامد (بيتَ بيتَ) في موضع المشتقّ (ملاصقاً) فقــد أفدت الملاصقة الشديدة، وبالغت في إفادتها، وأكسبت باب الحال تعبيراً ليس له في الأصل من باب التوسّع. وكثر في دواوين الشعراءِ الخمسةِ استخدامُ الحال جامدةً. قال السيّابُ(١):

وكَدَّسَ الْقَمَرُ الدَّامِي أَشِعَّتَهُ   جِسْراً على الْماءِ تَطْفُو مِنْهُ أَلْوانُ

الأصل في الحال (جسراً) أن تكون مشتقّة، لكن الشاعر جاء بها جامــدة؛ لأن العلاقــة القائمة بينها وبيــن صاحبها (أشعّته) هي علاقة المشابهة، ممّا يُمكن تأويلُها بمشتق، ولَمّــا أمكن تأويلُها بمشتقّ، جاز أن تأتي في موضعه للدلالة على معناه. ولعــلّ الــشاعر غيَّــر صورةَ تعبيره، فعبّر بالجامد (جسراً) عن الحال بدل المشتــقّ الذي أُعطي معناه للجامــد كي يُبالغ في أداء المعنى، ويدلَّ على أن أشعّة القمر كانت متواصلة متينــة قويّــة، وهــذا يُشعر المتلقّي بالاطمئنان والرّاحة. وقال السيّاب(٢):

يُمْناكِ وكيفَ تَرَكْتُكِ تَبْتَعِدينَ٠٠٠كَمَــا

تَتَلاشَى الغنْوَةُ في سَمْعِي٠٠٠نَغَماً نَغَماً؟!

أورد الشاعر الحال (نغماً) جامدة، فعبّر بالجامد بدل المشتقّ، وجاز له هذا؛ لأن الجامد (نغماً نغماً) يدلّ على ترتيب، ودلالتُه على الترتيب تُجيز تأويلــه بمــشتقّ، وكأنــه قــال: (تتلاشى الغنوةُ في سمعي مرتّبة علــى هذه الحالة) فإذا تلاشت نغمةٌ في سمعه، تلتها فــي

(1) الديوان، ٤٨٤.
(2) الديوان، ٦٧.

التّلاشي نغمةٌ أخرى، وهكذا الأمرُ دواليك. وهذا المعنى لا يؤدّيه المشتقّ؛ لأنه لايدلّ على كثرة الأنغام المتلاشية في سمع الشاعر. وقال الشابّيّ(١):

الشَّاعرُ الْمَوْهُوبُ يُهْرِقُ فَنَّهُ هَدْراً على الأقْدامِ والأعتابِ

عبّر الشاعر عن الحال بالمصدر الجامد (هدراً) بدل المشتقّ (هادراً) وصحّ ذلك؛ لأنــه في معناه، إذْ يمكن تأويلُه بمشتقّ. والظّنُّ أن الشاعر إنّما أراد بإيراد الحال (هدراً) مصدراً جامداً، أن يدلّ على تمكُّن الحال في صاحبها (فنَّهُ) وكأنّ إهراق الشاعر فنَّه على الأقــدام والأعتاب في حالة الهدر حالةٌ ثابتةٌ فيه لا تتغيّر، وهذا واقِعُه الذي لايتغيّــر، ولــو عبّــر بالمشتقّ (هادراً) لدلَّ على أنّ هدرَه لِفنِّه وإهراقه له على الأقدام والأعتاب حالةٌ طارئــةٌ، وهذا خلاف المراد، ولعلّه أراد أيضاً أن يجعل الدّلالة احتماليّة، وينفي عنها صفة القطعيّة، فالتعبيرُ عن الحال (هَدْراً) بلفظ المصدر الجامد يحتمل معنيي الحاليّة والمــصدريّة، وقــد يكون الشاعر أرادهما معاً، فإذا كان قد أرادهما معاً، فقد عبّر عن معنيين بتعبيــر واحــد، وفي هذا بلاغةٌ وحسنُ أداء وتعبيرٍ، والشاعرُ في تغيير أسلوبه واستبدالِه عنــصراً نحويّــاً بعنصرٍ نحويّ آخر مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحويّة التي أجازت له هــذا التغييــر والانزياح. وقال أبو ماضي(٢):

وكَمْ لَيالٍ جَلَسْتُ وَحْدِي مُنقَبِضَ الصَّدْرِ كالأَسِيرِ

غيّر الشاعر أسلوب أدائه وطريقة تعبيره، فجاء بالحال (وحدي) جامدة بدل أن يأتي بها على الأصل مشتقّة، وجاز هذا التغييرُ؛ لأن الحال الجامــدة (وحــدي) بمعنــى المــشتقّ (منفرداً) فلمّا حملت معنى المشتقّ، جاز أن تحلّ محلّه في التركيب. والحقيقــةُ أن الحــال الجامدة (وحدي) تؤدّي معنى إضافيّاً لا يؤدّيه المشتقّ (منفرداً)(٣) وهو الدلالةُ على أن فعل الجلوس قد صدر من الفاعل التاءِ المتحرّكة صاحب الحال دون سواه، ولم يُــشاركه أحــدٌ فيه، وهو حدثٌ قد تفرّد به في تلك اللّيالي الكثيرة، وهذا يطرد الشّكَّ عن مشاركة أحد لــه

(1) الديوان، ٣٦٨.
(2) الديوان، ٣٠٦.
(3) النورسيّ، سعيد، الشعاعات، تر: إحسان قاسم الصّالحي، ط١، دار سوزلر، إستانبول، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

في الجلوس، وهو منقبض الصّدر كالأسير، وكأنّ كلمة (وحدي) جعلت دلالتها على هيئة صاحبها قطعيّة، ودلّت على جلوسه الأكيد الذي لا يقبل الشّكّ في ليالي كثيرة على هذه الحالة حالةِ الانفراد وانقباض الصّدر كالأسير. وقال بدر الدّين الحامد[1]:

أَرْسَلُوا نارَهُمْ عُتاةً علينا وبَرَزْنا للنَّارِ جَيْشاً هَزِيلا

استخدم الشاعر الجامد (جيشاً) للدلالة على حالة الفاعل (نا) الذي هو صاحب الحال، والجامدُ (جيشاً) لا يقبل التأويل بمشتقّ وإن حلّ في موضع هو للمشتقّ، وإنّما جاز هذا الانزياح والتغيير من المشتقّ إلى الجامد للتعبير عن معنى الحال؛ لأنه موصوفٌ بمشتقّ، وكأن الشاعر أراد معنى صفتها (هزيلاً) وكأنها صارت الرّابط بين صاحب الحال (نا) والصفة (هزيلاً) التي تُبيّن في الحقيقة هيئة صاحب الحال، وهذا ما يسمّيه النّحاةُ الحالَ الموطّئة.

والنتيجةُ أن التعبير بالجامد بدل المشتقّ عن الحال تغييرٌ نحويّ وانزياحٌ تركيبيٌّ وتحوُّلٌ عن الأصل أجازته القاعدةُ النحويّة؛ لأنّ التعبير الأصل لا يؤدّي المعاني الإضافيّة التي يعبّر عنها التعبير الجديد.

- الوصف بالجامد:

الأصل في الصفة أن تكون وصفاً مشتقّاً كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة باسم الفاعل واسم التفضيل، ويجوز أن تأتي الصفة اسماً جامداً إذا أمكن تأويله بمشتقّ، وذلك إذا كان مصدراً، نحو (هو رجلٌ ثقةٌ) بمعنى (موثوقٌ عَدْلٌ) بمعنى (عادلٌ) أو كان اسم إشارة، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾[2] أيْ (الحاضرُ والمشارُ إليه) وقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ ﴾[3] أيْ (الحاضرتين والمشار إليهما) أو كان نسباً، نحو (هذا رجلٌ تميميٌّ بصريٌّ) بمعنى (منسوبٌ إلى تميم) أو كان (ذو)

(1) الديوان، ج١/٧٠.
(2) الأنبياء، ٦٣.
(3) القصص، ٢٧.

بمعنى (صاحب) أو (ذات) بمعنى (صاحبة) نحو (جاء رجلٌ ذوعلم، وامراةٌ ذاتُ فضلٍ) بمعنى (صاحب علم وصاحبة فضل) أو كان عدداً للموصوف، نحو (جاء رجالٌ أربعةٌ) بمعنى (معدودون بهذا العدد) ونحو (أعطيتُك إبلاً مائة) أيْ (كثيرةً) ونحو قول الأعشى(١):

لئِنْ كُنْتَ في جُبٍّ ثَمانينَ قامةً ورُقِّيْتَ أسْبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

بمعنى (في جبٍّ عميقٍ) أو كان (أيّ، وكلّ) الكماليّتين مضافتين إلى مثل موصوفهما في اللّفظ والمعنى، نحو (مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ، وأنت الرّجلُ كلُّ الرّجلِ) بمعنى (الكاملُ في الرّجولة) أو كان اسماً موصولاً مقترناً بـ (ال) نحو (جاء الرّجلُ الذي اجتهد) أيْ (المجتهدُ) أو دلّ على تشبيه، نحو (مررتُ برجلٍ أسدٍ) بمعنى (شجاعٍ) و (لبستُ ثوباً خزّاً ملمسُه، وشربتُ ماءً عسلاً طعمُه) بمعنى (ناعماً ملمسُه، وحلواً طعمُه) أو كان (ما) النكرة التي يُراد بها الإبهام، نحو (أكْرِمْ رجلاً ما) وقد يراد مع الإبهام معنى التّهويل، نحو (لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَه) أيْ (لأمرٍ عظيمٍ) أو دلّ على قياس أو مقدار أو وزن أو كيلٍ؛ لأنها تتضمّن معنى الطّول والقِصر والقلّة والكثرة، نحو (رأيت ثوباً خمسين ذراعاً) بمعنى (طويلاً) ونحو (رأيت ثوباً ذراعاً) بمعنى (قصيراً) أو كان كلمة (غير) نحو (مررت برجلٍ غيرِ كاذبٍ) أو كان كلمة (مثل) ونحوها ممّا يُفيد التّشبيه، نحو (مررت برجلٍ مثلِك وضَربِك وشِبهِك ونحوِك)(٢).

والمتكلم إنّما يصف بالمصدر بدل المشتقّ؛ لِيدلّ على ثُبوت الصفة في الموصوف لكثرة

تعاطيه لها، وكأن الموصوف صار في الحقيقة مخلوقاً من تلك الصّفة، وفي هذا مبالغة وتوكيدٌ للعلاقة القائمة بينهما، فإذا قلت: (هذا رجلٌ صَوْمٌ) دلَلْتَ على كثرة صيامه، وهذا معنى غير موجود في قولك: (هذا رجلٌ صائمٌ) لأنك عَنَيت اتّصافه بالصّيام في اللحظة

---

(1) الديوان، ١٧٣.

(2) ينظر،الأصول في النحو، ج٢/٢٧، والخصائص، ج٢/٢٠٧، والمفصل، ١٤٧-١٤٨، وشرح المفصل، ج٢/٧٤، ج٣/٤٨-٤٩، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩١٩-١٩٢٠، ١٩٣٣، وأوضح المسالك، ٥٠٠، ومغني اللبيب، ١٠٩، وجامع الدروس العربية، ج١/١٤٧، ج٣/٢٢٢-٢٢٣، ومعاني النحو، ج٣/١٥٩-١٦٦.

التي هو فيها، وإذا وصفت بــ (أيّ، وكلّ) الكماليّتين، فقد دللت على كمــال الــصفة فــي الموصوف، وبالغت في وصفه بها، فإذا قلت: (مررت برجل أيِّ رجلٍ) قصدت أن صفات الرجولة قد اجتمعت فيه، وهي أقوى من أن يُحاط بها، فبالغت فــي مدحــه، وإذا قلــت: (مررت برجلٍ أسدٍ) دللت على شجاعة فائقة، و زدت في التركيب علاقة المــشابهة بــين الموصوف والصفة، وإذا وصفت بــ (ما) النكرة، فقلت: (لأمر ما جدع قصيرٌ أنفه) كنــت قد أردت معنيي التهويل والتعظيم، وهما معنيان لا يؤدّيهما الوصف بالمــشتقّ، والتعليــلُ على هذا الوجه في الحالات كلّها، فالتغييرُ إنّما يكون لمعنى[١]. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة استخدامُ الصفة جامدة. قال البارودي[٢] :

كأَنّهُمْ قدْ أصَابُوا طُرْفَةً عَجَباً   أوْ جاءَهُمْ نَبأٌ صِدْقٌ بِبُرْهانِ

وصف الشاعر الموصوف (طرفةً) بالمصدر الجامد (عجباً) ووصف (نبــأٌ) بالمــصدر الجامد (صِدقٌ) فاستخدم الجامد في موضع المشتقّ، والأصلُ (طُرْفةًعَجِيبةً) و (نبأٌ صادقٌ) لكنه غيّر أسلوبه، ففضّــل استخدام المصدر للدلالة على أن الموصوف (طرفةً) قد اتّصف بصفة العجب اتّصافاً ثابتاً مجرَّداً من الزمن والانقطاع، وكأنه الصفةُ ذاتها، وكأنه تحــوّل إلى عجب، وأن الموصوف (نبأ) قد اتّصف بصفة الصدق اتّصافاً ثابتاً مجرّداً من الــزمن والانقطاع، وكأنه تحوّل إلى صدقٍ، وفي هذا مبالغةٌ وقوة في تأدية المعنى أكثر من تأديته بالوصف المشتق. وقال بدر الدين الحامد[٣]:

يافَرَنْسا افْخَري بغدركِ هذا   وتَباهَي بالويلِ والأَتْراحِ

غيّرالشاعر أسلوب تعبيره، فوصف بالجامد اسمَ الإشارة (هذا) الموصوف (غدر) بــدل المشتقّ. وجاز له هذا التغيير والانزياح في استخدام عنصر نحويّ في موضــع عنــصر نحويّ آخر؛ لأن اسم الإشارة (هذا) يحمل معنى المشتقّ اسمِ المفعول (المشار إليه) وكأنــه

(1) ينظر، الخصائص، ج٣/٢٥٩،١٨٩، ج٢/٢٠٧، وارتشاف الضرب، ج٤/١٩١٩، والبرهان في علوم القرآن، ج٤/٢٠٠، ومعاني النحو، ج١/١٧٩، ج٣/١٥٩-١٦٥، والجملة العربية والمعنى، ١٨٣-١٨٤، ٢٠٩-٢١١.
(2) الديوان، ج٤/١٥٢.
(3) الديوان، ج١/٢٥.

قال: (بغدرك المشارِ إليه عن قرب). وتأدية المعنى معنى ذمّ الموصوف (غدر) المنسوب إلى فرنسا باسم الإشارة (هذا) أقوى وأبلغ من تأديته بالمشتقّ (المشار إليه) لأنه يدل على ثبوت الغدر في فرنسا، وثبوت الإشارة إلى غدرها المستمرّ، واستنكاره من الشاعر وقومه. فالتعبير الجديد أدّى معنى إضافيّاً لا يؤدّيه التعبير النمطي. وقال الشابّي[١]:

أَفِيقوا وهُبّوا هَبَّةً ضَيْغَمِيَّةً　　　ولاتُحْجِموا فالموتُ في الجبنِ جاثمُ

استخدم الشاعر الاسم الجامد (ضيغميّة) في موضع المشتق (قويّةً) فوصف به (هبّةً) وجاز هذا التغيير؛ لأن الاسم الجامد (ضيغميّةً) اسمٌ منسوب يحمل معنى المشتقّ (قويّة) الذي حلّ محلّه في تأدية معنى الصفة، وكأنه قال: (هُبّوا هبّةً منسوبةً في قوّتها إلى الضّيغم) وهذا أقوى وأبلغ في مدح الموصوف (هبّةً) وأشدُّ تأثيراً في المتلقّي الذي إذا سمع هذا التعبير، تبادرت إلى ذهنه صورةُ الضيغم القويّة الشجاعة المندفعة الكاسرة، أُعجب بدعوة الشاعر، وعرف صدقَه ورغبته القوية في استنهاض قومه. وقال أبو ماضي[٢]:

سَمِعَ اللَّيْلُ ذو النّجُومِ أَنِيناً　　　وَهْوَ يَغْشَى الْمَدينةَ الْبَيْضاءَ

وصف الشاعر الموصوف (الليلُ) بالاسم الجامد (ذو) وهذا تغيير في استخدام العناصر النحوية لتأدية المعاني، فهذا الموضع في الأصل للمشتقّ، وجاز له هذا التغيير؛ لأن الاسم الجامد (ذو) يجوز تأويله بمشتقّ، فهو بمعنى اسم الفاعل (صاحب) وكأن الشاعر قال: (سمع الليلُ صاحبُ النجوم...) فلمّا أمكن تأويله بمشتقّ حمل معناه، جاز أن يحلّ محلّه في التركيب، ودلالةُ (ذو) على معنى اتّصاف الليل بصحبة النجوم أقوى وأبلغ من دلالة (صاحب) عليه؛ لأن الأول يدلّ على ثبوت هذه الصفة في الليل، وينفي الشكّ عنها، أمّا المشتقّ (صاحب) فيدلّ على اتّصاف الليل بهذه الصفة، ولاينفي الشّكّ عنها، فتعبير (سمع الليلُ ذو النجوم) دلالتُه قطعيّةٌ على أن الليل الذي سمع الأنين في المدينة البيضاء كانت النجوم فيه كثيرة، والتعبير الأصل (سمع الليلُ صاحبُ النجوم) دلالتُه احتماليّة، فقد يكون

(1) الديوان، ٢٥٦.
(2) الديوان، ١٠٠.

الليلُ الذي سمع الأنين في المدينـــة البيضاء، نجومُه كثيرةٌ كمَا زعم الشاعر، وقد لايكون. وقال السّيّاب[١]:

أجنحةٌ في دوحة تخفقُ

أجنحةٌ أربعةٌ تخفـــــقُ

وأنـــتَ لاحبٌّ ولا دارُ

حلّ الاسمُ الجامد (أربعةٌ) في تأدية معنى الصفة محلّ الاسم المشتقّ، فوصف الـــشاعر به الموصوف (أجنحةٌ) وهذا انزياح وتغيير في تأدية المعنى بغير لفظه الذي وُضِـــع لـــه، والذي مكّن الشاعر من هذا التغيير دلالةُ الصفة الجامدة (أربعةٌ) على عدد وإمكان تأويلها بمشتقّ، فلمّا كانت عدداً، وجاز أن تحمل معنى المشتقّ، جاز أن تحلّ محلّه في التركيـــب وتأدية المعنى، وكأن الشاعر قال: (أجنحةٌ قليلةٌ أومعدودةٌ بهذا العدد) وقد يكون التأويـــل غير ذلك. ولعلّ الاسم الجامد (أربعةٌ) يدل على ثبوت الصفة في الموصـــوف (أجنحـــةٌ) أكثر من المشتقّ الذي حمل معناه، وحلّ محلّه في التعبير والتركيب.

٣- التعبير عن الشرط بغير أدواته:

الأصل في الشرط أن يُعبَّر عن معناه بأدواته الأصلية التي وُضِعت له، ويجوز التعبيـــر عنه بالاسم الموصول بشرط أن تكون صلتُه جملة فعليّة أو شبه جملة، وأن يكون موقعـــه النحوي في التركيب مبتدأ، فمن الأوّل قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٢] فحمل الاسمُ الموصول (الذين) معنى الـــشرط، ولذلك دخلت الفاء في خبره (فلهم أجرهم) ومن الثاني قوله تعـــالى:﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ

(1) الديوان، ٣٤٥.
(2) البقرة، ٢٧٤.

ٱللَّهِ﴾[1] فحمل الاسم الموصول (ما) معنى الشرط، وجاز ذلك؛ لأن صلته (بكم من نعمة) شبه جملة، ولذلك دخلت الفاء في خبره.

ويجوز التعبير عن معنى الشرط بالنكرة الموصوفة الدالّة على العموم بشرط أن توصَف بجملة فعليّة أو شبه جملة، وأن يكون موقعها النحويّ في التركيب مبتدأ، فتدخل الفاء على خبره دلالةً على شبهه بالشرط وتأديته معناه، فالأوّل نحوُ (كلُّ رجلٍ يأتيني فله درهمٌ) فأوقعت النكرة الدالّة على العموم (كلُّ) موقع الشرط، وجاز لك ذلك؛ لأنك وصفتها بالجملة الفعلية (يأتيني) وجعلتها في التركيب مبتدأ، وأدخلت الفاء في خبرها (فله درهمٌ) والثاني نحوُ (كلُّ رجلٍ في الدار فله درهمٌ) والقولُ فيه كسابقه. وإنّما جاز حمل الاسم الموصول والنكرة العامّة الموصوفة على الشرط؛ لأنهما مبهمان، والشرطُ مبنيّ على الإبهام، فالاسم الموصول لايتمُّ معناه إلّا بصلته والعائد عليه، والنكرة الموصوفة معناها مبهمٌ لايتوضّح إلّا بصفتها، وهذا جعلهما شبيهين بالشرط من حيث الغموضُ والإبهامُ[2]، قال ابن السرّاج: "واعلمْ أنه إذا كان صلة (الذي) فعلاً جاز أن يدخل في الخبر الفاءُ، نحو (الذي قام فله درهمٌ، والذي جاءني فأنا أُكرمه) شبّه هذا بالجزاء، لأن قولك: (فله درهمٌ) تبع المجيء. وكذلك هو في الصفة، تقول: (كلُّ رجلٍ جاءني فله درهمٌ، وكلُّ رجلٍ قام فإنّي أُكرمه) والأصلُ في جميع هذا طرحُ الفاء، وأنت في ذكرها مخيَّر، إلّا أنها إذا دخلت، ضارع الكلامُ الجزاء، ويتبيّن أن الخبر من أجل الفعل، ولذلك لم يجزْ أن تدخل الفاءُ في كلّ حال"[3].

والحقيقة على ما يبدو أنه ثمّة فرقٌ في المعنى بين التعبير النمطي (الذي يأتيني له درهمٌ) والتعبير الجديد المحمول على الشرط (الذي يأتيني فله درهمٌ) فالتعبير النمطيّ دلالتُه احتماليّة ومعناه يسير في اتّجاهين، الأوّلُ أن الآتي يملك درهماً في الأصل، والثاني أن الإتيان إليك شرطٌ للحصول على الدّرهم، فالحصول على الدّرهم مسبَّبٌ عن

(1) النحل، ٥٣.
(2) ينظر، الكتاب، ج١٠٢/٣-١٠٣، والأصول في النحو، ج٢٧٢/٢، والإيضاح العضدي، ٥٣-٥٦، والمفصل، ٣٦، وشرح المفصل، ج٩٩/١-١٠١.
(3) الأصول في النحو، ج٢٧٢/٢.

الإتيان إليك، والتعبيرُ الجديد المحمول على الشرط دلالتُه قطعيّةٌ، فالآتي لا يملك الــدّرهم، وإنّما يحصل عليه إذا أتى؛ لأن المعنى صار على الشرط، فصار الخبــرُ (فلــه درهــمٌ) بمنزلة جواب الشرط، والاسم الموصول مع صلته بمنزلة أداة الــشرط وفعــل الــشرط، ونحوه قولك: (كلُّ رجلٍ يأتينا فله درهمٌ، وكلّ رجلٍ في الدّار فله درهمٌ)(١).

ولم أجد في دواوين الشعراء الخمسة تراكيب عبّروا فيها عن الشّرط بغير الألفاظ التي وُضِعت له، ولعلّ في هذا دلالةً على قِلَّة استخدام هذا الأسلوب التعبيــريّ فــي كتابــات العصر الحديث.

٤- التعبير بأدوات الاستفهام عن معان أخرى:

الأصل في الاستفهام في التركيب النحوي طلب معرفة شيء مجهول من قِبل المــتكلم، وله أدواته المعروفة، ويجوز أن تترك أداة الاستفهام وظيفتها الاســتفهامية، وتُفــرَّغ مــن معنى السؤال و الاستخبار وطلب الجواب؛ لِتؤدّي معنى آخر يُفهَم من سياق الكلام أو مــن قرينة الحال، و يكون هذا الاستخدام لها في التعبير عن معان ليست لها في الأصل، تغييراً نحوياً جائزاً اقتضاه المعنى، وأباحته القاعدة النحوية، وأجازه الاستعمال الــصحيح. ومــن هذه المعاني أن ترد معبِّرة عن معنى التعجب، نحو قولــه تعــالى:﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾(٢) فتعجب بــ (كيف) الاستفهامية من كفرهم، وقد رأوا إحياءهم بعد حالة الموت، ونحو قول المتنبّي(٣):

أَبِنْتَ الدّهرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ   فكيفَ وصلْتِ أنتِ من الزِّحامِ؟

فتعجب بــ (كيف) الاستفهامية، وقد فرّغها من معنى الاستفهام، من وصول المــصيبة إليه مع كثرة المصائب الواقفة ببابه، ومنها أن يُعبَّر بها عن معنى النفي، كقوله تعــالى:﴿

(1) ينظر، الكتاب، ج١٠٢/٣، ومعاني النحو، ج١٠٩/٤-١١٢، والجملة العربية والمعنى، ٩٢-١٠٥.
(2) البقرة، ٢٨.
(3) الديوان، ج١٤٧/٤.

﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[(١)] بمعنى (مايُهلَك) وكقوله تعالى:﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾[(٢)] بمعنى (ما شهدوا) ومنها معنى الأمر، كقوله تعالى:﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[(٣)] أيْ (أسلموا) وقوله تعالى:﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[(٤)] أي (اذكروا) ومنها معنى النّهي، كقوله تعالى:﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾[(٥)] أي (لاتخشوهم) وقوله تعالى:﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[(٦)] أي (لا يغرّك) ومنها معنى التمنّي، كقوله تعالى:﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾[(٧)] بمعنى (ليت لنا شفعاء) ومنها التحذير، كقوله تعالى:﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[(٨)] أي (نحذّركم مثل هذا المصير) ومنها التهكم والاستهزاء، كقوله تعالى:﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾[(٩)] وقوله تعالى:﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾[(١٠)] ومنها الاستبطاء، كقوله تعالى:﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[(١١)] ومنها التحقير، كقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[(١٢)] ومنها التقرير كقوله تعالى:﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾[(١٣)] أي (أنا ربُّكم) وقوله تعالى:﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾[(١٤)] أي (اللهُ كافٍ عبده) وقول جرير[(١٥)]:

ألستُمْ خيرَ مَنْ ركبَ الْمطَايَا وأَنْدَى الْعالمينَ بُطونَ راحِ

أي (أنتم خيرُ مَنْ ركب المطايا) ومنها الإنكار التوبيخي الحقيقي أو الإبطالي، فيكون الإنكار حقيقياً توبيخيّاً إذا كان ما بعده واقعاً، وفاعلُه ملومٌ عليه، ويكون إبطاليّاً إذا كان ما

(1) الأحقاف، ٣٥.
(2) الزخرف، ١٩.
(3) هود، ١٤.
(4) يونس، ٣.
(5) التوبة، ١٣.
(6) الانفطار، ٦.
(7) الأعراف، ٥٣.
(8) المرسلات، ١٦.
(9) هود، ٨٧.
(10) الصافات، ٩١-٩٢.
(11) يس، ٤٨.
(12) الفرقان، ٤١.
(13) الأعراف، ١٧٢.
(14) الزمر، ٣٦.
(15) الديوان، ٩٨.

بعده غير واقع، ومُدَّعيه كاذب، فالأوّل نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴾[1] فالإنكار بهمزة الاستفهام حقيقيّ، غرضُه توبيخُهم على عبادة المنحوتات التي من صنعهم، وهذا فعل قد وقع منهم، وقوله تعالى:﴿ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2] فالإنكار حقيقيّ توبيخيّ؛ لأنهم وطؤوا الذّكور دون النساء حقيقة، والثاني نحو قوله تعالى:﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ﴾[3] فالإنكارُ إبطاليّ؛ لأنهم ادَّعوا أن الله تعالى قد جعل لهم البنين، وهذا لم يقع، فهم كاذبون في ادِّعائهم، ونحو قوله تعالى:﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾[4] فالإنكار إبطاليّ وتكذيبٌ لِمَنِ ادَّعى أن الله قد اختار لنفسه البنات، وهذا لم يكن في الحقيقة. ويلي أداةَ الاستفهام إذا قُصِد بها التوبيخُ أو الإنكارُ ما أراد المتكلمُ من المخاطب أن يُقِرَّ بِهِ، أو أراد أن يُنكره عليه[5].

وإذا خرجت أداةُ الاستفهام عن معناها الحقيقي، فليس من قرينة لفظية تدلّ على المعنى الجديد المراد، أو أنّ أداة الاستفهام قد فارقت معناها الأساسيّ أو لم تفارقه، أو على أنّها قد حافظت على معناها الأساسيّ مع إفادة معنى جديد، أمّا الذي يجعلنا نتبيّن ذلك، فهو القرينة الحاليّة بمعرفة الظروف التي قِيلت العبارة في أجوائها، فإذا عرفنا حال كلٍّ من المتكلم و المخاطب، سهُل علينا تحديدُ ذلك؛ ولذلك قد يُخطيء أيُّ دارس في تحديد المعنى الدّقيق لعبارة خرجت فيها أداة الاستفهام عن معناه الحقيقيّ إذا لم يعرف ظروف الكلام بدقّة. ويرى الزّركشيّ أن أدوات الاستفهام إذا خرجت عن معناها الأساسي للتعبير عن معان أخرى، فإن منها ما يفارق معنى الاستفهام بالكليّة كما في التسوية، ومنها ما يبقى على معنى الاستفهام مع إفادة المعنى الجديد، ومنها ما يحتمل أنه فارق أو لم يفارق، وتأمّلُ العبارة هو دليلُ

---

(1) الصافات، ٩٥.
(2) الشعراء، ١٦٥.
(3) الإسراء، ٤٠.
(4) الصافات، ١٥٣.
(5) ينظر، الكتاب، ج١٨١/٢، ج٩٤/٣، ٥١٣، والمقتضب، ج١٩/٢، ج٢٢٨/٣-٢٢٩، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٩٣، والأصول في النحو، ج٣٩٦/١، ج٥٧/٢، ومعاني الحروف، ٣٢-٣٣، وشرح المفصل، ج٦٩/٢، ج٤٨/٧، ج١٢٣/٨-١٢٤، وارتشاف الضرب، ج٦٩٦/٢ ، ج١٥٠٢/٣، ج ١٨٦١/٤، ج٢٣٣٦/٥، ومغني اللبيب، ٢٤-٢٥، ٩٧، ٢٧١، ٤٥٩، والبرهان في علوم القرآن، ج٢٠٤/٢-٢١٤، والجملة العربية والمعنى، ١٠٤-١٠٥، ومعاني النحو، ج٢٠١/٤-٢٠٥، وعلم المعاني،١٠٤-١١٣، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٧٠-٢٧٥.

الدّارس إلى معرفة ذلك.[١]

ويبدو أن أداء المعنى بغير لفظه الذي وُضِع له في الأصل عن طريــق أداة الاســتفهام أقوى وأبلغ من تأديته بلفظه الأصل، فالنفي بــ (هل) يختلف معناه عــن النفــي بحــرف النفي، فالنفيُ بأداة النفي هو نفيٌ فحسب، وهو معنى قطعيٌّ، اتّجاهُه واحــد، والنفــيُ بــــ (هل) أو بغيرها من أدوات الاستفهام نفيٌ خالطه معنى الاستفهام، وقد تُخالطه معان أخرى كالتعجب والاستنكار والتحدّي والاستخفاف وغيرها، فالنفيُ الصريح بأداة النفي هو إقــرار من المُخبِر، والنفيُ بأداة الاستفهام تشريك للمخاطب في النفي، نحــو قولــه تعــالى:﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾[٢] والمعنى (ما كنتُ إلّا بشراً رســولاً) فالجملــة ذات أسلوب إنشائي، ومعناها نفيٌ خبريّ، فإثباتُ صفة البشرية والرسولية له، ونفــي الــصفات التي تناقضهما عن طريق (هل) الاستفهامية أبلغُ وأقوى من النفي الصريح؛ لأنه لا يقــف عند حدّ معيّن مــن النفي، وكذلك الأمر إذا أدّت أداةُ الاستفهام معنى الأمر، كان الأمر بها أبلغ وأقوى من الأمر الصريح نحو قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ ﴾[٣] والمعنى (أسلموا) فالأمر في الآية الكريمة ليس أمراً خالصاً، فهو أمر صــحبه اســتفهام، وفي هذا تهييج وتحريك ليسلموا، وكذلك الحال إذا أفــادت أداةُ الاستفهام معــاني التمنــي والتعجب والتوبيخ والتقرير والإنكار والنهي وغيرها من المعاني، وظهر بذلك الفرق بــين التعبيرين في المعنى، واتّضح أن تغيير وجهة أداة الاستفهام في التعبير كان مــن ورائــه المعنى[٤]. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة خُروجُ أداةِ الاستفهام عن معناهــا الحقيقــي بغية التعبير بها عن معان أخرى ليست لها في الأصل، قال بدر الدين الحامد[٥]:

لنا مجدُنا في دارنا وفَخَارُنا   وهَلْ بَعْدَ مَاضِينا وأجدادِنا فخرُ

سلب الشاعر (هل) الاستفهامية في الشطر الثاني من البيت الشعري معنى الاستفهام

(1) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢١٤.
(2) الإسراء، ٩٣.
(3) آل عمران، ٢٠.
(4) ينظر، معاني النحو، ج٤/٢٠٢-٢١١.
(5) الديوان، ج١/٦٧.

والسؤال، وحمّلها معنى النفي، وكأنه قال: (وليس بعد ماضينا وأجدادنا فخرٌ) فخرج من تعبير إلى تعبير، وأدّى معنى النفي بأداة ليست له، وهذا تغيير في التعبير وأداء المعاني بغير ألفاظها المعهودة وانزياح بالأسلوب عمّا هو معهود، ولعلّ النفي بـ (هل) الاستفهامية أقوى وأبلغ من النفي بـ (ليس) فالشاعرُ يفخر بماضيه وأجداده، ويرى أنْ لا فخر له ولقومه بغيرهما، فأراد أن يفجأ المتلقي بأسلوب لم يعهده كثيراً، فأظهر المعنى الخبريّ في أسلوب إنشائي، ولعلّه أراد معنيي الاستفهام و النفي، فيكون قد أدّى معنيين بتعبير واحد، وأشرك المتلقّي في تشكيل المعنى. وقال أبو ماضي(١):

فَمَا لَكَ لا تَجودُ لهمْ بِشَيءٍ وَقَدْ رَقَّ الْعَدوُّ لَهُمْ وجَادَا

عبّر الشاعر بـ (ما) الاستفهامية عن معنى الأمر، فشكّلُ تعبيره (فما لك لا تجود لهم بشيء؟) استفهامٌ وأسلوبُه إنشائيّ لا يحتمل التصديق والتكذيب، ومعناه الأمرُ، لكنْ تغيّر معنى الإنشاء من الاستفهام إلى الأمر، ومن طلب الجواب إلى طلب القيام بالفعل، فكأنه قال: (جُدْ لهم بشيءٍ) والتعبيرُ عن معنى الجُود طلبٌ، وإيقاعُه بأداة الاستفهام (ما) أبلغ وأقوى من التعبير بفعل الأمر (جُدْ) فالأوّل استفهامٌ أُشرِب معنى الأمر، وفي هذا تلميحٌ وطلبٌ غير مباشر، والثاني أمرٌ وطلب مباشر، ولعل مقام المتلقي هو الذي صرف الشاعر عن الأمر الصريح؛ إذْ لم يطلب منه الجود مباشرة تأدّباً معه، أو تجنّباً لِردّه القاسي، فأراد الشاعر أن يجعل أمره بين الاستفهام والأمر؛ كي يحمل المتلقي على الاقتناع بما سأله عنه، وطلب إليه إيقاعه. وقال الشابّي(٢):

يا أيّها السَّارِي لَقَدْ طَالَ السُّرى حَتَّامَ تَرْقُبُ في الظَّلامِ نُجُوما؟

أَتَخَالُ في الوادي الْبَعيدِ الْمُرْتَجَى؟ هَيْهَاتَ لَنْ تَلْقَى هُناكَ مَرُومَا

غيَّر الشاعر أسلوب تأدية معنى النهي، فانصرف عن تأديته بأداته الأصلية (لا) الناهية، وعبّر عنه بهمزة الاستفهام، فقال: (أتخال) وأراد (لا تخلْ) فالظاهرُ استفهامٌ

(1) الديوان، ٢٤٤.
(2) الديوان، ٢١٧.

واستخبارٌ، والقَصْدُ النّهيُ، فتغيّر معنى الإنشاء من السؤال وطلبِ الجواب إلى الامتناع عن إيقاع الفعل (تخلْ) فهو ينهى الذي سرى في الليل طويلاً عن أن يظنّ أنّ ثمّة مرتجىً يلاقيه في الوادي البعيد، لكنه ترك التعبير الأصل، وانزاح إلى تعبير جديد لم يألفه المتلقي، لِيكون النهيُ أبلغ وأقوى وأشدَّ تأثيراً. فالقوّةُ والمبالغةُ وشِدّة التأثير معانٍ إضافيّة لايؤدّيها التعبير النمطيّ (لا تخلْ) لأنه يقتصر على النهي فحسب. وقال بدر الدين الحامد[1]:

أَلَسْتَ أَوَّلَ مَنْ عَزَّتْ بِثَورتِهِ   هذي الرُّبوعُ وحَادي الشُّؤْمِ نَعَّارُ[2]

استخدم الشاعر همزة الاستفهام في سياق ليس لها، وعبّر بها عن معنى التقرير، فالظاهرُ في قوله: (ألست٠٠٠بثورته) استفهام وإنشاء، والمعنى تقرير وإخبار، وكأنه قال: (أنتَ أوّلُ٠٠٠ نعّارٌ) فانتقل من الأسلوب الخبريّ الذي يحتمل التصديق والتكذيب إلى الأسلوب الإنشائي الذي لا يحتملهما، وعبّر عن المعنى الذي له صورةٌ خارجيّة واقعة بأسلوب المعنى الذي مازال في تصوُّر المتكلم دون أن تكون صورتُه قد وقعت، وحدثت في الخارج، ولعله أراد أن ينفي الشكّ عن معناه فقد زعم أن الممدوح أوّلُ مَنْ جلب العِزّة بثورته لِربوع بلاده، فلو أورد هذا المعنى بأسلوبه الخبري، لَمَا أَمِن شَكَّ المتلقي فيه، ودَفْعَهُ له. ولكنّ الشاعر أراد أن يحتاط لمعناه، ويحفظه من الشكوك والظّنون، فأخرجه، وعبّر عنه بصورة الاستفهام التي لا تقبل الشّكوك، وهو بهذا التغيير نقل المعنى من الدلالة الاحتماليّة إلى الدلالة القطعية. فالتعبيرُ الأصل (أنتَ أوّلُ٠٠٠) دلالتُه على معنى التقرير قطعيّةٌ، أمّا دلالةُ التعبير الجديد (ألستَ٠٠٠) فاحتماليّة، قد يُراد بها الاستفهامُ أو التقريرُ أو كلاهما معاً. وقال البارودي[3]:

إنْ كنتَ تُؤمِنُ بالذي خَلَقَ الْوَرَى   وَأَقَاتَهُ فَعَلامَ تَقْتُلُ نَفْسَكَا؟[4]

---

(1) الديوان، ج١/٢٤٤.
(2) نعّارٌ: الذي يسعى بالفتن،والصيّاح الصخّاب.
(3) الديوان، ج٢/٣٦٩.
(4) الورى: الخَلْق، وأقاته: حفظه ورزقه.

أنكر الشاعر على الذي آمن بالله تعالى خالق الخلق ورازقهم أن ينتحر، ويقتل نفسه إذا قلّ رزقُه، ووقع في ضِيق، ووبّخه على فعل ذلك، لكنه عبّر عن إنكاره وتوبيخه بـأداة الاستفهام (ما) التي جرّها بـ (على) فأورد المعنى الخبريّ في أسلوب إنشائيّ، صورتُه الاستفهامُ، فانزاح من أسلوب إلى أسلوب ومن تعبير إلى تعبير، فاستخدم (ما) الاستفهامية للتعبير عن معنى لم تُوضَع له في الأصل، وهو مازال يجري في هَدْيِ القاعدة النحوية التي أجازت هذا الاستخدام لتحقيق المبالغة في المعنى وتقويته؛ لِيكون تأثيرُه في المتلقي أشدَّ من التعبير النمطي (أنكرتُ عليك قتلَ نفسك، ووبَّختُك عليه) الذي يحتمل التّصديق والتّكذيب، ويكون عُرضةً للظّنون والشُّكوك. وقال السيّاب(١):

إنّي لأعْجَبُ كَيْفَ يُمْكِنُ أنْ يَخُونَ الْخَائِنون؟!

أيَخونُ إنسانٌ بِلادَهُ؟

إنْ خانَ مَعْنى أنْ يكونَ،فكيفَ يُمكنُ أنْ يكون؟!

أخرج الشاعر في قوله: (أيخون إنسانٌ بلاده؟) همزة الاستفهام عن معناها الحقيقي، واستخدمها لتأدية معنيي الإنكار والتوبيخ، وهما معنيان لم تُوضَع لهما في الأصل، وهذا تغيير نحوي في استخدام العنصر النحوي الاستفهاميّ في غير بابه النحوي الأصل، وانزياح به عن وجهته الأصل، والقاعدةُ النحوية تُجيز ذلك، فالشاعرُ يُنكر على الخائن أيّاً كان خيانةَ بلده معنى وجوده، ويوبِّخه على إيقاع هذا الفعل، ويعجب من ذلك، وكان الأصلُ أن يقول: (أُنكرُ، وأُوبِّخ كلَّ إنسان يخون بلده الذي يعني وجوده) لكنه لم يقله، وانتقل إلى أسلوب الإنشاء الاستفهاميّ (أيخون٠٠) الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب، ويؤكِّد رغبة الشاعر في الإنكار والتوبيخ لكلِّ مَنْ كان شأنُه وفعلُه خيانةَ وطنه، وقد يكون أراد إلى جانب معنيي الإنكار والتوبيخ معاني أخرى يتبصّرها المتلقي بحسب فهمه للتركيب.

(1) الديوان، ١٨٢.

والنتيجة أن التعبير عن المعاني المتنوعة بأدوات الاستفهام التي تترك معنى الاستفهام أو تحافظ عليه إلى جانب المعاني الإضافية تغييرٌ نحوي وتنويعٌ أسلوبيٌّ، وانزياحٌ تركيبيٌّ أجازته القاعدةُ النحوية والاستعمال الصحيح؛ لأن التعبير النمطيّ يعجز عن تأدية ما يؤدّيه التعبير الجديد من معان إضافية إلى جانب المبالغة والقوّة وشِدّة التأثير.

٥-التعبير عن التمنّي بغير (ليت):

الأصل في التعبير عن معنى التمني أن يكون، ويُؤدَّى بـ (ليت) والتمنّي هو طلب المستحيل الذي لاطمع فيه، أو طلب ما فيه صعوبة بالغة وعُسرٌ، فالأوّل نحو (ليت الشباب يعود) والثاني (ليت الجاهل عالمٌ) ويجوز تأدية معنى التمني بـ (هل) الاستفهامية و (لو) الشرطية، و (لعلّ) أخت (إنّ) فالأوّل نحو قوله تعالى:﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾[١] والمعنى (ليت لنا من شفعاء) ونحو قول العبّاس بن الأحنف[٢]:

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ   لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوِيْتُ أَطِيرُ

والمعنى (ليت من يعير جناحه) فالعبارةُ شكلُها الاستفهام، ومعناها التمنّي، والثاني نحو قوله تعالى:﴿لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣] والمعنى (ليت لي كرّةً) وقول جرير[٤]:

ولّى الشَّبابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ   لَوْ كانَ ذلكَ يُشْتَرَى أو يَرْجِعُ

والمعنى (ليت ذلك يُشترَى...) والثالث كقوله تعالى:﴿لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[٥] والمعنى (ليتني أبلغ الأسباب) فالتعبير عن معنى التمني بغير أداته الأصلية (ليت) تغيير نحوي جائز، غرضُه المعنى، فإذا تمنّى المتكلم بـ (هل)

---

(1) الأعراف، ٥٣.
(2) الديوان، ١٤٣.
(3) الزمر، ٥٨
(4) الديوان، ٣٤٢.
(5) غافر، ٣٦-٣٧.

بدل(ليت) كانت غايتُه أن يُبرز المتمنَّى المستحيل الحصول أو العسير حصولُه في صورة المستفهم عنه الممكن وقوعه لِيظهر كمال عنايته به ورغبته الشديدة في وقوعه، وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى:﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ ﴾لأن الشفاعة لهم مستحيلة، وقد علموا ذلك، فأرادوا التخفيف عن أنفسهم، و إظهار رغبتهم في وقوعها، وكذلك الحال في قول الشاعر: (هل من يعير جناحه؟) وإذا تمنَّى المتكلم بـ (لو) بدل (ليت) كانت غايتُه أن يُشعر المتلقي بعزّة ما يتمنّاه وصعوبته المطلقة أو استحالته المطلقة، فيبرزه في صورة الممتنع الذي لايقع؛ لأن (لو) حرف يدل على امتناع جواب الشرط لامتناع الشرط، وكأنه يجمع مستحيلاً إلى مستحيل، وهذا هو المعنى الظاهر في قوله تعالى:﴿ لَوَ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فعودتُه إلى الدنيا مستحيلة، وزادت (لو) توكيد هذه الاستحالة، والأمرُ ذاتُه في قول جرير: (لو كان ذلك يُشترَى ويعود) فعودةُ الشباب إلى المرء بعد الشَّيب غير ممكنة، وتمنِّيه يعني طلب المستحيل، وزاد الاستحالة قوّة أنه عبَّر عن التمنّي بـ (لو) الامتناعية، فضمّ امتناعها إلى امتناع التمنّي[١]. وإذا تمنّى المتكلم بـ (لعلّ) بدل (ليت) كانت غايتُه أن يُبرز المتمنَّى البعيد الحصول في صورة القريب المترقَّب الممكن حصوله دلالة على كمال عنايته به وتشوُّقه إليه؛ لأن (لعلّ) في أصل وضعها تُستخدَم لمعنى الترجّي الذي هو طلب الأمر المحبوب الذي يُرجَى حصولُه، وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى:﴿ لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾ ظنّاً منه أن ذلك ممكن الحصول والوقوع، فجعل العبارة على اعتقاد المتكلم لا على ما هي معطيات الواقع[٢]. وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة التراكيب التي تمنّى فيها الشعراءُ بالاستفهام، وبـ (لو) بدل (ليت). قال البارودي[٣]:

هَلْ مِنْ طَبيبٍ لِداءِ الْحُبِّ أَوْ رَاقِي؟ يَشْفِي عَلِيلاً أَخَا حُزْنٍ وإِيْرَاقِ[٤]

---

(1) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٠٠، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٦٨-٢٦٩، وعلم المعاني، ١٢٣-١٢٤، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٧٨-٢٧٩.
(2) ينظر، علم المعاني، ١٢٤، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٨٠.
(3) الديوان، ج٢/٣٢١.
(4) الرّاقي، المعوِّذ الذي يقرأ الأدعية، والعليل: المريض، والإيراق: السَّهد والسَّهر.

غيّر الشاعر أسلوب تعبيره وأداء المعنى، فتمنّى بـ (هل) الاستفهامية بدل أداة التمنّي (ليت) فعبّر عن التمنّي بغير لفظه الذي وُضِع له في الأصل، وسلب (هل) الاستفهامية معنى الاستفهام والطلب، فالشاعرُ إذْ أورد (هل) الاستفهامية في صدر التركيب، لا ينتظر جواباً من أحد كما هو ظاهر العبارة، وإنّما يُخبره أنه يتمنّى لو ثمّة طبيبٌ أو راقٍ أيّاً كان يشفيه من مرضه وحزنه، ويخلّصه من سهره وأرقه الذي سبَّبه له الحبُّ، ولعلّه فضّل التعبير عن التمنّي بـ (هل) الاستفهاميّة بدل (ليت) لِيدلّ على أنه ليس مستحيلاً أن يجد طبيباً أو راقياً لداء الحبِّ يُخلِّصه من أحزانه وأوجاعه وسهره، فأراد أن يُبرز ماتمنّاه في صورة المرجوِّ الممكن حصولُه، وهذا يُسلّيه، ويُطمئنه، ويُخفِّف آلامه وأوجاعه؛ لأنه يُبقي باب الأمل مفتوحاً، ولعلّ الدلالة صارت احتمالية بعد أن كانت قطعية، فلو عبّر بـ (ليت) وقال: (ليت طبيباً أو راقياً لداء الحبِّ) لدلّ على معنى التمنّي فحسب، ولَمّا عبّر بـ (هل) احتمل معناه التمنّي أو الاستفهام، وقد يكون أرادهما معاً، فيكون قد أدّى معنيين بتعبير واحد. وقال البارودي[1]:

فَيَا حُسْنَ ذاكَ اليومِ لو كانَ باقِياً ويا طِيبَ هذا اللَّيلِ لوْ دَامَ طَيِّبُ

تمنّى الشاعر بـ (لو) بدل (ليت) فغيّر صورة تعبيره، وعبّر عن معنى التمنّي بغير أداته الأصلية، وهذا جائز، فالشاعرُ يتمنّى بقاء ذلك اليوم الجميل ودوامَ الليل الطّيّب، وهو يعلم أن ذلك مستحيل، والمستحيلُ يناسبه التمنّي، والتمنّي في الأصل يكون بـ (ليت) ولعل الشاعر أراد أن يُبالغ في إظهار ما تمنّاه في صورة ما عزَّ وقوعُه، فعبّر عنه بـ (لو) الامتناعيّة، فجمع استحالة التمنّي إلى جانب امتناع وقوع ما بعد (لو) فظهر ما تمنّاه، وهو بقاءُ اليوم الجميل ودوامُ الليل الطّيّب في صورة المستحيل الشّديد. وقال بدر الدين الحامد[2]

أَنْتَ أصبحْتَ في الجِنانِ طَلِيقاً طِبْتَ مَيْتاً فلا تَقُلْ لو بَقِيتُ

---

(1) الديوان، ج١/٤٤.
(2) الديوان، ج٢/٤٥٠.

عبَّر الشاعر عن معنى التمنّي بـ (لو) بدل (ليت)فانتقل من الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخبري فتركيبُه (لو بقيتُ) ظاهرُه إخبارٌ عن معنى، صورتُه حاصلةٌ في الخارج، وحقيقتُه التمنّي الذي ليست له صورةٌ حاصلة في الخارج، فالشاعرُ ينهى المرثيَّ الذي سكن الجنان عن أن يتمنّى البقاء في الدنيا؛ لأن موته جعله طيِّباً، والتمنِّي مناسبٌ لمقام المرثيّ الذي يستحيلُ بقاؤه في الدنيا؛ لأنّه لاخلود فيها لكائن، ولَمّا كان البقاءُ في الحياة عزيزاً، تمنّى الشاعر بـ (لو) الامتناعية بدل (ليت) وكأنه زاد الاستحالة قوَّةً وشدِّةً، ولعلّه جعل معنى

التمنّي على المبالغة.

والنتيجة أن التعبير عن معنى التمنّي بغير أداته التي وُضِعت له تغيير أجازته القاعدة النحوية، وهو توسُّع في استخدام العناصر النحوية في مواضع بعضها بشرط أن يكون المعنى مفهوماً من طرفٍ ما؛ كي لا يظنّ المتلقّي أن التركيب غُفْلٌ من معنى قَيِّمٍ، وأن المعاني قد اختلطت على المبدع.

٦- التعبير عن التعجب بغير صيغتي التعجب:

التعجب معنى يحصل عند المتعجِّب إذا رأى أمراً خالف المألوف والعادة، وجهل سببه، فيدهش، ويحتار في أمره، وقد يستعظمه، أو يستحقره، والأصل فيه أن يؤدّى بصيغتي التعجب القياسيتين (ما أفْعَلَ الشيء، وأَفْعِلْ بالشيءِ) وهذا النوعُ من التعجب قياسيّ، ويجوز تأدية معنى التعجّب بغير صيغتيه القياسيتين، وذلك عن طريق الخبر، نحو (سبحان الله، ولله درُّكَ من رجلٍ، ولاإله إلّا اللهُ) أو النداء، نحو (ياطيبكِ من ليلةٍ، ويا لك فارساً) وكقوله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾(١) وقوله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾(٢) أو الاستفهام، كقوله تعالى:﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٣) وقوله تعالى:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ

(1) يس، ٣٠.
(2) الزمر، ٥٦.
(3) البقرة، ٢٨.

﴾[1] وهذا ما يسمّيه النّحاةُ التعجّبَ السماعيَّ، وليس من قرينة لفظية تدلّ الدارس على المعنى الجديد المراد، والتأمُّلُ في التركيب ومعرفةُ المقام الذي شُكِّلت في أجوائه العبارةُ هما دليلا المتلقّي إلى المعنى، وإذا قلت: (سبحان الله) متعجّباً من أمر غير مألوف قد وقع أمامك، أو سمعته، كان كلامُك في ظاهره خبراً، وفي معناه ومضمونه إنشاء؛ لأنك لم تقصد التعبّد بتسبيح الله، وإنّما قصدت التعبير عن معاني التعجب والدّهشة والحيرة والاستعظام التي خطرت في ذهنك ونفسك، وإذا ناديت، فقلت: (يا لك فارساً) لم تقصد نداءه وإقباله عليك، وإنّما عَنيت أن تُظهر التعجب من فُروسيّته التي فاقت فروسيّة أقرانه، وسمَتْ عليها إلى درجة لايمكن تصوُّرُها ووصفُها، وكذلك الأمرُ في قوله تعالى: "ياحسرتى على ما فرّطت" فهو لا ينادي الحسرة، وإنّما يتعجّب من أمره وتفريطه بنفسه وعدم اهتدائه إلى طريق الحقّ، وإذا استفهمت وقلت: (كيف تخرج في المطر؟) كنت متعجّباً من خروجه في جوٍّ لا يُخرَج فيه، وهذا أبلغ وأقوى في التعبير عن معنى التعجّب من التعبير عنه بتعبيره المعتاد[2]. أمّا الذي يبعث المتكلم، ويدفعه إلى التعجب بالنداء، فأحدُ أمرين: "أن يرى المرء شيئاً عظيماً يتميّز بذاته أو بكثرته أو بشدّته أو بغرابته...فينادي جنسه إعلاناً بإعجابه وإذاعةً به كالأمثلة السابقة، أو ينادي مَنْ له صلة وثيقة به وتخصّصٌ فيه وتمكُّنٌ منه حمداً له وتقديراً أو طلباً لكشف السرّ فيه ومواطن العجب ...والتعجّبُ هنا كما سبق في بابه ليس مقصوراً على الأمر الحميد أو المحبوب، فقد يكون فيهما وفي الذّميم أو البغيض"[3] فالتعبيرُ عن التعجب بغير صيغتيه القياسيتين تغييرٌ نحويٌّ جائز؛ إذْ لم يعد الكلامُ إخباراً ولا استفهاماً ولا نداءً؛ لأن أداة الاستفهام تركت معناها النحوي الأصل إلى معنى التعجب الذي ليس لها في الأصل، وتركت أداةُ النداء معنى النداء إلى معنى التعجب الذي ليس لها في الأصل، فلم تعد العلاقة بين أداة النداء والاسم الذي يليها مناداةً محضة، وإن كان الظاهرُ فيها النداء، ولم تعد العلاقةُ بين أداة الاستفهام وعناصرِ التركيب علاقة استفهام واستخبار، فقد تغيّرت العلاقات النحوية

---

(1) النبأ، ١.

(2) ينظر، الأصول في النحو، ج١/١٠٩، وشرح المفصل، ج١/١٣١، ج٧/١٤٢، وارتشاف الضرب، ج٤/٢٠٨٦، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/١٧٩، ج٣/٢٢٠، والنحو الوافي، ج٣/٢٧٦، ج٤/٦٥، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٨٨.

(3) النحو الوافي، ج٤/٦٦.

الداخلية في التركيب، وإن كان الشّكلُ لايوحي بذلك، وقد ورد التعجب السماعيّ في دواوين الشعراء الخمسة كثيراً، ولا سيّما بالاستفهام. قال البارودي[١]:

فَلِلَّهِ هَذا الشَّوقُ أيَّ جِراحَةٍ أَسالَ بِنا حَتّى كَأَنَّا نُقَاتِلُ؟

غيَّر الشعر أسلوبه في التعبير عن معنى التعجب، فقد تعجب من الشوق بالأسلوب الخبري (فلله هذا الشوقُ) بدل صيغتي التعجب القياسيتين، وهذا تغيير تُجيزه القاعدةُ النحوية والاستعمال الصحيح، ولعل الشاعر ظنّ التعجب من الشوق بصيغة الخبر التي لم تُوضَع للتعجب في الأصل يقوّيه، أو أراد أن يوحي أن الشوق الذي لقَّه كان شيئاً غير معتاد ولا مألوف على الأقلّ بالنسبة إليه، فعبّر عنه بأسلوب غير مألوف، فشكْلُ التركيب خبرٌ، ومعناه الإنشاء والتعجب. وقال بدر الدّين الحامد[٢]:

كُنْتِ بِالأَمْسِ لِلعُروبَةِ رَوْضَاً كيفَ أَمْسَيْتِ لِلْيَهُودِ زُرُوعَا؟

يتعجب الشاعر من فلسطين التي تغيّرت حالُها، وتبدّلت، والشاعر جهل أسباب هذا التبدّل، واحتار، أو تظاهر بالتجاهل والحيرة؛ لأن الأمر غريب، فقد صارت فلسطين العربية فجأة مسكناً لليهود، وهذا يدعو للتعجب الذي عبّر الشاعر عنه بـ (كيف) الاستفهامية التي سلبها معناها الحقيقي، ونقلها من عنصر نحوي وظيفتُه النحويةُ في التركيب طلبُ الجواب والاستخبارُ عن حالة مجهولة إلى عنصر نحويٍّ وظيفتُه النحوية التعجبُ من الحال التي يسأل الشاعر عنها، و ليس ثمّة دليلٌ مقاليٌّ على هذا التغيير، لكن المقام الذي صِيغ فيه البيتُ يُبيِّنُ ذلك؛ لأن الشاعر وهو يعيش هذه الأحداثَ، لابدّ أن يعرف أسباب تحوّل فلسطين من روضة عربية إلى مزرعة يهوديّة. وقال الشابي[٣]:

يالَهَا مِنْ وَدَاعَةٍ وجَمَالٍ وشَبَابٍ مُنَعَّمٍ أُمْلُودِ[٤]

(١) الديوان، ج٣/٦٣.
(2) الديوان، ج٢/٣٤٥.
(3) الديوان، ٢٧١.
(4) الوداعة: اللطف، والأملود: الناعم.

ظاهرُ قول الشاعر: (يالها من وداعة...) النِّداء، ومعناه التعجبُ، فالشاعر لا ينـــادي الوداعة والجمال والشباب المنعّم الأملود الذي اتّصفت به المحبوبة، لكنه يتعجــب منهـــا؛ لأنها بلغت فيها حدّاً جاوز المألوف والمعتاد حتّى خفي السبب على الشاعر الـــذي دُهِــش واحتار، فأراد أن يصوّر ما رآه، و أحسّ به، ويعبِّر عنه، ويبالغ فيه، فغيَّر شكلَ عبارتـــه عن المعتاد المألوف، فقدّم معنى التعجب بأسلوب النداء، وهذا أســـلوب تعجــب ســـماعيّ تُجيزه القاعدةُ النحويّةُ والاستعمال الصحيح، وهو تغيير نحويّ واستخدامٌ للنداء فـــي غيـــر معناه الأصل، وتعبيرٌ عن معنى التعجب بغير أسلوبه وألفاظه التي وُضِعت له، وتوسُّع في استخدام العناصر النحوية.

٧- التعبير عن الظنّ بفعل القول:

الأصل أن يعبر عن معنى الظنّ بالفعل (ظنّ) وأشباهه، نحو (حسب، وزعـــم، وخـــال، وحجَا، وهبْ) والأصل أن يعبّر بفعل القول في كلام العرب عن الحكاية، نحو (قال زيـــدٌ: إنّ عمراً خيرُ الناس) ويجوز التعبير عن معنى الظنّ بفعل القول بشرط أن يكـــون زمنـــه مضارعاً؛ لأن المظنون يكون في المستقبل لا في الماضي، ويكون للمخاطب؛ لأنه يستفهم عن ظنه لاعن ظنّ غيره، وأن يُسبَق بأداة استفهام؛ لأن معنى الاســـتفهام يناســـب معنـــى الظنّ، فالمستفهِم يستفهم دائماً عمّا لم يتحقّق، وعن شيءٍ يجهله، وألّا يفصل بين الاســـتفهام وفعل القول فاصلٌ غير شبه الجملة أو معمول فعل القول؛ لأن الفـــصل بينهمـــا يُـــضعف معنى الظنّ، قال عمر بن أبي ربيعة(١):

أَمَّا الرَّحِيلُ فَدُونَ بَعْدِ غَدٍ   فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنا؟

(1) ابن أبي ربيعة، عمر، الديوان، تح: بشير يموت، ط١، المطبعة الوطنية، بيروت، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م، ٢٩٧.

فجرّد الفعل (تقول) من معناه الحقيقيّ (القول والحكاية) واستخدمه بمعنى (تظنّ) فنقلـه من بابه النحوي واستخدامه الأصل إلى باب الظنّ وإلى استخدام جديد ليس له في الأصل، وقال هُدبة بن الخشرم(١):

مَتى تَقُولُ القُلُصَ الرَّواسِما يُدْنِينَ أُمَّ قَاسِمٍ وقَاسِمَا؟(٢)

ففرّغ الفعل (تقول) من معنى القول، واستخدمه بمعنى الظنّ.

والتعبير عن معنى الظن بفعل القول تغييرٌ نحويّ جائز يولّد في التركيب قواعد فرعية لم تكن فيه، فمنها شروطُ هذا التعبير التي سلف ذكرها، ومنها أن فعل القول في هذا السياق النحوي تسري عليه أحكام (ظنّ) فيدخل على الجملة الاسمية، ويحوّلها إلى جملة فعلية، وينصب ركنيها مفعولين له، ويمتنع استخدامه ماضياً أو أمراً، ولا يكون فاعله إلّا ضميراً

مستتراً للمفرد المخاطب، ولايُشتَقّ منه، ولا يُسنَد إلى الضمائر ولا يجوز حذفه(٣).

والتعبير عن معنى الظنّ بفعل القول – على ما يبدو– أقوى من التعبير عنه بفعل الظنّ، فإذا قلت: (أتظن زيداً مسافراً) كنت قد عبّرت، واستفهمت عن معنى الظنّ المعتاد فحسب، فتعبيرُك طبيعيّ، وتركيبُك معتاد، وإذا قلت: (أتقول زيداً مسافراً؟) كان الظنُّ أقوى، والحركة في التركيب أشدّ؛ لأنك استفهمت، ونسبتَ الظنّ إلى المخاطب، وحكَيت بفعل لم يألف المخاطب سماعه كثيراً في هذا المعنى، وعدّيت الفعل (تقول) إلى مفعولين بعد أن كان في استخدامه الأصل متعدّياً إلى مفعول واحد، وهو توسُّعٌ وتجوّزٌ، وليس لهذا التغيير النحوي شواهدُ في دواوين الشعراء الخمسة؛ ممّا قد يعني ندرة استخدامه في زمننا الحديث والمعاصر.

---

(1) الديوان، ١٣٠.

(2) القُلص: مفردها: قلوص: الناقة الشابّة، والرّواسما: الناقة التي تؤثر في الأرض بسيرها، والرَّسْم: ضرب من السَّير.

(3) ينظر، الكتاب، ج١/١٢٢-١٢٣، والمفصّل، ٣٣٥-٣٣٦، وشرح المفصل، ٧٩-٨١، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٤٧١-٤٧٣، ج٢/٤٧٩- ٤٨٠، وأوضح المسالك، ٢٤٥-٢٤٨، وارتشاف الضرب، ج٤/٢١٢٧-٢١٢٨، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٤، والنحوالوافي، ج٢/٣٩- ٤٥، ومعاني النحو، ج٢/٢٤-٢٥.

٨- تنزيل العاقل وغير العاقل بمنزلة بعضهما:

يجوز تنزيل العاقل بمنزلة غير العاقل إذا اختلط معه، وقُصِد تغليبُ غير العاقل لكثرته، نحو قوله تعالى:﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١) فإنّ فيهما مَنْ يعقل وما لايعقل، فلمّا اشترك الجميع في حكم واحد، وهو التسبيح لله تعالى، نزّل الجميع بمنزلة غير العاقل، فعبّر بـ (ما) الموصولة.أو إذا نسب إلى العاقل صفة غير العاقل، ويكون هذا على سبيل التشبيه والاستعارة، نحو قولك: (رأيت الفتيات لمعت كالنجوم) والأصل (لمعْنَ) فنزّلت الفتيات العاقلات بمنزلة غير العاقل؛ لأنك نسبت إليهن صفة اللمعان التي هي للنجوم، والنجوم غير عاقل، وكلامُك محملُه ومجراه التشبيهُ، أو إذا كان مبهماً، كأن ترى شخصاً قادماً من بعيد، فلا تدري ماهو، فتقول: (ما عرفت ما رأيت، أو ما هذا القادم؟) ونحو قوله تعالى على لسان امرأة عمران:﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾(٢) لجهلها به، أو في الاستفهام إذا أراد المتكلم السائل أن يتعرّف في الجواب على صفة العاقل، نحو (ما زيدٌ؟) والجواب(طويل، أو قصير، أو عاقل، أو جاهل) والصفات غير عاقل، أو في غير ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾(٣) فنزّل النساء العاقلات بمنزلة ما لايعقل(٤). إنّ تنزيل العاقل في المعنى بمنزلة غير العاقل يُجيز للمتكلم استخدام العناصر اللغوية التي هي في الأصل والاستخدام النحوي للتعبير عن غير العاقل للتعبير بها عن العاقل، فقد استُخدِمَتْ (ما) الموصولة في الآيات الكريمة للتعبير عن العاقل، وهي في الأصل يُعبَّر بها عن غير العاقل.

ويجوز تنزيل غير العاقل بمنزلة العاقل إذا اختلط معه في حكم واحد، فيُغلَّب العاقلُ، نحو قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن

---

(1) الحشر، ١.
(2) آل عمران، ٣٥.
(3) النساء، ٣.
(4) ينظر، المقتضب، ج٢/٢٩٥، والمتبع في شرح اللمع، ج٢/٦٣٨، وشرح المفصل، ج٣/١٤٥، ج٤/٥-٦، وأوضح المسالك، ٩٤، وجامع الدروس العربية، ج١/١٣٤، والنحو الوافي، ج١/٣١٥-٣١٦.

﴿يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١] فاستخدم اسم الموصول (مَنْ) وهو للعاقل للدلالة على الحيوانات التي تزحف على بطنها والتي تمشي على أربعة أرجل؛ لأنه خلطها مع الذي يمشي على رجلين، وهو الإنسان، وقد قدّم في بداية الآية اشتراكها في حكم واحد، وهو خَلْقُها من ماء، ونحو قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٢] فليس كلُّ من في السماوات والأرض عاقلاً، لكنه نزّل الجميع بمنزلة العاقل، فعبّر بـ (من) الموصولة لاختلاطهم بالعاقل واشتراكهم معه في حكم واحد، هو السجود، وهذا التنزيلُ من باب التغليب، ويجوز تنزيل غير العاقل بمنزلة العاقل إذا أُعطي صفتَه، ونُسِب إليه فعلٌ، هو في الأصل للعاقل، نحو قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[٣] فنزّل النمل بمنزلة الإنسان العاقل، فاستخدم واو الجماعة وميمَ علامة جمع الذكور العقلاء بدل ياء المؤنثة المخاطبة؛

لأنه ناداها، والنداء للإنسان، فإذا توجّه إلى غيره، كان مجازيّاً، ونحو قوله تعالى على لسان سيّدنا يوسف:﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[٤] والقياس (رأيتها لي ساجدة) فترك التعبير الأصل، واستخدم ميم علامة جمع الذكور العقلاء وجاء بالحال (ساجدين) جمع مذكر سالماً؛ لأنه نزّل الكواكب والشمس والقمر بمنزلة الإنسان العاقل، وسببُه أنه نسب إليها صفة السجود التي هي من فعل الإنسان، والكلامُ على التشبيه والمجاز، ونحو قول امرىء القيس يخاطب الطلل[٥]:

ألا عِمْ صَبَاحَاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالي وهلْ يَعِمْنَ مَنْ كانَ في الْعُصُرِ الْخَالي؟

(1) النور، ٤٥.
(2) الحج، ١٨.
(3) النمل، ١٨.
(4) يوسف، ٤.
(5) الديوان، ١٥٨.

فنزّلَ الطلل غير العاقل بمنزلة الإنسان العاقل، فأسند الفعل (يعم) إلى نون النسوة التي هي لجماعة الإناث العاقلات، ونحو قول العباس بن الأحنف[١]:

بَكَيْتُ عَلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْنَ بي　　　فَقُلْتُ ومِثْلي بالبُكاءِ جَدِيرُ

أَسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ　　　لَعَلِّي إلى مَنْ قَدْ هَوِيْتُ أَطِيرُ

والقياس (إذْ مرّت بي) فأسند الفعل (مرّ) إلى نون النسوة؛ لأنه نزّل طيور القطا بمنزلة العاقل، وسبُبُه أنه ناداها، والنداء صفة الإنسان[٢].

يتّضح أن تنزيل غير العاقل في المعنى بمنزلة العاقل يُجيز للمتكلم أن يستخدم العناصر اللغوية التي هي للعاقل للتعبير عن غير العاقل، فقد استُخدِمَت واو الجماعة وميم علامة جمع الذكور العقلاء اللتان هما في الوضع النحوي للذكور العقلاء لغير العاقل، واستخدم امرؤ القيس (مَنْ) الموصولة التي هي للعاقل للأطلال الجامدة، واستخدم امرؤ القيس والعباس بن الأحنف نون النسوة التي هي للإناث العاقلات للتعبير عن الأطلال والطيور، وهي غير عاقلة، ويبدو أن تنزيل غير العاقل بمنزلة العاقل تغييرٌ نحويّ جائز غرضُه المعنى، وتحريكُ خيال المتلقي و تشويقُه إليه عن طريق بثّ الحركة وإشاعتها في الأشياء الجامدة أو عن طريق تشخيص ما لايعقل، وكثر استخدام هذا التغيير التعبيري في أشعار الشعراء الخمسة . قال البارودي[٣]:

فَإِنْ تَكُنِ الأيَّامُ فَرَّقْنَ بَيْنَنا　　　فَكُلُّ امْرِىءٍ يوماً إلى الله صائرُ

نزّل الشاعرُ الأيامَ غير العاقلة بمنزلة الإنسان العاقل، فاستخدم نون النسوة بدل تاء التأنيث الساكنة؛ لأنه نسب إليها صفة التفريق التي هي في الحقيقة للإنسان، فالإنسان هو الذي يُفرّق؛ لأنه يمتلك القدرة على إيقاع الفعل، أمّا الأيام، فهي لا تفرّق؛ لأنها لا تمتلك

---

(1) الديوان، ١٤٣.
(2) ينظر، الكتاب، ج٤٧/٢، والمقتضب، ج٤٩/٢-٥٠، ٢٢٣، والمتبع في شرح اللمع، ج٢٠٦/١، ج٦٣٨/٢، وشرح المفصل، ج١٤٤/٣، وشرح جمل الزجاجي، ج١٧٦/١، وأوضح المسالك،٩٢-٩٣، ومغني اللبيب، ٩٠١، والبرهان في علوم القرآن، ج١٥٤/٢، ج١٩٢/٣، وجامع الدروس العربية، ج١٣٣/١-١٣٤، والنحوالوافي، ج٣١٢/١-٣١٣، ومعاني النحو، ج١١٧/١،٤٣-١٢٢.
(3) الديوان، ج٧٩/٢.

القدرة على إيقاع فعل التفريق، وهذا تغيير نحوي، والأصل (فإن تكن الأيام فرّقت) ولعل الشاعر نسب فعل التفريق إلى الأيام، وأراد الناس الذين يعيشون، وهذا ما شجعه على إحداث هذا التغيير في التعبير. وتنزيلُهُ الأيام بمنزلة الإنسان العاقل الذي يُفرّق جعل التركيب حيّاً متحرّكاً بعد أن كان جامداً ثابتاً؛ لأنه شخّص، وحرّك ما لا يتحرّك، وهذا ما يسمّى في البلاغة الاستعارة. وقال السياب[1]:

يانَهْرُ عَادَ إليكَ بَعْدَ شَتَاتِهِ   صَبٌّ يَفِيضُ الشَّوقُ مِنْ زَفَرَاتِهِ

نزّل الشاعر النهر غير العاقل بمنزلة الإنسان العاقل، فناداه، والنداء للإنسان؛ لأنه يُنادَى، فيستجيب، والنداء كلام وحوار، والإنسان هو الذي يتكلّم، ويحاور، أمّا النهر فلا يتكلم، ولا يحاور، وليس النداء صفة حقيقية له، ونداؤه في قول الشاعر: (يا نهرُ) مجاز وتغيير في طريقة التعبير، وجاز للشاعر هذا التغيير؛ لأنه نسب إلى النهر غير العاقل صفة النداء التي هي للإنسان العاقل، ولعل الشاعر أراد من هذا التغيير أن يُجرّد من النهر شخصاً يُحدّثه، ويُحاوره، ويبثّ فيه الحركة لِيكون معادلاً له عمّن فقده، وأنيساً له في وحدته. وقال الشابي[2]:

أنتِ... ما أنتِ؟ أنْتِ رَسْمٌ جميلٌ   عَبْقَرِيٌّ مِنْ فَنِّ هذا الْوُجُودِ

استفهم الشاعر بـ (ما) والأصل أن يستفهم بـ (مَنْ) لأنه يسأل عاقلاً، لكنه غيّر صورة تعبيره، ونزّل حبيبته العاقلة بمنزلة ما لا يعقل؛ لأنه لا يسأل عن اسمها وطبيعتها وجنسها، وإنّما يسأل عن صفاتها، ودليلُ ذلك الصفةُ (رسمٌ) التي وردت في الجواب، ولعل المحبوبة عرفت منه، وقد سمعت سؤاله: (ما أنتِ؟) أنه لا يريد منها سوى أن تساعده في تحديد صفاتها التي أبهرته، وأدهشته حتّى عجز عن وصفها ومعرفة طبيعتها، وكأنها قالت له: (أنا رسمٌ جميلٌ...) والشاعر مازال يجري في هدي القاعدة النحوية

(1) الديوان، ٤٦٥.
(2) الديوان، ٢٧١.

والاستعمال الصحيح، ويتوسّع في استخدام اللغة، ويُعبِّر بما هو غير معتاد عن معنى غير معتاد. وقال بدر الدين الحامد[١]:

توفيقُ ما أنتَ؟ أنتَ الصَّرْخَةُ انْفَجَرَتْ فَانْدَكَّ مِنْ هَوْلِهَا الْبُهْتَانُ والزُّورُ

والقول فيه كالقول في سابقه؛ لذلك لا أعيد تحليله. وإنّما أوردتُه؛ لِيشُدّ أزر سابقه، ويؤكِّده، فهذا التغيير ذو شيوع كبير، والقاعدة النحوية تُجيزه، والبلاغةُ تستسيغه، وتستحسنه.

٩- التعبير بالاسم الظاهر عن المضمر:

يجوز استخدام الاسم الظاهر في موضع من التركيب يكون الضمير أحقّ منه به، وهو من باب التغيير النحوي الجائز والخروج على خلاف الأصل، قال الزركشيّ: "واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة، وأصل المحدَّث عنه كذلك، والأصل أنه إذا ذُكر ثانياً أن يُذكَر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق"[٢] وهذا التغيير إنما يكون لغرض بلاغي ولمعنى مخصوص يريده المتكلم؛ لأن التعبير بالاسم الظاهر أقوى من التعبير بالضمير؛ ولأن للتصريح عملاً ليس للكناية وتتعدّد الأغراض والمعاني التي تقف وراء هذا التغيير، فمنها التعظيمُ للمذكور وإدخال الروعة في ضمير السامع، نحو قوله تعالى:﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣] والأصل (ألَا إنّ حزبه) فأعاد ذكر لفظ الجلالة (الله) بدل الضمير هاء الغائب للتعظيم، وقوله تعالى:﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾[٤] والقياسُ (لِمَن كذّب بها) فلمّا أراد تعظيم أمرها وإدخال المهابة في نفس السامع، أعاد ذكر لفظها صراحة، ونحو قول عبد الله بن غنمة الضبّي[٥]:

---

(1) الديوان، ج١/٢١٠.
(2) البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٩٧.
(3) المجادلة، ٢٢.
(4) الفرقان، ١١.
(5) المفضليّات، ٣٨٢.

إنْ تَسألُوا الحقَّ نُعْطِ الحقَّ سائِلَهُ   والدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ والسَّيفُ مَقْرُوبُ[١]

فعبّر بالاسم الظاهر (الحقّ) بدل الضمير هاء الغائب؛ لأنه أراد معنى التعظيم الذي لا يؤدّيه التعبير النمطي ومنها الإهانة والتحقير للمذكور إذا كان شأنه وضيعاً، نحو قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٢] فلمّا قصد تحقير الشيطان وإهانته، أعاد ذكره صراحة بدل إضماره، وإن كان الأصلُ إضمارَه، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴾[٣] فقصد من ذكر فرعون تحقيرَه وإهانتَه؛ لذلك لم يضمره؛ لأن الإضمار لا يؤدّي هذين المعنيين، ومنها الاستلذاذُ بذكره إذا كان ممّا يُرغَب فيه، ويُريح سماعُه المتكلمَ أو السامع، نحو قوله تعالى:﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَۗ ﴾[٤] فأعاد ذكر الحقّ، والأصل إضماره؛ ليتلذّذ السامع بذكره، وهذا معنى لا يؤدّيه الإضمار، ونحو قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾[٥] فلمّا قصد الاستلذاذ بالعزّة، أعاد ذكر لفظها، ولم يضمره، ومنها إزالة اللبس إذا أوهم الضميرُ أنه غير المراد، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[٦] فلو أضمر (قرآن الفجر) لَتُوُهِّم أن الضمير عائد إلى الفجر، وهذا خلاف المقصود، ومنها التمكُّن من الوصف؛ لأن استخدام الضمير يمنع المتكلم من إيراد صفات يريدها في السياق، نحو قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٧] فالقياس (فآمنوا بالله وبي) لأنه قال في صدر الآية: (إني رسول الله) فاستخدم الاسم الظاهر (رسول) في موضع الضمير ياء المتكلم؛ لأنه أراد إيراد صفات النبوّة والأميّة، واستخدامُ الضمير لايتيح ذلك، ومنها إظهارُ علّةِ

---

(1) محقبة: موضوعة في أحقبة البعير، ومقروب: موضوع في قِرابه.
(2) المجادلة، ١٩.
(3) غافر، ٣٧.
(4) الإسراء، ١٠٥.
(5) فاطر، ١٠.
(6) الإسراء، ٧٨.
(7) الأعراف، ١٥٨.

الحكم، نحو قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١] والقياس (فإنه عدوٌّ للكافرين) فأظهر لفظ الجلالة، ولم يُضمره؛ ليدلّ على أن معاداة الله تعالى لهم بسبب كفرهم، ونحو قوله تعالى:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾[٢] فأظهر الاسمَ الموصول (الذين) والقياسُ إضماره، والغرضُ من ذلك بيانُ سبب نزول العذاب عليهم، وهو تبديلهم كلام الله وفسقهم، وهذا المعنى لا يظهر لو أضمر، ولم يظهر، ومنها قصدُ العموم، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[٣] فلو قال: (إنها أمّارةٌ بالسوء) لَخصّ نفس المتكلم، وكان حكم الأمر بالسوء قاصراً عليها، وهو لا يريد هذا المعنى، فلمّا أظهر الاسم بدل إضماره، أفاد أن كلّ نفس من شأنها أن تأمر بالسوء، وهذا معنى عامٌّ، فالتعبير بالاسم نقل المعنى من التخصيص إلى التّعميم، ونحو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا ﴾[٤] فذكَر الاسمَ الظاهر (أهلها) ولم يضمره دلالة على أن الخضر وموسى عليهما السلام لم يتركا أحداً في القرية إلّا وطلبا منه الطعام، ولو أضمر، لأوهم أنهما طلبا الطعام من بعض أهلها، وهذا معنى غير مراد، ونحو قوله تعالى﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴾[٥] فالقياس (إنّه) فأظهره دلالة على أن كلّ أنواع الظنّ وفي كلّ الأوقات والأمكنة لا يغني من الحقّ، فذِكْرُ الظّنِّ عمّمَ معنى عدم الإغناء، ومنها قَصْدُ الخصوص، كقوله تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾[٦] والقياس (وهبت نفسها له) لأنه قال في صدر الآية:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾ فعبّر بالاسم الظاهر (النبي) بدل الضمير كاف الخطاب دلالةً على أنها تخصّه وحده دون غيره، ولو أضمر، وعبّر بكاف الخطاب، جاز أن تكون لغيره أيضاً، وهذا معنى غير مراد، فالتعبيرُ بالاسم الظاهر في هذا السياق نقل المعنى من العموم إلى الخصوص، ومنها أن يكون الاسم الظاهر أهمَّ

(1) البقرة، ٩٨.
(2) البقرة، ٥٩.
(3) يوسف، ٥٣.
(4) الكهف، ٧٧.
(5) النجم، ٢٨.
(6) الأحزاب، ٥٠.

من الضمير، نحو قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾(١) والقياس أن يُضمر (إحداهما) فلمّا كان الذّكر الصريح للاسم أهمّ من إضماره، عبّر بالاسم بدل الضمير، ومنها الإشارةُ إلى عدم دخول الجملة الثانية في حكم الأولى نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾(٢) فذكَرَ لفظَ الجلالة (الله) في جملة (يمح الله الباطل) دلالة على أنها استئنافية، لا تدخل في حكم ماقبلها، ومنها الرّوعُ والتهويل نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾(٣) فلمّا أراد تهويل موقف القيامة والتخويف منه، أعاد ذكر القارعة ولم يُضمر، وإن كان القياس والأصل (ما هي؟) ونحو قول سوادة بن عَدِي(٤):

لا أَرَى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شَيءٌ نَغَّصَ الموتُ ذا الْغِنى والفَقِيرَا

والأصل (يسبقه شيءٌ) فعبّر بالاسم الظاهر (الموت) بدل هاء الغائب تخويفاً من الموت وتهويلاً لأمره، ومنها الاستعطاف، نحو قول الشاعر(٥):

إلهي عبدُك العاصي أتاكَا مُقِرّاً بالذنوبِ وقَد دَعَاكَا

والقياس (إلهي أنا العاصي أتيتك) لأنه يقصد نفسه، فعبّر بالاسم الظاهر (عبدك) بدل الضمير (أنا) لتحصيل الاستعطاف، ومنها زيادة التقرير. نحو قول النابغة الجعديّ(٦):

إذا الوحشُ ضمّ الوحشَ في ظُللاتها سواقطُ من حرٍّ وقد كان أظهرا

ولو جاء به على الأصل والقياس، لقال: (ضمّها الوحشُ) فلمّا أراد زيادة تقرير معنى ضمّ الوحش، ذكر، ولم يُضمر(٧).

---

(1) البقرة، ٢٨٢.
(2) الشورى، ٢٤.
(3) القارعة، ١-٢.
(4) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٥٥، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٩٧.
(5) مفتاح العلوم، ١٠٦.
(6) الديوان، ٧٤.
(7) ينظر، البرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٩٦-٣٠٤، والإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ٥٥، والنحو الوافي، ج١/٣٤٠، ٤٢٥، والجملة العربية والمعنى، ١٢٥-١٢٦، ٢٧٧، ومعاني النحو، ج١/١٦٦، ج٢/١٢٧-١٢٩.

إن استخدام الاسم الظاهر في موضع الضمير يُظهر أن المعنى يختلف من تعبير إلى تعبير آخر، فالمعنى الذي يؤدّيه التعبير النمطي بذكر الضمير في موضعه الأصل في التركيب غيرُ المعنى الذي يؤدّيه الاسم الظاهر إذا وُضِع في موضع الضمير، فاستخدامُ الاسم الظاهر في موضع الضمير تغييرٌ نحويّ جائز لا يغيّر العلاقاتِ النحويّة بين عناصر التركيب، بَيْدَ أن العلاقة النحوية تقوم بين الاسم الظاهر وعناصرِ التركيب بدل الضمير، فيأخذ حكمه في الإعراب، وهو توسُّع وتجوّز في استخدام العناصر اللغوية؛ لِتُعبِّر عن معان إضافية يريدها المتكلم الذي يرى أن استخدام العناصر اللغوية من الضمائر في مواضعها الأصل لا يُوصله إلى ما يريد من المعاني. وندَر التعبيرُ بالاسم الظاهر بدل الضمير في دواوين الشعراء الخمسة، ولعلّ في هذا دلالة على قِلّة عنايتهم بهذا التغيير، لا لأنهم لا يعرفونه، أو يرفضونه، بل؛ لأن المعنى لم يدفعهم إلى الإكثار من استخدامه، وربّما كان في هذا دلالة أيضاً على أنهم كانوا يقصدون التغييرات النحوية الجائزة، ويستخدمونها في تراكيبهم وتعبيراتهم عن وعي. قال أبو ماضي[(١)]:

بَكَيْتَ الصِّبا مِنْ قَبْلِ أنْ يَذْهبَ الصِّبا　　فياليتَ شِعْرِي ماتقولُ إذا ولَّى؟

عبّر الشاعر بالاسم الظاهر (الصِّبا) بدل ضمير الغائب (هو) فأسند فعل الذهاب إلى صريح لفظ الفاعل (الصِّبا) والأصل إسنادُه إلى ضميره لِتقدُّم ذكره في جملة (بكيت الصِّبا) واستخدامُ الاسم الظاهر بدل الضمير في هذا السياق تغييرٌ نحوي أجازته القاعدة النحوية، وتحوُّلٌ عن الأسلوب المعهود في التعبير، وانحرافٌ وانزياح عن الأصل، لكنه ليس انزياحاً خارقاً للقاعدة، بل هو تحولٌ إلى قاعدة فرعيّة منبثقة عن القاعدة الأصل، ولابدّ من معنى وراء هذا التغيير، فالشاعر يندب صباه، ويبكيه، ويتمنّى بقاءه، وهو لا يريد التحوُّل عنه إلى مرحلة زمنية متقدّمة، ليس فيها مِيزات عهد الصِّبا الذي حنّ، واشتاق إليه قبل أن يفارقه. ولعلّه ذكره صراحة بدل الضمير رغبة منه في إبقائه حاضراً في ذهنه وخياله ونفسه؛ لِيتلذّذ به، ويخفّف آلام تولّيه وأحزانه. وكأن الصورة اللغوية (أن

---

(1) الديوان، ٤٨٩.

يذهب الصِّبا) صارت بديلاً عن الواقع الذي يبكيه الشاعر، وذلك الواقع الذي يُنذر بتــولّي صباه، وهذا ما لايريده الشاعر. وقال أبو ماضي[1]:

مرَّتْ لَيالٍ وقَلْبي حائرٌ قَلِقٌ   كالفُلْكِ في النَّهْرِ هَاجَ النَّوْءُ مَجْرَاهُ

لا أُدْرِكُ الأمْرَ أَهْواهُ وأَطْلُبُهُ   وأَبْلُغُ الأمْرَ نَفْسِي لَيْس تَهْـــــــــــواهُ

أعاد الشاعر ذكر كلمة الأمر في الشطر الثاني، والأصل أن يُضمَر؛ لتقدُّم ذكــره فــي الشطر الأوّل، وفي هذا دلالة على أنه عبَّر عن المعنى معنى المفعولية في هــذا الــسياق بغير لفظه، فأحلّ الاسم الظاهر (الأمر) في موضع هو للضمير المتــصل هــاء الغائــب، فقال: (وأبلغُ الأمرَ) والأصل أن يقول:(وأَبلغه) إذاً، فقد اختلفت طريقة التعبير جرياً علــى ما أجازته القاعدة النحوية، ولعلّ معنىً ما يكمن وراء هذا التغيير. وفي ظنّي أن الــشاعر أراد دفعَ الشكّ والوهم عن المعنى الذي يقصده، وقصَدَ أن يدلّ على أن الأمر في الــشطر الثاني هو غير الأمر في الشطر الأوّل، وهذا ما يتّضح، ويتبيّن من خلال التبصُّر والتدقيق في البيت فالأمرُ الذي لايُدركه الشاعر في الشطر الأوّل مرغوبٌ ومحبوب عنده، والأمــرُ الذي يبلغه في الشطر الثاني غير مرغوب ولامحبوب عنده، إذاً، فالأمران مختلفان، ولــو عبّر بالضمير هاء الغائب، وقال: (وأبلغُه) لأوهم أن ما يهواه، وما لا يهــواه مــن الأمــر واحدٌ، وهذا خلاف المراد، فجاء استخدام الاسم الظاهر (الأمر) في الشطر الثــاني بــدل الضمير دفعاً للوهم والالتباس والخلط بين المعاني.

١٠- تنزيل المعقول والمعنوي بمنزلة المحسوس:

الأصل في أسماء الإشارة أن يشار بها إلى الأشياء المحسوسة، ويجوز أن يــشار بهــا إلى الأشياء المعقولة والمعنوية التي لا تُشاهَد، ولا يدركها الحسّ، وذلك لتنزيلهــا بمنزلــة

(1) الديوان، ٦٢٩.

المحسوس المُشاهَد، وهو من باب المجاز والتوسّع في استخدام هذه العناصر اللغوية في غير ما وُضِعت له في الأصل، نحو قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] فالجنة غير مشاهدة، ومع ذلك فقد أشار إليها باسم الإشارة (تلك) لأنه جعلها بمنزلة المحسوس المُشاهَد، وهذا التنزيل يجعلها أقرب إلى ذهن المخاطب، ونحو قولك: (أعجبني هذا الرّأيُ) فقد أشرت إلى الرأي باسم الإشارة (هذا) والرأيُ معنويّ غير محسوس ولا مشاهَد، إلّا أنك نزّلته بمنزلة المحسوس المُشاهَد، وكقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾[2] فأشار إلى الشيطان، وهو غير محسوس ولا مُشاهَد، والقصدُ من ذلك استحضارُ صفاته وعداوته للإنسان، وكقوله تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[3] فالصبر والتقوى غير محسوسين، فهما معنويّان يتصوّرهما العقل، ولا يُدركهما الحسّ، فأشار إليهما، لأنه نزّلهما بمنزلة المحسوس المُشاهَد[4]، والقصدُ – على ما يبدو – الترغيبُ فيهما. وقلّ في دواوين الشعراء الخمسة تنزيلُ المعقول والمعنويّ بمنزلة المُشاهَد والمحسوس. قال الشابّيّ[5]:

فمَنْ تَأَلَّمَ لم تُرحَمْ مَضاضَتُهُ ... ومَنْ تَجَلَّدَ لم تهزأْ لَهُ القِمَمُ

هذي سعادةُ دنيانا فكنْ رجلاً ... إن شِئْتَها– أَبَدَ الآبادِ – يَبْتَسِمُ

نزّل الشاعر المشار إليه (سعادة) الذي لا يُشاهَد؛ لأنه شيء معنويّ يُدرَك بالعقل بمنزلة المُشاهَد المحسوس الذي يكون أمام العين المجرّدة، ويُشارُ إليه بالبنان، والأصلُ ألّا يُشير إليه باسم الإشارة (هذي) التي تُفيد أنّ ما أُشير إليه بها قريبٌ من المخاطب، فالإشارةُ إلى المعنوي المعقول (سعادة) باسم الإشارة (هذي) في قول الشاعر: (هذي سعادة دنيانا) تغييرٌ نحويّ وانزياح في إقامة العلاقات النحوية بين العناصر اللغوية على سبيل التوسّع

---

(1) الزخرف، ٧٢.
(2) آل عمران، ١٧٥.
(3) آل عمران، ١٨٦.
(4) ينظر، معاني النحو، ج١/٨٤.
(5) الديوان، ٣٠٧.

في استخدام اللغة، والمجاز في التعبير، ولعلّ الشاعر قد قصد بهذا التغيير أن يُشخِّص المشار إليه المعنوي، ويُسبغ عليه صورة الجسد الذي يراه المتلقي؛ لأنه يريد أن يُدرك المتلقي حقيقة السعادة الدنيوية التي لا يُرحَم فيها المتألِّمُ المتوجِّع، ولايُؤبَه فيها، ولايُلتفَت إلى الصابر المتجلِّد. فتشخيصُ المشار إليه (سعادة) وتجسيدُه بالإشارة إليه رُبّما بسَّط صورته لدى المتلقي، وساعده على معاينة جزئيّاته وتفصيلاته، وكأن الشاعر يوجّه خطابه إلى كلّ متلقٍّ. ولعلّ هذه الإيحاءات والدّلالات وليدة هذا الانزياح والتغيير. وقال أبو ماضي[1]:

ياشاعرَ الحُسْنِ هذي رَوْعَةُ الْعِيدِ فَاسْتَنْجِدِ الْوَحْيَ واهْتِفْ بالأناشيدِ

هذا النَّعيمُ الذي قَدْ كُنْتَ تَنْشُدُهُ لا تَلْهُ عَنْهُ بشيءٍ غَيْرِ مَوجـــودِ

أشار الشاعر إلى المعنوي المعقول (النعيم) باسم الإشارة (هذا) ممّا يعني أنه نزّله بمنزلة المشاهَد المحسوس. وهذا تغيير نحوي أجازته القاعدة النحوية، فقد عبّر الشاعر باسم الإشارة (هذا) عن معنى لايُستخدَم له في الأصل، لكنه استفاد من إمكانيّات اللغة ورخصة القاعدة، فتوسّع في استخدام (هذا) الإشارية، ونقل الكلام من الحقيقة إلى المجاز؛ لأنه ليس للمتلقي، وهو يسمع قول الشاعر: (هذا النعيم) أن يتخيّل على سبيل الحقيقة أنّ ثمّة مُشاراً إليه قريباً من الشاعر، ولكنه يتخيّله في صورة الشخص المجسَّد على سبيل المجاز، فهو شخص وجسد في الخيال، خيالِ كلّ من الشاعر والمتلقي لا في الواقع، فالشاعر يفرح بالعيد الذي تجلّت له روعتُه، فاستنهض قريحته؛ لينظم الأشعار، فأحسّ نفسه في نعيم، فأراد أن يُشخِّصه؛ لِيقرِّب للمتلقي الصورةَ صورةَ النعيم الذي جاء به العيد ؛ ولِيدلّ على أنه واقعٌ عاشه الشاعر عن قربٍ شديد، وليس نسجاً من خياله وتصويره، ولعلّه أراد غير ذلك. وهو مازال يجري في هدي القاعدة النحوية التي أجازت له هذا التغيير باستخدام اسم الإشارة في غير ما وُضِع له في الأصل.

---

(1) الديوان، ٢٣٨.

١١- استخدام الضمائر في موضع بعضها بعضٍ:

الأصل أن يعود الضمير في جملة الصلة إلى لفظ الاسم الموصول في هيئة الغائب، نحو (أنا الذي قام، وأنت الذي ذهب) وإن كان الاسم الموصول مسبوقاً بضمير المتكلم أو المخاطب، وتجوز مخالفة هذا الأصل وتغييره، فيُعاد الضمير الموجود في جملة الصلة إلى الضمير المنفصل السابق للاسم الموصول، نحو (أنا الذي قمتُ، وأنت الذي ذهبتَ) ونحو قول مهلهل بن ربيعة(١):

أنا الذي قتّلْتُ بَكْراً بالْقَنا وتركْتُ تَغْلِبَ غَيْرَ ذاتِ سَنَامِ

والأصل أن يقول: (أنا الذي قتّل) إلّا أنه غيّره، واستخدم ضمير الخطاب التاء المتحركة في موضع ضمير الغائب (هو) ونحو قول أبي النجم(٢):

يا أيّها الذَّكَرُ الذي قدْ سُؤتَنِي وفَضَحْتَنِي وطَرَدْتَ أُمَّ عِيالِيَا

والأصل (قد ساءني، وفضحني) لكنه تركه، وعبّر بضمير الخطاب التاء المتحركة بدل ضمير الغائب (هو) ونحو قول جرير(٣):

نحن الذينَ هَزَمْنَا جَيْشَ ذِي نَجَبٍ والْمُنْذِرَيْنِ اقْتَسَرْنا يومَ قابوسِ

فاستخدم ضمير المتكلم (نا) بدل ضمير الغائب واوالجماعة، والأصل (نحن الذين هزموا) والمتكلم في ذلك إنّما يُجري الضمير على معنى الاسم الموصول لا على لفظه(٤) ويبدو أنه يريد معنى جديداً لا يؤدّيه التركيب النمطي، فقد عبّر مهلهل بالتاء المتحركة بدل ضمير الغائب؛ لأنه قصد إبراز ذاته وإثباتها واستحضارها، وكذلك جرير؛ لأنهما في موضع فخر واعتزاز، أمّا أبو النجم، فقد قصد المبالغة في إنكار ما فعله المخاطب به، والأصل في كلام العرب أنهم إذا قدَروا على الضمير المتصل لم يأتوا بالضمير

(1) الديوان، غير موجود في الديوان.ينظر، المقتضب، ج٤/١٣٢.
(2)العجلي، أبو النجم الديوان، تح: علاء الدين الآغا، النادي الأدبي، الرياض، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ٢٣٦.
(3) الديوان، ٣٢٥.
(4) ينظر، المقتضب، ج٤/١٣١-١٣٢، وكتاب الشعر، ج٢/٣٩٩، وشرح جمل الزجاجي، ج١/١٩٠-١٩١، والنحو الوافي، ج١/٣٤٣-٣٤٥.

المنفصل؛ ولذلك غلب حكم المتصل، وكثر استخدامه، ثمّ أجازوا تغيير هذا الأصل والانصراف إلى الضمير المنفصل في موضع المتصل، وجعلوه من باب العوض، ومن باب حمل الأصل على الفرع في المعنى الذي أدّاه ذلك الفرع من ذلك الأصل(١)، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾(٢) والقياس (نعبدك ونستعينك) إلّا أنه فصل الضمير المتّصل كاف الخطاب؛ لِيتمكّن من تقديمه على الفعل، ولَمّا قدَّمه، حمل التركيبُ معنى جديداً، فقصر العبادة والاستعانة من العباد على الله تعالى وحده، وخصّ ذاته تعالى بالعبادة والاستعانة. وهذا معنى لا يؤدّيه تعبير (نعبدك ونستعينك) لأنه لا يحصر توجُّهَ الفعلين من العباد إليه، وقصرهما عليه تعالى، ونحو قول الفرزدق(٣):

بالوارثِ الباعثِ الأمواتِ قد ضمِنَتْ   إيّاهمُ الأرضُ في دهرِ الدَّهاريرِ

والأصل (ضمنتهم الأرض) فأوقع الفعل (ضمنت) على ضميرالنصب المنفصل (إياهم) بدل إيقاعه على ضمير النصب المتصل هاء الغائب، لأن معناهما واحد، وهو من باب الاستحسان(٤).

ويجوز استخدام ضمير الرفع المنفصل في موضع ضمير الرفع المتصل، إذا كان الكلام محصوراً بـ (إنّما) وقصد المتكلم معنى معيّناً كان يَفسد لولا هذا التغيير الذي أجراه في تركيب الجملة واستخدام العناصر النحوية فيها، نحو قول الفرزدق(٥):

أنا الذّائدُ الحامي الذِّمارَ وإنَّما   يُدافِعُ عن أحسابهمْ أنا ومِثْلِي

فليس فصلُ الضمير (أنا) في هذا الموضع من باب الحمل على المعنى، وليس ضرورة شعرية؛ لأنه على تقدير (ما يدافع عن أحسابهم إلّا أنا) ولولا التغيير في استخدام الضمائر، لأوهم أن المدافع غيره، وهذا معنى لا يريده الفرزدق، ودليلُه الضمير (أنا) في صدر

(1) ينظر، الخصائص، ج١/٣٠٧، ج١٩٥٥/٢.
(2) الفاتحة، ٥.
(3) الديوان، ج٢٦٤/١.
(4) ينظر، الخصائص، ج٣٠٣،٣٠٧/١، وجامع الدروس العربية، ج١٢١/١.
(5) الديوان، ج٧١٢/٢.

البيت[1].

ويجوز التعبير بالضمير المتصل بدل المنفصل بعد (لـــولا) الــشرطية التـــي تخـــتصّ بالدخول على الأسماء الظاهرة، نحو قول يزيد بن الحكم[2]:

وكَمْ مَوْطِنٍ لولايَ طِحْتَ كَمَا هَوَى بأجْرامِهِ مِنْ قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي[3]

والأصل (لولا أنا) فأحلّ ياء المتكلم، وهو ضمير متّصل بدل ضمير الرفع المنفصل (أنـــا) ونحو قول عمر بن أبي ربيعة[4]:

أَوْمَتْ بكَفَّيْها مِنَ الهوْدَجِ لولاكَ هذا العامَ لم أَحْجُجِ

فعبر بالضمير المتصل كاف الخطاب بدل ضمير الرفع المنفصل (أنتَ) والأصل (لولا أنتَ) ولا يتغير إعراب الضمير، فيأخذ الضمير المتصل حكم ضمير الرفع المنفصل فـــي الإعراب وتأدية المعنى، وتظلّ العلاقات النحوية بين عناصر التركيب على حالها[5].

ويجوز التعبير بالضمير المتصل بدل ضمير الرفع المنفصل بعد (إلّا) الاستثنائية، نحـــو قول الشاعر[6]:

فما نُبالي إذا ما كُنْتِ جَارتَنَا ألّا يُجاوِرَنا إلّاكِ دَيَّارُ

فاستخدم كاف الخطاب، وهو ضمير متصل بدل (أنتِ) وهو ضـــمير منفـــصل، وهـــو مستحسن، والأصل (ألّايجاورنا إلّا أنتِ ديّارٌ) وجاز هذا الاستخدام؛ لدلالة الضميرين كاف الخطاب، و (أنتِ) على معنى واحد، وهو الخطاب للمفردة المؤنثة[7] . فاتّفاقُ الــضميرين في الدلالة أجاز مثل هذا التغيير. وقلَّ في دواوين الشعراء الخمسة تبادلُ الضمائر مواضع

(1) ينظر، دلائل الإعجاز، ٣٤٠-٣٤٢.
(2) الكتاب، ج٣٧٤/٢، شرح المفصل، ج١١٨/٣، وشرح الأشموني، ج١٩٨/٣.
(3) هوى: سقط، والأجرام: ج: جِرْم: الأجسام، والقُلّة: ما استدار من أعلى الجبل، والنّيق: أعلى الجبل.
(4) الديوان، ٦٦.
(5) ينظر، شرح المفصل، ج١١٨/٣.
(6) الخصائص، ج٣٠٧/١.
(7) المصدر السابق.

بعضها بعضٍ جرياً على هدي القاعدة النحوية التي أجازت هذا التغيير والخــروج علــى أصل استخدام الضمير، فقال البارودي[١]:

أنا الذي بتُّ مِنْ وَجْدِي بِرَوْضَتِهِ   أَحِنُّ شَوْقاً كَطَيْرِ الْبَانَةِ الْهَزِجِ[٢]

استبدل الشاعر ضمير الغائب (هو) بضمير المتكلم التاء المتحركة، فقال: (أنا الذي بــتُّ) والأصل أن يقول:(أنا الذي بات) حتى يعود الضمير إلى لفظ الاسم الموصول (الذي) فهو الرابط بينه وبين جملة الصلة، لكنه غيّر صيغة الضمير العائد، وأحلّ ضميراً محلّ ضمير أحقّ منه بهذا الموضع من التركيب؛ لأنه راعى معنى الاسم الموصول (الذي) ولم يُراعِ لفظه، فمعناه المتكلم المفرد بدلالة الضمير (أنا) الذي بنى الشاعر كلامه عليــه، وجعلــه موصوفاً باسم الموصول (الذي) فتبع الشاعر معنى الاسم الموصول، وأهمل لفظه معتمــداً على إجازة القاعدة النحوية هذا التغيير، ولعل الشاعر قد قصد باستخدام التــاء المتحركــة بدل ضمير الغائب (هو) أن يستحضر نفسه ووجده وأشواقه بروضة الرسول محمد (ص) وحنينه المستمرّ إليه، وهذا يجعل الماضي الذي صوّره متحرّكاً، فيــه الحيــاةُ والحيويّــة، وكأنه يعيشه مرّة أخرى، وهذا يُشعره باللّذّة والطرب مرّة أخــرى. وقــال بــدر الــدين الحامد[٣]:

ولولاكَ لم أَحْفِلْ بِقَوْلٍ ولم تَفِدْ   عَلَيَّ الْقَوافِي بَعْدَ طُولِ غِيَابِ

غيَّر الشاعر صيغة الضمير الذي استخدمه، وعبّر به بعد (لولا) الشرطية، فاستخدم كــاف الخطاب بدل الضمير (أنتَ) أيْ عبّر بضمير النصب أو الجرّ المتصل بدل ضمير الرفــع المنفصل، وهذا تغيير نحويّ تُجيزه القاعدة النحوية، وتوسّعٌ في استخدام العناصر النحويــة للدلالة على معاني بعضها بعض، ولعلّ معنى المخاطبة الذي يشترك فيه الضميران كــاف الخطاب، و (أنتَ) هو الذي سوّغ له هذا التغييرَ والتعبير عن معنى المخاطبــة فــي هــذا

---

(1) الديوان، ج١٠٣/١.
(2) الروضة: قبر النبي محمد (ص) أو ما بين قبره ومنبر مسجده، والبانة: واحدة البان، وهو ضرب من الشجر يسمو ويطول في ارتفاع، والهزج: المغرِّد.
(3) الديوان، ج٤٨/١.

الموضع من التركيب بلفظ ليس له في الأصل، وربّما ظنّ الشاعر أن دلالة كاف الخطاب على معنى المخاطبة ومعنى الوجود الذي امتنع به جواب الشرط (لم أحفل) أقوى وأبلــغ. وقــال الشابّيّ(١):

كُلُّ شَيءٍ إلّاكَ حَيٌّ عَطُوفٌ يُؤْنِسُ الكونَ شَوْقُهُ ونَشيدُهْ

عبّر الشاعر بعد (إلّا) الاستثنائية بكاف الخطاب بدل الضمير (أنتَ) فاســتبدل ضــميراً بضمير مستفيداً من إمكانية اللغة والقاعدة النحوية التي تُجيز هذا النوع من التغيير بإحلال الضمائر في موضع بعضها بعض، والضميران يشتركان في تأدية معنى المخاطبة، وهــذا ما سوّغ هذا التغيير، ولعلّ الشاعر خمّن أن تأدية معنيي الاســتثناء والمخالفــة وإخــراج الشعب الذي يوبّخه من الاشتراك في صفتي الحياة والعطف مع المستثنى منه (كلُّ شـــيء) بالضمير المتصل كاف الخطاب أقوى وأبلغ من تأديتها بالضمير المنفصل (أنــتَ). وقــال البارودي(٢):

أنا المرءُ لا يُطغيهِ عِزٌّ لِثروةٍ أَصابَ ولا يُلوِي بأخلاقِهِ الكَدُّ

غيّر الشاعر صيغة الضمير الذي عدّى إليه الفعل (يُطغي) فاستخدم هاء الغائب بدل ياء المتكلم، فالتفت من إيقاع الفعل على نفسه مباشرة إلى إيقاعه عليه بطريقة غير مباشرة، و الأصل أن يقول: (أنا المرء لا يُطغيني عِزٌّ) ثمّ تابع هذا الالتفات في الفعل (أصاب) الــذي جعل فاعله غائباً، وفي المضاف إليه الذي أورده بصيغة هاء الغائب، والأصل أن يُــورده بصيغة ياء المتكلم في قوله: (بأخلاقه) وإنّما كان الموضع لــضمير المــتكلم؛ لأن الكـــلام مبنيّ من أوّله عليه، و ذلك في قوله: (أنا المرء) ولعلّ الشاعر الــذي يفخــر بتواضـــعه وأخلاقه أراد أن يُبرز فخره للمتلقي بصورة غير مألوفة؛ لِيكون أبلغ وأقوى وأشدَّ تــأثيراً فيه، فاستفاد من إمكانية اللغة والقاعدة النحوية التي تُجيز استخدام ضمير في موضع آخر، إذا كان المعنى يتطلّب ذلك، والشاعر لابدّ – وهو يغيّر صيغة الضمائر، ويستخدمها فـــي

---

(1) الديوان، ٣٤١.
(2) الديوان، ج١/١٦٥.

مواضع بعضها بعض – أن يلتزم بالقاعدة النحوية كي يكون تركيبـــه منـــسجماً، ومعنـــاه واضحاً، وأن يكون الاستخدام الجديد فيه معانٍ إضافية لا يؤدّيها التعبير النمطي، أو أنّـــه يُضفي على المعنى

الأصل الذي يؤدّيه التعبير النمطي قوّةً ومبالغة تجعل تأثيره في المتلقّي أشدَّ.

ب- ظواهر أخرى للتغيير

١- التنازع:

الأصل في العربية ألّا يعمل عاملان في معمول واحد من جهة اللفظ، ويجوز فيما يسمّيه النحاةُ التنازعَ من جهة المعنى أن يتوجّه عاملان إلى معمول واحد، فالتنازعُ تغيير نحوي استخدمه العرب في كلامهم شعره ونثره، وورد في القرآن الكريم، وأقرّه النحاة، وضبطوا قواعده. فقد يتوجّه فعلان إلى فاعل واحد، نحو (حضر، واستمع خالدٌ) فقد توجّه الفعلان (حضر، واستمع) إلى الفاعل (خالدٌ) وقد يتوجّه فعلان إلى مفعول به واحد، نحو (أعظمتُ وأكرمتُ علياً) فتوجّه الفعلان (أعظم، وأكرم) إلى المفعول به (عليّاً) ونحو قوله تعالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾[1] فقد توجّه الفعلان (آتوني، وأفرغ) إلى المفعول به (قطراً) وقد يتوجّه فعل واسم فعل إلى مفعول به واحد، نحو قوله تعالى:﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾[2] فالمفعول به (كتابيه) توجّه إليه عاملان، هما الفعل (اقرؤوا) واسم الفعل (هاؤم) بمعنى (خذوا) وقد يتوجّه مشتقّان إلى مفعول به واحد، نحو قول الشاعر[3]:

عُهِدتُ مُغِيثاً مُغْنِياً مَنْ أَجَرْتُهُ   فلمْ أَتَّخِذْ إلاّ فِنَاءَكَ مَوْئِلا

فالمفعول به (مَنْ) طلبه عاملان، هما اسما الفاعل (مغيثاً ومغنياً) وقد يتنازع فعلان على معمول واحد، فيطلبه أحدهما مفعولاً به، والآخر فاعلاً، فيجوز إعطاؤه لأحدهما نحو قول الفرزدق[4]:

(1) الكهف، ٩٦.
(2) الحاقة، ١٩.
(3) أوضح المسالك، ٢٩٨.
(4) الديوان، ج٨٤٤/٢.

وإنّ حَرَاماً أن أَسُبَّ مُقَاعِساً   بِآبائي الشُّمِّ الْكِرَامِ الْخَضَـــــــــــــــــــــــــارِمِ

ولكنّ نِصْفاً لو سَبَبْتُ وسَبَّنِي   بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وهَاشِمِ

فقد تنازع الفعلان (سببت، وسبّني) المعمول (بنو) فالأول طلبه مفعولاً به، والثاني طلبه فاعلاً، فأعطاه للثاني لقربه. ونحو قول طفيل الغنوي(١):

وكُمْتاً مُدَمَّاةً كَأَنَّ مُتُونَهَا   جَرَى فَوْقَهَا واسْتَشْعَرَتْ لَوْنَ مُذْهَبِ(٢)

فقد تنازع الفعلان (جرى، واستشعرت) المعمول (لون) فالفعل (جرى) يطلبــه فــاعلاً، والفعل (استشعرت) يطلبه مفعولاً به، فأعمل فيــه الفعــل (استــشعرت) ونــصبه علــى المفعولية.

ويجوز أن يتنازع فعلان أو أكثر معمولاً واحداً يكون مصدراً أو ظرفاً، نحو قوله(ﷺ): "تُسبِّحون وتَحمَدون وتُكَبِّرون دُبُرَ كلِّ صلاة ثلاثاً وثلاثين"(٣) فظرف الزمان (دبــر) قــد توجّهت إليه ثلاثة أفعال، هي (تسبحون، وتكبرون، وتحمدون) وكــذلك نائــب المــصدر (ثلاثاً). ويجوز أن يتنازع مبتدآن خبراً واحداً ، نحو قول قيس بن الخطيم(٤):

نحنُ بِمَا عِنْدَنَا وأنتَ بِمَا   عِنْدَكَ رَاضٍ والرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

فالخبر (راضٍ) توجّه إليه المبتدآن (نحن، وأنتَ) فأعمل فيه المبتدأ (أنتَ) ولــم يــذكر خبر المبتدأ (نحن) اكتفاء بخبر (أنت) فاجتزأ بخبر الواحد عن الجميع، ويجوز أن يتنــازع عاملان معمولاً واحداً، فيطلبه أحدهما فاعلاً، والآخر مجروراً، نحو (مررتُ، ومــرَّ بــي عبدُالله) فالمعمول (عبدُ الله) تنازعه الفعلان (مررت، ومرّ) فطلبه الأول مجروراً، والثاني

(1) الديوان، ٢٣.
(2) كمتاً: الخيول التي تضرب حمرتها إلى السواد، والمتون: الظهور.
(3) النووي، يحيى بن شرف ، رياض الصالحين، تح: عبدالعزيز رَبَاح، وأحمد يوسف الدّقاق، ط١٤، دار المأمون، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ٢١٨.
(4) ابن الخطيم، الديوان، قيس، تح: ناصرالدين الأسد، ط١، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ-١٩٦٢م، ١٧٣.

فاعلاً، فأُعطي للثاني، ولا يقع التنازع بين فعلين جامـدين أو حـرفين، ولا بـين جامـد وغيره، ولا بين حرف وغيره، ولاتنازع بين المصدرين[1]، ولا يجوز التنازع في معمول متقدّم أو متوسّط، فشرطُ المعمول المتنازع عليه أن يتأخّر عن العوامل المتنازعة فيه، فلا يجوز (أكرمت زيداً، وضربتُ) ولا يجوز التنازع في الحال والتمييـز والمفعـول لأجلـه والضمير.

ويجوز للمتكلم أن يُعمل أيّ العاملين في المعمول المتنازع عليـه، فـأعطى الكوفيـون الأولوية للعامل الأول لسبقه، وأعطى البصريون الأولويـة للعامـل الثـاني لقربـه مـن المعمول، والحقيقةُ على مايبدو أن إعمال أحدهما لايكون عبثاً، ولايقف عند حدود الشكلية المرتبطة بالسبق أو بالقرب، وإنّما يجري في سياق قصدٍ بلاغيّ ومعنـى يريـد المـتكلم الاهتمام به، فإذا كانت الغايةُ الاهتمامَ بإقامة العلاقة بين الحدث الأول والمعمـول؛ بغيـة توجيه العناية إليه دون الثاني، أعمل الأول، وإذا أراد المتكلم أن يهتم بالحـدث الثـاني دون الأول، وأن يوجّه العناية إليه، أعمله، وأهمل الأول، نحو قولـه تعـالى: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[2] فأعمل فعل الإفراغ؛ لأنه أهم من فعل الإتيان؛ لأن الغرضَ مـن الإتيـان الإفراغُ الذي يستقيم به السدّ، ويُحكم[3] وكقوله تعالى:﴿ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴾[4] "فجعل (كتابيه) مفعولاً به لفعل القراءة، ولم يجعله لاسم الفعل(هاؤمُ) لأن الاطّلاع على الكتاب وقراءتـه أهمّ من المناولة؛ لأن فيه فلاحه وفوزه، أمّا المناولة فلقصد القراءة واطلاعهـم عليـه"[5].

ويبدو أن أسلوب التنازع يكون فيه تعبير أولى من تعبير بحسب القصد والمعنـى، وأنـه ينبغي أن ننظر إليه في ضوء قاعدتين، الأولى أن العامل الذي أُعطي له المعمول أهمّ عند المتكلم من العامل الآخر الذي أُعطي له الضمير؛ لأن الاسم الظاهر أقوى من الـضمير،

---

(1) ينظر، المقتضب، ج٤/٧٢-٧٧، والتعليقة على كتاب سيبويه، ج١/١١٢-١١٣، والإيضاح العضدي، ٥٥-٦٦، وشرح المفصل، ج١/٧٧- ٨٠، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٦٢٥، وارتشاف الضرب، ج٤/٢١٤٩-٢١٥٣، وأوضح المسالك، ٢٩٨-٢٩٩، وأسرار النحو، ٩٨-٩٩، وجامع الدروس العربية، ج٣/٢٠-٢٣، والنحو الوافي، ج٢/١٥١-١٦٥، والحديثي، خديجة، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، مطبوعات جامعة الكويت، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م ، ٢٩٧، ومعاني النحو، ج٢/١٢٤-١٢٩.

(2) الكهف، ٩٦.

(3) ينظر: معاني النحو، ج٢/١٢٧.

(4) الحاقة، ١٩.

(5) معاني النحو،ج٢/١٢٨.

والثانية أن المذكور أهمّ من المحذوف[1]. ولعله يتّضح بهذا أن المعنى يقف وراء أسلوب التنازع، فليست الغايةُ من تغيير شكل الجملة تغييرَ طريقة التعبير، وإنّما الغاية أن التعبير الجديد يؤدّي معنى جديداً، لا يؤدّيه التعبير النمطي المعهود. وكثر استخدام أسلوب التنازع عند الشعراء الخمسة الذين جروا، وهم يستخدمونه، في هدي القاعدة النحوية. قال بدر الدين الحامد[2]:

وأَتَتْكَ تَخْتَالُ الزَّعامةُ يَافِعاً ما أنتَ يومَ لَبِسْتَهَا بِالْمُعْتَدِي

تنازع الفعلان المتصرفان التامّان (أتى، وتختال) الفاعل (الزعامةُ) ممّا يعني توجُّه عاملين

إلى معمول واحد، والأصل أن يتوجّه كلٌّ واحد منهما إلى فاعل معيّن مستقلٍّ في لفظه عن فاعل الفعل الآخر. وليس من دليل لفظي أو سياقي على إعمال أحدهما، والظاهرُ أنه أعطاه للفعل الثاني (تختال) الذي أعمله في لفظ الفاعل (الزعامة) وأهمل الفعل الأول (أتى) ولستُ أزعم أن الشاعر أهمل الفعل الأول (أتى) لبعده عن الفاعل (الزعامةُ) وأعمل الفعل الثاني (تختال) فيه لقربه منه. بل ظنّي أنه أعمل الفعل الثاني (تختال) في الفاعل (الزعامةُ) دون الفعل الأول (أتى) لأهميته المعنوية، ولقيمته البلاغية التي فاقت القيمة البلاغية للفعل السابق (أتى) فالشاعر يمدح الممدوح بأن الزعامة قد أتته، وهو مازال يافعاً، والأهمُّ منه أنها أتته في صورة الاختيال المستمر فيه، فإتيانُها إليه وقع مرّة، وانقضى، واستقرّت فيه؛ ولذا أورد الفعل في صورة الماضي المنقطع (أتتْ) أمّا اختيالُها، فمستمرٌّ ودائمٌ فيه، وهذا ماينبغي التنبُّه والالتفات إليه. وقال أبو ماضي[3]:

عَادَتْ رِياضُ الْقَوافِي وَهْيَ حَالِيةٌ وكانَ صَوَّحَ فيها الدَّهْرُ والْعُشْبُ
واسْتَرْجَعَتْ دَوْلَةُ الأقْلامِ نَخْوتَها وكانَ أَدْرَكَهَا الإعْياءُ والتَّعَبُ

---

(1) ينظر:معاني النحو،ج١٢٧/٢.
(2) الديوان، ج٢٥١/١.
3) الديوان، ١١٣.

تنازع الفعلان (كان، وأدرك) المعمول المرفوع (الإعياءُ) فالأول طلبه اسماً، والثاني طلبه فاعلاً، ويبدو أن الشاعر قد أعطاه فاعلاً للفعل الثاني (أدرك) لأنه أهمّ من حدث الكينونة، فلا يريد الشاعر أن يلفت الأنظار إلى كينونة دولة الأقلام في الماضي، وإنّما يريد أن يتنبّه المتلقي إلى حالتي الإعياء والتعب اللتين أدركتاها، فإذا تنبّه إلى ذلك، عرف الفرق بين حالتين متضادتين لدولة الأقلام، حالة التعب والإعياء التي عاشتها في الماضي، وهذه ما ينبغي أن ينفر منها، وحالة استرجاع النخوة في الحاضر، وهذه ما ينبغي أن يهتمّ، ويتعلّق بها. وقال البارودي(١):

تُميتُ وتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِها   فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا ومِنْ عاشِقٍ يَثْوَى

توجّه الفعلان المضارعان المتعدّيان (تحيي، وتميتُ) إلى المفعول به (مَنْ) الموصولة، فتنازعاه، ولعل الشاعر أعمل الفعل (تحيي) في لفظ المفعول به (مَنْ) دون الفعل (تُميت) الذي سبقه، وأعمله في معناه؛ لأن حدث الإحياء المستمر باللحظ أهمّ من حدث الإماتة المستمرّة، فالشاعر يطلب وقوع الحدث الثاني من لحظها ويتجنّب وقوع الأوّل، وهذه إرادة ضمنية عبّر عنها بأسلوب التنازع، فوجّه الفعلين (تميت، وتحيي) المسبَّبين عن لحظ المحبوبة إلى مفعول به واحد، وجعل ترتيب ما لا يريد وقوعه، وهو حدث الإماتة قبل ما يريد وقوعه، وهو حدث الإحياء، وأكّد هذه الرغبة إذْ أعمل فعل الإحياء في لفظ المفعول به (مَنْ) وأهمل فعل الإماتة. وقال البارودي(٢):

تَروحُ وتَغْدُو بَيْنَ أَفْنَانِ دَوْحَةٍ   سَقَاهَا مِنَ الْوَسْمِيِّ مُسْتَوْكِفٌ غَزِرُ(٣)

تنازع الفعلان المضارعان المتضادّان في المعنى واتّجاه الحركة (تروح ، وتغدو) ظرف المكان (بين) الدالّ على مكان وقوعهما وتشكّلهما وصدورهما من الفاعل. ويبدو لي أن الشاعر قد جعله معمولاً للفعل (تغدو) ليس لقربه منه فحسب، وإنّما لأهميته المعنويّة،

(1) الديوان، ج١٩٣/٤.
(2) الديوان، ج٥٨/٢.
(3) أفنان: أغصان، والدَّوحة: الشجرة الكبيرة، الوسميّ: مطر الربيع الأوّل، ومستوكف: سال، وقطر قليلاً قليلاً.

فالشاعر يصوّر حدثين وقعا من الفاعل في هذا المكان هما الرّواح والغدوُّ، فلمّا كان الغدوُّ عنده أهمّ من الرواح، جعله العامل في ظرف المكان (بين) ولعلّ أهميته تـأتي مـن أنـه إقبال، أمّا الرّواح، فيعني الإدبار، ولاشكّ أن الإنسان يحبّ إقبال مَنْ يودّ أكثر من إدبـاره. وقال البارودي(١):

أَرَاكَ الحِمَى شَوْقِي إليكَ شَدِيدُ وصَبْرِي ونَوْمِي في هَوَاكَ شَرِيدُ

تنازع المبتدآن (صبري، ونومي) الخبر (شريد) وهذا تغيير نحـوي تُجيـزه القاعـدة النحوية، وتعبير توافرت فيه السلامة النحوية. والظاهرُ أنّ الشاعر قد أعطاه للمبتدأ الثاني (نومي) فأعمله في لفظه الصريح، وأسنده إليه، ولعل ذلك لأهميته؛ لأن شرود النوم علـى سبيل الثّبوت والدّوام من عيني الشاعر بسبب حبه وشوقه يسبّب له آلامـاً أكثـر، ويزيـد أوجاعه السابقة، ويكون شرود النوم سبباً آخر لشرود الصبر؛ لأن شرود النـوم يـصيبه بالإعياء والتعب والأرق، ويسلبه القدرة على التحمّل، وهذا ما ينبغي أن يُلتفَت إليه. وقـال بدر الدين الحامد(٢):

ويلٌ لهُ مِنْ حَمْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ الحقُّ كانَ ولم يَزَلْ جَرَّارَها

غيّر الشاعر أسلوب تعبيره، فأخبر عن الفعلين الناقصين الماضيين (كان، ولـم يـزل) بخبر واحد، أيْ جعلهما يتنازعان فيه، وهذا تعبير صحيح من حيث القاعدة النحوية، ويبدو أنه أعمل فيه الفعل الثاني (لم يزل) لأهميّته. فالشاعر يهدّد خصمه، ويُحذِّره مـن حملـة عربية لاشبهة، ولاشكّ في وقوعها، والأهمُّ من وقوعها استمرارُها بقيادة الحقّ مثلما كـان وقوعُها بقيادته، فلمّا كان حدث الاستمرار أهمَّ من حدث الكينونة، أعمل الفعل الناقص (لم يزل) في الخبر (جرّارَها) وأهمل الفعل الناقص (كان) ولعلّ في أسلوب التنازع دلالة على أن القاعدة النحوية لا تُجيز تغيير صورة التعبير الأصل، ولا الانتقال مـن أسـلوب إلـى آخر، ولا التحوّل من لفظ إلى آخر إلّا إذا كان المعنى وراء هذا التغييـر حتّـى لا يكـون

---

(1) الديوان، ج١/١٧٢.
(2) الديوان، ج١/٦٥.

ضرباً من العبث فالتغيير رخصة وتجوُّز في التعبير والأسلوب، والمعنى سببُ هذه الرّخصة.

٢- تنكير ماحقُّه التعريف:

ثمّة عناصر لغوية إذا دخلت في التركيب النحوي، كان حقُّها التعريفَ، وهي المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، وصاحب الحال، وصفة المعرفة، والصلة(١). ويجوز الخروج على هذا الأصل في المبتدأ وصاحب الحال. فالأصل في المبتدأ أن يكون معرفة، ويجوز تنكيره إذا تضمّن معنى الدعاء، نحو قولك: (سلامٌ عليك، وويحٌ لك) ونحو قوله تعالى:﴿ وَيۡلٌ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾(٢) فجاز الابتداء بالنكرات (سلام، وويح، وويل) لأنها دلت على معنى الدعاء، فأشبهت المعرَّف بالألف واللام في تحديد معنى معيّن ونقْلِه من الشيوع والعموم إلى الخصوص، ويجوز الابتداء بالنكرة إذا وردت في سياق النفي، نحو (ما أحدٌ في الدار، وما في البيت رجلٌ) فابتدأت بالنكرتين (أحدٌ، ورجلٌ) لأنهما وقعتا في سياق النفي الذي نقلهما من العموم إلى الخصوص، أو سُبقتْ باستفهام، نحو (هل رجلٌ عندك أم امرأةٌ؟) أو كانت (ما) التعجبية، نحو قوله تعالى:﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴾(٣) لأن التعجب قد عيّن معنى (ما) وخصّصها، فلم تعد شائعة عامّة، أو وُصِفت، كقوله تعالى:﴿ وَلَعَبۡدٌ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٌ مِّن مُّشۡرِكٍ ﴾(٤) أو كان الخبر شبه جملة متقدّماً عليها، نحو (في الدار رجلٌ، وعندك امرأةٌ) أو دلّت على عموم، نحو قوله تعالى:﴿ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾(٥) فابتدأ بالنكرة (كلٌّ) لدلالتها على العموم، أو وردت في جواب السؤال بالهمزة التي تتلوها (أم) المعادلة، وكان المتعاطفان نكرتين؛ لأن الجواب في هذا الموضع لا يكون إلّا بتعيين أحد الاسمين، نحو

---

(1) ينظر، المصطلح النحوي /دراسة نقدية تحليلية/، ١٢٢.
(2) المطففون، ١.
(3) عبس، ١٧.
(4) البقرة، ٢٢١.
(5) الروم، ٣٢.

(أرجلٌ عندك أم امرأةٌ؟) والجواب (رجلٌ عندي) أو جاءت بعد (لولا) الشرطية، نحو قول الشاعر[١]:

لولا اصْطِبارٌ لأوْدَى كُلُّ ذِي مِقَةٍ   لَمَّا اسْتَقَلَّتْ مَطاياهُنَّ للظَّعَنِ

فأورد المبتدأ (اصطبارٌ) نكرة، وجاز ذلك لوقوعه بعد (لولا) الشرطية. أو جاءت بعد واو الحال، نحو قول الشاعر[٢]:

سَرَيْنَا ونَجْمٌ قد أَضَاءَ فَمُذْ بَدَا   مُحَيَّاكِ أَخْفَى ضَوْءُه كُلَّ شَارِقِ

فجاز الابتداء بالنكرة (نجمٌ) لمجيئها بعد واو الحال، أو كانت مفصّلة، نحو (شهرٌ ثرى، وشهرٌ ترى، وشهرٌ مرعى) فالنكرة (شهرٌ) دلّت على تفصيل؛ لذلك جاز الابتداء بها، أو عُطِفت على معرفة، نحو (زيدٌ، ورجلٌ قائمان) أو وقعت بعد فاء الجزاء في أسلوب الشرط، نحو (مطالب الحياة كثيرةٌ، فإن تيسّر بعضُها، فبعضٌ لا يتيسّر) أو وقعت في جواب السؤال، نحو (درهمٌ) لِمَن سألك: (ما عندك؟) أو كانت مصغرّة، نحو (رُجيلٌ عندنا) أو كانت محصورة،نحو(إنّما في الدار رجلٌ)أوكانت جنساً ، نحو (رجلٌ خيرٌ من امرأةٍ، وتمرةٌ خيرٌ من جرادة) والمعنى (جنس الرجال وجنس التمر) أو سُبِقت بلام الابتداء، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾[٣] أو أُضيفت إلى نكرة، نحو قول النبيﷺ "خمسُ صلواتٍ كتبهنّ اللهُ"[٤] أو كانت (كم) الاستفهامية، نحو (كم رجلاً في الدار؟) أو كانت مصدراً عَمِلَ عَمَلَ الفعلِ، نحو (إطعامٌ مسكيناً طاعةٌ) أو أُريد بها الجنس بعد (إذا) الفجائية، نحو (خرجتُ فإذا أسدٌ أو رجلٌ بالباب) لأن العادة لا تُوجب أن يُفاجئك شيء عند خروجك[٥].

---

(1) ارتشاف الضرب، ج٣/١١٠٠.
(2) ارتشاف الضرب، ج٣/١١٠١.
(3) البقرة، ٢٢١.
(4) الموطأ ، (١١٧).
(5) ينظر، الكتاب،ج١/٣٣٠، والأصول في النحو، ج١/٥٩،٨٤، والخصائص، ج١/٣١٧، والمفصل،٣٢، والمتبع في شرح اللمع، ج١/٢٢٧ ــ ٢٢٨، وشرح المفصل، ج١/٧٦-٨٧، ج٥/٢٠٤، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٣٤٧، وارتشاف الضرب، ج٣/١١٠٠-١١٠١، وأوضح المسالك، ١٢٠، ومغني اللبيب، ٦٠٨-٦١٣، وجامع الدروس العربية، ج١/٦٥، ج٢/٢٥٨-٢٦١، والنحو الوافي، ج١/٤٤١-٤٤٧.

ويجوز تنكير اسم (كان) إذا خُصِّص بالوصف أو بغيره؛ لأن التخصيص يرفع عن النكرة شيئاً من إبهامها وعمومها، ويجعلها صالحة للإخبار عنها والإسناد إليها، نحو (كان رجلٌ من بني فلان فارساً، وكان رجلٌ من أهل البصرة شجاعاً) فالذي سوّغ وقوع النكرة (رجلٌ) اسماً لـ (كان) تخصيصُها بالصفة المحذوفة، ويجوز تنكيره إذا دلّ على العموم في سياق النفي؛ لأن العموم أكسبه معنى نحو (ماكان أحدٌ مثلَك) و (ما كان أحدٌ مجترئاً عليك) ونحو قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[1] فدلّت كلمة (أحدٌ) في المثالين على الناس، ودلّت في الآية الكريمة على المخلوقات، وهذه الدّلالة على العموم أكسبتها معنى أجاز لها أن تكون اسماً لـ (كان)[2]. والحقيقة أن المعنى الجديد الذي تكتسبه النكرة الواقعة في المواقع النحوية السابقة، هو الذي يُجيز استخدامها في موضع من التركيب ليس لها في الأصل، فإذا سُبِقت بلام الابتداء، دخلها معنى التوكيد، وإذا سُبِقت بـ (إذا) الفجائيّة، دخلها معنى المفاجأة، وإذا سُبِقت بـ (لولا) الشرطية دخلها معنى الوجود، والتصغيرُ يُكسبها معنى التحبّب أو التحقير، ودلالتُها على الجنس لا على فرد من أفراده يُكسبها معنى العموم والشمول لأفراده، وهذه معان جديدة لا يؤدّيها المبتدأ إذا جِيء به معرفة في هذه المواضع النحوية. وفي هذا دلالة واضحة على أن المعنى يختلف من تعبير إلى تعبير، فإذا قلت: (التمرةُ أفضلُ من الجرادة) احتمل كلامُك معنيين، الأول أن كلَّ تمرة أفضل من كلّ جرادة، والثاني أن التمرة الواحدة أفضل من الجرادة الواحدة، وقد يحتملهما، أمّا إذا قلت: (تمرةٌ أفضلُ من جرادةٍ) فابتدأت بالنكرة، فإنّ المعنى واحد، ودلالة التركيب قطعية، وهي أن جنس التمر أفضل من جنس الجراد، وإذا قلت: (الرجلُ عندنا) أخبرت عن وجود الرجل، وإذا قلت: (رُجيلٌ عندنا) فصغّرت، وابتدأت بالنكرة، اختلف المعنى؛ لأنك أخبرت، واحتقرت، وإذا قلت: (خرجتُ فإذا الأسدُ بالباب) كنت قد أخبرت أنك تفاجأت بوجود أسد معروف معهود، وليس للمفاجأة أثر قويّ في نفسك أو في نفس المتلقي؛ لأنك تتوقّع ذلك، وإذا نكّرت، وقلت: (خرجتُ فإذا أسدٌ بالباب) أخبرت عن

(1) الإخلاص، ٤.
(2) ينظر، المقتضب، ج٤/٨٨-٩٠.

تفاجئك الشديد؛ لأنك لم تنتظر ذلك، ولم تتوقّعه. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة تنكير المبتدأ. قال أبو ماضي[١]:

إنِّي أنا الأَسدُ الْهَصُورُ بَسَالةً   وَيْلٌ لِقَوْمٍ حَاوَلُوا إِحْراجِي[٢]

نكّر الشاعر المبتدأ (ويلٌ) والأصل أن يُعرِّفه، وجاز له الخروج على الأصل؛ لأن المبتدأ (ويلٌ) فيه معنى الدعاء، ودلالتُه على الدعاء نزّلته بمنزلة ما دخلته الألف واللام، فكأنه قال: (الويلُ). ودلالةُ المبتدأ (ويلٌ) على معنى الويل والهلاك، وهو نكرة، أقوى من دلالته عليهما، وهو معرفة، فهو يُعمّم، ويشمل، ويرفع قوّة التهديد والتحذير للذين يحاولون إحراج الشاعر. وللمتلقي الذي يسمع هذه العبارة أن يتخيّل كلَّ ويل وكُلَّ هلاك وكلَّ ما مِنْ شأنه أن يُلحق الضررَ به إذا ما حاول أحدٌ ما إحراج الشاعر، ولو عرَّف المبتدأ، وقال: (الويلُ) لَوقف خيالُه عند ويلٍ معروف معهود يصدر عن الشاعر كلّما غضب، وهذا خلاف المقصود، والدلالةُ غدت احتمالية بعد أن كانت قطعية. وقال بدر الدين الحامد[٣]:

يارَاقِداً في رَوابِي مَيْسَلُونَ أفِقْ   جَلَتْ فَرَنْسا وما فِي الدَّارِ هَضَّامُ[٤]

نكّر الشاعر المبتدأ (هضّامُ) ولم يُعرّفه جرياً على الأصل في استخدامه، وجاز له تنكيره

في هذا السياق؛ لأنه سُبِق بنفي، والنفيُ أكسبه معنى العموم، فانتقل من معنى إلى معنى، ولو عرّفه، وقال: (الهضّامُ) لَقصد هضّاماً معيّناً، ولأوحى أن بعض الذين هضموا حقّ سورية خرجوا منها، وبقي بعضُهم، وهذا خلاف المقصود؛ لأن غاية الشاعر أنْ يُخبرَ

(1) الديوان، ١٩١.
(2) الهَصور: الأسد الشديد الذي يهصر فريسته، ويكسرها كسراً.
(3) الديوان، ج١/١٤.
(4) هضّام: مستعمر ظالم.

يوسفَ العظمة أنّ كلّ الذين هضموا سورية حقَّها خرجوا منها، فعنى بذلك فرنسا التي احتلّت سورية، وكلّ الذين أعانوها من الدّاخل والخارج. وقال السياب(١):

أَشِرَاعٌ يَطْوِي بِحَارَ الظَّلامِ أَمْ سِرَاجٌ في غُرْفَةِ الْمُسْتَهَامِ؟

أورد الشاعر المبتدأ (شراعٌ) نكرة بخلاف الأصل في استخدامه النحوي؛ لوروده بعد استفهام، ممّا اكتسب معنى إضافيّاً، فزال شيءٌ من تنكيره، واكتسب شيئاً من التعريف، ولاسيّما أن الشاعر أورده بعد همزة الاستفهام التي عبّر بها عن التصوّر والتعيين، فهو يسأل عن شيئين، عن الشراع الذي يطوي بحار الظلام، وعن السراج الذي يُنير غرفةَ المستهام، ويعرف أن أحدهما كائن، لكنهما اختلطا عليه، فيطلب التحديد والتعيين، وهذا التعيينُ نزع عن المبتدأ (شراعٌ) شيئاً من تنكيره، فسوّغ وقوعه في التركيب نكرة. وقال البارودي(٢):

لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعَةٌ ومَعَاقِلٌ وألويةٌ حُمْرٌ وأَفْنِيَةٌ خُضْرُ(٣)

نكّر الشاعر المبتدأ (عمدٌ) لأنه وصفه بالصفة (مرفوعةٌ) والوصفُ أكسبه شيئاً من التعريف، فلمّا انتقل من الشيوع والعموم إلى شيء من التخصيص والتحديد الذي جعل المعنى واضحاً للمتلقي ساغَ الابتداءُ به. والظنُّ أنه أراد بتنكيره معنيي التكثير والمبالغة في الفخر، فلو قال الشاعر: (لهم العمدُ المرفوعة) لَمَا بلغ فخرُه الغايةَ التي يسعى إليها؛ لأنه دلّ على عدد معهود معروف من العمد المرفوعة، وهذا لا يُحرّك خيال المتلقي، ولا ينال إعجابه ممّا يُفقد التركيب قيمته، فلمّا نكّر المبتدأ، وقال: (لهم عُمُدٌ مرفوعةٌ) دلّ على عدد غير معهود ولا معروف من العمد المرفوعة، و للمتلقي أن يُخمّن كلّ عددٍ كثير منها، وهذا يُحرّك خياله، وينال إعجابه، و كأنه كلّما رأى عُمداً مرفوعة في تلك الدّيار، ظنّها للقوم الذين فخر بهم الشاعر دون سواهم، ولاسيّما أنه خصّهم بذلك إذْ قدّم الخبر شبه

---

(1) الديوان، ٤٠٧.
(2) الديوان، ج٢/٤٤ .
(3) المعاقل: الحصون، والألوية: الأعلام، والأفنية: السّعة أمام البيت، واخضرارها: كناية عن الغنى والكرم والرّفاهية.

الجملة (لهم) على المبتدأ (عُمُدٌ) ووصفه بـــ (مرفوعةٌ) وتقديمُ الخبر شبه الجملة (لهم) فيه كَمَالُ فخره. وقال البارودي(١):

لَهُ سُورةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُل ورَضْوَى لَهَدَّتْ يَذْبُلاً ومَحَتْ رَضْوَى(٢)

نكّر الشاعرُ المبتدأ (سورةٌ) لتقدّم خبره شبه الجملة (له) عليه، والظاهرُ أنّ المعنى مـــن وراء تنكيرِه، فالشاعر يفخر بسورته وصولته القوية التي لا يقــف أمامهـــا جـــبلا يـــذبل ورضوى، وفي هذا مبالغة في تصوير شجاعته وقوّته وشدّة بأسه، ولعلّه قصد أن يعظّـــم سورته، ويُهوّلها، ويُعلي شأنها؛ كي يزيد خوف الخصم ورعبه منها، فنكّرها إذ اســـتخدمها في التركيب مبتدأ، وتنكيرُها يفجأ المتلقي بصورة لم يعهدها، ولم يتوقعها، ولم تدر بخلـــده وخياله، فيزيد وقعها في نفسه، وهذا ما لا يؤدّيه المبتدأ لو عرّفه، وقال: (له السورةُ) لأنـــه لا يعدو أن يُعبّر عن سورة مألوفة، وما هو مألوف ومعتاد ليس له الأثر الذي يُحدثـــه مـــا هو غير معتاد. وقال البارودي(٣):

لِكُلِّ عَصْرٍ رِجَالٌ يُذْكَرُونَ بِهِ والْفَضْلُ بالنَّفْسِ ليسَ الْفَضْلُ بالْقِدَمِ

استخدم الشاعر المبتدأ (رجالٌ) نكرة، والذي سوّغ له تنكيرَه في هـــذا الـــسّياق تـــأخرُه وتقدُّمُ خبره شبه الجملة (لكلِّ) عليه، والظنُّ أن معنى ما وراء تنكيره، ولعلّ هـــذا المعنـــى جهلُ الشاعر به، وهذا مفهومٌ من التبصُّر في السياق، فقد زعم الشاعر أنّ كلّ عصر، لـــه رجالُه الذين يقومون فيه بأعمال جليلة، فيخلد ذكرُهم، ولَمّا كان الشاعر لا يعلم رجال كـــلّ عصر سواء ما مضى من العصور أم ما سيأتي منها، كـــان الأنـــسب أن يُنكّـــر المبتـــدأ (رجالٌ) لأنه لو عرَّفه، وقال: (لكلّ عصر الرّجالُ) لدلّ على معرفته بهم، وهـــذا خـــلاف المقصود والواقع؛ لأنه يستحيل أن يعرف الشاعر أسماء الرجال العظماء الذين سيأتون في العصور المستقبليّة؛ لأن ذلك من علم الغيب، والغيبُ لا يعلمه إلّا اللهُ. وقال أبو ماضي(٤):

---

(1) الديوان، ج٤/١٩١.
(2) سورةٌ: سطوة وجولة، وصادَمه: دافعَه، وركنُ الشيء: أحد جوانبه التي يستند إليها، ويقوم عليها، ويذبل ورضوى: جبلان.
(3) الديوان، ج٣/٥٨٨
(4) الديوان، ٨٢.

لِيَ صَاحِبٌ دَخَلَ الْغُرورُ فُؤَادَهُ　　إنّ الْغُرورَ أُخَيَّ مِنْ أَعْدَائِي

أَسْدَيْتُهُ نُصْحِي فَزَادَ تَمَادِياً　　في غَيِّهِ وازْدَادَ فيهِ بَلائِـــــي

أورد الشاعر المبتدأ (صاحبٌ) نكرة، فاتَّبع القاعدة الفرعية، وترك القاعدة الأصل فـــي استخدامه، والظاهرُ أنه لا يريد الاستفادة من جواز القاعدة النحوية إلّا لِيعبّر عـــن معنـــى إضافيّ سوى الابتداء. ولعلّه نكّر المبتدأ (صاحبٌ) لِيحتقره بعد أن دخل الغـــرور فـــؤاده؛ لأنّ الشاعر لا يُحبّ الغرور، بل يُعاديه، ويُحاربـــه، وكـــأن الـــشاعر أراد أن يُـــوحي أن صاحبه المغرور قد تحوّل بسبب غروره من صاحب إلى عدوّ للشاعر، لكنه لم يذكر ذلك صراحةً، فعبّر عنه بتنكير المبتدأ، وربُّما قصد الشاعرُ عدم التـــشهير بـــه، أو أنّـــه غـــدا معروفاً بسبب غروره، فلم يعد بحاجة إلى التعريف، ولعلّه لم يفقد الأمـــل فـــي أن يتـــرك صاحبُه غرورَه، وتعودَ الصحبةُ بينهما مرّة أخرى، فيستطيع الشاعر أن يُنكر ما قاله فيـــه بدلالة أنه لم يُحدّده. وقال أبو ماضي(١):

وأنا مَازِلْتُ في شَرْخِ الصِّبَا　　فَلِمَاذا فَرَّطَ الأهْلُونَ بِـــــي؟

لِيَ قَدٌّ وجَمَالٌ يَـــزْدَري　　ذاكَ بالغُصْنِ وذا بالكَوْكَبِ

نكّر الشاعر المبتدأ (قدٌّ) والأصل تعريفه، والذي سوّغ تنكيرَه تأخرُّه وتقدُّمُ خبـــره شـــبه الجملة (لي) عليه. ويبدو أن المعنى من وراء هذا التغيير، ولعله أراد – وهو يتحدّث على لسان فتاة تشكو؛ لأن أهلها زوّجوها من شيخ هرم – أن يُفيد أن قدَّ الفتاة وجمالها اللـــذين تفتخر، وتتباهى بهما، وتندبهما؛ لأن أهلها فرّطوا بها، وتستنكر ما فعلوه، أعلـــى مـــن أن يُحيط به وصفٌ، وفي هذا مبالغة، لكنها تُناسب الحدث وشعور الفتـــاة المنكوبـــة وتـــأثُّرَ الشاعر بحالتها، فإذا قارن المتلقي بين قدّها وجمالها اللذين لايُوصَفان وبين الشيخ العجوز

(1) الديوان، ١١٥.

الذي امتلكهما، رقَّ لها، وتعاطف معها، واشمأزّ من أهلها وزوجها الّذين لم يُحقّقوا التناسب في هذا الزواج. وقال أبو ماضي[١]:

وإذا بِصَوْتٍ كَالهَرِيرِ يَطِنُّ في أُذُني وأَنْيابٌ تَصِرُّ وَرَائِي

فَأَدَرْتُ طَرْفِي باحِثاً مُتَعَجِّباً ممَّا سَمِعْتُ ولسْتُ في بَيْداءِ

فإذا ورائي في الحديقةِ نابحٌ ضَارِي الْمَحاجِرِ ضَامِرِ الأحْشاءِ

نكّر الشاعر المبتدأ (صوتٍ) لوروده بعد (إذا) الفجائية، فاكتسب معنى جديداً غير الابتداء، هو معنى المفاجأة، وتنكيرُه لأداء معنى المفاجأة بالصوت الذي يُشبه الهرير، ويطنّ في أذن الشاعر، وبالأنياب التي تصرّ وراءه أقوى من التعبير عنه بتعريفه؛ لأن فيه دلالة على أن الشاعر لم يكن يتوقّع سماع الصوت ورؤية الأنياب التي فاجأته، وتعريفُه يدلّ على أنه كان يتوقّع أن يتفاجأ بهذا الصوت وبهذه الأنياب.

والنتيجة أن المتكلم لا يُنكِّر المبتدأ؛ لأن القاعدة النحوية أجازت له ذلك فحسب، وإنّما إذا كان تنكيره يؤدّي معنى جديداً لا يؤدّيه تعريفُه.

- تنكير صاحب الحال:

والأصل في صاحب الحال أن يكون معرفة، ويجوز تنكيره إذا تقدّمت الحال عليه، وتأخر عنها، نحو (في الدار جالساً رجلٌ) ونحو قول كُثيّر عزّة[٢]:

لِميّةَ مُوحِشاً طَلَلٌ قَدِيمٌ عَفَاهُ كُلُّ أَسْحَمَ مُسْتَدِيمُ[٣]

فنكّر صاحب الحال (طللٌ) لأنه تأخَّر، وتقدّمت الحال (موحشاً) عليه، ونحو قول الآخر[٤]:

وتَحْتَ الْعَوَالِي بالْقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِبَاءٌ أَعَارَتْهَا الْعُيُونَ الْجَآذِرُ[١]

(1) الديوان، ٩٤.
(2) الديوان، ٥٣٦.
(3) عَفاهُ: مَحاهُ، اسْحَم: أَسْوَد.
(4) شرح المفصل، ج٢/٤٦.

فصاحب الحال (ظباءٌ) نكرة، وحقُّه التعريف، وجاز تنكيره لِتأخره، وتقدُّم الحال (مستظلّةً) عليه، وثمّة سببٌ آخر حسّن تنكيرَه في هذا الموضع، وهو أنّ الحال المتقدّمة، هي في الأصل صفةٌ له، فلمّا تقدّمت، حسُن تنكيره، وجاز. ويجوز تنكيره إذا سُبِق بنفي أو نهي أو استفهام، فالأوّل نحو قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعۡلُومٌ ﴾[٢] فجاز تنكير صاحب الحال (قريةٍ) لأنه سُبِق بنفي، والثاني نحو قول ابن مالك في الألفيّة[٣]:

لا يَبْغِ امْرُؤٌ عَلَى امْرِىءٍ مُسْتَسْهِلا

فالذي سوّغ مجيء صاحب الحال (امرؤٌ) نكرةً وقوعُه في سياق النهي، والثالثُ نحوُ (أجاءك أحدٌ راكباً؟) وقول الشاعر[٤]:

يا صَاحِ هلْ حُمَّ عَيْشٌ باقياً فَتَرَى لِنَفْسِكَ الْعُذْرَ في إبْعادِهَا الأمَلا

والذي سوّغ مجيء صاحب الحال (عيشٌ) نكرة، وقوعُه بعد الاستفهام، أو إذا خُصِّصت النكرة بوصف، أو بإضافة إلى نكرة، فالتخصيصُ بالوصف نحوقوله تعالى:﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرًا مِّنۡ عِندِنَآ ﴾[٥] والتخصيصُ بالإضافة نحو قوله تعالى:﴿ فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٦] فصاحب الحال (أربعةٍ) نكرة، والذي سوّغ جواز تنكيره أنه خُصِّص بالإضافة إلى النكرة (أيامٍ) أو كانت الحال جملة مقرونة بالواو، كقوله تعالى:﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[٧] والذي سوّغ مجيء صاحب الحال (قرية) نكرة، وقوعُ الحال جملة

---

(١) العوالي: مفردها العالية، القسم الذي يلي السنان من قناة الرمح، والجآذر: مفردها الجؤذر، ولد البقرة الوحشية.
(2) الحجر، ٤.
(3) أوضح المسالك، ٣٥٠.
(4) جامع الدروس العربية، ج٣/٨٤.
(5) الدخان، ٤-٥.
(6) فصلت، ١٠.
(7) البقرة، ٢٥٩.

مسبوقة بالواو الحالية[١]

والحقيقة أن المعنى يختلف إذا تقدّمت الحال على صاحبها النكرة، فإذا قلت: (أقبل حافظاً رجلٌ) أفدت أن صاحب الحال (رجلٌ) جاءك في حالة حفظ دون أن يتّصف بهـا قبـل أن يأتيك، وإذا قلت:(أقبل رجلٌ حافظٌ)أفدت أن الرجل قد اتّصف بصفة الحفظ قبل أن يأتيـك، ومازال متّصفاً بها، وظهر هذا الفرقُ في المعنى من اختلاف معنيـي الحـال والـصفة، وكذلك إذا سبق صاحب الحال النكرة بنفي أو نهي أو اسـتفهام، أوتخـصّص بالوصـف أوبالإضافة إلى النكرة[٢]. ولم أجد لهذا التغيير شواهد في دواوين الشعراء الخمسة.

٣- تعريف ما حقُّه التنكير:

التنكير لا يدلّ على شيء معيّن أو معنى مخصّص، وإنّما شاع في جنسه، وشمل كلّ ما اندرج تحته. وثمّة عناصر لغويّة حقُّها التنكيرُ في الموضع النحوي الـذي تُـستخدَم فيـه كالخبر ومعمولي (لا) النافية للجنس والحال والتمييز وصفة النكـرة ومجـرور (ربّ)[٣]. فالخبرُ الأصل فيه أن يكون نكرة، قال ابن يعيش:" والفعل نكرة، لأنه موضـوع للخبـر، وحقيقة الخبر أن يكون نكرة، لأنه الجزء المستفاد، ولو كان الفعل معرفة، لـم يكـن فيـه للمخاطب فائدة، لأن حدّ الكلام أن تبتدىء بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنـت، ثمّ تأتي بالخبر الذي لا يعلمه لِيستفيده"[٤] وقال: "وقد ذكرنا أن حقيقـة الخبـر أن يكـون نكرة"[٥] ويجوز تعريف الخبر إذا كان المخاطب يعرف المبتدأ، ولا يعرف صلته بـالخبر، نحو (زيدٌ أخوك) فجئت بالخبر (أخوك) معرفة؛ لأن مَنْ تحدّثه يعرف المبتـدأ، ويجهـل صلة الأخوّة بينه وبين زيد، أو أراد المتكلم أن يُعلم المخاطب أنه يعرف الصلة بين المبتدأ والخبر كما يعرفه المخاطب، وذلك إذا لاحظ عليه أمارات الـشكّ والظـنّ، نحـو (زيـدٌ المنطلقُ) فعرّفت الخبر (المنطلقُ) لِتؤكّد للسامع أنك تعلم أن الانطلاق كان من زيـدٍ دون

---

(1) ينظر، شرح المفصل، ج٢/٦٢-٦٤، وأوضح المسالك، ٣٤٨-٣٥٠، وجامع الدروس العربية، ج٣/٨٣-٨٤، والنحو الوافي، ج٢/٣١٦-٣١٧.
(2) ينظر، معاني النحو، ج٢/٢٥٣-٢٥٦.
(3) ينظر، المصطلح النحوي، ١٢٢.
(4) شرح المفصل، ج١/٢٤.
(5) شرح المفصل، ج١/٢٥.

غيره كما يعلمه هو، ويجوز تعريفه ردّاً على مَنْ يُنكر الصلة بينه وبين المبتدأ، نحو (اللهُ ربُّنا، ومحمدٌ نبيُّنا) فلمّا رأيت مَنْ تحدِّثه يُنكِر عليك دعوى ربوبيّة الله ونبوّة محمد (ص) جئت بالخبرين (ربُّنا، ونبيُّنا) معرفتين، وإذا شكَّلت الجملة، ولم يكن أحدٌ يُنكر ذلك، كان كلامك على وجه التسبيح والتعظيم، ويجوز تعريفه إذا قصد المتكلم قصره على المبتدأ دون غيره، وتخصيصه به على سبيل الحقيقة أو الادّعاء والمبالغة، فالأول نحو قوله تعالى:﴿ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) فلمّا قصد قصْرَ معنيي التوبة والرحمة على ذاته تعالى، وتخصيصهما به، جاء بهما معرفتين، ونحو قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢) فقد قصر صفتي العلُوّ والعظمة على ذاته تعالى، ونفاهما عن غيره؛ ولهذا المعنى أورد الخبرين (العليُّ، والعظيمُ) معرفتين، والثاني نحو (زيدٌ الأميرُ) فقصرتَ صفة الإمارة على زيد، ونفيتها عن غيره على سبيل الادّعاء والمبالغة، ونحو (عمروٌ الشجاعُ) فقصرت صفة الشجاعة على عمروٍ دون غيره ادّعاء ومبالغة فعرّفت الخبر (الشجاعُ) وأخرجته في صورة تُوهِمُ أن الشجاعة لم توجَد إلّا فيه لِعدم الاعتداد بشجاعة غيره؛ لِقُصورها عن رتبة الكمال، ونحو قول الأعشى(٣):

هُوَ الْوَاهِبُ المائةَ الْمُصْطَفا ةَ إمّا مَخَاضاً وإمّا عِشَارا(٤)

فلمّا أراد أن يقصر صفة الوهب على المبتدأ (هو) ويخصّه بها، ويحصرها فيه، وينفيها عن غيره، ويبالغ في ذلك حتى تنصرف الأنظار إلى إعطائه وجوده، جاء بالخبر (الواهب) معرفة، وقد يكون الغرض من تعريفه الدلالةَ على الكمال، أي إن المبتدأ قد بلغ في اتّصافه بالخبر مبلغ الكمال والغاية في ذلك، نحو قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾(٥)

---

(1) البقرة،١٦٠.
(2) البقرة، ٢٥٥.
(3) الديوان، ١١٠.
(4) مخاضاً: الإبل التي دنت ولادتها،والعشار:الإبل الحوامل.
(5) البقرة، ٢.

أي الكتاب الكامل، ونحو قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(١) أي الكامل فيهما، ونحو قول ابن الرومي(٢):

هُوَ الرَّجلُ الْمَشْرُوكُ في جُلّ مَالِهِ ولَكِنَّهُ بالمجدِ والحَمْدِ مُفْرَدُ

والقصدُ أن الممدوح (هو) قد بلغ الكمال في صفات الرجولة، وكأنه قال: (اجتمعت فيه كلُّ صفات الرجولة) فلم يدع صفة من صفاتها أو شيئاً من محامدها إلّا وقد جمعها، وحصّلها، ونحو قول الفرزدق يهجو الحجّاج(٣):

زَمانَ هُوَ الْعَبْدُ الْمُقِرُّ بِذِلَّةٍ يُراوِحُ أبْناءَ الْقُرَى ويُغادِي

فلمّا أراد أن يُفيد أن المذموم المبتدأ (هو) قدبلغ الكمال في صفة العبودية والرّقة، جاء بالخبر (العبدُ) معرفة، وكأنه قال: (اجتمعت فيه كلُّ صفات العبودية) وقد يُعرَّف الخبر إذا قصد المتكلم تقريره للمبتدأ وتخصيصه به وبيان ثبوته له دون غيره، وأن ذلك لا يُشَكّ فيه، نحو قول حسان بن ثابت(٤):

وإنَّ سَنامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ ووالدُك الْعَبْدُ

فالخبر (العبدُ) ورد معرفة؛ لأن الغاية منه تقريره للمبتدأ (والدُك)(٥).

والحقيقةُ على ما يبدو أنّ تعريف الخبر يزيد اهتمام كلّ من المتكلم والسامع بالتركيب، و يجعل المعنى يسير في اتّجاه واحد بدل الاتّجاهات المتعدّدة، وليس للسامع أن يختار المعنى الذي يريد، أو أنْ يفهم الفهم الذي يهتدي إليه، فالمتكلمُ يريد أن يسيطر على فهم المتلقي، وقد يريد المتكلم كلّ المعاني السابقة في تركيب واحد أورد فيه الخبر معرفة. وإذا قصد المتكلم من تعريف الخبر أنْ يقصره على المبتدأ، أو يخصّه به دون غيره، أو يدلّ

---

(1) الأنعام، ١٨.
(2) ابن الرومي، الديوان، تح: حسين نصّار، بلا ذكر للطبعة والمطبعة والتاريخ، ج٢/٥٨٩.
(3) الديوان، ج١/٢١٢.
(4) الديوان، ٤٨.
(5) ينظر، الأصول في النحو، ج١/٦٥-٦٦، وشرح المفصل، ج١/٩٩، والإيضاح في علوم البلاغة، ٥٨-٥٩، وجامع الدروس العربية، ج١/٧٨، والمفصل في علوم البلاغة، ٢٠١، ومعاني النحو، ج١/١٠٩،،١٠٣، ١٥٥-١٦٥.

على كماله فيه، امتنع العطفُ على المبتدأ؛ لأنه يتنافى مع غــرض تعريــف الخبــر؛ لأن العطف إشراك المعطوف مع المبتدأ في الاتّصاف بالخبر، والمتكلم لا يريــد أن يُــشاركه أحدٌ فيه؛ لذلك لايجوز (زيدٌ الشجاعُ وعمروٌ) إذا أردت أن تقصر صفة الــشجاعة عليــه دون غيره[١]. وكثر في دواوين الشعراء الخمسة تعريف الخبر، ولعلّ في هذا دلالة علــى سعة استخدام هذا

التغيير النحوي الجائز. قال أبو ماضي[٢]:

أَنْتُمْ بَنُو وَطَنِي وأنتمْ إِخْوَتِي   وأنا امْرُؤٌ دِيْن الْمَحَبَّةِ دِيْنِي

عرّف الشاعر الخبر (بنو) والأصل تنكيره، فاستخدم المعرفة في ســياق هــو للنكــرة مستفيداً من القاعدة النحوية التي أجازت هذا الاستخدام إذا كان ثمّة معنــى يقــف وراءه، ولعل الشاعر قصد بتعريف الخبر (بنو) أنه يعرف، ويعلم أنه أحد أبناء وطنه، وأنّه أحــد الذين شملهم المبتدأ (أنت) وأن بلاد الهجرة لم تغيّر في وطنيّته وعقيدته وأخوّته شيئاً، فهو مازال لبنانيّاً، وأبناؤه مواطنوه وإخوته، وعقيدتهم عقيدته، فأراد أن يخبرهم أنه يعرف هذه الحقائق تماماً مثلما يعرفونها. وقال البارودي[٣]:

أنا مَصْدَرُ الْكَلِمِ النَّوادِي   بَيْنَ الْحَوَاضِرِ والْبَوَادِي[٤]

أنا فارسٌ أنا شاعِـــــرٌ   في كُلِّ مَلْحَمَةٍ ونَــادِي

أورد الشاعر الخبر (مصدر) معرفة بخلاف استخدامه الأصل، ولعل معنى ما يكمن وراء تعريفه، والظنُّ أنه يردّ على منكر عليه ما ادّعاه، أو توقّع أن أحداً ما قد ينكر عليه فَخْرَه. فقد فخر الشاعر بشعره الذي علا، واشتهر في كلّ مكان، وكأنّ منكراً ردّ عليه ذلــك، أو وقع في وهمه أنّ منكراً ما قد يردّ عليه ما ادّعاه، فأراد أن يحتاط لمعناه وفخــره؛ حتّــى

---

(1) ينظر، الإيضاح في علوم البلاغة، ٥٩، ومعاني النحو، ج١٦١/١.
(2) الديوان، ٥٩١.
(3) الديوان، ج٢٤٢/١-٢٤٣.
(4) النوادي: جمع نادية: وهو بعدُ ذهاب الصوت.

يدفع الشكّ واللبس عنهما، فاستفاد من سعة اللغة وإمكانيات القاعدة النحوية، فعرّف الخبر (مصدر). وقال بدر الدين الحامد[١]:

اللهُ معبودُنا واللهُ خالقُنا وأنتَ فينا رسولٌ منهُ مَعْصومُ

استخدم الشاعر الخبرين (معبودنا، وخالقنا) معرفتين، وهذا الموضع من التركيب، هو في الأصل للنكرة إلّا أن سعيَ الشاعر لإفادة معنى التّسبيح والتّعبُّد كان من وراء هذا التعريف، ولعله أراد أن يُقرّ بعبوديّته لله تعالى، وأنه أحد مخلوقاته تجديداً لإيمانه، وكسباً لثواب تسبيحه. وقال البارودي[٢]:

سَلْ مَالِكَ الْمُلْكِ فَهْوَ الآمِرُ النَّاهِي ولا تَخَفْ عَادِيَاً فَالْحُكْمُ لِلَّهِ

الأصل في الخبرين (الآمر، والناهي) أن يكونا نكرتين، لكن الشاعر غيّر صيغتهما، فأوردهما معرفتين؛ لِيقصرهما على سبيل الحقيقة على المبتدأ (هو) ويخصّه بهما دون سواه، وهو بذلك أدّى معنيين بتركيب واحد، الأوّل قصْرُ صفتي الأمر والنهي على الله سبحانه وتعالى، والثاني نفيُهما عن سواه، فانتقل المعنى من الشيوع والعموم إلى التخصيص والتحديد. وقال الشابي[٣]:

أنتِ الشّعُورُ الْحَيُّ يَزْخَرُ دَافِقَاً كالنَّارِ في رُوحِ الْوُجُودِ النَّامِي

غيَّر الشاعرُ صيغةَ الخبر (الشُّعورُ) ولو أنّه نكَّره، وقال:(أنتِ شعورٌ حيٌّ) لأفاد أن الشعور الحيّ موجود في المبتدأ (أنتِ) دون أن ينفي وجوده في غيره، وهذا خلاف المقصود. وقال السياب[٤]:

كَلا سَأَزْجُرُ عَنْ هَوَاهَا خَافِقِي فَيُطِيْعُنِي وَهْوَ الذَّلِيلُ الصَّاغِرُ

---

(1) الديوان، ج٢/٦٧٣.
(2) الديوان، ج٤/١٧٩.
(3) الديوان، ٣٦٢.
(4) الديوان، ٤٧٨.

عرّف الشاعرُ الخبرين (الذليل، والصاغر) فاتّبع القاعدة النحوية الفرعية التـــي تُجيـــز تعريفه إذا كان تنكيره لا يؤدّي المعنى الذي يؤدّيه تعريفه، والظنُّ أن الـــشاعر عرّفهمـــا للدلالة على أن المبتدأ (هو) قد بلغ الكمال في اتّصافه بهما، فقد جمع كلّ خصائص الـــذلّ والصّغار، وكأنه قال: (تكاملت فيه صفات الذليل الصاغر).

والنتيجة أن تعريف الخبر تغيير نحوي أجازته القاعدة النحوية لأداء معنـــى لا يؤدّيـــه، وهو نكرة. فتعريفُه يحفظ قيمة التركيب، ويجلب إليه عناية المتلقي الذي لا يفتـــأ يبحـــث، ويتمعّن في هذا المعنى الجديد الذي كان تعريفُ الخبر وراءه.

والأصل في **اسم (لا) النافية للجـــنس** العاملـــة عمـــل (إنّ) أن يكـــون نكـــرة، قـــال الزمخشري: "وحقُّه أن يكون نكرة"، وقال سيبويه: "واعلم أن كلّ شيء حسُن لك أن تعمـــل فيه (ربّ) حسن لك أن تعمل فيه(لا)"[1] ويجوز أن يأتي معرفة إذا أمكن تأويلهـــا بنكـــرة يُقصَد بها الجنس، وذلك إذا كان علماً مشتهراً بصفة؛ لأن المعنى لا يكون على نفي اســـم العلم المعرفة، وإنّما على نفي جنس مَنْ اتّصف بصفاتهم، قال ابن يعيش: "فالعلم إذا اشتهر بمعنى من المعاني ينزل بمنزلة الجنس الدّالّ على ذلك المعنى"[2] نحو قول ابـــن الزَّبيـــر الأسديّ[3]:

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ   نَكِدْنَ ولاأُمَيَّةَ في الْبِلادِ

والمعنى (ولا أمثالَ أمية) ونحو (قضيةٌ ولاأبا حسن لها) والمعنى (لافيصل لها)[4].

والمتكلم يستعمل هذا التعبير إذا كان في ظرف يحتاج فيه إلى مثل هذا الـــشخص، ولا يجد مَنْ يُعينه في حلّ مشكلته، فينفي وجود شخص مثله نفياً عامّاً، والنفي ليس على سبيل الخصوص كما هو ظاهر العبارة، وإنّما على سبيل العموم، فابنُ الزَّبير قصد عبدالله بـــن

---

(1) المفصل، ٩٧.
(2) شرح المفصل، ج٢/١٠٤.
(3) ابن الزَّبير الأسديّ، عبدالله، الديوان، تح: يحيى الجبوري، العراق، وزارة الإعلام، ١٤٩٤هـ-١٩٧٤م، ١٤٧.
(4) ينظر، الكتاب، ج٢/٢٩٧، والمقتضب، ج٤/٣٦٢-٣٦٣، والأصول في النحو، ج١/٣٨٢-٣٨٣، والمفصل، ٩٧-٩٩، وشرح المفصل، ج٢/١٠٣-١٠٤، وجامع الدروس العربية، ج٢/٣٥٥، ومعاني النحو، ج١/٣٣٦-٣٣٨.

الزُّبير وطلب منه زاداً وراحلة، فلمّا لم يُعطه، قال ذلك مُظهراً افتقاره إلى رجل مثل أميّة في قضاء الحاجات. وهذا التغيير لم يستخدمه الشعراء الخمسة في أشعارهم، ولعل فيه دلالة على أنهم لايتركون القاعدة النحوية الأصل إلى القاعدة الفرعية الجائزة إذا لم يكن المعنى يُحيجهم إلى ذلك. ممّا يعني أن التغيير النحوي الجائز في أساليبهم وتراكيبهم، إنّما صدر عنهم عن وعي وإدراك، ولم يأت عفو الخاطر.

والأصل في **الحال أن تكون نكرة** : "وفي باب الحال يصرِّح النحاةُ باشتراط تنكيرها، وتأويل ما جاء معرفاً منها بالنكرة، ويقررون أنّ الحال ومن أحكامها التنكير تجيء في صور المشتق أوالمؤوّل به ..."(١) ويجوز أن تأتي الحال معرفة تؤول بنكرة خلافاً لأصل وضعها، وذلك إذا كانت مصدراً مضافاً أو معرفاً بـ (ال) أو معدولاً إلى وزن (فعالِ)، فالأول نحو قول لبيد بن ربيعة(٢)

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ ولم يَذُدْهَا ولم يُشْفِقْ عَلَى نَغَصِ الدِّخَالِ(٣)

والتقدير: (فأرسلها معتركةً) فلما قصد هذا المعنى، جاز أن يورد الحال (العِراك) معرفةً. والثاني نحو: (فعل ذلك جَهدَه) والمعنى: (فعل ذلك مجتهداً) والثالث نحو قول حسان بن ثابت(٤):

كُنَّا ثَمَانِيَةً وكانُوا جَحْفَلاً لَجَباً فَشُلُّوا بالرِّمَاحِ بَدادِ

والمعنى: (متبدّدين) وقد تكون معرفة في غير ذلك، نحو (جاؤوا الجمّاء الغفير) أي (جميعاً) و (ادخلوا الأوّلَ فالأوّلَ) أي (مرتّبين)(٥). وكثرت في دواوين الشعراء الخمسة

---

(1) المصطلح النحوي، ١٣٦.
(2) الديوان، ١٠٨.
(3) العراك: أوردها جماعة معتركة، ولم يُشفق: لم يبال أن ينغّص عليها الشرب.
(4) الديوان، ٥٢.
(5) ينظر، المقتضب، ج٣/٢٣٧، والإيضاح العضدي، ٢٠٠، والمفصل، ٨١، وشرح المفصل، ج٢/٦٢-٦٣، ج٤/٥٤-٥٥، وشرح جمل الزجاجي، ج١/٣٤٣-٣٤٤، وأوضح المسالك، ٢٤٧، وجامع الدروس العربية، ج٣/٧٨-٧٩، والنحو الوافي، ج٢/٢٦٩-٢٩٧.

التراكيب التي وردت فيها الحال معرفة، والغالب عليها التعريف اللفظي لا الحقيقي. قال أبو ماضي[١]:

لم يَسَعْ سِرِّي فُؤَادِي، لم تَسَعْ نَفْسِي المعانِي
فَقَصَدْتُ الْغابَ وَحْدِي، والدُّجَى مُلْقَى الْجِرَانِ[٢]
ودَفَنْتُ السِّرَّ فِيهِ مِثْلَمَا يُدْفَنُ جَانِ

عرّف الشاعر الحال (وحدي) والأصلُ في الاستعمال النحوي تنكيرُها، وجاز تعريفها في هذا السياق؛ لأنها بمعنى المشتق النكرة (منفرداً) فلمّا كانت بمعناه، جاز أن تحلّ محلّه في التركيب. والظاهرُ أن الحال المعرفة (وحدي) فيها دلالة على حالة الوحدة والانفراد، والشاعر يقصد الغاب، أكثر من دلالة النكرة (منفرداً) وكأن الحال النكرة (منفرداً) فيها مجال للشكّ، أمّا الحال المعرفة (وحدي) فتدفعه، وتوحي أن ما زعمه الشاعر من قصده الغاب، وهو في هذه الحالة، حقيقة لا لبس فيها، فصار بذلك تعريفُ الحال احتياطاً للمعنى وتقوية له. وقال السياب[٣]:

هِيَ وَمْضَةٌ أَلْقَى الْوُجُودَ بِهَا   جَذْلانَ يَرْقُصُ عَارِيَ الْقَدَمِ

غيّر الشاعر صيغة الحال (عاريَ) فأوردها معرفة بدل أن يوردها نكرة، والقاعدة النحوية تُجيز هذا التغيير؛ لأن التعريف ههنا لفظي لا حقيقي؛ لأن الحال (عاريَ) مشتقّ أُضِيف إلى معموله فهو اسم فاعل أُضِيف إلى فاعله. وربّما وقف المعنى وراء هذا التغيير؛ لأن الشاعر لو نكَّر الحال، وقال: (يرقص عارياً) ظلّ المعنى مبهماً غامضاً، وظنّ المتلقي أنه يرقص عاري الجسد، و هذا خلاف المقصود، فلابدّ من التوضيح ودفع اللبس والوهم عن المعنى الذي يؤدّيه التركيب، فعرّف الحال (عاريَ) بإضافتها إلى القدم، فاتّضح المعنى، وعُرِف أن الفاعل الذي استمرّ رقْصُهُ، كانت قدمُه عاريةً فحسب، فانتقل

(1) الديوان، ٥٧٢.
(2) الجران: باطن العنق أومقدّمه من البعير ونحوه، جمعه: أَجْرِنةٌ وجُرُنٌ.
(3) الديوان، ٥٩.

المعنى من العموم إلى الخصوص، ومن الدلالة الاحتمالية إلى الدلالة القطعية. وقال البارودي[(١)]:

ودُمْ على الدَّهْرِ في مُلْكٍ تَعِيشُ بِهِ مُرَفَّهَ النَّفْسِ حَتَّى نَفْخَةِ الصُّورِ

احتاط الشاعر لمعناه، وقوّاه، ودفع عنه اللبس والغموض، ونقله إلى الوضوح، فعرّف الحال (مُرَفَّهَ) بإضافتها إلى (النفس) للدلالة على أن الفاعل الذي دعا له بدوام ملكه وعيشه، هذه حالته، ولو قال: (تعيش بها مرفَّهاً) لأوهم أن الترفيه مقصود به الغنى من الأموال والقصور والأمتعة، ولمّا كانت هذه الأشياء غير كافية لتحقيق السعادة والراحة، وهي غير مقصودة لدى الشاعر، عرّف الحال (مرفَّه) فخصّصها، وحدّدها، وأوحى إلى المتلقي أنه عليه أن ينتبه إلى هذه الحالة حالة النفس المرفَّهة التي تشمل كلَّ الحالات. والذي أجاز تعريف الحال (مرفَّه) في هذا السياق أنّها اسمُ مفعول أُضيف إلى معموله. وقال الشابي[(٢)]:

وَآَبَتْ طُيُورُ الْفَضَاءِ الْجَمِيلِ لأوكارِهَا فَرِحَاتِ الْقُلُوبْ[(٣)]

جاء الشاعر بالحال (فرحاتِ) معرفة بدل أن يأتي بها نكرة، وهذا تغيير نحوي أجازته القاعدة النحوية. والذي سوّغ له تعريفها في هذا السياق، أنها مشتقّ أُضِيف إلى معموله، فهي صفة مشبَّهة باسم الفاعل أُضِيفت إلى فاعلها (القلوب) وهذا التعريفُ لفظيّ لا حقيقيّ. والظاهرُ أن المعنى وراءه، فلو قال الشاعر: (وآبت طيورُ...فرحاتٍ) بتنكير الحال (فرحاتٍ) لَظلّ الخبر الذي ألقاه من عودة الطيور إلى أوكارها في هذه الحالة موضع شكٍّ، وهو لا يريد أن يشكّ أحدٌ فيه، فلمّا عرّف الحال (فرحاتِ) بإضافتها إلى (القلوب) أكّد عودة الطيور إلى أعشاشها بهذه الحال، وكأن تعريف الحال احتياطٌ لمعناها وتقويةٌ له.

---

(1) الديوان، ج٢/٤٠.
(2) الديوان، ١٩٣.
(3) آبت: عادت، وأوكارها: أعشاشها.

والأصل في مجرور (ربّ) أن يكون نكرة، ويجوز تعريفُه إذا كان مشتقّاً مضافاً إلى معموله؛ لأن الإضافة شكليّة لا تُكسبه التعريف المعنوي، نحو قول جرير[١]:

يا رُبَّ غَابِطِنا لَوْ كانَ يَطْلُبُكُمْ　　　لاقَى مُباعَدَةً مِنْكُمْ وحِرْمَانَا

فـ (غابطنا) مجرور بـ (ربّ) وهو معرفة، وجاز أن يقع في موقع النكرة؛ لأنه اسمُ فاعل أُضيف إلى فاعله (نا) دون أن يَفقد معنى التنكير، فمحافظته على معناه الأصليّ مكّنته من الحلول في موضع نحويّ، هو في الأصل للنكرة دون المعرفة، ويجوز أن تدخل (ربّ) على المعرفة إذا كانت من الألفاظ الموغلة في التنكير، وكانت مضافة؛ لأن الإضافة لا تُفقدها معنى التنكير، نحو قول أبي محجن الثقفيّ[٢]:

يا رُبَّ مِثْلِكِ في النّساءِ غَرِيْرَةٍ　　　بَيْضَاءَ قَدْ مَتَّعْتُهَا بِطَلَاقِ

فالذي أجاز وقوع المعرفة (مثلِكِ) في موضع الجرّ بـ (ربَّ)الذي هو للنكرة، أنّها مُوغلة في معنى التنكير، وأنّ الإضافة لم تَسلبها هذا المعنى، ويجوز أن يأتي مجرور (ربّ) معرفة إذا كان ضميراً، ويُشترَط فيه أن يكون هاء الغائب للمفرد المذكَّر ملتزماً هذه الحالة، وأن يُفسَّر بتمييز يُطابق معناه، نحو (رُبّه رجلاً أكرمتُ، وربّه رجلين أكرمتُ، ورُبّه رجالاً أكرمتُ، ورُبّه نساءً أكرمتُ) ويكون هذا في موضع التفخيم والتعظيم.[٣] ولم ترد له شواهد في الدواوين المدروسة.

٤- عطف الشيء على مرادفه:

الأصل في العطف أن يُغاير المعطوفُ ما عُطِف عليه، ويجوز عطف الشيء على مرادفه في المعنى أو ما كان قريباً منه في المعنى خلافاً لأصل الوضع في باب العطف، ويكون هذا في الأسماء والأفعال والجمل، فالأوّل نحو قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي

(1) الديوان، ٥٩٥.
(2) غير موجود في الديوان. ينظر، الكتاب، ج٤٢٧/١، والمقتضب، ج٢٨٩/٤، والمفصل،١١٠.
(3) ينظر، المقتضب، ج١٥٠/٤، والأصول في النحو، ج٤١٩/١، والمفصل، ١٠٩-١١٠، وشرح المفصل، ج١٢٦/٢،ج١١٨/٣، ج٢٨/٨، وشرح جمل الزجاجي، ج٥١٣/١-٥١٤، وأوضح المسالك، ٤٠٤، وجامع الدروس العربية، ج١٨٨/٣، والنحو الوافي، ج٢٩/٣، ومعاني النحو، ج٣٤/٣-٣٥.

﴿وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1] ونحو قوله تعالى:﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[2] فعطف الأمت على العوج، ومعناهما واحد، ونحو قول الشاعر[3]:

ألا حبّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ   وهندٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ والْبُعْدُ

فعطف (البعد) على (النأي) ومعناهما واحد، والثاني نحو قوله تعالى:﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾[4] فعطف الفعل (تخشى) على الفعل (تخاف) ومعناهما واحد، ونحو قوله تعالى: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴾[5] فعطف الفعل (تذر) على الفعل (تبقي) ومعناهما واحد، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾[6] فعطف الفعل (بسر) على الفعل (عبس) ومعناهما واحد، والثالثُ نحو قوله تعالى:﴿ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴾[7] فعطف جملة (أولى لك فأولى) على جملة (أولى لك فأولى) ومعناهما واحد. وإذا عُطِف الشيء على مرادفه، لَزِم أن يكون العاطف بينهما الواو، ويجوز على قِلّة أن تحلّ (أو) محلّها، نحو قوله تعالى:﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ﴾[8] فعطف (إثماً) على مرادفه في المعنى (خطيئة) بـ (أو) بدل الواو، والذي أجاز العطف هنا اختلافُ لفظيهما.

والحقيقة أن عطف الشيء على مرادفه تغيير نحويّ جائز واستعمالٌ جديد يقف وراءه المعنى؛ لأن الغرض منه إفادة معنى جديد، وإلّا امتنع؛ لأن العطف يكون زيادةً لامعنى ولافائدة فيه، فالمتكلمُ يعطف الشيء على مرادفه في المعنى توكيداً واحتياطاً له بغية تثبيته وتوكيده في النفس[9]. فقد عُطِف الفعل (لا تخشى) على الفعل (لا تخاف) للزيادة في تطمين موسى عليه السلام، وعطف الشاعر (البعد) على (النأي) لِيؤكِّد أن ذلك قد وقع بينه

---

(1) يوسف، ٨٦.
(2) طه، ١٠٧.
(3) شرح المفصل، ج١/١٠.
(4) طه، ٧٧.
(5) المدثر، ٢٨.
(6) المدثر، ٢٢.
(7) القيامة، ٣٤-٣٥.
(8) النساء، ١١٢.
(9) ينظر، شرح المفصل، ج١/١٠، والبرهان في علوم القرآن، ج٢/٢٩٠-٢٩١، ج٤/٧٤، والنحو الوافي، ج٣/٤٥٧، ٤٩٣، ومعاني النحو، ج٣/١٩٩-٢٠١، وحروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، ٥٤، والجملة العربية والمعنى، ١٩٠، ١٣٠.

وبين هند، وهو من باب المبالغة في الحكم والمعنى. وقلّتِ التراكيبُ التي عُطِف فيها اللفظ على مرادفه في المعنى أو على مُماثله في اللفظ في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي(١):

مِنْ كُلِّ حَوْرَاءَ مِثْلِ الظَّبْيِ لَوْ نَظَرَتْ   لِعابِدٍ لَشَجاهُ اللَّهْوُ والدَّدَنُ(٢)

عطف الشاعر (الددن) على اللهو، والأصلُ ألّا يعطفه عليه؛ لأنهما مترادفان في المعنى، وهذا تغيير نحويّ جائز في إقامة علاقة التبعيّة العطفيّة بين اسمين مترادفين في المعنى، ولعلّ اختلاف لفظيهما قد سوّغ له هذا العطف. والظنُّ أن المعنى هو الذي يقف وراء هذا العطف، فقد زعم الشاعر أنّ المرأة الحسناء البيضاء التي تُشبه الظبي في جمالها وحسنها وبياضها تصرفُ العابدَ الذي نظرت إليه عن عبادته إلى اللهو واللعب، أي إنّها تفتنه، وهو الغنيّ بعبادته وزهده وتقواه عن حسنها، ولعلّه خمّن أن معناه في موضع شكٍّ وتردّد من المتلقّي الذي قد يظنّ أن ما صوّره الشاعرُ من حُسْن المرأة مبالَغٌ فيه، وتأثيره في الآخرين ليس بالدّرجة التي زعمها الشاعر، فأراد أن يحتاط لمعناه حتّى لا يَفقد قيمته، فأكّده، فعطف

(الدّدن) على مرادفه في المعنى (اللهوُ). وقال البارودي(٣):

دَعِ الْفَخارَ وخُذْ فيما خُلِقْتَ لَـــهُ   مِنَ الصَّغارِ فإنّ الطَّبْعَ إلْزَامُ

وَاذْكُرْ مَكَانَكَ مِن"عَبّاسَ"حَيْثُ مَضَتْ   عليك في الدار أعوامٌ وأعوامُ(٤)

غيّر الشاعرُ شكلَ علاقة التبعيّة العطفيّة، فعطف الشيء على لفظه ومعناه، فعطف (أعوام) على (أعوام) ولعل المعنى يقف وراء هذا التغيير؛ حتّى لا يكون التركيب سَمْجاً ساذَجاً غُفلاً من إشارة معنوية طريفة، فالشاعر يهجو شخصاً لايُسمّيه، ويطلب إليه أن

(1) الديوان، ج٤/٢٩.
(2) الحوراء من النساء: البيضاء، والظبي: الغزال، وتشبّه حسان النساء بالظبي، وشَجاه: أحزنه ،وشغل باله، والدّدَن: اللّهو واللّعب.
(3) الديوان، ج٣/٤٧٣.
(4) عبّاس: هو الخديوي: عبّاس بن طوسون بن محمد علي رأس الأسرة المحمدية العلويّة التي حكمت مصر.

يترك الفخر، ويتذكَّر ذُلّه وخموله أيّام الخديوي عبّاس، ولاشكَّ أن هذا المعنى يُؤلم المهجوّ، ولاسيّما إذا استمرّ أعواماً، فلمّا أراد الشاعر زيادة ألمه، بالغ في تكثير الأعوام التي قضاها المهجوُّ خاملاً ذليلاً في فترة حكم الخديوي عبّاس بالرّغم من أنَّها لم تدُم سوى ستّة أعوام، فكان عطفُ الاسم على لفظه ومعناه سبيلاً إلى هذه المبالغة والتكثير. وقال بدر الدين الحامد(١):

يَبْكِي الْعِصامِيُّ الأبيُّ الّذي　　　مَا ذَلَّ في يومٍ ولا هَانا

الأصل ألّا يعطف الشاعر الفعل (هان) على الفعل (ذلّ) لأنه مرادفه في المعنى، لكنّه غيّر، فعطفه عليه، والقاعدةُ النحوية تُجيز هذا التغيير إذا كان ثمّة معنى يقف وراءه، ولعلّ توكيد معنى نفي الذّلّ عن العِصاميّ الأبيّ الباكي سببُ هذا العطف، فقد نفى الشاعرُ الذُّلَّ عن العصاميّ الأبيّ، ولَمّا كان نفيُه عرضة للشكّ والرّدّ؛ لأنه خبر ينقله الشاعر، ويزعمه، وليس بالضرورة أن يقتنع المتلقي به، والشاعرُ يسعى إلى إقناعه به، احتاط له، فأكّده، فعطف عليه ما رادفه في معناه، ولعلّ زيادة (لا) النافية بعد الواو العاطفة يدعم ما زعمتُهُ.

٥- استخدام (على، وعَنْ) اسماً:

الأصل في (على، وعن) أن يستعملا في التركيب النحوي حرفي جرٍّ، يجرّان الظاهر والمضمر، ويجوز أن يتركا معنى الحرفية إلى الاسمية إذا دخل عليهما حرف جرّ، فينتقلان من باب الحروف العاملة إلى باب الأسماء، فيصيران معمولين يدلّان على مكان الحدث بعد أن كانا عاملين، نحو قول مزاحم العقيليّ(٢):

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ بَعْدَمَا تَمَّ ظِمْؤُهَا　　　تَصِلُّ وعَنْ قَيْضٍ بِزَيزاءَ مَجْهَلِ(٣)

---

(1) الديوان، ج٢/٤٦٤.
(2) المتبع في شرح اللمع، ج١/٣٧٥، وشرح المفصل، ج٨/٣٨، والأزهية،١٩٤.
(3) تصلّ: تصوّت من شدّة العطش، والقَيْضُ: قشر البيضة الأعلى، والزَّيزاء: الفلاة، ومَجْهَل: لاعلم لها بها.

فأدخل (من) الجارّة على (على) الذي غدا اسماً بمعنى (فوق) وكأنه قال: (غـدت مـن فوقه) ونحو قول يزيد بن الطِّثْريَّة[١]:

غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَما   رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى فَتَرَفَّعَا

فتحوّل (على) من الحرفية إلى الاسمية لدخول (من) الجارّة عليـه، ومعنـاه الظـرفُ، فكأنه قال: (غدتْ من عند فرخها) وهو يعني القطاة، ومثال استخدام (عـن) اسـماً قـول قطريّ بن الفُجاءة[٢]:

فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرِّماحِ دَرِيئَةً   مِنْ عَنْ يَمِينِي تَارَةً وأَمَامِي

فعبّر بـ (عن) عن معنى الظرف (جانب، أو جهة، أو ناحية) وكأنه قال: (من جانـب يميني) وبذلك هجر (عن) حرفيّته إلى الاسميّة الظرفية؛ ولذلك جازت إضافته إلى (يميني) وقول القَطَاميّ[٣]:

فَقُلْتُ لِلرَّكْبِ لَمّا أَنْ عَلا بِهِمُ   مِنْ عَنْ يَمِينِ الْحُبَيَّا نَظْرَةٌ قَبَلُ[٤]

فأدخل (من) الجارّة على (عن) فغدا اسماً بمعنى ظرف المكان (جانب) ومن هنا جازت إضافته إلى (يمين) لأن انتقاله إلى باب الاسمية غيّر علاقاته النحوية مع عناصر التركيب ونحو قول الشاعر[٥]:

عَلَى عَنْ يَمِينِي مَرَّتِ الطَّيْرُ سُنَّحاً   وكَيْفَ سُنُوحٌ والْيَمِينُ قَطِيعُ[٦]

إن استخدام (على، وعن) اسمين ضَرْبٌ من الاتّساع في استخدام اللغة، والذي حملهـم على ذلك كثرةُ استعمالهما[٧]، وهو من باب الجواز النحوي في استخدام العنصر اللغـوي

(1) ابن الطثرية، يزيد، شعره، تح: ناصر السيّد، دار الوثبة، دمشق، بلا تاريخ، ٨٧.
(2)الخوارج، الديوان، تح: نايف معروف، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١٧١.
(3)القطامي، الديوان، تح:إبراهيم السامرّائيّ وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، ١٩٦٠م، ٢٨.
(4) الحُبيّا: اسم موضع.
(5) ارتشاف الضرب، ج١٧٢٩/٤.
(6) السّنوح: مفرده السّانح، وهو الذي يأتي من اليمين، والعرب يتيّمنون به.
(7) ينظر، معاني الحروف، ١٠٧-١٠٨، والمتبع في شرح اللمع، ج٣٧٤/١-٣٧٥، وشرح المفصل، ج٣٨/٨-٤٠، والأزهية، ١٩٤، وارتشاف الضرب، ج١٧٢٩/٤، ومعاني النحو، ج٤١/٣ ،٤٥-٤٦.

في موضع من التركيب ليس له في الأصل، ويبدو أنّ التعبير عن الظــرف بـــ (علــى، وعن) أقوى من التعبير عنه بلفظه المعتاد، وإلّا كان التغييرُ ضرباً مـن التزيّـد الـذي لا معنى وراءه، فإذا قلت: (جئتُ عن يمينه) قصدت أنّ مجيئك منحـرف عـن يمينـه، وإذا قلت: (جئت من عن يمينه) عنيتَ أن مجيئك كان منحرفاً عن يمينه منذ البداية[1]. ولم أجد له استخداماً في الدواوين المدروسة.

٦- الخبر من لفظ المبتدأ:

الأصل في الخبر أن يُغاير لفظَ المبتدأ، ويجوز أن يُخبر عن المبتدأ بخبـر مـن لفظـه ومعناه إذا قامت قرينة معنوية تدلّ على إرادة معنى زائد فيه، نحو (والدُ محمدٍ والدٌ) فاتّفق لفظ الخبر (والدٌ) مع لفظ المبتدأ (والدُ) للدلالة على معنى العظمة، وقـد يكـون الغـرضُ الدلالةَ على شهرة المبتدأ، أو عدم تغيّره وثبوته على الحال المعهودة له، أو بلوغه الغايـة التامّة في الخبر، فالأوّلُ نحو (زيدٌ زيدٌ) بمعنى أنه لم يتغيّر، وهذه هي حالتـه المعهـودة المعروفة المشهورة من رفعة أو دناءة أو كرم أو اجتهاد أو كسل أو بخل، ونحـو قولـه تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[2] فاتّفق لفظ الخبـر (الـسابقون) مـع لفـظ المبتـدأ (السابقون) للدلالة على ثبوتهم علـى هذه الحالة، ومثله قول أبي النجم[3]:

أنا أَبُو النَّجْمِ وشِعْرِي شِعْرِي

فجاء بالخبر (شعري) من لفظ المبتدأ (شعري) لِيـدلّ علـى أن شـعره علـى حالتـه المشهورة المعهودة، ولم يتغير، وأنه قد بلغ الكمـال والغايـة فـي الـشعرية والـشهرة والفصاحة والمكانة و البلاغة، ويُضاف إلى ذلك ما يريده المتكلم مـن معـاني المبالغـة

---

(1) ينظر معاني النحو، ج٣/٤٦-٤٩.
(2) الواقعة، ١٠.
(3) الديوان، ٩٩.

والفخر والتوكيد[١]. وكثر استخدام الخبر من لفظ المبتدأ في دواوين الشعراء الخمسة. قال البارودي[٢]:

رِجَالٌ أُوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ ونَجْدَةٍ فَقَوَلُهُمْ قَوْلٌ وفِعْلُهُمْ فِعْلُ

أقام الشاعر علاقة إسناد نحوية بين المبتدأ (قولهم) والخبر (قولٌ) وعلاقة إسنادية أخرى بين المبتدأ (فعلُهم) والخبر (فعلٌ) والملاحظ أنه في التركيبين الإسناديين الاسميين جعل الخبر من لفظ المبتدأ، وليس الأصل كذلك، فترك الشاعر القاعدة الأصل في إقامة الإسناد بين المبتدأ والخبر، واتّبع قاعدة فرعية تُجيز هذا الاستخدام، وهذا تغيير نحوي جائز، لعل معنى ما يقف وراءه، فالشاعر يفتخر بالرجال الذين وصفهم بالبأس الشديد والنَّجدة وبالمحافظة على ما يصدر منهم من قول وفعل، وأراد أن يؤكِّد شهرتهم بحفاظهم على أقوالهم، وأن أفعالهم أيّاً كانت ترتقي إلى درجة الفعل المتكامل الذي لا يستطيع أحدٌ أن يخفّف من شأنه. وقال الشابّي[٣]:

والشَّعْبُ بَيْنَهُما قَطِيع ضَائِعٌ دُنْيَاهُ دُنْيَا مَأْكَلٍ وشَرَابِ

أسند الشاعر الخبر (دنيا) إلى المبتدأ (دنياهُ) فجاء بالخبر من لفظ المبتدأ، وهذا تغييرٌ في بنية التركيب تُجيزه القاعدة النحوية؛ لأن الشاعر رُبّما قصد معنى لا يؤدّيه التركيب المعهود، ولعلّه أراد أن يُفيد أن الشعب الذي يذمّه، والذي شبّهه بالقطيع الضائع، هذه حالته المعهودة الثابتة، فهو لا يعرف من الدنيا سوى الأكل والشرب، وهذا إمعانٌ في ذمّه والحطِّ من شأنه، ومبالغةٌ في إيلامه وتوجيه اللوم إليه. وقال أبو ماضي[٤]:

السّيَفُ ليسَ يَعِيبُهُ مَشْيُ الْخَلُوقَةِ في القِرابْ

والخمرُ خمرٌ في إناء من لُجَيْنٍ أو تُرابْ

(1) ينظر، شرح المفصل، ج٩٩/١، والبرهان في علوم القرآن، ج١٤١/٢، والنحو الوافي، ج٤٠٢/١، ومعاني النحو، ج١٦٧/١-١٦٩.
(2) الديوان، ٥٣/٣.
(3) الديوان، ٣٦٨.
(4) الديوان، ١٥٠.

أورد الشاعر الخبر (خمرٌ)من لفظ المبتدأ (الخمرُ) وهذا تغيير في الأسلوب، وتحوُّلٌ من التعبير لأداء معنى ليس للتركيب الأصل أن يؤدّيه، فالشاعرُ يستفيد من إمكانيــات اللغــة وسعتها ومن القاعدة النحوية التي أجازت هذا التغيير، ولعله قصد بهذا التغيير أنّ المبتــدأ (الخمرُ) ثابتٌ على حالته المعهودة وصفاته المعروفة التي لا تتغيّر، ولا تتبدّل، وإنْ تبــدّلَ جنسُ الإناء الذي سُكِب فيه، والمتلقي إنَّما ينبغي أن ينتبه إلى هــذه الحقيقة، وألّا ينخــدع بغيرها، وكأنّ في هذا التغيير إيقاظاً للمتلقي من الغفلة وتحذيراً له من الوقوع في مــشكلة فهم المعنى بخلاف المقصود، وكأنّ الشاعر بهذا التغيير يحتاط لمعناه.

٧- رفع جواب الشرط الجازم:

الأصل في جواب الشرط الجازم إذا كان مضارعاً أن يُجزم، ويجــوز رفعــه خلافــاً للأصل إذا كان فعل الشرط ماضياً، نحو (إن جئتني أزورُك) ونحو قول زهير[١]:

وإنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ   يَقُولُ لاغَائِبٌ مَالِي ولاحَرِمُ[٢]

فرفع جواب الشرط (يقولُ) لأن فعل الشرط (أتى) ماض، وكأنه قال: (يقــولُ إن أتــاه خليلٌ) وهو عند سيبويه من باب التقديم والتــأخير[٣]. ويبــدو أنّ المعنــى مختلــف بــين التعبيرين، فإذا رفعت الفعل، كان أقوى وأدلَّ على الحدوث والإمضاء مــن جزمــه؛ لأن الكلام يكون مبنيّاً على حدوث جواب الشرط ثمّ يُبنَى على الشرط، وإذا جزمــت جــواب الشرط، كان الكلام مبنيّاً على وقوع الشرط قبل جواب الشرط، وتوضــيحُ ذلــك أنــك إذا قلت: (إنْ جئتني أزرْكَ) وجزمت جواب الشرط (أزرْك) كنت قد ربطت وقوع زيارتك له بمجيئه إليك، فالزيارةُ منك له شرطُها المجيءُ منه إليك، وإذا قلــت: (إنْ جئتنــي أزورُك) كنت قد أمضيت الزيارة منك إليه قبل أن تشترط المجيء منه إليك؛ لأن التركيب على نيّة التقديم والتأخير، وكأنك قلت: (أزورُك إن جئتني) ورَفْعُ جواب الشرط الجازم فــي بيــت

---

(1) الديوان، ١٠٥.
(2) المسغبة: الجوع، ولا حرِمٌ: غير ممنوع عنك.
(3) ينظر، الكتاب، ج٣/٦٦-٦٧، والمفصل، ٤١٥-٤١٦، وارتشاف الضرب، ج٤/١٨٧٦، وأسرار النحو، ٢٣٦-٢٣٧، والنحو الوافي، ج٤/ ٣٥٢-٣٥٤.

(زهير) أقوى وأدلّ على المعنى معنى القول من جزمه، لأنه على تقدير (يقــول إنْ أتــاه خليلٌ) فقد أمضى القول من الممدوح، وأكّد وقوعه قبل إتيان الخليل إليه، وكــأن جــواب الشرط واقع لامحالة، وهذا يدفع الشّكَّ في وقوعه[1]. وقد عثرتُ في ديوان أبــي ماضــي على ثلاثة أبيات رفع فيها جواب الشرط الجازم مع أنه مضارع، أمّا بقيّة الــشعراء، فلــم أجدهم استخدموا هذا التغييرَ. قال أبو ماضي[2]:

أَإِنْ مَضَى الشَّيْءُ نَقُولُ انْقَضَى   إذاً فَمِنْ أَيْنَ تَجِيْءُ الْحَيَاةْ ؟

رفع الشاعر جواب الشرط الجازم (نقولُ) والأصلُ أن يجزمــه، ورفْعُــه تغييــر فــي الأسلوب أجازته القاعدةُ النحوية؛ لأن فعل الشرط (مضى) ماضٍ، وكان التركيب الشرطي (أإنْ مضى الشيء نقولُ) على نيّة تقديم جواب الشرط (نقولُ) على أداة الــشرط الجازمــة (إنْ) والظاهرُ أن المعنى يقف وراء هذا التغيير؛ لأن إمضاء القول مرفوعــاً أقــوى مــن إمضائه مجزوماً، وتفسيرُ ذلك أنه لو جزم جواب الشرط، وقال: (نقلْ) لَرَبَطَ وُقُوعَه مــن الفاعِلينَ، بوُقُوعِ مُضِيِّ الشيء الذي يُشَكُّ في وقوعه؛ لأنه مبنيٌّ على (إنْ) الشرطية، أمّــا وقد رفع جواب الشرط، وقال: (نقولُ) فإنه أمضى فعل القول من الفاعلين، وأكَّده، ثمَّ أتبعه بمُضيٍّ الشيء المشكوك فيه، وكأن جواب الشرط واقعٌ لامحالة، ولعلّ هذا ينفي الشّكَّ عن فعل الشرط (مضى) الذي دَاخَلَه الشّكُّ من (إنْ) الشرطية. وقال أبو ماضي[3]:

إنْ شِئْتَ تَعْرَى مِنْ قُيُودِكَ كُلِّها   فَانْظُرْ إلى صَدْرِ السَّماءِ الْعَارِي

أورد الشاعر جواب (إنْ) الشرطية الجازمة مضارعاً مرفوعاً، والأصــل أن يجزمــه، فقال: (إنْ شئتَ تعرى) والأصلُ (إنْ شئتَ تعرَ) بحذف الألــف؛ لأنهــا علامــة الجــزم. وإيرادُه مرفوعاً تغيير في استخدام أسلوب الشرط الجازم، وإنّما جاز هذا التغييرُ؛ لأن فعل الشرط (شاء) ماضٍ. والظّنُّ أن المعنى من وراء هذا التغيير، وتفــسيرُ ذلــك أنَّ وقــوع العُري من القُيود في القرية الشّهيّة والمحبوبة إلى نفس الشاعر يكون أقوى إذا كان جوابُ

(1) ينظر، معاني النحو،ج٤/١٠٠-١٠١.
(2) الديوان، ١٨٦.
(3) الديوان، ٣٢٢.

الشرط الجازم (تعرى) مرفوعاً؛ لأن الكلام يكون مبنيّاً على إمضاء العُري من القيود كلِّها ثمَّ وقوع المشيئة المشكوك فيها من الفاعل، وكأنّ الشاعر يحثّ المتلقّي على أن يُوقع فعل الشرط (شاء) ويتخلّصَ من الشّكوك والمخاوف؛ لأن جواب الشرط (تعرى) واقع لامحالة. وليس هذا الإيحاءُ موجوداً لو أنّه جزم جواب الشرط (تعرى) لأنه يكون قد بنى كلامه من أوّله على الشكّ، وهذا خلاف المقصود، وكأن الدلالة غدت قطعية بعد أن كانت احتماليّة.

- الشواهد الملحقة بالبحث:

ورأيتُ أنّه من الأنسب للبحث أن أزوِّده بمجموعة من الشواهد التي ورد فيها التغيير بأنواعه المختلفة، وذلك ممّا ورد في دواوين الشعراء الخمسة؛ ليكتسب البحث مزيداً من العلميّة والمنهجيّة في الدراسة، ولكن دون تحليلها أو التعليق عليها، مكتفياً بالإشارة إلى موضع التغيير، ليكون واضحاً للقارىء. ورمزتُ لكلِّ شاعر بحرفٍ تحاشياً للتكرار؛ لأن أسماءهم سترد كثيراً، فالبيت الذي يحمل الحرف (ب) للبارودي، والذي يحمل الحرف (ش) للشابيّ، والذي يحمل الحرف (م) لأبي ماضي، والذي يحمل الحرف (ح) لبدر الدين الحامد، والذي يحمل الحرف (س) للسيّاب.

1-التقديم والتأخير:

١-تقديم الخبر أو ما أصله الخبر:

ولاتكادُ يدي تُجرِي شَبا قلمي وكان **طَوعَ بناني** كلٌّ عسَّالِ (ب ١١١/٣)

قالوا **غداً** يومُ الرَّحيلِ ومَنْ لهمْ خوفَ التَّفرُّقِ أنْ أَعيشَ إلى غدِ (ب ١٤٩/١)

هائمٌ قلبي بأعماق الحياةْ تائهٌ حَيْرانْ (ش ١٣٨)

لكَ الويلُ يا صرحَ المظالم من غدٍ إذا نهضَ الْمُستَضعَفون وصَمَّموا (ش١٦٦)

فإذا بقيتُ **فللجمال** بقائي وإذا فنيتُ **ففي الجمال** فَنائي (م ٩٣)

كالغصنِ قامتُها إذا الغصنُ انْثنى وجبينُها يحكي الصَّباحَ إذا انجلى (م ١٠٦)

لكمُ الموقفُ المبينُ عليه وهو من دونكم يَرى من خِصاص (ح ١/٣٠)

كالشّاطىء المهجور قلبي لاوميضَ ولاشِراعْ (س ٦٩)

جميلٌ هو السّهدُ أرعى سماكَ

بعيني حتّى تَغيبَ النُّجومْ (س ١٥٠)

ليس للآداب قدْرٌ بينهمْ آهِ لو كان **نُضاراً** أدبي (م ١١٦)

فليس **في لبنانَ** غيرُ الأسى وليسَ غيرُ الحزن فوقَ الفراتِ (م ١٨٧)

لا درَّ درُّكِ يا منونُ أهكذا **خَتْلاً** تكونُ مَصارعُ الآسادِ (ح ١/١١٦)

ليس **بِدْعاً** أن تَصمُدي لِقُروحٍ دامياتٍ فأنتِ ذاتُ القُروحِ (ح ٢/٥١٧)

٢ – تقديم المفعول به:

شاقَ **سَمْعي** الغِناءُ في رَوْنقِ الفَجْــ ر وسَجْعُ الطّيرِ في الْعَذَبات (ب ١/٨٩)

ويغمُرُ **رُوحي** ضِياءٌ رَقيقٌ تُكلِّلُهُ رائعاتُ الوُرودْ (ش ٢٧٨)

كالنّارِ يَلْتهمُ **العَواطفَ** عَقلُهُ فيُميتُها ويَموتُ في صحرائهِ (م ٣٤٣)

فإن نَمُتْ فنَثيثُ المسكِ يَنشُرُنا وفي الأحاديثِ تَروي **مَجدَنا** السِّيَرُ (ح ١/٢٣١)

ويزرعُ **ألفَ غابٍ** للنّخيلِ غِناؤُكَ المِكْسالْ

تَرقْرَقَتْ الجداولُ بينهُنَّ وأزْهُرُ الليمونْ (س ٣٥٠)

ويا طالما رُمْتُ القوافي فأقبلَتْ سِراعاً فلا **أرْوى** ذكرْتُ ولا حُزْوَى (ب ٤/٢٠١)

أنتَ لا تستطيعُ إحياءَ الصَّريعْ وأنا **حَملَ** الأسى لا أستطيعْ (م ٢٤١)

شرفاً لقدْ قلَّدتُم جيدَ العُلا بالدُّرِّ منهُ تَوْءَمٌ ومَزِيدُ (ح ٢/٥٨٨)

٣- تقديم شِبهِ الجملة معمول الخبر عليه أو عليه وعلى الفعل الناقص:

أنا **منكَ** مَطويُّ الفؤادِ على جَوىً لولا الدُّموعُ ذَكَتْ به الحَوْباءُ (ب ١/١١)

تبعَ الهوى قلبي فَهامَ ولَيْتَهُ **قَبْلَ** التوغُّل في البلاء تثبَّتا (ب ١/٩٤)

ثمَّ **من وصْلِهِ** الجميلِ غَدا القلْبُ مُمْلَقا(ش ١٢٧)

و**اليومَ** أمستْ كأعماق الكُهوف الواجِمَهْ (ش ١٨٤)

تُمسين **عندَ** مَجاري الماءِ نائمةً وللأزاهرِ والأعشاب مَغْداكِ (م ٤٢٨)

ألقى السِّلاحَ عندَ الأقوياءِ ولم يَخجَلْ ولكنَّهُ **في الشّام** مِقدامُ(ح ١/١٦)

يَشهدُ اللهُ أنّنا **بدِماهمْ** قد كتبْنا عُنوانَ هذا النّجاحِ (ح ١/٢٥)

مرّتْ فلامسَ شَعرُها شَعري فإذا الهوى **بجوانحي** يَسْرِي (س ٤٦٧)

٤- تقديم الظرف:

اليومَ آنَ لِسابقٍ أنْ يَحتَذِي طَلْقَ الرِّهانِ ومُغْمَدٍ أنْ يُنْتَضَى (ب ١/٣٤)

طوراً تَميلُ معَ الرِّياحِ وتارةً ترتدُّ فهْيَ تحرُّكٌ وقَرارُ(ب ٢/٧٤)

أبداً يَنوحُ بِحُرْقةٍ بينَ الأماني الهاويهْ (ش ١٥٨)

خلفَ أعماقكَ الكئيبةِ تَنسا بُ ظلالُ الدُّهور ذاتَ قُطوب (ش ١٧٨)

ما لِهنْدٍ وكُلُّ حَسناءَ هِندُ **كلَّ** يومٍ تَبدو بزِيٍّ جَديدِ (م ٢٣٧)

و**هُنا** باركَني وهنّأني مَنْ هنّؤوا قبلي الفتَى هَنري (م ٣٣٤)

هنا التقيْنا بلادُ العُرْبِ قاطبةً في دارةِ المَجْدِ أخوالٌ وأعمامُ (ح ١/١٧)

و**عندَ** قَبْرِ هَنانُو صاحَ صائحُنا   يا أُمَّةَ الْعُرْبِ هذا الخَطْبُ فاحْتَشِدي (ح١/٤٦)

أَصِيخي فهذي فتاةُ الحُقولِ   وهذا غَرامٌ **هُناكَ** انْطوى (س ٣٩)

أمْسِ طالَ اللِّقاءُ حتَّى تثاءبْتِ وشاهدْتُ في يديكِ الملالا (س ٧٩)

إذا تنفّسْتُ فاضَتْ زَفْرتي شَرَراً   كَما اسْتَنارَ **وراءَ** الْقَدْحَةِ اللَّهَبُ (ب ١/٦٢)

فأطْبَقَتْ **حَوْلَكَ** الدَّياجِي   وغامَ منْ فوقِكَ الْغَمامْ (ش ٢١٤)

هذه أرْضُنا بلاقِعُ تَمشي   **فوقَها** كلُّ عاصِفٍ هَوْجاء (م ٨٦)

مرَّ بي **بعدَكَ** عامانِ ولم   تُنْقِصِ الأيَّامُ مابي مِنْ ألمِ (ح ١/١٦٥)

تمزَّقَ **تحتَ** سَقْفِ اللّيلِ نَهْدُكِ بينَ أظفاري (س١٣٢)

وأتتْ **بعدَهمْ** عليَّ ليالٍ   لا أرى في سَمائها مِصباحا (ش١/١٣٠)

ورتِّلي **حولَ** بَيْتِ الحُزْنِ أُغنيةً   تَجْلو عنِ النَّفْسِ أَحْوانَ الأَحايينِ (ش ١٩٩)

وشادَ **فوقَ** السِّماكِ بيتي   ومدَّ مُلْكي على الفضاءِ (م ١٠٤)

تَرمي بنفسكَ في مُقدِّمةِ الوغى   وتَقودُ **خلفكَ** للْفَخارِ أُسودا (ح ١/١٢٧)

لا تَزيديهِ لَوْعةً فهو يَلْقاكِ   لِينْسى **لَديْكِ** بعضَ اكْتئابه (س ٦٢)

٥- تقديم الجار والمجرور:

إلى اللهِ أَشْكو أنّني بينَ مَعْشَرٍ   سَواءٌ لَديْهِمْ طَيِّبٌ وخَبيثُ (ب ١/٩٨)

مَنازلُ حَلَّ **فيها** الدَّهْرُ تَمائمي   وصافَحَني **فيها** القَنا والصَّفائحُ (ب١/١١٠)

إنّ ذا عَصْرُ ظُلْمةٍ غَيْرَ أنّي   **مِنْ وراءِ** الظّلامِ شِمْتُ صباحَهْ (ش ١٣٣)

به تَراني حَزيناً   أَبْكي بِدمْعٍ غزيرِ (ش ١٣٤)

يا ليتَ نورك حينَ أحْرقَني انْطوى **فعلى ضِيائكِ** قدْ لَمَسْتُ جِراحي (م ٨٤)

بِهِمِ اقْتحمْتُ العاصفاتِ بِمرْكبي وبهِمْ عقَدْتُ على النُّجومِ لِوائي (م ٩٢)

فرنسا **على مَروانَ** حَطَّتْ رِحالَها ومَنْدُوبُها السَّامي مُذِلُّ رِقابِ (ح ١/٥٢)

بِسلامٍ مرَّتْ عليهمْ وبَرْدٍ وبِلَذْعٍ مَرَّتْ علينا ووَقْدِ (ح ١/٢٩٨)

أمِنْ قلبه انْثالَ هذا النَّشيدُ إليها إلى الذِّئْبة الضَّاريه؟ (س٤٢)

ففي ثَغْرِها افْترَّ كلُّ الزّمانِ وماعُمْرُ آذارَ إلّا شَهرْ (س٤٣)

تَرِفُّ **على هامِ** الكُماةِ سُيوفُهُ وتَخْفِقُ بينَ الْجَحْفَلَيْنِ بُنودُهُ (ب ١/١٨٢)

يَتراءَى **في ثَنايا** صَوْتِها رُوحُ العَذابْ (ش١٤٦)

سارتْ **إليك** تحيَّتي ولو أنّني خُيِّرْتُ كنتَ تَحيَّتي ودُعائي (م ٩٩)

جَلا **عنِ الدَّارِ** وَجْهُ الشَّرِّ والْكَمَدِ واستَقبلَ النّاسُ وجهَ الخيرِ والرَّغَدِ (ح ١/٣٩)

فإذا تنهّدَتِ الرِّياحُ تعلَّقتْ **منْ خَوْفِها** الأفياءُ بالأفياءِ (س ٤٦٦)

ريّانُ ملْءَ ضُلوعِه لكنّهُ يَشكو بزفرتِهِ لَهيباً في الحَشا (ب ١/٣٥)

واسْقِني **منْ جدولِ** النُّورِ البديعِ قَدَحا (ش ١٣١)

فسألْتُها ماذا عَراكِ فلم تُجِبْ فَسَأَلْتُ **عنها** زُمْرَةَ الرُّفَقاءِ (م ٩٥)

تركْتُ لِدُنيا النّاسِ كلَّ لُبانةٍ أُراعي مآبي **قبلَ** يومِ إيابي (ح ١/٤٨)

كَفَّنَ **بالأوراقِ** آهاتِهِ وَارْتَدَّ يَرْثيها بآياتِهِ (س ٤٢٣)

٦- تقديم المفعول لأجله:

رقَّ طَبْعُ النَّسيمِ رِفقاً بحالي   وبكى **رحمةً** عليَّ الحَمامُ (ب ٥٨٩/٣)

يُطأطِيءُ إجلالاً لِشخصكَ أَرْؤُساً   يُطأطِيءُ **إجلالاً** لها كلُّ مَفْرِقِ (م ٤١٥)

صحِبْناكَ **لاخوفاً** ثلاثينَ حِجَّةً   ولكنّها الدُّنيا وضَعْفُ العزائمِ (م ٥١٧)

وسّدْتُكَ التُّرْبَ وقلبي **أَسَىً**   قد كانَ منْ بينِ الحنايا يَزولُ (ح ٦٢٣/٢)

تَدينُ لكَ الأقلامُ طَوْعاً ويلتقي   عليكَ احْتراماً سَيّدٌ وتَبيعُ (ح ٣٠٩/١)

تَرْنو فَيَهْلَكُ **غيرةً** حُسَّادُها   ويُميتُ أو يُحْيِي الهوى أحبابَها (س ٤٧٩)

٧- تقديم المستثنى:

وفِتْيةٌ كأُسودِ الغابِ ليسَ لَهمْ   **إلّا الرِّماحُ** إذا احْمرَّ الوَغى أَجَمُ (ب ٥٣٧/٣)

ويَطلُبُ من نباتِ الأرضِ قُوتاً   وتأبى **غيرَ لحمِ** الطَّيرِ زادا (م ٢٤٥)

وحَقْلي الحَصيدُ نامَ في ضُحاه

نفّضْتُ من تُرابهِ يَديَّ

ليأتِ في الغَداةِ

سوايَ زارعونَ أو سِوايَ حاصدون (س ٩٨)

٨- تقديم الحال:

وكيفَ يَعيشُ الدّهرَ **خِلْواً** من الأسى   سَقِيمٌ يُغادَى بالهُمومِ ويُطْرَقُ؟ (ب ٣٥٢/٢)

لو شاعَ في الفِرْدوْسِ أنّكَ بَيْنَنا   لَمَشَتْ إلينا **سافِراتٍ** حُورُهُ (م ٣٠٤)

أسفاً على أبنائها إنْ أسْلَمُوا   **طَوْعاً** إلى أيدي الزَّمانِ ذِمارَها (ح ٦٥/١)

وَحيداً هُناكَ على الرَّابِيَة   جَلَسْتُ أَبُثُّ الدُّجى ما بِيَه (س ٤٠٧)

٩- تقديم الضمير على عائده:

هو ذلك الْمَلِكُ الذي وَرِثَ العُلا عنْ نَفْسِهِ شَرَفاً وعن آبائِهِ (ب ١/١٦)

هو الموتُ طَيْفُ الخُلودِ الجَميلِ ونِصْفُ الحياةِ الّذي لا يَنوحْ (ش ٢١٣)

هو الموتُ أنْ نَحيا شِياهاً وَديعةً وقد صارَ كلُّ النّاسِ مِنْ حولنا أُسْدا (م ٢٥٦)

وما مِتُّ منْ داءٍ عَياءٍ وإنَّما **هو** الْقَهْرُ داءٌ للكريمِ وَجِيعُ (ح ١/٣١٠)

2- ترك المطابقة:

١- ترك المطابقة بين المبتدأ والخبر:

فَكَمْ أُمَمٍ في الدَّهرِ بادَتْ وأَعْصُرٍ خلَتْ **وهُما أُعْجُوبةُ الفِكْرِ**(ب ٢/٤٧)

أَستَوْدِعُ اللهَ عَصْراً قد خَلَعْتُ بِهِ عُذْرَ الهوى **وهو غَضَّاتٌ** مَكاسِرُه (ب٢/١٢٧)

فالبُخلُ والجُبْنُ في الإنسان **مَنْقَصَةٌ** لم يَجْنِها غيرُ سُوءِ الظَّنِّ باللهِ (ب ٤/١٨٣)

٢- ترك المطابقة بين الفعل والفاعل:

نَفَى النَّومَ عنْ عَيْنيهِ **نَفْسٌ** أَبِيَّةٌ لَها بينَ أَطْرافِ الأسنَّةِ مَطْلَبُ (ب ١/٣٨)

مَلاعِبُ **زانتْها الرِّفاقُ** ولم يَكُنْ لِيَحْسُنَ لَهْوٌ لم يَزِنْهُ رَفيقُ (ب ٢/٣٣١)

وإنّي امْرُؤٌ لولا العَوائقُ **أَذْعَنَتْ** لِسُلْطانِهِ **الْبَدْوُ** الْمُغيرةُ والْحَضَرُ (ب ٢/٤٣)

٣- ترك المطابقة بين الصفة والموصوف:

فلا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ قَولِي فُكاهةً فإنّ الهَوى **بَحْرٌ كَثيرُ العَجائِبِ** (ب ١/٦١)

وامْزُجيها **بِرُضابٍ** منكِ **مَعسولِ اللَّهاةِ** (ب ١/٩٣)

لا يُدْرِكُ الغايةَ القُصْوى سِوى **رَجُلٍ** **ثَبْتِ العَزيمةِ** ماضٍ حيثُ يَنخرِطُ (ب ١٨٧/٢)

ورُبَّ **يومٍ طويلِ العُمرِ** قَصَّرهُ جَرْيُ السَّوابِقِ والْوَخَّادةُ النُّشُطُ (ب ١٨٩/٢)

ويَغبَرُّ **فَرْعٌ** كَجُنْحِ الظَّلامِ **أَنيقُ الغَدائرِ** جَعْدٌ مَديدُ (ش ٢٨٩)

يا **شاعراً حُلْوَ المودَّةِ** في الحُضُورِ وفي الغِيابْ (م ١٤٩)

يَفْنَى الزّمانُ وما أَبْقيْتَ من **أَثَرٍ** **مُخَلَّدِ الصُّنعِ** مَرْفوعٍ على عَمَدِ (ح ٣٩/١)

والسُّحْبُ هل أنكرْتَها؟ إنَّها كانتْ **نهيراً شاعريَّ اللّهاةْ** (س ٤١٧)

3- الزّيادة:

١- زيادة (كان):

ما **كان** أحْسَنَ عهدَهُ لو دام لي منهُ الوِدادُ وكيف لي بدوامِهِ؟ (ب ٥٧٧/٣)

ما **كان** أَحْوَجَني يوماً إلى أُذُنٍ صمّاءَ إلّا عن المحبوب ذِي الأُنْسِ (م ٣٨٣)

ما **كان** أَحْوجَ سوريا إلى بطلٍ يَرُدُّ بالسّيف عنها كلَّ مُفترس (م٣٨٤)

ما **كان** أَغْنانِي وأَغْنَى مِثْلِي على رِبْقة الأَسْرِ وهَمِّ النَّسْلِ (ح ٤٧٥/٢)

٢- زيادة (إنْ):

فَسَوادُ اللَّيلِ ما**إنْ** يَنْقَضِي وبَياضُ الصُّبْحِ ما**إنْ** يُنتَظَرْ(ب ١٠١/٢)

وإذْ نحنُ فيما بينَ إخْوانِ لَذَّةٍ على شَيَمٍ ما **إنْ** بِهِنَّ نَكيرُ (ب ٢٩/٢)

وأَعيشُ عِيشةَ زاهدٍ مُتنَسِّكٍ ما **إنْ** تُدَنِّسُهُ الحياةُ بذامِ (ش ٢٦٢)

سَئِمْتُ الحياةَ ومافي الحياةِ وما**إنْ** تَجاوزْتُ فَجْرَ الشَّبابْ (ش ١٦٨)

إنّا عَرَفْنا فيكَ ذا كَرَمٍ ما**إنْ** عرفْنا فيكَ مُقْتَصِدا (م ٢٥١)

وحولي من جَمْعِ الصِّغارِ أبالسٌ أَفاعيلُهم ما**إنْ** خطَرْنَ ببالِ (ح ٢/٥٢٢)

متى يَعُودُ اجْتماعُ الشَّملِ واأَسَفا على زمانٍ مَضَى ما**إنْ** لهُ ثاني (ح ٢/٦٠٦)

٣- زيادة الباء:

تُخادِعُنا الدُّنيا فنلْهُو ولم نَخَلْ **بأنَّ** الرَّدى حَتْمٌ على الحيوانِ (ب ٤/١٠٢)

نَظُنُّ **بأنّا** قادرون وإنّنا نُقادُ كما يُقادُ الحبيبُ ونُصْحَبُ (ب ١/٤٤)

إذا لم تُعِينُوني وأنتم عَشِيرَتي فَسِيرُوا وخَلُّوني فلسْتُ **بذاهبِ** (ب ١/٥٨)

فلقد ضرَّمَ الشُّجونَ بنوها فإذا **بالشُّجونِ** سيلٌ طامِ (ب٢١٠)

لستَ يا شيخُ للحياةِ **بأهلٍ** أنتَ داءٌ يُبيدُها وتُبيدُهْ (ش ٣٤١)

يا مَنْ يقولُ ظلمْتَ نفسَكَ فاتَّئِدْ دَعْني فلسْتَ **بحاملٍ** أَعْبائي (م ٩٣)

ولَمّا انْتهى من سَيْرِهِ وإذا **بِنا** على شاطىء البحرِ الذي مالهُ حدُّ (م ٢٠١)

ليس صبرُ الكريمِ والرُّوحُ فيه عندَ لَذْعِ الهوانِ **بمُسْتطاعِ** (ح ١/٨٠)

لَمَحُوا الشَّهادةَ كَوْثَراً فإذا **بهِمْ** يَتهافتونَ على ضِفافِ الكوثرِ (ح ٢/٣٥٨)

تذكَّرْتُها والفجرُ لاهٍ يَضُمُّها فلا هُوَ **بالآتي** ولا بالمغادرِ (س ٤١٣)

أَتَعلمُ السَّحابةُ الْمُرعِدةُ الْمُبرِقةُ الْمُجلْجِلةُ

بأنّ ماءَها سَيَستَحِيلُ غَيْمَةً إليها مُقْبِلَة (س ١٠١)

٤- زيادة كاف الخطاب:

فذاكَ إنْ يحيَ تَحيَ الأرضُ في رَغَدٍ وإنْ يَمُتْ يَنْقلبْ صِدْقُ المنى كَذِبا (ب ١/٦٨)

فلسوفَ تُغمِضُ جَفْنَها عن كلِّ أضواءِ الحياةْ

حيثُ الظَّلامُ مُخَيِّمٌ في جَوٍّ **ذَيَّاكَ** السُّباتْ (ش ١٦٣)

٥- زيادة اللام:

هنالكَ حيثُ وَجْهُ الْحُسْنِ طَلْقٌ تنعَّمَ منهُ بالوصلِ المباحِ (ب ٢/٥٢٠)

لأنتِ- وأيُّ النّاسِ أنتِ - حبيبةٌ إليّ ولو عذَّبْتِ قلبيَ بالصّدِّ (ب ١/١٥٩)

فلأنتَ أجْدَرُ بالثَّناء لِمِنَّةٍ أَوْلَيْتَها والبرُّ أَفْضَلُ مارَعى (ب٢/٢٤٩)

إنّ في العَيْن وهو عُضْوٌ صَغِيرٌ **لَدليلاً** على خَبايا الفُؤادِ (ب ١/١٨٧)

وإنّي **لَقوّالٌ** إذا الْتَبسَ الهُدى وجارَتْ حُلومُ القَــومِ عــن سَــنَنِ القَــصْدِ (ب ١/٢١٣)

فلَكمْ أحزنَكَ الدّهْرُ الخَطِر بالنُّكرْ (ش ١٣١)

فلكمْ أَرَقْتُ مَدامِعي حتّى تَقَرَّحَتِ الجُفونْ (ش ١٦١)

فلسوف يُنقِذُكَ المنونُ ويَفرَحُ الرُّوحُ السَّجينُ (ش ١٨٨)

إنّي **لأصحبُهُ** على عِلّاتِهِ والبدرُ من قِدَمٍ أخو الظَّلماءِ (م ٨٢)

إنّي **لأحزنُ** أنْ تكونَ نُفوسُهمْ غَرَضَ الخُطوبِ وعُرْضةَ الأرزاءِ (م ٨٩)

ولرُبَّ قائلةٍ تُعاتبُني على صَمْتي وبعضُ القولِ حَزٌّ مُواسي (م ٣٩٤)

ولَرُبَّما الْتَبَسَتْ حَوادِثُ يومهِ بالغابر الماضي وبالمتوقَّعِ (م ٤٠٦)

إنّا **لَقومٌ** لنا مَجْدٌ سَنَذْكُرُهُ مادام فينا لِسانٌ ناطِقٌ وفَمُ (م ٥٠٣)

لَلموْتُ أجْملُ من عَيشٍ على مَضَضٍ إنَّ الحياةَ بلا حُرِيَّةٍ عَدَمُ (م ٥٠٣)

ولَأنْتَ أَبْلَغُ مَنْ عرفْتُ بصمتِهِ فكأنّه في الحَفْلِ منكَ خِطابُ (ح ٢/٤٣٩)

إنّي **لَيَحْزُنُني** تفرُّقُنا ويَعُمُّ قلبي الغَمُّ والكَدَرُ(ح ٢/٤٧٢)

إنّي **لأبكي** مِثْلَما أنتَ تَبكي في الدُّجى وَحْدي (س ١٦٦)

لَأَنْتَ الزَّعيمُ الحقُّ نَبَّهْتَ نُوَّماً تَقاذَفَهُمْ دَهْرٌ تَتالتْ نَوائبُه (س ٤١١)

مُلتَفِّ أَفْنانِ الحدائقِ لو سَرَتْ فيها السَّمُومُ **لَشابَهتْ** رِيحَ الصّبا (ب ١/٣٥)

ولو علِمَ الإنسانُ ما فيهِ نَفْعُهُ **لأبْصَرَ** مايأتي ويَتجَنَّبُ (ب ١/٤٤)

ولو مَشَى فيهمُ حَيّاً **لَحطَّمَهُ** قَوْمٌ وقالُوا بِخُبْثٍ"إنّهُ صنَمُ" (ش ٣٤٣)

لو أُعْجِبَ القَمرُ الْمُنيرُ بنفْسِهِ لَرأَيْتَهُ يَهْوَى إلى الْغَبْراءِ (م ٨٢)

أنا لو رأيْتُ بكَ القَذَى مَحْضَ القَذَى **لَسَتَرْتُ** وَجْهي عنكَ مِثْلُ صِحابي (م ١٢٩)

تَمُرُّ بي صُوَرٌ لو رُحْتُ أَرْسُمُها **لَمَا** شَفَتْني أوْراقٌ وأقلامُ (ح ١/١٦)

فلو نَطَقتْ هذي المرابعُ **لانْجَلَتْ** وُجُوهُ أُمورٍ أُخْفِيَتْ بنقابِ (ح ١/٥٣)

لو أودعَ اللهُ إيّاها أَمانتَهُ **لَنالَهُنَّ** على استيداعِها نَدَمُ (س ٢٠٠)

يَقُولُونَ تَحيا فيَبكي الفُؤادْ

فلو لم يَكنْ خافقاً **لاسْتراح** (س ٣٣٤)

يادُميةً لولا التَّقيَّةُ **لاسْتَوتْ** في حُبِّها الفُتَّاكُ والوُعّاظُ (ب ٢/١٩٧)

لولا أَماني النَّفْسِ وهْيَ حَياتُها **لَمَا** طارَ لي فوقَ البسيطةِ طائرُ (ب ٢/٧٩)

لِأيِّ خليلٍ في الزَّمانِ أُرافِقُ وأَكْثَرُ مَنْ لاقَيْتُ خِبٌّ منافقُ (ب ٢/٣٣٤)

هو **ذلكَ** الملِكُ الّذي أَوصافُهُ في الشِّعرِ حِلْيةُ راجزٍ ومُقَصِّدِ (ب ١/١٣٤)

زالتِ التِّيجانُ عنهُم وخَلَتْ **تلكَ** التُّخوتُ (ب ١/٩٦)

هنالكَ خلفَ الفضاءِ البعيدِ　　يَعيشُ المنونُ القويُّ الصَّبوحْ (ش ٢١٣)

أُنظُرْ إلى شَفَقِ السَّماءِ　　يَفيضُ عن تِلكَ الْجِبالْ (ش ١٦٤)

يا حَليفَ السُّهادِ **تلكَ** الأغاني　　غمَرَتْنا لَحْناً يَلَذُّ ومعنى (ح ٢/٤٨١)

وجارُها **ذلكَ** الشَّلالُ يَحرُسُها　　من العُيونِ ونِعْمَ الحارِسُ الجارُ (ح ٢/٤٩١)

فتلكَ رُسومُ الرِّيفِ تَحيا بِخاطِري　　كَمَا عاشَ في الأوتارِ أَنغامُ ساحرِ (س ٤١٣)

قد كُنتُ في ما قُلتُ مُعتسِفاً　　**فلَبِئسَ** قولاً ذلكَ الكَلِمُ(س ٤٧٠)

٦- زيادة (لا):

لا أنتَ تَرحَمُني و**لا** نارُ الهوى　　تَخْبُو ولاللنّفْسِ عنكَ عَزاءُ (ب ١/١١)

ولكنّ إخواناً في مِصرَ ورُفْقةً　　نَسُونا فلا عَهْدٌ لَدَيْهِمْ و**لا** وَعْدُ (ب ١/١٦٦)

فغدا كأعماقِ الكُهوفِ　　بلا ضَجِيجٍ و**لا** وَجِيبْ (ش ١٦١)

ورياضٌ لاتَعرِفُ الحَلَكَ الدَّاجي　　و**لا** ثَوْرةَ الخَريفِ العَتيدِ (ش ٢٧٥)

وإذا لم يَكنْ عَفافٌ وفِسْقٌ　　لم تكنْ حِشمَةٌ و**لا** استِحْياءُ (م ٨٠)

ليسَ بي داءٌ ولكنّي امْرُؤٌ　　لسْتُ في أرضي و**لا** بينَ صِحابي (م ١٢٥)

هو الفاتِحُ الغازي الذي لا تَرُدُّهُ　　عنِ الفاتِحِ الغازي قِلاعٌ و**لا** جُنْدُ (م ٢٠٤)

والحُكْمُ ليسَ هوىً يَقْضيهِ ذُو أَرَبٍ　　و**لا**اجْتِهاداً بَريئاً عندَ مُجْتَهِدِ (ح ١/٤٣)

واللهِ ماعاقَنا ضَعْفٌ و**لا** وَهَنٌ　　لكنْ طالِعُ ذاكَ العَهْدِ مَنكودُ (ح ١/٨٤)

٧- زيادة (ما):

فَدَعِ التَّكَهُّنَ يا طَبيبُ **فإنّما**　　دائي الهوى ولِكُلِّ نَفْسٍ داءُ (ب ١/١٢)

لا يَترُكُ الحُبُّ قلبي من لَواعِجِهِ **كأنَّما** بينَ قلبي والهوى نَسَبُ (ب ٦٣/١)

عِشْ بالشُّعور وللشُّعور **فإنّما** دُنياكَ كَوْنُ عواطفٍ وشُعورِ (ش ٢٧٩)

يَدْوِي حوالَيْها الزَّمانُ **كأنّما** يَدْوِي حَوالَي جَنْدَلٍ وتُرابِ (ش ٣٦٧)

أَهْوى اللِّقاءَ بهِ ويَهْوَى ضِدَّهُ **فكأنّما** الموتُ الزُّؤامُ لِقائي (م ٨٢)

بذَلُوا دمعَهُمْ وصُنْتُ دُموعي **إنّما** الْيائِسونَ أهْلُ البُكاءِ (م ٨٥)

فلَئِنْ بَكَيْتُ **فإنّما** أَبكي فَتىً أَفْرَدْتُهُ بمحَبَّتي ووِدادي (ح ١١٧/١)

يَهونُ علينا كلُّ صَعبٍ **كأنّما** على يدنا يُستَنزَلُ الخَيْرُ واليُسْرُ (س ٦٧/١)

وإنْ يكُنْ أَسْعدَ الأحياءِ وأَكْمَلَها **فإنّما** هو أَشْقاهُنَّ لاجَرَمُ (س ٢٠٠)

فكأنّما الوَرَقاتُ مِرْآةٌ لهُ تَجْلُو اصْفِرارَ سَمائهِ لِلْمُجْتلي (س ٤١٨)

طالَمَا عاصَيْتُ فيها أهْلَ وُدِّي ونُهاتي (ب ٩٣/١)

وهيهاتَ **ما** بعدَ الشَّبيبةِ مَوْسِمٌ يَطِيبُ ولا بعدَ الجَزيرةِ مَعْهَدُ (ب ٢٢٠/١)

طالَما رافَقَ الظَّلامَ إلى الغابِ ونادى الأرْواحَ من كلِّ جِنْسِ (ش ٢٤٣)

إنّي إلهٌ **طالَمَا** عَبَدَ الوَرى ظِلِّي وخافُوا لَعْنتي وعِقابي (ش ٣٧١)

يا **طالَما** اكْتسبَ الحَريرُ مَلاحَةً منها ويُكسِبُ غيرَها ما يُكسِبُ (م ١١١)

شَتَّانَ **ما** يَوْمِي بُعَيدَ تَمرُّسي بِتجارِبِ الدُّنيا ويومِ لِعابي (ح ٦٤١/٢)

ولكنْ أخو همٍّ إذا **ما**ترَجَّحَتْ بهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ العُلا راحَ يَدأبُ (ب ٣٨/١)

وإنّي إذا **ما** الشّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ وأمْسَتْ بهِ الأحلامُ حَيْرى تَشعَّبُ (ب ٤٠/١)

ش–يُشابهُ رُوحَ الشَّبابِ الْجَميلِ إذا **ما** تألَّقَ بَيْنَ الجُفونْ (ش ١٩٢)

ولسْتَ براوٍ إذا **ما** ظَمِئْتَ　　من الْمَنبَعِ الْعَذْبِ قبلَ الْمَماتْ (ش ٢١٢)

وإذا **ما** كَفَّنَ الثّلجُ الثَّرى　　وإذا ما سَتَرَ الغَيْمُ السَّماءْ (م ١٠٣)

وإذا **ما** صِرْتُ كالعُلَّيْقِ تِمْثالَ اكْتِئاب　　فاجْذِبيني إنْ يكنْ منِّيَ نَفْعٌ للتُّرابِ (م ١٣١)

إذا **ما** ذَكَرْنا للعُروبةِ أهلَها　　فأنتَ لُبابٌ من صَميمِ لُبابِ (ح ٥١/١)

إذا **ما** ذكرْتُ طِيبَ حَديثٍ　　منهُ فاضَتْ مَدامِعي بانْهِمارِ (ح١/١٣٧)

فَرُحماكَ لا تَسْتَتِرْ في دَمْعِ ناظِري　　فَدَمْعِي إذا **ما** هاجَني الشَّوقُ مَفْزَعِي (س ٤١٢)

وهو إذا **ما** أَنَّ من لَوْعة　　رَجَّعَ كلُّ الكونِ أَنَّاتِه (س ٤٢٣)

نَظرَةٌ **رُبَّما** أَماتتْ وأَحْيَتْ　　ومِنَ الخَمْرِ عِلَّةٌ وشِفاءُ (ب ٢٨/١)

و**عمَّا** قليلٍ يَنتهي الأَمْرُ كُلُّهُ　　فما أَوَّلٌ إلّا ويَتلُوهُ آخِرُ(ب ٨٨/٢)

فَلَرُبَّما كانتْ أَنيناً صاعداً　　في اللَّيلِ من مُتَوَجِّعٍ مَقْهورِ (ش ٢٠٧)

ستنْحَلُّ في الشَّطِّ **عمَّا** قليلٍ　　كأنْ لم تُدَفَّعْ ولم تُدْفَعِ (م ٣٩٩)

ونحنُ الغريقانِ في لُجِّهِ　　سَنَنْسى الهوى فيهِ **عمَّا** قليلِ (س ٧٢)

أسمعُ صوتاً ناعِساً قد أُجِيبْ

فيُهْزَمُ الموتُ على صوتي

و**رُبَّما** استَسْلَمْتُ للموتِ (س ١٦٧)

إذا سارَ فيه الطَّرْفُ قِيْدَ بَنانةٍ　　تَعَثَّرَ **ما** بينَ القَنا والقواضِبِ (ب ٥٩/١)

فالأرضُ في فَرَحٍ والدَّهْرُ في مَرَحٍ　　والنّاسُ **ما** بينَ تَهليلٍ وتَكبيرِ (ب ٣٦/٢)

كالبلبلِ الغرِّيدِ **ما**　　بينَ الزُّهورِ الذَّاويه (ش ١٥٨)

إنَّ **ما** بينَ أزاهيرِ الفلاِ الواجِمة   شاعِراً أيْأسَهُ حُزْنُ الحياةِ السَّاهِمةِ (ش ٣٨٧)

ورأيتُني فوقَ الغَمامِ مُحلِّقاً   في الأُفْقِ **ما** بينَ السُّها والفَرْقدِ (م ٢٢٢)

لا سِلْمَ **ما** بيني وبينهمُ   لا سِلْمَ بينَ الهِرِّ والفأْرِ (م ٣٣٨)

وفَشا **ما** بيْننا نَبأٌ   أنَّ رُكْنَ العُرْبِ قدْ حُطِما (ح ٦٢/١)

قُمْنا على الأقْدامِ بعدَ رُكوعنا   هَيْهاتَ **ما** بعدَ القِيامِ رُكوعُ (ح ٢٨٨/١)

وأَهيمُ **ما** بينَ الأَزاهِرِ والجداولِ والنَّخيلْ

أَشْدو بها أترَنَّمُ (س ١٧٥)

زَوْرَقُ حُبٍّ شِراعُهُ الغَزَلُ   **ما** بينَ مَوْجِ النُّهودِ يَنتقِلُ (س ٤٢٧)

٨- زيادة (من):

فهلْ إلى صِلةِ الآمالِ **من** سَبَبٍ   أمْ هلْ إلى ضِيْقةِ الأحزانِ من فَرَجٍ؟ (ب ١٠٤/١)

وما بِيَ **منْ** فَقْرٍ لِدُنيا وإنَّما   طِلابُ العُلا مجْدٌ وإنْ كانَ لي مجْدُ (ب ١٦٥/١)

قالتْ نواميسُ السَّماءِ   قَضَتْ وما لكَ **من** هُروبْ (ش ٢١٩)

مافي وُجودِ النّاسِ **مِنْ** شيءٍ بِهِ   يَرضَى فُؤادي أو يُسَرُّ ضَميري (ش ٢٠٥)

كُنّا طَوَيْنا المُنى وقُلْنا   ما للأمانيِّ **مِنْ** نُشورِ (م ٣٠٧)

أوَّاهُ هذي دارُ فاتِنتي   مَنْ قالَ ما للشَّمْسِ **مِنْ** خِدْرِ (م٣٣٠)

أنتمُ العُرْبُ يا شبابُ وهذا   خَصْمُنا مالهُ اليَوْمَ **من** مَحاصِ (ح ٣٠/١)

قَسماً يا أبا الحسنْ   ما لِمسعاكَ **من** ثَمَنْ (ح ٤٨٠/٢)

آهِ لو لم تَعرِفي قبلَ التَّلاقي **مِنْ** حَبيب (س ٨١)

هَيهاتَ ليسَ للاجئِينَ واللاجِئاتِ مِنْ قَرارٍ أو دِيارِ (س ٢٠٦)

٩- زيادة (ها) التنبيه:

قالتْ وقد سَمِعتْ شِعرِي فأعْجَبَها إنّي أَخافُ على **هذا** الغُلامِ أَبي (ب ٧٢/١)

إنّ في بُرْدَتَيَّ **هاتَيْنِ** لَيثاً يَقصِمُ القِرْنَ أوْ يَفُلُّ السِّلاحا (ب ١٢٩/١)

فإنْ أَكُنْ عشْتُ فَرْداً بينَ آصرتي **فهأنا** اليومَ فردٌ بينَ أندادي(ب ٢٠٥/١)

ها إنّ أزهارَ الرَّبيعِ تَبسَّمَتْ أَكمامُها (ش ١٦٣)

ها إنّها هَمَسَتْ بآذانِ الحياةِ غَرِيدَها (ش ١٦٣)

ها أَنتَ ذا في الأفقِ تَضحَكُ لا تَهُمُّ ولا تَخيبْ (ش ٢٢٠)

و**ها** جَيشُك الطّامي يَضِجُّ مُكَبِّراً بِما نالَ من عَهْدٍ لَديْكَ ومَوثِقِ (م ٤١٥)

ها أنتِ كالحقلِ في نَزْعٍ وحَشْرَجةٍ وَهَتْ قُواكِ كَمَا استَرْخَى جناحاكِ (م ٤٢٨)

هذي الدِّيارُ قُبورُ الفاتِحينَ فلا يَغرُرْكَ ما فَتكُوا فيها وما ضامُوا(ح ١٥/١)

هذه الشّامُ دَوَّخَتْ كلَّ طاغٍ وأَذاقَتْهُ حَسْرةً والْتِياعا(ح ٢٧٦/١)

أنتَ منّا ونحنُ منكَ و**ها** نحـــ ـــنُ على الضَّنْكِ في الحياةِ اجْتمعْنا(ح ٥٧٨/٢)

عَيْنَيَّ شَفَّكُما السُّهادُ و**ها**هُنا ما تَصبُوانِ إليهِ مِنْ نَعماءِ (س ٤٦٦)

لقد طال بالقلبِ عَهْدُ العَذابِ و**ها** إنّه بعدَ صَبْرٍ يَثورْ(س ٤٢٦)

هاتِيكَ أَضْواءُ المراكِبِ وهي تَلْمَعُ من بعيد (س ٧٨)

١٠- زيادة ضمير الفصل:

فقلتُ أَفِقْ هذا هو الصُّبحُ مُقْبِلٌ   علينا و**هذي** في الذَّهاب الحَنادِسُ (ب ١٥٧/٢)

أَسْلَمْتُ نَفْسي لِمولىً لا يَخيبُ لهُ   راجٍ على الدَّهْرِ والموْلَى **هو** الواقِي (ب ٣٢٧/٢)

هذا **هو** اللُّغْزُ عمَّاهُ وعَقَّدَهُ   على الخَليقةِ وَحْشٌ فاتِكٌ حَذِرُ (ش ٣٦٤)

هذا **هو** الدَّنِفُ الّذي أَرْضى الهوى   فيها وأَغْضَبَ كاشِحاً وعَذُولا (م ٤٩٣)

إنّ الشّبابَ **همُ** الرَّجاءُ ونُورُهُ   وبِهِم جَنابُ المكرُماتِ مَرِيعُ (ح ٢٨٧/١)

هذا **هو** اليومُ الأخيرُ

وا حَسْرَتاهُ أَتُصدِّقِينَ؟ ألنْ نَخِفَّ إلى لِقاءٍ

هذا **هو** اليَوْمُ الأخيرُ فليْتَهُ دُونَ انْتِهاء (س ٤٩)

يُمْناكَ والنُّورُ الضَّئيلُ أَكانَ ذاكَ **هُوَ** الوَداعْ (س ٦٩)

4- الحذف:

١ - حذف المبتدأ:

فَظٌّ غَليظٌ مُقيتٌ ساقِطٌ وَجِمٌ   وَغْدٌ لَئيمٌ ثَقيلُ الظِّلِّ حجَّامُ (ب ٤٧٨/٣)

هَنيئاً لها نَفْسِي على أنّ دُونَهَا   فوارسَ **لا خُرْسُ** الصِّفاحِ ولا عُزْلُ (ب ٥١/٣)

لَبِقٌ بتصرْيفِ الكلامِ يَسوقُهُ   ما شاءَ بينَ سُهولةٍ وعَزازِ (ب ١٤٦/٢)

ظُلْمةٌ مالها خِتامٌ وهَولٌ   شَائِعٌ في سُكونها الممدودِ (ش ٢٧٤)

زُمَرٌ من ملائكِ الملأ الأعلى   يُغَنُّونَ في حُنوٍّ حَنونِ (ش ٣٣٣)

عذْراءُ ليسَ الفجرُ والِدَها   وكأنّها مَوْلُودةُ الفجرِ (م ٣٢٩)

بئس المدينةُ إنّها سِجْنُ النُّهى وذَوِي النُّهى وجهنَّمُ الأحرارِ (م ٣٢١)

يا فرنسا إنْ تَغلبي **فَبِجيشٍ** وسِلاحٍ في الفَتْكِ كانَ رَهيبا (ح ١/١٠٦)

غِيدٌ كواعِبُ في لَهْوٍ وفي مَرَحٍ واللَّهْوُ في الغِيدِ حالاتٌ وأطْوارُ (ح ٢/٤٩٢)

أنتَ في عَيني نَهاري فإذا ضَمَّني اللّيلُ **ففي الطَّيفِ** الْمُلِمْ (ح ١/١٦٥)

أمُشارِكي في حُبِّ مَنْ أَحْبَبْتُهُ **بئسَ الشَّريكُ** ولا سَلِمْتَ من الجَوى (س ٤٧٥)

إنْ تَمْنحيهِ رِضى لَقِيتِ رِضى أو تُوسِعيهِ قِلىً **فَمُنْتقِمُ** (س ٤٧٠)

أفَعَنْ هوىً ماكانَ من نَظَرٍ أمْ كانَ لهواً عاجلَ المَرِّ (س ٤٦٧)

أعيُنُ البُندُقيَّاتِ يأكُلْنَ دَرْبي

شُرَّعٌ تَحلُمُ النّارُ فيها بِصلْبي

جوعانُ في القَبْرِ بلا غِذاء

عَريانُ في الثّلجِ بلا رِداء(س ٢٤٨)

٢- حذف الخبر:

وإذا نَطَقْتُ فإنّني قُسُّ بنُ ساعِدةَ الإيادي

هذا وذلك دَيْدني في كُلِّ مُعضِلةٍ نآدِ (ب ١/٢٤٣)

ومن شِيَمي بَذْلُ الوِدادِ لأهلِهِ **كذلكَ** إنّي في الوِدادِ أُنافِسُ (ب ٢/١٥٧)

أيُّ عيشٍ هذا **وأيُّ حَياةٍ** رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ منه الحِمامُ (ش ٣٣٧)

كمْ من عَذابٍ لا يُطاقُ قُبَيلَها **كمْ من شَهيد** (ح ١/١٧٨)

قَلْبٌ كما شاء الصَّفاءُ ومُهْجةٌ مَشْغوفةٌ بالبِرِّ والإحسانِ (ح ٢/٣٨٨)

٣- حذف الفعل:

إذا **البُروقُ** ازْمَهرَّتْ خِلْتَ ذِرْوَتَها شَهْماً تَدرَّعَ من تِبْرٍ بأدْراعِ (ب ٢/٢٦١)

فلو **مِصْرُ** تَدْرِي أَرْسَلَتْ لكَ نِيلَها لِيلْقاكَ في جُنْحٍ من الليلِ قاتِمِ (ب ٣/٣٠٨)

وتنادَوْا بهِ **إلى النّارِ** فالنّارُ بِروحِ الخَبيثِ أَحْرى وأَوْلَى (ش ٢٦٨)

قُلْتُ ابْتَسِمْ ما أنتَ جالِبُ دائها وشِفائِها فإذا ابْتسمْتَ **فَرُبَّما** (م ٥٢٩)

ماأحْسَنَ الأيّامَ قالتْ يومُكُمْ و**النّاسَ**؟فابْتَدرَتْ وقالتْ أنتمُ (م ٥٠٠)

ساءَلْتُ قلبي إذْ رَأَى فتحَيَّرا ماذا شرِبْتَ فمِدْتَ قال **دِمائي** (م ٨٤)

أمِنَ القُبورِ؟ فكيف مَنْ حلُّوا بها؟ أهناكَ ذُو ألمٍ وذُو تطْرابِ (م ١٢٨)

ويا **مَرْحباً** بأمير السَّلامِ وقلَّ له قَوْلُنا مَرْحبا (م ١٤١)

اللهَ في أُمَّةٍ جارَ الزَّمانُ بها يَفْنى الزَّمانُ ولايَفنى لها أَلَمُ (م ٥٠٣)

مَجداً وعِزّاً يا أبا حَيَّان ومُتْعةً للعَيْنِ والجَنانِ (ح ٢/٤٧٥)

حَيْرانَ في سِرِّ الحياةِ كأنّني نِضْوُ اغْتِرابٍ ضَلَّ في بَيداءِ (ح ٢/٤٥٣)

يَصيحونَ بابا فيفطرُ قلبُ المساءِ

"ماذا حَمَلْتَ لنا من هدِيّة"

"**غداً** ضاحكاً أطْلعَتْهُ الدِّماءُ" (س ١٤٦)

٤- حذف الفاعل:

هيهاتَ ما الدَّارُ تُشْجِيني بساحتها وإنّما الدَّارُ تُشْجِيني بأهليها (ب ٤/١٦٥)

هيهاتَ صدَّ بكَ الهوى عن أنْ تَرِيعَ ولنْ إخالكْ (ب ٣/٢٥٥)

وأنتَ فوقَ الأسى والموتِ مُبتسِمٌ ... تَرْنُو إلى الكون **يُبْنَى** ثُمَّ يَندثِرُ (ش ٣٦٦)

هيهاتَ بعدَكَ ما يُفيدُ تَصبُّرٌ ... ولئنْ أفادَ فأيُّ قلبٍ يَصبِرُ (م ٢٧٦)

قُطْبُ رَحانا محمّدٌ و**كَفَى** ... وليس لِما شادُوا في الدُّنى هادِمُ (ح ٢/٦٥٢)

حَسْبي من الدُّنيا الغَرُورِ بَراءَتي ... ممّا جَنَتْهُ أَكُفُّهُمْ و**كَفاني** (ح ٢/٣٩١)

غنَّى فأطْربَ بعدَ مَرِّ ليالي ... وأتاكَ من مَكنونِه بغوالي (ح ١/٣١٠)

و**هيهاتَ** إنّ الهوى لنْ يَموت ... ولكنّ بعضُ الهوى يأفُلُ (س ٤١)

أأُحِبُّ فاسقةً تُواصِلُ فاسقاً ... **هيهات** لسْتُ وإنْ رُمْتِني عاشقا (س ٤٧٧)

٥- حذف المفعول به:

سَلْ دُموعي فهُنَّ **يُنبِئْنَ** عمَّا ... في ضَميري ويَعتَرِفْنَ بِصِدْقي (ب ٢/٣١٩)

دَعْ ما **يَريبُ** وخُذْ فيما خُلِقْتَ له ... لعلَّ قلبَكَ بالإيمانِ يَنتفِعُ (ب ٢/٢٥٦)

حلفتُ بما استَوْلى عليه نِقابُها ... ويا لكَ حلفاً ما**أرقَّ** وما**أنْدَى**(ب ١/٢٢٤)

فهذا الذي أَلْقاهُ منك على النَّوى ... فَرَاخِي وَثاقي يابْنَةَ القَوْمِ أو**شُدِّي**(ب ١/١٦١)

ياربّةَ الشِّعرِ إنّي بائسٌ تَعِسٌ ... عَدِمْتُ ما أَرْتَجي في العالَمِ الدُّونِ (ش ١٩٩)

مِنْ شاعرٍ كَلِفٍ بكم وبأرضِكم ... أبداً **يُوالِي** فيكمُ و**يُعادِي** (م ٢١٢)

قد زارَني مَنْ لا**أُحِبُّ** ... وأنتِ أَوْلَى **أنْ تَزُورِي**(م ٣١٣)

سَمِعَتْ عَوِيلَ النَّائحاتِ عَشيَّةً ... في الحَيِّ يَبْتَعِثُ الأَسَى و**يُثيرُ**(م ٣٠٠)

بيَّتُوهُمْ في العَشيَّاتِ ولا ... مَلْجأٌ **يَحْمي** ولا مُعْتَصَمُ (ح ٢/٣٥٥)

وناديْتُ **أَدْرِكْ** يا مُحمّدُ فانْجَلَتْ ... وعَمَّتْ حَياتي نَضْرةٌ وحُبورُ(ح ٢/٦٨٨)

لو**شئتَ** جاءَتْكَ الغَوَانِي خُشَّعاً   يَنْظُرْنَ نَظْرةَ وامِقٍ مُتَطَلِّعِ (س ٤٧٦)

لَأجْعَلَنَّ سَماءَ اللهِ لي هَدَفاً   أَحْتلُّ آفاقَها القُصْوى و**أَجْتاحُ**(س ٤٨٥)

٦- حذف التمييز:

بلغتُ مَدى خَمسين َوازْدَدْتُ **سَبْعةً**   جَعلْتُ بها أَمْشي على قَدَمِ الخِضْرِ (ب ١٧/٢)

إنَ **الثَّلاثينَ والخَمْسَ** التي عَرَضَتْ   ثَنَتْ قُوايَ وفلَّتْ غَرْبَ أَشْجاني(ب ١٤٧/٤)

أعندَ **الأربعينَ** تَرى جَميلاً   على نُضْجِ الحِجى خَلْعَ العِذارِ (ح ٦٣٨/٢)

الأَرْبَعُونَ اسْتنزفتْ صَبْوَتي   ولم تَدعْ فيَّ للَّهْوِ مَكانْ(ح ٦٤٠/٢)

فتُوقِظُ مَنْ رُؤاهُ القلبُ:ذاكَ عدوُّكَ الزَّمنُ

تَدورُ رَحاهُ٠٠٠**كمْ** ستَظَلُّ تَخْفُقُ؟هاهمُ الأَصْحابُ (س ١٤٣)

٧- حذف المضاف إليه:

ويَصْحَبُني في كلِّ رَوْعٍ **ثلاثةٌ**   حُسامٌ وطِرْفٌ أَعْوَجيٌّ ولَهْذَمُ(ب ٥٥١/٣)

تَقُودُهُ بِنْتُ **خَمْسٍ** فَهْوَ يَتْبعُها   ويَسْتَشيطُ إذا هاهَى به الرَّجُلُ (ب ١٦١/٣)

فكم بها رَسخَتْ أَرْكانُ مَمْلكةٍ   و**كمْ** بها خَمَدَتْ أَنفاسُ مَغْرُورِ(ب ١٣٧/٢)

أَجْرَى نَسيمَ الأَمْنِ بَعْدَ رُكُودِهِ   وأَفاضَ ماءَ العَدْلِ بعدَ **نُضُوبِ** (ب ٤٦/١)

حرَّكَتْ منِّي شُعُوراً   كانَ من **قَبلُ** رَميمْ (ش ٣٨٤)

وأَقْبَلَ **كُلٌّ** إلى أَهلِهِ   سِوى أَمَلي المستطارِ الغَريبْ (ش ١٩٣)

ودَعِ الحُبَّ يُنْشِدُالشِّعرَ لِلَّيْلِ   **فَكَمْ** يُسْكِرُ الظَّلامَ رَنيمُهْ (ش ٣٠٠)

شَقِيَ الجَميعُ بها وعَزّ **ثلاثةٌ** ذِئْبُ الفَلاةِ ونَسْرُها والأَجْدَلُ (م ٤٥٥)

وكانَ حَديثٌ خِلْتُ أَنّي حَفِظْتُهُ فأَذْهَلني عنه الذي كانَ من **بَعْدُ** (م ٢٠٣)

إذا الدَّهرُ لم يَعْرِفْ **لكلٍّ** مكانَهُ إذنْ قُلْ لأهلِ الدَّهرِ قد فَسَدَ الدَّهرُ(٢٩٨)

قدْ رامَكِ الدَّهرُ **قَبلاً** فامْتَنعْتِ ولم تَخْشَيْ وللدَّهرِ إقْسارٌ وإرْغامُ (ح ١/١٥١)

ويا نَداماي أَعيدُوا الهوى غَضّاً فَغُصْني **بَعدُ** لم يَذْبُلِ (ح ٢/٣٦٩)

و**كم** ناديْتُ في أيّامِ سُهْدي أو لَياليهِ

أيَا أُمّي تَعالي فالْمِسي ساقِي واشْفِيني (س ٣٤٧)

ولا عَطَفُوا عليَّ عَشِقْتُ **سَبعاً** كُنّ أَحْياناً

تَرِفُّ شُعورُهُنّ عليَّ تَحْمِلُني إلى الصِّينِ (س ٣٣٢)

٨- حذف الموصوف:

فمَنْ يَكُ **بالبيضِ** الكَواعِبِ مُغْرَماً فإنّي بالبِيضِ القَواضِبِ مُغْرَمُ (ب ٣/٥٤٩)

عَرَفَتْ بها **الجُرْدُ** العِتاقُ مَجالَها فَغَدَتْ تُحَمْحِمُ رِقّةً وحَنانا (ب ٤/٨٤)

فليسَ الهوى سَهْلاً فأَلْوِي عِنانَهُ وإنْ كُنْتُ يوْمَ الرَّوْعِ **ذا مرّةٍ** أَلْوَى (ب ٤/١٩٠)

فرآها بكَفِّ **عَذْراءَ** أَزْهَى من جَناحِ الفَراشةِ الْبيضاء (س ٤٢٥)

٩- حذف المعطوف عليه:

في ظَلامِ الفَناءِ أَدْفِنُ أيّامي

ولا أَستَطيعُ **حتّى بُكاها** (ش ٢٩٧)

والدَّهرُ يَدْفِنُ في ظلامِ الموتِ **حتّى الذِّكرَيات** (٢٨٥)

أَحْبَبْتُ **حتَّى الشَّوكَ** في صَحْرائها　　　وعَشِقْتُ حتَّى نَخْلَها المتَكَبِّرا (م ٣٥٩)

يا ضَرَّةَ البَلْجيكِ في أَحْزانها　　　تَبْكيكِ حتَّى أُمَّةُ البَلْجِيكِ (م ٤٣٣)

عَزَّ **حتَّى الحَدِيثُ** بينَ الأَحاديثِ وحتَّى الْتِقاؤُنا بالعُيُونِ (س ٨٠)

لِيَنْهدَّ هذا الجِدارُ الرَّهيبُ　　　وتَنْدَكَّ حتَّى ذِراعا أَبي (س ٧٢)

وقَبَّلْتُ **حتَّى البُهْمَ** لَمَّا رأَيْتُها　　　تُقَبِّلُ تلكَ البُهْمَ قُبْلَةَ ثائرِ (س ٤١٣)

١٠- تخفيف الحرف المشبَّه بالفعل:

خَفَّتْ مَعاطِفُها **لكنْ** رَوادِفُها　　　بِمِثْلِ ما حَمَّلَتْني في الهوى رَجَحَتْ (ب ١١٦/١)

وإنْ خَطَرتْ بينَ النَّدامَى تأَوَّدَتْ　　　**كأنْ** ليسَ عُضْوٌ في القَوامِ على عُضْوِ (ب ٢١٠/٤)

فكيف أَدْرأُ عن نَفْسِي وقد عَلِمتْ　　　**أنْ** ليس لي بِمُناواةِ الهوى قِبَلُ (ب ١٥٦/٣)

و**لكنْ** لم يدَعْ بُؤْسُ اللَّيالي　　　طَرِيفاً في يَدَيْهِ ولا تِلادا (م ٢٤٥)

لا و**لكنْ** راعَهُمْ عَصْرٌ بهِ　　　سادَ في الفِتيانِ حُبُّ الذَّهَبِ (م ١١٥)

عَنَّفْتِهِ وهو لا ذَنْبَ جَناهُ سِوى　　　**أنْ** ليس يَرْضَى بأنْ يَغْدُو لها ذَنبا (م ١٤٠)

أنتِ كالزَّهرة الجميلة في الغابِ　　　و**لكنْ** مابينَ شَوْكٍ ودُود(ش ٣١١)

أَعْطى الحُقولَ حَياتَها ومَضَى **كأنْ**　　　لم يُعْطِها شَيَئاً ولم يَتَصدَّقِ (م ٤١٤)

لَواحِظُها نَمَتْها الهِنْدُ　　　**لكنْ** أَهْلُهاعَرَبُ(م ١١٢)

المرْءُ مُجتهِدٌ والموتُ مُجتهِدٌ　　　**أنْ** ليسَ يَترُكُ فوقَ الأَرض مُجْتهِدا (م ٢٥٥)

يَشْهَدُ الدَّهرُ والحَوادِثُ **أنْ** قدْ　　　كُنتَ في الموتِ والحَياةِ عَجِيبا (ح ١٠٥/١)

حتَّى **كأَنْ** لم يَكُ يُتْمٌ ولم　　　يَفْتَقِدوا في العَيْشِ معوانا (ح ٤٦٦/٢)

نحنُ كالقُطْعانِ في رَحْبِ الفَضا نَمْلأُ السَّهلَ و**لكنْ** غنَمُ (ح ٣٥٢/٢)

ومَضَى يُدَغْدِغُ صَدْرَها وبِوُدِّهِ **أنْ** لو يُزيحُ عن النُّهودِ نِقابَها (س ٤٧٩)

كَفَى طَرْفَكِ اليَوْمَ **أنْ** غرَّرا بقَلْبٍ جفَا الحُبَّ واسْتكْبرا (س ٤٢٤)

١١- حذف الجملة:

فاسْمَعْ فإنْ خَيْراً أَصبْـــ ــــت فَخُذْ و**إنْ شَرًّا** فَدَعْ (ب ٢٣١/٢)

وهْيَ إنْجيليَ الجميلُ فَصدِّقْهُ **وإلّا فَلِلْغَرامِ** جَحيمُهْ (ش ٣٠١)

إنْ أَرَدْتُنَّ أنْ يكونَ بَهيجاً رائعَ السِّحْرِ ذا جَمالٍ فَرِيدِ (ش ٢٥٤)

فأين الأُلَى شادُوا وبادُوا؟ألم نَكُنْ نَحُلُّ كما حَلُّوا ونَرْحَلُ **مِثْلَما** (ب ٣٩٧/٣)

وكيف لو أَفَقْتُ من رُقادِي المُخَدَّرِ

على صَدَى الصُّوَرِ على القِيامة الصَّغيره(س ١٣٦)

علامَ وفيمَ والقِدْحُ الْمُعَلَّى لنا وجِهادُنا بلغَ النَّجاحا(ح ٢٩٤/١)

جِئْتُ لا أَعْلَمُ **من أَين** ولكنِّي أَتَيْتُ (م ١٥٦)

وَصَفُوكَ بالتَّقْوَى وقالُوا جَهْبَذٌ عَلامَةٌ ولقد وَجَدْتُكَ **مِثلما** (م ٥٣٢)

لا وبَيْتٍ تَهْوِي القُلُوبُ إليهِ مُطْمَئِنٍّ من عَهْدِ إسْماعِيلا(ح ٧٤/١)

5ً- التَّحويل:

١- تحويل الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية:

ليسَ مَنْ يَطلُبُ المعالي للفخـــ ـــر كَمَنْ يَطلُبُ العُلا للزَّادِ (ب ١٨٨/١)

زَعَمُوكِ شَمْساً لاتَلُوحُ بِظُلْمةٍ ولِقَوْلِهِمْ عِندي يَدٌ بَيْضاءُ (ب ١٤/١)

وتَظَلُّ جامدةَ الجَمالِ كَئِيبةً　　　كالهَيْكلِ المتهَدِّمِ الْمَهْجُورِ (ش ٢٧٩)

اتَّخَذَ الجوَّ ملْعباً ثُمَّ أَمْسَى　　　راكِضاً في الهواء ركْضَ الهواءِ (م ٩٦)

وتَظَلُّ صُورتُها تَلُوحُ لِخاطِري　　　بَعْضُ الرُّؤَى سلْوَى وإنْ لم تَصدُقِ (م ٤١٤)

أنتَ أَوْحَشْتَني **فَصرْتُ كئيباً**　　　في صَماتي العَميقِ من رِفاقي (ح ١٠٩/١)

وأَصْبَحَتِ المَنازِلُ مُقْوِياتٍ　　　تَضِجُّ عليكَ حُزناً والتِياحا(ح ٤١٧/٢)

سَتَهْوِي شَفَتانا فيهِ نَحْوَ القُبْلةِ الأُولَى

فيُصْغِي في صَداها خافِقٌ **مازال مَتْبولا** (س ٤٢٢)

٢- التحويل إلى الجامد:

ما **أَطْولَ** اللّيلَ على السَّاهرِ　　　أَمَا لِهذا اللّيلِ مْن آخرِ (ب ١٠٥/٢)

أَحْبِبْ بِهِنَّ مَعاهِداً ومَعانا　　　كانتْ مَنازِلُنا بها أَحيانا (ب ٨٣/٤)

يا **حَبَّذا** مصْرُ لو دامَتْ مَودَّتُها　　　وهل يَدُومُ لِحَيٍّ في الوَرَى سكَنُ (ب ٣٤/٤)

بئسَ العَشيرُ وبئستْ مصرُ من بَلدٍ　　　أَضْحَتْ مُناخاً لأَهل الزُّوْرِ والخَطَلِ (ب ١٨/٣)

ولا تَغَنَّيْتُ مأْخُوذاً و**لاعَذُبَتْ**　　　لِيَ الحياةُ لَدَى غُصْنِ الرَّياحينِ (ش ١٩٩)

خَبِّرُوا قلبي فَما **أَقْسَى** الجِراح　　　كيفَ طارَتْ نَشْوةُ العَيشِ الحميدْ(ش ٢٢٨)

تَبكي بُكاءَ القانِطِينَ وما　　　**أَسْخَى** دُموعَ الغادةِ البِكْرِ(م ٣٣٥)

ألا حبَّذا الأَجْنادُ غَوْثاً لِخائفٍ　　　ويا **حبَّذا** الأَحْرارُ وَرْداً لِمُسْتَقٍ (م ٤١٦)

ياقَوْمَنا إنَّ العَدُوَّ ببابِكُمْ　　　**بئسَ** الْمُغيرُ على البِلادِ الجَارُ(م ٢٨٤)

يازَهْرَ الدُّرَّاقِ ما **أَجْمَلَكْ**　　　اللهُ بالحُسْنِ لقدْ كَلَّلَكْ(ح ٥٠١/٢)

في مَسْمَعِ الكونِ من ذِكْراكَ تَرْنيمُ **عَظُمْتَ** فالدَّهرُ تَقْديسٌ وتَكْريمُ(ح ٢/٦٧٢)

كَرُمْتَ وطابَ مَحْتِدُكَ اتِّصالا بِمَنْ أَرْجُو به الفَوْزَ امْتِداحا(ح ٢/٤١٩)

عِبْءٌ من الآجالِ ما **أَثْقَلَهُ**

كمْ حاوَلَ الجَلادُ أنْ يُنْزِلَهُ (س ٢٠٩)

ما **أَطْوَلَ** اللّيلَ وأَقْسَى مُدْيَةَ السَّهَرْ

صَدِيئةً تَحُزُّ عَيْنَيَّ إلى السَّحَرْ(س ١٧٢)

٣- التّحويل إلى المجهول:

طُبِعُوا على حَسَدٍ فأنتَ تَراهُمُ مَرْضَى القُلُوبِ أَصِحَّةَ الأَجْسادِ (ب ١/١٩٨)

بُغِتَ الشَّقِيُّ فَصاحَ في هَوْلِ القَضا مُتَلَفِّتاً للصَّائلِ الْمُنتابِ (ش ٣٧٠)

شِيْدَتْ على العَطْفِ العَمِيقِ وإنّها لَتَجِفُّ لو شِيْدَتْ على التَّفْكيرِ (ش ٢٧٩)

أُوذِيَ فلم يَجْزَعْ وضِيمَ فلم يَهُنْ إنَّ الكريمَ على الأَذَى صَبَّارُ (م ٢٨٣)

فتَنْطَلِقُ النَّفْسُ من سِجْنِها و**يُسْجَنُ** تحتَ الثَّرى ظاهِري (م ٣٠٩)

كمْ من بلادٍ **دُكَّتْ** وكم من أُلُوفٍ طَحَنَتْهُمْ رَحَى الْمَنِيَّةِ طَحْنا (ح ٢/٥٧٨)

خَلَّدَ الدَّهرُ لكَ الذِّكْرى وما شُدْتَهُ من شامِخٍ لن **يُهدَما**(ح ١/٢٦٨)

مَنْ لِقلبي على القَدَرِ **قُضِيَ** الأَمْرُ بالسَّفَرْ(س ٤١٢)

و**أُفْرِدْنا** وفي الإفرادِ بَعْضُ الخَيْرِ للصَّبِّ

عيشُ الزَّهرةُ الفَيْناءُ في الْمُنْبَسَطِ الرَّحْبِ(س ٤١٥)

٤- التحويل إلى صيغة اسم فعل الأمر:

فاضْرَحْهُمُ ضَرْحَ العُيُونِ قَذَاتَها **وحَذارِ** لا تَعْلَقْ بكَ العُلاقُ (ب ٢/٣٠٠)

رُوَيْدَكَ لا تَعْجَلْ بلَوْمٍ على امْرِىءٍ أَصابَ هوى نَفْسٍ ففي الدَّهرِ ما يُسْلِي (ب ٧٦/٣)

فــدُونَكَ غَيْري فاستَعِنْهُ على الجَوَى ودَعْنِي من الشَّكْوَى فَــدَاءُ الهــوى يُعْــدِي (ب ٢١٠/١)

إليكَ فقدْ ثَلَّمْتَ عَرْشاً مُمَنَّعاً وفَلَّلْتَ صَمْصاماً وذَلَّلْتَ ضَيْغَما (ب ٤٠٢/٣)

فَحَذارِ ثُمَّ حَذارِ من يَوْمٍ به يَجْرِي النَّجيعُ على الثَّرى أَنْهارا (م ٣٤٩)

رُوَيْدَكَ ماأَرْضى لكَ الحُزْنَ خَلَّةً وهَيْهاتَ أنْ أَرْضاكَ بالحُزْنِ راضيا (م ٦٥٧)

فَسَمِعْتُ صَوْتاً من بَعيدٍ قائلاً يا أيُّها السَّاري **مكانَكَ** تُحْمَدِ (م ٢٢٢)

رويدكَ يا ظَلُومُ أَليسَ نُكْراً غِلابُكَ بالرَّدَى النَّفَرَ الطِّلاحا (ح ٤١٨/٢)

مُشْرَئِبٌّ على الْمَغاني يُنادِي ساكِنِيها **عليْكُمْ** بالنُّزُوحِ (ح ٥١٣/٢)

هيَ جَنَّةٌ **فَحَذارِ** من أَفْعر تَدِبُّ على ثَراها (س ١٦٤)

أمَا زِلْتَ تَصْبُو إلى قُرْبِها **رويدكَ** ما أنتَ من صَحْبِها (س ٤٦٢)

لا تَعْدُوَنَّ على التي ملَّكْتُها رُوحِي و**دُونَكَ** غَيْرَها فاستَمْتِعِ (س ٤٧٦)

بُنَيَّ **إليكَ** صَدْرِي فيهِ فادْفِنْ وَجْهَكَ الطِّفْلا (س ١١١)

٥- التّحويل إلى التّمييز:

هوَ أَبْهى **وَجْهاً** وأَقْتَلُ **أَلْحا ظاً** وأَنْدى **خَدّاً** وأَلْيَنُ **قَدّا** (ب ٢٣٦/١)

يُقَصِّرُ **حُسْناً** عَنْهما صَرْحُ بابلٍ ويَعْتَرِفُ الإيوانُ بالعَجْزِ والبَهْرِ (ب ٤٨/٢)

تَحْكِي الغَزالةَ **أَلْحاظاً** إذا نَظَرتْ والوَرْدَ **خَدّاً** وغُصْنَ البانِ **أَعْطافا** (ب ٢/٢٧٧)

لَبِسْتُمُ الجَهلَ **ثَوْباً** تَخِذْتُموهُ شِعارا(ش ١٣٦)

إنَّ القَوافِي كالْخَرائدِ **مَنْعةً** وتَفُوقُها في نَبْذِ كلِّ مُدَاجِ (م ١٩١)

زادَتْ مَلاحَتُها فَزِدْتُ بها كَلَفاً ومَوْجَدَةً على هنْري (م ٣٣٠)

يَزِيدُ الليْلُ كُرْبَتَهُ اشْتِداداً وفَرْطُ الهَمِّ لَيلَتَهُ سَوادا (م ٢٤٤)

أَخَذُونا بانْتِدابٍ وقالُوا نَحْنُ أَقْوى **يَداً** وأَسْمى **عُقُولا** (ح ١/٧١)

فِرَقُ العَدُوِّ وإنْ تَفاقَمَ خَطْبُها هانتْ عليكَ **مَعاقِلاً** وجُنودا(ح ١/١٢٧)

واضِعُ الدُّسْتُورِ في أَكْفانهِ يُوَدِّعُ الدُّستُورَ **أَهلاً** وصِحابا (ح ١/١٥٩)

الموتُ أَوْهى **يَداً** من أنْ يُشابِكَها وهْيَ التي مَدَّتِ الموتَى بأَعمارِ (ح ٤٤٧)

أُنْثى من الطِّينِ لاحَوَّاءُ تُشْبِهُها **حُسْناً** ولاالعالَمُ الأَعْلى بِما رَحُبا (س ٤٨١)

٦- تحويل العدد:

تَرِفُّ حِيالي كُلَّما أَغْمَضَ الكَرى جُفُونِي جَماعاتٍ و**مَثْنى ومَوْحَدا** (م ٢٤٨)

دَهاكَ ولم يُشْفِقْ على الصِّبْيةِ الأُلَى تَرَكْتَهُمْ يبكُونَ **مَثْنَى ومَوْحَدا** (م ٢٤٦)

مازالَ يَرْقَى صاعِداً حتَّى انْتَهى حَيْثُ الغِناءُ **مَثالثٌ ومَثانِ ي** (م٥٧٤)

6ً- التعبير عن المعنى بغير لفظه:

١- استخدام الأفعال في موضع بعضها بعض:

- المضارع في موضع الماضي:

إنّ الحَياةَ لَثوْبٌ سوفَ تَخْلَعُهُ وكلُّ ثَوْبٍ إذا ما رَثَّ **يَنْخَلِعُ** (ب ٢/٢٥٦)

بَكيْتُ عَلِيَّاً إذْ مَضَى لِسبيلِهِ　　بعَيْنٍ **تَكادُ** الرُّوحُ في دَمْعِها **تَجْري** (ب ٢/٩٦)

ومَشَيْتُ تحتَ ظِلالِه مُتَهَيِّباً　　كالطِّفْلِ في صَمْتٍ وفي استِسْلامِ

أَرْنو إلى الأدْواحِ في جَبَرُوتِها　　**فإخالُها** عَمَدَ السَّماءِ أَمامي (ش ٣٥٨)

كلَّما **أَسأَلُ** الحياةَ عن الحَقِّ　　**تَكُفُّ** الحياةُ عن كُلِّ هَمْسِ (ش ١٧٤)

وإذا بَصَرْتَ به بَصرْتَ بأَشْمَطَ　　وإذا **تُحَدِّثُهُ تَكَشَّفَ** عن صَبَي (م ١٢٠)

يا أَشْهُراً مَرَّتْ سِراعاً كالمنى　　لو **أَسْتَطِيعُ** جَعلْتُكُنَّ سِنينا (م ٦٠٥)

يَتَهافَتُونَ على المدافِعِ مِثْلَما　　**يَتَقَدَّمُونَ** إلى الحِرابِ وُفُودا (ح ١٢٨/١)

لو **يَعْلَمُ** النَّاسُ مَنْ في التُّرْبِ قد دَفَنُوا　　تُقىً وعِلْماً وإصْلاحاً وتَجْدِيدا (ح ٣٩٨/٢)

بالأمْسِ كان إذا تَرَنَّمَ **يُمْسِكُ** اللّيلَ الطَّرُوب

بنُجومِهِ المتَرَنِّحاتِ فَلا تَخِرُّ على الدُّرُوب (س ١٧٥)

أنا سوفَ أَمْضي رُبَّماأنْسَى إذا سالَ الأَصيلُ

بالصَّمْتِ أنَّكَ في انْتظاري **تَرْقُبينَ وتَرْقُبينَ** (س ٧٠)

- الماضي في موضع المضارع:

فإيّاكَ أنْ تُخْدَع بشيمةِ صاحِبٍ　　فمَنْ **ظَنَّ** خَيْراً بالزّمانِ فقدْ أَكْدَى (ب ٢٢٥/١)

فإنْ لم أَقُلْ حَقّاً كَذَبْتُ على الهَوى　　وإنْ **قُلْتُ** إنّي عاشِقٌ **بُحْتُ** بالسِّرِّ (ب ٩٩/٢)

مَهْما **تَأَمَّلْتُ** الحياةَ　　**وَجُبْتُ** مَجْهَلَها الرَّهيبْ

و**نَظَرْتُ** حَوْلي لم أَجِدْ　　إلّا شُكوكَ الْمُستريبْ (ش ٢١٨)

مهما **تَضاحَكَتِ** الحياةُ　　فإنَّني أَبداً كَئيبْ (ش ٢٢١)

أنَّى **تَلَفَّتَتِ** العُيونُ بَدَتْ لها خَضْراءُ في دِمَنِ الزّمانِ الأنْكَدِ (ح ٢٥١/١)

وأنا الصَّرِيعُ فحيثُما **أَلْفَيْتَني** **أَلْفَيْتَ** خِلَّ صباً ونِضْوَ دِعابِ(ح ٦٤٢/٢)

إذا رآها تَقِيٌّ ظَنَّها عَدَناً وإنْ **رآها** شَقِيٌّ **ظَنَّها** سَقَرا (م ٣٦٦)

مالي أُكَلِّفُ مُهْجَتي كَتْمَ الأَسى إنْ طالَ عَهْدُ الجُرْحِ صارَ صَدِيدا (م ٢٥٨)

- الأمر والدعاء بالماضي:

ألا **قَبَّحَ** اللهُ الجَهالةَ إنّها عَدُوَّةُ ما شادَتْهُ يدُ الفِكْرِ(ب ٥٤/٢)

فيا **قاتَلَ** اللهُ الهوى ما أَشَدَّهُ على المرْءِ إذْ يَخْلُو به فَيُغيرُ(ب ٢٧/٢)

لَحَا اللهُ مَنْ لم تَسْتَثِرْهُ حَمِيَّةٌ على دِينِهِ إنْ داهَمَتْهُ العَظائِمُ (ش ٢٥٦)

قَدَّسَ اللهُ ذِكْرَهُ من صَباحٍ ساحِرٍ في ظِلالِ غابٍ جَميلِ (ش ٣١٦)

رَعَى اللهُ أيّامي التي قدْ أَضَعْتُها فَكنتُ كأنّي قد أَضَعْتُ فُؤادِيا (م ٦٥٨)

فقلتُ **وقاني** اللهُ شَرَّكَ مالذي أَتى بكَ يا مَشْؤُومُ ساعةَ الأُنْسِ (م ٣٩٧)

عَفا اللهُ عَنْكُم كيف مِلْتُمْ مع الهوى وكيفَ لَدَيْكُمْ يا إخوتي خَفَّ وَزْني (ح ٥٩٥/٢)

سامَحَ اللهُ زَماناً مَرَّ بي غَرَّني حِيناً فلم أَدْرِ الهُدى (ح ٥٩٧/٢)

قالُوا أَلَا **تَصِفُ** الغَرامَ لنا حتَّى يُحيطَ بِنعتِهِ الْفَهْمُ (ب ٤٥٦/٣)

- المضارع في موضع الأمر:

يا صَحْبُ مَنْ كانتْ به صَبْوَةٌ **يُعلِنُها** الآنَ ويُبْدِيها (م ٦٥٥)

فَعِشْ واسْمُ يا نَسْرَ الجَلاءِ مُحَلِّقاً ويا بَطَلَ التَّوحيدِ **يحْفَظُكَ** الرَّبُّ (ح ٣٣٣/١)

٢- التعبير بالجامد عن المشتقّ:

- الخبر جامد:

لاتَخَلْ نَمَّةَ الوُشاةِ صَلاحاً فهْيَ **داءٌ** تَدْوَى به الحَوْباءُ (ب ١/٢٨)

فالتُّرْبُ **مِسْكٌ** والجَداوِلُ **فِضَّةٌ** والقَطْرُ **دُرٌّ** والبَهارُ **نُضارُ** (ب ٢/٧٤)

فإنّ قلبيَ **قَبْرٌ** مُظْلِمٌ قُبِرتْ فيه الأَماني فَما عادَتْ تُناغِيني (ش ١٩٩)

واليأسُ **مَوْتٌ** ولكنْ مَوْتٌ يُثيرُ الشَّقاءْ (ش ١٤٣)

هي **شيءٌ** وبَعْضُ شَيءٍ وحِيناً كلُّ شيءٍ وعندَ قَوْمٍ هَباءُ (م ٧٩)

وقَفَتْ تُحِيطُ بها الزُّهورُ كأنَّها **قَمرٌ** تُحيطُ به الكواكبُ في الفَضا (م ١٠٦)

صاغَهُ اللهُ من عَلاءٍ وفَخْرٍ فهْوَ **شَمْسٌ** تَفيضُ بالإشْعاعِ (ح ١/٨١)

نَغَمُ الدُّنيا **بُكاءٌ** وأنا ذلكَ الباكي على ذاكَ النَّغَمْ (ح ١/١٦٦)

مَساؤُهُ **السُّكونُ** والنُّجومُ

وصُبْحُهُ **انْتِظار** (س ١١٠)

تُريدُ أنْ تُمزِّقَ الهواء

وتَجمَعَ النِّساء

في امْرأةٍ شِفاهُها **دَمٌ** على جَليدْ

وجِسْمُها المخاتِلُ البَليدُ

أَفْعى إذا مَشَتْ وسادة على الفِراش (س ١٢٣)

- الحال جامدة:

فاجأني الدَّهْرُ فيكَ من حيثُ لا أعْلَمُ **خَتْلاً** والدَّهرُ كالأَسَدِ (ب ٢٠٣/١)

أَفْرَدْتُهُنَّ فلم يَنَمْنَ **تَوَجُّعاً** قَرْحَى العُيونِ رَواجِفَ الأكبادِ (ب ١٩١/١)

سَرَى البَرْقُ **مِصْرِيّاً** فأَرَّقَني **وَحْدِي** وأَذْكَرَني مالسْتُ أَنْساهُ من عَهْدِ (ب ١٥٦/١)

ياابنةَ النُّورِ إنّني أنا **وَحْدي** مَنْ رأى فيكِ رَوْعةَ المعبودِ (ش ٢٧٤)

سَكَبَتْها الرُّوحُ لَيْلاً **نَغْمةً** في جَلالِ الكونِ في صَمْتِ العِبادْ (ش ٣٧٩)

أنا من مِياهكَ قَطْرةٌ فاضَتْ **جَداولَ** في سَنا (م ٥٩٧)

يَضُوعُ السَّنا حَوْلَكم بالشَّذا وتَجْرِي الطِّلا **أنهُراً** وعُيونْ (م ٦١٨)

فَيْصَلُ شَمْسُهُ وقُطْبُ رَحاهُ وإليه الشَّبابُ تَجْري **سُيولا** (ح ٦٩/١)

أزُورُكَ في الدَّحْداحِ **وَحْدي** خالياً وللطِّيبِ من تُرْبِ القُبور سُطُوعُ (ح ٣١٣/١)

وكَدَّسَ القَمَرُ الدَّامي أَشِعَّتَهُ **جِسْراً** على الماء تَطْفُو منه ألْوانُ (س ٤٨٤)

تَطَفَّأَ في المباخِرِ جَمْرُها وتَوَهّجَ الذَّهبُ

ولاحَ الدُّرُّ والياقُوتُ **أثْماراً** من النُّورِ (س ١١٦)

- الصِّفة جامدة:

من النَّفَرِ الغُرِّ **الذين** سُيُوفُهُمْ لَها في حَواشِي كلِّ داجِيةٍ فَجْرُ (ب ٤٣/٢)

دَعَتْهُمْ إليها نَفْحَةٌ **عَنْبَرِيَّةٌ** وبالنَّفْحة الحَسْناءِ قد يُعْرَفُ الوَرْدُ (ب ١٦٣/١)

وتَراءَى الجَمالُ يَرْقُصُ رَقْصاً **قُدُسِيّاً** على أَغاني الوُجودِ (ش ٢٧٣)

هكذا قالَ شاعرٌ **فيلسوفٌ** عاشَ في شَعْبِه الغَبِيِّ بِتَعْسِ (ش ٢٤٣)

قِفُوا أَمامَ القَضاءِ **الْعَدْلِ** كُلُّكُم ولْيَحْلِفَنَّ يَميناً كُلُّ أَلْماني (م ٥٦٧)

وقَصَّ شَكْواكَ قلبي قَصَّةً **عَجَباً** من قبل أنْ سَمِعَتْ أُذُناي شَكواكَ (م ٤٢٧)

مَوْلايَ يا عَلَمَ الصِّدْقِ **الذي** لَمَعَتْ لِنُبْلِه في سَماء المجدِ أَنْجامُ (ح ١/ ٢٠)

بَدْءُ الْمَجادةِ وَحْدَةٌ **عَرَبِيَّةٌ** والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ في عُقْباها (ح ١/ ٢٤٠)

٣- التعبير بالاستفهام عن غير معناه:

- الإنكار بالاستفهام:

أَتَسْأَلُنا لُبْسَ الجَديدِ سَفاهَةً ؟ وأَثْوابُنا ما قدْ عَلِمْتَ حَديدُ (ب ١/ ١٧٤)

مالكَ لاتُصْغي لِغَيْرِ الأَسَى؟ ما لكَ لا تَدْنُو لِغَيْرِ الكُلُومْ (ش ٢٣١)

لِمَنْ تُصَفُّ القَناني لِمَنْ تُصَبُّ الخُمُورُ

ولاجَمالٌ أَنيقٌ ولاشَبابٌ نَضيرُ (م ٢٧٣)

أَيَضيعُ التُّراثُ من لُغةِ القُر آنِ بينَ التَّسْهيلِ والتَّحْسينِ (ح ٢/ ٤١٥)

أَتَسيرُ وحدَكَ في الظَّلامِ

أَتَسيرُ والأَشْباحُ تَعْتَرِضُ السَّبيلَ بلا رَفيق؟ (س ٤٦)

حَديدٌ **لِمَنْ** كلُّ هذا الحَديد؟

لِقَيْدٍ سَيُلْوَى على مِعْصَمٍ (س ٣٠٠)

- الأمر بالاستفهام:

فهل علِموا أنّي صدَعْتُ بِحُجَّتي   وقدْ ظَهَرَتْ بعد الخَفاءِ الحَقائقُ (ب ٢/٣٣٨)

أَمَا تَرى البُلْبُلَ في غابِهِ   يَشْدُو وفوقَ الغابِ تَخْطُو النُّجُومْ (ش ٢٣٢)

هَشَّتْ لكَ الدُّنيا فما لكَ واجِماً؟   وتَبَسَّمَتْ **فعلامَ لا تَتَبَسَّمُ**؟ (م ٤٩٤)

شَقِيقةَ رُوحِي **أَلَا تَذْكُرِينَ**   نِداءٌ سَيبْقى يَجُوبُ السِّنينْ (س ٥٨)

- النَّهيُ بالاستفهام:

يا أَيُّها الظَّالِمُ في مُلْكِهِ   **أَغَرَّكَ** المُلْكُ الذي يَنْفَذُ؟ (ب ١/٢٥٣)

أَغَرَّكَ أنَّ الشَّعبَ مُغْضٍ على قَذَىً   وأنّ الفَضاءَ الرَّحْبَ وَسْنانُ مُظْلِمُ؟ (ش ١٦٦)

فإذا الذي نِلْناهُ ذُلٌّ مُطْبِقٌ   **أَتظُنُّ** عَيْشَ الانْتِدابِ رَغيدا؟ (ح ١/١٣١)

- النفي بالاستفهام:

ماذا يَضُرُّكَ لو سَمَحْتَ بنظرةٍ   تَحْيا بِها نَفْسٌ عليكَ تَسيلُ؟ (ب ٣/٢٢٦)

أيُّ شَيْءٍ يَبْقى على الحَدَثانِ؟   والمنايا خَصِيمةُ الحيوان(ب ٤/١٠٧)

النُّورُ في قلبي وبينَ جَوانِحي   **فَعَلامَ أَخْشَى** السَّيرَ في الظَّلْماءِ؟ (ش ٣٤٦)

كيفَ أَنْسى وأينما سِرْتُ في الدُّنْيا   أُراني سِرْتُ في دُنْياها (م ٦٣٣)

- التقرير بالاستفهام:

فعلامَ يَخْشَى المرءُ فُرْقَةَ رُوحِهِ   **أوَ ليس عاقبةُ الحياةِ فِراقُ**؟ (ب ٢/٢٩٩)

يا مُهْجةَ الغابِ الجَميل   **أَلَمْ يُصَدِّعْكَ النَّحيبْ**؟ (ش ٢٢٠)

الحُسْنُ حَوْلكَ في الوِهادِ وفي الذُّرا   فانْظُرْ **ألسْتَ تَرى الجَمالَ كما أَرَى؟** (م ٣٥٦)

أَلسْتَ أَنتَ الأَمينَ الصِّدْقَ في مِحَنٍ   كانتْ تَخِرُّ لها الصُّمُّ الجلاميدُ؟ (ح ٨٦/١)

ألم تَعْلمي أنّ الثُّقُوبَ نَوافِذٌ   تُطالِعُنا منها تَرانِيمُ زامِرٍ؟ (س ٤١٤)

– الاستبطاء بالاستفهام:

فيا ساكِني الفُسْطاطِ **فما بالُ كُتْبِنا**   ثَوَتْ عندكُمْ شَهْراً وليسَ لها رَدُّ؟ (ب ١٦٦/١)

يا كوكبَ الصُّبحِ **متى يَنْقَضي**   **عُمْرُ الدُّجَى** يا كوكبَ الصُّبحِ؟ (ب ١٢٦/١)

وكيفَ يكونُ المرءُ حُرَّاً مُهَذَّباً   ويَرْضى بما يأتي به كُلُّ فاسِقٍ؟ (ب ٣٦٠/٢)

ياقَوْمُ **مالي أَراكمْ**   قَطَنْتُمُ الجَهْلَ دارا؟ (ش ١٣٦)

مالأَمْواجِكَ يُطْغيها الغُرُورْ   فَتَثُورْ؟ (ش ١٣١)

ما وُقُوفي على مَغاني الدِّيارِ   وادِّكاري وما يُفِيدُ ادِّكاري؟ (ح ١٣٦/١)

٤– تنزيل غير العاقل بمنزلة العاقل:

يا طَيْرُ نَفَّرْتَ عَنّي طَيْفَ غانِيةٍ   قد كانَ أَهْدى لي السَّرَّاءَ حين سَرَى (ب ١٠٥/٢)

عَراكَ النِّيلُ من بلدٍ بَعيدٍ   **فأَلْبِسْهُ** الكرامَةَ فهْوَ عاري (ب ٩٩/٢)

أَزنْبَقَةَ السَّفْحِ مالي أَراكِ   تُعانِقُك اللَّوْعَةُ القاسِيهْ (ش ١٥٦)

أَيُّها اللّيلُ يا أَبا البُؤْسِ والهَوْ   لِ أَيا هَيْكلَ الحَياةِ الرَّهِيب (ش ١٧٦)

وكأَنّما **تِلكَ الكُؤُوسُ نَواظِرٌ**   **تَبْكي** وهاتِيكَ الفَواقِعُ أَدْمُعُ (م ٣٩٨)

يالَيْلُ أَينَ النُّورُ؟ إنّي تائِهٌ   مُرْ يَنْبَثِقْ أَمْ ليس عنْدَكَ نُور؟ (م ٣٠٢)

أنتَ أَجْرَيْتَ العُيونَ دَما   **يا زماناً** بالأَسَى حَكَما (ح ٦١/١)

يا فِلَسْطِينُ أنتِ أَنْدَلُسُ الدَّمْـــ ـــعِ سَقاكِ الزَّمانُ سُمَّاً نَقِيعا (ح ٢/٣٤٥)

الخَطى واللُّحُونُ من فَجْوةِ البابِ تَسَلَّلْنَ والضِّياء الضَّئيلا

والأَزاهيرُ تَشْرَبُ النُّورَ في بُطْءٍ ويَعْكِسْنَهُ ابْتِساماً ذَليلا(س ٨٠)

ذِراعا والسِّراجُ الحَزينُ يُطارِدْنَنِي في ارْتِعاشٍ رَتِيب (٧١)

٥ -التمني بغير (ليت):

فهل من صاحِبٍ يَرْثي لِما أَلْقَى فَيَنْعَطِفُ؟ (ب ٢/٢٨٩)

فقلْتُ **هل من وِصالٍ** يَكونُ للحُبِّ أُجْرَه؟ (ب ٢/١٠٨)

أَظْمأَتْ مُهْجَتي الحياةُ **فهلْ** يوماً تَبُلُّ الحياةُ بعضَ أُوَامِي؟ (ش ٢٠٩)

أين الشَّبابُ أَلُفُّ أَحْلامي به؟ ليسَ الشَّبابُ الآنَ ليَ بِرِداءِ (م ٩١)

حَنانَيْكَ وادي النَّيْرَبَيْنِ مُدَلَّهٌ يُنادي **فهل يَحْظَى بِرَدِّ جَوابِ؟** (ح ١/٤٩)

قد مَحَا أَيَّامَنا الدَّهرُ **فهل تَبْقى لَدَيْكِ**

آهِ لو كنتَ بقُرْبي إنَّني أَصْبُو إليكِ (س ٤١١)

لَهْفي على لَمْحَةِ النَّجابةِ **لو** **دامَتْ إلى أنْ تَفُوزَ بالسَّدَدِ** (ب ١/٢٠٣)

آه يا زَهْرَتي الجَميلةَ **لو تَدْرِينَ** ما جدَّ فُؤادي في الوَحِيد (ش ٢٧٥)

لي في الثَّرى إخْوانُ صِدْقٍ منهمُ **لو يُفْتَدَوْنَ بطارِفي وتِلادِي** (ح ١/١٢٣)

لو يُومِضُ في عِرْقِي

نُور فَيُضِيءُ ليَ الدُّنيا (س ٢٢٣)

آهِ **لو أنّه مَضَى** مَعَهُمْ يَتْبَعُ الأَثَرْ (س ٤١٢)

7- ظواهِر أُخرى للتغيير:

١- التّنازع:

وكنتُ وكان فَيْناناً أَثيثاً أُنازِعُ شرَّتي وأَذُودُ بأسي (ب ٢/١٦١)

وقدْ حنَّتِ الأطْيارُ في وُكُناتِها **وقامَ يُحَيِّينا على ساقِه الزَّهْرُ** (ب ٢/٥٦)

يَرْجُو ويَخْشى أُمُوراً لو تَدَبَّرَها لَزالَ من قلبهِ التَّأميلُ والْحَذَرُ (ب ٢/١١٠)

وما زالَ يَرْضَعُ طِفْلُ النَّباتِ ثُدِيَّ الغَمامَةِ حتَّى اغْتَذَى (ب ١/٢٦٠)

للهِ ما**أحْلى وأَسْنى لَيْلَتي** هِيَ في كِتابِ العُمْرِ كالطُّغَراءِ (م ٩٣)

وعاهَدْناهُمْ إذْ عاهَدُونا فلمْ **نَنْكُثْ ولانَكَثُوا يَمينا** (م ٦٠٦)

حَسْبِي وحَسْبُ مَشِيبي أنَّني رَجُلٌ أَصْبَحْتُ أَقْضِي مُحاقَ العُمْرِ في السَّأَمِ (ح ٢/٦١٠)

٢- تنكير المبتدأ:

عليها **سلامٌ** من فُؤادٍ مُتَيَّمٍ بها لابِرِبَّاتِ القَلائِدِ والشَّذْرِ (ب ٢/٥٥)

أَنَسِيمٌ سَرَى بِنَغْمةِ رَنْدٍ أَمْ رَسُولٌ أَدَّى تَحِيَّةَ هِنْدٍ؟ (ب ١/٢١٦)

لهمْ **أَلْسُنٌ** إنْ رُمْنَ أَمْراً بَلَغْنَهُ من النَّفْسِ مَصْنُوعٌ لَهُنَّ حَدِيثُ (ب ١/٩٨)

ما منهُمُ إلّا **خَبيثٌ** غادِرٌ مُتَرَبِّصٌ بالنَّاسِ شَرَّ مَصِيرِ (ش ٢٠٥)

بينَ القُبورِ **فَتاةٌ** دارَ الزَّمانُ عليها (ش ٢٠١)

طِفْلَةٌ سَاذَجَةٌ أَطْهَرُ من زَهْرةِ الرَّوْضَةِ وأَنْقَى جَوْهرا (م ٣٦٠)

لا**ضَعيفٌ** مُسْتَعْبَدٌ لا قَوِيٌّ مُسْتَبِدٌّ بل كُلُّهمْ أَكْفاءُ (م ٨٠)

أَعِنادٌ أمْ مِطالٌ خادِعٌ   أمْ هو الكَيْدُ الْمُخَبَّأُ والنِّقَمْ (ح ١/٣٦)

في رَوابي العاصي **غَطاريفُ** شُمٌّ   كُلُّ نَدْبٍ منهم على الذُّلِّ عاصي (ح ١/٢٩)

لا تَنْظُرِي في مُقْلَتَيْكِ **سَحابتانِ** من الْجَليدِ (س ٧٥)

عَصافيرُ أمْ صِبْيَةٌ تَمْرَحُ

أمِ الماءُ من صَخْرةٍ يَنْضَحُ (س ٢٩٨)

٣- تعريف الخبر:

وتاهَ فلم يَلْتَفِتْ   وشأْنُ الجَمالِ **الصَّلَفْ** (ب ٢/٢٧٤)

فيا ابْنَ أَبي والنَّاسُ أَبْناءُ واحدٍ   تَقَلَّدْ وَصاتي فَهْيَ **لُؤْلُؤَةُ** الفِكْرِ (ب ٢/١٥)

فَهْو **التَّعيسُ** يُذيبُهُ   نَوْحُ القُلوبِ البائِسة (ش ١٥٨)

فوقَ سِرْبٍ من غَماماتِ الشُّجُونِ   مِلْؤُها **الآلامْ** (ش ١٣٨)

مَنْ يَكْتَسِبْ صاحِباً تَبْقَ مَوَدَّتُهُ   فهْوَ **الغَنيُّ** به لا ذُو الملايينِ (م ٥٨٨)

والحُبُّ مَصْدَرُهُ **العُيونُ** ورُبَّما   تَخِذَ السَّماعَ إلى القُلوبِ سَبيلا (م ٤٩٢)

إذا هُوَ **الأَمَلُ** البَسَّامُ نَفْقِدُهُ   يالَهْفَ نَفْسي نَحْيا وهْوَ مَقْبُورُ(ح ١/٢١١)

يَوْمُ آذارَ **مُشْرِقُ الوَجْهِ** لكنْ   جَرَّ في ذَيْلِهِ أَسىً وعَويلا (ح ١/٧٠)

قَبَسٌ من نُورِ قلبي مُشْرِقٌ في ناظِرَيْكِ

وهُما **نَبْعُ الْمُنى** إنّ الْمُنى في مُقْلَتَيْكِ (س ٤١١)

أنا **الماضي** الذي سَدُّوا عليه البابَ فالألْواحُ

غَدي والحاضِرُ الباقي (س١٣٣)

٤- تعريف الحال:

فَتَرَى عِتاقَ الخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنا **قُبَّ البُطونِ** تُنازِعُ الأَرْسانا (ب ٤/٨٧)

باكَرْتُ فيه الغابَ **مَوْهُونَ القُوَى** مُتَخاذِلَ الخُطْواتِ والأَقْدامِ (ش ٣٥٩)

أُقَضِّي نَهاري طائِرَ النَّفْسِ حائراً وأَقْطَعُ لَيْلي كاسِفَ البالِ ساهِيا (م ٦٦٠)

رَجَعْتُ إلى هُدايَ أَعيشُ حُرّاً **طَلِيقَ الرُّوحِ** في جَبَلٍ مُنِيفِ (ح ٢/٦٣١)

ثُمَّ انْثَنَيْتِ **مَهِيضَةَ الجِلْدِ** تَتَنَهَّدِينَ وتَعْصِرِينَ يَدِي (س ٥٩)

٥- الخبر من لفظ المبتدأ:

فَنهارُهُ غَيْثُ اللَّهِيفِ و**لَيْلُهُ** في طاعةِ الرَّحْمَنِ **لَيْلُ** العُبَّدِ (ب ١/١٣٣)

لا رَأْيَ لِلْحَقِّ الضَّعيفِ ولا صَدَى و**الرَّأْيُ رَأْيُ** القاهِرِ الغَلّابِ (ش ٣٧٢)

نأْتِي ونَمْضي والزَّمانُ مُخَلَّدٌ و**الصُّبْحُ صُبْحٌ** والأَصيلُ أَصيلُ (م ٤٥٨)

أُنْظُرْ إليَّ فلا شَبابيَ مُتْرَفٌ غَضٌّ الإهابِ ولا**الزَّمانُ زماني** (ح ٢/٣٨٣)

وإذا الرِّداءُ تَدَنَّسَتْ أَرْدانُهُ بمُدَنَّسٍ **فالذَّنْبُ ذَنْبُ** الْمُرْتَدِي (س ٤٧٨)

خاتمة البحث ونتائجه

ويحسن في نهاية البحث إجمالُ أبرز الفكر التي وردت فيــه؛ لتكــون خاتمــة البحــث ونتائجه في آنٍ واحد.

فالتغيير النحوي الجائز أحدُ أنماط الأسلوبيّة؛ لأنه يخرج من دائــرة اللغــة النمطيّــة، ويسعى وراء دلالات وإيحاءات ومعانٍ جديدة، وهو قائم على الاختيار والانتقــاء، ودليــلُ هذا ما ورد في النتاجات الشعرية للشعراء الخمسة الذين لم يكن هــدفُهم مــن تجــاربهم الشعرية الإيصالَ فحسبُ، بل الفنية في الأداء اللغوي، وإلّا كَفَتْهُمُ القواعدُ الأصلُ للتعبيــر عن المعاني التي يفهمها كلُّ قارىء أو سامع.

وهو وسيلةٌ من وسائل التمايُز بين الأساليب إذا اقتضته دواعٍ بلاغيّة، ومعانٍ إضافيّة، ليس للتعبير الأصلِ تأديتُها، فيكون عندها أداةً مُعينة على تمييز الأسلوب العالي الرَّفيع من الأسلوب المُهلهَل الضَّعيف.

وهو في بعض الأحيان تسلُّط من المتكلم على المتلقي، وذلك إذا أراد فــرضَ قناعتــه عليه دون أن يترك له حريّة الاختيار، نحو تقديم أحد العناصر النحوية في مواضع الفخــر والاعتزاز و المبالغة في ادّعاء صفات محمودة له، أو نفي صفات سيِّئة عنــه، أو عمَّــن يمدحُه.

وهو صدى لثقافة المجتمع العربي وفكره، وهذا الصَّدى قد بدأ فــي تلــك المرحلــة الزَّمنيَّة البعيدة التي تشكَّلت فيها اللغة على ألسنة العرب الذين تحدَّثوا بها، وامتدَّ إلى الآن، فهو مازال حيّاً في النتاجات الشعرية للشعراء الخمسة، وإن تفاوتت درجاتُ الاستخدام بين شاعر وآخر، وبين تعبير وآخر.

وراعَتِ التغييراتُ النحوية الجائزة التي وردت في أشعار الشعراء الخمسة تحقيقَ المناسبة المعنوية؛ لأنّ أحدَهم لم يكن يلجأ إلى التغيير أيّاً كان نوعه، إلّا إذا أحسَّ أنّ التعبير الأصل لن يحقِّق له المعنى المقصود، والمناسبة اللفظيةَ؛ لأنهم لم يستخدموا اللفظة في غير سياقها المعهود، ولم يضعوها في سياق نحويّ جديد، ولم ينقلوها إلى أسلوب جديد،إلّا إذا رأوا أنّ الاستخدام الجديد يتحقَّق فيه التناسبُ بين الكلمة التي غيَّروا موضعها، وبين الألفاظ التي صارت متجاورة معها بحكم التغيير، نحو نيابة المفعول به عن الفاعل، وغير ذلك.

وإنّ للنفس نفس كلٍّ من المتلقي والمبدع دوراً أساسيّاً في استخدام عنصر نحويّ ما في غير موضعه الأصل، فالقُوى العاطفيّة والانفعاليّة التي تُحيط بالمبدع تدفعه باتِّجاه التغيير و الانحراف بالتعبير عن نمطه المألوف، دون أن يخرج على القاعدة المقرَّرة، وعلى الثروة اللغوية المختزنة في ذهنه، وإنّما تتطلَّب منه أن يُعيد تأليف العناصر اللغوية المختزنة، ويستخدم القاعدة النحوية البديلة بدل القاعدة النحوية الأصل التي تأتي في الصَّفِّ الأوّل من الاستخدام.

فالقاعدةُ النحوية الجائزة حالةٌ من حالات تطوُّر اللغة العربية، ودَفْعٌ لجمودها، وهي حصيلة موافقة الجماعة اللغوية في تلك العصور، وليست نتاج فرد أو أفراد محصورين، وهو يقوم على فكرتي الاختيار والتنسيق.

ويكون التغيير الذي طرأ على بنية الكلمة أو التركيب في بعض الأحيان سبباً في الجواز النحوي، بمعنى أنّه تغييرٌ أجازه تغييرٌ قبله، ومن ذلك تركُ المطابقة بين الفعل وفاعله الملحق بالجمع السالم، أو بين فاعله المؤنَّث الذي لم يأت بعده مباشرة.

وهو وسيلةٌ لتداخل الأزمان بعضها في بعض تداخلاً منطقيّاً منظَّماً يقوم على الحقيقة و الإقناع، ولاسيَّما في سياق العطف، واستخدام فعل في موضع فعل آخر في الشَّرط وغيره.

فالجواز النحويُّ الشَّائع يكاد يكون أغلبُه اتِّساعاً في استخدام اللغة، وقد لُوحظ هذا في معظم أنماطه، نحو التقديم والتأخير، وترك المطابقة، والزيادة، والحذف...

وليس الجواز النحوي الشائع من عمل النحاة، وإنّما من عمل العربيّ المتكلّم الذي استعمله على فطرته مع إدراك معناه، وانحصرت وظيفةُ النحوي في تقعيده، وتصنيفه، وتنظيمه، ونقله، وكان عملُ الشعراء الخمسة في تجاربهم الشعرية التوليدَ عليه ما احتاجوا إلى ذلك.

فالتغييرُ النحويُّ الجائز دليلٌ على أنّ القاعدة النحوية الأصل التي وضعها النحاةُ بناء على ما استقرؤوه من كلام العرب نثره وشعره – على العموم – ليست لها صفةُ التقديس، وقد تعدَّدت مستويات القاعدة النحويّة بين الأصل والجائز بغرض الحفاظ على اللغة من الفوضى التي قد تأتي إليها بذريعة الإبداع، وحاجة المبدع إلى خرق القاعدة – أيّة قاعدة –خرقاً مطلقاً. ورفْعُ صفة التقديس عن القاعدة الأصل لا يُجيز للمبدع في عصرنا خرقَها، بل لا يُجيز له خرقَ القاعدة الجائزة، أو النادرة، أو الشّاذّة؛ لأنه لا ينظم بلغة ابتكرها، أو بلغة نشأت، ونضجت في عصره، فهو يبدع بلغة أقوام تحدَّثوا هذه اللغة التي وصلت إلينا عنهم، ولذا يلزم عليه أن يتقيّد بقواعدها، وتقيُّدُه بقواعدها لا يُعيق إبداعه، ودليلُ ذلك كلُّ المبدعين الذين برزت شاعريَّتُهم، وطارت شهرتُهم، واستمرَّ ما قالوه بها عبر العُصور المتعاقبة إلى يومنا هذا.

فبعضُ التغيير النحويّ الجائز خروجٌ على مقتضى الظاهر؛ لأنّ الكلمة تُستخدَم في غير سياقها وموضعها النحوي الأصل، نحو التعبير بالاستفهام عن غير معناه، والتمنّي بـ (هل) الاستفهاميّة، و (لو) الشرطية بدل (ليت) وتنزيل كلّ من العاقل، وغير العاقل بمنزلة بعضهما بعض، وهذا الخروجُ تستسيغه البلاغة، ويقبلُه الذَّوق العربيّ السّليم بعد أن أجازته قواعدُ اللغة والنحو.

والتغييرُ النحويّ الجائز مستوى من مستويات التعبير، وهو ذو قيمة تعبيرية؛ لأنّه يُكسب اللغة أنماطاً مختلفة من التعبير، ويُتيح للمتكلم – ولاسيّما المبدع – استخدامَ هذه

الأنماط، فتزداد خياراتُه لانتقاء التعبير الأدقِّ لإبراز معانيه، وهو ذو قيمـــة تأثيريّـــة؛ لأنّ المبدع يختار هذه الأنماط والتراكيب الجائزة من التعبير؛ لِيزيد تأثيره في المتلقي، وتـــزداد سيطرتُه عليه، وتتضاعفُ قوَّةُ الإقناع التي يحملُها التركيبُ.

ويَبرزُ دورُ السِّياقِ بُروزاً واضحاً في تحديد قيمة التغيير النحويّ الجـــائز وأهميّتـــه؛ إذِ الاهتمامُ به يقود الدارسَ إلى تبيُّن الأسلوبيَّة التعبيريّة الجديدة للمبدع، ويُسعفُه فـــي إبـــراز الأسلوبيّة البلاغيّة في التعبيرات والتراكيب المُغيَّرة بإرادة المبدع وقصده عـــن اتِّجاههـــا الأساس.

واستخدمَ الشعراءُ الخمسةُ التغييرَ الجائزَ للتعبير عن الدَّلالات الخاصّة التي فيهـــا سِـــرُّ إبداعهم، وجمالُه، دون أن يُحدث التغييرُ خللاً في النَّصِّ، أو في التركيب، فقد خلقـــوا بـــه مؤثِّرات لُغويّة وعاطفيّة ونفسيّة، لإثارة المتلقي، والتأثير فيه، وعبَّروا بـــه عـــن عـــالمهم الخاصِّ بهم، وعن حوادث مجتمعاتهم، فكانت مظهراً من مظـــاهر انتمـــائهم إلـــى اللغـــة العربية، وإلى الجماعة اللغويّة دون إلغاء الخصوصيّة الفكريّة لكلٍّ منهم.

فالشعراءُ الخمسةُ مُبدعون، لهم القدرةُ على معرفة أقدار المعاني، وعلى الموازنة بـــين أقدار المتلقِّين وحالاتهم، وجاءت التغييراتُ النحويَّة الجائزةُ دليلاً على ذلك، فتارةً جعلـــوا المتلقّي يُغيِّر انتباهه من المعنى المتعدِّد إلى المعنى الواحد، وتارة من المعنى الواحد إلـــى المعنى المتعدِّد، فجاءت تغييراتُهم تارةً للتوكيد، وأُخرى للشَّكِّ، وتارة للمبالغة، وغير ذلك، وهذا أغلبُه بحسب حالة المتلقّي الذي يتوجَّهون إليه بتعبيرهم الذي بَنَـــوْه علـــى القاعـــدة النحويّة الجائزة.

ولقد اتَّخذت التغييراتُ النحويّة في أشعارهم شكلَ القواعد الشعريّة، بمعنى أنّها كانـــت وسائل تعبيريّة شعريَّة، ولم تكن أشعارُهم شعرَ قواعد، بمعنى أنّها لم تكن تطبيقاً للـــصِّيَغ النحويَّة الجامدة، ودليلُهُ عزوفُهم عن استخدام بعض التغييرات النحويَّة الجائزة؛ لأنّهم لـــم يحتاجوا إليها، دون أن يعني عدمُ استخدامهم لها، لِعدم حاجتهم إليها، زوالَها، واندثارها.

ولقد أخضع النحاةُ التغيير النحويّ الجائز للقواعد والضَّوابط التي تقرَّرت، وثبتــت فــي عُرْف اللغة والنحو، وفي المخزون اللغويّ والنحويّ للمتكلّم، وأجازوه في ضوء قــرائن، ودلائل تُبعد التعبير المغيَّر عن الغموض، وقد كانت هذه القواعد إلــى جانــب الــدَّلائل، والسِّياقات، والمقامات، والقرائن – المرجعيّةَ اللغويّة والنحويّة للتغييــرات الجــائزة التــي استخدمها الشعراءُ الخمسة.

إنّ التزامَ الشعراء الخمسة بالموروث النحويّ في أشعارهم، لا يعني تعصُّبهم للغــتهم العربيّة بل هو وفاءٌ منهم لها، وتمسُّك بأصالتها من منظور أنّها في قناعتهم قادرة علــى أن تسمح لهم بالتعبير عن كلِّ المعاني، والدَّلالات التي دارت في خــواطرهم وأذهــانهم، وهي قد مكَّنتهم من تصوير كلِّ الأحاسيس والمشاعر والانفعالات التي أحسُّوا بها، فلم تكن عائقاً بينهم وبين معانيهم، فكانت الجسر الذي وصلهم بالمتلقي الذي خاطبوه، ودليلُ هذا أنّ اللغة بقواعدها النحوية قد سمحت لهم أن يُحدثوا في تراكيبهم وتعبيراتهم مجموعــة مــن التغييرات التي هي خلاف أصل الوضع، والدّليلُ الآخر أنّهم لم يستخدموا كلَّ التغييــرات التي أجازتها القاعدة النحوية.

لقد شكَّل الشعراء الخمسة خاصيَّة أسلوبيَّة صَدمت القارىء أو السامع بما لم يعهده مــن تعبيرات، الأساسُ في تشكيلها القواعدُ النَّاظمةُ للغة، لكنها ليست القواعدَ الأصل التي تأتي في المرتبة الأولى، والقواعدَ الواجبة الانحراف والتغيير عن القواعد الأصل، وهي التــي تأتي في المرتبة الثانية، بل القواعدُ التي تقوم على اختيار المبدع وانتقائــه، وتــأتي فــي المرتبة الثالثة، أو هي وسط بين الأصل الواجب والتغيير الواجب.

فاستطاع الشعراء الخمسة أن يجعلوا التغيير النحويَّ الجائز الــذي اســتخدموه أحــدَ عناصر تحقيق التماسك النَّصِّي في السِّياقات التي وردت فيها، وفي المقامات التــي أُلِّفــت فيها التراكيبُ التي طرأت عليها التغييراتُ الجائزة، سواءٌ أكان بين المعاني الأوَّليّة التــي كان التركيبُ يحملُها قبل التغيير، وبين المعنى أو المعاني الجديدة التي استجدَّت فيه بعــد التغيير، أم بين الألفاظ في تأليفها الجديد.

فالأديبُ ذو القدرة الهابطة أو المتوسّطة يستخدم كثيراً التراكيب الاعتياديّة، أي قواعدَ الدَّلالة الأولى، دلالةِ ما تحت الرَّمز، أمّا الأديب الموهوبُ ذو القدرات العاليــة، فيــستخدم قواعد الدَّلالة الثانية، دلالةِ ما فوق الرَّمز؛ كي يُحقِّق المتعة النّفــسيّة والأدبيّــة، لــه أوّلاً، وللقارىء ثانياً؛ وليُكسب عملَه الأدبيّ ذوقاً خاصّاً ومتعةً جديدةً، وكان الشُّعراء الخمسة من الصِّنف الثّاني، بدليل استخدامهم التغييرات النحويّة الجائزة التي تبحث عن دلالات ما فوق الرَّمز، فثمَّة ارتباطٌ واضح بين قدرتهم اللغوية العالية، ولمساتهم الفنيّة، وبين أنماط التغيير التي عبَّروا بها عن معانيهم.

فبعضُ التغيير النَّحويّ الجائز يستدعيه زمنُ الحدث والمعنى أو مكانُهما، ومنه زيــادةُ لام البعد، وكاف الخطاب بعد اسم الإشارة، للتمييز بين أزمنة الحاضر والمستقبل القريــب والبعيد، و بين المكان الحاضر والمتوسِّط البُعد والبعيد، ومنه زيادةُ (ها) التنبيه قبل أسماء الإشارة؛ للدلالة على أنّ الحدث يدور في المكان الذي يتشكَّلُ فيه الخطاب، وهذا يدفعُ عنه زمني الماضي والمستقبل، ويحصرُه في الحاضر، إلّا إذا كان في الكلام مــا يُــشير إلــى خلاف هذا من أغراضٍ بلاغيّة.

وبعضُ الجواز النحويّ ينقل الحدَثَ المجرَّد من الزَّمن إلى إطار الزّمن، ومنه تحويــلُ الجملة الاسميّة إلى جملة فعليّة، وبعضُه يجعلُ الحدثَ المقيَّدَ بزمن محرَّراً منه، ومنه تأديةُ معنى الأمر باسم فعل الأمر؛ لأنّ اسم الفعل محرَّرٌ من الزَّمن، وفعلَ الأمر مقيَّدٌ به، ومنه الإخبارُ والحال، والوصفُ بالجامد بدل المشتقِّ؛ لأنّ الجامد محرَّرٌ من الزَّمن، بينما يحمل المشتقُّ زمنَ الفعل الذي صِيغ منه.

إنّ بعض التغيير النحويّ الجائز اقتصادٌ لغويٌّ؛ لأنّه يُمكِّن المتكلِّم مــن التعبيــر عــن معنيين أو أكثر بتركيب واحد، وهذا يُوفِّر الجهد والزّمن عليه وعلى المتلقِّي، ومنه تــركُ المطابقة بين الموصوف والصِّفة في باب (لا) النافية للجنس، وزيادة (مــن) الاســتغراقيّة التي تُثبت، وتَنفي بآن واحد، وزيادةُ ضمير الفصل الذي يُثبت علاقــة الإســناد الاســميّ، وينفي علاقة التبعيّة، وتقديمُ الخبر والمفعول والظرف، إذا قُصِد بها التخصيصُ والتعيــينُ،

وزيادة (ما) بعد الأحرف المشبّهة بالفعل، إذا أُريد بها التقييدُ، ومنه الحذفُ؛ لأنــه يُمكِّــن المتكلّم من تأدية المعنى الأساسيّ، والمعاني الإضافيّة بتعبيرات فَرعيّة، ألفاظُها أقــلُّ مــن التعبيرات الأصل، نحو حذف المبتدأ والخبر والفعل والمفعول به، والمصدر، والظــرف. ومنه تحويلُ الجملة الاسميّة إلى فعليّة؛ لأنه يجعل الدَّلالــة الثابتــة ذات الــزّمن الــشَّامل المفتوح على الماضي والحاضر والمستقبل دلالةً محصورة في الزّمان الماضــي، ومنــه تحويلُ الفعل المتصرّف إلى الجامد في أساليب المدح والذّمّ والتعجّب؛ لأنه ينقــل الجملــة الخبريّة المحتملة للتصديق والتكذيب إلى جملة إنشائيّة لا تحتملهما، وهذا يُغني المتكلّم عن توكيد كلامه، أو الإتيان بكلام آخر يدعم كلامه إذا كذّب المتلقّي مدحَه أو ذمّه أو تعجّبــه في حال إظهارها في صورة الخبر، وهو في المدح يمدح الممدوح مرّتين، الأولــى مــدحٌ عامٌّ مع فاعله الذي هو أحدُ أفراده، والثانيةُ خاصٌّ حين يُفرده، وكذلك الأمرُ في الذّمّ، وهو يُمكِّن المتكلم في نحو (فقُهَ عمْرٌو) من تأدية ثلاثة معانٍ دفعةً واحدة، هي المدحُ والمبالغــةُ والتعجّب، ومنه تحويلُ الفعل المعلوم إلى المجهول؛ لأنّ ما ناب عــن الفاعــل فــي هــذا السّياق والمقام يُؤدّي معناه الأصلَ، والمعنى الجديد الذي صار له بعد نيابته عــن الفاعــل المحذوف، ومنه التحويلُ إلى اسم فعل الأمر؛ لأنه يدلّ على الأمر والمبالغــة والتوكيــد، وهذا يُغني المتكلّم عن إعادة الكلام، أو رفع صوته تقويةً للمعنى، ومنــه التحويــلُ إلــى التمييز؛ لأنه يغني المتكلّم عن ذكر عبارات وكلمات أخرى للتعبير عــن المعنــى، ومنــه تحويلُ العدد إلى (فُعال ومَفْعَل) لأنه يدلّ على العدد المطلق الكثير والترتيــب والمبالغــة، يُضافُ إليها معنى الخبر، أو الحال، أو الصّفة، وهذا يغني المتكلّم عن ذكر ألفاظ تدلّ على كثرة العدد وترتيبه والمبالغة فيه، ومنه التركيبُ الإضافيُّ الذي يُقــصَد بــه التّــشبيهُ، أو الظرفُ، أو المُلْكُ، أو الاختصاص؛ لأنه يغني المتكلّم عن ذكر الكلمات التي تدلّ على هذه المعاني، نحو (يُشبهُ، ومُلْك، ويمتلك، ويخصّ٠٠٠) ومنه التعبيرُ بالمصدر عن الحال بــدل المشتقّ؛ لأنه قد يؤدّي معاني الحاليّة والمصدريّة والتعليليّة دفعة واحدة، وهذا يغني المتكلم عن إيراد كلمات مستقلة تدلّ على كلّ معنى على حِدة، ومنه تــشبيهُ الاســم الموصــول، والنكرة إذا وردا مبتدأين باسم الشّرط بإدخال الفاء في الخبر؛ لأنه يــؤدّي معنيــين دفعــة

واحدة، ويغني المتكلم عن النّفي، ومنه التعبيرُ بالاستفهام عن معـان أُخـرى كالتعجُّـب والاستخفاف والاستنكار؛ لأنه يغني المتكلّم عن إيراد تراكيب أُخرى للتعبيـر عـن هـذه المعاني، ومنه التنازعُ؛ لأنّ المعمول المذكور يغني المتكلم عن ذكر معمول آخـر، ومنـه تنكيرُ المبتدأ إذا أُريد به التّفضيلُ، ومنه إيراد الخبر من لفظ المبتدأ؛ لأنه يـؤدّي معـاني الإخبار والمبالغة والتوكيد والفخر والمدح أو الهجاء بتركيب واحد، ويغني المـتكلم عـن إيراد تركيب مستقلٍّ لكلّ معنى.

إنّ بعض أنماط التغيير النحويّ الجائز وسيلة لفتح التركيب أمام القـراءات المتعـدّدة؛ لأنه يفتح الباب أمام التأويلات المعنويّة لا النحويّة، فتتوسّع مـساحةُ المعنـى، وتتـشعّب طرقه، وتكثُرُ قراءاتُه فيتعدَّد معنى التركيب، ودلالاتُه بعد أن كان له معنى واحد، ودلالـةٌ واحدة، ومنها حذفُ جواب الشرط، وحذف الخبر في مقامي الفخـر والهجـاء، وحـذف المصدر والظرف وإنابة الصفة عنهما، وحذف المفعول به، حتّى لا يُقيَّد الفعـلُ بـه فـي مقامات الفخر والهجاء والمديح والمبالغة، وحذف التمييز إذا قُصِد به الإبهامُ على المتلقّي، وحذفُ جملة الصّلة لِقصدِ المبالغة في مقامات الفخر والتهديد والتعظـيم، ومنهـا تحويـلُ الفعل المعلوم إلى المجهول، ولاسيّما إذا كان الفاعلُ فـي الأصـل مجهـولاً، أو قُـصِد بالتحويل المبالغةُ في التعظيم والتهويل والمدح والذّمّ وغير ذلك، ومنها التعبير عن الحـال بالمصدر؛ لأنه يجعل المعنى قائماً بين الحاليّة والمصدريّة والتعليليّة، وقد يُريدها جميعـاً، ومنها التعبير بأداة الاستفهام عن معنى التعجّب أو غيره؛ لأنه قد يحتمل معـانيَ أخـرى كالاستنكار والاستخفاف والتحدّي وغيرها إلى جانب المعنى الأصـل، وهـو الاسـتفهام، ومنها تنكيرُ المبتدأ في مقامات التهويل والتحذير والدّعاء والمدح والشّكر والتكثير.

وبعضُ التغيير النحويّ الجائز يُغلق الباب أمام التأويل، وذلك إذا نقل الدّلالة والمعنـى إلى القطعيّة، وسيَّرَه في اتّجاه واحد، ومنه تقديمُ الخبر لغـرض القـصر والتخـصيص، والمفعول به للغرض ذاته، وزيادة (من) الاستغراقيّة لجميع أفراد جنس مجرورها، وزيادة ضمير الفصل الذي يؤكّد معنى الإسناد، وينفي معنيي الوصفيّة والبدليّـة، ومنـه تحويـلُ

الجملة الاسميّة إلى جملة فعليّة؛ لأنه يُفيد أنّ زمن تشكيل الجملة غيرُ زمن حدوثها، فالفعلُ الناقصُ إذا كان ماضياً يُحوّل الدلالة الثابتة في الجملة الاسميّة إلى دلالة منقطعة، وتحويلُ الفعل المتصرّف إلى فعل جامد؛ لأنه يجعل الجملة الخبريّة التي كانت تحتمــل التــصديق والتكذيب، جملة إنشائيّة، ليس للمتلقّي أن يحكم بصدقها أو كــذِبها، وهــذا يعنــي أنّــه لا يستطيع تأويل معناها بغير ما أراده المتكلّم، ومنه التركيب الإضافيّ؛ لأنــه ينقــل معنــى النكرة من الشّيوع والعموم إلى الخصوص، ومنه تنكيرُ المبتدأ إذا أُريد به التفــضيلُ فــي نحو (تمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ) ومنه تعريفُ الحال في نحو (يرقص عاري القدمين).

فبعضُ التغيير النحويّ الجائز يُغيِّر العلاقات النحويّة الشكليّة بين عناصــر التركيــب، فيُلغي علاقة نحويّة، ويُنشيءُ علاقةً جديدة، إذْ تتغيَّر علاقة العنصر النحويّ مــن حيــثُ الشَّكلُ ببقيّة العناصر النَّحويَّة، فتقديمُ الصِّفة النّكرة على موصوفها يُلغي العلاقة الوصــفيّة بينهما، ويجعلها علاقة حاليّة، وتقديمُ الصّفة المعرفة على موصوفها يجعل العلاقة بينهمــا بدليّة، ويُغيِّر علاقتهما ببقيّة عناصر التركيب، وزيادةُ (ما) بعد الأحرف المــشبّهة بالفعــل تلغي عملها في طرفي الإسناد ما عدا (ليت) وزيادتُها بعد الفعل المعلــوم تلغــي علاقــة الإسناد بينه وبين فاعله، وزيادتُها بعد(ربّ) تلغي عمل الجرّ، وحذف الفاعــل فــي حالــة البناء للمجهول يلغي علاقته بفعله الذي يُسنَد إلى المفعــول بــه أو المــصدر أو الجــارّ والمجرور بعد إلغاء عمله الأصل فيه، وحذفُ الموصوف يلغي علاقته بالصّفة التي تحــلّ محلّه، وكذلك حذفُ المصدر والظرف إذا أُنيب عنهما، وحذفُ المضاف الذي يتركُ محلّه للمضاف إليه، وحذفُ التمييز يلغي علاقة نحويّة في التركيب، هي علاقتُه بالمميَّز، وحذفُ المبتدأ المخصوص بالمدح إذا كان موصوفاً وإقامة صفته مقامه، وحذفُ المفعول به يلغي علاقته بعامله، وحذفُ الظرف الموصوف أو المضاف يلغي علاقته بعاملــه وبــصفته أو بالمضاف إليه، ويجعل العلاقة قائمة بين العامل والموصوف، أو بين العامــل والمــضاف إليه، وحذفُ المضاف إليه يلغي علاقة الإضافة بينه وبين المــضاف، وتخفيــفُ (إنّ) إذا وَلِيَتْها جملةٌ فعليّة، يلغي عملها، وإذا وليتها جملة اســميّة، فالأغلــبُ إهمالهــا، وتخفيــفُ (لكنّ)، وتخفيف (كأنّ) إذا أُهملت، وتحويلُ الجملة الاسميّة إلى فعليّــة، وتحويــل الفعــل

المتصرّف إلى جامد يُنشِىء علاقات نحويّة جديدة في أساليب المدح أو الذّمّ أو التعجّب، وتحويلُ الجملة والفعل إلى اسم العلم يُفقدهما علاقاتهما النحويّة السّابقة، ويُكسبهما علاقات نحويّة جديدة، وتحويلُ الظرف والجارّ والمجرور إلى اسم فعل الأمر يُفقدهما علاقاتهما الأصل، ويُكسبهما علاقات نحويّة جديدة مع عناصر التركيب؛ لأنّهما صارا عاملين بعد أن كانا معمولين، والتحويلُ إلى التمييز يُلغي علاقات الابتداء والفاعليّة والمفعوليّة والوصفيَّة، ويُنشىء علاقات نحوية جديدة، والتحويل بالقطع يلغي علاقة الوصفيّة أو البدليّة أو العطفيّة، وينشىء علاقة إسناد خبريّ، أو فعليّ، وعلاقة تعدية، وتحويل الفعل اللازم إلى متعدٍّ ينشىء علاقة تعدية في التركيب.

وبعضُ التغيير النحويّ الجائز ليس له دورٌ، أو أثرٌ في تغيير العلاقات النحويّة الشكليّة القائمة في التركيب قبل التغيير، ومنه معظمُ حالات التقديم والتأخير، وزيادةُ (ها) التنبيه، و (من) الجارّة، و (ما) بين المتضايفين إذا كان المضاف غيرَ ظرف، وزيادة (كان) في أسلوب التعجّب، وبين طرفي الإسناد، وبين الموصوف والصّفة، وبين المتعاطفين، وزيادة الباء الجارّة في المبتدأ والخبر المنفيّ، والحال المنفيّة، وزيادةُ الفاء في خبر المبتدأ الدّالّ على العموم، وزيادة الكاف بعد اسم الإشارة، والفعل (أرأيْتُكَ) وزيادة (ما) بعد حروف الجرّ الأصليّة، وحذفُ المبتدأ والخبر والفعل و الفاعل في غير البناء للمجهول، وحذفُ المعطوف إذا كان العطف بـ (حتّى) وتخفيفُ (أنّ) و (كأنّ) إذا لم تُهمَل، وتركُ المطابقة في أحواله وأبوابه المختلفة.

وقد جاء بعضُ الجواز النحويّ قياساً على جواز نحويّ آخر، ومنه زيادةُ (إنْ) بعد (ما) الموصولة، و (ما) المصدريّة، حملاً على زيادتها بعد (ما) النّافية، لِشبههما اللفظيّ بها.

وتنوّع استخدامُ الشّعراء الخمسة للتغييرات النحويّة الجائزة بين الكثير، والقليل، والنّادر، وعدم الاستخدام، فالتغييرُ الكثيرُ هو الذي ورد أكثر من عشر مرّات، ويندرج تحته تقديمُ الخبر أو ما أصلُه الخبر (٢٨٠) مرّة، وتقديم المفعول به (١٥٠) مرّة، وتقديم

الظرف (١٥٠) مرّة، وتقديم الجارّ و المجرور (٢٣٣) مرّة، وتقديم المفعول لأجلــه (١٦) مرّة، وتقديم المسستثنى (١٨) مرّة، وتقديم الحال (٢١) مرّة، وتقديم الضّمير على الاســم (١٢) مرّة، وترك المطابقة بين الصّفة والموصوف في التعريــف والتنكيــر (٤٠) مــرّة، فزيادة (كان) في أسلوب التعجّب (١٢) مرّة، وزيادة (إنْ) بعد (ما) النافيــة (٢٤) وزيــادة الباء في المبتدأ والخبر المنفيّ والمفعول به (٨٩) مرّة، وزيادة الكاف أحصيتُ منها (١٠) مرّات على سبيل التمثيل لا الحصر مع كثرتها، وزيادة لام الابتداء (٦١) مــرّة، وزيــادة اللام (٧٠) مرّة في جوابي (لو ولولا) وأغلبُها في جواب (لو) وزيادة لام البعد أكثر مــن (٣٠) مرّة، وزيادة (لا) سبعين مرّة، وزيادة (ما) بعد الأحرف المشبّهة بالفعل (٩٦) مرّة، وبين الرّافع والمرفوع (٢٥) مرّة، وبعد أدوات الشّرط (٨١) مرّة، ولاسيّما بعد (إذا) وبعد حروف الجر ّ(٣١) مرّة، وزيادة (من) الجارّة (٦١) مرّة، وأغلبُها في سياق النفي، وزيادة (ها) التنبيه قبل اسم الإشارة والمبتدأ(٥٠)وزيادة ضمير الفــصل (٢١) مــرّة، و حــذف المبتدأ، أو ما أصله المبتدأ (٢٥٢) مرّة، وأغلبُه حذفُ المبتدأ، وحذف الخبر، أو ما أصــلُه الخبر (٢٠) مرّة، وحذف الفعل (٩٤) مرّة، وأغلبُه حذف فعل الشّرط بعــد (إذا) و (لــو) الشرطيّتين، وحذف الفاعل بسبب البناء للمجهول (٢٠٣) مرّات، وللأسباب الأخرى (٢٥) مرّة، وأغلبُه فاعل (هيهات) وحذف المفعول به (١٩٩) مرّة، وحذف التمييــز (٨٦) مــرّة وغالباً بعد العدد، و (كم) بنوعيها، وحذف المضاف إليه (٧١) وأغلبُه بعــد الظــرف، و (كلّ) و (كم) الخبريّة، والعدد، وتخفيف الأحرف المشبّهة بالفعــل (٨١) مــرّة، وأكثــرُه تخفيف (لكنّ) وأقلّ منه (أنّ) وأقلّ منه (كأنّ) وأقلّ منه (لكنّ)، وحذف الجملة (٢٥) مــرّة، وتحويل الجملة الاسميّة إلى جملة فعليّة (٦٠) مرّة على سبيل التقريب لا الحصر، وتحويل الفعل المتصرّف إلى الجامد (٩١) مرّة على سبيل التقريب لا الحــصر، وتحويــل الفعــل المعلوم إلى المجهول (٢٠٣) مرّات،والتحويل إلى اسم فعل الأمر (١٧) مرّة والتحويل إلى التمييز (١٠٠) مرّة، وتحويل التّعدية كثيرٌ، ومثلُه التركيب الإضافيّ، واستخدام الأفعال في غير موضعها (٢٦٠) مرّة، منها (٨٠) مرّة المضارع في موضع الماضي، و (٦٥) مــرّة الماضي والمضارع في موضع الأمر والطّلب، و (١١٥) مــرّة الماضــي فــي موضــع

المضارع، والإخبارُ بالجامد (٢٢٦) مرّة، والحال بالجامد (١٤٩) والوصف بالجامد (٥١) مرّة، والتعبير بالاستفهام عن معانٍ أخرى (١٧١) مرّة، وتنزيل العاقل بمنزلة غير العاقل، و العكس (٥٠) مرّة، والتنازع (١٥)مرّة، وتنكير المبتدأ (٢٦٢) وتعريف الخبر (١٤١) مرّة، وتعريف الحال (٢٩) مرّة، والخبر من لفظ المبتدأ (٣٤) مرّة.

والتغيير القليلُ الذي لم يطَّرد في دواوين الشّعراء الخمسة ما كان بين الثّلاثة والعشرة، ويندرج تحته تركُ المطابقة بين المبتدأ والخبر (٩) مرّات، وترك المطابقة بين الفعل والفاعل (٦) مرّات، وترك المطابقة بين المتعاطفين (٩) مرّات، وزيادة لام الجرّ (٦) مرّات، وزيادة (ما) بين المتضايفين (١٠) مرّات وحذف الظرف (٥) مرّات، وحذف المعطوف عليه (٧) مرّات، وتحويل العدد إلى (مَفْعَل، وفُعال) خمس مرّات، والتعبير بالاسم الظاهر بدل الضمير (١٠) مرّات، وتنزيل المعقول بمنزلة المحسوس (٩) مرّات، واستخدام الضمائر في موضع

بعضها بعض (٤) مرّات، وعطف الشّيء على مرادفه (٦) مرّات.

والتغيير القليل له دلالتان، الأولى هي إشارةٌ إلى بَدْء العزوف عن استخدامه في العصر الحديث، وهذا مستبعدٌ، والثّانية عدمُ حاجتهم إليه من جهة المعنى، وهذا مرجَّحٌ.

والتغييرُ النّادر مابلغ الثلاثة، ولم يتجاوزها، ويندرج تحته تقديم الصّفة على الموصوف (٣) مرات، وتقديم المعطوف على المعطوف عليه مرّتين، وتقديم المخصوص بالمدح، أو بالذّمّ مرّة واحدة، وزيادة (كان) بين الموصوف والصّفة مرّة واحدة، وحذف المصدر (٣) مرّات، وقطع المعطوف مرّة واحدة، والتعبير بالاسم الظاهر بدل الضمير (٣) مرّات، ورفعُ جواب الشّرط الجازم (٣)مرّات، والتركيب المزجيّ مرّة واحدة. ودلالتُه كدلالة التغيير القليل.

والتغيير الذي لم يُستخدم قطّ تقديمُ التمييز، وترك المطابقة بين الموصوف والصفة إذا كان الموصوف منادى، أو اسم (لا) النافية للجنس، أو معمولاً مجروراً أُضيف إلى عامله

المشتقّ، أو تمييزاً بعد عدد مركّب، أو معطوفٍ، أو لفظٍ من ألفاظ العقود، وتركُ المطابقة بين المتعاطفين إذا كان المعطوفُ فعلَ الشّرط، أو جوابه، أو منادى، أو معمولاً لمشتقٍّ أُضيف إليه عاملُه، وترك المطابقة بين الضمير وما عاد إليه، وزيادة (كان) بين الرّافع والمرفوع، أو بين المتعاطفين، وزيادة (إنْ) بعد (ألا) الاستفتاحيّة، و (ما) الموصولة و (ما) المصدريّة، وزيادة (أنْ) بين الكاف ومجرورها، وبعد (إذا) وبين القسم و (لو)، وبعد (حتّى) الجارّة وزيادة الباء في فاعل (كفى) والحال المنفيّة، وخبر (أنّ) المسبوقة بنفي، وزيادة الفاء، وزيادة (ها) التنبيه قبل الفعل الماضي، وحذف المستثنى، وحذف الصفة، وتحويل الجملة أو الفعل إلى اسم العلم، والتحويل إلى صيغة (فَعالِ) في غير الأمر، وتحويل (فاعِل) إلى (فُعَل) وقطع الصّفة، والبدل، والتركيب الظرفيّ والتركيب المعرَب، والتعبير عن الشّرط بغير أدواته، والتعبير عن الظّنّ بفعل القول، وتنكير صاحب الحال، وتعريف اسم (لا) النّافية للجنس، وتعريف مجرور (رُبَّ) واستخدام حرفي الجرّ (عن، وعلى) اسمين. وعدمُ استخدامهم لهذه التغييرات، له ثلاثُ دلالات، الأولى العزوفُ عن استخدامها في العصر الحديث، والثّانية عدمُ حاجتهم إليها، والثّالثةُ إشارةٌ إلى زوالها، وأنّها صارت من التّراث فحسبُ.

وأقترح في نهاية البحث أن تتخذ الكتبُ النحوية تصنيفاً جديداً غير الذي هي عليه الآن فيضمُّ القسمُ الأوّل القواعدَ الواجبة، سواء أكانت أصلَ الوضع، أم خروجاً عليه، ويضمّ القسم الثاني القواعد الجائزة المشهورة إلى جانب أغراضها البلاغيّة، ويضمّ القسم الثّالث القواعد القليلة، والنّادرة، ويضمّ القسم الرّابع القواعد الشّاذّة، والممتنعة، وهذا يُسهّل على الدّارس فهمَ هذه القواعد التي سيتدرّج في تناولها؛ لأنّها صارت على مستويات، فإذا أتقن منها مستوىً، صار جاهزاً لتلقّي المستوى التّالي فيها.

وأذهب إلى أنَّ دراسة الجواز النحويّ يمكن أن يتّخذ أشكالاً متنوعة، وذلك بحسب النتائج التي توصّل البحثُ إليها؛ إذ يمكن دراسة العلاقة بين الجواز النحوي والاقتصاد

اللغوي على حِدة، والعلاقة بين الجواز النحوي والتأويل المعنوي على حدة، وغيـــر ذلـــك من العناوين التي يمكن أن يختارها الدّارس.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنيّة

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

﴿ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ ٢٦٧

﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿٧٤﴾ ﴾ ٣٧٨

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴿١٥٨﴾ ﴾ ٤٠٨

سورة الأنفال

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ ٤٨

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴿١٠﴾ ﴾ ٥٧

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ ﴿٦٨﴾ ﴾ ١٦٨

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ ١٨١

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ ﴿٥٨﴾ ﴾ ١٩٢

﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ ﴿٣٢﴾ ﴾ ٢٠٧

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٥٠﴾ ﴾ ٢١٤

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾ ٢٥٣

﴿ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ ٢٥٩

﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴿٥﴾ ﴾ ٣٤٧

﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ ٣٤٩

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة السّجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافّات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصّلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الأحقاف

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ ١٤٨

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٢٧١، ٣٨٩

﴿ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ ٣٨٩

سورة محمد

﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ ١٦٨

سورة الفتح

﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٦٨

﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ ٢١٤

سورة الحجرات

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ ﴿٥﴾ ﴾ ٢٣٠

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ﴿٧﴾ ﴾ ٣٦٣

سورة ق

﴿ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ٢٠٤

﴿ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٥٨

﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ ﴾ ٢٧٧

سورة الذاريات

﴿ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣ ﴾ ٢٩٨

﴿ فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ ﴾ ٢١٦

﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ ﴾ ٢٨٥

﴿ وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ ﴾ ٢١٧

سورة النجم

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ٢٦ ﴾ ١٣١

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾ ٢٦٩

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ ﴾ ٤٠٨

سورة القمر

﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ٤١ ﴾ ٤٦

﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ ٧ ﴾ ٧٥

﴿ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا ١٢ ﴾ ٣٣٠

سورة الواقعة

﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ ﴾ ٢١٥

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

سورة الملك

سورة الحاقّة

سورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المزمّل

سورة المدّثّر

سورة القيامة

سورة المرسلات

سورة النّبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة الانفطار

سورة المطفّفون

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الضحى

سورة العلق

سورة الزلزلة

سورة القارعة

سورة الهمزة

سورة الكافرون

سورة الإخلاص

فهرس الأبيات الشعريّة

فضاؤهُ	البارودي	٢٢٦	الآراءُ	البارودي	٢٧٢
الخنساءِ	أبو ماضي	٣٥	الأحياءِ	الحامد	٣٩
إنائي	أبو ماضي	٤٤	الشتاء	االسّيّاب	٦١
مُرائي	الحامد	٩٩	ورائي	أبو ماضي	١٢٨
الحسناءِ	السياب	١٦٦	بأسواءِ	البارودي	١٧٨
نجلاءِ	الغسانيّ	١٩٥	البيداءِ	أبو ماضي	٢٠٠
إمضاءِ	أبو ماضي	٢٢١	بقضاءِ	الحامد	٢٢٨
ورائي	السّيّاب	٢٤٧	الرّواءِ	أبو ماضي	٢٩٨
لواءِ	البارودي	٣٠٦	إخاءِ	البارودي	٣٠٦
ابتغائي	الشابّي	٣٣٤	الماءِ	مجهول	٣٥٨
حمراءِ	الحامد	٣٧٢	إسراءِ	السيّاب	٣٧٧

بلائي	أبو ماضي	٤٣١	الأحشاءِ	أبو ماضي	٤٣٢
بناؤهْ	الشابي	٦٣	المساءْ	السياب	٧٧
القلبَا	**السياب**	**٤٠**	**سليبا**	**الحامد**	**٤٣**
التهابا	السياب	٤٥	اقترابا	السياب	٥٤
مخضّبا	الأعشى	١١٤	جانبا	بن معديكرب	١٢٣

بِغضوبا	مجهول	١٤١	مكسبا	السياب	١٤٤
العذابا	السياب	١٤٦	الرّقبهْ	رؤية	١٦٤
طالبا	البارودي	١٩٠	الأدبا	أبو ماضي	٢٠٩
غلبا	الحامد	٢٣٧	الواثبهْ	السياب	٢٦٦
انتهابا	الحامد	٢٧٨	الأدبا	امرأة هزانيّة	٢٨٨
القِبابا	أبو ماضي	٢٩٥	حبّا	رجل من طُهيّة	٣١٧
الشَّحبا	السياب	٣٣٥	مذهبُ	الكُميت	٧٢
تطيبُ	المخبّل	٧٩	مُحبَّبُ	أبو ماضي	٨٥
مطلبُ	البارودي	١٠٥	النُّجُبُ	الحامد	١٠٧
أبُ	رجل من مذحج	١١٨	غُرابُها	الأحوص	١٢٤
عَتْبُ	الحامد	١٢٧	الخطوبُ	مجهول	١٤١
يتذبذبُ	مجهول	١٥٧	مضاربُهْ	نهشل	٩٤
غُرابُ	الحامد	١٩٧	تذوبُ	مجهول	٢٠٤
صاحبُهْ	السياب	٢٢٢	الشُّهبُ	السياب	٢٢٩
النُّدُبُ	الحامد	٢٦٠	قريبُ	هُدْبة	٢٩٠
الخطبُ	الحامد	٣٢٢	طيِّبُ	البارودي	٣٩٧

مَقروبُ	الضبّيّ	٤٠٧	التّعبُ	أبو ماضي	٤٢٣
الترابِ	الحامد	٤١	الأحبابِ	البارودي	٥٨
رابِي	مجهول	٩٧، ١٣١	العِرابِ	مجهول	١٣٨
بالمجرِّبِ	امرؤ القيس	١٤٨	التَّصابي	البارودي	١٦٠
رهيبِ	الشابي	١٨٦	لُعابِ	الحامد	١٩٠
العذبِ	السياب	١٩٣	صوابِ	أبو ماضي	٢١٠
المحبوبِ	البارودي	٢٢٠	القِرابِ	أبو ماضي	٢٣٥
النِّقابِ	أبو ماضي	٢٣٧	مُذهبِ	طُفَيْل الغَنَويّ	٢٣٨، ٤٢١
خُلُبِ	رؤبة	٢٧١	الغَلّابِ	الشابي	٣٢٣
المُصابِ	البارودي	٣٥٠	الخَرابِ	البارودي	٣٥٩
النّصبِ	الحامد	٣٧٣	القبابِ	البارودي	٣٧٥
الأعتابِ	الشابي	٣٨١	غيابِ	الحامد	٤١٧
بالكوكبِ	أبو ماضي	٤٣١	شرابِ	الشابي	٤٤٨
القِرابْ	أبو ماضي	٣٧٠	ترابْ	أبو ماضي	٤٤٨
القلوبْ	الشابي	٤٤٢	**كسيتُ**	**الحامد**	**٥٤**
الصّوتُ	**رُوَيْشد**	**٩٤**	**شَمالاتُ**	جذيمة	١٩٥
الباردة	السياب	١٩٦	الأُساةُ	مجهول	٢٢٠

تموتُ	العجّاج	٢٧٥	بقيتُ	الحامد	٣٩٧
كَمَيْتِ	البارودي	٦٢	تولَّتِ	كُثَيِّر	١٢١
الفراتِ	مجهول	٢٥٩	تردّتِ	العجّاج	٢٧٦
شَتاتِ	السياب	٣٥٢	برحتْ	البارودي	١٣٨
السّباتْ	الشابي	١٦٧	الكائناتْ	الشابي	٢٧٣
الحياةْ	أبو ماضي	٤٥٠	**الهمَجِ**	**البارودي**	**٨٣**
أَحجُجِ	**بن أبي ربيعة**	**٤١٦**	**الهزجِ**	البارودي	٤١٧
إحراجي	أبو ماضي	٤٢٨	بالفرَجْ	النابغة الجعديّ	١٥٠
الرّداحا	**الحامد**	**٢٤٧**	**ساحا**	**الحامد**	**٢٩٤**
مُباحهْ	الشابي	٣١٣	مصبوحُ	حاتم الطائيّ	١٠٩
دالحُ	البارودي	١١٥	فاستراحُوا	سعد بن مالك	١٧٢
صحيحُ	أبو ذُؤَيب	٢٧٧	ريحٌ	الشابي	٢٩٥
مَنوحِ	الحامد	٧١	الفتّاحِ	الحامد	٢٢١
بِوِشاحِ	الحامد	٢٧٩	الأتراحِ	الحامد	٣٨٤
راحِ	جرير	٣٨٩	الصباحْ	الشابي	٣٢١
قصيدا	**الحامد**	**٤٥**	**غدا**	**أبو ماضي**	**٥٩**
الموجودا	أبو ماضي	٦٢	الجوادا	جرير	١٠٨

الحديدا	عقيبة الأسديّ	١١٩	غدا	كعب بن جُعَيل	١٢٠
إفرندا	البارودي	١٣٩	لحدا	أبو ماضي	١٦١
تبديدا	الحامد	١٧٩	المقيَّدا	الفرزدق	١٨١
يُردَّا	البارودي	٢٩٣	الرِّفدا	أبو ماضي	٢٩٣
جامدا	الشابي	٢٩٦	وُسِّدا	أبو ماضي	٣١٤
بُرودا	الحامد	٣٣٤	مَحدا	أبو ماضي	٣٣٨
الصَّدى	أبو ماضي	٣٥١	جادا	أبو ماضي	٣٩٢
مردَّ	البارودي	٤٠	وَجْدُ	أبو ماضي	٥٩
أُسْدُهُ	البارودي	٦٦	الوَجدُ	البارودي	٨٤
يعودُ	جميل	٩٥	الورْدُ	البارودي	١٣٠
يزيدُ	المُعْلَوّط	١٤١	وُدُّ	البارودي	١٧٣
الجَمْدُ	أُميّة	٢٥٧	جيدُ	المرقّش	٢٦٥
مَوْحَدُ	ساعدة	٣٣٧	نشيدُهْ	الشابي	٤١٨
تنكيدُ	الحامد	٣٧٥	الكَدُّ	البارودي	٤١٨
شريدُ	البارودي	٤٢٤	مُفْردُ	ابن الرومي	٤٣٥
العبدُ	حسّان	٤٣٦	البعدُ	مجهول	٤٤٣
الأباعدِ	الفرزدق	٢٣	بِعادِ	البارودي	٣٢

الجديدِ	الشابي	٣٧	لأهتدي	البارودي	٦٢
الولدِ	الحامد	٦٣	فاتَّئدِ	الحامد	٧٠
الغردِ	الحامد	٧٨	الهادي	البارودي	٩٠
مقصدي	أبو ماضي	٩٢	البَرَدِ	البارودي	٩٨
مُوَحَّدِ	الحامد	٩٩	النّشيدِ	الشابي	١١٦
البلدِ	ذو الرِّمّة	١٠٢	يدِي	النابغة	١٤٠
مَزِيدِ	الشابي	١٤٢	زِيادِ	قيس بن زهير	١٤٩
التحدِّي	الحامد	١٥٤	ابْعدِ	حاتم الطائي	١٥٧
بالصَّدِّ	البارودي	١٦٥	تَقِدِ	الفرزدق	١١
ينفدِ	البارودي	١٦٧	مُعاهِدِ	الرَّمّاح	١٧١
فقَدِ	النابغة الذبياني	١٨٢	الأولادِ	المتنبي	١٨٢
فؤادي	ابن يَعْفر	١٩٨	أحدِ	النابغة	٢٠١
قدِ	النابغة	٢٣٣،٣٧٤	اقعدِ	أبو ماضي	٢٣٤
دَدِ	الحامد	٢٤١	معبدِ	طرفة	٢٥١
بعدي	نصيب	٢٥٢	الأسدِ	الفرزدق	٢٥٧
قدِ	البارودي	٢٧١	الحُسّادِ	البارودي	٣٠٧
السّعيدِ	الشابي	٣١٣	تُحمدِ	أبو ماضي	٣٢٥

بَدادِ	النابغة الجعدي	٣٢٦	حَبابِ	المتلمِّس	٣٢٦
القصيدِ	أبو ماضي	٣٣٢	المريدِ	الشابي	٣٧٢
أُملودِ	الشابي	٤٠٠	الوجودِ	الشابي	٤٠٥
موجودِ	أبو ماضي	٤١٦	بالمعتدي	الحامد	٤٢٢
يُغادي	الفرزدق	٤٣٦	نادي	البارودي	٤٣٧
البلادِ	ابن الزَّبير	٤٣٩	بَدادِ	حسّان	٤٤٠
عادْ	السياب	٣٥	الحدودْ	السياب	٦٧
البرودْ	الشابي	١٧٠	واحِدْ	الحامد	٢٦١
الحميدْ	الشابي	٣٠٤	الوجودْ	الشابي	٢٠٤
مُنقذا	**البارودي**	**٢٢٧**	**الأذى**	**البارودي**	**٣٤٦**
خَوَرا	**أبو ماضي**	**٣٨**	**تُعصَرا**	**أبو ماضي**	**٦٩**
فدَّكرا	البارودي	٧٧	تنويرا	مولَّد	٩٥
عارا	الشابي	١٢٩	بَيْقرا	امرؤ القيس	١٤٩
الثَّرى	أبو ماضي	١٥٠	طارا	أبو ماضي	١٦٩
النُّضارا	أبو ماضي	١٧٩	أصبرا	امرؤ القيس	٢٤٣
نارا	أبو دُؤاد	٢٥٥	نفرا	الرّبيع الفزاريّ	٢٨٨
ماخورا	الشابي	٢٩٧	سفرا	البارودي	٣٣١

نِجارا	أبو ماضي	٣٣٣	عقرا	الشريف الرَّضي	٣٤٨
الدِّيارا	مجنون ليلى	٣٥٧	منتحرا	أبو ماضي	٣٥٨
بصرا	أبو ماضي	٣٧٩	حمارا	الشابي	٣٦٩
الفقيرا	سوادة بن عدِّيّ	٤٠٩	أظْهرا	النابغة الجعديّ	٤٠٩
عِشارا	الأعشى	٤٣٥	شُهرَهْ	البارودي	٢٣٥
تعتذرُ	أبو ماضي	٥٢	نصيرُ	أبو ماضي	٦٥
وِزرُ	كعب بن مالك	٧٢	جابرُ	البارودي	٧٣
الجآذرُ	ذو الرِّمّة	٨٦	السِّحرُ	البارودي	٩٨
تذكارُ	الحامد	١٠٧	مِعطارُ	الحامد	١١٥
ثغرُ	البارودي	١١٥	نَكيرُ	البارودي	١١٦
أطهارُ	جرير	١١٧	غامرُ	ابن حِجر	١٤٥
عمرُ	جرير	١٧٢	عصرُ	البارودي	١٧٥
المِهارُ	أبو دُؤاد	١٩٦	الفقرُ	البارودي	٢٠٩
عارُ	ابن كعب	٢١٦	سِمسارُ	أبو ماضي	٢٢١
دَيّارُ	الحامد	٢٧٢	النّاظرُ	البارودي	٢٩٤
يتقطَّرُ	البارودي	٢٩٦	نِجارُ	أبو ماضي	٣٠٩
الصّبرُ	البارودي	٣١٢	تُسْحَروا	البارودي	٣١٢

الفَرّارُ	أبو ماضي	٣٢١	وَبارُ	أعشى بن قيس	٣٢٧
المطرُ	الأخطل	٣٤٠	أسرارُ	الحامد	٣٥٥
إدبارُ	الخنساء	٣٧٤	دارُ	السياب	٣٨٦
فجرُ	الحامد	٣٩١	نَعّارُ	الحامد	٣٩٣
أطيرُ	الأحنف بن قيس	٤٠٤،٣٩٥	صائرُ	البارودي	٤٠٥
الزّورُ	الحامد	٤٠٦	ديّارُ	مجهول	٤١٦
غَزِرُ	البارودي	٤٢٤	السُّفورُ	البارودي	٢٤٨
خُضْرُ	البارودي	٤٢٩	الجآذرُ	مجهول	٤٣٣
الصّاغرُ	السياب	٤٣٨	الدّهرِ	حسّان	٢٥
قدرِ	جرير	٤٦	خيرِ	أبو ماضي	٥٢
تجري	البارودي	٥٨	الخَتْرِ	البارودي	١٢٨
مَشْكورِ	الفرزدق	١٣٧	خَمْرِ	البارودي	١٧٢
الغوابرِ	الأحوص	١٧٦	بالسِّرِّ	السياب	١٨٠
زهرِ	الشابي	١٨٠	المشافرِ	الفرزدق	٢١٩
الأفكارِ	أبو ماضي	٢٢٣	أخضرِ	الحامد	٢٢٩
الفاخرِ	أبو دؤاد	٢٥٧	كالقصرِ	أبو ماضي	٢٦٠
البِكرِ	أبو ماضي	٣٠٥	حُورِ	البارودي	٣١١

بِغارِ	الحامد	٣١٥	الدّارِ	زهير	٣١٨
فِجارِ	النابغة	٣٢٥	مبهورِ	جرير	٣٤٩
السَّاري	الأخطل	٣٤٩	هَزارِ	أبو ماضي	٣٧١
شاعرِ	السياب	٣٧٣	الأسيرِ	أبو ماضي	٣٨١
الدَّهاريرِ	الفرزدق	٤١٥	الصّورِ	البارودي	٤٤١
شِعري	أبو النجم	٤٤٧	العاري	أبو ماضي	٤٥٠
الشَّجرْ	السياب	٣٤	المسعورْ	السياب	٣٩
أَقْمرْ	السياب	٦٥	كبرْ	الشابي	٨٤
واصطبرْ	الشابي	٨٧	مضِرْ	الأشعر	١٤٧
الزهورِ	الشابي	٢٩٣	الطيورْ	السياب	٢٠٦
أنفسا	امرؤ القيس	**٢٣٣**	**الأنفسُ**	**الشابي**	**٧٩**
المجلسُ	ابن مرداس	١٩١	عبّاسُ	مالك بن خُوَيلِد	٣٤٢
رأسي	الشابي	٦٨	كأسي	الشابي	١٥٢
المتناسي	أبو ماضي	١٥٣	نفسي	الشابي	١٦٦
رَمْسِ	الشابي	١٨٩	المُخلِسِ	المـرّار الحنظليّ	١٩٨
قابوسِ	جرير	٤١٤	**حريصُ**	**مجهول**	**٩٧**
لَحاصِ	**أمية الهذليّ**	**٣٥٤**	**مّضّى**	**البارودي**	**٤٤**

تُقتضَى	البارودي	١٥٣	نَهُوضِ	امرؤ القيس	١١٩
الثَّبطُ	البارودي	٣٧١	قَطاطِ	ابن معديكرب	٣٢٨
حظِّي	البارودي	٢٦٠	**شَمعَهْ**	**السياب**	**١٩٩**
المقنَّعا	**جرير**	**٢٣١**	**رفيعا**	**الحامد**	**٢٥٢**
تقطّعا	أبو زيد الأسلميّ	٢٨٩	زروعا	الحامد	٤٠٠
فترفّعا	ابن الطَّثْريّة	٤٤٦	الخُشَّعُ	جرير	١٠٣
رفعوا	الحامد	٣٠٨	يرجعُ	جرير	٣٩٥
قطيعُ	مجهول	٤٧٤	تصدَّعوا	عبدة بن الطّبيب	١٠٢
نُراعي	الحامد	٥٣	مَناعِ	البارودي	٦٨
اللِّساعِ	الحامد	٧٠	أتمنَّعِ	أبو ماضي	١٣٩
فاجزعي	النَّمر بن تَوْلب	٢٣٢،١٥٦	بأضلعي	السياب	١٧٠
وَقاعِ	عـــــــوف الأحوص	٣٢٨	يزرعِ	أبو ماضي	٢٤٨
تتضوَّعِ	أبو ماضي	٢٧٣	رتعْ	سويد اليشكريّ	٧٥
يخفى	**البارودي**	**٩٣**	**الطرائفُ**	**مزاحم**	**١١٣**
أرأفُ	البارودي	٢٢٢	مختلف	ابن الخطيم	٤٢١
اصطرافِ	العجاج	١٧٧	مؤلّفِ	البارودي	٢٠٥
معرقا	**الشابي**	**٤١**	**تحرَّقا**	**الشابي**	**٤٤**

خلقا	زهير	٨٠	ترقا	البارودي	١٠٦
رزقا	ابن الأحنف	١٨٤	فأحرقا	الشابي	٢٤٧
رفيقُ	البارودي	١٠٦	الآفاقُ	البارودي	١٨٨
رونقِ	البارودي	٣٥	خالقي	البارودي	٣٨
مِخراقِ	مجهول	١٢١	الطريقِ	مجهول	١٢٢
التّلاقي	البارودي	١٤٣	تعبُقِ	أبو ماضي	١٤٣
العتيقِ	مجهول	١٤٥	مُشرقِ	البارودي	٢٠٠
أتَّقي	البارودي	٢٤٦	حَلاقِ	مهلهل	٣٢٨
الفلقِ	الشابي	٣٦٠	الحرقِ	الشابي	٣٧٦
إيراقِ	البارودي	٣٩٦	شارقِ	مجهول	٤٢٦
بطلاقِ	أبو محجن	٤٤٢	**عنكا**	**أبو ماضي**	**٣٣**

رزقكا	**البارودي**	**١٥١**	**نفسكا**	**البارودي**	**٣٩٣**
دعاكا	مجهول	**٤٠٩**	**مشتركُ**	**زهير**	**١٤١**
بركيكِ	**أبو ماضي**	**١٢٩**	**أغناكِ**	**أبو ماضي**	**٢٢٢**
أوراكها	مجهول	٣٢٠	العواركِ	هند	٣٧٨
مهلا	**الأعشى**	**٢٢٥**	**مثلا**	**البحتري**	**٢٤٥**

قليلا	السياب	٢٥٠	ثاقلا	لبيد	٢٩١
بلى	أبو ماضي	٢٧٩	جليلَها	الشابي	٣٥١
هزيلا	الحامد	٣٨٢	ولّى	أبو ماضي	٤١٠
موئلا	مجهول	٤٢٠	الأملا	مجهول	٤٣٣
عواسلُ	أبو تمام	٢٣	جهولُ	السموءل	٢٨
بلابلُهْ	مجهول	٣١	ميلُ	البارودي	٣٣
أهلُ	البارودي	٦٤	خللُ	كثَيِّر	٨٦
مكحولُ	طفيل	٩٤	تنهلُّ	امرؤ القيس	٩٧
العواذلُ	لبيد	١٢٠	أعجلُ	الشَّنفرى	١٤٨
باطلُ	البارودي	١٧٤	قاتلُهْ	مجهول	١٧٧
أُفولُ	مجهول	١٧٨	البخلُ	البارودي	١٧٨
دغلُ	البارودي	١٧٩	يتغزّلُ	أبو ماضي	١٨٧
المتهلِّلُ	أبو ماضي	١٨٨	العدلُ	البارودي	٢٠٥
طويلُ	مجهول	٢١٨	صقيلُ	الحامد	٢٢٧
قلائلُ	النابغة	٢٦٦	حجولُها	جرير	٣١٨
نقاتلُ	البارودي	٣٩٩	قبلُ	القطاميّ	٤٤٦
فعلُ	البارودي	٤٤٨	الخبلِ	البارودي	٤٢

المحتالِ	مجهول	١٣٧	مثلِ	البارودي	١٤٢
وكلِ	رجــل مــن طيٍّ	١٤٩	الكلِّ	البارودي	١٥٧
مأكولِ	البارودي	١٦٠	مالي	النابغة	١٦٥
سبيلِ	كثيِّر	١٧٢	أجلِ	مجهول	١٧٨
أمثالي	امرؤ القيس	١٨١	تستهلِّ	امرؤ القيس	١٩١
العقالِ	مجهول	٣٦٢	بالِ	عديّ بن زيد	٢١٩
فعلِ	البارودي	٢٢٢	لي	الحامد	٢٢٧
تصهالِ	البارودي	٢٦١	الجللِ	البارودي	٢٦٤
الإعوالِ	الحامد	٢٩٦	السّعالي	أميّة الهذليّ	٣٤٣
الخالي	امرؤ القيس	٤٠٤	مثلي	الفرزدق	٤١٥
الدِّخالِ	لبيد	٤٤٠	مجهلِ	مزاحم	٤٤٦
جَمَلِهْ	جميل	١٩٩	**السِّماما**	**أبو ماضي**	**٦٩**
لماما	**مجهول**	**٩٦**	**بابتسامَهْ**	**الشابي**	**١٦٠**
أعظما	البارودي	٢٧٩	نغما	السياب	٣٨٠
مروما	الشابي	**٣٩٢**	قاسما	هدبة	**٤٠١**
السلامْ	الشابي	**٥٣**	اللثام	أبو ماضي	**٥٣**

الأقوامُ	البارودي	٦٠	أعلام	الحامد	٦٧
أهرام	الحامد	٧١	السلامُ	الأحوص	٩١
شامُ	جرير	١٠٠	المظلومُ	لبيد	١١٠
يفهمْ	الشابي	١٣٠	أوهام	الحامد	١٣٩
مظلمُ	المسيّب	١٤٤	سقام	البارودي	١٥٤
اصطُلِمُوا	الحامد	١٦٦	قدمُ	أبو ماضي	١٦٧
الحمامُ	أبو ماضي	١٩٢	جارمُ	ابن بُراقة	١٩٤
تبتسمُ	البارودي	٢٠٣	أنسامُ	الحامد	٢٠٥
الآلامُ	الشابي	٢٢٠	الغرامُ	البارودي	٢٣٥
دوامُ	البارودي	١٨٩،٢٤٠	تتهدمُ	الشابي	٢٤٢
ناموا	الحامد	٢٥٢	عدمُهْ	البارودي	٢٧٢
الحسامُ	الأحوص	٢٧٥	اللئامُ	البارودي	٢٩٧
نقمُ	ابن منقذ	٣٠٤	الندمُ	السياب	٣١٥
المغنمُ	الأخرم	٣٢٨	فيعجمُهْ	الحطيئة	٣٤٥
جاثمُ	الشابي	٣٨٥	يبتسمُ	الشابي	٤١٢
هضّامُ	الحامد	٤٢٨	مستديمُ	كثيِّر	٤٣٢
معصومُ	الحامد	٤٣٧	أعوامُ	البارودي	٤٤٥

حرمُ	زهير	٤٤٩	الهرمِ	مجهول	٢٨
النّغمِ	الحامد	٣٦	غارمِ	أبو ماضي	٤٢
حاكمِ	البارودي	٧٣	تهمي	طرفة	٧٦
الدَّمِ	الأعشى	١٠٣	كرامِ	الفرزدق	١٣٧
الإسلامِ	مجهول	١٣٨	السَّلمِ	مجهول	١٤٥
الحَوْجَمِ	البارودي	١٥٤	لأقوامِ	النابغة	١٧٢
بدمِ	مهلهل	١٨٩	تحرمِ	عنترة	١٩٧
سالمِ	ذو الرِّمّة	٢٢٤	مُنَمْنَمِ	البارودي	٢٢٦
المنامِ	البارودي	٢٣٦	استسلامِي	أبو ماضي	٢٤١
المكرمِ	عنترة	٢٤٤	العظمِ	البحتري	٢٤٦
بالحكمِ	أبو ماضي	٢٤٨	لِجامِهِ	البارودي	٢٦٣
فمي	البارودي	٣٢٤	الأعمامِ	مهلهل	٣٤١
هرمِ	زهير	٣٤٨	الوئامِ	السياب	٣٧٠
بسلَّمِ	الأعشى	٣٨٣	الزِّحامِ	المتنبي	٣٨٨
سَنامِ	مهلهل	٤١٤	هاشمِ	الفرزدق	٤٢٠
المستهامِ	السياب	٤٢٩	بالقدمِ	البارودي	٤٣٠
النّامي	الشابي	٤٣٨	القدمِ	السياب	٤٤١

أمامي	قطريّ	٤٤٦	تتحطّمْ	الشابي	٦١
كمْ	الحامد	١٧٣	الأنامْ	البارودي	٢٥٤
الأممْ	الحامد	٣٠٩	**متجاهلينا**	**الكميت**	**٤٧**
استغنينا	**ابن رواحة**	**٥٥**	**دِمانا**	**السياب**	**٦٠**
غنّى	الحامد	٧٨	مُبينا	أبو ماضي	٨٨
سمِنا	أبو ماضي	٨٩	اللّيّانا	زيادة	١٢١
آخرينا	فروة	١٤٠	رضينا	ابن كلثوم	١٧١
كنّا	الحامد	١٨٧	خوّانا	البارودي	١٩٦
إنّا	الحامد	٢٢٨	يُجبِنَهْ	مجهول	٢٣٣،٢٧٥
سِنينا	الشابي	٢٥٠	تسمعينَهْ	أبو ماضي	٢٦٢
إلينا	ابن الأبرص	٢٧٦	كانا	جرير	٣٠٣
مَثنى	البارودي	٣٣٨	بَيْنا	ابن الأبرص	٣٥٤
تجمعنا	عمر ربيعة	٤٠١	حِرْمانا	جرير	٤٤٢
هانا	الحامد	٤٤٥	دخانُ	المعرّي	٢٦
مشحونُ	البارودي	٤٣	مُعينُ	الحامد	٧٤
الخَؤونُ	أبو ماضي	١٤٦	ألوانُ	السياب	٣٨٠
الدَّدَنُ	البارودي	٤٤٤	المحزونِ	الشابي	٥٩

المحزونِ	أبو ماضي	٦١	لِخُسرانِ	الحامد	٦٦
فعزِّيني	الشابي	٦٦	الظَّنِّ	الحامد	٨٥
الجثمانِ	أبو ماضي	١١٤	يصطحبانِ	الفرزدق	١٣٢
حطِّينِ	الحامد	١٥١	مُعينِ	الحامد	٢٠٢
الغصونِ	الشابي	٢٤١	حَنونِ	السياب	٢٦١
خُفّانِ	مجهول	٢٧١	للجِرانِ	تأبّط شرّاً	٣٦٤
الحدثانِ	البارودي	٣٢٠	عَناني	البارودي	٣٢٣
بِبرهانِ	البارودي	٣٨٤	للطَّعنِ	مجهول	٤٢٦
ديني	أبو ماضي	٤٣٧	جانِ	أبو ماضي	٤٤٠
جدنْ	الأعشى	٨٠	يكونْ	السياب	٣٩٤
تدلِّيها	**أبو ماضي**	**٤٣**	**إبقالَها**	**ابن جُوَين**	**١٠١**
بها	الأعشى	١٠١	مُنتهاها	القَحيف	١٤٨
رَفيقها	السياب	٢٠٣	عواقبُها	عدّي بن زيد	٢١٦
لعلّها	جميل	٢٢٥	خافيها	أبو ماضي	٢٣٤
سِواها	أبو ماضي	٢٥٤	بيوضُها	ابن أحمر	٢٨٦
جرّارها	الحامد	٤٢٥	ناداهُ	البارودي	١٧٥
طلابُها	النابغة	٢٦٦	الجاهُ	البارودي	٣٠٧

تهواهُ	أبو ماضي	٤١١	يديهِ	الورّاق	١٤٧
اللاهي	البارودي	١٥٢	الإلهِ	الشابي	٢٣٧
زفراتهِ	السياب	٤٠٥	للهِ	البارودي	٤٣٨
النَّوى	**السياب**	**١٥١**	**يثوى**	**البارودي**	**٤٢٣**
رَضوى	البارودي	٤٣٠	بمرعوي	ابن الحكم	٩١
مُنهوي	ابن الحكم	٤١٦	**جائيا**	**زهير**	**١٢٤**
ناهيا	**سحيم**	**١٤٩**	**السّواقيا**	**المتنبي**	**٣٥٠**
عِياليا	أبو النجم	٤١٤	-------	-------	-------

٥٧٠المصادر والمراجع

١- ابن الأبرص، عبيد، الديوان، تح:حسين نصّار، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٧ه-١٩٥٧م.

٢- ابن أحمر الباهليّ، عمرو، الديوان، تح:حسين عطوان، مجمع اللغة العربية، دمشق، بلا تاريخ.

٣- ابن الأحنف، العبّاس، الديوان، تح: عاتكة الخزرجـــي، مطبعـــة فـــضالة المحمديـــة، المغرب، ١٣٩٧ه- ١٩٧٧م.

٤- الأحوص الأنصاري، الديوان، تح: إبراهيم السّامرّائي، مطبعة النعمان، النجف،١٣٨٨ ه -١٩٦٩م.

٥- الأخطل، الديوان، نشره: أنطوان اليسوعيّ، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٦- الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: محمد عبد الحميد، ط٢، مطبعـــة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨ه-١٩٣٩م.

٧- الأصمعيّ، عبد الملك بن قريب، الأصمعيّات، تح: أحمد محمد شاكر وعبـــد الـــسلام هارون، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

٨- الأعشى الكبير، الديوان، تح: محمد محمد حسين، ط٢، مؤسسة الرسالة، الإسكندرية، ١٣٨٨ه -١٩٦٨م.

٩- إلياس، منى،القياس في النحو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

١٠- امرؤ القيس، الديوان، تح: حسن السندوبي، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مـــصر، ١٣٧٣ه -١٩٥٣م.

١١- الأنباريّ، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد عبد الحميد، منشورات جامعـــة البعث، حمص، ١٩٨٨-١٩٨٩م.

١٢- الأندلسيّ، أبو حيّان، ارتشاف الضرَب من لسان العرب، تح: رمضان عبد التـــوّاب، ورجب عثمان أحمد، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٨ه-١٩٩٨م.

١٣- ابن أنس، مالك، الموطأ، تح: محمد فـــؤاد عبـــد البـــاقي، دار الحـــديث، القـــاهرة، ١٤٢١هـــ-٢٠٠١م.

١٤- أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، ط٢، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥- الأيوبي، هاشم وآخرون، مبادئ تحليل النصوص الأدبية، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٦- البارودي، محمود سامي، الديوان،تح: علي الجارم ومحمد شفيق معروف.

١٧- البجّة، عبد الفتّاح، ظاهرة قياس الحمل في اللغة العربية، ط١، دار الفكر، عمّان، ١٤١٩ه -١٩٩٨م.

١٨- البحتري، الديوان، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤-١٩٦٥م.

١٩- تأبّط شرّاً، الديوان، تح: علي ذو الفقار شاكر، ط١، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠٤ه -١٩٨٤م.

٢٠- أبو تمّام، الديوان، تح: محمد عبده عزّام، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧م.

٢١- ديوان الحماسة، تح: عبد المنعم صالح، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٤٠٠ه -١٩٨٠م

٢٢- ابن ثابت، حسّان، الديوان، تح: بدر الدّين الحاضري، ومحمد حمّامي، ط١، دار الشرق العربيّ، بيروت، ١٤١١ه-١٩٩١م.

٢٣- الجاسم، محمود، القاعدة النحوية، تحليل ونقد، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

- تعدّد الأوجه في التحليل النحوي، ط١، دار النمير، دمشق، ٢٠٠٧م.

- تأويل النّصّ القرآني وقضايا النحو، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.

٢٤- جبل، عبد الكريم، في علم الدّلالة، دار المعرفة الجامعيّة، جامعة طنطا، ١٩٩٧م.

٢٥- الجرجاني، الشريف، كتاب التعريفات، ط٣، دار الكتب العلميّة، بيـــروت،١٣٠٨ ه-١٩٨٨م.

٢٦- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمـــد شـــاكر، ط٣، مطبعـــة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٧- الجرجاني، محمد بن علي، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح: عبـــد القـــادر حسين، دار نهضة مصر، القاهرة، بلا تاريخ.

٢٨- جرير، الديوان، تح: محمد إسماعيل الصّاوي، دار الأندلس، بيروت، ١٣٥٣ه.

٢٩- جطل، مصطفى، نظام الجملة عنداللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٧٨-١٩٧٩م.

٣٠- الجعديّ، النابغة، الديوان، تح: عبد العزيزرباح، ط١، المكتب الإســـلامي، دمـــشق، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م.

٣١- جميل بثينة، الديوان، تح: حسين نصّار، ط٢، دار مصر للطباعة، ١٩٦٧م.

٣٢- ابن جنّي، عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجّار، ط٢، دار الهـــدى، بيـــروت، ١٣٧٢ه-١٩٥٢م.

٣٣- الجويني، مصطفى الصّاوي، المعـــاني علـــم الأســـلوب، دار المعرفـــة الجامعيـــة، الإسكندريّة، ١٩٩٣م.

٣٤- الحامد، بدر الدّين، الديوان، منشورات وزارة الثقافة والإرشـــاد القـــومي، دمـــشق، ١٩٧٥م.

٣٥- الحديثي، خديجة، الشاهد وأصول النحو في كتـــاب ســـيبويه، مطبوعـــات جامعـــة الكويت، ١٣٩٤ه-١٩٧٤م.

٣٦- حسّان، تمّام، الأصول في النحو، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.

٣٧- حسن، عبّاس، النحو الوافي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣٨- الحسن، محمود، التعدية واللزوم في شعر جرير، رسالة دكتوراة، كليّة الآداب، جامعة حلب، ١٤٣٠ه-٢٠٠٩م.

٣٩- حسين، عبد القادر، أثرالنحاة في البحث البلاغي، ط٢، دار قطريّ بن الفجاءة، الدوحة، ١٩٨٦م.

٤٠- حسين، محمد الخضر، القياس في اللغة العربية، المكتبة السّلفية، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

٤١- الحطيئة، الديوان، تح: نعمان طه، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.

٤٢- الحمّوز، أحمد عبد الفتّاح، التأويل النحوي في القرآن الكريم، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م.

- المبتدأ والخبر في القرآن الكريم، ط١، دار عمّار، عمّان، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

٤٣- ابن خالويه، المختصرفي شواذّ القرآن، نشر: برجشتراسّر، المطبعة المدنيّة، مصر، ١٩٣٤م.

٤٤- ابن الخشرم، هدبة، الديوان، تح: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦م.

٤٥- ابن خفاجة الأندلسيّ، الديوان، تح: مصطفى غازي، دار المعارف، مصر،١٩٦٠م.

٤٦- خفاجي، عبد المنعم وآخران، الأسلوبية والبيان العربي، ط١، الدارالمصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٤٧- الخنساء، الديوان، تح: عبد السلام الحوفيّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

٤٨- الخوارج، الديوان، تح: نـــايف معـــروف، ط١، دارالمـــسيرة، بيـــروت، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.

٤٩- الخولي، محمد علي، التراكيب الشائعة في اللغة العربية، دراسة إحصائيّة، دار الفلاح، عمّان، ١٩٩٨م.

٥٠- الدّجنّي، عبد الفتّاح، ظاهرة الشّذوذ في النحو العربـــيّ، ط١، وكالـــة المطبوعـــات، الكويت، ١٩٧٤م.

٥١- درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتـــراث، دار غريـــب، القـــاهرة، ١٩٩٨م.

٥٢- الذبياني، النابغة، الديوان، تح: عبّاس عبد السّاتر، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيـــروت، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

٥٣- ابن ذريل، عدنان، النقد والأسلوبيّة بين النظريّة والتطبيق، منشورات اتّحاد الكتّـــاب العرب، ١٩٨٩م.

٥٤- ذو الرّمّة، الديوان، تح: مطيع ببيلي، ط٢، المكتب الإســـلامي، دمـــشق، ١٣٨٤ه-١٩٦٤م.

٥٥- ابن ربَاح، نصيب،الديوان، تقديم: داوود سلّوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م.

٥٦- ابن أبي ربيعة، عمر، الديوان، تح: بشير يموت، ط١، المطبعة الوطنيّـــة، بيـــروت، ١٣٥٣ه-١٩٣٤م.

٥٧- ابن ربيعة، لبيد، الديوان، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦ه-١٩٦٦م

٥٨- ابن ربيعة، مهلهل، الديوان، تقديم: طلال حرب، الدار العالمية للطباعـــة والنـــشر، بيروت، ١٤١٣ه-١٩٩٣م.

٥٩- الرّضيّ، الشريف، الديوان، دارا صادر وبيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

٦٠- الرّفايعة، حسن عبّاس، ظاهرة العدول عن المطابقة في العربيّة، ط١، دار جرير، عمّان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٦١- الرّمّاني، أبو الحسن علي بن عيسى، معاني الحروف، تح: عبد الفتّاح شلبي، دار نهضة مصر القاهرة، بلا تاريخ.

٦٢- ابن رواحة، عبدالله، الديوان، تح: حسن محمد باجودة، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٣- ابن الرّومي، الديوان، تح: حسين نصّار، وسيدة نصّار الحامد، ومنير المدني، ١٩٧٤م.

٦٤- الزبيدي، سعيد جاسم، القياس في النحو العربي، نشأته وتطوره، ط١، دار الشروق، عمّان، ١٩٩٧م.

٦٥- ابن الزَّبير الأسدي، عبدالله، الديوان، تح: يحيى الجبوري، وزارة الإعلام، العراق، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٦٦- الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م

٦٧- الزّجّاجي، ابن إسحاق، الجمل في النحو، تح: علي الحمد، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

٦٨- الزِّركشي، بدرالدّين، البرهان في علوم القرأن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦٩- الزّركلي، خير الدّين، الأعلام، ط٣، بيروت، بلا تاريخ.

٧٠- الزمخشريّ، محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، ط١، دار الجيل،١٤٢٤ه-٢٠٠٣م.

٧١- ابن زيد الأسديّ، الكميت، الديوان، تح: داوود سلّوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.

٧٢- ابن زيد العبادي، عديّ، الديوان، تح: محمد المعيبد، دار الجمهورية، بغداد ،١٩٦٥م.

٧٣- السّامرّائيّ، فاضل، الجملة العربية والمعنى، ط١، دار الفكر، عمّان، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.

- الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، ط٢، عمّان، ١٤٢٧ه-٢٠٠٧م.

- معاني النحو، ط٣، دار الفكر، عمّان، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

- التعبير القرآني، ط١، دار الفجر، بغداد، ١٤٢٩ه-٢٠٠٨م.

٧٤- سحيم، عبد بني الحسحاس، الديوان، تح: عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٣٦٩ه-١٩٥٠م.

٧٥- ابن السّرّاج، أبو بكر،الأصول في النحو، تح: عبد الجليل الفتلي، ط٣، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٨ه-١٩٨٨م.

٧٦- سعد، محمود، حروف المعاني بين دقائق النحو ولطائف الفقه، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٨م

٧٧- السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، بلا تاريخ.

٧٨- ابن أبي سُلمى، زهير،الديوان، تح: فخر الدّين قباوة، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠ه-١٩٨٠م.

٧٩- سليمان، أحمد عطيّة، الدلالة اللغوية والاجتماعية للعبارة، مكتبة الشرق، عُمَان، ١٩٩٥م.

٨٠- سليمان، فتح الله أحمد، الأسلوبيّة مدخل نظريّ ودراسة تطبيقيّة، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٨١- السيّاب، بدر شاكر، الديوان، ط٣، دار الحريّة، بغداد، ٢٠٠٣م.

٨٢- الشّابّي، أبو القاسم، الدّيوان، ط٢٠٠٦، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٦م.

٨٣- ابن شدّاد، عنترة، الديوان، تح: عبد المنعم شلبي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بلا تاريخ.

٨٤- الشّمسان، أبو أوس إبراهيم، الفعل في القرآن الكريم، تعديته ولزومه، ذات السّلاسل للطباعة والنّشر، الكويت، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

٨٥- الشَّنفرى، لاميّة العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٥م.

٨٦- الشّيرازي، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تص:مصطفى عناني، المطبعة الحسينيّة المصريّة، ١٣٤٣ه.

٨٧- ابن أبي الصَّلت، أميّة، الديوان، تح: محمد المرزوقيّ، دار الكتب الشّرقيّة، تونس ١٩٧٣م.

٨٨- الضّبعيّ، المتلمّس، الدّيوان، تح: حسن كامل الصّيرفي، معهد المخطوطات العربية، مصر، ١٣٩٠ه-١٩٧٠م.

٨٩- الضّبّيّ، المفضّل، المفضّليّات، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.

٩٠- الطائيّ، حاتم، الديوان، عادل، سليمان جمال، مطبعة المدنيّ، القاهرة، بلا تاريخ.

٩١- طبل، حسن، المعنى في البلاغة العربية، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة ،١٤١٨ه-١٩٩٨م.

٩٢- ابن الطبيب، عبدة، الديوان، تح: يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، ١٩٧١-١٩٧٢م.

٩٣- ابن الطِّثريّة، يزيد، الديوان، تح:ناصر السيّد، دار الوثبة، دمشق، بلا تاريخ.

٩٤- العاكوب، عيسى، المفصل في علوم البلاغة، منشورات جامعة حلب، ١٤٢١ه-٢٠٠٠م.

٩٥- ابن العبد، طرفة، الديوان، تح: دريّة الخطيب، ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمَع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م.

٩٦- عبد الغني، أحمد عبد العظيم، القاعدة النحوية، دارالثقافة، القاهرة، ١٤١٠ه-١٩٩٠م.

- المصطلح النحوي، دراسة نقديّة تحليلية، دار الثّقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،١٤١٠ه-١٩٩٠م.

٩٧- عبد المطّلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.

٩٨- عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

٩٩- العكبري، أبو البقاء، المتّبع في شرح اللمع، تح: عبد الحميد الزّوّي، ط١، جامعة قاريونس، بنغازي، ١٩٩٤م.

١٠٠- العجّاح، الديوان، تح: عزّة الحسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦ه-١٩٩٥م.

١٠١- العجليّ، أبو النجم، الديوان، تح: علاء الدّين الآغا، النّادي الأدبيّ، الرّياض، ١٤٠١ه-١٩٨١م.

١٠٢- ابن عصفور، شرح جمل الزّجّاجي، تح: صاحب أبو جناح، ط١، مطبعة عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩ه-١٩٩٩م.

١٠٣- ابن عقيل، شرح ابن عقيل، تح: حنّا الفاخوري، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩ه-١٩٨٩م.

١٠٤- العكبريّ، أبو البقاء، إعراب القراءات الشّواذّ، تح: محمّد السّيّد أحمد عزّوز، ط١، عالم الكتب، بيروت ،١٤١٧هـ -١٩٩٦م .

١٠٥- العلّولا، منيرة بنت سليمان، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

١٠٦- عيّاد، شكري محمد، اتّجاهات البحث الأسلوبي، ط١، دار العلوم، الرّياض، ١٩٨٥م.

١٠٧- عيد، رجاء، البحث الأسلوبي، معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

١٠٨- غراتشيان، غابوتشيان، نظرية أدوات التعريف والتنكير وقضايا النحو العربي، تر: جعفر دكّ الباب، مطابع مؤسسة الوحدة، دمشق، ١٤٠١ه-١٩٨٠م.

١٠٩- الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية، ط١٠، المطبعة العصرية، بيروت، ١٣٨٨ه-١٩٦٨م.

١١٠- الغنويّ، طفيل، الديوان، تح: محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م.

١١١- الفارسي، أبوعلي، الإيضاح العضدي، تح: حسن فرهود، مطبعة دار التأليف، مصر، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

- كتاب الشعر، محمود الطنّاجي، ط١، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- التعليقة على كتاب سيبويه، تح: عوض القوزي، ط١، مطابع دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ.

١١٢- أبوالفتوح، محمد حسين، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.

١١٣- الفرزدق، الديوان، تح: عبدالله الصّاوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م.

١١٤- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، دارالكتاب المصريّ، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٤م.

١١٥- الفقّي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق، ط١، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١١٦- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.

١١٧- القطاميّ، الديوان، تح: إبراهيم السّامرّائي، وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.

١١٨- ابن قيس الرّقيّات، عبيد الله، الديوان، تح: محمد يوسف نجم، دارا بيروت وصادر، بيروت، ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م.

١١٩- كثيّر عزّة، الديوان، تح: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

١٢٠- ابن كلثوم، عمرو، الديوان، تح: طلال حرب، ط١، الدار العالمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٢١- ابن كمال باشا، أسرار النحو، تح: أحمد حسن حامد، عمّان، بلا تاريخ.

١٢٢- اللّبدي، محمد سميرنجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ط٢، دارالفرقان، بيروت، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٢٣- أبو ماضي، إيليّا، الديوان، دار العودة، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٢٤- المالقيّ، أحمد بن عبد النّور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد الخرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤ه.

١٢٥- ابن مالك، كعب، الديوان، تح: سامي مكّي العاني، ط١، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٨٦ه-١٩٦٦م.

١٢٦- المتنبي، أبو الطّيّب، الديوان، تح: مصطفى السّقّا وآخرون، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٦ه-١٩٥٦م.

١٢٧- مجاهد، عبد الكريم، الدّلالة اللغوية عند العرب، دار الضّياء، عمّان، بلا تاريخ.

١٢٨- ابن مرداس، العبّاس، الدّيوان، تح: يحيى الجبوري، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤١٢ه-١٩٩١م.

١٢٩- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط١، مطبعة التأليف و النشر والترجمة، ١٣٧١ه-١٩٥١م.

١٣٠- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، إشراف: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة النّوري، دمشق ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

١٣١- ابن معد يكرب، عمرو، الديوان، تح: مطاع الطرابيشي، ط٢، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

١٣٢- المعرّي، أبو العلاء، الديوان، تح: شاكر شقير اللبناني، المطبعة المدنيّة، بيروت، ١٨٨٤م.

١٣٣- ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف خيّاط، ونديم مرعشلي، ط٦، دار لسان العرب، بيروت، ١٣٨٩هـ -١٩٧٠م.

١٣٤- النّووي، يحيى بن شرف، رياض الصالحين، تح: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدّقاق، ط١٤، دار المأمون، دمشق، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .

١٣٥- الهذليّون، الديوان، تح: أحمد الزّين، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٤ه-١٩٤٥م.

١٣٦- الهرويّ، علي بن محمد النحويّ، كتاب الأزهيّة في علم الحروف، تح: عبد المعين الملّوحي، ط٢، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠١ه-١٩٨١م.

١٣٧- ابن هشام الأنصاريّ، شرح جمل الزّجّاجي، تح: علي محسن مال الله، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ه-١٩٨٥م.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد عزّ الدّين السّعيدي، ط١، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤١٩ه-١٩٩٩م

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح:مازن المبارك، منشورات جامعة حلب، بلا تاريخ.

- شرح شذور الذّهب، تح:محمد عبد الحميد، طبعة دار الفكر، ١٣٥٥ه.

١٣٨- هلال عبد الله الحسيني، تذكير المؤنث بين القياس والسّماع، ط١، مطبعة السّعادة، القاهرة، ١٤١٠ه ١٩٩٠م.

١٣٩- الهلالي، هادي عطيّة مطر، الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين، ط١، مطبعة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م.

١٤٠- ويس، أحمد محمد، الانزياح في التراث النقديّ والبلاغي، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، بلا تاريخ.

١٤١- ويس، أحمد محمد، الانزياح من منظورالدراسات الأسلوبية، المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

١٤٢- ياقوت، محمود سليمان، علم الجمال اللغوي، دارالمعرفة الجامعيّة، جامعة طنطـــا، مصر، ١٩٩٥م.

١٤٣- ابن يعيش، شرح المفصّل، المجلس الأعلى للأزهر، عالم الكتب، بيروت، مطبعـــة المتنبي، القاهرة، بلا تاريخ.

فهرس الموضوعات